

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأنطروحة المذكورة أعلاه، والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٢٠١٤/١٢/١٤، بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث قد تم عمل اللازم؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف

المناقش الداخلي

المناقش الخارجی

الاسم: P.د/عبد الوهاب عبد العاظمي عبد الله

الاسم: م. د. / ليمان لهادمة لبيبة الاسم: م. د. / عبد الله بن علي الفامري

التوقيع : ...

التوقيع

التوقيع :

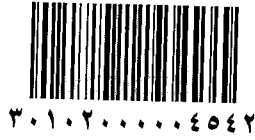
يعتمد

رئیس قسم

18/04/2018

التوقيع : ٢ / ١٦

يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .



٠٠٥٣٠٦



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
قسم الدراسات العليا

الإحسان في ضوء الكتاب والسنة النبوية

«دراسة موضوعية»

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الكتاب والسنة

إعداد الطالب

أحمد بن سعد بن أحمد آل غرم الغامدي

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور / سليمان الصادق البيرة

١٤٢٢هـ

المجلد الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فهذه رسالة علمية بعنوان: «الإحسان في ضوء الكتاب والسنة النبوية دراسة موضوعية» نلت بها درجة الدكتوراه من كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى. وهي بحمد الله تعالى كريمة في لفظها ومعناها إذ الإحسان أعلى مراتب الدين، ولبه، وروحه وكماله، تقع في مجلدين كل مجلد يربوا على خمسمائة صفحة، اشتملت على مقدمة وبايين وخاتمة المقدمة وفيها: أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، ومنهج الدراسة، الباب الأول اشتمل على خمسة فصول هي: معنى الإحسان، ومصادره ومكانته، ومرتبته ودرجات المحسنين، وشروطه. والباب الثاني: اشتمل على خمسة فصول هي: أنواع الإحسان، وصوره، ووسائله، وثمراته، وصفات المحسنين، تحت كل فصل منهما مباحث ومطالب. وختمت الرسالة بأهم النتائج والتوصيات وفهارس تفصيلية للآيات والأحاديث والآثار والمراجع والموضوعات وقد توجت هذه الرسالة بما يزيد على ألف ومائتي آية، ونحو ألف حديث بين صحيح وحسن، وأكثر من مائتين وخمسين أثرًا عن الصحابة رضي الله عنهم وعن غيرهم كما استفادت الرسالة من قرابة مائتين وخمسين مرجعًا من عيون الكتب ذات العلاقة.

وقد حرص الباحث أن يخاطب الشريحة الوسط من المسلمين بخطاب سلس سهل بعيد عن الألفاظ الغريبة والعبارات المعقدة، ليفتح الإحسان للمسلمين آفاقًا من الخير والصلاح تسبح فيه النفوس المؤمنة بربها عمرها، وتزكوا به أيما زكاء، وتترقى به مراقي الكمال مهما كان نشاطها في العبادة ورغبتها فيها، وأن تسير الحياة في تيسير ويسر، وسهولة وسعادة تشمل الفرد والمجتمع

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه

والحمد لله أولاً وآخراً

وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله المحسن الحق، الرافع الباسط، رب كل شيء ومليكه، يعز من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

والصلاة والسلام على رافع لواء الإحسان وإمام المحسنين، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فهذه رسالة بعنوان «الإحسان في ضوء الكتاب والسنة النبوية، دراسة موضوعية». أتقدم بها إلى جامعة أم القرى (كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة). لنيل درجة الدكتوراه. وموضوعها بحمد الله تعالى كريم، في لفظه ومعناه جميعاً. وله أهمية كبيرة أبرز معالمها الآتي:

١- أنَّ الإحسان أعلى مراتب الدين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (جعل النبي ﷺ الدين ثلاث درجات: أعلاها الإحسان، وأوسطها الإيمان، ويليهِ الإسلام، فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مؤمن محسناً، ولا كل مسلم مؤمناً. [ثم قال:] وأمّا الإحسان فهو أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإيمان، والإيمان أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإسلام. (١).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: «ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة الإحسان، وهي لب الإيمان، وروحه، وكماله...» (٢).

ومع هذه المنزلة العالية، فإنَّ الله تعالى قد أمر بالإحسان، وكتبه في كل شيء، ورتب عليه أجوراً عظيمة.

٢- أنَّه قد ورد في القرآن الكريم في لفظة الإحسان، وما يتصرف منها ما يقارب مائتي آية بصيغ وأساليب عديدة، وأمّا من حيث المعنى،

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/٧-١٠).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/٤٧٩).

Abstract

Praise is due to Allah and peace and blessings of Allah be upon his messenger Mohammed and then:

This thesis, titled "Good-will in the Light of Qura'an and Prophetic Tradition, an Objective Study", is submitted to the College of Call to Islam and Principles of the Religion as a requirement of the doctoral degree. Thanks to Allah, this thesis is precious in its topic, for the Good-will resides on the peak of the religion and comprises its core and perfection. It falls into two major volumes each of which is composed of over five hundred pages which enclose an introduction two main sections, and a conclusion. It contains reasons behind choice of the study.

The first volume includes five chapters, they flow as, 1- the meaning of Good-will, 2- its resources, 3- its position in faith, 4- its levels and 5- kinds of good-doers, and contradictions of Good-will. The second volume is comprised of five chapters. They flow as 1- types of Good-will, 2- its forms, 3- its means, 4- its results, and 5- features of good doers. Each of the previous chapters includes themes and issues.

I conclude this thesis with the most important results and recommendations, detailed indexes of Qura'anic verses prophetic traditions, other traditions of the companions of the prophet, references, and subjects. I utilize more than one 1200 Qura'anic verses, and around 1000 fair and sound prophetic tradition, and more than 250 traditions of the companions of the prophet may Allah be pleased with them all. I also use more than 250 references.

The researcher aims to speak to Muslims who belong to the middle class, he avoids the use of strange and sophisticated phrases in order to let good-will open new horizons of good and righteousness for all believers to be purified and chastened, and let believe grow perfect in their souls no matter how active they are in worship. This will let them run their lives in ease and happiness that permeate the whole society.

May Allah guide every body to what pleases Him
Thanks to Allah all times and peace and blessings of Allah be upon his messenger, his family, and all his companions

فقد ورد أكثر من ذلك أضعافاً مضاعفة. كما جاءت هذه اللفظة وما يتصرف منها، وماله صلةٌ بها في مئات الأحاديث النبوية. وكل هذه الآيات والأحاديث تأمر به، وتنهى عن ضده، وتبين أنواعه وأحكامه، وما ينعم به أهله من الجزاء الحسن، في الدنيا والآخرة. وهذا القدر من النصوص الشرعية يبين أهميته، ويبرز مكانته السامية.

٣- أنَّ الحياة مع الإحسان، تسير في يسرٍ، وسهولةٍ وسعادة، تشمل الفرد والمجتمع.

٤- أنَّ الإحسان يفتح آفاقاً من الخير والبر والصلاح للنفس البشرية المؤمنة بربها تسبح فيه عمرها، وتزكو به أيما زكاء، وترقى به دائماً مهما كان نشاطها في العبادة ورغبتها فيها، وحرصها على الفضائل؛ لأنَّ النفس البشرية إذا لم تجد ما ترتقي إليه صعب عليها الوقوف في منزلة ولربما تقهقرت إلى ما هو دون ذلك.

ولا شكَّ أنَّ لاختيار هذا الموضوع أسباباً لعلَّ من أظهرها الآتي:

١- أنَّ هذا الموضوع مع جلالة قدره، لم أجد حسب علمي القاصر، من أفردته في قديم أو حديثٍ بمؤلفٍ مستوعب، أو رسالةٍ علميةٍ مستقلة، مع وفرة مادته العلمية، فلعله يسد بتوفيق الله تعالى إغوازا في المكتبة الإسلامية.

٢- أنَّ جملة من التجاوزات الدينية عند بعض المسلمين سببها الجهل بمرتبة الإحسان وثمراتها، فلعلَّ هذا الموضوع يكون شاحداً للهمم حتَّى نصل إلى حقيقة الإحسان بإذن الله تعالى.

٣- أنَّ موضوع الإحسان غير قاصر على الأعمال القلبية في عبادة الله تعالى فقط كما هو متبادرٌ إلى الذهن، وإنَّما الإحسان وأنواعه وصوره واسعةٌ جداً في الكتاب والسنة النبوية.

٤- أنَّ في القرآن الكريم والسنة المطهرة صوراً مشرقةً من الإحسان، يجب أن تُجَلَّى للناس لأخذ القدوة منها، والتربية على منوالها.

٥- أنَّنا بحاجة ماسّة إلى جملةٍ من الرسائل العلمية، تكون في

متناول عموم المسلمين، على اختلاف ثقافتهم، تعالج قضاياهم وتهذب سلوكهم، ملتزمة في ذلك المنهج العلمي الرصين، فعسى أن تكون هذه الرسالة بموضوعها النبيل، مسهمة في هذا المضمار بجهد طيب إن شاء الله تعالى.

٦- ما يعود عليّ شخصيًا من بحث هذا الموضوع، والإفادة من توجيهاته.

هذا وقد سبقت دراسة نحو هذا الموضوع بعنوان: «الإحسان في القرآن والسنة»، وتطبيقاتها التربوية من خلال منهج التوحيد، في مدارس المرحلة الابتدائية للبنات، في المملكة العربية السعودية، عبارة عن رسالة ماجستير من جامعة أم القرى - كلية التربية - التربية الإسلامية المقارنة، تقدمت بها الباحثة: أسماء إبراهيم محمد السميري عام ١٤٠٩هـ.

غير أن هذه الدراسة تربوية الاتجاه تعالج الجانب النسوي فقط في مرحلة تعليمية محدّدة، وعلى مستوى المملكة العربية السعودية، كما أن البحث بعيد عن الدراسة المتخصصة في الكتاب والسنة.

وبعد النظر في الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية، التي لها اتصال بالموضوع، وضعت الخطة، وقد اشتملت على مقدمة وبابين وخاتمة.

المقدمة:

وفيه أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، ومنهج الدراسة.

الباب الأوّل: معنى الإحسان، ومكانته، ومراتبه، وشروطه، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأوّل: معنى الإحسان، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الإحسان في اللغة.

المبحث الثاني: تعريف الإحسان في الاصطلاح.

ويشتمل على بيان لفظ الإحسان ومشتقاته وما تدور حوله تلك

المادة ممّا له صلة بالموضوع من خلال ورودها في الكتاب والسنة في سياقات تتعدّد دلالاتها.

المبحث الثالث: في الألفاظ ذات الصلة بالإحسان ودلالاتها في مثل: الإتقان، والجمال. . . وغيرها كل في مطلب مستقل.

الفصل الثاني: مصادر الإحسان، وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: صحيح المنقول.

المبحث الثاني: صحيح المعقول.

المبحث الثالث: منزلة العقل مع النقل وخطر استقلاله عنه.

الفصل الثالث: في مكانة الإحسان، وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأوّل: بيان مرتبته.

المبحث الثاني: في بيان النصوص الواردة في الدعوة إليه.

المبحث الثالث: في بيان النصوص الواردة في التّهي عن ضده.

الفصل الرابع: في مرتبة الإحسان، ودرجات المحسنين، وفيه

مبحثان:

المبحث الأوّل: مرتبة المشاهدة ومعناها.

المبحث الثاني: درجات المحسنين.

الفصل الخامس: في شروط الإحسان، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: الإخلاص.

المبحث الثاني: المتابعة.

المبحث الثالث: عبادة المؤمن الله تعالى كأنّه يراه.

الباب الثاني: أنواع الإحسان، وصوره، ووسائله وثمراته، وصفات

المحسنين، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأوّل: أنواع الإحسان، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأوّل: إحسان الخالق عزّ وجل إلى المخلوق.

المبحث الثاني: إحسان الإنسان في عبادة الله تعالى، وفيه ثلاثة

مطالب:

المطلب الأوّل: الإحسان الاعتقادي.

المطلب الثاني: الإحسان القولي.

المطلب الثالث: الإحسان الفعلي.

المبحث الثالث: إحسان الإنسان إلى نفسه باطنًا وظاهرًا، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإحسان إلى النفس باطنًا مثل: حسن الرأى ونحوه.

المطلب الثاني: الإحسان إلى النفس ظاهرًا، مثل حسن الملبس والمطعم والمركب، ونحوها.

المبحث الرابع: إحسان الإنسان إلى الخلق، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: الإحسان إلى الإنسان بالقلب، واللسان، والجوارح.

أولاً: الإحسان إلى المسلم القريب أو البعيد.

ثانيًا: الإحسان إلى الكافر القريب أو البعيد.

المطلب الثاني: الإحسان إلى غير الإنسان مثل الملائكة عليهم السلام، والحيوان.

الفصل الثاني: وسائل الإحسان، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: العلم بالتكليفات الشرعية ودرجاتها.

المبحث الثاني: استشعار إحسان الله تعالى إلى العبد، ومراقبته له والتوبة إليه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: استشعار إحسان الله تعالى إلى العبد.

المطلب الثاني: استشعار مراقبة الله لعبده.

المطلب الثالث: التوبة إلى الله تعالى.

المبحث الثالث: في المنافسة، والمجاهدة، والصبر، والدعاء، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المنافسة.

المطلب الثاني: المجاهدة.

المطلب الثالث: الصبر.

المطلب الرابع : الدعاء .

المبحث الرابع : في الكيفية التي يعرف بها من وصل إلى مرتبة الإحسان .

الفصل الثالث : صور الإحسان ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : صور الإحسان المأثورة عن الأنبياء والرسل عليهم السلام .

المبحث الثاني : صور الإحسان عن الصحابة رضي الله عنهم .

المبحث الثالث : صور الإحسان الأخرى .

الفصل الرابع : ثمرات الإحسان ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الثمرات الدنيوية .

المبحث الثاني : الثمرات الأخروية .

الفصل الخامس : صفات المحسنين ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الصفات الباطنة .

المبحث الثاني : الصفات الظاهرة .

الخاتمة : وتشتمل على أهم نتائج البحث والتوصيات ، وقد ختمت

الرسالة بالفهارس التفصيلية مثل :

١- فهرس الآيات القرآنية .

٢- فهرس الأحاديث .

٣- فهرس الآثار .

٤- فهرس المراجع .

٥- فهرس الموضوعات .

منهج البحث :

كان منهجي في البحث على النحو الآتي :

١- جمعت الآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية ، المتعلقة

بالموضوع لفظاً ومعنى .

٢- بعد النظر في تفسير الآيات ، وشرح الأحاديث قسمت

الموضوع إلى أبواب وفصول ، ومباحث وعناصر مترابطة ، ووضعت كل

آية أو حديث في موضعه المناسب من هذه الأقسام.

٤- استخرجت الفوائد العلمية والدينية من دراسة النصوص الكريمة، وأثبتتها في مواقعها من البحث، بعد صياغتها صياغةً حسنة.

٥- وعزوتها إلى سورها الكريمة ورقمها من كل سورة

٦- قمت بتخريج الأحاديث الشريفة الواردة في البحث، من كتب السنة الأصلية وحكمت عليها بأقوال الأئمة والعلماء السابقين، وما لم أجد لهم أقوالاً في ذلك قمت بدراسة السند، والحكم على الحديث أو الأثر بناء على ما وضعه أئمة هذا الشأن في قواعد الحديث.

٧- اكتفيت بالثابت من الأحاديث عن رسول الله ﷺ.

٨- وثقت النقول، وعزوتها إلى قائلها، ومصادرها الأصلية، مبيّناً مواضعها في هذه المراجع وكل نص تدخلت فيه بقليل أو كثير عزوته وأشارت إليه بلفظة «انظر».

٩- شرحت الألفاظ الغريبة التي وردت في البحث، وضبطت بالشكل ما يفتقر إلى الضبط احترازاً من الإيهام.

١٠- وضعت الفهارس التفصيلية، المستوعبة لما في الرسالة، تيسيراً على القارئ، وخدمة لجوانب البحث العلمي.

وأسأل الله أن يوفق المؤهلين من علماء المسلمين لخدمة كتابه العزيز، وسنة نبيه محمد ﷺ، هذا وإنه لمن الاعتراف بالفضل، ورد الجميل إلى أهله، مجللاً بالشكر والعرفان، أن أتقدم بالشكر لجامعة أم القرى، ممثلة في مديرها بالنيابة سعادة الأستاذ الدكتور: ناصر الصالح، وكلية الدعوة وأصول الدين، ممثلة في عميدها فضيلة الدكتور: عبدالله بن عمر الدميحي، ورئاسة قسم الكتاب والسنة، ممثلة في رئيسها فضيلة الدكتور: مطر الزهراني، وللمشرفين على هذه الرسالة، الذين كان مسكُ ختامهم، من تمكنت من الاستفادة من علمه وتوجيهاته، وتجربته

الناجحة في البحث العلمي، فضيلة الأستاذ الدكتور سليمان الصادق
البيرة.

كما أتقدم بوافر الشكر والعرفان، لفضيلة الأستاذين المناقشين
لهذه الرسالة

الأستاذ الدكتور: / عبدالوهاب بن عبدالعاطي بن عبدالله
والأستاذ الدكتور: / عبدالله بن علي الغامدي على ما بذلاه من
جهد مشكور في تقويم هذه الرسالة وتقييمها.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الطالب / أحمد بن سعد بن أحمد آل غرم الغامدي

الباب الأول

معنى الإحسان ومصادره ومكانته ومراتبه وشروطه

- وفيه خمسة فصول:
- الفصل الأول: معنى الإحسان
 - الفصل الثاني: مصادره
 - الفصل الثالث: مكانته
 - الفصل الرابع: مرتبته
 - الفصل الخامس: شروطه

٠٠٥٣٠٢



الفصل الأول معنى الإحسان

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الإحسان في اللغة

المبحث الثاني : تعريف الإحسان في الاصطلاح

المبحث الثالث : الألفاظ ذات الصلة بالإحسان ودلالاتها

المبحث الأول تعريف الإحسان في اللغة

الإحسان: ضد الإساءة، مشتق من مادة (حَسُنَ): الحاء والسين والنون أصل واحد، وهو مصدر أَحْسَنَ يُحَسِّنُ إِحْسَانًا، يتعدى بِنَفْسِهِ، فتكون الهمزة للضرورة، تقول: أَحْسَنْتُ كَذَا، أي: أتيت بالفعل الحَسَنَ على وجه الإتيان والإحكام وصنع الجميل. وَأَحْسَنَ الفعل: أتقنه وجوّده وجَمَلَه، وَأَحْسَنَ الرجلُ: صار حسنًا أو دخل في شيء حَسَنٍ، فهو مُحَسِّنٌ وهم مُحْسِنُونَ وهنَّ مُحْسِنَاتٌ.

ويتعدى بإلى، واللام، تقول: أَحْسَنْتُ إِلَى فلان، ولفلانٍ إذا أَوْصَلْتَ إليه النفع وأنعمت عليه وأكرمتَه وصنعت به الجميل.

ويتعدى بالباء، ومنه قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف، الآية: ١٠٠]. أي قد أحسن إليّ.

والحَسَنُ: ما حَسُنَ من كل شيء. وهو يُحَسِّنُ الشيءَ إِحْسَانًا: أي يعملُه. والتَحَسُّنُ: التَّجَمُّلُ. وَحَسُنَ الشيءُ يَحْسُنُ حَسَنًا: صار حسنًا جميلًا، ومؤنثه حَسَنَةٌ: وهي خلاف السيئة، يعبر بها عن كل مايسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والحُسْنُ: الجمال وضده القبح، وَجُمِعَ الحُسْنُ والحَسَنَةُ على حَسَانٍ، وَحَسَّنتُ الشيءَ: زَيَّنتُهُ، ويستحسنه يَعُدُّهُ حَسَنًا، وَأَحْسَنُ: أفعلٌ تفضيل من الحُسْنِ. تقول: فلان أَحْسَنُ من فلان: إذا كان أفضلَ منه. والمَحَاسِنُ في الأعمال: ضد المساوئ، والحُسْنَى: ضد الشَّوْأَى مؤنثُ الأحسن.

والفرق بين الحُسْنِ والحَسَنَةِ والحُسْنَى: أن الحُسْنَ يقال في الأعيان والأحداث. تقول: رجلٌ حَسَنٌ، وعملٌ حَسَنٌ، وكذلك الحسنة إذا كانت وصفًا. تقول: امرأةٌ حَسَنَةٌ، وصلاةٌ حَسَنَةٌ، وإذا كانت اسمًا فمتعارف في الأحداث، والحُسْنَى: لا يقال إلا في الأحداث دون الأعيان^(١).

(١) انظر: الصحاح، للجوهري (٢٠٩٩/٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٦٢)، ومفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني (١٧٤/١)، ولسان العرب لابن منظور (١١٥/١٣، ١١٧)، والمعجم الوسيط مجمع اللغة العربية (١٧٤/١)، وتاج العروس للزبيدي (١٤٢/١٨)، والكليّات (٥٣)، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم (٢٧٣/١)، وفتح الباري لابن حجر (١٢٠/١)، وتحفة الأخوذى (٣٤٧/٧) (بتصرف واختصار).

المبحث الثاني تعريف الإحسان في الاصطلاح

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الإحسان في الاصطلاح

المطلب الثاني : استعمالات ما يتصرف عن لفظة الإحسان مما له

صلة بالموضوع

المطلب الثالث : فيما يضاد الإحسان

المطلب الأول تعريف الإحسان في الاصطلاح

يختلف معنى الإحسان اصطلاحاً باختلاف القرائن والسياق الذي يرد فيه، وله معنيان:

المعنى الأول: أن يقترن الإحسان بشيء من حقوق الله تعالى وما يجب له من العبادة، فيكون المراد به ما عرّفه به النبي ﷺ عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه»^(١). والمعنى: عبادة المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والخشوع، والمراقبة والإتقان، حتى يغلب عليه مشاهدة الله تعالى بقلبه كأنه يراه بعينه^(٢).

- أنواع القرائن:

١ - اقتران الإحسان بالإيمان: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف، الآية: ٣٠] أي من أخلص منهم إيمانه وأتقن أعماله الصالحات على وجه الحضور والخشوع والمراقبة، حتى يغلب عليه مشاهدة الله تعالى بقلبه كأنه يراه بعينه. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت، الآية: ٧].

وفي الآية وصف للأعمال بالحُسن، والمعنى: كما أحسنوا أعمالهم على ماسبق بيان الإحسان جازاهم الله بأكثر مما عملوا وأجمل منه^(٣).

٢ - اقتران الإحسان بالإسلام: قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [البقرة، الآية: ١١٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء، الآية: ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان، الآية: ٢٢]. والمحسن هو الذي يفعل الإحسان. والمراد هنا: من أخلص لله بالتوحيد وانقاد له بالطاعة^(٤) حالة كونه محسنًا.

٣ - اقتران الإحسان بالتقوى: قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ

(١) صحيح مسلم ٣٨/١ (١) كتاب الإيمان باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان.

(٢) انظر: فتح الباري (١/١٢١)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (١/١٢٥-١٢٦)، ونصرة النعيم لصالح بن حميد وزملاءه (٢/٦٧) (بتصرف).

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/١٩٢، ٥/١٨) (بتصرف).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٧١٧).

مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ [آل عمران، الآية: ١٧٢]. أي الذين استجابوا لدعوة الله ورسوله إلى الخروج للجهاد لمن أحسن منهم بطاعته لرسول الله واتفقوا مخالفته أجر عظيم^(١). وأحسن الفعل إذا أتقنه وجوده وجمله والمعنى: كونهم مطيعين لله ورسوله متقين المخالفة لله تعالى ورسوله ﷺ على وجه الإخلاص والالتقان في الاستجابة واتباع المعصية كأنهم يرون الله تعالى. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء، الآية: ١٢٨]. أي تعملوا الصلح الذي ليس فيه جور، وقيل هذا خطاب للأزواج، أي: وإن تحسنوا معها بالإقامة على الكراهية وتتقوا ظلمها حالة كونكم تفعلون ذلك وكأنكم تنظرون إلى الله تعالى على ماسبق في تعريف الإحسان، فإن الله تعالى مطلع على بواطن ما تخفون وما تعلنون ليجازيكم بها^(٢). وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة، الآية: ٩٣].

قال الطيبي رحمه الله: (المعنى أنه ليس المطلوب من المؤمنين الزهادة عن الملذات وتحريم الطيبات، وإنما المطلوب منهم الترقى في مدارج التقوى والإيمان إلى مراتب الإخلاص واليقين ومعارج القدس والكمال، وذلك بأن يثبتوا على الاتقاء عن الشرك، وعلى الإيمان بما يجب الإيمان به، وعلى الأعمال الصالحة لتحصل الاستقامة التامة التي يتمكن بها من الترقى إلى مرتبة المشاهدة ومعارج (أن تعبد الله كأنك تراه). وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ وبه ينتهي للزلفى عند الله ومحبه، والله يحب المحسنين)^(٣).

قال القاسمي رحمه الله: (الإحسان المذكور في الآية: إما إحسان العمل، أو الإحسان إلى الخلق، أو إحسان المشاهدة المتقدم؛ ولا مانع من الحمل على الجميع)^(٤).

ومقصوده بإحسان العمل إتقانه، والإحسان إلى الخلق الإنعام عليهم، وإحسان المشاهدة عبادة المؤمن ربه حتى كأنه يراه. ويمكن حمل الآية على

(١) انظر: معالم التنزيل للبغوي (١/٢٩٣ - ٢٩٥) (بتصرف).

(٢) انظر: معالم التنزيل (١/٣٨٨) (بتصرف).

(٣) محاسن التأويل (٦/٢١٤٨).

(٤) المرجع نفسه.

الأول والثالث دون الثاني لأمرين:

الأول: أن سياق الآية ليس فيه إشارة للإنعام على الغير لا في السابق ولا في اللاحق.

الثاني: أن الإحسان مقترن هنا بالتقوى.

وقال تعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ [النحل، الآية: ٣٠].

أي لمن أحسن عمله على ماسبق بيان الإحسان مكافأة في هذه الدنيا حسنة يسرون بها من نعمة تنالهم في أنفسهم وأبدانهم وأحوالهم وذلك بسبب إحسانهم تقوى الله وعبادته، ولهم في الآخرة ما هو خير منها، وهي جنات عدن كما في الآية اللاحقة^(١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل،

الآية: ١٢٨] أي الذين هم فاعلون للإحسان.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر، الآية: ١٠].

أي: للذين أحسنوا اتقاءهم لله في الدنيا، مثوبة حسنة في الآخرة، لا يعرف كنهها إلا الله تعالى، فمن تعسر عليه القدرة على الإحسان في وطنه، فليهاجر إلى حيث يتمكن منه، ولا يعتذر عن التفريط في الإحسان بعدم مساعدة المكان فأرض الله واسعة. فمن كابد البلاء وهاجر الأوطان من أجل الإحسان وفاه الله أجره في الآخرة بغير مكيال^(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [٣٣] لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿ ٣٤ ﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ ٣٥ ﴾ [الزمر، الآية: ٣٣ - ٣٥] والمعنى يجزي الله المحسنين في تقواهم وأعمالهم بالمحاسن دون المساوىء^(٣).

٤ - اقتران الإحسان بالعمل الصالح:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَنْفَعُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة، الآية: ١٢١].

وقال تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود، الآية: ٧].

وقال تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل، الآية: ٩٦].

(١) انظر: محاسن التأويل للقاسمي (٣٧٩٨/١٠)، والمفردات للراغب (١١٧ - ١١٨).

(٢) انظر: محاسن التأويل (٥١٣٢/١٤) (بتصرف).

(٣) انظر: فتح القدير (٤٦٣/٤).

وقال تعالى: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُمْ تَحَرُّاً وَلَا بَيْعاً عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ [النور، الآيتان: ٣٧ - ٣٨].

وقال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوْعَدُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [الأحقاف، الآية: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا يَمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ ﴿٣١﴾ [النجم، الآية: ٣١].

والمعنى: من أحسن عبادة ربه حتى كأنه يراه يُجْزَى أَجْرَ أَتَقَنَ عَمَلِهِ وأجوده، وإضافة الأحسن إلى ما بعده ليست من إضافة المفضل إلى المفضل عليه، بل من إضافة الشيء إلى بعضه قصداً إلى التوضيح من غير اعتبار تفضيل^(١).

وقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمُ إِلَى الْتِهْلُكِهٖ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٩٥﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥].

والمعنى: تحروا فعل الإحسان والإيتان بكل ما هو حسن، ومن أجله الإنفاق في سبيل الله، وفيه تنبيه بإظهار المحبة للمحسنين على شرف منزلتهم وفضيلة أفعالهم^(٢).

٥ - أن يذكر الإحسان مفرداً إلا أنه من السياق يعرف اقترانه بالعمل الصالح:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ [الأنعام، الآية: ١٥٤].

اختلف المفسرون في تأويل هذه الآية، وسببه بيان المراد بالاسم الموصول «الذي». ف قيل المراد به مَنْ أَحْسَنَ من قوم موسى، ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه «على الذين أحسنوا». قال أبو عبيدة: معناه على كل مَنْ أَحْسَنَ، أي أتممنا فضيلة موسى عليه السلام بالكتاب على المحسنين، والمعنى: أظهرنا فضله عليهم، والمحسنون هم الأنبياء والمؤمنون، وعلى هذا يكون الإحسان هنا بمعنى: إتقان الطاعة على وجه كأنه يرى الله تعالى.

وقيل المقصود بالاسم الموصول «الذي» ما، فيكون الذي أحسن هو موسى عليه السلام والتقدير آتيناه كتاب التوراة إتماماً للنعمة عليه، لإحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء الأمر، وقيل الإحسان بمعنى العلم،

(١) انظر: فتح القدير (٤/٤٦٣) (بتصرف).

(٢) انظر: محاسن التأويل (٣/٤٨٢).

وأحسن بمعنى علم، ومعناه تمامًا على الذي أحسن موسى من العلم والحكمة آتيانه الكتاب زيادة على ذلك.

وقيل المراد بالاسم الموصول «الذي» مَنْ أحسن وهو الله تعالى ومعناه: تمامًا مني على إحساني إلى موسى ويكون الإحسان هنا بمعنى الإنعام^(١).

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس، الآية: ٢٦]. للذين أحسنوا النظر، فعرفوا مكر الدنيا وعاقبة الشهوات، فأعرضوا عنها وتوجهوا إلى الله تعالى، فعبدوه كأنهم يرونه، المثوبة الحسنى، وهي الجنة، وزيادة المثوبة وهي التفضل كما قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾ [النساء، الآية: ١٧٣]. وأعظم أنواعها النظر إلى وجهه تعالى^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء، الآية: ٧].

إن أحسنتم توبتكم وأعمالكم كأنكم ترون الله أحسنتم لأنفسكم وتفضلتم عليها بإبقاء الغلبة لها، والإمداد بالأموال والبنين وتكثير النفي^(٣).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٨﴾ [الكهف، الآيتان: ١٠٣ - ١٠٤]. يحسبون أنهم يعملون على مقتضى الإحسان في عبادة الله تعالى. والحال أنهم على ضلال وهم أهل الكفر والزيغ.

المعنى الثاني من معاني الإحسان:

أن لا يقترب بشيء من حقوق الله تعالى أو ما يجب له من الطاعة مطلقًا، فيكون المراد به: فعل ما ينبغي فعله من المعروف. وهو ضربان:

أحدهما: الإنعام على الغير، بحيث يصير الغير حسنًا به، كإطعام الجائع، وتكون الهمة هنا للتعديّة.

والثاني: ما يصير الفاعل بسببه حسنًا بنفسه كمن عِلِمَ علمًا محمودًا وعمل عملاً حسنًا، وتكون الهمة هنا للصيرورة، ومنه قول علي رضي الله عنه: (الناس أبناء ما يحسنون). أي منسوبون إلى ما يعلمون ويعملون من الأفعال الحسنة. وكلا الضربين متعلّق المدح في العاجل والثواب في

(١) معالم التنزيل (١١٨/٢) (بتصرف شديد).

(٢) انظر: محاسن التأويل (٣٣٤١/١٥ - ٣٣٤٢) (بتصرف).

(٣) انظر: المصدر نفسه (٣٩٠٣/١٠).

الآجل . إذا صحبتهما النية الصالحة^(١) .

وممّا يُستدل به على أن الإحسان إذا لم يقترن بشيء من حقوق الله تعالى أو ما يجب له من الطاعة مطلقاً يكون بمعنى: فعل ما ينبغي فعله من المعروف وصنع الجميل للنفس أو الغير .

قول الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء، الآية: ٣٦] .

وفي الآية دلالة واضحة على الأمر بفعل المعروف والإنعام وصنع الجميل بالوالدين أولاً ثم ببقية الأصناف الثمانية .

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِنَحِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء، الآية: ٨٦] .

وأحسن هنا أفعل تفضيل من الحُسْن . ووجه الدلالة الأمر برد التحية بتحية أحسن منها وأجمل وهي الزيادة . وهذا إنعامٌ ومعروفٌ وصنعٌ جميل بالغير .

وهكذا في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء، الآية: ٥٣] .

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة، الآية: ٨٣] أي قولوا أحسن الأقوال فالأول أفعل تفضيل والثاني قولوا قولاً حسناً هكذا جاءت منكرة لتفيد التكثير والتعظيم .

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ عَنْ شَيْءٍ فَأَتْبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة، الآية: ١٧٨] .

أي أدوا إليه الدية بمعروف ليس فيه مماطلة ولا نقص .
وقوله تعالى: ﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٩] .

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام، الآية: ١٥٢] .

وممّا يستدل به من السنة:

ما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبَرٍ، قال رجل: إن الرجل

(١) انظر: المفردات (١١٨)، والكليات (٥٣)، والتعريفات (٨٧) (بتصرف) .

يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنةً، قال: «إن الله جميل يحب الجمال،
الكبر بظر الحق وغمط الناس»^(١).

وفي الحديث الإحسان إلى النفس.

وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله مَنْ
أحق الناس بحسن الصحبة قال: «أملك ثم أملك ثم أملك ثم أبوك ثم أدناك
أدناك»^(٢).

وفيه الإنعام على القرابة كل بحسب قربه.

وما روي عن عائشة زوج النبي ﷺ - رضي الله عنها - قالت: جاءني
امرأة ومعها ابنتان لها فسألني فلم تجد عندي شيئاً غير تمر واحدة،
فأعطيتها إياها، فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئاً، ثم قامت
فخرجت وابنتاهما، فدخل عليّ النبي ﷺ فحدثته حديثها، فقال النبي ﷺ:
«من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»^(٣).

والإحسان إلى البنات الإنعام عليهن، بحسن الرعاية، والتربية
وخصهن بذلك لمزيد حاجتهن له ولزهادة كثير من الناس فيهن.

وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن
لي قرابةً أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إليّ وأحلم عنهم
ويجهلون عليّ فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المَلَّ»^(٤) ولا يزال
معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»^(٥).

والإحسان إلى القرابة هو الإنعام عليهم وصنع الجميل بهم.

وما روي عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: كنا قعوداً بالأفنية نتحدث
فجاء رسول الله ﷺ فقام علينا فقال: «مالك ولمجالس الصُّعَدَاتِ»^(٦) اجتنبوا
مجالس الصُّعَدَاتِ فقلنا إنما قعدنا لغير ما بأس، قعدنا نتذاكر ونتحدث،
قال: إِمَّا لَا فَادُوا حقها: غض البصر ورد السلام وحسن الكلام»^(٧).

والكلام الحسن هو الجميل الطيب الذي هو نوع من الإنعام.

وما روي عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثنتان حفظتهما عن
رسول الله ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم

(١) صحيح مسلم (٩٣/١) (٩١).

(٢) صحيح مسلم (١٩٧٤/٣) (٢٥٤٨).

(٣) صحيح مسلم (٢٠٢٧/٣) (٢٦٢٩).

(٤) المَلُّ: هو الرماد الحار. «النهاية» (٣٦١/٤).

(٥) صحيح مسلم (١٩٨٢/٣) (٢٥٥٨).

(٦) الصُّعَدَات: هي الطُّرُقُ «النهاية» (٢٩/٣).

(٧) صحيح مسلم (١٧٠٣/٢) (٢١٦١).

فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته، فليُرْحَ ذبيحته»^(١).

وفيه الإنعام وصنع الجميل بالغير حتى مع الحيوان حال ذبحه.

- ولا شكَّ أنَّ ثمة فرقاً بين الإحسان والإنعام:

فالإحسان أعم من الإنعام، لأن الإحسان يكون لنفس الإنسان ولغيره، تقول أحسنتُ إلى نفسي، وأحسنتُ إلى فلان، والإنعام لا يكون إلا لغيره^(٢).

- وفي الفرق بين الإحسان والحسنة:

يقول الراغب رحمه الله: الحسنة يعبر بها عن كل مايسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النساء، الآية: ٧٨]. أي خصب وسعة وظفر، أما الإحسان: فإنه يقال على وجهين أحدهما: الإحسان إلى النفس أو الإنعام على الغير، والثاني: الإحسان في الفعل أو العمل، وعلى هذا قول الإمام علي رضي الله عنه -: «الناس أبناء مايحسنون» أي منسوبون إلى مايعملونه من الأفعال الحسنة^(٣).

والعلاقة بين الأمرين واضحة لأن من يحسن إلى نفسه بإخلاص التوحيد والعبادة أو إلى غيره بالقول أو الفعل فإن ذلك يثمر له الحسنَى، وهي الجنة، فالحسنة والإحسان كلاهما مأخوذان من الحُسْنِ الذي من شأنه أن يَسُرَّ من يتحلَّى به في الدنيا والآخرة^(٤).

(١) صحيح مسلم (١٥٤٨/٢) (١٩٥٥).

(٢) لسان العرب (١١٧/١٣).

(٣) انظر: المفردات (١١٧ - ١١٨).

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ لمجموعة من المختصين بإشراف د/ صالح بن حميد وغيره (٧١/٢).

المطلب الثاني

في استعمال ما يتصرف من لفظة الإحسان مما له صلة بالموضوع

١ - حَسُنَ، وَحَسُنْتَ: أي جَمُلَ وَجُمِلْتَ.

قال الله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء، الآية: ٩٦].

والمعنى: جملت رفقتهم.

ووردت حسنت في القرآن الكريم في موضعين:

قال الله تعالى: ﴿مُتَكِينِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف، الآية: ٣١].

[الكهف، الآية: ٣١].

والمعنى: صارت حسنة جميلة.

وقال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان، الآية: ٧٦].

[٧٦].

والمعنى: زينت الجنة وجمّلت.

٢ - أَحْسَنَ: الهمزة للصيرورة. تقول أَحْسَنْتَ كذا: إذا أَتَيْتَ بالفعل

الحسن على وجه الإتيان والإحكام وصنع الجميل، وَأَحْسَنَ الفعل إذا أَتَقَنَهُ وجَوَّدَهُ وجمّله، وَأَحْسَنَ الرجل: صار حسناً أو دخل في شيء حسن، فهو محسن وهم محسنون، وهن محسنات، أي يفعلون الإحسان متقين مخلصين.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة، الآية: ٧].

[السجدة، الآية: ٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (أَتَقَنَهُ وَأَحْكَمَهُ)^(١). وقال مقاتل

رحمه الله: (علم كيف يخلق كل شيء، من قولك فلان يحسن كذا إذا كان يعمل^(٢)).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾

[غافر، الآية: ٦٤]. أي أَتَقَنَ صوركُم وجمّلها.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين، الآية: ٤].

والمعنى: في أَتَقَنَ قامة وأجمل صورة واعتدال^(٣).

ومن السنة النبوية ما روي عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قال النبي

ﷺ لرجل: «كيف تقول في الصلاة، قال: أتشهد وأقول: اللهم إني أسألك

(١) معالم التنزيل (٤٢٩/٣).

(٢) معالم التنزيل (٤٢٩/٣).

(٣) انظر: فتح القدير (٤٦٤/٥).

الجنة وأعوذ بك من النار أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال النبي ﷺ: حولهما ندندن»^(١).

وما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رجلاً قرأ آية وسمعت النبي ﷺ يقرأ خلفها فجئت به النبي ﷺ فأخبرته فعرفت في وجهه الكراهية وقال: كلاكما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلکوا»^(٢).

٣- أَحْسَنُ: أفعل تفضيل من الحسن بمعنى الجمال، وقد يحذف المفضل عليه لإرادة التعميم. والمعنى أكثر جمالاً.

ومنه قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ [البقرة، الآية: ١٣٨]. الصبغة: الدين^(٣). والتفسير لا أحد أتقن وأجمل ديناً من دين الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء، الآية: ٥٩].

أي رد النزاع إلى الكتاب والسنة أجمل مآلاً وعاقبة^(٤)، ويجوز: أجمل وأفضل من تأويلكم،^(٥) والأول أرجح.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء، الآية: ٨٦]. والمعنى: ردوا التحية بأجمل منها. فإذا قيل لكم السلام عليكم، فقولوا: عليكم السلام ورحمة الله، وإذا قيل السلام عليكم ورحمة الله، فقولوا: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء، الآية: ١٢٥].

وتأويل الآية: لا أحد أتقن وأجود وأجمل ديناً ممن استسلم لله بالتوحيد وانقاد له بالطاعة في كل وجهة حالة كونه متلبساً بمرتبة الإحسان.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة، الآية: ٥٠] ومعناه لا أحد أتقن وأجمل حكماً من الله تعالى.

(١) سنن أبي داود (٥٠١/١) (٧٩٢) ابن حبان في صحيحه (الإحسان) (١٤٩/٣) (٨٦٨) وإسناده صحيح وفيه الراوي المبهم من الصحابة وهو أبو هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري (١٢٨٢/٣) (٣٢٨٩).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٨١/١).

(٤) المرجع السابق (٣٥٤/١).

(٥) انظر: معاني القرآن للنحاس (١٢٥/٢).

(٦) معالم التنزيل (٣٦٤/١) (بتصرف).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام، الآية: ١٥٢]، [الإسراء، الآية: ٣٤]. أي لا تقربوا مال اليتيم إلا بقرب هو أفضل القرب وأجمله والأتقن له وذلك بما فيه صلاحه وتثميته^(١). وعبر بقوله ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾ عن قوله: ولا تعملوا في مال اليتيم؛ لأن النهي عن القرب فيه زيادة توقُّ وتحذير.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة، الآية: ١٢١]. وفي الآية بعدما ذكر الله إحسان المجاهدين في سبيله من المهاجرين والأنصار وأنه لا يضيع أجرهم بل هو مكتوب لهم يجازيهم به أفضل وأجمل وأجود ما كانوا يعملون وذلك بمضاعفة حسناتهم^(٢). أو بدخول الجنة. وقال تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود، الآية: ٧]، [الملك، الآية: ٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف، الآية: ٧]. والمعنى: يختبرهم الله ويمتحنهم وهو أعلم أيهم أتقن وأفضل عملاً. وذلك بطاعته والورع عن محارمه تعالى^(٣). وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف، الآية: ٣].

والتأويل: نحن نقص عليك يا محمد أفضل القصص وأجمله وهي قصة يوسف عليه السلام خاصة، وسماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا، من سير الملوك والممالك والعلماء ومكر النساء، والصبر على أذى الأعداء وحسن التجاوز عنهم بعد الالتقاء وغير ذلك من الفوائد^(٤).

وقال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل، الآية: ٩٦].

وتفسير الآية أن الله تعالى يجزي الصابرين على الوفاء في السراء والضراء أجراً أفضل من أجرهم وأجمل منه وذلك بمضاعفته أو بدخول

(١) معالم التنزيل (١١٧/٢).

(٢) المصدر نفسه (٢٨٥/٢).

(٣) المصدر نفسه (٣١٦/٢).

(٤) المصدر نفسه (٦٨/٣ - ٦٩).

الجنة^(١).

ومثلها قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل، الآية: ٩٧].
وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل، الآية: ١٢٥].
أي ناظرهم يامحمد أو من يصلح له الخطاب أتقن المناظرة وأفضلها وأجملها، وذلك بأن تعرض عن أذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء إلى الحق^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء، الآية: ٣٥]. والمعنى زنوا بالعدل فإن ذلك أفضل عاقبة وأجود وأجمل مآلاً لكم^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء، الآية: ٥٣].
وفي الآية أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا الخلَّة التي هي أفضل وأجمل حتى لا ينزغ الشيطان بينهم^(٤).
وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [النمل، الآية: ٧٣].
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِءْيَا﴾ [مريم، الآية: ٧٤].

وتأويل الآية: أن فقراء المؤمنين من أصحاب النبي ﷺ كان فيهم فاقة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثالة، وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون أفخر ثيابهم، ويقولون لهم أي الفريقين خير منزلاً ومسكناً وأجمل وأفضل مجلساً نحن أم أنتم فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِءْيَا﴾. أي أهلكنا من هم أفضل متاعاً وأجود أموالاً وأجمل لباساً وثياباً ومنظراً ونعمة منهم^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [الإنش، الآية: ١٢]. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُفْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون، الآيات: ١٢ - ١٤].

(١) انظر: معالم التنزيل (٦٨/٣ - ٦٩) (بتصرف).

(٢) المصدر نفسه (٧٤/٣).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٩٩/٣).

(٤) المصدر نفسه (١٧٣/٣) (بتصرف).

(٥) انظر: المصدر نفسه (٢٥٧/٣)، وفتح القدير (٤٧٧/٣).

ومعناه أن الله تعالى استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال أتقن وأجود الصانعين المصورين المقدرين سبحانه وتعالى^(١).

وقال تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ [المؤمنون، ٩٦].

ومثلها قوله تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت، الآية: ٣٤].

والمقصود ادفع بأفضل الخلال وأجمل الخصال أذى المشركين وهي الصبر والإعراض والصفح عن أذاهم والكف عن مقاتلتهم. غير أن هذه الآية منسوخة في حق الكافرين بعد نزول آية السيف محكمة في حق المؤمنين^(٢).

وقال تعالى: ﴿فِي ثُبُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ [النور، الآية: ٣٦ - ٣٨]. والمراد من الآية أن الله يجزيهم بأفضل وأجمل ما عملوا وذلك حسبما وعدهم تعالى من مضاعفة الحسنات، ثم يتفضل عليهم بما فوق ذلك من الجزاء الموعود^(٣).

وقال تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿٢٤﴾ [الفرقان، الآية: ٢٤].

والمعنى: أن أصحاب الجنة يومئذ أفصل منزلاً وأجمل قائلة من هؤلاء المشركين المتكبرين، والقائلة هي الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن هناك نوم^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ﴿٣٣﴾ [الفرقان، الآية: ٣٣]. أي أتقن بياناً وأجود تفصيلاً^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧﴾ [العنكبوت، الآية: ٧]. ومثلها قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف، الآية: ١٦].

أي نجزيهم بأجمل أعمالهم ونتقبل منهم أفضلها وأتقنها، والمراد: بأحسن هنا مجرد الوصف لا التفضيل لئلا يكون جزاؤهم بالحسن مسكوتاً

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/٢٦٧)، وفتح القدير (٣/٤٩٧).

(٢) انظر: معالم التنزيل (٣/٢٩٦)، وفتح القدير (٤/٣٤).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٣/٣١١)، وفتح القدير (٤/٧٠).

(٤) انظر: معالم التنزيل (٣/٣١٣) (بتصرف).

(٥) انظر: فتح القدير (٤/١٩٢)، (٥/١٨) (بتصرف).

عنه، وقيل اسم التفضيل على معناه والمراد به ما يثاب عليه العبد من الأعمال. وقيل يعطيهم أكثر مما عملوا وأجمل منه^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت، الآية: ٤٦]. ومعنى الآية: جادلوهم بالخصلة أو الخلّة التي هي أجمل وأجود الخلال والخصال، وذلك على سبيل الدعاء لهم إلى الله عز وجل، والتنبيه لهم على حججه وبراهينه رجاء اجابتهم إلى الإسلام، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة، إلا الذين ظلموا منهم بعدم اعطاء الجزية ونصب الحرب، فجادلوهم بالسيف^(٢).

وقال تعالى: ﴿أَنْذَعُونَ بَعْلًا وَّنَذْرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ [الصفات، الآية: ١٢٥] البعل هو الصنم الذي كانوا يعبدونه، وفي الآية استفهام استنكاري توبيخي والتقدير كيف تعبدون صنمًا عملتموه ربًا وتتركون عبادة أتقن وأجود وأفضل من يقال له خالق: الله ربكم ورب آبائكم الأولين. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مِثْقَالِي نَقْشِ عُرْمٍ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر، الآية: ٢٣].

وتأويل الآية: أن الله تعالى نزل أتقن الحديث وأجوده وأفضله، يشبه بعضه بعضًا في الجودة والإتقان والجمال، ويصدق بعضه بعضًا، ليس فيه تناقض ولا اختلاف^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر، الآية: ٣٣ - ٣٥].

والمراد من الآية: أن ثواب من أحسن عبادة ربه حتى كأنه يراه أن يجزيه الله تعالى أجر من أتقن عمله وأجوده ولا يجزيه بالمساوىء، وإضافة الأحسن إلى ما بعده ليست من إضافة المفضل إلى المفضل عليه، بل من إضافة الشيء إلى بعضه قصدًا إلى التوضيح من غير اعتبار تفضيل^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر، الآية: ٥٥].

والمعنى: التزموا طاعة الله تعالى واجتنبوا معصيته فإن في القرآن

(١) انظر: معالم التنزيل (٤٠٤/٣)، وفتح القدير (٢٠٥/٤).

(٢) انظر: معالم التنزيل (٣٥/٣)، وفتح القدير (٤٠٩/٤).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٦٦/٤) (بتصرف).

(٤) انظر: فتح القدير (٤٦٣/٤).

الكريم ذكر القبيح لتجنبه، وذكر الأدون لئلا يرغب فيه، وذكر الأتقن والأجود والأفضل لتأثيره، وقيل أتقن وأجود ما أنزل الله تعالى إليكم من أخبار الأمم الماضية^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت، الآية: ٣٣].

والتفسير: لا أحد أفضل قولاً وأجود ممن دعا إلى طاعة الله عز وجل، حالة كونه يعمل الصالحات ويقول إنني من المسلمين. وقد أضيفت هذه الصفة إلى ضمير الغائب كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر، الآية: ١٨].

والمعنى: الذين يستمعون القرآن الكريم، وغيره، فيتبعون الأتقن والأجود والأجمل وهو القرآن، أو يستمعون القرآن الكريم وأقوال الرسول ﷺ فيتبعون الأبعد عن الشبهة وهو المحكم فيعملون به ويتركون المتشابه، وإلا فالقرآن والسنة كلاهما حسن، والمحكم منهما أحسن وأفضل لهم^(٢). وقد أضيفت هذه الصفة إلى ضمير الغائبة كما في قوله تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف، الآية: ١٤٥].

والمقصود بأحسنها هنا هو أتقنها الأبعد عن المتشابه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «يحلون حلالها ويحرمون حرامها ويتدبرون أمثالها ويعملون بمحكمها، ويقفون عند متشابهها»^(٣).

والأمثلة من السنة على (أحسن) كثيرة، منها:

ماورد عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته بعد التشهد: «أحسن الكلام كلام الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ»^(٤).

٤ - حُسْن: وحسن الشيء جماله، والحسن الجمال، وضده القبح، وقد وردت لفظة (حُسْن) في القرآن الكريم في سبعة مواضع.

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَتَكُعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ [آل عمران، الآية: ١٤]. والمعنى أن الله تعالى عنده المرجع الحسن الجميل وهو الجنة، وذلك من إضافة الصفة إلى موصوفها^(٥).

وقال تعالى: ﴿فَعَالَنَّهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران، الآية: ١٤].

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/١٧٦)، ومعالم التنزيل (٤/٧٤) (بتصرف).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/١٥٩) (بتصرف شديد).

(٣) معالم التنزيل (٢/١٦٧).

(٤) سنن النسائي (٣/٥٨) (١٣١١)، وصحح الألباني إسناده في صحيح سنن النسائي

(١/٢٨٢) (١٢٤٣).

(٥) روح المعاني للألوسي (٣/١٠٠).

[١٤٨]. والمقصود ثواب الآخرة الجميل، وهو الجنة^(١).
 وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران، الآية: ١٩٥].
 أي: الثواب الجميل.
 وقال تعالى: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد، الآية: ٢٩].
 وقال تعالى: ﴿وَإِن لَّعِنْدَنَا لُزْلَفَى وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [ص، الآية: ٢٥].
 وقال تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص، الآية: ٤٩].
 وقال تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ [الأحزاب، الآية: ٥٢].
 وحسنهن: جمالهن.
 ومن السنة:

ما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لعن الله
 الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق
 الله تعالى، ما لي لا ألعن من لعن النبي ﷺ وهو في كتاب الله «وما آتاكم
 الرسول فخذوه»^(٢).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث طويل وهو يخاطب
 حفصة رضي الله عنهما قال: «يابنية لا يغرنك هذه التي أعجبها حُسْنُهَا حُبُّ
 رسول الله ﷺ إياها يريد عائشة [رضي الله عنها]»^(٣).

٥ - حَسَن: صفة مشبهة، بمعنى جميل مرغوب فيه.
 قال الله تعالى: ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران،
 الآية: ٣٧]. يعني مريم عليها السلام عندما قبلها ربها بقبول جميل طيب
 حيث سلك بها سبيل السعداء، وأنبتها نباتًا جميلًا طيبًا فسوى خلقها من غير
 زيادة ولا نقصان وكانت تنمو نمواً سريعاً^(٤).

وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ﴾ [البقرة، الآية:
 ٢٤٥]. والمقصود: من ينفق المال الحلال الطيب المرغوب فيه في طاعة الله
 عز وجل محتسباً ذلك طيبة به نفسه من غير منٍّ ولا أذى يضاعفه الله له
 أضعافاً كثيرة^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ

(١) روح المعاني (٨٦/٤).

(٢) صحيح البخاري (٢٢١٦/٥) (٥٥٨٧).

(٣) صحيح البخاري (١٦٨٨/٤) (٤٦٢٩).

(٤) انظر: معالم التنزيل (٢٢٨/١) (بتصرف).

(٥) انظر: معالم التنزيل (١٦٨/١) (بتصرف).

عَشَرَ نَاقِبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ [المائدة، الآية: ١٢].

والقرض الحسن هو الطيب الجميل المرغوب فيه، وذلك بإخراج الزكاة والنفقة على الأهل وغيرهما من أوجه البر^(١).

وقال تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ [الأنفال، الآية: ١٧].

والمعنى: لينعم الله تعالى على المؤمنين منه نعمة طيبة جميلة وعظيمة مرغوباً فيها وذلك إما بالنصر أو الغنيمة أو هما معاً^(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مَنَّاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ [هود، الآية: ٣].

أي: متاعاً طيباً جميلاً ترغبونه، وذلك بأن يعيشكم عيشاً في دعة وأمن وسعة^(٣).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَضَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ [هود، الآية: ٨٨].

والرزق الحسن: هو الطيب الجميل الذي ترغبه النفوس، وذلك بأن يكون كثيراً وحلالاً مع طيبه وجماله^(٤).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾ [النحل، الآية: ٦٧].

أي: الطيب الجميل المرغوب فيه وهو الحلال^(٥).
وقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ [النحل، الآية: ٧٥].

(١) انظر: معالم التنزيل (١٦/٢) (بتصرف).

(٢) انظر: معالم التنزيل (٢٠٠/٢) (بتصرف).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٣١٤/٢) (بتصرف).

(٤) انظر: معالم التنزيل (٣٣٥/٢) (بتصرف).

(٥) انظر: معالم التنزيل (٦٢/٣) (بتصرف).

هذا مثل المؤمن الذي أعطاه الله مالا طيبا جميلا فعمل فيه بطاعة الله وانفقه في رضاء الله سرا وجهرا فأثابه الله تعالى عليه الجنة^(١).

وقال تعالى: ﴿ قِيمًا لِّنُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ [الكهف، الآية: ٢].

وهو الطيب الجميل الذي يرغبه كل أحد وهو الجنة^(٢).

وقال تعالى: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَقَوْمِ الْمَ يَعِدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾ [طه، الآية: ٨٦].

الوعد الحسن: هو الطيب الصادق الذي ترغب فيه النفوس وهو إعطاؤهم التوراة^(٣). وقال ابن كثير: أي كل خير في الدنيا والآخرة وحسن العاقبة^(٤).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَتَلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [الحج، الآية: ٥٨].

الرزق الحسن هو الطيب الجميل الذي ترغبه النفوس الذي لا ينقطع أبداً وهو الجنة^(٥).

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَنَقِيهِ كَمَن مَّنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُخْضَرِينَ ﴾ [القصص، الآية: ٦١].

أي وعداً طيباً جميلاً مرغوباً فيه وهو الجنة^(٦).

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِن لَّوِ يَضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدَىٰ مَن يَشَاءُ فَلَا نَذِيبَ نَفْسِكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّا اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر، الآية: ٨].

والمراد من الآية: أفمن زُيِّنَ له سوء عمله حتى رأى الباطل القبيح حقاً جميلاً مرغوباً فيه كمن هداه الله فرأى الحق الجميل حقاً والباطل القبيح باطلاً والاستفهام هنا للاستنكار والتوبيخ والتهكم^(٧).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولَىٰ بِأَسْ شَدِيدٍ فَقُولُوا لَهُمْ أَوْ يَسْلَمُونَ فَإِن تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح، الآية: ١٦].

وقال تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَأَكْبَرُ كَرِيمٍ ﴾ [١١]

(١) انظر: معالم التنزيل (٦٤/٣) (بتصرف).

(٢) انظر: معالم التنزيل (١١٩/٣) (بتصرف).

(٣) انظر: معالم التنزيل (١٩١/٣) (بتصرف).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٥٩/٣).

(٥) انظر: معالم التنزيل (٣٤٨/٣) بتصرف.

(٦) انظر: معالم التنزيل (٣٨٨/٣).

(٧) انظر: معالم التنزيل (٤٨٨/٣).

[الحديد، الآية: ١١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد، الآية: ١٨].

وقال تعالى: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعَفْ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن، الآية: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَّجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل، الآية: ٢٠].

والمعنى من هذه الآيات واضح كما سبق.

٦ - حُسْنًا: أتى بالمصدر للمبالغة، أي أمرًا حسنًا يعني طيبًا جميلًا، أو حذف المضاف: أي ذا حُسْنٍ.

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في خمسة مواضع:

قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة، الآية: ٨٣].

أي قولاً حُسْنًا أو ذا حُسْنٍ. جميلاً أو ذا جمال، والمراد: قولوا لهم القول الطيب الجميل وجابوهم بأحسن ما يحبون^(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف، الآية: ٨٦].

أي فعلاً ذا حُسْنٍ على حذف المضاف أو على طريقة الوصف بالمصدر للمبالغة، أي فعلاً حُسْنًا جميلاً، والمراد بذلك الدعوة إلى الحق والرشاد إلى مافيه الفوز بالدرجات^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النمل، الآية: ١١].

المراد التوبة.

وقوال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت، الآية: ٨]. أي تعهدهما ومراعاة ما يصلح لهما في كل شيء^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْقَرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهَا حُسْنًا﴾ [الشورى، الآية: ٢٣].

أي نزد له في الحسنة وهي الطاعة حسناً وجمالاً بمضاعفتها والإثابة عليها.

٧ - استحسِن: تقول استحسِن فلان الشيء إذا عده حسناً.

عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: وُلِدَ لرجل منا غلام فسَمَّاهُ القاسم، فقالت الأنصار: لانكنيك أبا القاسم ولا ننعملك عينا، فأتى

(١) انظر: معالم التنزيل (١/٣٠٨، ٣٠٩).

(٢) انظر: معالم التنزيل (١٦/٣٤).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٢٠/١٣٨).

النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، وُلِدَ لي غلام، فسميته القاسم، فقالت الأنصار: لانكنيك أبا القاسم ولا ننعمك عينا، فقال النبي ﷺ: «أحسنت الأنصار، سموا باسمي ولا تكونوا بكنيتي، فإنما أنا القاسم»^(١).

أي أن الرسول ﷺ استحسّن فعل الأنصار وعده طيباً جميلاً.

٨ - الحُسْنَيْن: مثني الحُسْن، بمعنى الجمال.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة، الآية: ٥٢].

والحسنيان في الآية النصر والغنيمة أو الشهادة والمغفرة^(٢).

٩ - الحِسان: جمع الحَسَن والحَسَنَة.

قال الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرٌ حِسانٌ﴾ [الرحمن، الآية: ٧٠].

أي جميلات الخلق والخلق.

وقال تعالى: ﴿مُتَكِينٍ عَلَى رُقْرُقٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسانٍ﴾ [الرحمن، الآية: ٧٦].

[٧٦].

يعني جميلات في الجنة.

١٠ - الحَسَنَة: مؤنث الحَسَن، وقد وردت في القرآن الكريم بصيغة

الإفراد ثمان وعشرين مرة، وثلاث مرات بصيغة جمع المؤنث السالم، ولها ستة معان هي على النحو الآتي:

أولاً: بمعنى: النصر والغنيمة^(٣)، لما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ﴾ [آل عمران، الآية: ١٢٠]. وهذه ثمرة الإحسان المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥].

ثانياً: من معانيها: المطر والخصب^(٤)، وهي ثمرة من ثمرات إحسان الله على عباده وتفضله عليهم، وذلك ما أشار إليه عز وجل بقوله: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص، الآية: ٧٧].

ثالثاً: من معانيها: العافية^(٥)، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [الرعد، الآية: ٦]. وهذه كسابقتها من ثمار إحسان الله

(١) صحيح البخاري (١١٣٤/٣) (٢٩٤٧).

(٢) انظر: معالم التنزيل (٢٥٣/٢).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٢٥٣/٢).

(٤) التفسير الكبير (٢٦٧/٣).

(٥) معالم التنزيل (٥/٣).

تعالى على عباده برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم.

رابعاً: ومن معانيها: قول المعروف، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت، الآية: ٣٤]. وهذه ثمرة الإحسان بمعنى الفضل والعفو عن المسيء مع المقدرة على عقوبته ولو بمثل ما فعل، وهو الإحسان المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٤].

خامساً: ومن معانيها: فعل الخيرات، كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلٍهَا﴾ [الأنعام، الآية: ١٦٠]. وهذه ثمرة الإحسان إلى النفس بإعطائها ما وعد الله به المحسنين في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء، الآية: ٧]. وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [١٥] عَاذِينَ مَا أَرَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات، الآيتان: ١٥ - ١٦].

قال ابن عباس رضي الله عنه: كانوا محسنين في أعمالهم^(١).
سادساً: ومن معانيها: الجمال إذا كانت صفة لموصوف لأنها مؤنث: حَسَنٌ: تقول حَسَنَ الشيءَ يَحْسُنُ حُسْنًا: إذا صار حسنًا جميلًا. كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب، الآية: ٢١]. وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [المتحنة، الآية: ٤].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [المتحنة، الآية: ٦].
وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل، الآية: ١٢٥]. وفيه الإحسان إلى النفس باتباع ما هو جميل.
ومن هذا يتضح لنا الارتباط الكامل والعلاقة الجوهرية بين الإحسان بمعانيه كافة والحسنة في كل استعمالاتها في القرآن. فإذا كان الإحسان شجرة فالحسنة ثمرته، ولما كانت الشجرة طيبة كانت ثمرتها حلوة المذاق حسنة المنظر في الدنيا والآخرة^(٢).

١١ - الحُسْنَى: مؤنث الأَحْسَن: والحسنى: ضد الشَّوْأَى وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعًا ولها أربعة معانٍ وهي:
الأول: من معانيها: البالغة في الحُسْنِ الغاية: وهو الجمال والكمال، ومنها أسماء الله الحسنى، أي البالغة في الحسن وهو الجمال والكمال الغاية.

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٥/١٧).

(٢) معاني الحسنة مقتبسة من نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي (٢٥٩ - ٢٦٠).

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر، الآية: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف، الآية: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه، الآية: ٨].

وقال تعالى: ﴿أَيَّامًا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء، الآية: ١١٠]. وفيه الإحسان في عبادة الله تعالى باعتقاد كمال أسماء الله وجلالها وأنها بالغة في الحسن الغاية لا يشابهه فيها أحد وإن اشترك الخالق والمخلوق في بعض الأسماء فهو من باب القدر المشترك في التسمية لا المسمى قال الله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم، الآية: ٦٥].

الثاني: من معانيها: الطيبة المستحسنة، وقد وصف الله تعالى كلماته بالحسنى لما فيها من الوعد بما يحبون ويستحسنون^(١). وهو وعد الله بني إسرائيل النصر والظفر والتمكين في أرض فرعون.

قال الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الأعراف، الآية: ١٣٧]. وفيه إحسان الله إلى عباده المؤمنين.

الثالث: من معانيها: الفعلة الحسنة، أو الطريقة الخيرة: وهي التوسعة على أهل الضعف والعجز^(٢).

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة، الآية: ١٠٧] يعني المنافقين. وفي الآية أن ما كل مستحسن عقلاً وطبعاً بحسن مالم يوافق الشرع.

الرابع: من معانيها: الجنة، وهي عاقبة الحسنات. كما قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس، الآية: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل، الآية: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل، الآية: ٩].

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى﴾ [الرعد، الآية: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الكهف، الآية: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم، الآية: ٣١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ [الأنبياء، الآية: ١٠١].

(١) روح المعاني (٣٩/٩).

(٢) معالم التنزيل (٢٧٥/٢).

وقال تعالى: ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [النساء، الآية: ٩٥].
وقال تعالى: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ [النحل، الآية: ٦٢،
الحديد، الآية: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾
[فصلت، الآية: ٥٠].

وبالجنة فسرهُ النبي ﷺ كما في حديث صهيب رضي الله عنه، عن
النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال يقول الله تبارك وتعالى:
تريدون شيئاً أزيدُكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا
من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أُعْطُوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى
ربهم عِزَّ وجل». وبإسناد آخر وزاد: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ
وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس، الآية: ٢٦] ^(١).

(١) صحيح مسلم (١٦٣/١) (١٨١).

المطلب الثالث فيما يضاد الإحسان؛ وهو الإساءة

أولاً: التعريف.

أ - الإساءة لغة:

مصدر أَسَاءَ يُسِيئُ، مأخوذ من مادة (س و أ) وهي من باب القبح، تقول رجل أسوأ: أي قبيح، وأمرأة سَوَاءً: أي قبيحة ولذلك سميت السيئة سيئة، وسميت النار سُوءاً أي لقبح منظرها، والسُّوءُ: الفجور والمنكر، ورجل سَوَّءٌ: يعمل عمل سَوَّءٍ، وأساء الرجل إساءة: خلاف أحسن. وأساء إليه: نقيض أحسن إليه. والسيئة: الخطيئة. والسَّوَاءُ: العورة، والفاحشة^(١). وعلى هذا فالإساءة فعلُ السوء أو السيئة. أي القبيح، أو القبيحة.

ب - الإساءة اصطلاحاً:

فعل أمر قبيح يَغْمُ الإنسان في أمور الدارين من الأحوال النفسية والبدنية والخارجية^(٢).

ثانياً: أقسام السيئة، والإساءة.

أ - أقسام السيئة: قال الراغب رحمه الله: والحسنة والسيئة ضربان: أحدهما: بحسب اعتبار الشرع والفعل نحو المذكور في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام، الآية: ١٦٠].

والثاني: بحسب اعتبار الطبع وما يستخفه وما يستثقله نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَئِنَّا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف، الآية: ١٣١]^(٣).

ب - أقسام الإساءة:

وهي تنقسم إلى أقسام، ولكل قسم أنواع:

القسم الأول: الإساءة القاصرة، وهي أنواع:

منها: التعرض لأذية الله تعالى، والتهاون بالصلاة، وقتل الرجل نفسه والأكل في آنية الذهب والفضة، وتقليد الجاهل، والتصوير، وغيرها مما تعود الإساءة فيه على الفاعل نفسه دون غيره.

(١) معجم مقاييس اللغة (٤٩٦)، والصحاح (١١٢/٣)، وبصائر ذوي التمييز (٢٨٨/٣) ولسان العرب (٩٥/١) وما بعدها.

(٢) انظر: المفردات (٢٥٢).

(٣) انظر: المصدر نفسه (بتصرف يسير).

القسم الثاني: الإساءة المتعدية القولية والفعلية. وهي أنواع منها:
كذب الملوك، وزنا الشيوخ، وكبر الفقراء، وتكذيب الرسل عليهم
السلام وسوء الأدب معهم، وأذية الوالدين، وأذية المؤمنين، وقطيعة
الأرحام، وتبديل الوصايا، وإيثار الدنيا على الآخرة، وغيرها.

القسم الثالث: الإساءة الفعلية، وهي أنواع منها هجر المسلم،
والإشارة بالسلاح على المسلم، والاحتكار، والخيانة، والمطل مع اليسار،
والخلوة المحرمة، وأذية الدواب، وطرده الفقراء وغيرها.

القسم الرابع: الإساءة القولية، وهي أنواع منها: سب المسلم، وإفشاء
السِر، والطعن في الأنساب، والشفاعة فيما لا يجوز، والمجادلة عن
الخائن، والفتيا بغير علم، والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وتزكية
النفس، سب الدهر وغيرها^(١).

ثالثاً: معنى كلمة السوء، والسيئة، والسيئات في القرآن الكريم:

أ - معنى كلمة السوء:

وردت كلمة السوء في القرآن الكريم على أحد عشر وجهاً وهي
كالآتي:

الوجه الأول: بمعنى الشدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ سُوءَ
الْعَذَابِ﴾ [البقرة، الآية: ٤٩]. يعني شدة العذاب.

وفي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد، الآية: ١٨].

الوجه الثاني: بمعنى العقر، وذلك في قوله تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ
لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
[الأعراف، الآية: ٧٣]. يعني بعقر أي لا تعقروها والعقر هو القتل.

الوجه الثالث: بمعنى الزنا، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ
سُوءٍ﴾ [يوسف، الآية: ٥١]. أي من زنا، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا﴾
[مريم، الآية: ٢٨]. يعني ما كان زانياً.

الوجه الرابع: بمعنى البرص، وذلك في قوله تعالى لموسى عليه
السلام: ﴿وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [طه، الآية: ٢٢]. يعني
بيضاء من غير برص^(٢).

الوجه الخامس: بمعنى العذاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ
الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النحل، الآية: ٢٧]. يعني العذاب، وقوله

(١) انظر: شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال للعز بن عبد السلام (٢٩٧ - ٣٣٨).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢٨/١١).

تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءٌ أَفْلاَ مَرَدُّ لَهُ﴾ [الرعد، الآية: ١١]. يعني عذاباً.

الوجه السادس: بمعنى الشرك، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ [النحل، الآية: ٢٨]. يعني الشرك، وقوله تعالى ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ [النجم، الآية: ٣١]. يعني أشركوا.

الوجه السابع: بمعنى الشتم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ [المتحنة، الآية: ٢]. يعني الشتم، وقوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [النساء، الآية: ١٤٨]. يعني الشتم.

الوجه الثامن: بمعنى بئس، وذلك في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد، الآية: ٢٥]. يعني بئس الدار يريد منازلهم.

الوجه التاسع: بمعنى الذنب من المؤمن، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ [النساء، الآية: ١٧]. يعني الذنب، وكل ذنب من المؤمن فهو جهل منه.

الوجه العاشر: بمعنى الضر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف، الآية: ١٨٨]. يعني الضر وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُحِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل، الآية: ٦٢]. يعني الضر.

الوجه الحادي عشر: بمعنى القتل والهزيمة، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ [الأحزاب، الآية: ١٧]. يعني القتل والهزيمة^(١).

ب - كلمة السيئة:

وردت السيئة في القرآن الكريم على أوجه متعددة:

الوجه الأول: بمعنى القتل والهزيمة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران، الآية: ١٢٠]. يعني القتل والهزيمة يوم أحد.

الوجه الثاني: بمعنى الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ [النمل، الآية: ٩٠]. يعني الشرك.

الوجه الثالث: بمعنى قحط المطر، والجذب، وقلة النبات، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيِّرُوا يَمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف، الآية: ١٣١]. يعني قحط المطر وقلة الخير والنبات.

الوجه الرابع: بمعنى العذاب في الدنيا، وذلك في قوله تعالى:

(١) انظر: التصاريف وتفسير القرآن ممّا اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه ليحيى بن سلام (١٢١ - ١٢٤) وكشف السرائر في الوجوه والأشباه والنظائر لابن العماد (٥٨ - ٦١) (بتصرف).

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ [الرعد، الآية: ٦]. يعني بالعذاب في الدنيا، وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ [النمل، الآية: ٤٦]. يعني بالعذاب في الدنيا. الوجه الخامس: بمعنى الأذى وقول الفحش، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت، الآية: ٣٤]. يعني الشر من القول والأذى^(١).

ج - كلمة السيئات:

وردت لفظة السيئات في القرآن الكريم على خمسة أوجه وهي:

الوجه الأول: بمعنى الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [يونس، الآية: ٢٧]. يعني عملوا الشرك. وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النساء، الآية: ١٨]. يعني الشرك.

الوجه الثاني: بمعنى العذاب، كما قال تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الزمر، الآية: ٥١]. يعني عذابًا بما عملوا من الشرك، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الزمر، الآية: ٥١]. يعني العذاب بما عملوا من الشرك.

الوجه الثالث: بمعنى الضرر، قال تعالى: ﴿وَيَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ [الأعراف، الآية: ١٦٨]. يعني الضرر.

الوجه الرابع: بمعنى الشر، قال تعالى: ﴿فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكْرُوهًا﴾ [غافر، الآية: ٤٥]. يعني الشر الذي أرادوا بمؤمن آل فرعون.

الوجه الخامس: بمعنى الفاحشة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود، الآية: ٧٨]. يعني الفاحشة فيأتون الرجال دون النساء^(٢).

(١) انظر: التصاريف (١٢٥-١٢٧)، وكشف السراء (٢٨٠).

(٢) انظر: كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر (٢٨٠)، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (٣٦٢).

المبحث الثالث

في الألفاظ ذات الصلة بالإحسان، ودلالاتها

وفيه اثنا عشر مطلبًا.

- المطلب الأول: في لفظة «فضل» وما يتصرف منها
- المطلب الثاني: في لفظة «نعم» وما يتصرف منها
- المطلب الثالث: في لفظة «خير» وما يتصرف منها
- المطلب الرابع: في لفظة «جمل» وما يتصرف منها
- المطلب الخامس: في لفظة «تقنى» وما يتصرف منها
- المطلب السادس: في لفظة «صلح» وما يتصرف منها
- المطلب السابع: في لفظة «المعروف» وما يتصرف منها
- المطلب الثامن: في لفظة «كمل» وما يتصرف منها
- المطلب التاسع: في لفظة «طاب» وما يتصرف منها
- المطلب العاشر: في لفظة «البر» وما يتصرف منها
- المطلب الحادي عشر: في لفظة «زين» وما يتصرف منها
- المطلب الثاني عشر: في لفظة «التحبير» وما يتصرف منها

المطلب الأول في لفظة «فضل» وما يتصرف منها

أ - ما ورد منها في القرآن الكريم:
وردت هذه اللفظة وما يتصرف منها في القرآن الكريم في مائة وأربعة مواضع ولها معنيان:

المعنى الأول: الإحسان، وهو ثلاثة أنواع.
النوع الأول: إحسان الله تعالى إلى الإنسان بالنعم. وهذا النوع ورد فيه سبع وتسعون آية من كتاب الله تعالى. سواء أكان بالفضل أو التفضل أم التفضيل، فإن فيها معنى الإحسان. من ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء، الآية: ٢١].

النوع الثاني: إحسان الإنسان في عبادة الله تعالى. وهذا النوع ورد في آية واحدة في سورة [هود، الآية: ٣] قال الله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾.

قال البغوي رحمه الله: (يؤت كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة)^(١).

النوع الثالث: إحسان الإنسان إلى غيره. وورد هذا النوع في آيتين.
الأولى قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصَفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة، الآية: ٢٣٧].

قال البغوي رحمه الله: (حتمها جميعاً على الإحسان)^(٢).
والثانية قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور، الآية: ٢٢].

وأولوا الفضل: هم أهل الزيادة في الإحسان، وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما قطع النفقة عن مسطح رضي الله عنه، بعد حادثة الإفك، فلما أنزلت الآية أعادها أبو بكر رضي الله عنه كما كانت. والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وإن كان يندرج فيه اندراجاً

(١) معالم التنزيل (٢/٣١٤).

(٢) المصدر نفسه (١/١٦٣).

أولياً^(١).

المعنى الثاني: المزية وادعاء الفضل: أي الزيادة. وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في ثلاث آيات منها:
قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِنَّ لِأَخْرَجَهُنَّ مِمَّا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف، الآية: ٣٩]. قال مجاهد رحمه الله: أي (تخفيف من العذاب)^(٢).

وسوف يأتي مزيد إيضاح وشرح مفصل للمعنى الأول بأنواعه الثلاثة كل في موطنه المناسب إن شاء الله.

ب - ماورد في السنة النبوية عن لفظة (فَضْل) وما يتصرف منها:
أولاً: ماورد عن صيغة أفضل: أفعّل التفضيل من الحُسْنِ بمعنى الجمال.

١ - أفضل الناس:

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حدثه قال: قيل يارسول الله: أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، قالوا: ثم من؟ قال: مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره^(٣).

٢ - أفضل الإسلام:

- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قالوا: يارسول الله أي الإسلام أفضل قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٤).

٣ - أفضل الأعمال:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»^(٥).

٤ - أفضل الأماكن للصلوات:

عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ اتخذ حجرة قال: حسبت أنه قال: من حصر في رمضان فصلّى فيها ليالي فصلّى بصلاته ناس من أصحابه فلما علم بهم جعل يقعد فخرج إليهم فقال: قد عرفت الذي رأيت من صنعكم

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣٨/١٢).

(٢) فتح القدير (٢٠٤/٢).

(٣) صحيح البخاري (١٠٢٦/٣) (٢٦٣٤).

(٤) صحيح البخاري (١٣/١) (١١).

(٥) صحيح البخاري (١٨/١) (٢٦).

فصلوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة قال عفان: حدثنا وهيب حدثنا موسى سمعت أبا النضر عن بسر عن زيد عن النبي ﷺ^(١).

٥ - أفضل أوقات الذكر:

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «ما العمل في أيام أفضل منها في هذه قالوا: ولا الجهاد قال: ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء»^(٢). يعني عشر ذي الحجة، وبوب عليه البخاري بقوله: (فضل العمل في أيام التشريق).

٦ - أفضل أحوال المصلي:

- عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن صلاة الرجل قاعدًا فقال: «إن صلى قائمًا فهو أفضل ومن صلى قاعدًا فله نصف أجر القائم ومن صلى نائمًا فله نصف أجر القاعد»^(٣).

٧ - أفضل الصيام في النافلة:

- عن عبدالله بن عمرو قال: أخبر رسول الله ﷺ أنني أقول: والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ماعشت فقلت له: قد قلته بأبي أنت وأمي قال: فإنك لا تستطيع ذلك فصم، وأفطر، وقم، ونم، وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر قلت: إني أطيق أفضل من ذلك قال: فصم يومًا وأفطر يومين قلت: إني أطيق أفضل من ذلك قال: فصم يومًا وأفطر يومًا فذلك صيام داود عليه السلام وهو أفضل الصيام فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك فقال: النبي ﷺ: لا أفضل من ذلك^(٤).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه قال: سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ وأي الصيام أفضل بعد شهر رمضان؟ فقال: أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم^(٥).

ثانيًا: أفضل: بمعنى الزيادة والإحسان إلى الغير:

وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: إحسان الله تعالى إلى الناس:

- (١) صحيح البخاري (٢٥٦/١) (٦٩٨).
- (٢) صحيح البخاري (٣٢٩/١) (٩٢٦).
- (٣) صحيح البخاري (٣٧٥/١) (١٠٦٤).
- (٤) صحيح البخاري (٦٩٧/٣) (١٨٧٥).
- (٥) صحيح مسلم (٨٢١/١) (١١٦٣).

- الإحسان إلى المسلمين خاصة . ومنها :

١ - عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :
إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب
الشمس أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا
فأعطوا قيراطًا قيراطًا ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر
ثم عجزوا فأعطوا قيراطًا قيراطًا ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس
فأعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتابين : أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين
قيراطين وأعطينا قيراطًا قيراطًا ونحن كنا أكثر عملاً قال : قال الله عز وجل
هل ظلمتكم من أجركم من شيء قالوا : لا ، قال : فهو فضلي أوتيته من
أشياء^(١) .

٢ - أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «مامن عبد
يموت، له عند الله خير، يسره أن يرجع إلى الدنيا، وأن له الدنيا وما فيها،
إلا الشهيد، لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل
مرة أخرى»^(٢) .

النوع الثاني : إحسان الإنسان إلى الإنسان والأحاديث كثيرة منها :

١ - عن أنس رضي الله عنه يقول أتانا رسول الله ﷺ في دارنا هذه
فاستسقى فحلبنا له شاة لنا ثم شبته من ماء بئرنا هذه فأعطيته وأبو بكر عن
يساره وعمر تجاهه وأعرابي عن يمينه فلما فرغ قال عمر هذا أبو بكر فأعطى
الأعرابي فضله ثم قال الأيمنون الأيمنون ألا فيمنوا قال أنس فهي سنة فهي
سنة ثلاث مرات^(٣) .

٢ - عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «ما من مسلم يتوفي له
ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»^(٤) .

النوع الثالث : الإحسان إلى النفس : وفيه أحاديث منها :

- سئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن كسب الحجامة فقال : احتجم
رسول الله ﷺ حجمة أبو طيبة فأمر له بصاعين من طعام وكلم أهله فوضعوا
عنه من خراجه وقال إن أفضل ما تداويتم به الحجامة أو هو من أمثل دوائكم
حدثنا ابن أبي عمر حدثنا مروان يعني الفزاري عن حميد قال سئل أنس عن
كسب الحجامة فذكر بمثله غير أنه قال : «إن أفضل ما تداويتم به الحجامة

(١) صحيح البخاري (٢٠٤/١) (٥٣٢) .

(٢) صحيح البخاري (١٠٢٩/٣) (٢٦٤٢) .

(٣) صحيح البخاري (٩٠٩/٢) (٢٤٣٢) .

(٤) صحيح البخاري (٤٢١/١) (١١٩١) .

والقُسْطُ البحري^(١) ولا تعذبوا صبيانكم بالغَمَزِ^(٢)»^(٣).

-
- (١) القُسْطُ البحري: العود. «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٦٠/٤).
(٢) الغَمَزُ: هو الكبس «النهاية» (٣٨٥/٣).
(٣) صحيح مسلم (١٢٠٤/٢) (١٥٧٧).

المطلب الثاني في لفظة «نعم» وما يتصرف منها

أ - في القرآن الكريم:

قال ابن فارس رحمه الله: (النون والعين والميم فروع كثيرة) وعندنا أنها على كثرتها راجعة إلى أصل واحد يدل على ترفُّهٍ وطيب عيش وصلاح). ومنها النِّعْمَةُ: وهي الحالة الحسنة^(١).

وقد وردت هذه اللفظة وما يتصرف منها في القرآن الكريم في مائة وأربعة وأربعين موضعًا، وهي على النحو الآتي:

١ - (نِعَمَ): فِعْلٌ يفيد المدح بإزاء بئس في الذَّم^(٢). وقد وردت ست عشرة مرة. منها قال الله تعالى: ﴿وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٦].

٢ - نِعَمًا: أصلها نعم ما: أي نِعِمَّتِ الخَصْلَةُ هي^(٣). وورد في موضعين قال الله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة، الآية: ٢٧١]، واللفظ في سورة النساء/ ٥٨.

٣ - نَعْمَةً: يَسَّرُ له العيش في رفاهية. ووردت في موضع واحد في سورة الفجر/ ١٥ قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْلَغَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [١٥].

٤ - أَنْعَمَ: الإِنْعَامُ: إيصال الإحسان إلى الغير، ولا يقال إلا إذا كان الموصل إليه من جنس الناطقين فإنه لا يقال أنعم على فرسه. والنَّعْمَةُ: الحالة الحسنة وهي للجنس تقال للقليل والكثير^(٤).

وكل إنعام في القرآن فالمراد به: إحسان الله تعالى إلى الناس. وقد وردت أربعًا وثمانين مرة من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء، الآية: ٨٣].

وجاء: (أَنْعَمَ، أَنْعَمْتُ، أَنْعَمْنَا، أَنْعَمَهَا: أي منحها، أَنْعُمَ: جمع نعمة: وهي كل خير ديني أو دنيوي كالإيمان والمال والجاه وغيرها، أَنْعُمَهُ، نَاعِمَةً: مُشْرِقةً، نَعْمَاء: نعمة أي خير، نَعْمَةً: رفاهية وطيب عيش، النعيم:

(١) مقاييس اللغة (١٠٣٥)، المفردات (٥٢١).

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم (٢/ ١١١٠)، المفردات (٢١).

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم (٢/ ١١١٠)، المفردات (٥٢١).

(٤) المفردات (٥٢٠).

كل ما يستطاب ويستمتع به^(١).

وورد بمعنى إحسان الإنسان إلى الإنسان في آيتين: الأولى: في سورة الأحزاب / ٣٧. في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾. والمنعم هنا هو النبي ﷺ والمنعم عليه هو زيد بن حارثة رضي الله عنه. أنعم عليه بالتربية والإعتاق^(٢).

والثانية: في سورة الشعراء / ٢٢. في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَى أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

يقول موسى عليه السلام لفرعون: كيف تمنُّ عليَّ بالتربية وقد استعبدت قومي، ومن أُمِّين قومه ذُلًّا، فتعييدك بني إسرائيل قد أحبط إحسانك إليَّ^(٣).

٥ - الأَنْعَامُ: جمع نَعَم، والنَّعَم: الإبل سميت بذلك لكون الإبل عند العرب أعظم نعمة، لكن الأنعام تقال: للإبل والبقر والغنم ولا يقال أنعام حتى يكون في جملتها الإبل^(٤). وقد وردت هذه اللفظة وما في معناها في ست وثلاثين موضعاً ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ﴾ [الأنعام، الآية: ١٤٢]

٦ - نَعَم: حرف جواب لإثبات ما قبله^(٥). من لفظ النعمة تقول: نَعَم ونُعمَةٌ عين^(٦).

ووردت في أربعة مواضع منها قوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف، الآية: ٤٤].

ب - من السنة النبوية:

أولاً: إنعام الله تعالى على الناس:

أ - في الدنيا:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثاً غير تمام» ف قيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام، فقال: اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ماسأل، فإذا قال العبد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله تعالى حمدني عبدي وإذا

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم (١١١٠ - ١١١٣).

(٢) انظر: معالم التنزيل (٤٥٩/٣).

(٣) المصدر نفسه (٣٢٧/٣).

(٤) المفردات (٥٢٠)، معجم ألفاظ القرآن الكريم (١١١٠/٢).

(٥) المفردات (٥٢١)، معجم ألفاظ القرآن الكريم (١١١٢/٢).

(٦) المفردات (٥٢١)، معجم ألفاظ القرآن الكريم (١١١٢/٢).

قال ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال الله تعالى أثنى علي عبدي وإذا قال ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ قال مجدني عبدي وقال مرة فوض إلي عبدي فإذا قال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال هذا بيني وبين عبدي ولعبي ماسأل فإذا قال ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قال هذا لعبدي ولعبي ماسأل»^(١).

ب - إنعام الله على المسلمين في الآخرة:

- عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا فذلك قوله عز وجل ﴿وَتُؤَدُّوْنَ أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

ثانيًا: إحسان الإنسان إلى غيره:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثُمَامَةُ بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي ﷺ فقال: ما عندك يا ثُمَامَةُ؟ فقال عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم وإن تُنْعِمَ تُنْعِمَ علي شاكراً، وإن كنت تريد المال، فسَل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد، ثم قال له: ما عندك يا ثُمَامَةُ؟ قال: ما قلت لك إن تنعم تنعم علي شاكراً، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: ما عندك يا ثُمَامَةُ؟ فقال: عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثُمَامَةَ فانطلق إلى نجل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان علي الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة، قال له قائل: صبوت قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ ولا والله لا يأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ^(٣).

(١) صحيح البخاري (٨٣٤/٢) (٢٢٤٠).

(٢) صحيح مسلم (٢١٨٢/٣) (٢٨٣٧).

(٣) صحيح البخاري (١٥٨٩/٤) (٤١١٤).

المطلب الثالث في لفظة «خير» وما يتصرف منها^(١)

- أ - في القرآن الكريم:
- وردت هذه اللفظة وما يتصرف منها في القرآن الكريم في مائة وستة وتسعين موضعاً. وهي ودلالاتها على النحو الآتي:
- ١ - اخْتَارَ: انتقى وأخذ خير الشيء، والخير ما يرغب فيه الكل ومنه قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف، الآية: ١٥٥].
- ٢ - وَاخْتَرْتُكَ: انتقيتك واصطفيتك. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ [طه، الآية: ١٣].
- ٣ - واخترناهم على العالمين: فضلناهم. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان، الآية: ٣٢].
- وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص، الآية: ٦٨].
- ٤ - تَخَيَّرُونَ: تتخيرون: تختارون خير الشيء وتنتقونه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ [القلم، الآية: ٣٨].
- ٥ - الأخيار: مفردة الخير المخففة من الخير: صفة مشبهة، أو الخير الذي هو أفعال تفضيل، وجمع على أفعال للزوم تخفيفه بحذف الهمزة. قال الله تعالى: ﴿وَأَيْنَهُمْ عِنْدَنَا لِمَنِ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص، الآية: ٤٧، ٤٨].
- ٦ - واستعملت خير، والمصدر منها، وما دخلت عليه أل التعريف ولها ثلاثة معان:
- أ - بمعنى مافيه نفع وصلاح:
- وذلك في ستة وثلاثين موضعاً.
- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة، الآية: ١٥٨].
- ب - بمعنى: ماهو أداة للنفع والصلاح كالمال والخيول. وورد ذلك في عشرة مواضع.
- منها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة، الآية: ٢١٥].
- ج - وجاء اسم تفضيل، وأصله أخير، حذفت همزته على خلاف القياس لكثرة الاستعمال. وذلك في مائة وعشرين موضعاً دون أن تدخل أل

(١) انظره في: معجم ألفاظ القرآن الكريم (٣٨٧ - ٣٨٩) (بتصرف واختصار).

التعريف عليه مثل .

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [آل عمران، الآية:

[١١٠].

٧ - خَيْرَات: مفردة خَيْرَة وهي الصالحة الفاضلة من النساء والأُمُور، وقد تكون مخففة من خَيْرَة، صفة مشبهة، وبهما قرىء قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾ [الرحمن، الآية: ٧٠].

٨ - الخَيْرَات: مفردة الخيرة: الفاضلة من النساء والأُمُور. ووردت في تسعة مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيًا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة، الآية: ١٤٨].

٩ - الخَيْرَة: ما كان لهم الخيرة: أي ما كان لهم أن يختاروا. ووردت في موضعين أحدهما قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصاص، الآية: ٦٨]، والآخر في الأحزاب / ٣٦.

ب - من السنة النبوية:

وردت لفظة (خير) في السنة النبوية في أحاديث كثيرة وهي على ضرب:

الضرب الأول: ما جاء منها اسم تفضيل وأصله أخير بمعنى أنفع وأصلح، حذفت همزته على خلاف القياس لكثرة الاستعمال. وفيه الإحسان إلى النفس بفعل ما هو أنفع وأصلح من غيره. والأحاديث الواردة في هذه اللفظة كثيرة منها:

١ - أفضل الإسلام:

- عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»^(١).

٢ - ركعتا الفجر أفضل من الدنيا وما فيها:

- عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»^(٢).

٣ - السجدة الواحدة أفضل من الدنيا وما فيها:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد، حتى تكون

(١) صحيح البخاري (١٣/١) (١٢).

(٢) صحيح مسلم (٥٥١/١) (٧٢٥).

السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريرة: واقراءوا إن شئتم ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ (١).

٤ - أفضل الصفوف:

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها» (٢).

٥ - من ذكر الله في ملا ذكره في ملا أفضل منه:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر، تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً، تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي، أتيته هرولة» (٣).

٦ - ذكر الله عند اتخاذ المضجع خير من الخادم:

- عن علي رضي الله عنه أن فاطمة عليها السلام اشتكت ماتلقى من الرحي مما تطحن فبلغها أن رسول الله ﷺ أتى بسبي فأتته تسأله خادماً فلم توافقه فذكرت لعائشة فجاء النبي ﷺ فذكرت ذلك عائشة له فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا فذهبنا لنقوم فقال علي مكانكما حتى وجدت برد قدميه على صدري فقال ألا أدلكما على خير مما سألتماه إذا أخذتما مضاجعكما فكبرا الله أربعاً وثلاثين واحمداً ثلاثاً وثلاثين وسبحاً ثلاثاً وثلاثين فإن ذلك خير لكما مما سألتماه (٤).

٧ - تعلم آية من القرآن أحسن من ناقة عظيمة:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان، قلنا: نعم، قال: فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات» (٥) عظام سمان (٦).

- عن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ

(١) صحيح البخاري (١٢٧٢/٣) (٣٢٦٤).

(٢) صحيح مسلم (٣٢٦/١) (٤٤٠).

(٣) صحيح البخاري (٢٦٩٤/٦) (٦٩٧٠).

(٤) صحيح البخاري (١١٣٣/٣) (٢٩٤٥).

(٥) خَلْفَاتٌ: واحده خَلْفَةٌ: بفتح الخاء وكسر اللام: الحامل من النوق. «انظر: النهاية (٦٨/٢)».

(٦) صحيح مسلم (٥٥٢/١) (٨٠٢).

يقول تفتح اليمن فيأتي قوم ييسون^(١) فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وتفتح الشام فيأتي قوم ييسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وتفتح العراق فيأتي قوم ييسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون^(٢).

٨ - أقل مافي الجنة أفضل من الدنيا بكاملها:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد يعني سوطه خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً ولنضيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها^(٣).

الضرب الثاني: بمعنى مافيه نفع وصلاح:

ومن ذلك:

أ - إحسان الله إلى أهل المصائب بالنفع والصلاح:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يصب منه»^(٤).

٢ - وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له^(٥).

ب - إحسان الإنسان إلى غيره:

من ذلك:

- عن أنس قال أولم النبي ﷺ بزيب فأوسع المسلمين خيراً فخرج كما يصنع إذا تزوج فأتى حجر أمهات المؤمنين يدعو ويدعون له ثم انصرف فرأى رجلين فرجع لا أدري أخبرته أو أخبر بخروجهما^(٦).

الضرب الثالث: بمعنى ما هو أداة للنفع والصلاح:

ومن ذلك:

أ - الإحسان إلى النفس:

(١) ييسون: بفتح أوله وضم الموحدة وبكسرهما: معناه يسوقون دوابهم. فتح الباري ٩٢/٤.

(٢) صحيح البخاري (٦٦٣/٢) (١٧٧٦).

(٣) صحيح البخاري (١٠٢٦/٣) (٢٦٤٣).

(٤) صحيح البخاري (٢١٣٨/٥) (٥٣٢١).

(٥) صحيح مسلم (٢٢٩٥/٣) (٢٩٩٩).

(٦) المصدر نفسه (١٩٧٩/٥) (٤٨٥٩).

عن جرير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من يحرم الرفق يحرم الخير»^(١).

ب - الإحسان إلى الغير:

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا: أعملت من الخير شيئاً، قال: لا، قالوا: تذكر، قال: كنت أداين الناس فأمر فتياي أن يُنْظَرُوا المعسر ويتجاوزوا عن الموسر قال: قال الله عز وجل: تجاوزوا عنه^(٢).

وسأتي باقي الأحاديث مما يندرج تحت الضربين الأخيرين في مواطنها من البحث إن شاء الله.

(١) صحيح مسلم (١١٩٤/٢) (١٥٦٠).

المطلب الرابع في لفظة «جَمَلٌ» وما يتصرف منها

جَمُلٌ بمعنى حَسُنَ والجميل: الحسن الطيب. وأَجْمَلُ: أفعل تفضيل من الجمال.

والجمال: البهاء والحُسْن.

وهو نوعان: أحدهما: جمال الخَلْقَة وهو ما يكون من الصفات الظاهرة وهذا أمر يدركه البصر ويلقيه إلى القلب متلائماً، فتتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك ولا نسبته لأحد من البشر.

والثاني: جمال الخُلُق وهو ما يكون من الصفات الباطنة المحمودة وهذا أمر تدركه البصيرة المتأهلة بالشرع.

وهي نوعان: أحدها: ما تكون مصلحته عائدة للإنسان ذاته مثل: الإخلاص في العبادة، والصبر على أقدار الله المؤلمة.

والثاني: ما تكون مصلحته عائدة للإنسان وغيره. مثل: الحلم، والعدل، والعفو^(١).

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن والسنة ولا يخرج المراد بها عن واحد مما سبق:

أ - القرآن الكريم:

جاءت هذه اللفظة وما يتصرف منها في ثمانية مواطن:

١ - قال الله تعالى بعد أن ذكر الأنعام: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حَيْثُ تَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل، الآية: ٦] أي بهاءً وحسن^(٢).

٢، ٣ - وقال تعالى حكاية لقول يعقوب عليه السلام مع بنيهِ: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ [يوسف، الآية: ١٨].

أي صبراً حسناً طيباً لا تبرم معه ولا شكوى^(٣).

٤ - وقال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾ [الأحزاب، الآية: ٢٨].

٥ - وقال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِئَتُهُنَّ وَسَرَاحُهُنَّ جَمِيلاً﴾ [٤٩].

(١) انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم - معجم اللغة العربية بمصر - (١/٢٤١، ٢٤٢، والجامع لأحكام القرآن (١٠/٤٩، ٥٠) (بتصرف).

(٢) انظر: فتح القدير (٣/١٤٨).

(٣) انظر: المصدر نفسه (٣/١١).

[الأحزاب، الآية: ٤٩].

أي: طلاقاً مصحوباً بإحسان وهو الذي لا ضرر فيه^(١) كما قال تعالى:
﴿فَامْسَاكُكُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُكُمْ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٩].

وقال تعالى: ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق، الآية: ٢].

٦ - وقال تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج، الآية: ٥] أي صبراً
حسناً طيباً لا تبرم معه ولا جزع فيه ولا شكوى^(٢).

٧ - وقال تعالى: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل، الآية: ١٠] أي
هجرًا حسناً طيباً لا أذى معه^(٣).

٨ - وقال تعالى: ﴿فَأَصْفَحْ أَلصَّفْحَ الْجَمِيلِ﴾ [الحجر، الآية: ٨٥] أي
الحسن الطيب الذي لا عتب فيه^(٤).^(٥)
ب - من السنة النبوية:

أولاً - ما جاء على صيغة أفعال التفضيل:

- أفضل الجهاد للنساء الحج المبرور:

- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، ألا
نغزو ونجاهد معكم، فقال: لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج حج مبرور
فقالت عائشة فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ^(٦).

ثانياً: أجمل الشيء بمعنى أتقنه وأحسنه وصنع به الجميل:

١ - إتقان الأنبياء عليهم السلام وإحسانهم في الدعوة إلى الله تعالى:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إِنَّ مَثْلِي وَمَثَلُ
الأنبياء من قبلي، كمثّل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من
زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه
اللينة؟ قال: فأنا اللينة، وأنا خاتم النبيين^(٧).

٢ - إحسان الصحابة رضي الله عنهم وصنعهم الجميل بالرسول ﷺ،
واستحسان بعض الصحابة للنبيذ:

- عن بكر بن عبد الله المزني قال: كنت جالساً مع ابن عباس عند
الكعبة فأتاه أعرابي فقال مالي أرى بني عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم

(١) انظر: فتح القدير (٣/٢٩١).

(٢) انظر: المصدر نفسه (٣/٢٨٩).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٣٠/١٨١) (بتصرف شديد).

(٤) انظر: فتح القدير (٣/١٤١).

(٥) انظر فيما سبق: معجم ألفاظ القرآن الكريم (١/٢٤١، ٢٤٢).

(٦) صحيح البخاري (٢/٦٥٨) (١٧٦٢).

(٧) المصدر نفسه (٣/١٣٠٠) (٣٣٤٢).

تسقون النبيذ؟ أمن حاجة بكم أم من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل قدم النبي ﷺ على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى فأتيناه بإناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة وقال: أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغيير ما أمر به رسول الله ﷺ^(١).

ثالثاً: الجميل: بمعنى الحسن:

١ - الله تعالى موصوف بالجمال:

- عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطرُ الحق وَغَمْطُ الناس^{(٢)(٣)}.

٢ - مشروعية تغيير الأسماء القبيحة إلى الجميلة الحسنة:

- عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «غير اسم عاصية وقال أنت جميلة»^(٤).

٥ - إحسان الله تعالى على أهل الجنة بزيادة الحسن والجمال:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً»^(٥).

(١) صحيح مسلم (٩٥٣/١) (١٣١٦).

(٢) بطرُ الحق: أن لا يراه حقاً، اللسان (٦٩/٤) وغَمْطُ الناس احتقارهم والازدراء بهم وما أشبه ذلك. (اللسان: ٣٦٤/٧).

(٣) المصدر نفسه (٩٣/١) (٩١).

(٤) المصدر نفسه (١٦٨٦/٢) (٢١٣٩).

(٥) صحيح مسلم (٢١٧٨/٣) (٢٨٣٣).

المطلب الخامس في لفظة «تَقَنَّ» وما يتصرف منها

ولا يوجد في القرآن الكريم إلا آية واحدة فيها لفظ (أتقن) وهي قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل، الآية: ٨٨].

وأتقن الشيء: أحسنه وجوده وجمله وأحكمه.

قال القرطبي رحمه الله: (أي أحكمه، والإتقان الإحكام)^(١).

وقال قتادة رحمه الله: (معناه: أحسن كل شيء)^(٢).

وأما من السنة النبوية فلم أقف على حديث يحتج به فيه لفظة (تقن) أو ما يتصرف منها. والله أعلم.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٦١).

(٢) المصدر السابق (١٣/١٦١).

المطلب السادس في لفظة «صَلَحَ» وما يتصرف منها

- الصلاح: ضد الفساد، وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [محمد، الآية: ٢]، وقوبل في القرآن تارة بالفساد كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف، الآية: ٥٦]، وتارة بالسيئة كقوله تعالى: ﴿خَاطَبُوا عَمَلًا صَلَاحًا وَعَاخِرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة، الآية: ١٠٢].

- وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحًا كقوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف، الآية: ١٥]، وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده. كقوله تعالى: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [الأحزاب، الآية: ٧١]. وتارة يكون بالحكم له بالصلاح كقوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد، الآية: ٢].

- والصلح: يختص بإزالة النِّفَار بين الناس. يقال منه اصطَلَحُوا، وتصلَحُوا، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات، الآية: ٩] (١).

وقد وردت هذه اللفظة وما يتصرف منها في الكتاب والسنة في مواطن عدة:

أ - في الكتاب:

وردت في مائة وثمانين موطنًا:

ومنها ما يأتي:

١ - بمعنى حَسُنَ وما يتصرف منها: قال تعالى: ﴿جَنَّتْ عَدْنٍ يَلْخُطُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ﴾ [الرعد، الآية: ٢٣].

أي حَسُنَ عَمَلُهُ وخلقُهُ. وحسن الشيء يحسن حسنًا: صار حسنًا جميلًا، والحُسْن: الجمال.

- وَأَصْلَحَ أي أَحْسَنَ: وأحسن الفعل إذا أتقنه وجوده وجمله: في قوله تعالى: ﴿فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ [المائدة، الآية: ٣٩]. أي أحسن إيمانه.

- أَصْلَحًا: أَحْسَنًا. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَكَاذُوهُمَا فَإِنَّ تَابًا وَأَصْلَحًا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء، الآية: ١٦].

(١) انظر: المفردات (٢٩٢) بتصرف.

أي أحسنا توبتهما وذلك بالإقلاع عن الفاحشة والعزم على عدم العود إليها والندم على اقترافها.

- أصلحنا: أحسنّا: قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُۥ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء، الآية: ٩٠].

هذه الآية وردت في زكريا عليه السلام وقوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا﴾. أي أحسنا خلقها بأن تكون ولودًا وخلقها بأن تكون حسنة الخلق بعد أن لم تكن كذلك من قبل^(١).

- أصلحوا: أحسنوا:

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة، الآية: ١٦٠]. أي أحسنوا توبتهم وذلك بالإقلاع عن كتمان البيان والهدى وهم العلماء والندم على ما فات والعزم على عدم العود إليه والشروع في بيان الحق^(٢).

- يُصْلِح: يُحْسِن:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَوْا قَالُوا لِمُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس، الآية: ٨١].

أي: لا يُحْسِنُ عملهم وذلك بإفساد مادته وإبطال مفعوله.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب، الآية: ٧٠ - ٧١].

أي يُحْسِنُ لكم أعمالكم وذلك بأن يجعلها حسنة جميلة.

- أَصْلِح: أَحْسِن.

قال الله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِّمَّقَتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف، الآية: ١٤٢].

أي وأحسن الخلافة في قومي.

- إِصْلَاح: إِحْسَان.

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا عَنْهُمْ فَأَخْبِرُوهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٢٢].

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٢٢/١١) (بتصرف).

(٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٧١-٧٢).

[البقرة، الآية: ٢٢٠].

أي: إحسانكم بمخالطتهم ومخالطة أموالهم أفضل من عزلهم وعزل أموالهم^(١).

- إصلاحًا: إحسانًا.

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَقَاتُ يَرَرْنَ بَنَاتٍ أَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٨].

أي أرادوا إحسانًا. يعني البعولة^(٢).

- الإصلاَح: الإحسان.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَنْقُورُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَدَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود، الآية: ٨٨].

أي ما أريد إلا الإحسان ما استطعت.

- إصلاحها: إحسانها.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف، الآية: ٥٦].

أي: لا تفسدوا في الأرض بعد أن أحسنها الله بإرسال الرسل وإنزال الكتب وتقرير الشرائع^(٣).

- صالح: لها معنيان:

أ- عمل صالح: حسن.

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة، الآية: ١٢٠].

أي كتب لهم به عمل حسن.

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّبِعْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَِّّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود، الآية: ٤٦].

(١) انظر فتح القدير (١/٢٢٢).

(٢) انظر: معالم التنزيل (١/١٥١).

(٣) انظر: فتح القدير (٢/٢١٣).

أي ليس من أهل دينك ولا ولايتك فهو ذو عمل غير حسن. يؤيد ذلك قراءة ابن عباس رضي الله عنه وعروة وعكرمة ويعقوب والكسائي: ﴿عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ﴾. أي من الكفر والتكذيب^(١).

ب - صالح: رسول الله عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء والرسل الصلاة والسلام وهو عربي من بني ثمود، دعا قومه إلى توحيد الله، وإفراده بالعبادة، وكانت معجزته الناقة، تبعه نفر من قومه، فاستضعفهم كفار قومه، وعقروا الناقة، فأخذتهم الصيحة.

قال الله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَثْنَانَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمًا ﴿٧٨﴾ [الأعراف، الآية: ٧٧ - ٧٨].

- صَالِحًا: حَسَنًا.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة، الآية: ٦٢]. أي عمل عملاً حسنًا.

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبُّهَا لِنِ ءَاتِيَنَا صَالِحًا لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٨٩﴾ [الأعراف، الآية: ١٨٩].

صالحًا: أي حسنًا والمقصود بحسنه أن يكون بشراً سوياً^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخِرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [التوبة، الآية: ١٠٢]. أي عملاً حسنًا.

- الصالح: الحسن.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُؤْوَرُ﴾ ﴿١٠﴾ [فاطر، الآية: ١٠].

أي العمل الحسن، ومعنى يرفعه: أي يرفعه الله، أو يرفع صاحبه، ويجوز أن يكون المعنى: والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب. والأولى أولى^(٣).

- صالح المؤمنين: خيرهم وأحسنهم وهم أبو بكر وعمر وعلي رضي

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٢/٩).

(٢) انظر: فتح القدير (٢/٢٧٤، ٢٧٦).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢١٠، ٢١٢).

الله عنهم وقيل صالح اسم جنس^(١).
قال الله تعالى: ﴿إِنْ نُنُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم، الآية: ٤].

- الصالحات: الأعمال الصالحة الحسنة.

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة، الآية: ٢٥].

والمعنى: (يا محمد ﷺ بشر من صدقك أنك رسولي وأن ماجئت به من الهدى والنور من عندي، وحقق تصديقه ذلك قولاً بأداء الصالح من الأعمال التي افترضتها عليه وأوحيتها في كتابي على لسانك عليه أن له جنات تجري من تحتها الأنهار)^(٢).

- الصالحون: جمع الصالح: وهو الذي يعمل الأعمال الصالحة أي الحسنة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء، الآية: ١٠٥].

وقال تعالى حكاية على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ [الجن، الآية: ١١].

- صَالِحِينَ: تشية صالح: حَسَن.

قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَاتَمَهُمَا فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحریم، الآية: ١٠].

- صَالِحِينَ: جمع صالح: حَسَن.

قال تعالى حكاية على لسان إخوة يوسف عليه السلام: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ طَرْحُوهُ أَرْضًا يَخُلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف، الآية: ٩].

- الصالحين: جمع الصالح: وهو من يعمل الأعمال الصالحة الحسنة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة، الآية: ١٣٠].

- الْمُصْلِحُ: الْمُحْسِنُ.

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ إِصْلَاحِ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٢٤).

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن (١/١٣٢).

فَاِخْوَانُكُمْ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَاعْنَتَكُمْ اِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾
[البقرة، الآية: ٢٢٠].

- مصلحون: محسنون.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ ﴿١١٧﴾ [هود، الآية: ١١٧].

- المصلحين: المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ﴿١٧٠﴾ [الأعراف، الآية: ١٧٠].

ب - المعنى الثاني: من أصلح: أزال الشقاق بين الناس. وهو عمل حسن.

- فأصلح: أزال الشقاق والنفار بين الناس.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُّوَسِّ جَنْفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾
[البقرة، الآية: ١٨٢].

- تصلحوا: تزيلوا الشقاق بين الناس.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٢٤﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٤].

والمعنى: (لا تجعلوا الله حاجزاً ومانعاً لما حلفتكم عليه، بل يأتي الذي هو حسن ويكفر عن يمينه)^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿١٢٩﴾ [النساء، الآية: ١٢٩].

- أصلحوا: أزيلوا الشقاق والنفار بين الناس.

قال الله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١﴾ [الأنفال، الآية: ١].

- صلحاً، الصلح: إزالة الشقاق.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿٢٨﴾ [النساء، الآية: ٢٨].

ب - ورود لفظة (صلح) وما يتصرف منها في السنة المطهرة في مواطن

كثيرة: ولها معنيان الأول بمعنى: حسن وما يتصرف منها: وهي على النحو الآتي:

(١) انظر: فتح القدير (١/٢٢٩).

١ - الصَّالِح : هو الذي يعمل الأعمال الحسنة .

- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ مثل الجلّيس الصّالح والجلّيس السّوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك إمّا تشريه أو تجد ريحه وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحًا خبيثة^(١) .

٢ - صَالِح : حسن وهو الذي يعمل الأعمال الحسنة .

- عن عائشة رضي الله عنها أرق النبي ﷺ ذات ليلة فقال ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة إذ سمعنا صوت السلاح قال من هذا قال سعد يارسول الله جئت أحرسك فنام النبي ﷺ حتى سمعنا غطيته قال أبو عبدالله وقالت عائشة قال بلال :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرُ وَجَلِيلُ
فَأَخْبَرَتِ النَّبِيَّ ﷺ^(٢) .

- عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ جهاًراً غير سر يقول ألا إن آل أبي يعني فلاناً ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين^(٣) .

٣ - أَصْلَح : أَحْسَن .

- عن أبي هريرة قال كان رسول الله ﷺ يقول اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر^(٤) .

٤ - يُصْلَح : يُحْسِن .

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله فإذا قال له يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم^(٥) .

٥ - يَصْلَح : يَحْسُن .

- عن أبي سعيد الخدري أن وفد عبد القيس لما أتوا نبي الله ﷺ قالوا يا نبي الله جعلنا الله فداءك ماذا يصلح لنا من الأشربة فقال لا تشربوا في النقيير

(١) فتح القدير (١/١٣٤) (٣٤٢) .

(٢) المصدر نفسه (٦/٢٦٤٢) (٦٨٠٤) .

(٣) صحيح مسلم : (١/١٩٧) (٢١٥) .

(٤) صحيح مسلم (٣/٢٠٨٧) (٢٧٢٠) .

(٥) صحيح البخاري (٥/٢٢٩٨) (٥٨٧٠) .

قالوا يانبي الله جعلنا الله فداءك أو تدري ما النكير قال نعم الجذع يُنْقَرُ وسطه ولا في الدباء ولا في الحنتمة وعليكم بالموكي^{(١)(٢)}.

٦ - صالحون: جمع صالح وهو الذي يعمل العمل الحسن، والصالحة الحسنة.

- عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أن رجلاً قتل تسعة وتسعين نفساً فجعل يسأل هل له من توبة فأتى راهباً فسأله فقال ليست لك توبة فقتل الراهب ثم جعل يسأل ثم خرج من قرية إلى قرية فيها قوم صالحون فلما كان في بعض الطريق أدركه الموت فنأى ب صدره ثم مات فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر فجعل من أهلها فأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي^(٣).

٧ - الصالحة: الحسنة.

- عن أمّ أبي قتادة عن النبي ﷺ قال الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فإذا حلم فليتعوذ منه وليبصق عن شماله فإنها لا تضره^(٤).

المعنى الثاني: بمعنى إزالة الشقاق والنفار، وهي على النحو الآتي:

١ - صَالِح: أزال الشقاق والنِّفَار.

- عن عمرو بن عوف وهو حليف بني عامر بن لؤي وكان شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ أخبره أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتهما وكان رسول الله ﷺ قد صَالَح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين فقالوا أجل يارسول الله قال فأبشروا وأملوا مايسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم^(٥).

٢ - يُصْلِح: يزيل الشقاق والنفار.

(١) الدباء: القرع اليابس، أي الوعاء منه المطلي بالزفت، والحنتمة: نوع من الجرار، والموكي: السقاء الرقيق الذي يوكى أي يربط فوه بالوكاء وهو الخيط. شرح النووي

لصحيح مسلم (١/١٨٥، ١٩٥).

(٢) صحيح مسلم (١/٥٠) (١٨).

(٣) صحيح مسلم (٣/٢١١٩) (٢٧٦٦).

(٤) صحيح البخاري (٣/١١٩٨) (٣١١٨).

(٥) صحيح مسلم (٣/٢٢٧٣) (٢٩٦١).

- عن أمّ كلثوم بنت عقبة أخبرته أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً^(١).

٣ - يَصْطَلِحَا: يزيلا النفار والشقاق بينهما.

- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا^(٢).

وبقية الأحاديث سوف تأتي في مظانها من البحث إن شاء الله.

(١) صحيح البخاري (٩٥٨/٢) (٢٥٤٦).

(٢) صحيح مسلم (١٩٨٧/٣) (٢٥٦٥).

المطلب السابع في لفظة «المعروف» وما يتصرف منها

أولاً: القرآن الكريم.

وقد وردت فيه في أربعين موضعاً.

١ - العُرْف: بمعنى المعروف^(١). من الإحسان^(٢): وهو اسم لكل فعل يعرف بالشرع والعقل حُسْنُهُ^(٣). قال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ [الأعراف، الآية: ١٩٩]. قال عطاء رحمه الله: يعني لا إله إلا الله^(٤).

وتقوى الله في الحلال والحرام، وصلة الأرحام، وغض الأبصار والاستعداد لدار القرار^(٥). إلا أن الآية عامة في كل ما عرف بالشرع والعقل حُسْنُهُ. كما قال جعفر الصادق رحمه الله: أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق في هذه الآية، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية^(٦).

٢ - معروف:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُفْنِ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة، الآية: ٢٣١].

أي: تخيير لهم بعد أن علمهم كيف يطلقون بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بواجبهن وبين أن يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم. وذلك بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدة^(٧).

٣ - المعروف:

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَى لِمَنْ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأُتْبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة، الآية: ١٧٨].

أي بمطالبة جميلة ليس فيها تعنيف^(٨).

٤ - مَعْرُوفًا:

قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٢٠).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٤/٥٧).

(٣) المفردات (٣٤٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٢٠).

(٥) المرجع نفسه (٧/٢١٨ - ٢١٩).

(٦) المرجع نفسه (٧/٢١٩).

(٧) انظر: الكشاف (١/٣٦٦).

(٨) المصدر نفسه (١/٣٣٣).

مَعْرُوفًا ﴿البقرة، الآية: ٢٣٥﴾.

أي طيبًا حسنًا من غير رفث ولا فُحْشٍ وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا
كأن يقول أحدكم إني في مثلك لراغب^(١).

٥ - مَعْرُوفَةٌ: مؤنث معروف.

قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ أُمِرْتُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُفْسِمُوا
طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النور، الآية: ٥٣].

(أي بالمعروف من غير حلف ولا إقسام كما يطيع المؤمنون الله
ورسوله بغير حلف، فكونوا أنتم مثلهم)^(٢).

ثانيًا - السنة النبوية ومنها:

١، ٢ - معروف، المعروف:

- عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «كل معروف صدقة،

وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء
أخيك»^(٣).

(١) انظر: الكشف (٣٧٣/١).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤٧٩/٣).

(٣) سنن الترمذي (٣٤٧/٤) (١٩٧٠). وقال رحمه الله: هذا حديث حسن. وحسنه الألباني
في صحيح الجامع (٨٣٧/٢) (٤٥٥٧).

المطلب الثامن في لفظة «كَمُلَ» وما يتصرف منها

والكمال: التمام^(١).
أولاً: في القرآن الكريم:
قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة، الآية: ٣].

أي أتممت لكم بيان الحلال والحرام فلم ينزل بعد نزول هذه الآية حلال ولا حرام^(٢).

وفيه إحسان الله على عباده بإتمام النعمة عليهم.
ثانياً: من السنة النبوية:

١ - كَمُلَ:

- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كَمُلَ من الرجال كثير ولم يَكْمُلْ من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^{(٣)(٤)}.

٢ - أَكْمَلَ: بمعنى أتم وأَجْمَلَ.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً»^(٥).

(١) لسان العرب (٥٩٨/١١).

(٢) انظر: فتح القدير (١٢/٢).

(٣) الثريد: إدام الخبز بالحم. فتح الباري (١٠٨/٧).

(٤) صحيح البخاري (١٢٥٢/٣) (٣٢٣٠).

(٥) سنن الترمذي (٤٥٧/٣) (١١٦٢). وقال رحمه الله: هذا حديث حسن صحيح.

وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٦/١) (١٢٣٢).

المطلب التاسع في لفظة «طَاب» وما يتصرف منها

يقال طَابَ الشيء يَطِيبُ طَيِّباً فهو طَيِّبٌ .

والطيب: خلاف الخبيث، وهو ما تستلذه الحواس والنفوس من الأطعمة والأشربة وغيرها مما هو جائز^(١).

وقد وردت هذه اللفظة وما يتصرف منها في الكتاب والسنة، ومنها:

أولاً: ماورد في الكتاب العزيز:

١ - طاب: حَسُنَ^(٢).

قال الله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء، الآية: ٣].

أي ما حلَّ لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع والواو بمعنى أو^(٣).

٢ - طِبتُم:

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر، الآية: ٧٣].

أي تجردتم من نقائص المعاصي ومن دنسها وطهرتم من خبث الخطايا وقبحها^(٤). (والطيب من الإنسان من تعرى من نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال وتحلى بالعلم والإيمان ومحاسن الأعمال)^(٥).

٣ - طِبْن:

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ﴾ [النساء، الآية: ٤].

أي: طابت نفوس الزوجات بالتنازل عن شيء من مهورهن بسماحة فكلوه هنيئاً مريئاً^(٦).

٤ - طُوبَى: الحسنى والخير أو: اسم من أسماء الجنة إشارة إلى كل مستطاب فيها من بقاء بلا فناء وعز بلا زوال وغنى بلا فقر، أو اسم شجرة في الجنة^(٧). واللفظ محتمل للجميع.

(١) انظر: المفردات (٣٢١)، وبصائر ذوي التمييز (٥٣١/٣).

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم (٧٢٠/٢).

(٣) معالم التنزيل (٣١٠/١).

(٤) انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم (٧٢٠/٢)، والكشاف (٤١١/٣).

(٥) المفردات (٣٢٢).

(٦) انظر: معالم التنزيل (٣١١/١).

(٧) انظر: المفردات (٣٢٢)، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم (٧٢١/٢).

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد، الآية: ٢٩].

٥ - طيبًا: أ - طاهرًا لا نجاسة به^(١).

قال الله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء، الآية: ٤٣، المائدة، الآية: ٦].

ب - صالحًا لذيًا.

قال الله تعالى: ﴿كُلُوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة، الآية: ١٦٨].

٦ - الطيب:

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران، الآية: ١٧٩].

وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر، الآية: ١٠].

خص الكلم الطيب بالذكر لبيان الثواب عليه، وهو يتناول كل كلام يتصف بكونه طيبًا حسنًا من ذكر لله تعالى، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتلاوة للقرآن وغير ذلك^(٢).

٧ - طيبات.

قال الله تعالى: ﴿فِيُظَلِّمُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء، الآية: ١٦٠].

أي ماتستلذه النفس^(٣). والمراد بالذين هادوا هم اليهود.

٨ - طيباتكم:

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف، الآية: ٢٠].

والمعنى: أنه يقال للكافرين يوم القيامة عندما لا يجدون لهم حسنات توبيخًا وتقريعًا لهم ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ أي تمتعتم بالطيبات المستلذة لكم في الدنيا واتبعتم الشهوات واللذات المحرمة^(٤).

٩ - طيبة:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا

(١) انظر: المفردات (٣٢٢)، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم (٧٢١/٢).

(٢) انظر: فتح القدير (٣٤١/٤).

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم: (٧٢١/٢).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٦/١٣٣).

مِنْ رَزَقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِمَوْلَاكُمْ طَبِيبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ [سبأ، الآية: ١٥].
أي كثيرة الخير آمنة^(١).

١٠ - الطيبون: جمع الطيب: وهو الصالح الذي تخلص عن الرذائل، وتحلى بالفضائل^(٢).

قال الله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَتِ﴾ [النور، الآية: ٢٦].

١١ - طيبين: مثله.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل، الآية: ٣٢].

١٢ - الطيبات: جمع الطيبة: وهي الحصان العفيفة الصالحة^(٣).

قال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ [النور، الآية: ٢٦].

وقد سبق تأويل الآية.

ثانياً: الأمثلة مما ورد في السنة:

١ - طابة: هي المدينة النبوية مؤنث طاب بمعنى الطيب الطاهر سماها الرسول ﷺ بذلك لخلوصها من الشرك، وتطهيرها منه. وكان اسمها من قبل يثرب، والثرّب الفساد^(٤).

- عن أبي حميد رضي الله عنه قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من تبوك حتى أشرفنا على المدينة فقال: «هذه طابة»^(٥).

٢ - طيب: حسن.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»^(٦).

٣ - طيبة: حسنة.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل قالوا وما الفأل قال كلمة طيبة»^(٧).

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم (٢/٧٢١).

(٢) انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم (٢/٧٢٢).

(٣) المرجع نفسه.

(٤) انظر: لسان العرب (١/٥٦٧).

(٥) صحيح البخاري (٢/٦٦٢) (١٧٧٣).

(٦) صحيح البخاري (٣/١١٩٣) (٣٠٩٦).

(٧) صحيح البخاري (٥/٢١٧٨) (٥٤٤٠).

٤ - أَطِيبُ : أَحْسَنُ .

- عن عائشة رضي الله عنها قالت : «كنت أطيّب النبي ﷺ بأطيب مايجد حتى أجد ويبص الطيب في رأسه ولحيته»^(١) .
٥ - طَيِّبًا : حَسَنًا .

- عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ : كان إذا رفع مَائِدَتَهُ قال : «الحمد لله كثيرًا طَيِّبًا مباركًا فيه غير مَكْفِيٍّ وَلَا مُودَعٍ وَلَا مُسْتَعْنَى عنه رَبُّنَا»^(٢) .

٦ - الطَيِّبُ : الحسن الحلال .

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كفِّ الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يُرَبِّي أحدكم فَلُوَّهُ أو فَصِيلَهُ»^(٣) .

٧ - طُوبَى : الحسنى .

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «تَعَسَّ عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخَمِصَةِ إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش طُوبَى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغَبَّرَةً قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في السَّاقَةِ كان في السَّاقَةِ إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يُشَفَّعْ»^(٤) .

قال البخاري رحمه الله : طُوبَى : فُعِلَى من كل شيء طَيِّبٌ ، وهي ياء حولت إلى الواو ، وهي من يَطِيبُ^(٥) .

(١) صحيح البخاري (٢٢١٤/٥) (٥٥٧٩) .

(٢) صحيح البخاري (٢٠٧٨/٥) (٥١٤٣) .

(٣) صحيح مسلم (٧٠٢/١) (١٠١٤) .

(٤) صحيح البخاري (١٠٥٧/٣) (٢٧٣٠) .

(٥) صحيح البخاري (١٠٥٧/٣) (٢٧٣٠) .

المطلب العاشر في لفظة «البر» وما يتصرف منها

وهي كلمة جامعة لكل صفات الخير، والإحسان^(١).
وقد وردت في الكتاب والسنة في مواطن عدة:
أولاً: ورودها في القرآن الكريم:
١ - تَبَرُّوا:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٤].

معنى الآية: لا تجعلوا الحلف بالله سبباً مانعاً لكم من صلة الأرحام والإحسان في معاملتهم وتقوى الله تعالى. بل الواجب تكفير اليمين وإتيان البر والتقوى^(٢).

٢ - الأبرار: كثيرو الطاعة والإحسان، جمع بر^(٣).
قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران، الآية: ١٩٣].
أي في جملة الأبرار^(٤).

٣ - برّاً: محسناً.
قال تعالى: ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً﴾ [مريم، الآية: ١٤].
يعني محسناً إليهما واصلأً لهما والمراد به يحيى عليه السلام. وبرّ الوالدين: التوسع في الإحسان إليهما وضده العقوق^(٥).
وقال تعالى: ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ [مريم، الآية: ٣٢].
أي عيسى عليه السلام.
٤ - البرّ: وله معنيان:

أ - اسم من أسماء الله تعالى: وهو العطوف على عباده ببره (أي إحسانه) ولطفه^(٦).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور،

(١) انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم: (١/١٢٨)، والنهاية (١/١١٦).

(٢) انظر: معالم التنزيل (١/١٤٧ - ١٤٨).

(٣) انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم (١/١٢٨).

(٤) معالم التنزيل (١/٣٠٤).

(٥) المفردات (٣٨).

(٦) النهاية (١/١١٦).

الآية: ٢٨].

أي: كثير الإحسان^(١).

ب - ما انبسط من سطح الأرض ولم يغطه الماء^(٢).

قال الله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة، الآية: ٩٦]
٥ - البر:

قال الله تعالى: ﴿آتَاكُمْوَنَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة، الآية: ٤٤].

قال البغوي رحمه الله: (البر: كل خير يفضي بصاحبه إلى الجنة)^(٣).

٦ - بَرَّة: جمع بار: وهو من يصدر عنه البر أي الإحسان والطاعة^(٤).

قال الله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝﴾ [عبس، الآية: ١٥ - ١٦].
وهم الملائكة عليهم السلام.

ثانيًا: الأمثلة على ورود لفظة (البر) في السنة النبوية:
١ - بر:

- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله، حدثني بهن ولو استزدته لزادني^(٥).

٢ - البر:

- عن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقًا وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا»^(٦).

٣ - أبر: أكثر برًا.

- عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أبر البر صلة الولد أهل وُدّ أبيه»^(٧).

(١) فتح القدير (٩٩/٥).

(٢) انظر: اللسان (٥٤/٤).

(٣) معالم التنزيل (٩٩/١ - ١٠٠).

(٤) انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم (١٢٨/١).

(٥) صحيح البخاري (١٩٧/١) (٥٠٤).

(٦) صحيح البخاري (٢٢٦١/٥) (٥٧٤٣).

(٧) صحيح مسلم (١٩٧٩/٣) (٢٥٥٢).

المطلب الحادي عشر في لفظة «زَيْنَ» وما يتصرف منها

قال الراغب رحمه الله: (الزينة الحقيقية مالا يشين الإنسان في شيء من أحواله لا في الدنيا ولا في الآخرة، فأما مايزينه في حالة دون حالة فهو من وجهٍ شين، والزينة بالقول المجمل ثلاث: زينة نفسية كالعلم والاعتقادات الحسنة، وزينة بدنية كالقوة وطول القامة، وزينة خارجية كالمال والجاه^(١)).

أولاً: ماورد في القرآن الكريم:

١ - زَيْنَ: بمعنى حَسَنَ وجمَل.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام، الآية: ١٣٧].

والمعنى: ومثل ذلك التزيين الذي زينه الشيطان لهم في قسمة أموالهم بين الله وبين شركائهم زين لهم قتل أولادهم^(٢).

٢ - زَيْنًا: حسنا وجمَلنا.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام، الآية: ١٠٨].

وذلك بسبب كفرهم.

٣ - زَيْنًاها: حسنها وجمَلناها.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيْنًاها لِلنَّظِيرِينَ﴾ [الحجر، الآية: ١٦].

٤ - زَيْنَهُ: حَسَنَهُ وجمَله.

قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات، الآية: ٧].

٥ - زينوا: حَسَّنُوا وجمَلوا.

قال الله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ [فصلت، الآية: ٢٥].

(١) المفردات (٢٢٣).

(٢) فتح القدير (١٦٥/٢).

[فصلت، الآية: ٢٥].

أي حسنوا وجملوا لهم الأعمال القبيحة من الكفر والمعاصي.

٦ - زَيْن: حُسْنٌ وَجُمْلٌ.

قال الله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [البقرة، الآية: ٢١٢].

٧ - لَزَيْنٌ: لأحبين السوء إلى الذين كفروا.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر، الآية: ٣٩ - ٤٠].

والمعنى يقسم إبليس بإغواء الله له ليحسن للناس المعاصي ويوقعهم فيها ماداموا في الدنيا أو يشغلهم بزيينة الدنيا عن فعل ما أمرهم الله فلا يلتفتون إلى غيرها^(١).

٨ - اَزَيَّنْتُ: الأصل تزينت: تحسنت.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا آمْنًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس، الآية: ٢٤].

في الآية جعل (الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكستتها وتحسنت بغيرها من ألوان الحسن)^(٢).

٩ - زِينَة: اسم لكل ما يُزَيَّنُ به^(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف، الآية: ٧].

[الكهف، الآية: ٧].

١٠ - الزَّيْنَة:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه،

الآية: ٥٩].

المراد بيوم الزينة هو يوم العيد لأن الناس يتزينون فيه بلبس أحسن ما يجدون واختيار موسى عليه السلام هذا اليوم دون غيره لأن الناس يتفرغون فيه من أعمالهم ويجتمعون فيه وذلك أدعى لرؤية آيات الله وقبول الحق^(٤).

١١ - زِينَة الله:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

(١) انظر: الكشاف (٢/٢٣٣).

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم (١/٥٤٠).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/٢٥٠).

[الأعراف، الآية: ٣٢].

أي ما أوجده الله مما يتجمل به الناس من ملبوس أو غيره من الأشياء المباحة كالمعادن الثمينة التي لم يرد فيها نهي. وكذا الجواهر^(١).

١٢ - زينة الحياة:

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف، الآية: ٢٨].

والمعنى: اجلس يا محمد أو من يصلح له الخطاب مع أهل الصلاح وإن كانوا فقراء ضعفاء ولا تجاوزهم إلى غيرهم تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة^(٢).

١٣ - زينة القوم:

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَقْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْ زَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْتَهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [طه، الآية: ٨٧].

المراد بالزينة هنا: الحلي^(٣). والمعنى: أن السامري قال لهم حين استبطأ القوم رجوع موسى عليه السلام: إنما احتبس عنكم لأجل ما عندكم من الحلي الذي أخذتموه من آل فرعون عندما قذفهم البحر إلى الساحل وكانت الغنائم عليهم حرامًا، فجمعوه ودفعوه إليه، فرمى به في النار وصاغ لهم منه تمثالاً كالعجل ثم ألقى عليه قبضة من أثر جبريل عليه السلام فصار الهواء يدخل من مقدمته ويخرج من مؤخرته فيسمع له صوت كخوار العجل^(٤).

١٤ - زينتكم:

قال الله تعالى: ﴿يَبْنَیْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا﴾ [الأعراف، الآية: ٣١].

والمعنى: البسوا أفضل ما تجدون من الثياب عند كل مسجد لطواف وصلاة، وقد كانت بعض قبائل العرب تطوف بالبيت عراة فأمرهم الله أن يواروا العورة^(٥).

١٥ - زينته:

قال الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

(١) انظر: فتح القدير (٢/٢٠٠).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/١٣١، ١٣٣).

(٣) فتح القدير (٣/٣٨٠).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٦٠).

(٥) انظر: معالم التنزيل (٢/١٣١).

يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ [القصص، الآية: ٧٩ - ٨١].

والمعنى أن قارون وقد آتاه الله مالاً كثيراً لم يؤمن بموسى عليه السلام، بل اتخذ ماله أشراً وبطراً على الناس حتى وصل به الحال أن خرج عليهم في كامل زينته من المال واللباس والحشم والخدم تعالياً عليهم وإضلالاً لهم، وسرعان ما استجاب الغوغاء من قومه الذين يؤثرون الدنيا على الآخرة، متمنين مثلما أوتي، معللين ذلك بحسن حظه من دون موسى عليه السلام ومن آمن معه، غير أن أهل العلم ممن آمن بموسى عليه السلام سرعان ما حذروهم عذاب الله ونقمته وأن ما أعدّه الله للصالحين في الجنة خير فاصبروا على طاعة الله تناولوا النعيم في الجنة وبينما هم كذلك فاجأهم أمر الله تعالى حيث خسف بقارون وداره الأرض فلم ينصره أحد ممن حوله من حشمه وخدمه ولم يستطع نصر نفسه وعند ذلك بان الحق لمن أعجبوا به وأيقنوا أن الأرزاق من عند الله وحمدوا الناصحين لهم، مؤثرين السلامة من الخسف، موقنين عدم فلاح الكافرين.

١٦ - زَيْنَتُهَا:

قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ ﴿١٥﴾ [هود، الآية: ١٥].

المراد من الآية: من جعل نيته وقصده بعمل الخير الحياة الدنيا وما يزينها ويحسنها من الصحة والأمن والسعة في الرزق وارتفاع الحظ ونفاذ القول ونحوه فإن شاء الله حصل له ذلك لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء، الآية: ١٨] ^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ [القصص، الآية: ٦٠].

والمعنى: أن المشركين كانوا يتبجحون على المسلمين بكثرة الأموال ووفرة النعيم في حين كان أكثر المسلمين فقراء ضعفاء فأخبر الله تعالى المشركين أن ماتت حسنون به هو متاع ينتفع به زماناً ثم يزول وأن ما أعدّه في الآخرة للمؤمنين من النعيم المقيم خير منه ^(٢).

(١) انظر: فتح القدير (٢/٤٨٧).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٢٠/١٥٤).

١٧ - زَيْنَتُهُنَّ :

قال الله تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور، الآية : ٣١] .

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : (الزينة زينتتان : فزينة لا يراها إلا الزوج : الخاتم والسوار ، وزينة يراها الأجانب وهي الظاهر من الثياب)^(١) .

ثانيًا : الأمثلة من السنة النبوية :

١ - زَانَهُ : حَسَنُهُ وَجَمَلُهُ .

- عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال : «إن الفرق لا يكون في شيء إلا زَانَهُ ولا ينزع من شيء إلا شَانَهُ»^(٢) .

٢ - زَيْنَتُهَا :

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يحدث أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال إني ممّا أخاف عليكم من بعدي ما يُفْتَحُ عليكم من زهرة الدنيا وزينتها . . الحديث^(٣) .

والمراد بذلك : الأموال والأولاد والزوجات والمراكب وغيرها مما يحسن به الإنسان من متاع الدنيا .

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٥٤) .

(٢) صحيح مسلم (٣/٢٠٠٤) (٢٥٩٤) .

(٣) صحيح البخاري (٢/٥٣٢) (١٣٩٦) .

المطلب الثاني عشر في لفظة «التَّحْبِيرُ» وما يتصرف منها

أولاً: ما ورد في القرآن الكريم:
- تُحْبَرُونَ:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٦٩) أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ
وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ [الزخرف، الآية: ٦٩ - ٧٠].

أي: تنعمون وتسرون^(١).

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ
يُحْبَرُونَ﴾ (١٥) [الروم، الآية: ١٥].

ثانياً: الأمثلة على ماورد في السنة.

١ - الحَبْرَةُ: ثياب مزينة من كتان أو قطن.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان أحب الثياب إلى النبي ﷺ الحَبْرَةُ»^(٢).

٢ - عن أبي هريرة: أن الناس قالوا: «يارسول الله، هل نرى ربنا يوم
القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في القمر ليلة البدر». [الحديث
بطوله وفيه]: «فإذا قام إلى الجنة انفهقت»^(٣) له الجنة، فرأى ما فيها من
الحبرة والسرور»^(٤).

قال ابن الأثير رحمه الله: الحَبْرَةُ بالفتح: النعمة وسعة العيش، وكذلك
الحبور. والحَبْرُ بالكسر وقد يفتح: أثر الجمال والهيئة الحسنة، وحبرت
الشيء تحبيراً إذا حسنته^(٥).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم (١٦/٧٤).

(٢) صحيح البخاري (٥/٢١٨٩) (٥٤٧٥).

(٣) انفهقت له: انفتحت واتسعت له. انظر: النهاية (٣/٤٨٣).

(٤) صحيح البخاري (٦/٢٧٠٤) (٧٠٠٠).

(٥) النهاية في غريب الحديث (١/٣٢٧).

الفصل الثاني مصادر الإحسان

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: صحيح المنقول

المبحث الثاني: صحيح المعقول

المبحث الثالث: منزلة العقل مع النقل وخطر استقلال العقل عن
النقل

تمهيد

الإحسان كغيره من مراتب الدين في مصادره التي يصدر عنها ويستند إليها وله مصدران. الأول صحيح المنقول، والثاني صحيح المعقول. وسوف يُفَرَّد كل واحد منهما في مبحث مستقل.

وهذان المصدران كل منهما يدل على صاحبه لا ينفيه عنه، فالمنقول بحاجة عند الاستدلال به على الأحكام الشرعية حسنًا أو قبحًا إلى المعقول، كما أن المعقول لا يعتبر حكمًا شرعيًا على شيء بالحسن أو القبح إلا إذا استند إلى المنقول، وعند التحقيق فإن المصادر راجعة إلى المنقول لأنه هو الذي صحح الاعتماد عليها^(١).

والقرآن الكريم يدل على أنَّ الحكم لله وحده دون سواه، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام، الآية: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ [الأنعام، الآية: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد، الآية: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل، الآية: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْهَوْا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر، الآية: ٧].

(١) انظر: أصول الفقه للخضري (٢٠٧) (بتصرف).

المبحث الأول صحيح المنقول

والمراد بالصحيح: ماتوفرت فيه شروط الصحة على ماوضعه أئمة النقل من أصول وقواعد يعرف بها.

والمراد بالمنقول هو مايعرف عن طريق السمع والنقل مما ليس للرأي فيه مجال. وهو القرآن الكريم والسنة النبوية.

أقسام صحيح المنقول:

المنقول إلينا قسمان:

القسم الأول: القرآن الكريم:

تعريفه: لغة: مصدر كالغفران وسمي قرآنًا لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض^(١).

واصطلاحًا: هو كلام الله المعجز الذي نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله محمد ﷺ بلسان عربي مبين، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه، المحفوظ من التغيير والتحريف^(٢).

- منزلته:

القرآن الكريم هو أعظم الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله، وأجمعها للعلوم قاطبة، وآخرها نزولاً إلى أهل الأرض، جعله الله هداية ونوراً لعباده، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء، الآية: ٩].

قال القرطبي رحمه الله: (أي أسدٌ وأعدل وأصوب)^(٣).

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء، الآية: ١٧٤].

وما ذاك إلا لأن المتكلم به حقيقة هو الله تعالى، وحسبك بالله عالماً بما يصلح لخلقه. قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك، الآية: ١٤].

- شموليته:

لم يترك القرآن الكريم خيراً في العاجل والآجل إلا ودل عليه ورغب

(١) اللسان (١/١٢٨، ١٢٩).

(٢) انظر: مناهل العرفان (١/٢١).

(٣) تفسير القرطبي (١٠/٢٢٥).

فيه ورتب عليه الثواب الجزيل، وما من شر في العاجل والآجل إلا وبغضه، وحذر منه ورتب عليه العقاب.

والإنسان في هذه الدنيا متقلب في جميع أحواله بين أحوال ثلاث تكفل القرآن بحفظها ووصياتها والدفاع عنها وهي:

أ- الضروريات: ومعناها (ما لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وفوت حياة وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين)^(١).

(ومجموع هذه الضروريات خمس: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وقد قالوا إنها مراعاة في كل ملة)^(٢).

ب- الحاجيات: ومعناها (ما مايفتقر إليه من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة بفوت المطلوب)^(٣). مثل اللباس، والمسكن وغيرهما.

ج- التحسينيات: ومعناها (الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق) وهي جارية في العبادات والعادات والمعاملات (راجعة إلى محاسن زائدة على أصل المصالح الضرورية والحاجية إذ ليس فقدانها بمخل بأمر ضروري ولا حاجي وإنما جرت مجرى التحسين والتزيين)^(٤).

مثل صلة الرحم، وحسن الجوار، وإكرام الضيف. وغيرها.

- عناية القرآن الكريم بالإحسان.

قد أولى القرآن الكريم الإحسان عناية كبرى وذلك من خلال الأمر به والنهي عن ضده وما أعدّه للمحسنين من الثواب وما أعدّه للمسيئين من العقاب، في مائة وست وتسعين آية وأما الألفاظ ذات الصلة بالموضوع فأضعاف ذلك كل ذلك بيان للمسلمين على أهمية الإحسان عموماً.

- الأمثلة على عناية القرآن الكريم بالإحسان:

أولاً: الإحسان من صفات الرحمن عز وجل:

قال الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ [البقرة، الآية: ١٣٨].

وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

(١) الموافقات للشاطبي (٢/٤-٥).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

[المائدة، الآية: ٥٠].

ثانيًا: الإحسان صفة من صفات الأنبياء وصالحى المؤمنين:
قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء، الآية: ١٢٥].
وقال تعالى: ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات، الآية: ١١٣].

ثالثًا: أمر الله عز وجل بالإحسان:
قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة، الآية: ٨٣].

رابعًا: عاقبة الإحسان:
أ - معية الله تعالى للمحسنين بالحفظ والنصر والتأييد والتمكين.
قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل، الآية: ١٢٨].

ب - حب الله تعالى للمحسنين:
قال الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥].

ج - جزاء الإحسان فى الدنيا والآخرة:
قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة، الآية: ١١٢].
القسم الثانى: السنة النبوية:

تعريفها: لغة: هى السيرة حسنة كانت أو قبيحة^(١).
واصطلاحًا: يطلق لفظ السنة على كل ما أثر عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية^(٢).
- مكانتها:

تأتى السنة النبوية فى المنزلة الثانية بعد القرآن الكريم مصدرًا من مصادر الإحسان.

وقد أوتى النبى ﷺ جوامع الكلم وفواتحه وخواتمه واختصر له الكلام اختصارًا حتى بهر البلغاء وأعجز الفصحاء وأفحم الخطباء من قريش وغيرها

(١) لسان العرب (٢٢٥/١٣).

(٢) انظر: الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/١٨، ٦ - ٧).

من قبائل العرب. وكان إذا تكلم يُعَدُّ السامعُ كلامه، يكرره ثلاثًا ليحفظ ويفهم، ويرفع صوته ليسمع عنه.

كما أحاط ﷺ بلسان العرب قاطبة فلا واردة إلا ومناخها عنده، ولا شاردة إلا وخطامها بيده، تخير من الألفاظ أعذبها ومن الجمل أسلسها، ومن المعاني أوضحها حتى غدت عباراته عقدًا يتلألًا بلاغة وفصاحة وبيانًا. - حفظها:

ما من شك أن السنة النبوية هي الشارحة للقرآن الكريم والمبينة لأحكامه. قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل، الآية: ٤٤].

لذلك حض النبي ﷺ أصحابه على حفظها وتدوينها ومدارستها ونشرها والذب عن حياضها، وهم قوم أذكياء أذكىاء أقوياء بررة كأنما ادخر الله عقولهم وأفئدتهم للسنة النبوية فكانت خير وعاء لها حفظوها فأدوها كما سمعوا من غير زيادة أو نقصان.

وهكذا قىض الله لسنة رسوله ﷺ الاتقياء الأذكياء في كل عصر ومصر من أمم لا تحصى اشتغلوا بها وميزوا صحيحها من سقيمها وفق قواعد حديثة لم يسمع التاريخ بأدق منها في ضبط الأخبار ومعرفة الرواة وأحوالهم، والناظر الآن في المكتبة الحديثية يدرك أن هذا النهج السديد محض حفظ من الله تعالى للسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. - حجيتها:

حظيت السنة النبوية من القداسة بما جعلها وحيًا آخر يجب العمل بها والتحاكم إليها والتسليم لها كل ذلك أوضحه القرآن الكريم حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم، الآية: ٣ - ٤]. وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء، الآية: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال، الآية: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء، الآية: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ﴾ [الحشر، الآية: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور، الآية: ٥٦].

- وعن أبي رافع رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به، أو نهيت عنه،

فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»^(١).

- وعن المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه...»^(٢).
- شمولها:

قد أحاطت السنة النبوية بالإنسان من كل ناحية حتى ولجت إلى سويداء قلبه فما من غمضة ولا ومضة ولا لحظة ولا خاطرة ولا حركة ولا سكرة إلا ولها فيها حكم.

فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قيل: له قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخِراءة، فقال: سلمان أجل، نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول وأن نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار أو أن نستنجي برجيع أو بعظم»^(٣).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة مترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره علمه من علمه وجهله من جهله إن كنت لأرى الشيء قد نسيت فأعرفه كما يعرف الرجل إذا غاب عنه فراه فعرفه»^(٤).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يطير بجناحيه إلا عندنا منه علم»^(٥).

قال ابن حبان: معنى (عندنا منه) يعني بأوامره ونواهيه وأخباره وأفعاله وإباحاته ﷺ^(٦).

- عناية السنة النبوية بالإحسان:

اعتنت السنة النبوية بالإحسان أشد عناية فقد وردت هذه اللفظة وما يتصرف منها وماله صلة بها في بضع مئات تأمر به وتنهى عن ضده وتبين ثوابه وعقاب مخالفه وغير ذلك.

- الأمثلة:

أولاً: حقيقة الإحسان.

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس

(١) سنن أبي داود (١٢/٥) (٤٦٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧١٧٢).

(٢) سنن أبي داود (١٠/٥) (٤٦٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٦٤٣).

(٣) صحيح مسلم (٢٢٣/١) (٢٦٢).

(٤) صحيح البخاري (٢٤٣٥/٦) (٢٢٣٠).

(٥) صحيح ابن حبان (الإحسان) (٢٦٧/١)، (٢٦٨) (٦٥).

(٦) صحيح ابن حبان (الإحسان) (٢٦٧/١)، (٢٦٨) (٦٥).

فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه وبرسله وتؤمن بالبعث». قال: ما الإسلام؟ قال: «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان» قال: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال متى الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، سأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا النبي ﷺ قول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية [لقمان، الآية: ٣٤] ثم أدبر، فقال: «ردوه» فلم يروا شيئاً. فقال: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم»^(١).

ثانياً: شمول الإحسان والأمر به:

- عن شداد بن أوس - رضي الله عنه - قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ؛ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة. وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته»^(٢) و(على) في قوله: «على كل شيء» بمعنى: إلى أو في، أي إلى كل شيء أو في كل شيء^(٣).

ثالثاً: الإحسان إلى الوالدين:

- عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله. قال: «فهل من والديك أحد حي؟» قال: نعم، بل كلاهما. قال: «أفتبتغي الأجر من الله؟». قال: نعم، قال: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»^(٤).

رابعاً: طرق معرفة المحسن:

- عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رجل لرسول الله ﷺ كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت؟ قال النبي ﷺ: «إذا سمعت جيرانك يقولون: أن قد أحسنت فقد أحسنت. وإذا سمعهم يقولون: قد أسأت، فقد أسأت»^(٥).

خامساً: من ثمرات الإحسان:

- (عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رجل: يارسول الله،

(١) صحيح البخاري (٢٧/١) (٥٠).

(٢) صحيح مسلم (١٥٤٨/٢) (١٩٥٥).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم (٣٨٠/١).

(٤) صحيح مسلم (١٩٧٥/٣) (٢٥٤٩).

(٥) سنن ابن ماجه (١٤١٢/٢) (٤٢٢٣). وفي الزوائد قال: إسناده حدث عبدالله بن مسعود هذا صحيح. رجاله ثقات. رواه ابن حبان في صحيحه من طريق عبدالرزاق به.

أنؤأخذ بما عملنا في الجاهلية، قال: «من أحسن في الإسلام لم يؤأخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أأخذ بالأول والآخر»^(١).

(١) صحيح البخاري (٢٥٣٦/٦) (٦٥٢٣).

المبحث الثاني صحيح المعقول

- الصحيح: ضد السقيم وهو ما توافرت فيه شروط الصحة. وهي الخلو من العاهات والسلامة من الهوى والشهوات.
- المعقول: ما يدركه العقل بالرأي والنظر عن طريق التفكير الموصل إلى علم أو غلبة ظن^(١).

- العقل: هو العلم بالمدركات الضرورية.
مأخوذ من عقل البعير، يمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل.

وهو نوعان: الأول: غريزي مُبْتَدَأٌ في النفوس كالعلم بأن الشيء لا يخلو من وجوده أو عدمه.
وما يدرك بالحواس الخمس كالشم والذوق والحرارة والبرودة وغيرها.

والثاني: مكتسب وهو ما يدرك بطول التجربة، وفرط الذكاء وجودة الحدس، وصحة القريحة، وحسن البديهة^(٢).

- صحيح المعقول: هو فكر العقل الخالي من العاهات السالم من الهوى والشهوات الموصل إلى علم أو غلبة ظن.
- أقسام المصادر العقلية:

تنقسم المصادر العقلية المتفق على صحتها إلى قسمين:
الأول: الإجماع:

- تعريفه:

لغة: الاتفاق، يقال: أجمع القوم على كذا إذا اتفقوا عليه، ويطلق على العزم المصمم ومنه قوله تعالى: ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس، الآية: ٧١]^(٣).

اصطلاحًا: هو اتفاق علماء العصر من أمة محمد ﷺ بعد وفاته على أمر من أمور الدين^(٤).
- أقسامه:

(١) انظر: مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي (١/١٠٩).

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (٢١ - ٢٣) (بتصرف).

(٣) مذكرة في أصول الفقه - للشنقيطي (١٧٩).

(٤) المصدر نفسه.

ينقسم الإجماع إلى قسمين:
 الأول: القطعي وهو القولي المشاهد أو المنقول بعدد التواتر. وهو الصحيح الذي يعتبر حجة قاطعة.
 الثاني: الظني كالسكوتي المنقول بالآحاد. وهو غير الصحيح ولا يعتبر حجة قاطعة^(١).

- حجية الإجماع:

(إذا علم الإجماع فهو حجة قطعية. ومعنى ذلك أنه يُصَيِّرُ المسألة المجتهد فيها قطعية الحكم لا تصلح بعد ذلك أن تكون محلاً للنزاع ولا يلتفت لما خالفه من الأدلة الظنية وحجيته مأخوذة من استحالة الخطأ على الأمة بأسرها)^(٢).

وقد تضافرت الأدلة القرآنية والنبوية على حجية الإجماع.
 أولاً: الأدلة القرآنية:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء، الآية: ١١٥].
 ووجه الاستدلال: أن في الآية التوعد على اتباع غير سبيل المؤمنين، وسبيلهم هو ما أجمعوا عليه^(٣).

وقال تعالى: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران، الآية: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء، الآية: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى، الآية: ١٠].

ووجه الدلالة من الآيات: أن ما اتفقت عليه فهو حق.

ثانياً: الأدلة من السنة:

- عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»^(٤).

أي ظاهرين بالحجة والبيان، ولا معنى للظهور إذا اختلفت.
 وهناك أدلة أخرى لا تصح أعرضت عنها تفيد بالفاظ مختلفة مع اتفاق

(١) المصدر نفسه.

(٢) أصول الفقه - للخضري بك (٢٨٥).

(٣) مذكرة في أصول الفقه - للشنيطي (١٧٩).

(٤) صحيح البخاري (٢٦٦٧/٦) (٦٨٨١).

المعنى عصمة هذه الأمة من الخطأ. وهذا حق كما تقرر ذلك من القرآن الكريم.

القسم الثاني: القياس.

- التعريف:

لغة: عبارة عن التقدير^(١).

- اصطلاحاً: عبارة عن المعنى المستنبط من النص لتعديدية الحكم المنصوص عليه إلى غيره؛ وهو الجمع بين الأصل والفروع في الحكم^(٢).

- أركان القياس:

أركان القياس أربعة وهي كالاتي:

١ - الأصل: وهو المشبه به.

٢ - الفرع: وهو المشبه.

٣ - العلة: وهي الوصف الجامع بين الفرع والأصل.

٤ - الحكم: وهو ما ثبت للفرع بعد ثبوته لأصله. وهو ثمرة القياس^(٣).

* الأدلة على حجية القياس:

إذا توافرت صحة القياس أصبح حجة ومصدراً من مصادر الإحسان.

أولاً: الأدلة من الكتاب:

(قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ...﴾ الآية) [المائدة، الآية: ٩٥].

ثانياً: الأدلة من السنة:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أُمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها قال: «نعم حجي عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته. اقضوا الله فالله أحق بالوفاء»^(٤).

- وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «في بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيه أجر، فقال: أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه فيه وزر فكذلك إذا وضعها في الحلال

(١) التعريفات للجرجاني (١٨١).

(٢) التعريفات للجرجاني (١٨١).

(٣) إرشاد الفحول للشوكاني (٢٠٤).

(٤) صحيح البخاري (٦٥٦/٢) (١٧٥٤).

كان له أجر»^(١).

قال ابن حبان رحمه الله: (هذا خبر أصل في المقاييسات في الدين)^(٢).

- الأدلة من الإجماع:

قال ابن عقيل الحنبلي رحمه الله عن حجية القياس: (وقد بلغ التواتر المعنوي عن الصحابة [رضي الله عنهم] باستعماله وهو قطعي)^(٣).

وقال الرازي رحمه الله: (الإجماع هو الذي عوّل عليه جمهور الأصوليين)^(٤).

وقال ابن دقيق العيد رحمه الله: (عندي أن المعتمد اشتهاه العمل بالقياس في أقطار الأرض شرقاً وغرباً قرنًا بعد قرن عند جمهور الأمة إلا عند شذوذ متأخرين)^(٥).

(١) صحيح ابن حبان (الإحسان) (٤٧٥/٩) (٤١٦٧).

(٢) المصدر نفسه (٤٧٥/٩) (٤١٦٧).

(٣) نقلًا عن إرشاد الفحول (٢٠٣).

(٤) إرشاد الفحول (٢٠٣).

(٥) المرجع نفسه (٢٠٣).

المبحث الثالث
منزلة العقل مع النقل،
وخطر استقلال العقل عن النقل

وفيه مطلبان:
المطلب الأول: منزلة العقل مع النقل
المطلب الثاني: خطر استقلال العقل عن النقل

المطلب الأول منزلة العقل مع النقل

إن الشريعة الإسلامية حينما أباحت للعقل السليم النظر في تقرير حكم لم يرد فيه نص سمعي كان ذلك منها احترامًا للعقل وإثابة منها له على اجتهاده، إلا أن العقل له منزلة لا بد أن يقف عندها.

قال الشاطبي رحمه الله: الأدلة العقلية إذا استعملت في هذا العلم وغيره فإنما تستعمل مركبة على الأدلة السمعية أو معينة في طريقها أو محققة لمناطقها أو ما أشبه ذلك، لا مستقلة بالدلالة لأن النظر فيها نظر في أمر شرعي والعقل ليس بشارع، وهذا مبين في علم الكلام، فإذا كان كذلك فالمعتمد بالقصد الأول الأدلة الشرعية^(١). [ثم قال]: وإذا تعاضد النقل والعقل على المسائل الشرعية فعلى شرط أن يتقدم النقل فيكون متبوعًا ويتأخر العقل فيكون تابعًا، فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا بقدر ما يسرحه النقل^(٢).

وهذا موطن اتفاق بين عموم المسلمين أن الحكم لله تعالى ليس لأحد غيره.

وأما موطن الخلاف فهل مُعَرَّفُ الحكم للمكلفين هم الرسل عليهم الصلاة والسلام فقط أم أن العقل يدرك حكم الله تعالى في الفعل بناء على ما يدركه من حُسنٍ فيه أو قُبْحٍ.

والحق (أن من الصفات ما يدرك بضرورة العقل، كحسن إنقاذ الغرقى والهلكى، وشكر المنعم، والصدق، وقبح الكفران للنعم، وإيلاء البريء، والكذب.

ومنها ما يدرك بنظر العقل، كحسن الصدق الذي ليس فيه ضرر، وقبح الكذب الذي ليس فيه نفع.

ومنها ما يدرك بالسمع، كحسن الصلاة، والحج، وسائر العبادات لكن العقل لا يستقل بمعرفتها^(٣).

وهنا نلاحظ أن العقل الصحيح يقر حسن شكر المنعم، ويقبح إيلاء البريء، وهذا صواب إلا أنه لا يترتب على هذا التحسين أو التقبيح حكم شرعيٍّ أمرًا أو نهياً ثوابًا أو عقابًا لأن ذلك من خصائص الشارع الحكيم.

(١) الموافقات (١٣/١) (بتصرف).

(٢) الموافقات (٥٣/١).

(٣) أصول الفقه - لمحمد الخضري (٢٤).

وهذا هو الصواب القاطع أن معرفي حكم الله هم رسله عليهم الصلاة والسلام ولا خلاف بين النقل الصحيح، والعقل الصحيح هنا إلا أن تحسين النقل الصحيح وتقبيحه للأفعال معصوم، وتحسين العقل وتقبيحه غير معصوم، لأن العقول يطرأ عليها الفساد بمؤثر خارجي فتتغير أحكامها. كما أن التحسين والتقبيح ليس في طاقة كل العقول. وأما ما يدرك بالسمع فلا يمكن للعقل الاستقلال بمعرفة حسنه أو قبحه من باب أولى^(١).

والخلاصة أن منزلة العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد فوجب عليه اتباعه وعدم الامتنان عليه، لأن الخروج عليه اتباع للهوى فالعقل إذا لم يكن متبعاً للشرع لم يبق له إلا الهوى والشهوة واتباع الهوى ضلال مبين^(٢). قال الله تعالى: ﴿يٰۤاٰدَمُ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيْفَةً فِى الْاَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اِنَّ الَّذِيْنَ يَضِلُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌۢ بِمَا نَسُوْا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص، الآية: ٢٦].

(١) انظر: الاعتصام (١/٥١) (بتصرف).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١٨٢) (بتصرف).

المطلب الثاني خطر استقلال العقل عن النقل

إذا استقل العقل عن النقل في تقرير الأحكام الشرعية جنح إلى الهوى قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص، الآية: ٥٠].

والهوى صاد عن الخير، وعدو يغال العقل، لأنه ينتج من الأخلاق قباثتها، ويظهر من الأفعال فضائحتها، ويجعل ستر المروءة مهتوكًا، ومدخل الشر مسلوکًا. قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ﴾ [الجاثية، الآية: ٢٣]. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّكُمْ فُتِنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: قال: بالشهوات واللذات، ﴿وَتَرَبَّصْتُكُمْ﴾: بالتوبة، ﴿وَأَرْبَبْتُمْ﴾: أي شككتكم في الله، ﴿وَعَزَّزْتُكُمْ الْأَمَانِيَّ﴾: قال: طول الأمل، ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: يعني الموت، ﴿وَعَزَّزْتُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [الحديد، الآية: ١٤]: يعني: الشيطان^(١). - أسباب الهوى.

الأسباب التي يغلب بها الهوى على العقل سببان:
السبب الأول: قوة سلطانه.

يقوى سلطان الهوى على العقل بكثرة دواعيه، وذلك أن النفس البشرية قابلة للخير والشر، حتى إذا غلب عليها السوء أصبحت تأمر به وتنهى عن ضده، ومن هنا يستولي على العقل غلبة الهوى والشهوات، فيكلل العقل عن دفعها، ويضعف عن منعها، مع وضوح قبحها في العقل المقهور بها، وهذا يكون في الأحداث أكثر، وعلى الشباب أغلب، لقوة شهواتهم وكثرة دواعي الهوى المتسلط عليهم، وأنهم ربما جعلوا الشباب عذرًا لهم، عند ذلك تنقلب موازين العقل فتتبدل أحكامه حسنًا وقبحًا.

- والنجاة من ذلك: أن يعتصم العقل بالكتاب والسنة في إيقاظ النفس اللوامة، فيشعرها مافي عواقب الهوى، من شدة الضرر، وقبح الأثر، وكثرة الإجرام، وتراكم الآثام فقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»^(٢). فأخبر أن

(١) الدر المنثور للسيوطي (٢٥٣/٦) وقوله: طول الأمل عن محبوب الليثي. المرجع نفسه.

(٢) صحيح مسلم (٢١٧٤/٣) (٢٨٢٢).

الطريق إلى الجنة: باحتمال المكاره، والطريق إلى النار: باتباع الشهوات. فإذا استعصم العقل بالكتاب والسنة انقادت النفس له بما قد أُشْعِرَتْ من عواقب الهوى، لم يلبث الهوى أن يصير مدحوراً، بعد أن تعرف النفس مالها عند الله من الثناء الحسن والثواب الجزيل قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات، الآية: ٤٠ - ٤١].

وأما السبب الثاني: فهو أن يُخْفِيَ الهوى مَكْرَهُ، حتى يُمَوِّه أفعاله على العقل، فيتصور القبيح حسناً، والضرر نفعاً، وله داعيان:

الأول: أن يكون للنفس ميل إلى ذلك الشيء فيخْفِيَ عنها القبيح، لحسن ظنّها، وتتصوره حسناً، لشدة ميلها.

والثاني: استثقال الفكر في تمييز ما اشتبه، وطلب الراحة في اتباع مايسهل، حتى يظن أن ذلك أوفق أمريه، وأحمد حاله، اغتراراً بأن الأسهل محمود، والأعسر مذموم.

- والنجاة من ذلك: أن يجعل فكر قلبه، حكماً على نظر عينه، فإن العين رائد الشهوة، والشهوة من دواعي الهوى، والقلب رائد الحق، والحق من دواعي العقل.

قال العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه: إذا اشتبه عليك أمران، فدع أحبهما إليك. وخذ أثقلهما عليك.

خامساً: الفرق بين الهوى والشهوة:

فرق ما بين الهوى والشهوة مع اجتماعهما في العلة والمعلول، واتفاقهما في الدلالة والمدلول، أن الهوى مختص بالآراء والاعتقادات، والشهوة مختصة بنيل المستلذات، فصارت الشهوة من نتائج الهوى، وهي أخص، والهوى أصل، وهو أعم.

- والنجاة من ذلك: سؤال الله أن يكفي العبد دواعي الهوى، ويصرف عنه سبل الردى ويجعل التوفيق له قائداً، والعقل له مرشداً ثم ليتدبر القرآن والسنة. فإذا ضم العبد هذه النجاة مع ماسبق كانت له السلامة والرشاد^(١).

- نتائج استقلال العقل عن النقل:

ينتج عن استقلال العقل عن النقل في تقرير الأحكام الشرعية الاعتراض على أسماء الله وصفاته سبحانه وتعالى وذلك بالشبه الباطلة، والاعتراض على شرعه وأمره بالآراء والأقيسة الباطلة، والاعتراض على

(١) انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (٢٩ - ٤٠) باختصار وتصرف.

حقائق الإيمان والشرع بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات
الشیطانية، والاعتراض على السياسة الشرعية بالقوانين الوضعية والاعتراض
على أفعال الله وقضائه وذلك بعدم التسليم والرضى.^(١)

فجعلت كل طائفة قبالة دين الله وشرعه طاغوتاً يتحاكمون إليه.
* والحكم على هذه النتيجة:

أن كل من اعترض فلا يخلو إما أن يعارض أمراً معلوماً من الدين
بالضرورة ففاعل ذلك خرج من ملة الإسلام ولا حظ له فيها. وإما أن
يعارض أمراً دون ذلك فيكون فاعل ذلك مرتكباً بدعة وهي أشد من الكبيرة
وسوف يأتي الحديث عنها في شروط الإحسان في الفصل الخامس المبحث
الثاني منه بإذن الله.

(١) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم (٧١/٢-٧٤).

الفصل الثالث في مكانة الإحسان

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: بيان مكانته

المبحث الثاني: بيان النصوص الواردة في الدعوة إليه

المبحث الثالث: بيان النصوص الواردة في النهي عن ضده

المبحث الرابع: الفرق بين مراتب الدين الثلاثة

المبحث الأول بيان مكانة الإحسان

يحتل الإحسان أعلى المنازل الدينية وأكملها، وهو الغاية القصوى للعابدين، والمكانة السامية للمشمرين، وأهله أشرف خلق الله أجمعين. يتقرر ذلك من عدة وجوه:

الوجه الأول: أنه أعلى مراتب الدين إذ أن الدين الخاتم الذي أتمه الله، وأكمّله، وارتضاه لعباده ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان. يدل على ذلك قول النبي ﷺ في آخر حديث جبريل عليه السلام: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم»^(١). وذلك بعد أن سأل جبريل النبي ﷺ عن تلك المراتب.

وأعلى هذه المراتب الثلاث مرتبة الإحسان قال ابن تيمية رحمه الله: (جعل النبي ﷺ الدين ثلاث درجات أعلاها «الإحسان» وأوسطها «الإيمان» ويليها الإسلام)^(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: (ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة «الإحسان». وهي لب الإيمان وروحه وكماله، وهذه المنزلة تجمع جميع المنازل فجميعها منظومة فيها وكل ما قيل من أول الكتاب [يعني مدارج السالكين]. إلى هنا فهو من الإحسان)^(٣).

الوجه الثاني: أن الله تعالى اتصف بصفة الإحسان وأحب المحسنين، وكل صفة اتصف الله بها فإنها ولا ريب صفة كمال من كل الوجوه ليس فيها نقص، كما أن الله تعالى أحب المحسنين، وكل محبوب له تعالى فإنه بمنزلة عنده وإنما أحبهم بسبب إحسانهم قال تعالى واصفًا نفسه جلًّا وعلا بالإحسان: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ رِزْقًا﴾ [الطلاق، الآية: ١١]. وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص، الآية: ٧٧]. وقال تعالى عن محبته للمحسنين: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥].

الوجه الثالث: أن الإحسان صفة من صفات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وكذا من صفات صالح بني آدم وهم السابقون بالخيرات. قال الله

(١) صحيح البخاري (٢٧/١) (٥٠).

(٢) الفتاوى (٧/٧).

(٣) مدارج السالكين (٢/٤٧٨ - ٤٧٩).

قال الله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف، الآية: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [الصافات، الآية: ١١٣]. وقال تعالى: ﴿ مَتَّعْنَا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة، الآية: ٢٣٦]. وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ﴾ [فاطر، الآية: ٣٢].

الوجه الرابع: أن الإحسان قدر زائد على مجرد أداء الطاعات. قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي الشَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٤]. قال الشوكاني رحمه الله في قوله ﴿ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ ﴾: (أي التاركين عقوبة من أذنب إليهم واستحق المؤاخذه، وذلك من أجل ضروب الخير)^(١).

وعن الثوري رحمه الله: (الإحسان أن تحسن إلى المسيء، فإن الإحسان إلى المحسن تجارة)^(٢). أي معاوضة للإحسان بالإحسان.

وهكذا فهمه السلف: (فعن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت ذات يوم بصحفة فيها مَرَقَةٌ حَارَّةٌ، وعنده أضياف فعثرت فصبت المرققة عليه، فأراد ميمون أن يضربها، فقالت الجارية: يامولاي، استعمل قوله تعالى ﴿ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ ﴾. قال لها: قد فعلت. فقالت: اعمل بما بعده ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ فقال: قد عفوت عنك. فقالت الجارية: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ قال ميمون: قد أحسنت إليك، فأنت حرّة لوجه الله تعالى)^(٣).

فإذا كان هذا في الإحسان الذي هو بمعنى الإنعام على الغير وصنع الجميل بهم فإنه كذلك في الإحسان الذي هو بمعنى المشاهدة لله بعين البصيرة. فهي حالة زائدة عن أداء الطاعات مع استشعار العبد مراقبة الله له.

الوجه الخامس: عظم منزلة المحسنين في الآخرة وإن كانوا فاسقين. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أن امرأة بغياً^(٤) رأت كلباً في يوم حارٍّ يُطِيفُ ببئر. قد أدلّع لسانه من العطش. فنزعت له بموقها^(٥). فغفر

(١) فتح القدير (١/٣٨١).

(٢) تفسير البغوي (١/٢٧٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - (٣/١٣٥).

(٤) بغياً: زانية.

(٥) فنزعت له بموقها: أي سقت له بحذاثها.

لها»^(١).

الوجه السادس: قلة المحسنين في جنب المسلمين والمؤمنين دليل على شرف الإحسان. قال ابن تيمية رحمه الله: (وأما الإحسان فهو أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإيمان، والإيمان أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإسلام فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام والمحسنون أخص من المؤمنين والمؤمنون أخص من المسلمين)^(٢).

الوجه السابع: الدعاء ببلوغ مرتبة الإحسان في كل قراءة للفتحة، كما قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة، الآية: ٦، ٧]. وصراط المنعم عليهم هو الإحسان، والمنعم عليهم هنا أصناف: المحسنون وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون.

الوجه الثامن: أنه أمنية الكافرين لو عادوا إلى الدنيا مرة ثانية، كما قال تعالى عنهم: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنِّي كُنتَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٨]. وذلك لما يرون من رفعة منزلة المحسنين في الآخرة.

الوجه السابع: شدة عناية القرآن الكريم بالإحسان. قد بلغت عناية القرآن الكريم بالإحسان إلى درجة أن هذه اللفظة وما يتصرف منها والألفاظ ذات الصلة بها وردت في مئات المواضع منه، وفي ذلك دلالة واضحة على علو مكانته.

الوجه الثامن: شدة عناية السنة النبوية بالإحسان. حيث بلغت بدون المكرر قرابة مائة وخمسين حديثاً أما ماورد بالألفاظ ذات الصلة بالموضوع فأضعاف ذلك وفي هذه الكثرة التي أخذت حيزاً من السنة برهان على أهمية الإحسان ورفعة منزلته.

وفيما يأتي من الفصول القادمة تتجلى هذه الحقيقة.

(١) صحيح مسلم (١٧٦١/٢) (٢٢٤٥).

(٢) الفتاوى (١٠/٧).

المبحث الثاني بيان النصوص الواردة في الدعوة إلى الإحسان

لما كان الإحسان أعلى مراتب الدين والمحسنون هم خواص المؤمنين جاءت النصوص الشرعية الدالة عليه على نوعين أحدهما: ماجاء على صيغة الإخبار. الثاني: ماجاء على صيغة الإنشاء. وهو أضرب كثيرة منها: الأمر: وهو طلب الفعل. والنهي: وهو طلب الكف. سواء أكان طلب الفعل على سبيل الوجوب أم الاستحباب، وكذا طلب الكف سواء أكان على سبيل التحريم أم الكراهة.

والنوع الأول: وهو ماجاء على صيغة الإخبار وقد يكون فيه معنى الإنشاء الطلبي سواء طلب الفعل أم طلب الكف. يعرف ذلك بالسياق والقرائن. وهذا هو الغالب في الجمل الخبرية الواردة في الإحسان. - والنصوص الواردة في الدعوة إليه على النحو الآتي:
أولاً: الأمر بالإحسان:

أ - ماجاء على صيغة الإنشاء الطلبي على سبيل الأمر:
قال الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص، الآية: ٧٧].
وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت، الآية: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥].
وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة، الآية: ٨٣].
وقال تعالى: ﴿وَوَضِعْنَا الْإِنْسَانَ بِالْذِّكْرِ حَسَنًا﴾ [العنكبوت، الآية: ٨].
وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل، الآية: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِنَحِيَةٍ فَنَحِيَةٌ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ [النساء، الآية: ٨٦].
وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء، الآية: ٥٣].
وقال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت، الآية: ٣٤].
وقال تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف، الآية: ١٤٥].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْسَعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة، الآية: ١٧٨].
وقال تعالى: ﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَأَمَّا كُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل، الآية: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ...﴾ [البقرة، الآية: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ [النساء، الآية: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأَنْعَام، الآية: ١٥١].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإِسْرَاء، الآية: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الأحقاف، الآية: ١٥].
وقال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة، الآية: ٢٣٦].

والأمر بالشيء نهى عن ضده.

ب - ماجاء على سبيل الإخبار وفيه معنى الإنشاء الطلبي:
وهو الغالب في الآيات الخبرية التي وردت في الإحسان فإن فيها معنى الإنشاء الطلبي سواء طلب الفعل أم طلب الترك.
أ - الأمثلة من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء، الآية: ١٢٥]. فهذه الآية من باب الخبر وفيها معنى الإنشاء الطلبي أي طلب الفعل.

والمعنى: أن الله تعالى يخبر أنه لا أحد أفضل ديناً ممن أخلص نفسه لله حالة كونه محسناً: أي عاملاً للحسنات كأنه يرى الله تعالى بقلبه حال عمله، متبعاً للتوحيد مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الإسلام^(١).

ومعنى الإنشاء الطلبي فيها: أخلصوا وأتقنوا أعمالكم لله كأنكم تنظرون إليه بقلوبكم.

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف، الآية: ٣٦].

هذه الآية جملة خبرية، يخبر الله سبحانه وتعالى عن مقالة شخصين سجنا مع يوسف عليه السلام وطلبا منه تفسير رؤياهما وعللا ذلك بأنهما

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (٥١٩/١) بتصرف.

رأياه من المحسنين. لكن فيها معنى الإنشاء الطلبي أي اقتدوا بيوسف عليه السلام في إحسانه مع الناس.

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان، الآية: ٢ - ٣].

وكذلك هذه الآية جملة خبرية يخبر الله تعالى فيها أن آيات الكتاب هداية ورحمة لعباده المحسنين. لكنها تخرج إلى الإنشاء الطلبي: أي أحسنوا عبادة ربكم تهتدوا بكتابه وتتراحموا بينكم وترحموا أنفسكم ويرحمكم الله به.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل، الآية: ١٢٨].

وهذه الآية أيضًا جملة خبرية يخبر الله تعالى أن معيته التي من لوازمها الحفظ والنصرة والتأييد حاصلة لأهل التقوى وأهل الإحسان. لكنها تخرج إلى معنى الإنشاء الطلبي أي اتقوا الله وأحسنوا أعمالكم يكن معكم.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦١﴾﴾ [الرحمن، الآية: ٦٠].

وكذلك هذه الآية جملة خبرية يخبر الله تعالى بعد أن نبه بالاستفهام للتشويق أن جزاء أهل الإحسان في الدنيا إحسان الله لهم في الآخرة، لكنها تخرج إلى الإنشاء الطلبي أي أحسنوا أعمالكم في الدنيا يحسن الله مآلكم في الآخرة.

ب - الأمثلة من السنة النبوية:

١ - ماجاء منها على صيغة الإنشاء الطلبي على سبيل الأمر:

- عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ. قال: إن الله كتب الإحسان على كل شيء. فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته»^(١).

قال ابن عبد البر - رحمه الله -: «وظاهره يقتضي أنه كتب على كل مخلوق الإحسان فيكون كل شيء أو كل مخلوق هو المكتوب عليه، والمكتوب هو الإحسان.

وقيل: إنَّ المعنى: إنَّ الله كتب الإحسان إلى كل شيء، أو في كل شيء، أو كتب الإحسان في الولاية على كل شيء، فيكون المكتوب عليه غير مذكور، وإنَّما المذكور المحسن إليه.

ولفظ «الكتابة» يقتضي الوجوب عند أكثر الفقهاء والأصوليين خلافًا لبعضهم، وإنَّما استعمال لفظة الكتابة في القرآن فيما هو واجب حتم إمَّا

(١) صحيح مسلم (٢/١٥٤٨) (١٩٥٥).

شرعاً، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ [البقرة، الآية: ١٨٢]. أو فيما هو واقع قدرًا لا محالة، كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة، الآية: ٢١].

وقال النبي ﷺ في قيام شهر رمضان: «إني خشيت أن يكتب عليكم»^(١).

وحينئذ فهذا الحديث نصٌّ في وجوب الإحسان، وقد أمر الله تعالى به، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل، الآية: ٩٠]. وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥].

وهذا الأمر بالإحسان تارة يكون للوجوب كالإحسان إلى الوالدين والأرحام بمقدار ما يحصل به البر والصلة والإحسان إلى الضيف بقدر ما يحصل به قراه.

وتارة يكون للندب كصدقة التطوع ونحوها.

وهذا الحديث يدل على وجوب الإحسان في كل شيء من الأعمال، لكن إحسان كل شيء بحسبه، فالإحسان في الإتيان بالواجبات الظاهرة والباطنة: الإتيان بها على وجه كمال واجباتها، فهذا القدر من الإحسان فيها واجب، وأمّا الإحسان فيها بإكمال مستحباتها فليس بواجب والإحسان في ترك المحرمات: الانتهاء عنها، وترك ظاهرها وباطنها، كما قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْاِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام، الآية: ١٢٠]. فهذا القدر فيها واجب.

وأما الإحسان في الصبر على المقدورات، فإنه يأتي بالصبر على وجهه من غير تسخط ولا جزع.

والإحسان الواجب في معاملة الخلق ومعاشرتهم: القيام بما أوجب الله من حقوق ذلك كله، والإحسان الواجب في ولاية الخلق وسياستهم، القيام بواجبات الولاية كلها، والقدر الزائد على الواجب في ذلك كله إحسان ليس بواجب.

والإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب: إزهاق نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها وأوخطاها من غير زيادة في التعذيب، فإنه إيلاام لا حاجة إليه، وهذا النوع هو الذي ذكره النبي ﷺ في هذا الحديث، ولعله ذكره على سبيل المثال، أو لحاجته إلي بيانه في سلك الحال فقال: «وإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبائح» والقتلة والذبحة بالكسر، أي الهيئة، والمعنى: أحسنوا هيئة الذبح، وهيئة القتل، وهذا يدل على وجوب الإسراع في إزهاق النفوس التي يباح إزهاقها على أسهل الوجوه،

(١) صحيح البخاري (٧٢٩/١) من حديث عائشة - رضي الله عنها -.

وقد حكى ابن حزم الإجماع على وجوب الإحسان في الذبيحة، وأسهل وجوه قتل الآدمي ضربه بالسيف على العنق» قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُم فَشَدُّوا الوُثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد، الآية: ٤] (١).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل» (٢).

أي: يعتقد اعتقادًا حسنًا.

- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله. قال: «فهل من والديك أحد حي؟». قال: نعم، بل كلاهما. قال: «أفتبتغي الأجر من الله؟». قال: نعم، قال: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما» (٣).

- وعن عائشة رضي الله عنها تقول: سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء وهو يقول والله لا أفعل فخرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: «أين المتألي على الله لا يفعل المعروف فقال: أنا يارسول الله وله أي ذلك أحب» (٤).

والمعروف هنا هو الخير والإحسان.

- عن أبي ذر رضي الله عنه قال إن خليلي ﷺ أوصاني: «إذا طبخت مرقًا فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فأصبهم منها بمعروف» (٥).

أي بإحسان.

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن معاذ بن جبل أراد سفرًا، فقال: يانبي الله أوصني، قال: «اعبد الله ولا تشرك به شيئًا». قال: يانبي الله زدني، قال: «إذا أسأت، فأحسن»، قال: يارسول الله زدني. قال: «استقم، وليحسن خلقك» (٦).

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً توضعاً فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبي ﷺ فقال: «ارجع فأحسن وضوءك فرجع ثم

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٨٠-٣٨٢) باختصار.

(٢) صحيح مسلم (٣/ ٢٢٠٥) (٢٨٧٧).

(٣) صحيح مسلم (٢/ ١٥٤٨) (١٩٥٥).

(٤) صحيح البخاري (٢/ ٩٦٣) (٢٥٥٨).

(٥) صحيح مسلم (٣/ ٢٠٢٥) (٢٦٢٥).

(٦) صحيح ابن حبان (الإحسان) (٢/ ٢٨٣) (٥٢٤) وإسناده صحيح.

صلى)»^(١). والإحسان هنا بمعنى الإتيان.

- عن عمران بن حصين رضي الله عنه، أن امرأة من جهينة أتت نبي الله ﷺ وهي حبلى من الزنى فقالت يا نبي الله أصبت حدًا فأقمه عليّ فدعا نبي الله ﷺ وليها فقال: «أحسن إليها فإذا وضعت فأتني بها ففعل فأمر بها نبي الله ﷺ فشكت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها...»^(٢).
والإحسان هنا بمعنى الإنعام على الغير وصنع الجميل بهم.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة كن ورعًا، تكن أعبد الناس، وكن قنعا تكن أشكر الناس. وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب»^(٣). ومعنى أحسن جوار من جاورك: أي: أنعم عليه ببذل الندى وكف الأذى.

٢ - ما جاء من أحاديث الإحسان على سبيل الإخبار وفيه معنى الإنشاء الطلبي سواء طلب الفعل أم طلب الترك.
الأمثلة على ذلك:

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها وكان بعد ذلك القصاص: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها، إلا أن يتجاوز الله عنها»^(٤).

وهذه الجملة خبرية يخبر النبي ﷺ عن ثواب من حسن إسلامه لكن فيها معنى الإنشاء الطلبي أي أحسنوا إسلامكم إذا أسلمتم يكفر الله عنكم سيئاتكم التي اقترفتموها وفعلتموها..

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءني امرأة، ومعها ابنتان لها. فسألني فلم تجد عندي شيئا غير تمر واحدة، فاعطيتهما إياها، فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئا، ثم قامت فخرجت وابنتها فدخل عليّ النبي ﷺ فحدثته حديثا. فقال النبي ﷺ: «من ابتلى من البنات بشيء، فأحسن إليهن، كن له سترا من النار»^(٥).

وهذه الجملة كذلك خبرية. يخبر النبي ﷺ عن أنعم إلى البنات

(١) صحيح مسلم (٢١٥/١) (٢٤٣).

(٢) صحيح مسلم (١٣٢٤/٢) (١٦٩٦).

(٣) سنن ابن ماجه (١٤١٠/٢) (٤٢١٧). وقال البوصيري في الزوائد: إسناده حسن.

(٤) صحيح مسلم (١١٧/١) (١٢٩).

(٥) صحيح مسلم (٢٠٢٧/٣) (٢٦٢٩).

وصنع بهن الجميل أن الله يجعل ذلك الإحسان إليهن سترًا له من النار.
ولكن فيها معنى الإنشاء الطلبي: أي أحسنوا تربية البنات يكن لكم
سترًا من النار.

- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«مامن امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها
وركوعها، إلا كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم يؤت كبيرة وذلك
الدهر كله»^(١).

وهذه الجملة خبرية يخبر النبي ﷺ أن من أتقن وضوء الصلاة
وخشوعها وركوعها كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة
وذلك الدهر كله. لكن فيها معنى الإنشاء الطلبي: أي أحسنوا وضوء
صلاتكم وخشوعها وركوعها تكن لكم كفارة. . . .

ثانيًا: الترغيب في الإحسان بما أعده الله للمحسنين من النعيم في
الدنيا والآخرة.

وهذا لون آخر من أساليب القرآن الكريم والسنة النبوية في الدعوة إلى
بلوغ مرتبة الإحسان العليا.

أ - الآيات القرآنية:

الأمثلة:

١ - مضاعفة الأجر للمحسنين:

قال تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة، الآية: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ
أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران، الآية: ١٧٢].

٢ - نفي الخوف والحزن عن أهل الإحسان:

قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة، الآية: ١١٢].

٣ - محبة الله للمحسنين:

قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥].

٤ - الخلود في الجنات:

قال الله تعالى: ﴿فَأَثْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة، الآية: ٨٥].

٥ - النظر إلى وجه الله تعالى في جنات النعيم:

(١) صحيح مسلم (٢٠٦/١) (٢٢٨).

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس، الآية: ٢٦]. والحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى.

ب - الأحاديث النبوية.

١ - خيار المسلمين أهل الإحسان.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخيركم؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: خياركم أطولكم أعماراً، وأحسنكم أعمالاً»^(١).

٢ - أن حسن الإسلام يهدم الذنوب:

- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال أناس لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: «أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها، ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام»^(٢).

٣ - مضاعفة أجر المحسنين:

- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فأمن به واتبعه وصدقه، فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله تعالى، وحق سيده، فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاها، ثم أدبها فأحسن أدبها، ثم اعتقها وتزوجها، فله أجران»^(٣).

٤ - الذكر الحسن في الدنيا:

- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت؟ قال النبي ﷺ: «إذا سمعت جيرانك يقولون: أحسنت فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت، فقد أسأت»^(٤).

٥ - الفوز بالجنة والنجاة من النار:

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «لا يدخل أحد الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحد إلا

(١) مسند أحمد (٤٦٨/٢) (٧١٧١) وصحح إسناده أحمد شاكر - رحمه الله - في تعليقاته على المسند (١٩٩/٢) (٧٢١١).

(٢) صحيح مسلم (١١١/١) (١٢٠).

(٣) صحيح مسلم (١٣٤/١) (١٥٤).

(٤) سنن ابن ماجه (١٤١٢/٢) (٤٢٢٣). وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٤٠٢).

أَرِيَّ مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة»^(١).

(١) صحيح البخاري (٢٤٠٢/٥) (٦٢٠٠).

المبحث الثالث بيان النصوص الواردة في النهي عن ضد الإحسان

أ - الأمثلة من الآيات القرآنية:

أولاً: النهي عن الإساءة.

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٦٨ - ١٦٩].

في هذه الآية ينهى الله سبحانه وتعالى الناس عن اقتفاء أثر الشيطان وعمله، مبيناً أن كل ما لم يرد به الشرع فهو من أمر عدوكم الشيطان^(١). وأن من أعظم اقتفاء أثره وعمله العمل بالقبيح والفحشاء والقول على الله بلا علم.

وقال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [النساء، الآية: ١٤٨].

ونفي الحب هنا فيه معنى البغض وكل مبغوض منهي عنه والمعنى أنه لا يجوز لمن ظلم أن يتكلم بالكلام الذي هو من السوء في جانب من ظلمه إلا كأن يقول: فلان ظلمني أو هو ظالم، ومن صبر فهو خير له^(٢).

وقد يفهم النهي من خروج الجمل الخبرية إلى الإنشائية على سبيل الإنشاء الطلبي: أي طلب الكف أو الترك.

قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء، الآية: ١٧].

فهذه جملة خبرية يخبر المولى جل وعلا أن إحسان المحسن عائد عليه كما أن إساءة المسيء عائدة عليه. إلا أن فيها معنى الإنشاء الطلبي على سبيل النهي: أي انتهوا عن الإساءة فإنها عائدة عليكم بالشقاء في الدنيا والوزر في الآخرة.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر، الآية: ٤٣].

وهذه جملة خبرية يخبر الله تعالى أن من يتحرى فعل القبيح بحيلته^(٣)، فإن فعله ذلك نازل به ولا يصيب غيره. إلا أن فيها معنى الإنشاء

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (١/١٦٧) بتصرف.

(٢) فتح القدير - للشوكاني (١/٥٣١) باختصار.

(٣) انظر: المفردات للراغب (٤٩١، ١٣٦).

الطلبي على سبيل النهي: أي لا تتحروا بحيلكم فعل القبيح حتى لا تصيبكم عاقبته.

وهكذا في غالب الآيات المتعلقة بالإحسان.

ثانيًا: الآيات الواردة في الترهيب من الإساءة:

١ - أن الله أعد للمسيئين أقبح العقوبات في جهنم:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عِقَابَ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الروم، الآية: ١٠].

﴿اسْتَوُوا﴾ أي عملوا السيئات من الشرك والمعاصي و﴿السُّوءَ﴾ هي فعلى من السوء تأنيث الأسوأ، وهو الأقبح أي كان عاقبتهم العقوبة التي هي أسوأ العقوبات وقيل هي اسم لجهنم كما أن الحسنى اسم للجنة.

٢ - أن المسييء كالأعمى:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [غافر، الآية: ٥٨].

٣ - أن المسييء ضال:

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر، الآية: ٨].

٤ - أن ظن السوء من صفات المنافقين والمشركين:

قال الله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَرْفُ السُّوءِ﴾ [الفتح، الآية: ٦].

٥ - أن النفس الأمارة بالسوء خرجت عن رحمة الله فلم يعصمها:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف، الآية: ٥٣].

ب - الأمثلة من الأحاديث النبوية الواردة في النهي عن الإساءة والترهيب منها:

أولاً: النهي عن الإساءة:

١ - النهي عن منع الإحسان لمستحقه:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطي بها أكثر مما أعطي وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقطع بها مال رجل مسلم، ورجل منع فضل ماء فيقول الله اليوم أمتعتك فضلي كما منعت فضل مال مالم تعمل يداك»^(١).

(١) صحيح البخاري (٨٣٤/٢) (٢٢٤٠).

٢ - النهي عن كفر الإحسان: يعني جحوده.

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «أُرِيتُ النارَ فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن». قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط»^(١).

٢ - النهي عن الإساءة في الصلاة:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل فصلى، فسلم على النبي ﷺ فرد، وقال: «ارجع فصل، فإنك لم تصل». فرجع يصلي كما صلى، ثم جاء، فسلم على النبي ﷺ، فقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل». ثلاثاً، فقال والذي بعثك بالحق، ما أحسن غيرهُ، فعلمني؟ فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راکعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، وافعل ذلك في صلاتك كلها»^(٢).

٣ - النهي عن الإساءة في الوضوء:

- عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يسأله عن الوضوء، فأراه الوضوء ثلاثاً، ثلاثاً ثم قال: «هكذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم»^(٣).

٤ - النهي عن الرجوع في الإحسان:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: قال النبي ﷺ: «ليس لنا مثل السوء الذي يعود في هبته كالكلب يرجع في قيئه»^(٤).

ثانياً: الترهيب من الإساءة:

١ - الترهيب من إساءة الإمام في الصلاة:

- عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الإمام ضامن فإن أحسن، فله ولهم، وإن أساء يعني، فعليه ولا عليهم»^(٥).

(١) صحيح البخاري (١٩/١) (٢٩).

(٢) صحيح البخاري (٢٦٣/١) (٧٢٤).

(٣) سنن النسائي (٨٨/١) (١٤٠). وقال الألباني في صحيح سنن النسائي (٣١/١) (١٣٦) حسن صحيح.

(٤) صحيح البخاري (٩٢٤/٢) (٢٤٧٩).

(٥) سنن ابن ماجه (٣١٤/١) (٩٨١). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٦١/١).

٢ - مشروعية بغض المسيء في الله تعالى :

- عن أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه أن رجلاً مر على قوم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم والله إني لأبغض هذا في الله، فقال: أهل المجلس بئس والله ما قلت أما والله لننبئنه قُمْ يافلان رجلاً منهم فأخبره قال: فأدركه رسولهم فأخبره بما قال فانصرف الرجل حتى أتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله مررت بمجلس من المسلمين فيهم فلان فسلمت عليهم فردوا السلام فلما جاوزتهم أدركني رجل منهم فأخبرني أن فلاناً قال: والله إني لأبغض هذا الرجل في الله، فأدعاه فسأله على ما يبغضني فدعاه رسول الله ﷺ فسأله عما أخبره الرجل فاعترف بذلك وقال قد قلت له ذلك يارسول الله فقال رسول الله ﷺ: «فَلِمَ تبغضه» قال: أنا جاره وأنا به خابر والله مارأيتَه يصلي صلاة قط إلا هذه الصلاة المكتوبة التي يصليها البر والفاجر قال الرجل سله يارسول الله هل رأي قط آخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو أسأت الركوع والسجود فيها، فسأله رسول الله ﷺ فقال: لا، ثم قال: والله مارأيتَه يصوم قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر، قال: يارسول الله هل رأي قط أفطرت فيه أو انتقصت من حقه شيئاً، فسأله رسول الله ﷺ، فقال: لا، ثم قال: والله مارأيتَه يعطي سائلاً قط، ولا رأيته ينفق من ماله شيئاً في سبيل الله بخير إلا هذه الصدقة التي يؤديها البر والفاجر، قال: فسله يارسول الله هل كتمت من الزكاة شيئاً قط، أو ماكست فيها طالبها، قال: فسأله رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: لا، فقال له رسول الله ﷺ: «قُمْ إِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ»^(١).

٣ - الترهيب من الإساءة إلى ذي الرحم:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «الرحم شجرة»^(٢) من الرحمن عز وجل، تجيء يوم القيامة تقول: يارب قُطِّعْتُ، ياربي ظُلِمْتُ، ياربي أُسِيءَ إِلَيَّ»^(٣).

وفي رواية له: «قال فَيُجِيبُهَا أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك»^(٤).

٤ - أن مافي القلب من سوء سببه الشيطان :

- (١) مسند أحمد (٦/٦٣٦) (٢٣٢٩١) وإسناده صحيح.
- (٢) أي قرابة مشبكة كاشتباك العروق، شبهه بذلك مجازاً واتساعاً، وأصل الشُّجَّة شعبة في غصن من غصون الشجرة، النهاية في غريب الحديث (٢/٤٤٧).
- (٣) مسند أحمد (٢/٥٧١) (٧٨٧٢) وإسناده صحيح.
- (٤) مسند أحمد (٢/٨٤) (٨٧٥٢) وإسناده صحيح.

- عن صفية بنت حُيَّيٍّ رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفًا فأتته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام معي ليقلِّبني وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد فَمَرَّ رجلان من الأنصار فلما رآيا النبي ﷺ أسرعَا فقال النبي ﷺ: «على رِسْلِكُما إنها صفية بنت حُيَّيٍّ» فقالا: سبحان الله يارسول الله، قال: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدَّم وإنني خشيت أن يقذف في قلوبكما سُوءًا أو قال شيئًا»^(١).

٥ - قبح صور المسيئين في الآخرة:

- عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لنا: «أتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتھيا إلى مدينة مبنية بِلَبْنٍ ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شَطْرُ من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ وشطر كأقبح ما أنت راءٍ قالوا: لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السُّوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قالوا: لي هذه جنة عدنٍ وهاك منزلك قالوا أمَّا القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا تجاوز الله عنهم»^(٢).

٦ - الترهيب من جليس السوء:

- عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحًا خبيثة»^(٣).

(١) صحيح البخاري (٣/١١٩٥) (٣١٠٧).

(٢) صحيح البخاري (٤/١٧١٧) (٤٣٩٧).

(٣) صحيح البخاري (٥/٢١٠٤) (٥٢١٤).

المبحث الرابع الفرق بين مراتب الدين الثلاث

أولاً: مرتبة الإسلام.

التعريف:

لغة: الإسلام مصدر أسلم، وهو مأخوذ من مادة (س ل م) التي تدل في الغالب على الصحة والعافية.

ومن الباب الإسلام: وهو الانقياد، لأنه يَسْلَمُ من الإباء والامتناع^(١). والإسلام والاستسلام: الانقياد. يقال: فلان مُسْلِمٌ، وفيه قولان: أحدهما: هو المستسلم لأمر الله، والثاني: هو المخلص لله العبادة، من قولهم سَلَّمَ الشيء لفلان: أي خَلَّصَهُ، وسَلَّمَ الشيء له: أي خلص له^(٢).

اصطلاحاً: للإسلام حالتان:

الحالة الأولى: أن يذكر الإسلام غير مقترن بذكر الإيمان. وفي هذه الحالة يراد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله^(٣)، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران، الآية: ١٩]. وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة، الآية: ٣]. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران، الآية: ٨٥].

وهكذا فسرهُ النبي ﷺ عندما سأله معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: قلت: يارسول الله، بالذي بعثك بالحق، ما الذي بعثك به؟ قال: «الإسلام». قلت: وما الإسلام؟ قال: «أن تسلم قلبك لله، وتوجه وجهك إلى الله، وتصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة» وفي رواية له: قلت: وما آية الإسلام؟ قال: «أن تقول: أسلمت وجهي لله، وتخلّيت، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وكل مسلم على مسلم حرام»^(٤).

وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه سُئِلَ: أي المسلمين أفضل؟ فقال: «مَنْ سَلَّمَ المسلمون من لسانه ويده»^(٥).

ففي الحديث الأول ضمن ذلك أعمال القلب وبعض أعمال الجوارح

(١) مقاييس اللغة (٤٨٧).

(٢) اللسان (٢٩٣/١٢) (سلم).

(٣) انظر: معارج القبول للحافظ بن أحمد الحكيمي (٥٩٥/٢).

(٤) مسند أحمد (٦٢٢/٥) (١٩٥٢٠)، وسنن النسائي (٤/٥) (٢٤٣٦) وحسن الألباني

إسناد النسائي في صحيح سنن النسائي (٥١١/٢) (٢٢٨٥).

(٥) صحيح البخاري (١٣/١) (١١).

وفي الثاني فسر به بأعمال الجوارح.

الحالة الثانية: أن يذكر الإسلام مقترناً بالإيمان: فيكون المراد به الأعمال والأقوال الظاهرة^(١). كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات، الآية: ١٤].

وفي الآية أثبت الله لهم الإسلام الذي هو الأعمال والأقوال الظاهرة ونفى عنهم كمال الإيمان لا أصله لأن من ليس له أصل إيمان وإن كان ضعيفاً فإنه منافق وهم ليسوا كذلك^(٢).

ومن السنة مما يدل على ذلك حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً وسعد جالس، فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إليّ، فقلت: يا رسول الله، مالك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً، فقال: «أو مسلماً». فسكت قليلاً، ثم غلبنني ما أعلم منه، فعدت لمقالتني، فقلت: مالك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً فقال: «أو مسلماً». ثم غلبنني ما أعلم منه فعدت لمقالتني، عاد رسول الله ﷺ، ثم قال: «ياسعد إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكُبَّهُ الله في النار»^(٣).

وفي الحديث إشارة إلى أن الرجل لم يحقق مقام الإيمان وإنما هو في مقام الإسلام الظاهر وإن كان معه من الإيمان ما يخرج به من حد النفاق^(٤).

ثانياً: مرتبة الإيمان.

التعريف:

لغة: مصدر آمن وهو مأخوذ من مادة (أ م ن) التي تدل على معنيين هما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها: سكون القلب، والتصديق الذي هو ضد الكذب ومنه أخذ الإيمان قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف، الآية: ١٧]. أي بمصدق لنا^(٥).

اصطلاحاً: للإيمان حالتان:

الحالة الأولى: أن يذكر مفرداً غير مقترن بذكر الإسلام فيكون المراد به: الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله. الظاهرة والباطنة^(٦). كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

(١) انظر: معارج القبول (٢/٥٩٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٣٣٦).

(٣) صحيح البخاري (١/١٨) (٢٧).

(٤) انظر: جامع العلوم والحكم (١/١١٠).

(٥) انظر: مقاييس اللغة (٨٦ - ٨٧).

(٦) انظر: معارج القبول (٢/٥٩٧).

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال، الآية: ٢ - ٤]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ﴾ [النور، الآية: ٦٢].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(١).

وفي الآيات والحديث ذكر الأمور الاعتقادية الباطنة والعملية الظاهرة. وسمى كل ذلك إيمانًا.

وهذا دليل قول السلف الصالح رحمهم الله تعالى: أن الإيمان تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان^(٢). قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾ [الفتح، الآية: ٤].

الحالة الثانية: أن يذكر الإيمان مقروناً بالإسلام، فيكون المراد به الأمور الاعتقادية القلبية فقط^(٣) كما في حديث جبريل عليه السلام عندما سأل الرسول ﷺ عن الإسلام فأجاب بالأركان الخمسة وسأله عن الإيمان فأجاب بالأركان الستة. فيكون الإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء، الآية: ٥٧]^(٤).

ثالثاً: مرتبة الإحسان.

قال المناوي رحمه الله: «الإحسان إسلام ظاهر، يقيمه إيمان باطن، يكمله إحسان شهودي»^(٥).

ومعنى ذلك أن الإسلام هو تحسين الظاهر، والإيمان هو تحسين الباطن، والإحسان هو تحسين الظاهر والباطن. بحيث يقوم المحسن بعبادة ربه في حالة من الإتيان والإخلاص والخشوع والخضوع على وجه كأنه يشاهد الله تعالى بعين بصيرته.

(١) صحيح مسلم (١/٦٣) (٣٥).

(٢) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (٣٦٠، ٣٦٥).

(٣) انظر: معارج القبول (٢/٦٠٣).

(٤) انظر: الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤٦).

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف (٤١).

والإحسان بهذا الوصف أعم من الإسلام والإيمان كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (جعل النبي ﷺ الدين ثلاث درجات: أعلاها الإحسان، وأوسطها الإيمان، ويليها الإسلام، فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مؤمن محسنًا ولا كل مسلم مؤمنًا... [ثم قال] وأما الإحسان فهو أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه، والإيمان أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإسلام^(١)).

والحاصل: أنه إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ، بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله، وإن فرق بين الاسمين كما في حديث جبريل عليه السلام كان الفرق بينهما مافسر به الرسول ﷺ كلاً منهما في الحديث المذكور^(٢). وأما إذا ذكر الإحسان فإنه يطلق على الدين كله بحيث يشمل الأعمال الظاهرة والباطنة مع تحسينهما وفي هذه الحالة لا بد أن يكون مقترنًا بشيء مما يحب الله تعالى أو يفهم من السياق ذلك أما إذا ذكر مفردًا فإنه يكون المراد به الإحسان إلى النفس أو الغير.

(١) الفتاوى (٧/٧ - ١٠).

(٢) انظر: معارج القبول (٢/٦٠٣).

الفصل الرابع مرتبة الإحسان، ودرجات المحسنين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى مرتبة الإحسان

المبحث الثاني: درجات المحسنين

المبحث الأول معنى مرتبة الإحسان

الإحسان من حيث هو مرتبة واحدة: وهي أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، حتى يغلب عليه مشاهدة الله بقلبه كأنه يراه بعينه^(١). وهذا يقتضي تمام الاتقان والإخلاص والمتابعة.

وهو معنى قول النبي ﷺ في تعريفه للإحسان حيث قال: «أن تعبد الله كأنك تراه»^(٢). وهذا من جوامع كلمه ﷺ لأنه لو قدر أن أحداً قام في عبادة ربه وهو يعاينه لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمات واشتماله بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أتقن وجوها إلا أتى به^(٣). يعبر عن هذه المرتبة بالمشاهدة وقد سبق الحديث عن ذلك في تعريف الإحسان بما أغنى عن إعادته هنا.

وأما قوله ﷺ: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(٤). فليس بداخل في تعريف الإحسان، بل هو بيان لمنزلة المراقبة الموصلة إلى مرتبة الإحسان، ولهذا أتى به النبي ﷺ تعليلاً لمرتبة الإحسان لتكون وسيلة له. فإذا تحقق أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله له، وإطلاعه على سره وعلايته، وباطنه وظاهره، لا يخفى عليه شيء من أمره، وأنه قريب منه. فإذا وصل العبد إلى هذه المنزلة سهل عليه الانتقال إلى مرتبة الإحسان، لأن العبد عندما أمر بمراقبة الله وحضور القلب حال العبادة حتى كأنه يرى الله تعالى، قد يشق ذلك عليه ابتداءً فيستعين باستحضار مشاهدة الله له وإطلاعه عليه وقربه منه لأن استحضار ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل^(٥). وسيأتي مزيد إيضاح عن منزلة المراقبة عند الحديث عن وسائل الإحسان بما فيه الكفاية إن شاء الله.

* زيادة الإحسان ونقصانه:

ومرتبة الإحسان نسبية يتفاوت المحسنون فيها بحسب إحسانهم كما قال ابن رجب: (يتفاوت أهل هذه المرتبة فيه بحسب قوة نفوذ البصائر)^(٦).

(١) انظر: فتح الباري (١/١٢١)، وجامع العلوم والحكم (١/٢٦).

(٢) صحيح مسلم (١/٣٨) (١).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم - للنووي (١/١٥٧).

(٤) صحيح مسلم (١/٣٨) (١).

(٥) انظر: جامع العلوم والحكم (١/١٢٨-١٢٩). ومعارج القبول (٣/١٠٠٠) (بتصرف).

(٦) انظر: جامع العلوم والحكم (١/١٢٩).

إلا أن بينهم قدرًا مشتركًا من وصل إليه فهو محسن، وثُمَّ قدر مميز فمن زاد في إحسانه ارتفع درجة في الإحسان مثل ذلك كمثّل الضوء فإن كل ضوء يشترك في مسمى الإضاءة ويتفاوت في قدرها فضاء المصباح ليس كضاء الشمس وهكذا الإحسان.

وقد فسر طائفة من العلماء المثل الأعلى المذكور في قوله عز وجل: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم، الآية: ٢٧] بهذا المعنى، ومثله قوله تعالى: ﴿﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾﴾ [النور، الآية: ٣٥]. والمراد: مثل نوره في قلب المؤمن، كذا قال أبي بن كعب رضي الله عنه وغيره من السلف^(١).

لأن الإحسان. كالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان فالمحسن ليس بمعصوم من المعاصي، بل يجوز عليه مايجوز على المؤمن والمسلم من ارتكاب الذنوب. كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»^(٢). إلا أن المحسن أسرع أوبة وأعظم توبة من غيره، وقد يكون المحسن محسنًا وإن كان فيه بعض المعاصي إذا لم ينزل عن القدر النسبي من الطاعات التي بلغ بها مرتبة الإحسان كالماء إذا بلغ قلتين لا يحمل الخبث، والعكس بالعكس.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٠٠/٥)، والدر المشور (٩٧/٦) وجامع العلوم والحكم (١٣٠/١).

(٢) سنن الترمذي (٦٥٩/٤) (٢٤٩٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٣١/٢) (٤٥١٥).

المبحث الثاني درجات المحسنين وتفاوت كل درجة

إذا تقرر أن الإحسان من حيث هو مرتبة واحدة على ماسبق بيانه. فإن المحسنين درجات وكل درجة متفاوتة في القدر. وهي على الإجمال أربع درجات كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء، الآية: ٦٩ - ٧٠].

فالدرجات هنا أربع بعضها دون بعض: الأولى: درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم الذين تمدهم قوة إلهية وتصحبهم نفس في أعلى مراتب القدسية، ومثلهم كمن يرى الشيء عياناً من قريب.

والثانية: درجة الصديقين وهم الذين يتأخرون عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في المعرفة، ومثلهم كمن يرى الشيء عياناً من بعيد، وإياه عنى علي رضي الله عنه حيث قيل له: هل رأيت الله تعالى؟ فقال: ما كنت لأعبد رباً لم أره، ثم قال: لم تره العيون بشواهد العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان.

والثالثة منازل الشهداء: وهم الذين يعرفون الشيء بالبراهين ومثلهم كمن يرى الشيء في المرأة من مكان قريب كحال من قال: كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً.

والرابعة: درجة الصالحين: وهم الذين صلحت سرائرهم وعلاانيتهم، ومثلهم كمن يرى الشيء من بعيد في مرآة^(١).

والثلاث الأخيرة قصد النبي ﷺ بقوله: «اعبد الله كأنك تراه». قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام، الآية: ١٣٢]. وتفصيل درجات المحسنين على النحو الآتي:

الدرجة الأولى:

درجة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهم الذين حققوا غاية الإحسان في الإحسان، وذلك أنه يقع منهم أحسن الإحسان أبداً من غير فكر ولا روية، لغلبة قواهم عليه، وبعد ما ينافيه عنهم^(٢). على تفاوت فيما بينهم في القدر فإن بعضهم أعظم إحساناً من بعض. قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة، الآية: ٢٥٣]. والرسول: هو من أرسله الله

(١) انظر: روح المعاني للألوسي (٧٦/٥) بتصرف واختصار.

(٢) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني (٥٥).

بشريعة استقلالية وأمر بتبليغها، والنبى: هو من أرسله الله بشريعة تبعية وأمر بتبليغها.

وأفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام إحسانًا أولوا العزم الخمسة الذين ذكرهم الله تعالى بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى، الآية: ١٣].

وأفضل الخمسة إحسانًا الخليلان محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام كما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء، الآية: ١٢٥].

وقوله ﷺ كما في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا. ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلًا»^(١) يعني نفسه ﷺ. وأفضل الخليلين إحسانًا محمد ﷺ.

كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام في حديث الشفاعة الطويل عندما يطلب الناس الشفاعة يوم القيامة من الأنبياء فيأتون إبراهيم عليه السلام فيقول كما في حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة. فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحبكم ذلك. اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله. قال فيقول إبراهيم: لست بصاحبكم ذلك. إنما كنت خليلًا من وراء وراء. اعمدوا إلى موسى ﷺ الذي كلمه الله تكليمًا. فيأتون موسى ﷺ فيقول: لست بصاحب ذلك. اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه. فيقول عيسى ﷺ: لست بصاحب ذلك فيأتون محمدًا ﷺ فيقوم فيؤذن له.. الحديث»^(٢).

فإذا كان هكذا يتفاضل النبيون في درجة الإحسان فمن دونهم من باب أولى، فإن قيل إنَّ هناك نصوصًا تنهى عن تفضيل بعض الأنبياء على بعض منها:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما يهودي يعرض سلعة له أعطي بها شيئًا، كرهه أو لم يرضه قال: لا. والذي اصطفى موسى عليه الصلاة والسلام على البشر! قال فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه. قال:

(١) صحيح مسلم (١٨٥٥/٢) (٢٣٨٣).

(٢) صحيح مسلم (١٨٦/١) (١٩٥).

تقول: والذي اصطفى موسى عليه الصلاة والسلام على البشر! ورسول الله ﷺ بين أظهرنا؟ قال فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم! إن لي ذمّةً وعهدًا. وقال: فلان لطم وجهي. فقال رسول الله ﷺ: «لم لطمت وجهه؟ قال: قال (يارسول الله): والذي اصطفى موسى على البشر! وأنت بين أظهرنا. قال فغضب رسول الله ﷺ حتى عرف الغضب في وجهه ثم قال: «لا تفضلوا بين أنبياء الله. فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله. قال ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث أو في أول من بعث فإذا موسى عليه السلام آخذ بالعرش. فلا أدري أحوسب بصعقة الطور أو بعث قبلي. ولا أقول: إن أحدًا أفضل من يونس بن متى عليه الصلاة والسلام»^(١). فإنّ ذلك يخرج على وجوه:

الأول: أن النبي ﷺ نهى عن ذلك قبل أن يعلمه الله بأنه أفضل الأنبياء والرسل. كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع»^(٢).

الثاني: أنه ﷺ نهى عن ذلك خشية أن يحقر بعض الأنبياء.
الثالث: أنه نهى عن ذلك حتى لا تحصل خصومة بين المسلمين وأتباع الرسل.

الرابع: أنه قال ذلك تواضعًا منه ﷺ^(٣).
ومما يجب التنبيه عليه هنا أن هذه الدرجة ليست لأحد من الناس غيرهم، فلا يمكن الوصول إليها بالاكتساب أبدًا، لأنها محض مِنة وفضل من الله تعالى، كما قال جل ذكره: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج، الآية: ٧٥].

إلا أن النبوة بعد النبي ﷺ باطلة ومدعيها أفاك أثيم لأن الله تعالى ختم بمحمد ﷺ النبوة فلا نبي بعده قطعًا وجزمًا. قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب، الآية: ٤٠].

الثانية: درجة الصديقين: وهم الذين صدقوا بأقوالهم واعتقادهم وحققوا صدقهم بأفعالهم، لأنه لا يكفي الاعتراف بالحق دون تحريره بالفعل، كما قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَ الصَّدِيقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب، الآية: ٨]: أي يسأل من صدق بلسانه عن صدق فعله يؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

(١) صحيح مسلم (١٠٨٤٣/٢) (٢٣٧٣).

(٢) صحيح مسلم (١٧٨٢/٢) (٢٢٧٨).

(٣) انظر: شرح الطحاوية (١٥٩ - ١٦٤).

ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿[الحديد، الآية: ١٩].

والإيمان قول وعمل. وقول النبي ﷺ كما في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق. فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة. وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً... الحديث»^(١).

أي يصدق باللسان ويتحرى بالفعل. وقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب، الآية: ٢٣]. أي حققوا العهد بما أظهروا من أفعالهم. وهكذا فسرهُ النبي ﷺ بالفعل كما جاء في حديث عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان وقمته فممن أنا قال: «من الصديقين والشهداء»^(٢).

وهذه الدرجة دون الدرجة الأولى في الإحسان، وأهلها متفاوتون فيما بينهم وأعظمهم وأرفعهم إحساناً أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد سماه الله بالصديق حيث قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر، الآية: ٢٣].

فالذي جاء بالصدق هو الرسول ﷺ، والذي صدق به هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي حقق ما أورده قولاً بما تحراه فعلاً.

يلي أبا بكر الصديق في الصديقية بقية الخلفاء الأربعة الراشدين على الترتيب: عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين عن أبي بكر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال ذات يوم: «من رأى منكم رؤيا؟» قال رجل: أنا. رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان... الحديث»^(٣).

قال سفيان الثوري رحمه الله: (الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنهم)^(٤). وهذا مذهب أهل

(١) صحيح مسلم (٢٠١٣/٣) (٢٦٠٧).

(٢) صحيح ابن حبان (الإحسان) (٢٢٣/٨) (٣٤٣٨). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٦/١) وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا شيخي البزار، وأرجو إسناده أنه إسناده حسن أو صحيح.

(٣) سنن أبي داود (٣٠/٥) (٤٦٣٤). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٨٧٧/٣) (٣٨٧٥).

(٤) سنن أبي داود (٢٧/٥) (٤٦٣١).

السنة .

يليه بقية الصحابة حسب أفضليتهم رضي الله عن الجميع .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لاتسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه»^(١). يلي الصحابة من سار على نهجهم من التابعين أصحاب القرون الثلاثة المفضلة مرتبة حسب الزمان كما جاء عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي القرن الذين يلوني . ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»^(٢).

يلي أهل القرن الثالث من جاء بعدهم ممن سار على نهجهم إلى يوم الدين .

الثالثة: درجة الشهداء وهم الذين يرفعون الشيء بالبراهين، وهم العلماء الذين تولاهم الله بالشهادة على توحيدهم وجعلهم من المقربين^(٣) قال الله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران، الآية: ١٨]. وأولوا العلم هنا: جميع علماء المؤمنين^(٤). وقيل الشهداء: هم الذين استشهدوا في سبيل الله^(٥). والجمع بين القولين أن الشهادة ليست عبارة عن القتل، بل: الشهيد فعيل بمعنى فاعل، وهو الذي يشهد بصحة دين الله تعالى تارة بالحجة والبيان، وأخرى بالسيف والسنان، فالشهداء هم القائمون بالقسط وهم الذين ذكرهم الله في الآية السابقة، ويقال للمقتول في سبيل الله شهيد من حيث أنه بذل نفسه في نصرة دين الله، وشهادته له بأنه هو الحق وما سواه الباطل، وإذا كان من شهداء الله بهذا المعنى كان من شهداء الله في الآخرة كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة، الآية: ١٤٣].

إذا تقرر هذا فإن الشهداء بالمعنيين جميعاً يتفاوتون في هذه الدرجة كل بحسب زيادة إحسانه كما أن العلماء يتفاوتون في علمهم والشهداء يتفاوتون في شهادتهم من حيث الإخلاص والزمان والمكان والحال. فمن

(١) صحيح البخاري (١٣٤٣/٣) (٣٤٧٠).

(٢) صحيح مسلم (١٩٦٢/٢) (٢٥٣٢).

(٣) انظر: روح المعاني للألوسي (٧٧/٥)، والفتاوى - لابن تيمية (٨/٧).

(٤) تفسير البغوي (٢١٩/١).

(٥) تفسير البغوي (٣٥٨/١).

جمع بين المعنيين كان أعظم شهادة من غيره ومن كان من الشهداء في زمن الرسول ﷺ كان أعظم شهادة من غيره وهكذا^(١).

الرابعة: درجة الصالحين: وهم الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم^(٢). وقيل الصالح: هو الذي يكون صالحًا في اعتقاده وفي عمله، فإن الجهل فساد في الاعتقاد، والمعصية فساد في العمل^(٣). ولا خلاف بين القولين إلا أن الآخر فيه زيادة بيان. وأهل هذه الدرجة كمن سبق يتفاوتون فيما بينهم كل بحسب زيادة إحسانه. فالصالحون من الصحابة ليسوا كغيرهم. ولكن يجب التنبيه على عدة مسائل هنا:

الأولى: أن ماتقرر من كون الصفات الأربع في الآية هي درجات الناس في الإحسان حق. لأن المعطوف يجب أن يكون مغايرًا للمعطوف عليه، كما أن النبيين غير من ذكر بعدهم فكذلك الصديقون يجب أن يكونوا غير من ذكر بعدهم وهكذا^(٤).

الثانية: أن أهل الدرجة الأولى وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قد جمعوا بين الدرجات كلها. لاسيما من قتل منهم في سبيل الله^(٥).

الثالثة: أن أصحاب الدرجات الثلاث الباقية محسنون إن توفر فيهم شرط الإحسان وهو أن يعبد الله كأنه يراه.

الرابعة: أنه يجوز أن يكون كل صديق شهيدًا وصالحًا ولا عكس.

الخامسة: أنه يجوز أن يكون كل شهيد صالحًا ولا عكس.

فثبت أن أفضل الخلق إحسانًا هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبعدهم الصديقون، وبعدهم من ليس له درجة إلا محض درجة الشهادة، وبعدهم من ليس له إلا محض درجة الصلاح. فهذا هو تقرير مرتبة الإحسان ودرجات المحسنين فمن عرف ذلك ظهر له أنه لا أحد في الدنيا والآخرة إلا وهو داخل في بعض هذه الدرجات والله أعلم^(٦).

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي (١٧٨/١٠ - ١٧٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٤٨/١).

(٣) التفسير الكبير للرازي (١٧٩/١٠).

(٤) انظر: التفسير الكبير - للرازي (١٧٦/١٠).

(٥) انظر: الفتاوى - لابن تيمية رحمه الله (٥٧/٧).

(٦) انظر: التفسير الكبير للرازي (١٧٩/١٠) بتصرف.

الفصل الخامس شروط الإحسان

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: شرط الإخلاص

المبحث الثاني: شرط المتابعة

المبحث الثالث: شرط المشاهدة

المبحث الأول شرط الإخلاص

* تعريفه :

أ - الإخلاص في اللغة : تنقية الشيء وتهذيبه^(١).
يقال : خلّص الشيء بالفتح، يخلص خلوصاً أي : صار خالصاً،
والمعنى : نقيّاً من الشوائب المكدرّة صفوه، ويسمى الفعل المخلص :
إخلاصاً، وهو في الطاعة : ترك الرياء^(٢).

ب - الإخلاص في الاصطلاح :
هو (القصد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده، وقيل تصفية السر
والقول والعمل)^(٣).

وقيل : (ألا تطلب لعملك شاهداً غير الله تعالى)^(٤).
قال الفضيل بن عياض رحمه الله : (ترك العمل لأجل الناس رياء،
والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص : الخلاص من هذين. وفي رواية عنه :
والإخلاص : أن يعافيك الله منهما)^(٥).
* منزلة الإخلاص :

يعد الإخلاص في جميع الأعمال المحور الثاني بعد الإيمان بالله
لقبولها أو ردها. قال ابن تيمية رحمه الله : (إخلاص الدين هو الذي لا يقبل
الله تعالى سواه، وهو الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل
به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان وهذا هو خلاصة الدعوة
النبوية، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه)^(٦).
- أقسام العاملين بالدين.

إن الدين كله بما فيه الإحسان لا يخرج بحال من الأحوال عن ثلاثة
أمور وهي كالاتي :

الأول : فعل المأمورات. والثاني : ترك المحظورات.
والثالث : التوقف عن الشبهات. دل على ذلك حديث النعمان بن بشير

(١) معجم مقاييس اللغة - لابن فارس (٢/٢٠٨).

(٢) الصحاح - للجوهري (٣/١٠٣٧)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (٢/٣٠١)، والتعريفات -
للجرجاني ص (١٣).

(٣) الكليات - للكفوي (٦٤).

(٤) التعريفات - للجرجاني (١٣ - ١٤).

(٥) مدارج السالكين (٣/٩٥).

(٦) التحفة العراقية في أعمال القلوب لابن تيمية (٥٨).

رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات... الحديث»^(١).

وثلاثة الأمور هذه العاملون بها سواء فعلاً أو تركاً أو توقفاً ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قوم عبدوا الله بما أراد الله، وإرادته أن يكون وفق سنة رسول الله ﷺ. فأعمالهم مقبولة وهم مأجورون عليها في الدنيا فلا عليهم فإنه عاجل بشرهم.

القسم الثاني: قوم عبدوا الله بغير ما أراد الله. فأعمالهم مردودة وهم مأزورون. وهم أهل البدع أخلصوا ولم يتابعوا.

القسم الثالث: قوم عبدوا غير الله بما أراد الله له.

وهذا القسم أنواع ثلاثة:

(النوع الأول: أن تكون العبادة لغير الله كلية أي رياء محضاً. وهذا مردود وهم أهل النفاق.

النوع الثاني: أن تكون العبادة لله ويشاركه الرياء من أصل العمل. وهذا مردود.

النوع الثالث: أن تكون العبادة لله ثم يطرأ عليها الرياء فهذا محل خلاف والراجح أنه يجازى بنيته الأولى^(٢).

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: (في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيَكْفُرُوا أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك، الآية: ٢]. قال: أخلصه وأصوبه، إن العمل إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً، ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً. قال: والخالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة^(٣).

* عناية القرآن الكريم بالإخلاص:

ورد الحديث في القرآن الكريم عن الإخلاص في قرابة ثلاثة وعشرين موضعاً لفظاً ومعنى، وذلك بأساليب متعددة مثل الأمر به، والتنويه بأهله، وذكر ما أعده الله للمخلصين وغير المخلصين.

وفي ذلك إشارة واضحة إلى اهتمام القرآن بالإخلاص. وبيان ذلك من وجوه:

الأول: الأمر بإخلاص الدين لله تعالى:

(١) صحيح البخاري (٢٨/١) (٥٢).

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (٧٩/١).

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم (٩٥/٨)، جامع العلوم والحكم (٧٢/١).

- قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة، الآية: ٥].

- وقال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ٢٩﴾ [الأعراف، الآية: ٢٩].

- وقال تعالى: ﴿فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ١١٠﴾ [الكهف، الآية: ١١٠].

وهنا يراد بالشرك عمومه الأكبر والأصغر. كما جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَغْنِي الشُّرَكَاءَ عَنِ الشَّرْكِ مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتَهُ وَشْرَكَهُ»^(١).

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ١٤٦﴾ [النساء، الآية: ١٤٥ - ١٤٦].

- وقال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ١٤﴾ [غافر، الآية: ١٤].

- وقال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٦٥﴾ [غافر، الآية: ٦٥].

- وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ١٢﴾ [الزمر، الآية: ١١ - ١٢].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ٢﴾ إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ٤﴾ [الزمر، الآية: ٢ - ٣].

- وقال تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٤﴾ [الإخلاص].

* ثناء الله تعالى على أهل الإخلاص:

إنه ليس بعجيب ثناء العبد على الله تعالى لأن الله هو أهل الثناء والمجد الغني القوي الدائم، بل العجيب حقًا ثناء الله على عبده الفقير الضعيف الفاني.

فإن حصل ذلك لواحد من عبيده فإنما هو دليل واضح على رفعته وعلو مكانته عنده. لأنه أخلص له فاستخلصه له ومادام الأمر كذلك فإن كل عمل أوصل هذه المنزلة السامية لهو حري بالتسابق إليه والتشبث به بكل قوة

(١) صحيح مسلم (٢٢٨٩/٣) (٢٩٨٥).

أوتيتها الإنسان.

واسمع إلى إشادة الله تعالى بالمخلصين من عباده. في مواضع كثيرة من كتابه ومن ذلك:

- قوله تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة، الآية: ١٣٩].

- وقوله تعالى في الشفاء على موسى عليه السلام: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم، الآية: ٥١].

قرىء في السبع بفتح اللام وكسرهما من (مخلصًا) ^(١).

- وقوله عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف، الآية: ٢٤].

قرىء في السبع بفتح اللام وكسرهما من (المخلصين) ^(٢).

- وقوله تعالى عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص، الآية: ٤٥ - ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء، الآية: ١٢٥].

قال ابن القيم رحمه الله: (فإسلام الوجه: إخلاص القصد، والعمل لله... ^(٣)).

* إنجاء الله تعالى للمخلصين:

- قال تعالى عن الكافرين: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَافَ بِهِمْ لَوْنُ الْغَمْرِ وَاسْتَرْجَا بِهِمْ طُفَيْفًا وَقَفَّحُوا بِهَا جَاءَ تَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس، الآية: ٢٢].

وممن أحيط بهم وأيقنوا الهلكة عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه. كما في حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: «لما كان يوم الفتح فرَّ عكرمة بن أبي جهل فركب البحر فأصابته عاصف، فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة: «أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً»، فقال عكرمة: «لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غيره، اللهم إن لك عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً، أضع

(١) انظر: زاد المسير (٢٣٩/٥).

(٢) انظر: المصدر نفسه (٢١٠/٤).

(٣) مدارج السالكين (٩٠/٢).

غيره، اللهم إن لك عهدًا إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدًا، أضع يدي في يده، فلا جدنه عفوًا كريمًا». قال: «فنجاه فأسلم»^(١).

- وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّوْا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [العنكبوت، الآية: ٦٥ - ٦٦].

- وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ ءَايَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان، الآية: ٣١ - ٣٢].

وإذا كانت هذه النجاة للكافرين عندما أخلصوا الدعاء لله وحده فإن النجاة حاصلة للمؤمنين المخلصين من باب أولى.

* النجاة من كيد الشيطان:

لقد نجى الله المخلصين من كيد الشيطان وقد قعد للإنسان بكل طريق ورصد له كل مرصد ليصده عن سبيل الله.

- قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر، الآية: ٣٦ - ٤٠].

- وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص، الآية: ٧٩ - ٨٣].

٢ - النجاة من العذاب في الدنيا:

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلفُوا ءَابَاءَهُمْ صَالِينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَى ءَاتِرِهِمْ يُرْعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الصافات، الآية: ٦٩ - ٧٤].

٣ - النجاة من العذاب في الآخرة:

- قال تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٢﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٣﴾ أَلَمْ تَدْعُوا أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٤﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ ءَابَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٥﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٦﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الصافات، الآية: ١٢٣ - ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكُتُبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَالًا وَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ

(١) سنن النسائي (١٠٥/٧، ١٠٦)، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٧٩١) والصحيحة (١٧٢٣) وصحيح الجامع (٢٤٢٦).

الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦﴾ [الصافات، الآية: ١٥٦ - ١٦٠].

٤ - النعيم في الآخرة:

- قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَدُوا مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾﴾ [الصافات، الآية: ٣٨ - ٤٣].

* عناية السنة النبوية بالإخلاص:

لقد اعتنت السنة النبوية بالإخلاص عناية فائقة وذلك من وجوه:

الأول: تحريره ﷺ للإخلاص:

لقد كانت حياة الرسول ﷺ كلها إخلاصًا كما جاء في القرآن الكريم على لسانه ﷺ: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لِّدِينِي ﴿١٤﴾﴾ [الزمر، الآية: ١٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر، الآية: ١١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٧﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأنعام، الآية: ١٦٢ - ١٦٣].

وهذه الآية الجامعة كان النبي ﷺ يستفتح بها صلاته كما في حديث علي بن أبي طالب يقول:

«وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيئًا مسلمًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين»^(١).

وكان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة أعلن إخلاصه الدين لله تعالى. كما في حديث عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما - قال -: كان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة، يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، أهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»^(٢).

ثانيًا: أمره ﷺ بالإخلاص:

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء»^(٣).

وفي الحديث دلالة على الأمر بالإخلاص فيما هو أعظم من الدعاء للميت من باب أولى.

- وعن زيد بن ثابت رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة

(١) صحيح مسلم (٥٣٤/١) (٧٧١).

(٢) سنن أبي داود (١٧٣/٢) (١٥٠٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨١/١) (١٣٣٤).

(٣) سنن أبي داود (٥٣٨/٣) (٣١٩٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٦١٧/٢) (٢٧٤٠).

لا يغفل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم»^(١). والغل: الغش والزغل والنفاق. والحديث إخبار فيه معنى الطلب.

ثانيًا: الإخبار عن قبول الأعمال الخالصة دون غيرها.

- عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر، ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا شيء له». فأعاد ثلاث مرات، يقول له رسول الله ﷺ: «لا شيء له». ثم قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه»^(٢).

- وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(٣).

وشرح الحديث باختصار:

حصر النبي ﷺ قبول الأعمال أيًا كان نوعها بصلاح النيات، ثم بيّن أنّ النيات تتفاوت من عامل لآخر صحة وفساداً، ومثل بالمهاجر، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله نية وقصدًا فإن هجرته إلى الله ورسوله ثواباً وأجرًا، ومن قصد بهجرته الدنيا أيًا كان نوعها فهي جزاؤه وثوابه. وفي هذا بيان أن الأعمال لا يقبل منها إلا الخالص لله تعالى.

- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»^(٤).

- وفيه أن عمل المرئي باطل لا ثواب فيه.

- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: كان مع رسول الله ﷺ رجل في بعض مغازيه فأبلى بلاء حسناً فعجب المسلمون من بلائه فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه من أهل النار» قلنا في سبيل الله مع رسول الله ورسول الله أعلم قال: فخرج الرجل فلما اشتدت به الجراح وضع ذباب سيفه بين ثديه ثم اتكأ عليه فأتى رسول الله ﷺ ف قيل له الرجل الذي قلت له ما قلت قد رأيته يتضرب والسيف بين أضعافه فقال النبي ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل

(١) مسند الإمام أحمد (٦٣/١) وصححه إسناده أحمد شاكر (٣٥٣/١).

(٢) سنن النسائي (٢٥/٦) (٣١٤٠) وحسنه الألباني في الصحيحة (٨١/١) (٥٢).

(٣) صحيح البخاري (٣/١) (١).

وصحيح مسلم (١٥١٥/٢) (١٩٠٧).

(٤) صحيح مسلم (٢٢٨٩/٣) (٢٩٨٥).

الجنة فيما يبدو للناس وإنه لمن أهل النار وإنه ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه لمن أهل الجنة»^(١).

ثالثاً: ثواب الإخلاص.

أ - النجاة من الهلاك في الدنيا:

عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار. فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء قومًا فلم أرخ عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدرح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج. قال النبي ﷺ: قال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إليّ، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألفت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار، على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى قدرت عليها قالت: لا أحلُّ لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرّجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها، وهي أحب الناس إليّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراً فأعطيتهم أجراً غير رجل واحد، ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبدالله، أد إليّ أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبدالله لا تستهزيء بي، فقلت: إني لا أستهزيء بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً. اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»^(٢).

ب - النجاة من الهلاك في الآخرة.

عن عتبان بن مالك الأنصاري - رضي الله عنه - وذكر قصة ثم قال فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي

(١) صحيح مسلم (١٠٦/١) (١١٢).

(٢) صحيح البخاري (١٢٨٧/٣) (٣٢٧٨).

بذلك وجه الله»^(١).

- عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في في امرأتك»^(٢).

والأحاديث الواردة في الإخلاص كثيرة وليس المراد الاستيعاب ولعل ما ذكر فيه الكفاية إن شاء الله.

* عناية السلف رحمهم الله تعالى بالإخلاص:

١ - عن سفيان الثوري، قال: (ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي، لأنها تتقلب عليّ)^(٣).

٢ - عن مطرف بن عبدالله أنه قال: (صلاح القلب، بصلاح العمل، وصلاح العمل بصحة النية)^(٤).

٣ - عن يحيى بن أبي كثير أنه قال: (تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل)^(٥).

* الإخلاص في ترك المحذورات^(٦):

كل محذور يتركه المسلم فإنه لا يخرج عن ثلاثة أحوال: الحالة الأولى: أن يترك الذنب خشية لله تعالى. وهذا الصنف من الناس مأجور على إخلاص نيته لله تعالى وهو في أعلى الدرجات. دل على ذلك:

١ - حديث ثلاثة نفر الذين أووا إلى الغار فانسد عليهم وقد سبق^(٧) ووجه الدلالة منه أن الثاني منهم ترك إتيان ابنة عمه مع قدرته عليها ابتغاء وجه الله تعالى.

٢ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال إني أخاف الله. ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خالياً،

(١) صحيح مسلم (٤٥٥/١) (٣٣).

(٢) صحيح البخاري (٣٠/١) (٥٦).

(٣) حلية الأولياء (٥/٧).

(٤) حلية الأولياء (١٩٩/٢).

(٥) حلية الأولياء (٧٥/٣).

(٦) هذا مما علق بالذهن من دراستنا على بعض المشايخ جزاه الله خيراً.

(٧) انظر: فهرس الأحاديث.

ففاضت عيناه»^(١).

والشاهد منه: ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله.

ووجه الاستشهاد: أن هذا العبد الصالح ترك الذنب مع قدرته عليه وقدرة المرأة على دفع الأذى عنه في الدنيا خوفاً من الله تعالى.
الحالة الثانية: من ترك الذنب ولم يخطر بباله نية في الترك أتركه الله أم لغيره.

والعدل الإلهي يعامله هنا ألا ثواب عليه ولا عقاب. لأن الثواب والعقاب متعلقان بصلاح النية أو فسادها وهنا ليس له نية أصلاً ولم تخطر بباله.

الحالة الثالثة: من ترك الذنب لعدم القدرة عليه أو لعدم القابلية له.
أ - من ترك الذنب لعدم القدرة عليه مع حرصه على فعله لو قدر عليه فإنه أثم إثم من قدر عليه وفعله والأدلة على ذلك وافرة منها:
١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور، الآية: ١٩].

ووجه الاستدلال: أنهم تركوا إشاعة الفاحشة بألسنتهم لكنهم أحبوا إشاعتها بقلوبهم وهو عمل القلب فعاقبهم الله على ذلك وإن لم يشيعوها بألسنتهم. لأنهم لم يتركوها لله تعالى. وإنما لعدم القدرة.

٢ - وعن أبي بكر - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار». فقلت يارسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: (إنه كان حريصاً على قتل صاحبه)^(٢).

ووجه الاستشهاد: أن المقتول في النار لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه والحرص عمل من أعمال القلوب عاقبه الله عليه وإن لم يفعل القتل لأن تركه للقتل هنا لعدم القدرة عليه.

٣ - عن أبي كبشة الأنماري - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه»، قال: «ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر - أو كلمة نحوها» وأحدثكم حديثاً فاحفظوه. قال: «إنما الدنيا لأربعة نفر، عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم الله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبد

(١) صحيح البخاري (٢٣٤/١) (٦٢٩).

(٢) صحيح البخاري (٢٠/١) (٣١).

رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية. يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو ونيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يخطئ في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم الله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو ونيته، فوزرهما سواء»^(١).

ووجه الاستشهاد: أن المتمني الثاني تمنى مال من يخطئ فيه بغير علم لا يتقي فيه ربه... ليعمل بعمله فكان وزرهما سواء وإن لم يعمل بعمله وإنما مجرد عمل القلب أخذ به وهو التمني لأنه ترك ذلك لعدم القدرة عليه. ب - من ترك الذنب لعجزه عن إتيانه مع حرصه على فعله لو كان مستطيعاً.

مثال ذلك: ترك المجبوب أو العنيد للزنا بعد حرص عليه وبحث عنه أو تمكن منه.

فالحكم: أنه معاقب عليه كأنما أتاه حقيقة لأنه لم يترك الزنا لكمال طهارة أو نزاهة فيه ابتغاء مرضاة الله. وإنما تركه لعجزه عنه. قال الشاعر:

قُبِيلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلُمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ
قال ابن أبي العز:

(لما اقترن بنفي الغدر والظلم عنهن ما ذكره قبل هذا البيت وبعده، وتصغيرهم بقوله: «قبيلة» علم أن المراد عجزهم وضعفهم، لا كمال قدرتهم)^(٢).

وهذا نفي صرف لا مدح فيه.

وقال الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
قال ابن أبي العز:

(لما اقترن بنفي الشر عنهم ما يدل على ذمهم، علم أن المراد عجزهم وضعفهم أيضاً).

- وهنا قد يرد إشكال مع بعض النصوص الشرعية الآتية:

١ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ: فيما يرويه عن

(١) سنن الترمذي (٥٦٢/٤) (٢٣٢٥) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧٠/٢) (١٨٩٤).

(٢) شرح الطحاوية (٥٣/١) بتحقيق الألباني.

ربه - عز وجل - قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة. فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة»^(١).

الشاهد: قوله: «ومن هم بسيئة فلم يعملها...».

وجه الإشكال: أن الهم من أعمال القلوب وعلى القاعدة السابقة أنه يعاقب وفي الحديث عكس ذلك أنه مثاب فما حل ذلك؟.

٢ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل أو تتكلم»^(٢).

وجه الإشكال: أن حديث النفس عمل من أعمال القلوب وعلى القاعدة السابقة أنه إن لم يتركه لله عوقب وفي الحديث هنا أن الله تجاوز عن ذلك إلا إذا عمل أو تكلم، فما حل هذا الإشكال؟
- دفع الإشكال:

لا تعارض بين النصوص السابقة لأن ما يرد على القلب كثير منه ما يؤاخذ الإنسان عليه ومنه ما عفى عنه.

قال الناظم:

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه هم فعزم كلها رفعت سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا
وبيان ذلك ما نقله ابن حجر المكي في شرح الأربعين عن السبكي ما
حاصله أن ما يقع في النفس من قصد المعصية على خمس مراتب:

الأولى: الهاجس: وهو ما يلقي فيها.

الثانية: الخاطر: وهو جريان ما يلقي فيها.

الثالث: حديث النفس: وهو ما يقع فيها من التردد هل يفعل أو لا.

الرابع: الهم: وهو ترجيع قصد الفعل.

الخامس: العزم: وهو قوة ذلك القصد والعزم به. يبحث لو وجد ذلك [الذنب] لم يتركه البتة ومع ذلك لو تركه خوفاً من الله كتبت له حسنة واحدة فالهاجس لا يؤاخذ به إجماعاً لأنه ليس من فعله وإنما هو شيء طرقة قهراً وما بعده من الخاطر، وحديث النفس وإن قدر على دفعهما لكن الله رفعهما كما نطق به الحديث الصحيح إن الله تجاوز لأمتي... الخ. وأما

(١) البخاري (٢٣٨٠/٥) (٦١٢٦).

(٢) صحيح البخاري (٢٠٢٠/٥) (٤٩٦٨).

الهم فقد بين الحديث أنه بالحسنة يكتب حسنة وبالسيئة لا يكتب ثم ينظر فإن تركها لله سبحانه كتب حسنة وإن فعلها كتبت سيئة واحدة، وأما العزم فالمحققون على أنه يؤخذ به^(١).

* وسائل الإخلاص:

مادام أن الإخلاص غاية نبيلة يتطلع إليها كل عابد فإن هناك وسائل مؤدية إلى حصوله وتطبيقه وهي كالآتي:

١ - الدعاء:

فإنه أعظم الأسباب الموصلة إلى المقصود.

- ٢ - أن يعتقد أن الخافض والرافع المعطي المانع القوي الغالب القهار هو الله وأن من دونه لا يقدر على شيء. مهما كانت منازلهم.
- ٣ - أن يعتقد أن أجر عمله يأخذه من الله لا من غيره.
- ٤ - أن ينظر إلى الخلق وكأنهم معدومون غير موجودين.
- ٥ - أن يستحي من الله وهو يعبد أن يميل بقلبه إلى غيره.

(١) انظر: شرح السيوطي على سنن النسائي (١٥٦/٦).

المبحث الثاني شرط المتابعة

* التمهيد:

إنه من المسلّم به عند عموم المسلمين أن الله تعالى خلق الإنس والجن جميعاً لعبادته حيث قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦]. [الذاريات، الآية: ٥٦].

وعباداة الله شاملة لكل ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأفعال الباطنة والظاهرة كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام، الآية: ١٦٢].

وهذه المحبوبات لله تعالى تتعذر معرفتها إلا بواسطة عنه وهذه الوساطة بين الله وخلقهم هم الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام. وهم قوم خيار اصطفاهم الله لرسالته حيث قال: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج، الآية: ٧٥].

ثم اصطفى الله من الملائكة جبريل عليه السلام ليكون رسوله بالوحي إلى رسله من الناس فجبريل أمين الله على الوحي في السماء والرسول عليهم السلام أمناء الله على الوحي في الأرض قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت، الآية: ٦]. وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل، الآية: ١٠٢].

وروح القدس هو جبريل عليه السلام.

وأمر الرسول ﷺ ببلاغ ما نزل إليه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة، الآية: ٦٧]. فبلغه أتم البلاغ. قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة، الآية: ٣].

ووقف النبي ﷺ في منى عام حجة الوداع فقال ﷺ: «... ألا هل بلغت». قالوا: نعم، قال: «اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع... الحديث»^(١).

ولما كان الرسول ﷺ هو الموحى إليه من ربه والمبلغ عنه والعالم

(١) صحيح البخاري (٦٢٠/٢) (١٦٥٤).

بمراده من خلقه أوجب الله اتباعه واقتفاء أثره والسير خلف ركابه فلا طريق إلى الجنة إلا طريقه.

وقد أدرك ذلك أصحابه رضي الله عنهم فاتبعوه حذو القذة بالقذة شبرًا بشبر وذراعًا بذراع وهم الذين قال الله عنهم: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال، الآية: ٦٤]. فأمره الله بخفض الجناح لهم حتى يتمكنوا من معرفة هديه فيتبعوه عليه فقال تعالى: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء، الآية: ٢١٥]. ونوه الله بذكرهم فقال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾. [آل عمران، الآية: ٢٠].

ورضي سبحانه وتعالى عن المتبعين له فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ إِلَى اللَّهِ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأُولَئِكَ هُمُ الْمُفَوَّضُونَ إِلَى اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرَى اللَّهُ أَعْيُنَهُمْ هُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّبَعُواهُمْ يَخْشَوْنَ اللَّهَ عَنَّهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة، الآية: ١٠٠].
* تعريف المتابعة:

المتابعة لغة: مأخوذة من الإتياع قال الفراء: (الإتياع أن يسير الرجل وأنت تسير وراءه)^(١). ثم استعمل في العمل بمثل عمل الغير. كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَخْشَوْنَ اللَّهَ عَنَّهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة، الآية: ١٠٠]. ثم استعمل في امتثال الأمر، والعمل بما يأمر به المتبوع فهو الائتمار^(٢). واصطلاحًا:

قال ابن عبد البر - رحمه الله -: «الاتباع ما ثبت عليه الحجة، وهو اتباع كل ما أوجب عليك الدليل اتباع قوله. فالرسول ﷺ هو المثل الأعلى في اتباع ما أمر به^(٣)».

- حقيقة المتابعة: لزوم طريق النبي ﷺ والسير عليها في عبادة الله تعالى مع المحبة لها والرضى بها: ويطلق عليها العلماء: الاعتصام بالسنة، أو الموافقة للشرع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (... دين الإسلام مبني على أصليين: أن نعبد الله وحده لا شريك له، وأن نعبد به بما شرعه من الدين، وهو ما أمرت به الرسل...) ^(٤).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (إنا نفتدي ولا نبتدي ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأمر) ^(٥).

(١) لسان العرب (٢٨/٨) (تبع).

(٢) تفسير التحرير والتنوير (٤٢٣/٧).

(٣) أضواء البيان (٥٤٨/٧).

(٤) مجموع الفتاوى (١٨٩/١).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة - للالكائي (٨٦/١).

- وعن سفيان الثوري رحمه الله قال: (وجدت الأمر الاتباع)^(١).
 - وعن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله قال: (سن رسول الله - ﷺ - وولاء الأمر بعده سننا الأخذ بها اتباع لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعة الله عز وجل، وقوة على دين الله - تبارك وتعالى - وليس لأحد من الخلق تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين، ولاه الله - تعالى - ما تولى، وأصله جهنم وساءت مصيراً)^(٢).
 * عناية القرآن الكريم باتباع السنة:

١ - الأمر باتباع السنة.

- قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام، الآية: ١٥٣].
 - وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف، الآية: ٣].
 - وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الزمر، الآية: ٥٥].

- وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران، الآية: ٣١].

- وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام، الآية: ١٥٥].

- وقال تعالى: ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف، الآية: ١٥٨].
 - قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران، الآية: ١٠٣].
 والمراد بالحبل (الكتاب والسنة)^(٣). والاعتصام: (الإمساك)^(٤).

٢ - النهي عن اتباع غير الهدى:

- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة، الآية: ٢٠٨].
 - وقال تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّا أَوْ نَعَرُّوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء، الآية: ١٣٥].

(١) المرجع السابق (٨٨/١).

(٢) الشريعة - للأجري (٦٥) وأصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٩٤/١).

(٣) فتح الباري (٢٤٥/١٣).

(٤) لسان العرب (٤٠٤/١٢ - ٤٠٥).

٤ - عاقبة المخالفة:

أ - الحرمان من الهداية:

- قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص، الآية: ٥٠].

ب - الوقوع في الفتنة:

- قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٦﴾﴾ [النور، الآية: ٦٣].

ج - براءة الذين اتبعوا من الذين اتبعوا:

- قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٦٥ - ١٦٦].

د - العذاب الأليم:

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء، الآية: ١١٥].

٥ - ثمرات الاتباع:

أ - محبة الله للمتبعين:

- قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران، الآية: ٣١].

ب - المغفرة والنعيم المقيم:

- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿٧﴾﴾ [الأنعام، الآية: ٧ - ٩].

وبالجملة فعناية القرآن بالاتباع وترك المخالفة والابتداع أوسع مما ذكرت ولعل ماسبق فيه الكفاية إن شاء الله.

* عناية السنة النبوية بالاتباع:

١ - أن السنة هي خير الهدى.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول: «وأما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير

الهدى هدى محمد، شر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»^(١) وزاد النسائي: «وكل ضلالة في النار»^(٢).

٢ - نصاعة السنة وصفائها:

- عن العرياض بن سارية - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك»^(٣).

٣ - الأمر باتباع السنة:

- عن العرياض بن سارية - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»^(٤).

ب - أن التمسك بالسنة أمن من الضلال:

قوله - ﷺ -: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله»^(٥).

٤ - أن مالم يكن على السنة فإنه مردود:

قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد»^(٦).

٥ - براءة النبي ﷺ ممن رغب عن سنته: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(٧). وكل من أحدث في الشريعة ما ليس منها فقد ابتدع بدعة عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة...»^(٨).

(١) صحيح مسلم (٥٩٢/١) (٨٦٧).

(٢) سنن النسائي (١٨٨/٣ - ١٨٩) (١٥٧٨)، وصحح هذه الزيادة الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٥١/١).

(٣) سنن ابن ماجه (١٤/١) المقدمة، والمستدرک للحاکم (٩٦/١) وقال: هذا حديث صحيح ليس له عليه ووافقه الذهبي.

(٤) سبق تخريجه. انظر: فهرس الأحاديث.

(٥) أخرجه الإمام مالك في الموطأ بلاغاً (٨٩٨/٢) وحسن إسناده الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح ٦٦/١.

(٦) صحيح مسلم (١٣٤٣/٢) (١٧١٨).

(٧) صحيح البخاري (١٩٤٩/٥) (٤٧٧٦).

(٨) صحيح مسلم (٢٠٥٩/٣) (١٠١٧).

والمقصود بالسنة الحسنة هنا عمل ما هو مشروع وليس الابتداع. وسبب ورود الحديث يبين ذلك فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار. قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتأبي النمار أو العباء. متقلدي السيوف. عامتهم من مضر. بل كلهم من مضر. فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة. فدخل ثم خرج. فأمر بلالاً فأذن وأقام. فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء، الآية: ١] إلى آخر الآية. إن الله كان عليكم رقيباً. والآية التي في الحشر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر، الآية: ١٨]. تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره (حتى قال) ولو بشق تمرة» قال: فجاء رجل من الأنصار بصره كادت كفه تعجز عنها. بل قد عجزت. قال: ثم تتابع الناس. حتى رأيت كومين من طعام وثياب. حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل. كأنه مذهبه. فقال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده. من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(١).

وجه الاستشهاد: (أن النبي ﷺ بين السنة الحسنة هنا بأنها المبادرة إلى فعل المأمور به وهي الصدقة وجعل مبادرة الأنصاري إلى الصدقة التي أمر بها ﷺ مثلاً للسنة الحسنة.

فإن قيل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قيل ورد ذم البدع وهو مقطوع به وهنا تتعارض أدلة العموم الكثيرة في ذم البدع من غير تخصيص وهذا الدليل الخاص في الحديث السابق. والعام مقدم على الخاص. هذا وجه والآخر.

- أنه لا يمكن حمل الحديث في قوله: «من سن سنة حسنة...» على الاختراع من غير أصل مشروع معتبر، لأن كون العمل حسناً أو سيئاً قبيحاً لا يعرف إلا من جهة الشرع... .

صحيح أن العقل يدرك حسن الشيء وقبحه فيما هو متعلق بالمدح والثواب والذم والعقاب ولكنه لا يستلزم حكماً في فعل العبد بأمر أو نهى أو ثواب أو عقاب. لأن الأحكام وما يترتب عليها من خصائص الشارع الحكيم^(٢).

(١) صحيح مسلم (٧٠٤/١) (١٠١٧).

(٢) انظر: الاعتصام للشاطبي (١٨٣/١ - ١٨٤) وحقيقة البدعة وأحكامها - لسعيد بن ناصر الغامدي (٣٩٨/١ - ٣٩٩).

* صور من تحرى الصحابة رضي الله عنهم لمتابعة السنة:

١ - سئل ابن عمر رضي الله عنهما أن أيقع الرجل على امرأته في العمرة قبل أن يطوف بين الصفا والمروة قال: قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت سبعة ثم صلى خلف المقام ركعتين وطاف بين الصفا والمروة وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب، الآية: ٢١]. وسئل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فقال لا يقرب امرأته حتى يطوف بين الصفا والمروة^(١).

٢ - عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما دخل ابنه عبد الله بن عبد الله وظهره في الدار فقال إني لا آمن أن يكون العام بين الناس قتال فيصدوك عن البيت فلو أقمت فقال قد خرج رسول الله ﷺ فحال كفار قريش بينه وبين البيت فإن حيل بيني وبينه أفعل كما فعل رسول الله ﷺ: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة». ثم قال أشهدكم أنني قد أوجبت مع عمرتي حجًا قال ثم قدم فطاف لهما طوافًا واحدًا^(٢).

٣ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما طاف بالبيت الحرام فجعل يستلم الأركان كلها فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم تستلم هذين الركنين ولم يكن رسول الله ﷺ يستلمهما فقال: معاوية ليس من البيت شيء مهجور فقال ابن عباس رضي الله عنهما «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة». قال صدقت^(٣).

٥ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قرأ النبي ﷺ فيما أمر وسكت فيما أمر ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ﴿٦٤﴾ «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»^(٤).

٦ - عن عيسى بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه قال: صحبت ابن عمر في طريق مكة قال: فصلى لنا الظهر ركعتين ثم أقبل وأقبلنا معه حتى جاء رحله وجلس وجلسنا معه فحانت منه التفاتة نحو حيث صلى فرأى ناسًا قيامًا فقال: ما يصنع هؤلاء قلت يسبحون قال لو كنت مسبحًا لأتممت ضلأتي يا ابن أخي إني صحبت رسول الله ﷺ في السفر فلم يزد

(١) صحيح البخاري (٥٨٦/٢) (١٥٤٤).

(٢) صحيح البخاري (٥٩٠/٢) (١٥٥٨).

(٣) شرح معاني الآثار (١٨٤/٢)، وأخرجه الترمذي في سننه ٢٠٤/٣ (٨٥٨) كتاب الحج.

باب: ما جاء في استلام الحجر والركن اليماني دون ماسواهما. إلا أنه لم يذكر الآية

وقول معاوية رضي الله عنه صدقت وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي

(٢٥٦/١) (٦٨١).

(٤) صحيح البخاري (٢٦٨/١) (٧٤٠).

على ركعتين حتى قبضه الله وصحبت أبا بكر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله وصحبت عمر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله ثم صحبت عثمان فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله وقد قال الله «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»^(١).

٧- عن سعد بن هشام رضي الله عنه قال: (طلقت امرأتي فأتيت المدينة لأبيع عقاراً كان لي بها فأشتري به السلاح وأغزو فلقيت نفرًا من أصحاب النبي ﷺ فقالوا: أراد نفر منا ستة أن يفعلوا ذلك فنهاهم النبي ﷺ وقال: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»...) ^(٢).

والنتيجة أنه بعد هذه الأدلة القاطعة يجب متابعة الرسول ﷺ في كبير الأمر وصغيره وأن من خالف هديه ﷺ برأيه أو ذوقه أو جده أو سياسته أو غير ذلك فقد وقع في البدعة، والتي حقيقتها: (طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية) ^(٣).

وهي حرام؛ لأنها قولٌ على الله بلا علم.
والله يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾ [الإسراء، الآية: ٣٦].
وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى، الآية: ٢١].

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» ^(٤).

وهذا الحديث عده العلماء ثلث الإسلام، لأنه جمع وجوه المخالفة لأمره عليه السلام يستوى في ذلك ما كان بدعة أو معصية.
وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» ^(٥).

- (وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت إني زوجت ابنتي فتمزق شعر رأسها وزوجها يستحسنها أفأصل

(١) صحيح مسلم (٤٧٩/١) (٦٨٩).

(٢) سنن أبي داود (٨٧/٢) (١٣٤٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٤٩/١) (١١٩٣).

(٣) الاعتصام للشاطبي (٣٧/١).

(٤) صحيح مسلم (١٣٤٣/٢) (١٧١٨).

(٥) صحيح مسلم (٨٦٧).

يارسول الله «فنهاها»^(١).

وفيه أن هذه الصحابة رضي الله عنها استحسنت وصل شَعْرَ رأس ابنتها عقلاً فنهاها الرسول ﷺ شرعاً.

عن عبدالله بن نوفل قال: «سمعت عام حج معاوية يسأل سعد بن مالك تقول بالتمتع بالعمرة إلى الحج؟ قال حسنة جميلة فقال قد كان عمر ينهي عنها فأنت خير من عمر؟ قال عمر خير مني وقد فعل ذلك النبي ﷺ وهو خير من عمر»^(٢).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر، الآية: ٨]. فعليكم بالوقوف عند الشبهات حتى يبرز لكم واضح الحق بالبينات فإن الداخل فيما لا يعلم آثم ومن نظر الله نظر الله له، عليكم بالقرآن فاتموا به وأتموا به وعليكم بطلب أثر الماضين فيه»^(٣).
- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «اتبعوا آثارنا فقد كفيتم»^(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «عليكم بالاستفاضة والأثر وإياكم والبدع»^(٥).

وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال: «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع»^(٦).

وعن الحسن رحمه الله قال: «لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك»^(٧).

وكان مالك رحمه الله كثيراً ما ينشد:

«وخير أمور الدين ما كان سنة وشر أمور المحدثات البدائع»^(٨).

قال ابن الماجشون رحمه الله: سمعت مالكا يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمد ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة، الآية: ٣] فما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً»^(٩).

(١) صحيح مسلم (١٦٧٦/٢) (٢١٢٢).

(٢) سنن الدارمي (٤٣١) (١٨١٤).

(٣) سنن الدارمي، المقدمة (٦٤٩).

(٤) الاعتصام للشاطبي (٧٩/١).

(٥) المصدر نفسه (٨١/١).

(٦) صحيح مسلم (١٩٩/١) (٢٢٠).

(٧) الاعتصام (٨٣/١).

(٨) المصدر نفسه (٨٥/١).

(٩) الاعتصام (٤٩/١).

وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: «اتبع طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين»^(١).
والبدع كما هي مذمومة من جهة الخبر فهي مذمومة كذلك من جهة النظر.

(أولاً: أنه قد علم أن العقول غير مستقلة بمصالحها استجلاباً، أو مفاسدها استدفاعاً، دنيوية أو أخروية. في أمور الدنيا قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة، الآية: ٣١] والأخروية أبعد عن المعقول.
ثانياً: أن الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان. قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة، الآية: ٣].

ثالثاً: أن المبتدع معاند للشرع ومُشَاوٍ له، فإن السنة إنما سنّها مَنْ قد عرف مافي خلافها.

رابعاً: أن المبتدع قد نَزَلَ نفسه منزلة المضاهي للشارع، حيث شرع مع الشارع أو أنه علم ما لم يعلمه الشارع.

خامساً: أنه إتباع للهوى لأن العقل إذا لم يكن متبعاً للشرع لم يبق له إلا الهوى والشهوة. والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص، الآية: ٢٦]^(٢).

(١) الاعتصام للشاطبي (١/٨٣).

(٢) راجع الاعتصام للشاطبي (١/٤٧) وما بعدها باختصار وتصرف.

المبحث الثالث في شرط المشاهدة، وهو أن تعبد الله كأنك تراه

قال العيني - رحمه الله - في تقدير الجملة: الإحسان عبادتك الله تعالى حال كونك في عبادتك مثل حال كونك رائيًا له^(١)، وبعبارة أخرى عبادة المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة والإلتقان، حتى يغلب عليه مشاهدة الله تعالى بقلبه كأنه يراه بعينه^(٢)، وهذا من جوامع كلمه ﷺ لأنه لو قُدِّرَ أن أحدًا قام في عبادة ربه وهو يُعَايِنُهُ لم يترك شيئًا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمات واشتماله بظاهره وبباطنه على الاعتناء بتتيممها على أتقن وجوها إلا أنى به^(٣).

وقد أوصى النبي ﷺ بعض أصحابه - رضي الله عنهم - بذلك، منهم ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: «اعبد الله كأنك تراه، وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»^(٤). وكذلك أوصى أبو الدرداء - رضي الله عنه - رجالاً فقال: «اعبدوا الله كأنكم ترونه»^(٥).

وخطب عروة بن الزبير - رضي الله عنهما - إلى ابن عمر - رضي الله عنهما - ابنته سودة وهما في الطواف، فلم يجبه، ثم أتم واعتذر إليه، وقال: «أكنت ذكرت لي سودة بنت عبد الله ونحن في الطواف نتخايل الله عز وجل أعيننا...»^(٦) غير أنه يجب التنبيه على محذورين عظيمين: الأول: أن لا يظن أحد أنه يرى ربه بعيني بصره لأن ذلك منفيٌّ عَنَّا في الحياة الدنيا.

دلَّ على ذلك حديث عمر بن ثابت الأنصاري، أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «... تعلّموا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربّه عز وجل حتى يموت»^(٧).

(١) انظر: عمدة القاري (٣٢٨/١).

(٢) انظر: فتح الباري (١٢١/١)، وجامع العلوم والحكم (١٢٦/١).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٥٧/١).

(٤) مسند أحمد (٢٩١/٢) (٦١٢١)، والحبلى (١١٥/٦)، وصحح إسناده أحمد شاکر في تعليقاته على المسند (١٧/٩) (١٦٥٦)، وذكره الألباني في الصحيحة (٤٦٠/٤٣) (١٤٧٣).

(٥) الحبلى (٢١٢/١).

(٦) الحبلى (٣٠٩/١).

(٧) صحيح مسلم (٢٢٤٥/٣) (٢٩٣١).

التنبية الثاني: أن لا يزل الفؤاد عند مُشَاهَدَةِ الله بالقلب إلى التشبيه والتمثيل، فالله ليس له شبيه ولا مثيل سبحانه وتعالى، كما قال جلّ وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى، الآية: ١١].

وذلك أن الله تعالى غَيْبٌ عَنَّا لم يره أحد فيصفه، وليس كمثله أحد أو يشابهه أحد فنقيسه عليه، ولم يبق إلّا ما أخبر به سبحانه وتعالى، وأخبر عنه رسوله ﷺ، وليس فيما ورد عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ بيان لكيفية أسماء الله وصفاته، وليس معنى ذلك أن الله تعالى ليس لأسمائه وصفاته كيفية بل لها كيفية ولكنها غير معلومة لدينا، كما قال الإمام مالك - رحمه الله تعالى - عندما سئل عن الاستواء فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلّا مبتدعاً» فأمر به أن يخرج^(١).

وقد سئل سهل بن عبدالله التستري عن ذات الله تعالى فقال: «ذات الله موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودة بحقائق الإيمان، من غير حدّ ولا إحاطة ولا حلول، وتراه العيون في العقبي، ظاهراً في ملكه وقدرته، وقد حجب الخلق عن معرفة كُنْه ذاته ودلهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه، والعيون لا تدركه، ينظر إليه المؤمن بالأبصار، من غير إحاطة، ولا إدراك نهاية»^(٢)، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه، الآية: ١٠٠].

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٣٠٥/١) (٨٦٧).

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢١٩).

الباب الثاني

أنواع الإحسان وصوره ووسائله وثمراته

وصفات المحسنين

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: أنواع الإحسان

الفصل الثاني: وسائل الإحسان

الفصل الثالث: صور الإحسان

الفصل الرابع: ثمرات الإحسان

الفصل الخامس: صفات المحسنين

الفصل الأول أنواع الإحسان

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: إحسان الخالق جل وعلا إلى المخلوق
- المبحث الثاني: إحسان الإنسان في عبادة الله تعالى
- المبحث الثالث: إحسان الإنسان إلى نفسه باطنًا وظاهرًا
- المبحث الرابع: إحسان الإنسان إلى الخلق

المبحث الأول إحسان الخالق عز وجل إلى المخلوق

وفيه تمهيد ومطلبان:
المطلب الأول: فقر المخلوق وعجزه عن عد إحسان الله تعالى إليه
المطلب الثاني: أقسام إحسان الله تعالى إلى الناس

تمهيد

الإحسان هنا بمعنى الإنعام وصنع الجميل بالغير. والخالق هو الله تعالى، وكل ماسواه مخلوق، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر، الآية: ٦٢]. ومن صفات الخالق: القدرة التامة، والحكمة الكاملة، والبقاء الدائم، والغنى الواسع، والكرم العميم والله تعالى وحده المتصف بها وبكل صفات الكمال والجلال تبارك وتعالى.

ومن صفات المخلوقين: العجز، والضعف، والفقر، والفناء، وغيرها من صفات النقص. التي تلازم المخلوق لا تنفك عنه بحال من الأحوال.

وأما ما يجده الإنسان من قوة، وقدرة، وتمكين، وسعة في الرزق وغيرها من صفات الكمال النسبية فإن مسديها هو الله تعالى وإنما هي عارية في يده. يجب شكرها باللسان والعمل بها في طاعة الرحمن والتحدث بها بين الأنام. وهذا حال المحسنين من عباد الله جلّ وعلا.

المطلب الأول فقر المخلوق وعجزه عن عدِّ إحسان الله إليه

قال ابن القيم رحمه الله: (إن كل حي سوى الله فقير، إلى جلب ماينفعه، ودفع ما يضره، والمنفعة للحي من جنس النعيم واللذة، والمضرة من جنس الألم والعذاب، ويتفرع من ذلك أربعة أمور:
الأول: أمر محبوب مطلوب الوجود.
الثاني: أمر مكروه مطلوب العدم.
الثالث: الوسيلة إلى حصول المحبوب.
الرابع: الوسيلة إلى دفع المكروه.
فهذه الأربعة ضرورة للعبد، بل ولكل حي سوى الله. لا يقوم صلاحه إلا بها)^(١).

والله سبحانه وتعالى هو القادر وحده دون سواه على إيصال النفع إلى خلقه ودفع الضر عنهم بما شاء من الوسائل المحققة لذلك. من هنا كان افتقار العباد وصفًا ذاتيًا ملازمًا لهم، كما أن الغنى وصف ذاتي ملازم لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر، الآية: ١٥]. وما حاجات الناس إلا دليل فقرهم، وفقر الواحد منهم لا يقدر على سده جميعًا، لأن منها مالميس في مقدورهم أصلاً، وأما ماتحت قدرتهم فإن أحسنوا مرة عجزوا عن استمرار ذلك الإحسان ودوامه على التمام، كما أن إحسانهم تلك المرة مصدره الحقيقي هو الله وحده وهم الوسيلة له فقط، لأن الله تعالى هو باريء النعم، ومُنْشِئُهَا من العدم، فانظر بعين البصيرة إذا كان هذا حال الناس جميعًا لا يستطيعون سد حاجة إنسان واحد كما أحسن الله إليه، فكيف يكون الحال مع حاجات الخلق أجمعين، على تنوعها، وكثرتها، واستمرارها قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل، الآية: ٥٣]. ولو أمعنت النظر مرة ثانية في تعداد نعم الله تعالى الظاهرة على الإنسان لأعيك عدها وحصرها، ولعجزت عن ملاحقتها، فما من لحظة ولا غمضة، ولا ومضة، ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا والله تعالى على الإنسان فيها نعم كثيرة، يعقبها نعم أكثر! فكيف يمكن إحصاؤها؟ نعم قد يدرك الإنسان بعض نعم الله عليه ولكنه حينئذ يعجز عن

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (١٠٠ - ١٠١).

معرفة وزنها لتفاوت قدرها ونفعها ناهيك عن النعم الخافية على الإنسان فمن المحال قطعاً وجزماً حصرها والوقوف على حقيقتها! إذ كيف يعدها من لم يعرفها ابتداءً؟ فتأمل جيداً إذا كان هذا هو الحال مع الإحسان إلى إنسان واحد، فكيف يكون الحال مع الإحسان إلى الناس أجمعين، بالطبع يكون الوقوف على مقدار تلك النعم وحصرها أشد استحالة. فانظر إذن كم في الأرض والسماء والبر والبحر من مخلوقات مطوقة أعناقها بالنعم، فهل يدور بالخلد مقدار نعمة واحدة في وقت واحد لكل واحد من تلك المخلوقات، إنه لا يقدر على ذلك إلا من أحصى المخلوقات جميعاً حتي دقائقها التي لا تُرى لنا بالعين المجردة، وهو الله تعالى الذي: ﴿وَأَخَصَّنَا كُلَّ شَيْءٍ عَدْدًا﴾ (الجن، الآية: ٢٨). القائل جل شأنه وتعالى سلطانه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود، الآية: ٦].

وأخيراً تأمل بامعان إذا كان هذا هو الحال في عدد نعمة واحدة لجميع المخلوقات قد بات من خصائص الرب سبحانه وتعالى. فكيف يكون الحال مع ما أسبغه الله تعالى من النعم على الإنسان وغيره من لدن أول الخليقة في كل الأزمنة والأمكنة والأحوال إلى حين استقرار أهل الجنة فيها وما يعقب ذلك من النعيم. قال الله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا﴾ [لقمان، الآية: ٢٠].

قال ابن أبي الحواري رحمه الله: (قالت لي امرأة: أنا في شغل قد شغل قلبي، قلت وما هو؟ قالت: أريد أن أعرف نعم الله عليّ طرفة عين، أو أعرف تقصيري عن شكر النعمة عليّ في طرفة عين. قلت:

تريدين مالا تهتدي إليه عقولنا)^(١).

قال محمد بن الوراق رحمه الله:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة عليّ في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضلله وإن طالت الأيام واتصل العمر
وإن مس بالسراء عمّ سرورها وإن مس بالضراء أعقبها الأجر
وما منهما إلا له فيه منّة تضيق بها الأوهام والبر والبحر^(٢)

من هنا تتقرر الحقيقة التي تحكي عجز الإنسان عن عدّ النعم الإلهية عليه. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم، الآية: ٣٤].

(١) عدة الصابرين (١٠١).

(٢) موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا (الشكر) (٣/ ٣٦) (٨٢).

لكن ينبغي التنبيه إلى أن كثيراً من الناس إذا حدث عن النعم انصرف ذهنه إلى ما يقوم بالبدن من اللذة والنعيم ونسي ما تقوم به الروح وهو الدين، غير أن أهل الإحسان يدركون أن الإسلام هو أعظم نعمة امتن الله بها على عباده قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران، الآية: ١٦٤]. وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة، الآية: ٣].

والتنبيه الآخر أن كثيراً من الناس إذا حدث عن النعم انصرف ذهنه إلى إحسان الله تعالى على الناس في هذه الدنيا، ونسي الإحسان الأعظم في الآخرة، إذ من الإحسان في الدنيا ما يشترك فيه الإنسان وغيره، أو المسلم والكافر، أما إحسان الله في الآخرة فهو خاص بالمؤمنين بمالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهو الإحسان الدائم الذي ليس فيه منغص أبداً.

إذا علم هذا فإن العباد كلهم قلوبهم مفطورة على الإقرار بأن الله تعالى وحده هو المحسن الحقيقي على جميع خلقه إلا ما ذكر عن شذاذ من بني آدم في أزمنة متفرقة وإن كانوا مقرين بها في قرارة أنفسهم كما حكى الله ذلك عنهم حيث قال: ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَقِنْتَهَا أَنفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل، الآية: ١٤]. غير أن من عباد الله من إذا أحسن إليه بواسطة بعض المخلوقين نسب الإحسان إلى المخلوق ونسي المحسن الحقيقي لها وهذا خطأ بين. وكفران لنعم الله تعالى. كما جاء عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف، أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم». قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب»^(١).

(١) صحيح البخاري (٢٩٠/١) (٨١٠).

المطلب الثاني أقسام إحسان الله تعالى إلى الناس

ينقسم إحسان المنعم جل جلاله إلى عبيده إلى قسمين:
أحدهما ظاهر، والآخر باطن. وكل منهما داخلي للإنسان أو خارجي عنه، ملازم له، أو ينفك عنه حيناً دون حين. يُفهم من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان، الآية: ٢٠].

وفي الآية عدة فوائد هي محور هذا المطلب:

الأولى: أن الله تعالى صدرها بالاستفهام التوبيخي للمشركين الذين يصرفون العبادة لغيره تعالى. والمعنى: كيف تعلمون أن الله وحده هو الذي سخر لكم مافي السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، ثم تجادلون في وحدانيته وما يجب له وما يمتنع عليه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

الثانية: أن في قوله «سخر لكم» قسمة رباعية وهي كالاتي:

أ- أن المسخر لما ذكر هو الله وحده دون سواه.

ب- أن المسخر هو مافي السماوات والأرض. و[ما] اسم موصول بمعنى الذي يفيد العموم أي عموم ما فيهما. (فمن مخلوقات السماوات المسخرة لبني آدم التي يتفعون بها: الشمس، والقمر، والنجوم، والملائكة، فإن منهم حفظة للإنسان وغير ذلك. ومن مخلوقات الأرض: التراب، والأحجار، والأشجار، والحيوان، وغيرها)^(١).

ج- أن المسخر له هو الإنسان. لأنه هو المخاطب، وفي قوله «لكم» دليل الاختصاص. أي: خصكم أيها الناس دون غيركم أصلاً، وأما انتفاع غيركم بما فيهما فإنما هو بالتبع ولربما عادت ثمرة انتفاعهم بما فيها لكم.

د- أن وجه التسخير: هو جعل المسخر بحيث ينتفع به المسخر له، سواء كان منقاداً له وداخلاً تحت تصرفه أم لا.

قال الراغب رحمه الله في معنى التسخير: (هو سياقة إلى الغرض المختص قهراً)^(٢).

الثالثة: أن في قوله «أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» عطف جملة على جملة والتقدير: ألم تروا أن الله أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة.

(١) فتح القدير (٤/٢٤١).

(٢) المفردات (٢٣٢).

ومعنى: «أسبغ»: أتم وأكمل، والنعمة: اسم لكل ما يتلذذ به.
والمراد بالظاهرة: ما يدرك بالعقل أو الحواس، ويعرفه من يعرفه.
كالصحة وكمال الخلق، والمال، والجاه، والجمال، وفعل الطاعات في
الدنيا وغيرها، وما سخر له من نعم الكون المدركة بالعقل والحس.
والباطنة: مالا يدرك للناس ويخفى عليهم. كالمعرفة، والعقل، وما
يجده الإنسان من العلم بالله وحسن اليقين، وما يدفعه الله عن العبد من
الآفات، وما ستره الله عليه من الأعمال السيئة، وما سخر له من نعم الكون
التي لا تدرك بالعقل والحس، وما أعده الله من النعيم للمؤمنين في
الآخرة^(١).

رابعاً: الأمثلة على الإحسان الظاهر والباطن.

أ - أمثلة الإحسان الظاهر:

١ - إحسان الله على العبد بالإيجاد:

فالله سبحانه وتعالى خالق كل شيء بعد أن لم يكن قال تعالى:
﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [غافر، الآية: ٦٢].
و[كل] من ألفاظ العموم و[شيء] نكرة منونة تفيد العموم أي عموم
الأشياء المخلوقة. ومنها الإنسان كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ
ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا
وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِنَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر، الآية: ٦٧].
وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتِّقَارَ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ
مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾
[النساء، الآية: ١].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الذي خلقك فسوئك
فعدلك] ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار، الآية: ٦ - ٨].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً
وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر، الآية: ٦٤].

٢ - إحسان الله تعالى على العبد بعطف الأبوين ورحمتهما له.

قد يقال إن الحمل والولادة ضرورة سببها في الغالب حب قضاء الوطر
من الأبوين فلا يقصدان الإنجاب بالأصل وإنما بالتبع إلا أن ما يجده المولود
من الرحمة والشفقة الموجبة للخدمة محض منة من الله تعالى على هذا
الصغير العاجز زرعها الله في قلوب الأبوين حتى أنهما ليقدمان راحتها

(١) انظر: فتح القدير (٢٤١/٤) (بتصرف).

لراحته ويقدمان راحته على راحتهما، وسعادتهما لسعادته، وحياتهما لحياته. لذا نجد أن القرآن الكريم لم يركز على هذه الحقيقة وهي بر الآباء للأبناء لأنها حقيقة فطر الله الأبوين عليها.

وَمَنْ شَدَّ عَنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ فَلَا حَكْمَ لَهُ إِذِ الْحَكْمُ لِلْغَالِبِ، وَلرَبِّمَا كَانَ تَنْكَرُهُ لَعَلَّةٌ عَقْلِيَّةٌ أَوْ نَفْسِيَّةٌ أَخْرَجَتْهُ عَنْ فِطْرَتِهِ.

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُ الْفِئَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان، الآية: ١٤]. إن ما تجده الأم من مشقة الحمل والولادة والتربية والرعاية وما يتجشمه الوالد من الصعاب والمخاطرة لسد حاجته وحماية هذا المولود لشيء والله يفوق الخيال، كل ذلك مع ما يحوطانه به من الحب والحنو مع غناهما عنه وشدة حاجته إليهما.

٣ - إحسان الله على العبد بما سخر له من أسباب بقاء الحياة.

كملائمة تضاريس الأرض، والغلاف الجوي، والمناخ، وحركة الكواكب، والموارد المائية والنباتية، والحيوانية له.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك، الآية: ١٥].

ومعنى قوله: «الذي جعل لكم الأرض ذلولاً» أي سهلة لينة تستقرون عليها. ولم يجعلها خشنة بحيث يمتنع عليكم السكون فيها والمشي عليها. و«مناكبها» طرقها وأطرافها وجوانبها^(١). وذلاتها بحيث تكون صالحة للزراعة بما أوجد فيها من العناصر الغذائية.

وسخر للإنسان الغلاف الجوي المشبع بالغازات والعناصر الأخرى التي يحتاجها الجسم.

لذلك ضرب الله مثلاً لمن جعل صدره ضيقاً حرجاً بحالة من يصعد في السماء فيفقد ملاءمة الغلاف الجوي له بنقص الغازات الملامسة للقشرة الأرضية.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام، الآية: ١٢٥].

وسخر له المناخ المناسب لقواه الجسدية من تعاقب الفصول الأربعة ودرجة الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وتصريف الرياح، وغزارة الأمطار إلى غير ذلك من أحوال المناخ.

(١) فتح القدير - للشوكاني (٥/٢٦٢).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة، الآية: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَوَفِّحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر، الآية: ٢٢].

وسخر الشمس والقمر، والنجوم.

قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِي﴾ [الأعراف، الآية:

[٥٤].

فانظر كم من نعمة أحسن الله بها على العبد بتسخير هذه الكواكب الثلاثة فالشمس مصدر طاقة يتفجر منها النهار المبصر والقمر بتقدير للحساب. والنجوم علامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وزينة ورجوم للشياطين.

وسخر سبحانه وتعالى الموارد المائية الكافية للإنسان من البحار والمحيطات بمائها المالح، والأنهار عذبة الماء وفي ذلك كله من الغذاء والحلي وجعلها طريقاً معبداً لحركة الفلك بين القارات.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ﴾ [الجاثية، الآية: ١٢].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِي وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [٣٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [٣٣] ﴿وَأَتَّكُم مِّنْ كُلِّ مَآسَأٍ لِّتَمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم، الآية: ٣٢ - ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل، الآية: ١٤].

وسخر الله للعبد الموارد الحيوانية والنباتية.

قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [٥] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [٦] ﴿وَتَحْمِلُ أُنْفَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّئِمَّ تَكُونُوا فِيهِ﴾ [٧] ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [٨] ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَنَكُمْ أَرْجَامًا﴾ [٩] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ ثَمَرَاتٌ﴾ [١٠] ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [١١] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل، الآية: ١١ - ٥].

وقال: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ [النحل، الآية: ١٣].

٤ - إحسان الله تعالى على العبد بالصحة.

وذلك أن الله جل جلاله ركب في جسد الإنسان القدرة الكافية على مقاومة الآفات والأمراض، وأمدّه بالحواس اللازمة للتعامل مع من حوله. كالسمع والبصر، واللمس، والذوق، والشم وغيرها قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل، الآية: ٧٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام، الآية: ٤٦].

إن نعمة صحة البصر وسلامته وحدها لا يساويها شيء إذ به ينفذ الإنسان إلى الحياة بقدرة أكبر فكيف إذا انضَمَّ إليها غيرها من سلامة بقية أعضاء البدن. وأجهزته. ولك أن تتخيل كم يتألم الإنسان عندما يفقد بعض أجزائه القدرة على القيام بوظيفته أو بعضها. ثم كم يكون طعم الصحة والعافية حلواً بعد المرض، إن الذي يمنع الصحة هو الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء، الآية: ٨٠].

فكان الصحة هي الأصل في الإنسان، والمرض طارئ، وإذا حصل ذلك الطارئ من المرض فإن المحسن الحقيقي جل وعلا هو الذي يشفي عباده. فما من داء إلا وجعل له دواء.

وفي الأمراض والأسقام التي يبتلي الله بها عباده الصالحين فوائد منها: رفع درجاتهم، أو تكفير سيئاتهم، أو دفع مكروه عنهم أكبر من ذلك. وذلك كله للصابر ابتغاء وجه الله تعالى. كما حصل لنبي الله أيوب عليه السلام.

- فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إن أيوب نبي الله ﷺ

لبث في بلائه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين من إخوانه، كانا من أخص إخوانه، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين، قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به، فلما راح إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب: لا أدري ما تقول غير أن الله يعلم أنني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يُذكَرَ الله إلا في حق قال وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله إلى أيوب في كتابه ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [٤٧] فاستبظأتها فبلغته فأقبل عليها قد أذهب الله مابه من البلاء فهو أحسن ماكان فلما رآته قالت أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى والله على ذلك ما

رأيت أحداً كان أشبه به منك إذ كان صحيحاً قال فإنني أنا هو وكان له أندران
أندر القمح وأندر الشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر
القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاضت وأفرغت الأخرى على أندر الشعير
الورق حتى فاضت^(١).

ب - أمثلة الإحسان الباطن:

١ - إحسان الله تعالى على العبد بنعمة العقل.

عملُ العقل هو العلم بالمدركات الضرورية. وهو قسمان: الأول: ما
وقع عن درك الحواس، مثل المرئيات المدركة بالنظر، والأصوات المدركة
بالسمع، والطعوم بالذوق، فإذا كان الإنسان ممن لو أدرك بحواسه هذه
الأشياء لعلم، ثبت له هذا النوع من العلم.

والثاني: ما كان مُبْتَدَأً في النفوس، كالعلم بأن الشيء لا يخلو من
وجود أو عدم، وأن الواحد أقل من الاثنين.

وهذان القسمان هما العقل الغريزي، المغروز في الفِطْرِ التي فطر الله
الإنسان عليها. وهو مناط التكليف.

قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ [الحج،
الآية: ٤٦] والآية دلت على أمرين: أحدهما: أن العقل علم، والثاني: أن
محله القلب. وفي قوله «يعقلون بها». تأويلان: أحدهما يعلمون بها،
والثاني: يعتبرون بها. والثاني مترتب على الأول.

لكن العقل الغريزي ينمو إن أُستعمل، وهذا النماء هو العقل المكتسب
وهو نتيجة العقل الغريزي، وهو نهاية المعرفة، وصحة السياسة وإصابة الفكرة.
ونماؤه يكون بأحد وجهين: إما بكثرة الاستعمال إذا لم يعارضه مانع
مِنْ هَوًى، ولا صاُدٌّ من شهوة، كالذي يحصل لذوي الأسنان من الحنكة،
وصحة الرويَّة بكثرة التجارب، وممارسة الأمور، ولذلك حمدت العرب آراء
الشيخوخ، وأما الوجه الثاني: فقد يكون بفرط الذكاء، وحسن الفطنة وسرعة
البديهة، فإذا امتزج بالعقل الغريزي، صارت النتيجة نمو العقل المكتسب،
كالذي يكون في صغار السن من وفرة العقل، وجودة الرأي.

فإذا اجتمع هذان الوجهان في العقل المكتسب فهو العقل الكامل على
الإطلاق.

إلا أن مَنْ صرف فَضْلَ عقله إلى الشر لا يسمى عاقلاً حتى يكون خيراً
دينًا، لأن الخير والدين من موجبات العقل، وإنما يسمى صاحبه ذكياً

(١) صحيح ابن حبان (الإحسان) (١٥٧/٧) (٢٨٩٨). وقال الهيثمي: رواه أبويعلى والبخاري
ورجال البزار رجال الصحيح. مجمع الزوائد (٢٠٨/٨).

ومفكرًا، وقد قيل: العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه، وقيل: إذا عقلك عقلك عما لا ينبغي فأنت عاقل.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الغريزي، لأنه نتيجة له، وقد ينفك العقل الغريزي عن العقل المكتسب، فيكون صاحبه مسلوب الفضائل، موفور الرذائل كالأحمق الذي قلما يخلو من رذيلة^(١).

وحتى ندرك عظم هذه المنة الإلهية على الإنسان بأن ميزه بالعقل عن سائر الحيوان، وجعله مناط التكليف بالأحكام الشرعية التي كرمه الله بها. علينا أن نعمن النظر في مَنْ سَلَبَهُمُ الله تلك النعمة بالكلية أو ضعفت عندهم.

إن الأول لا تكاد تُخْرِجُهُ في تصرفاته وإراداته عن جملة البهائم فلا يؤمن على شيء حتى على نفسه التي يحملها، والآخر كالتى تنقض غزلها من بعد قوة أنكاثًا، يخبط في حياته خبط عشواء فما يقارب الإحسان في عمله إلا والإساءة هي الظاهرة عليه إلا ماندر.

٢ - إحسان الله على العبد بما يجده في قلبه من العلم بالله وحسن اليقين:

إن ما يجده العبد المسلم في قلبه من صحيح الإيمان والعلم بربه وما يتلذذ به من حسن اليقين بالله إحسان لا يساويه شيء أبدًا إنه جنة الله في الأرض لأوليائه وأصفياه، وهذه النعمة العظيمة لا يمنحها الله إلا من أحب من عباده ولو كان عاميًا لا يقرأ الكتاب، يسلم بها من الشك والحيرة والاضطراب وتندفع بها الوسوس والأوهام عن قلبه حتى لكأنه ينظر إلى مولاه جل وعلا ببصره، غير أن الله تعالى قد سلب كثيرًا من عباده هذه النعمة عندما أبوا الإيمان وأصروا على الكفر والعناد، وتخطوا في الشقاء والضنك مما جعلهم يفرون من عقولهم إلى شهواتهم. وهم غالب أهل الأرض، وامتنح الله طائفة من أذكى المسلمين بفقد هذه النعمة عندما اتكلوا على عقولهم يطلبون صحيح الإيمان والعلم بالله تعالى بالفلسفة وعلم الكلام فما ازدادوا إلا حيرة واضطرابًا، فتنادوا يعلنون عجزهم ويتباكون ويجأرون إلى ربهم أن يمنحهم اليقين الصادق ينعمون به قبل الممات ففتح الله مغاليق قلوبهم وأنارها بنور الكتاب والسنة فسكنت واستراحت عندما أنعم الله عليها بالعلم وحسن اليقين به. (ومن هؤلاء أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي رحمه الله فقد قال في كتابه الذي صنّفه أقسام اللذات:

(١) انظر: أدب الدنيا والدين (١٩ - ٢٥) (باختصار وتصرف).

نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسوننا وحاصل ديانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
ثم قال: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيته
تشفي عليلًا، ولا تُزوي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن.. ثم
قال: «ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي».

وكذلك الشيخ أبو عبدالله محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، حيث
قال: إنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم: وأنشد:
لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرَ إلا واضعًا كف حائر على ذقن أو قارعًا سن نادم
وقال شمس الدين الخسروشاهي: لبعض الفضلاء، وقد دخل عليه
يومًا. ما تعتقد؟ قال: ما يعتقده المسلمون، فقال: وأنت منشرح الصدر
لذلك مستيقن به؟ أو كما قال، فقال: نعم فقال: أشكر الله على هذه النعمة
لكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري وبكى
حتى أخضل لحيته.

ولن يصل إلى مثل هذه الحال إن لم يتداركه الله برحمته وإلا تذبذب
بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار، موسوسًا تائهاً،
شاكًا، لا مؤمنًا مصدقًا، ولا جاحدًا مكذبًا.

والدواء النافع لمثل هذا المرض هو ما كان من حديث طيب القلوب
صلوات الله وسلامه عليه بقوله إذا قام من الليل يفتتح الصلاة: «اللهم رب
جبرائيل وميكائيل، وإسرافيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب
والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلف
فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(١)^(٢).

٣ - إحسان الله تعالى على العبد بفعل الطاعات وكسب الحسنات.
أجلّ لقد مكّن الله تعالى الإنسان بما ركب فيه من استعدادات وقدرات
من فعل الطاعات التي بها زكاة نفسه وجسده، وانشراح صدره، ونشاط
جوارحه، ورفع درجاته، وتكفير سيئاته، وحببها إليه وزينها في قلبه وكره
إليه الكفر والفسوق والعصيان.

وجعلها أنواعًا متعددة، فجعل منها في كل زمان ما يناسبه من الطاعة
ما بين بدنية ومالية مؤقتة وغير مؤقتة من صلاة، وصيام وزكاة، وحج، وذكر

(١) صحيح مسلم (٥٣٤/١) (١٧٧).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (٢٠٨ - ٢١٠).

لله وبر وصدقة، كل ذلك ليجد العبد فيها ألواناً من المتعة والتجديد الباعث على النشاط والمثابرة حينما ينتقل من طاعة إلى طاعة. قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات، الآية: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس، الآية: ٩ - ١٠]. ومع أن ثمرة طاعة العبد لربه راجعة إليه لكمال غنى الله تعالى إلا أنه سبحانه وتعالى كريمٌ بَرٌّ رحيمٌ أغدق على عباده الطائعين الحسنات وضاعفها لهم أضعافاً كثيرة كما قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النمل، الآية: ٨٩]. كل ذلك حباً في الطائعين وحرصاً على رفع درجاتهم في أعلى عليين. إنه والله لو لم يكن من ثمرات الطاعات إلا ما يجده المؤمن في قلبه من السعادة واللذة، والأمن والرضا، لكان ذلك حرياً بمن له عقل أن يقدر هذه النعمة قدرها، وأن يحرص كل الحرص عليها، ويسعى جاهداً في استدامتها.

كيف والأمر أكبر من ذلك بكثير؟

إن من ثمراتها حوراً، وقصوراً، وأنهاراً، وأشجاراً، وأطياراً، وثماراً، وجواراً لله تعالى في دار القرار. فلا موت ولا فناء.

٤ - إحسان الله على العبد بما يدفعه عنه من الآفات والشور.

المؤمن في هذه الدنيا محاط بما لا يخطر على باله من الآفات والشور، إحاطة السوار بالمعصم، كلٌ يتربص به الدوائر، لكن لطف الله أعظم، وإحسانه أوسع، حيث جعل له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً وحتى الكافر المضطر إن دعاه، نجاه وألبسه ثوب العافية والسلامة قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لِّئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الرعد، الآية: ٦٣، ٦٤]. وقال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد، الآية: ١١]. والمعقبات هم الملائكة الكرام الموكلون بحفظ بني آدم، وقوله «من أمر الله» أي بأمر الله. والمعنى أن الله تعالى له ملائكة أوكلمهم بحفظ بني آدم من أمامهم ومن خلفهم يدفعون عنهم الشور والآفات.

إننا حينما نبصر الآفات والشور العظام التي أحلت بنا نقول لكل واحدة منها أنت مهلكتي. ثم نجانا الله منها. فكيف بمالم ندركه؟ لو كشف لنا لما طاب لنا عيش وإن سلمنا منه.

٥ - إحسان الله على العبد بما ستره عليه من الأعمال السيئة:

ورد في صفات الله جل وعلا السَّيِّرُ، والسَّيِّرُ. قال ابن الأثير في قوله ﷻ: «إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ سَيِّرٌ يَحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ». سَيِّرٌ: فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، أَيِ

من شأنه وإرادته حب الستر والصون^(١).

وقد أورد النسائي صفة أخرى في هذه الصفة وهي سِتِيرٌ بتشديد التاء مكسورة وذلك في قوله ﷺ في الحديث الذي رواه عطاء عن يعلى: «إن الله - عز وجل - حليمٌ حَيٌّ سِتِيرٌ...» الحديث» قال السندي في الحاشية: معناه أنه عز وجل تارك للقبائح، وسائر للعيوب والفضائح، يحب الحياء والستر من العبد ليكون متخلقاً بأخلاقه تعالى^(٢). عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [لقمان، الآية: ٢٠] قال: «أما الظاهرة فالإسلام والقرآن، وأما الباطنة فما يستر من العيوب»^(٣).

وعن قبيصة بن عقبة قال: بلغ داود الطائي أنه ذُكِرَ عند بعض الأمراء فأثنى عليه فقال: «إِنَّمَا نَتَبَلَّغُ بِسِتْرِهِ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَلَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ بَعْضَ مَا نَحْنُ فِيهِ مَا ذَلَّ لَنَا لِسَانٌ أَنْ نَذْكُرَ بِخَيْرٍ أَبَدًا»^(٤).

وعن أبي الشعثاء قال: كان شرحبيل بن السمط على جيش قال: فقال: «إنكم نزلتم أرضاً فيها نساء وشراب، فمن أصاب منكم حداً فليأتنا حتى نطهره، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فكتب إليه «لا أم لك تأمر قوماً سَتَرَ اللهُ عليهم أن يهتكوا سِتْرَ اللهِ عليهم»^(٥).

والستر على العبد: تغطية ذنوبه، وإخفاء عيوبه ويكون في الدنيا والآخرة. ولولا ستر الله على عبده في الدنيا ما أمن بعضهم بعضاً، ولما استطاع أحد أن يجالس أحداً من سواد قبائحه وكثرة مخازيه.

قيل للشعبي رحمه الله في نائية: كيف أصبحت؟ قال: بين نعمتين: خير منشور وشرٍّ مستور^(٦).

وأعظم من ذلك ستر الله تعالى عبده في الآخرة يوم الفضائح على رؤوس الأشهاد.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كَنَفَهُ، وَيَسْتُرُهُ، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قَرَّرَهُ بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون، فيقول الأشهاد: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

(١) النهاية - لابن الأثير (٢/٣٤١).

(٢) سنن النسائي مع الحاشية السندي ٢٠٠/١ (٤٠٦).

(٣) مكارم الأخلاق - للخراطي (١/٤٨٨) (٤٩٨).

(٤) محاسبة النفس - لابن أبي الدنيا (٥٣).

(٥) الزهد - لوكيع (٣/٧٧٤).

(٦) أدب الدنيا والدين - للماوردي (٢٨٢).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول رب قد عملت أشياء لا أراها هاهنا فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه» (٢).

٦ - إحسان الله على العبد المؤمن بما أعده له في الآخرة:

إن النعم في هذه الدنيا زائلة، وعمّا قريب لا محالة زائلة، فالسرور بها إذا أقبلت، مشوب بالحذر من فراقها إذا أدبرت، لا تُفْرَحُ بإقبالها، حتى تُحْزَنَ بإدبارها، قيل للحسن البصري رحمه الله: كيف ترى الدنيا قال: شغلني توقع بلائها، عن الفرح برخائها (٣). هذا على حقارة ما فيها وكثرة حاسديها. أما نعيم الآخرة فدائم لا ينقطع، سرور وحبور، قصور وزهور، أنهار وثمار، أشجار وأطيار، وحياة ليس بعدها موت، وشباب ليس بعده هرم، وصحة ليس فيها سقم، وجوار لرب العالمين، قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (الرعد، الآية: ٣٥).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون ولا يتغوطون، آتيتهم فيها الذهب أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلبٌ واحدٌ يسبحون الله بكرة وعشيًا» (٤).

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لنا: «أتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتبهينا إلى مدينة بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطرٌ من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ وشر كأقبح ما أنت راءٍ قالوا لهم اذهبوا ففعلوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء

(١) صحيح البخاري (٨٦٢/٢) (٢٣٠٩).

(٢) صحيح مسلم (١٧٧/١) (١٩٠).

(٣) أدب الدنيا والدين - للماوردي (٢٨٣).

(٤) صحيح البخاري (١١٨٥/٣) (٣٠٧٣).

عنهم فصاروا في أحسن صورة قالوا لي هذه جنة عدن وذاك منزلك قالوا أما القوم الذين شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». فاقروا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^(٢).

والآثار الواردة في وصف الجنة ونعيمها كثيرة معلومة ومظانها مشهورة. وسيأتي شيء منها في ثمرات الإحسان الآخروية^(٣).

(١) صحيح البخاري (١٧١٧/٤) (٤٣٩٧).

(٢) صحيح البخاري (١١٨٥/٣) (٣٠٧٢).

(٣) راجع الفهرس العام.

المبحث الثاني إحسان الإنسان في عبادة الله تعالى

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الإحسان الاعتقادي

المطلب الثاني : الإحسان القولي

المطلب الثالث : الإحسان الفعلي

تمهيد

أولاً: اختلاف الروايات في تفسير الإحسان: اختلفت الروايات في تفسير النبي ﷺ للإحسان كما هو واضح في حديث جبريل - عليه السلام - عندما سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وأمارات الساعة. والشاهد منه قوله ﷺ عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وهذه الرواية أخرجها الإمام مسلم في صحيحه من رواية عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ^(١) وقد ورد تفسير الإحسان بمثل رواية عمر - رضي الله عنه - عند الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه من رواية أبي هريرة - رضي الله عنه - ^(٢) وخالف بعض الروايات في تفسير الإحسان فعند الإمام مسلم - رحمه الله - في صحيحه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «أن تخشى الله كأنك تراه فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك» ^(٣) وجاء في مسند الإمام أحمد - رحمه الله - من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «أن تعمل لله كأنك تراه فإنك إن لم تره فإنه يراك» ^(٤).

ثانياً: الفرق بين ألفاظ الروايات.

جاء في الرواية الأولى قوله: «أن تعبد الله...» وفي الرواية الثانية قوله: «أن تخشى الله...» وفي الرواية الثالثة قوله: «أن تعمل لله...» ولكل لفظة من ألفاظ الروايات هذه معنى يعرف به الفرق بينها وبين غيرها. فالعبادة غاية الخضوع، ولا تُستحق إلا بغاية الإنعام، ولهذا لا يجوز أن يعبد غير الله تعالى، ولا تكون العبادة إلا بمعرفة المعبود ^(٥).

والعمل هو الفعل الواقع حسب إرادة المريد، ويكون للخالق والمخلوق ^(٦).

وأما الخشية فهي خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ^(٧).

(١) (٣٨/١) (١).

(٢) (٢٧/١) (٥٠).

(٣) (٤٠/١) (١٠).

(٤) (٥٢٤/١) (٢٩١٩).

(٥) انظر الفروق في اللغة - لأبي هلال العسكري ١٨٢.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المفردات (١٤٩).

ثالثاً: الجمع بين تلك الروايات.

ما يظهر من نوع اختلاف بينها إنما هو من باب اختلاف التنوع أو التداخل وليس من اختلاف التضاد في شيء، وذلك لأن اللفظ المخالف إما أن يكون تفسيراً بمرادف له أو ببعض أفرادها، ولا شك أن الحادثة واحدة ومرد هذا الاختلاف تصرف الرواة في الألفاظ، ولا يخفى جواز الرواية بالمعنى لمن كان عالماً بالألفاظ ومقاصدها، وخبيراً بما يحيل معانيها.

وأما الجمع بين الروايات من ناحية المعنى فمن وجوه:

أ- أن العبادة أعم من العمل فتشمله وتشمل غيره، وقد ورد في القرآن الكريم استعمال العمل بمعنى العبادة، قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا...﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٣٢]

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت، الآية: ٧] وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ إِسْرًا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٨٨]

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ أَلِجَنَّةُ أُورِثُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف، الآية: ٤٣] وقال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسَيْرِ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

ب - وأما قوله: «أن تخشى الله...» فتخرج ذلك أنه قد أتى بأخص خصائص العبادة وهي الخشية التي هي بمعنى الخوف والخوف أهم أركان العبادة ونظير ذلك قوله ﷺ: «الحج عرفة»^(١) ولا يخفى أن أعمال الحج كثيرة لكن الوقوف بعرفة أهم أركانه لأن من فاتته الوقوف بعرفة لا يسمى حاجاً. وبهذا تكون العبادة أعم من الخشية.

رابعاً: الرواية المعتمدة:

الرواية المعتمد عليها في هذا البحث قوله ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه» وذلك لشمولها، ولأنها الرواية التي أخرجها البخاري في الصحيح وصدر بها مسلم صحيحه.

خامساً: المسائل المندرجة تحت قوله: «ما الأحسان» وقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه» وقوله: «إن لم تكن تراه فإنه يراك».

المسألة الأولى: الإعراب:

كلمة «ما» للاستفهام مبتدأ، و «الإحسان»: خبره، والألف واللام فيه للعهد في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس، الآية: ٢٦] وقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن، الآية: ٦٠] وقوله تعالى:

(١) أخرجه النسائي في سننه (٢٦٤/٥) (٣٠٤٤) من حديث عبد الرحمن بن يعمر - رضي الله عنه - وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٦/١) (٣١٧٢).

﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥] ولتكرره في القرآن ومدح الله له وحث عباده على تحصيله وترتيب الثواب عليه سأل عنه جبريل عليه السلام.

وقوله ﷺ: «أن تعبد الله» أي قال النبي ﷺ في جوابه: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه» فقوله: «أن» هي وما دخلت عليه مصدرية في محل الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره: الإحسان عبادتك الله كأنك تراه» وقوله: «كأن» للتشبيه، والتقدير: الإحسان عبادتك الله تعالى كونك في عبادتك مثل حال كونك رائيًا له^(١).

المسألة الثانية: معنى العبادة في اللغة والاصطلاح:

أ- المعنى اللغوي: العبادة في اللغة مصدر عبدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً: أي أطاع، وهذا المصدر مأخوذ من مادة (ع ب د) التي تدل على معنيين:

الأول: لينٌ وذلٌّ، والآخر: شدةٌ وغلظٌ^(٢)، ومن الأول العبادة.

قال الراغب - رحمه الله -: العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها، لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى^(٣).

ب - وفي الاصطلاح: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة^(٤) وبهذا التعريف الشامل تجمع العبادة كل ما ينويه العبد بقلبه، وبقوله بلسانه، وتفعله جوارجه مما شرعه الله تعالى تقريبًا إليه.

المسألة الثالثة: حقيقة العبادة:

قال القرطبي - رحمه الله -: أصل العبادة: التذلل والخضوع، وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات، لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى^(٥).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: التحقق بمعنى قوله: «إني عبدك»: التزام عبوديته من الذل والخضوع والإنابة، وامتنال أمر سيده، واجتناب نهيه، ودوام الافتقار إليه، واللجوء إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، وعبادته العبد به، وليأذ به، وأن لا يتعلّق قلبه بغيره محبةً وخوفًا ورجاءً، وفيه أيضًا: أني عبدٌ من جميع الوجوه: صغيرًا وكبيرًا، حيًا وميتًا، مطيعًا

(١) انظر عمدة القاري (٣٢٨/١) (باختصار).

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة (٧٢٨).

(٣) المفردات ٣٣١.

(٤) الفتاوى - لابن تيمية (١٤٩/١٠).

(٥) نقلًا عن فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن آل الشيخ (١٨).

وعاصياً، معافى ومبتلى، بالروح والقلب واللسان والجوارح، وفيه أيضاً: أن مالي ونفسي ملك لك، فإنَّ العبد وما يملك لسيده، وفيه أيضاً: أنت الذي منَّنت عليَّ بكل ما أنا فيه من نعمة فذلك كله من إنعامك عليَّ عبدك، وفيه أيضاً: أني لا أتصرف فيما خولتني من مالي ونفسي، إلاَّ بأمرك، كما لا يتصرف العبد إلاَّ بإذن سيده، وإني لا أملك لنفسي ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، وأنَّ ناصيتي بيدك، أنت المتصرف فيَّ تصرفني كيف تشاء، لست أنا المتصرف في نفسي وكيف يكون له في نفسه تصرف من نفسه بيد ربه وسيده، وناصيته بيده، وقلبه بين أصبعين من أصابعه، وموته وحياته وسعادته وشقاوته وعافيته وبلاؤه كله إليه سبحانه ليس إلى العبد منه شيء، بل هو في قبضة سيده أضعف من مملوك ضعيف حقير، ناصيته بيد سلطان قاهر مالك له، تحت تصرفه وقهره، بل الأمر فوق ذلك، ومتى شهد العبد أنَّ ناصيته ونواصي العباد كلها بيد الله وحده يصرفهم كيف يشاء لم يخفهم بعد ذلك، ولم يرهبهم، ولم ينزلهم منزلة المالكين بل منزلة عبيد مقهورين مربوبين، المتصرف فيهم سواهم، والمدير لهم غيرهم، فمن شهد نفسه بهذا المشهد صار فقره وضرورته إلى ربه وصفاً لازماً له، ومتى شهد الناس كذلك لم يفتقر إليهم ولم يتعلَّق أمله ورجاؤه بهم فاستقام توحيده وتوكله وعبوديته^(١).

المسألة الرابعة: مكانة العبادة في الدين:

العبادة هي الغاية المحبوبة والمرضية لله تعالى والتي خلق الخلق من أجلها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات، الآية: ٥٦] وبها أرسل الرسل جميعاً. كما قال نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم - عليهم السلام - لقومهم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف، الآية: ٥٩] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل، الآية: ٣٦] وجعل ذلك لازماً لرسوله إلى الموت كما قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر، الآية: ٩٩] وبالعبادة وصف الله تعالى ملائكته فقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [يس، الآية: ١٩، ٢٠] وقد نعت الله صفوة خلقه بالعبودية فقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان، الآية: ٦٣] ولما قال الشيطان فيما حكى الله عنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ

(١) انظر الفوائد لابن القيم (٣٤/٣٥).

أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ [الحجر، الآية: ٣٩] قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ [الحجر، الآية: ٤٢] وقال تعالى عن المسيح عليه السلام الذي ادعيت فيه الألوهية والنبوة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿٥٩﴾ [الزخرف، الآية: ٥٩] ونعت الله النبي محمدًا ﷺ بالعبودية في أكمل أحواله فقال في الإسراء: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ ^(١) [الإسراء، الآية: ١]

المسألة الخامسة: أقسام العبادة والأمثلة عليها:

تنقسم العبادة إلى قسمين: باطنة وظاهرة.

الأمثلة على العبادة الباطنة ومنها: أركان الإيمان وحب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وغيرها وهذا ما سنعرض له في الإحسان العقائدي.

الأمثلة على العبادة الظاهرة ومنها: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والذبح، والوفاء بالنذر، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الرحم، وإكرام الضيف، وإغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، والصلح بين الناس، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمساكين، وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة والاستعانة بالإستغاثة وصدق الحديث وأمثال ذلك من العبادة القولية مما يتحقق به محبة الله ورضاه ^(٢).

وبتقسيم آخر:

يمكن أن يقال: إنَّ العبادة خمسة أقسام بحسب جهتها:

أ- العبادات الاعتقادية

وهذه أساسها أن نعتقد أنَّ الله هو الرب الواحد الأحد، الذي ينفرد بالخلق والأمر، ويبيده النفع والضرر، ولا يشفع أحد عنده إلاَّ بإذنه، ولا معبود بحق غيره، وأنَّ له الأسماء الحسنی والصفات العلی.

ومن ذلك: الاعتقاد والتصديق بما أخبر الله تعالى به عن ذاته وأسمائه وصفاته، والملائكة، والكتب والرسل، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، وغيرها.

(١) انظر الفتاوى - لابن تيمية (١٠/١٥٠-١٥٢).

(٢) انظر الفتاوى لابن تيمية (١٠/١٤٩).

ب - العبادات القلبية :

وهي الأعمال القلبية التي لا يجوز أن يقصد بها إلا الله تعالى وحده دون سواه :

مثل : المحبة التي لا تصلح إلا لله تعالى وحده، فيحب الله تعالى ويحب دينه، ويحب عباده الصالحين الذين يحبونه، والتوكل ، والخشية والخوف، والرجاء والإنابة والتوبة، وغيرها.

ج - العبادات اللفظية :

وهي النطق بكلمة التوحيد، فمن اعتقدها، ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله، ومن نطق بها ولم يعتقدها بقلبه حقن ماله ودمه، وحسابه على الله وحكمه حكم المنافقين.

ومنها : الدعاء فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، سواء كان طلب الشفاعة أم غيرها من المطالب.

ومنها : الاستعانة، والاستغاثة وغيرها.

د - العبادات البدنية :

كالصلاة والطواف بالبيت فلا يجوز الطواف بغير بيت الله تعالى.

ومنها : الصوم والحج والجهاد في سبيل الله تعالى وغيرها.

هـ العبادات المالية :

كالصدقة والزكاة، والنذر^(١)، وغيرها.

وهكذا فالعبادة شاملة لكل نشاطات الإنسان، واعتقاداته وتصوراته عن الكون والإنسان والحياة وما فيها وما يجب عليه نحوها مما يراد به الله تعالى على وفق ما شرع سبحانه وتعالى.

المسألة السادسة : أركان العبادة :

العبادة بمفهومها الحقيقي تقوم على ثلاثة أركان لا بد منها وهي :

الأول : كمال المحبة لله تعالى. قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة، الآية : ١٦٥] وهذه المحبة تستلزم طاعة الرسول ﷺ وامتنال أمره قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران، الآية : ٣١].

الثاني : كمال الرجاء لرحمة الله تعالى.

قال الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء، الآية : ٥٧] مع

(١) انظر مدخل لدراسة العقيدة - لضميرية ٢٩٢-٢٩٦، بتصرف واختصار.

الحذر أن يوقعه ذلك في ترك الخوف من الله والأمن من مكره وعقوبته كما قال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف، الآية: ٩٩].

الثالث: كمال الخوف من عذاب الله تعالى: كما قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء، الآية: ٥٧]، وكمال الخوف لا يصرف إلا الله تعالى فمن اتخذ مع الله نذًا يخافه كخيفة الله أو أشد فهو مشرك. إلا أن هذا الخوف لا يدفع العبد إلى اليأس والقنوط كما قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف، الآية: ٨٧].

وهذه الأركان الثلاثة ينبغي أن تكون متوازنة في القلب لا يطغى جانب منها على آخر، فمن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو موحد، وقيل: يغلب الخوف في الصحة، والرجاء عند الموت^(١).

المسألة السابعة: شروط قبول العبادة:

حتى تكون العبادة صحيحة مقبولة لا بد من توافر شروطها وهي:
الأول: الإيمان.

فلا تقبل العبادة من غير المؤمن، قال الله تعالى عن عبادات الكافرين: ﴿وَقَدْ مَنَّا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان، الآية: ٢٣].

الثاني: الإخلاص لله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة، الآية: ٥]، وكل من أراد غير الله بما أراد الله له فهو مشرك.

الثالث: المتابعة لرسول الله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب، الآية: ٢١].

المسألة الثامنة:

الأمثلة من الكتاب والسنة على الإحسان الذي بمعنى: عبادة المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والإخلاص والمراقبة والإتقان، حتى يغلب عليه مشاهدة الله بقلبه كأنه يراه بعينه.

أولاً: الأمثلة من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف، الآية: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف، الآية: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ٤٤١ بتصرف.

عَمَلًا ﴿٧﴾ [الكهف، الآية: ٧].

وقال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَوِيُّ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِؤِ اللَّهِ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحزاب، الآية: ٢٨،

[٢٩]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف، الآية: ٥٦].
ثانيًا: الأمثلة من السنة النبوية:

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها وكان بعد ذلك القصاص: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها»^(١).

عن جابر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»^(٢).

عن عثمان - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم يؤت كبيرة، وذلك الدهر كله»^(٣).

المسألة التاسعة: بيان قوله ﷺ: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فكلمة «إن» للشرط، وقوله: «لم تكن تراه» جملة وقعت فعل الشرط، وجواب الشرط محذوف تقديره، فإن لم تكن تراه فأتقن العبادة فإنه يراك، وهاهنا عدم رؤية العبد ليست بسبب لرؤية الله تعالى، فإن الله تعالى يراه سواء وجدت من العبد، رؤية أو لم توجد^(٤) وهذه الجملة من الحديث ليست بداخله في تعريف الإحسان، بل هي بيان لمنزلة المراقبة الموصلة إلى مرتبة الإحسان.

ولهذا أتى بها النبي ﷺ تعليلاً لمرتبة الإحسان لتكون وسيلة له، لأنه إذا تحقق أن يعمل العبد على استحضار مراقبة الله له، وإطلاعه على سره وعلايته، وباطنه وظاهره، لا يخفى عليه شيء من أمره، وأنه قريب منه، سهل عليه الانتقال إلى مرتبة الإحسان بعد أن وصل إلى هذه المنزلة، لأن

(١) انظر عمدة القاري (٣٢٨/١).

(٢) انظر فتح الباري (١٢١/١)، وجامع العلوم والحكم (١٢٦/١).

(٣) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٥٧/١).

(٤) مسند أحمد (٢٩١/٢) (٦١٢١)، والحبلى (١١٥/٦). وصحيح إسناده أحمد شاكر في

تعليقاته على المسند (١٧/٩) (١٦٥٦)، وذكر الألباني في الصحيحة (٤٣/٤٦٠)

(١٤٧٣).

العبد عندما أمر بمراقبة الله وحضور القلب حال العبادة حتى كأنه يرى الله تعالى، قد يشق ذلك عليه ابتداءً فيستعين باستحضار مراقبة الله له واطلاعه عليه وقربه منه، لأنَّ استحضار ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل^(١) وسيأتي مزيد إيضاح للمراقبة في وسائل الإحسان إن شاء الله تعالى.

(١) حلية الأولياء (١/٢١٢).

المطلب الأول الإحسان الاعتقادي

العبادة التي تحدثنا عنها سابقاً شيء واحد لا يمكن الفصل بين أجزائه فكل قول أو اعتقاد أو عمل مما يحبه الله ويرضاه، مما جاء بيانه في الكتاب والسنة يُعدُّ عبادة قال الله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات، الآية: ٥٦]، وتسمى ديناً كما قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة، الآية: ٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام، الآية: ١٦٢]، وهذا المفهوم بلغه الرسول ﷺ وهكذا تلقى منه الصحابة - رضي الله عنهم - أحكام هذا الدين وتعاليمه وآدابه جميعاً سواء ما يجب لله تعالى أو ما يجب لغيره دون أن يكون هناك تقسيم لأحكام الدين وأوامره ونواهيه، وإنما اقتضت ضرورة التأليف والتصنيف إطلاقات بعض المسميات، كالعقائد، والعبادات، والمعاملات، وغيرها وكل ذلك إنما هو من أجل الدراسة والمعرفة فلا يظن أحد أنه يمكن الاكتفاء ببعض دون بعض، دليل ذلك قول النبي ﷺ عندما سئل عن الإسلام والإيمان والإحسان فأجاب ثم قال: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلتُ الله ورسوله أعلم، قال: «فإنَّه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»^(١) فقد جعل المراتب الثلاث شيئاً واحداً هو الدين^(٢) - وبذلك عُلِمَ أنَّ الإسلام اسم لما ظهر من الأعمال والأقوال، وأن الإيمان اسم لما بطن من الاعتقاد، والإحسان حالة زائدة عن القدر المجزيء عند تطبيقات الإسلام والإيمان، وليس معنى ذلك أنَّ الأعمال ليست من الإيمان أو أنَّ التصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين^(٣) الإسلامي الذي جاء ليرسم للبشر تصوراتهم الاعتقادية، ويحكم مناشطهم في الحياة.

أهمية العقيدة في حياة الإنسان

قد أولى الدين الجانب العقدي في حياة الإنسان عناية كبرى حيث ظلَّ القرآن الكريم ينزل على الرسول ﷺ ثلاثة عشر عاماً كاملة في مكة يعالج قضية واحدة لا تتغير هي أساس هذا الدين وقاعدة بنائه، إنها قضية العقيدة والتوحيد، التي منها ينطلق المحسن لتفسير له طبيعة وجوده ونشأته وغايته،

(١) صحيح مسلم (٣٦/١) (٨).

(٢) انظر: فتح الباري (١/١١٤-١١٥).

(٣) انظر شرح السنَّة للبغوي (١/١١) بتصرف يسير.

وترسم له معالم صلته بالله تعالى وصلته بالحياة والأحياء والكون من حوله، ويتعرف بها دوره في الحياة، ويضبط كل حركاته وسكناته وما يجده في قلبه بضوابطها، ويوجه كل سلوكه وأعماله بتوجيهاتها، يقول القرطبي - رحمه الله -: «والمحسن: من صحَّح عقد توحيد، وأحسن سياسة نفسه، وأقبل على أداء فرائضه، وكفى المسلمين شره»^(١)، ولهذه الأهمية أولى علماء الإسلام العقيدة عنايةً واسعة؛ حيث أفردوها بالتصنيف تحت مسمى الفقه الأكبر، والإيمان، والسنة، وأصول الدين والتوحيد والشريعة والعقيدة. تعريف العقيدة:

أ- التعريف اللغوي: قال ابن فارس - رحمه الله -: (عَقَدَ: العين والقاف والdal، أصل واحد يدل على شدّ وشدّة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها)^(٢) ومنه عقد البناء وعقدة الحبل والجمع عقود قال الله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة، الآية: ١]، وعقد اليمين في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْآيَاتِنَ﴾ [المائدة، الآية: ١]^(٣)، ومنه اعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير، حتى قيل: العقيدة ما يدين الإنسان به، وله عقيدة حسنة: سالمة من الشك^(٤).

ب - التعريف الاصطلاحي: العقيدة هي الأمور التي تصدق بها النفوس وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقيناً عند أصحابها، لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك، مما جاء عن الله تعالى في كتابه الكريم وصحَّ عن رسوله ﷺ من سننه^(٥).

مصادر العقيدة الإسلامية:

مصادر العقيدة الإسلامية اثنان:

كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ الثابتة عنه.

١- كتاب الله تعالى: «القرآن الكريم».

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء، الآية: ٩]

قال القرطبي - رحمه الله -: «أي أسدُّ وأعدل وأصوب»^(٦).

٢- سنة الرسول ﷺ الثابتة عنه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر، الآية: ٧].

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/٢٨٢).

(٢) مقاييس اللغة (٦٧٩).

(٣) انظر لسان العرب «عقد» (٣/٢٩٦-٣٠٠) والصحاح (٢/٥١٠).

(٤) المصباح المنير - للفيومي (٢/٤٢١).

(٥) انظر نحو ثقافة إسلامية - للدكتور عمر سليمان الأشقر (٨٢) (بتصرف).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٥/١٤٧)، آية ٩.

وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء، الآية: ٨٠].
وعن أبي رافع - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»^(١)

وعن المقدم بن معديكرب - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه..»^(٢).
وللمزيد انظر: مصادر الإحسان (الكتاب والسنة).

أصول العقيدة الإسلامية:

العقيدة الإسلامية أصولها ستة تعرف بأركان الإيمان وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة، الآية: ١٧٧]

وقال عن القدر: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ^(٥٠) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَدَكِرٍ^(٥١) [القمر، الآية: ٤٩، ٥٠].

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عندما سأل جبريل - عليه السلام - الرسول ﷺ.. قال: فأخبرني عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: «صدقت..»^(٣).

والإيمان والعمل الصالح هما الأساس الديني والصفتان البارزتان في تركيبة المحسنين الدينية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾^(٣٠) [الكهف، الآية: ٣٠] وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾^(٨٨) [الكهف، الآية: ٨٨] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٧) [العنكبوت، الآية: ٧] وقال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^(١١٠) إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ^(١١١) [الصافات، الآية: ١٠٩، ١١١] وقال تعالى عن نوح عليه الصلاة

(١) سنن أبي داود (١٢/٥) (٤٦٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧١٧٢).

(٢) سنن أبي داود (١٠/٥) (٤٦٠٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٤٣).

(٣) صحيح مسلم (٣٧/١) (١).

والسلام - ﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الصافات، الآية: ٧٩، ٨١] وقال عن موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام: ﴿سَلِّمْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾ [الصافات، الآية: ١٢٠، ١٢١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ﴾ [الزمر، الآية: ١٠] والتقوى عمل بالقلب واللسان والجوارح. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت، الآية: ٣٣]، وإذا أفرد الإسلام دخل فيه الإيمان.

والإيمان هو الأصل العقائدي الذي سنعرض له بشيء من التفصيل، ثم نعقب ببقية الأعمال القلبية العقائدية مما يمكن أن يكون صفة للمحسنين فيما بعد.

أولاً الإيمان :

الإيمان في اللغة والاصطلاح:

الإيمان لغة: التصديق، قال الله تعالى حكاية عن إخوة يوسف - عليه السلام -: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [يوسف، الآية: ١٧] أي مصدق لنا^(١).

وفي الاصطلاح: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية^(٢).

والمقصود بقول اللسان: النطق بأن يقول آمنت بالله، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت، الآية: ٣٠] وجاء عن سفيان بن عبدالله - رضي الله عنه - قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك قال: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِم»^(٣). والمقصود باعتقاد القلب:

هو التصديق الجازم الذي تطمئن إليه النفس بحيث لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك بوجود الله وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات، الآية: ١٥]، والريب هو الشك.

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل، الآية: ١٠٦].

(١) انظر معجم مقاييس اللغة (٨٧).

(٢) الفتاوى - لابن تيمية (١٥١/٣)، وانظر شرح الطحاوية (٣٦٠).

(٣) صحيح مسلم (٦٥/١) (٣٨).

والمقصود بعمل الجوارح :

استقامتها وفق مراد الله من أداء للصلاة والزكاة وأعمال البر قاطبة .
قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ [الأنفال، الآية : ٢ ، ٣] وسمى الله تعالى الصلاة إيمانًا عندما حول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة فقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ ﴾ [البقرة، الآية : ١٤٣] أي : صلاتكم .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : «الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذنى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»^(١).

وهكذا فهم سلف هذه الأمة الإيمان بأنه قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، لا يفرقون بين العمل والإيمان وفي كتاب شعب الإيمان للحافظ البيهقي المتوفي سنة (٤٥٨هـ) - رحمه الله - يجد القاريء أن تلك الشعب تتناول الإيمان بالله عز وجل وبالرسل والملائكة والقرآن والقدر واليوم الآخر، والبعث والحشر والجنة والنار، كما تتناول أعمال القلوب من محبة الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه، ومحبة الرسول ﷺ وتعظيمه كما تتناول العلم ونشره، وتتناول الأعمال الظاهرة من الطهارة والصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وبر الوالدين وأداء الخمس والعق والکفارات كما تتناول الأخلاق من الوفاء بالعهد وشكر نعم الله وحفظ اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة والفحش، كما تتناول ترك المحرمات من قتل النفس وإيذاؤها وعدم قربان الزنا والخمر... وبالجمله فإن الإيمان شامل للدين كله^(٢).

التفصيل والبيان لأصول العقيدة الإسلامية:

الأصل الأول: الإيمان بالله تعالى، وهو يقتضي الإيمان بوجود الله تعالى، وربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

فعن جابر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيّام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»^(٣) أي يعتقد اعتقادًا سليمًا جازمًا لا شك فيه.

والإيمان بالله تعالى يستلزم أمورًا هي:

أولاً: الإيمان بوجوده تعالى:

(١) صحيح مسلم (٦٣/١) (٣٥).

(٢) انظر نحو ثقافة الإسلامية للدكتور عمر سليمان الأشقر (٧٤-٧٥).

(٣) صحيح مسلم (٢٢٠٥/٣) (٢٨٧٧).

وجود الله تعالى أشهر وأوضح من أن يُذكر إلا أن بعض العقول البشرية ضلت حتى عن الحقائق الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار.

٢- الإيمان بربوبية الله تعالى:

وهو توحيد الله بأفعاله جلّ وعلا، ومعناه: أن تعتقد أيها الإنسان اعتقاداً جازماً لا شك فيه أن الله تعالى وحده خالق الكون ومن فيه ومالكه والمتصرف فيه بالتدبير، والتغيير، والتيسير والزيادة، والنقص والإحياء، والإماتة، والنفع والضرر، والرزق، وإجابة دعوة المضطرين، وغير ذلك من الأفعال، لا شريك له^(١) قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف، الآية: ٥٤].

قال ابن القيم - رحمه الله - «وهو أن يشهد انفراد الرب تبارك وتعالى بالخلق والحكم، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، وأنّ الخلق مقهورون تحت قبضته، وأنه ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابعه، إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاعه، فالقلوب بيده، وهو مقلبها ومصرفها كيف شاء وكيف أراد، وأنه هو الذي أتى نفوس المؤمنين تقواها، وهو الذي هداها وزكاها، وألهم نفوس الفجار فجورها وأشقاها قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف، الآية: ١٧٨] يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته هذا فضله وعطاؤه، وما فضل الكريم بممنون، وهذا عدله وقضاؤه قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(٢) [الأنبياء، الآية: ٢٣]

والقرآن الكريم لم يطل الحديث عن هذه القضية لأنها مسلمة عند الخلق جميعاً إلا من شذ، والملاحظ أنّ الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد جاءت تعليلاً لتوحيد الألوهية ودالة عليه؛ لأنّ الخالق المالك المدبر هو المستحق وحده دون سواه، أن يتوجه إليه بالعبادة والخشوع والخضوع، والحمد، والشكر، والذكر والدعاء، والرجاء، والخوف، وغير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصح أن يصرف منها شيء إلا لمن له الخلق والأمر كله، وهو الله تعالى، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) [الأنعام، الآية: ١٦٢].

وأما الذين يقرون بأنّ الله رب كل شيء وخالقه ومليكه، ولا يفردونه

(١) انظر: معارج القبول (١/١٣٠-١٣١).

(٢) مدارج السالكين (١/٤٤٢).

(٣) انظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العز (٢٦).

بالألوهية، بل يشركون معه غيره في عباداتهم، فإن إقرارهم بتوحيد الربوبية وإيمانهم به، لا يخرجهم من الكفر إلى الإيمان بل هم مشركون كما حكم الله على كفار قريش بكفرهم مع إقرارهم بتوحيد الربوبية حيث قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف، الآية: ١٠٦]، مع أنهم يجيبون بقولهم فيما حكى الله عنهم: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت، الآية: ٦٣] وبقولهم: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِذُكُمْ﴾ [يونس، الآية: ٣١] قال الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة، الآية: ١٣٨].

- الإحسان في الإيمان بتوحيد الربوبية

وتحقيق مرتبة الإحسان في توحيد الربوبية أن يعتقد العبد أن أفعال الله تعالى حقٌّ كأنما يشاهد فعلها حين أرادها الله تعالى وقدَّرها.

٣- الإيمان بالوهمية الله تعالى:

وهو توحيد الله بأفعال العباد.

ومعناه: الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك بأن الله تعالى وحده الإله الحق المستحق لجميع أنواع العبادة دون سواه^(٢)

وهذا النوع من التوحيد هو الفارق الفاصل بين المؤمنين الموحدين والمشركين الكافرين، وهو الذي من أجله خلق الله الخلق، وأنزل الكتب وأرسل الرسل، وأقام سوق الجنة والنار قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات، الآية: ٥٦] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل، الآية: ٣٦] فالمؤمن إنسان مكلف صرف العبادة لله تعالى سواء أكانت عبادة قلبية: كالخوف والرجاء والحب، والتوكل والإنابة، والرغبة والرهبة.

أم قولية: كاللجوء والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة.

أم عملية: كالنذر والذبح والصلاة والصدقة والتحاكم إلى الكتاب والسنة النبوية، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف، الآية: ١١٠] فمن صرف شيئاً من ذلك أو غيره لغير الله مما شرعه الله تعالى لعباده وأمرهم به تقريباً إليه وحده دون سواه جلَّ وعلا فإنه مشرك حابط العمل حرام عليه الجنة ومأواه النار لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢٦).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (١٧).

عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ [النساء، الآية: ٤٨] وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ مِنْ يُشْرِكٍ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة، الآية: ٧٢].

وهذا التوحيد هو الذي دارت من أجله رحى المعركة بين الرسل عليهم السلام وأقوامهم المنكرة له من لدن نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ وهو مقتضى شهادة ألا إله إلا الله لقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران، الآية: ١٨]. (١)

وهذا إخبار منه جلّ وعزّ بما حكم وقضى أنّ ما سواه ليس بإله، وأنّ إلهية ما سواه باطلة، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، وذلك يستلزم الأمر باتخاذ وحده إلهًا، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهًا، وهذا يفهمه المخاطب من النفي للآلهة، وإثبات الألوهية الحقّة له سبحانه وتعالى (٢).

ومعنى ذلك: لا معبود بحق إلا الله تعالى، وهذا النفي والإثبات هما ركنا شهادة التوحيد التي هي مفتاح الجنة والسبب الموصول إليها وهي مفتاح الجنة والسبب الموصول إليها حيث أخبر الرسول ﷺ من حديث أبي ذرّ - رضي الله عنه - بقوله: «ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلاّ دخل الجنة» (٣) لكن هذا السبب لا بد من توافر شروطه وانتفاء موانعه حتى يعمل عمله.

قيل لوهب بن منبه - رحمه الله - : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى ولكن ما من مفتاح إلاّ وله أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلاّ لم يفتح لك (٤). وهذه الأسنان التي هي بمثابة الشروط لـ «لا إله إلاّ الله»، وهي سبعة كما يأتي: (٥)

الأول: العلم المنافي للجهل، فيجب على كل من يقول لا إله إلاّ الله العلم بمعنى لا إله إلاّ الله علماً منافياً للجهل بها يعرف بموجه مدلول النفي والإثبات، فإنّها تنفي الألوهية عن غير الله تعالى وتثبتها له سبحانه، فلا معبود بحق إلاّ الله، والدليل قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد، الآية: ١٩] وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٦﴾

(١) انظر: شرح الطحاوية (١٧).

(٢) انظر: المصدر نفسه (٣٤).

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري في صحيحه (٢١٩٣/٥) (٥٤٨٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه تعليلاً (١٠٩/٣)، كتاب الجنائز، باب من كان آخر كلامه لا إله إلاّ الله.

(٥) انظرها في معارج القبول، للحافظ الحكيمي (٤١٨/٢ - ٤٢٤).

[الزخرف، الآية: ٨٦].

وفي حديث عثمان - رضي الله عنه - قال ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»^(١).

قال الإمام البخاري باب العلم قبل القول والعمل^(٢).

الثاني: اليقين المنافي للشك، والمقصود أنه لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين بل لا بد أن يكون القلب موقناً بها ومصدقاً بما تدل عليه من غير شك ولا ريب قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات، الآية: ١٥] وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة»^(٣) وكما ترى فقد فسر النبي ﷺ الريب في الآية بالشك وحكم الله بصدق أولئك الذين آمنوا بالله ورسوله ثم أتبعوا ذلك بالعمل ابتغاء مرضاته بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات، الآية: ١٥]، وأما مجرد التلفظ دون اعتقاد فإنه النفاق الذي أهله في الدرك الأسفل من النار.

الثالث: القبول المنافي للرد لما اقتضته هذه الكلمة لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات، الآية: ٣٥، ٣٦] فمن رد دعوة التوحيد ولم يقبلها فهو كافر سواء أكان رده لها استكباراً أم حسداً أم عناداً أم غير ذلك من أسباب الرفض لها.

الرابع: الانقياد المنافي للترك، ويتحقق ذلك بمتابعة سنة رسول الله ﷺ وتحكيم شرعه. قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء، الآية: ٦٥] ويتم ذلك بالانقياد له باطناً وظاهراً.

الخامس: الصدق المنافي للكذب: وذلك بأن يتفق القلب واللسان على التصديق بها فإن المنافقين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فصار قولهم كذباً ونفاقاً وخداعاً، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [٨] يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ [٩] فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ [١٠]

(١) صحيح مسلم (٥٥/١) (٢٦).

(٢) صحيح البخاري (٣٧/١) باب (١٠).

(٣) صحيح البخاري (٥٥/١) (٢٧).

[البقرة، الآية: ٨ - ١٠].

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنَّ الرسول ﷺ يقول: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلاَّ حَرَّمه الله على النار»^(١).

قال ابن القيم - رحمه الله -: «التصديق بلا إله إلاَّ الله يقتضي الإذعان والإقرار بحقوقها، وهي شرائع الإسلام التي هي تفصيل هذه الكلمة، بالتصديق بجميع أخباره، وامثال أوامره واجتناب نواهيه، فالمصدق بها على الحقيقة هو الذي يأتي بذلك كله، ومعلوم أنَّ عصمة المال والدم على الإطلاق لم تحصل إلاَّ بها وبالقيام بحقوقها»^(٢).

السادس: الإخلاص المنافي للرياء: ومعناه البراء من الشرك وشوائبه لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة، الآية: ٥].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلاَّ الله خالصًا من قلبه»^(٣).

وتحقيق الإخلاص بأن تكون العبادة لله تعالى وحده دون أن ينصرف منها شيء لغيره.

السابع: المحبة المنافية للبغض: ومعنى ذلك أن يحب العبد هذه الكلمة وما دلت عليه، ويحب أهلها والعاملين بها، ويحب العمل بمقتضاها، وعلامة ذلك تقدم محبتها على محبة غيرها وموالات أهلها ومعاداة أعدائها، والبراءة من الشرك وأهله والكفر وكل ما يعبد من دون الله تعالى، فعن أنس - رضي الله عنه -: قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلاَّ الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»^(٤) وعن طارق ابن أشيم - رضي الله عنه - قال: قال ﷺ: «من قال لا إله إلاَّ الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل»^(٥).

(١) صحيح البخاري (٥٩/١) (١٢٨).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (٤٣).

(٣) صحيح البخاري (٤٩/١) (٩٩).

(٤) صحيح مسلم (٦٦/١) (٤٣).

(٥) صحيح مسلم (٥٣/١) (٢٣).

نواقض تحقيق لا إله إلا الله:

كما أنَّ «لا إله إلا الله» شروطاً يجب توافرها، كذلك لها موانع ونواقض يجب انتفاؤها، وبهذهين الاعتبارين تتحقق كلمة التوحيد، وموانعهما أو نواقضها التي تنقض عراها كثيرة أشهرها عشر^(١): وهي:

١- الشرك في عبادة الله تعالى لقوله جلّ شأنه: ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة، الآية: ٢٠] ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم، والنذر والذبح لهم والطواف على قبورهم واعتقاد أنَّهم يعلمون شيئاً أو يقدرون على جلب خير أو دفع ضرر قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء، الآية: ٤٨].

٢- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر.

٣- من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم فقد كفر.

٤- من اعتقد أنَّ الأنظمة والقوانين التي يضعها الناس أفضل من شريعة الإسلام أو أنَّ نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في هذا الزمان أو أي زمان قادم أو أنَّ الإسلام كان سبباً في تخلف المسلمين، أو أنَّه ينحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى، أو قال: بأنَّ إنفاذ الحدود الشرعية لا يناسب العصر الحاضر، أو اعتقد أنَّه يجوز الحكم بغير ما أنزل الله في المعاملات الشرعية أو الحدود أو غيرها، وإن لم يعتقد أنَّ ذلك أفضل من حكم الشريعة: فقد كفر، لأنَّه بذلك قد استباح ما حرَّم الله اجماعاً، وكل من استباح ما حرَّم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالزنى والخمر، والربا، والحكم بغير شريعة الله فهو كافر.

٥- كلُّ من أبغض شيئاً ممَّا جاء به الرسول ﷺ، ولو عمل به، فقد كفر؛ لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد، الآية: ٩].

٦- كل من استهزأ بشيء مما جاء به الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه فقد كفر، لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة، الآية: ٦٥، ٦٦].

٧- السحر ومنه الصرف أي صرف الرجل عن محبة زوجته إلى بغضها، ومنه العطف أي ترغيب الإنسان فيما لا يهواه بطرق شيطانية، فمن فعله أو

(١) انظر الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/٣، ٣، ١٢٩، ١٣٨) (٢/٤).

رضي به كفر لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ [البقرة، الآية: ١٠٢].

٨- مظاهرة غير المسلمين ومعاونتهم على المسلمين، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة، الآية: ٥١].

٩- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران، الآية: ٨٥].

١٠- الإعراض الكلي عن دين الله أو عما لا يصح الإسلام إلا به، لا يتعلمه ولا يعمل به، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة، الآية: ٢٢].

ولا فرق بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل، الآية: ١٠٦].

الإحسان في الإيمان بتوحيد الألوهية:

يستطيع العبد تحقيق درجة الإحسان في الإيمان بتوحيد الألوهية، وذلك بأن يفرد ربه تعالى بالعبادة الصحيحة وحده دون سواه على هيئة من الخشوع والخضوع والخوف والمحبة والرجاء كأنه يشاهد الحق سبحانه وتعالى بقلبه حالة كونه عابداً إياه مع اليقين التام أنه المستحق لعبادة الخلق أجمعين وأن ألوهية كل معبود سواه باطلة، فإذا وصل العبد إلى هذه الدرجة وقرّ في قلبه أتم المحبة لله، والخوف منه، والرجاء فيما عنده ولم يدع شيئاً يقدر عليه مما هو قربة لله تعالى، إلا أتى به على أتم الوجوه وأكملها، فقد أحسن في توحيد الألوهية، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء، الآية: ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة، الآية: ١١٢].

٤- الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات:

ومعناه: الاعتقاد اليقيني الجازم بكل ما أثبتته الله تعالى لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلا من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل^(١) قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف، الآية: ١٨٠].

وقال الله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَكَ يُولَدٌ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [١] [٢] [٣] [٤].

(١) انظر المرجع السابق.

الْصَّكْمُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٢﴾ [الإخلاص].

وطريقة أهل السنة في الإيمان بالأسماء والصفات تقوم على أسس:
الأول: إثبات ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة من أسماء الله تعالى وصفاته على وجه التفصيل^(١) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة، الآية: ٢٥٥].

الثاني: نفي ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسوله ﷺ من الأسماء والصفات التي لا تليق به تعالى وذلك على وجه الإجمال مع إثبات كمال ضدها^(٢). قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى، الآية: ١١].

وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم، الآية: ٦٥] فقوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ نفي مجمل لما لا يصلح له تعالى من التشبيه والتمثيل وهو له تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [إثبات مفصل لصفات الكمال والجلال والجمال].

الثالث: التوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه من الأسماء والصفات، ثم الاستفصال عن معناها، فإن أريد بها حق ليس فيه نقص من جهة من الوجوه أثبتناها، وإن أريد بها باطل رددناها^(٣)، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء، الآية: ٣٦].

الرابع: اليقين التام بعدم القدرة على معرفة كيفية أسماء الله وصفاته، وذلك لأن الله تعالى غيب عنا لم نره ولم نر له مثيلاً ولم يبق إلا خبر الصادق عنه وهو الكتاب والسنة، فقد تكفلت نصوصهما بإثبات الأسماء الحسنى والصفات العلا ولم تأت ببيان كيفية تلك الأسماء والصفات، وهذا لا يعني أن تلك الأسماء والصفات ليس لهما كيفية، بل لهما كيفية مجهولة عنا استأثر الله بمعرفتها سبحانه وتعالى^(٤).

الخامس: أن أسماء الله وصفاته كثيرة جداً منها ما نعرفه ومنها ما لم نعرفه فما عرفناه أمناً به على وجه التفصيل وما لم نعرفه نؤمن به على وجه الإجمال، وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَّتٌ بِهِ نَفْسُكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ

(١) انظر المرجع السابق، وشرح الطحاوية (٥٢).

(٢) انظر الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤١-٤٢).

(٣) انظر شرح الطحاوية (٦٥) بتصرف.

(٤) انظر شرح الطحاوية (٣٨٨).

أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك...»^(١).
سادسًا: أنَّ كلَّ اسم من أسماء الله تعالى متضمن لصفة كالرحمة،
ويلزم من ذلك رحمته من يشاء من عباده جلَّ وعلا.
سابعًا: أنَّ صفات الله جلَّ وعلا تنقسم إلى قسمين:
(أ) صفات ذاتية لا تنفك عنه بحال من الأحوال مثل الحياة، والعلم،
والسمع والبصر وغيرها.

(ب) صفات فعلية يفعلها تعالى متى يشاء مثل: الغضب، والنزول إلى
السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، والضحك وغيرها، ولا يشتق من
الصفات الفعلية أسماء.

ثامنًا: أنَّ كل صفة كمال في المخلوق ليس فيها نقص من جهة من
الوجوه فالله أولى بها^(٢) قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل، الآية: ٦٠].

تاسعًا: أنَّ ما سمى الله به عباده أو وصفهم ببعض ما سمى به نفسه أو
وصفها به فإنَّ ذلك لا يقتضي التشبيه والتمثيل وإنَّما هو من باب الاشتراك
اللفظي مع الفرق بين الكنه والكيفية، لأنَّ العاقل يسلم أنَّ الخالق ليس مثل
المخلوق في ذاته فكذلك في أسمائه وصفاته.

عاشرًا: أنَّ كل ما في الوجود خلقًا وأمرًا متعلق بالأسماء الحسنی
والصفات العلی، ومرتبطة بها، ومن مقتضياتها وأثر من آثارها بما اقتضته
إرادته وحكمته سبحانه وتعالى.

- الإحسان في الإيمان بأسماء الله وصفاته:

وطريقة أهل الإحسان معرفة الرحمن بأسمائه الحسنی وصفاته العلی
معرفة يقينية غلبت على قلوبهم حتى لكأنهم يشاهدونه بجلاله وكماله وعظمة
سلطانه سبحانه وتعالى يسألونه ويدعونه ويتعبدونه بها جميعًا فلا يحجبهم
عبودية اسمه «الرحيم والعفو والغفور» عن اسمه «المتقم» أو التعبد بأسماء
«التودد، والبر، واللطف، والإحسان» عن أسماء «العدل والجبروت،
والعظمة، والكبرياء» مستجيبين في ذلك لدعوته سبحانه وتعالى بقوله:
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف، الآية: ١٨٠] دعاهم جلَّ وعلا لمعرفته
بأسمائه وصفاته والثناء عليه بها والأخذ بحظهم من عبوديتها^(٣).

الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة الكرام:

أ- معنى الإيمان بالملائكة عليهم السلام:

(١) مسند أحمد (٣٩١/١، ٤٥٢) وصحح إسناده أحمد شاكر (٢٦٦/٥) (٣٧١٢).

(٢) انظر مدارج السالكين (٤٤٩/١ - ٤٥٣) باختصار.

(٣) انظر: شرح الطحاوية (٣٨٨).

هو الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه ريب ولا شك بأنَّ الله تعالى ملائكة موجودين وهم أجسام خلقهم الله من نور، وجعل لهم وظائف يقومون بها: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١) [التحريم، الآية: ٦].

ب - عدد الملائكة عليهم السلام:

هم خلق كثير لا يحصى عددهم إلاَّ الله تعالى يصدق ذلك حديث الإسراء عن مالك بن صعصعة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «... فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم...»^(٢) أي من صلى فيه مرة لا يعود إليه، وذلك يفيد الكثرة.

ج - صفاتهم الخلقية، والخلقية:

خلق الله تعالى الملائكة عليهم السلام من نور، وجعل لهم أجنحة وأقدرهم أن يتشكلوا بأشكال مختلفة كما أراد لهم تعالى، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يتناكحون، ولا يتوالدون، ليسوا ذكورا ولا إناثا، مساكنهم السماء^(٣) عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»^(٤).

وقال الله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجْنَحٌ مِّثْنَى وَثُلُثٌ وَرُبُعٌ يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر، الآية: ١].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا﴾^(٥) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ [مريم، الآية: ١٦، ١٧]. وأما أخلاقهم عليهم السلام:

فإنَّهم أهل عبادة كاملة لله تعالى، وطاعة تامة لأوامره سبحانه وتعالى، وقد وصفهم الله بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٦) [النحل، الآية: ٥٠] وحكى عنهم قولهم: ﴿وَأَنَا لَنْحَنُ الصَّافُونَ﴾^(٧) وَأَنَا لَنْحَنُ الْمُسِيحُونَ ﴿١١٦﴾ [الصافات، الآية: ١٦٥، ١٦٦].

وأثنى عليهم بقوله: ﴿لَا يَسْقُوتُ عَلَيْهِمْ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^(٨) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾

(١) التحريم ٦.

(٢) صحيح البخاري (١١٧٣/٣) (٣٠٣٥).

(٣) انظر فتح الباري (٣٠٦/٦).

(٤) صحيح مسلم (٢٢٩٤/٣) (٢٩٩٦).

[الأنبياء، الآية: ٢٧، ٢٨] وبقوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم، الآية: ٦].

هكذا أفصح القرآن الكريم عن أخلاقهم مع ربهم، أما مع المؤمنين، فقد أخبر الله تعالى أن الملائكة يدعون للمؤمنين ويستغفرون لهم، حيث قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر، الآية: ٧ - ٩].

وبالجملة فإنهم عليهم السلام يحبون المؤمنين ويحثونهم على فعل الخيرات وترك المنكرات ويشبتونهم على أعمال البر والتقوى.

أسمائهم وأعمالهم عليهم السلام:

جاء الحديث في القرآن الكريم والسنة النبوية عن أسمائهم وأعمالهم عليهم السلام على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من ذكر لنا باسمه وعرفنا عمله مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة، الآية: ٩٨].

فجبريل - عليه السلام - موكل بالوحي وميكائيل موكل بالقطر، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور - عليهم السلام -.

القسم الثاني: من ذكر بعمله الذي أوكله الله به دون معرفة اسمه مثل: حملة العرش، وملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملك الجبال، وملك الموت، قال الله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مِثْنَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة، الآية: ١٧].

القسم الثالث: من لم يأت ذكر اسمه ولا عمله وهم الكثرة الكثيرة من الملائكة عليهم السلام.

فالواجب على العبد الإيمان بهم جميعاً على وجه الإجمال والتفصيل: فمن لم نعرفه نؤمن به على وجه الإجمال، ومن عرفناه نؤمن به على وجه التفصيل، وأن أعظم الملائكة قدراً عند الله تعالى هو جبريل عليه السلام^(١). قال ابن أبي العز - رحمه الله - «قد دلّ الكتاب والسنة على أصناف الملائكة وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكلّ بالجبال ملائكة ووكلّ بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تُدبّر أمر النطفة حتى

(١) انظر إغاثة اللهفان (٢/١٢٢).

يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها وغرسها وعمل آلاتها ملائكة، ومنهم ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس إلى غير ذلك... والقرآن الكريم مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارةً يقرن الله تعالى اسمه باسمهم وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارةً يذكر حقهم بالعرش وحملهم له، وبراءتهم من الذنوب، وتارةً يصفهم بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص^(١).

ولا ينافي هذا ما نلاحظ في الكون من قوانين وأسباب يرتبط بعضها ببعض، لأنَّ هذه القوانين والأسباب إنما هي مخلوقات من مخلوقات الله والملائكة موكلة بها أيضًا أو أنَّها ناتجة عنها^(٢).

الملائكة عليهم الصلاة والسلام محسنون:

قال الله تعالى: ﴿كَرَامَ بَرِّقَ﴾ [عبس: ١٦].

والمحسن من عباد الله تعالى هنا من آمن بالملائكة الكرام إيمانًا لا يخالطه شك ولا يمازجه أدنى ريب أنَّهم خلق الله كرام خلقهم من نور وأنَّهم قائمون بطاعة الله كل فيما وكل إليه حتى يصبح هذا الإيمان الجازم بحالة كأنَّ العبد يراهم ببصيرته يستشعر طاعتهم لربهم وما آتاهم من قدرات وعظم خلق وما يكونونه للمؤمنين من محبة وولاية.

الأصل الثالث: الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله تعالى:

أ- المراد بالإيمان بكتب الله تعالى:

هو التصديق الجازم بأنَّ الله تعالى كتبًا وصحفًا تكلم بها على الحقيقة وأنزلها على رسله وأنبيائه - عليهم الصلاة والسلام - وحيا، ليلغوا عنه شرعه ودينه، وأنَّ ما تضمنته حق وصدق لتكون نورًا وهداية للعالمين^(٣)

ب - عددها:

لا يعلم عدد الكتب والصحف التي أنزلها الله على رسله وأنبيائه

(١) شرح الطحاوية (٣١٨-٣٢٠).

(٢) انظر الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين (٣٧) بتصرف.

(٣) انظر الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين (٦٥)، ومنهاج المسلم للشيخ أبي بكر الجزائري (٣٦)، والكواشف الجليلة للسلمان (٦٠).

- عليهم السلام - إلا هو سبحانه وتعالى، قال جلّ ذكره: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة، الآية: ٢١٣].

ج - واجبنا نحوها:

أولاً: يجب علينا الإيمان بكل كتاب أو صحيفة أنزلها الله تعالى ولم يسمها وذلك على سبيل الإجمال، أما ما ذكره سبحانه وتعالى باسمه منها فالواجب الإيمان به على سبيل التفصيل، مثل: التوراة؛ وهي التي نزلت على موسى - عليه السلام - لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾ [المائدة، الآية: ٤٤] والإنجيل وهو الكتاب الذي نزل على عيسى بن مريم - عليه السلام - من ربه حيث قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة، الآية: ٤٦] والزيور، وهو الكتاب الذي نزل على داود - عليه السلام - قال الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء، الآية: ٥٥] والصحف التي أنزلها سبحانه وتعالى على إبراهيم وموسى - عليهما السلام - وقد أخبر عنها بقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَبْتَأْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُّوسَى﴾ [النجم، الآية: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَنِيَ الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [الأعلى، الآية: ١٨].

وآخر هذه الكتب كتاب الله المجيد وهو القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على نبينا محمد ﷺ قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة، الآية: ٤٨].

قال الإمام البيهقي - رحمه الله -: «والإيمان بالقرآن يتشعب شعباً: فأولها الإيمان بأنه كلام الله تبارك وتعالى وليس من وضع محمد ﷺ ولا من وضع جبريل - عليه السلام -».

والثانية: اعتقاد أن جميع القرآن الذي توفي النبي ﷺ عنه هو هذا الذي في مصاحف المسلمين لم يفت منه شيء، ولم يضع بنسيان ناس، ولا ضلال صحيفة، ولا موت قاريء، ولا كتمان كاتم، ولم يُحرف منه شيء، ولم يزد فيه حرف ولم ينقص منه حرف^(١).

ومزية الحفظ من التغيير والتبديل والتحريف قد انفرد بها القرآن الكريم دون غيره من الكتب السابقة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر، الآية: ١٥]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا

(١) شعب الإيمان (١/١٨٥).

جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ [فصلت، الآية: ٤١، ٤٢] ويمكن أن يضاف إلى ما ذكره الإمام البيهقي - رحمه الله - ثلاث شعب أخرى:

الأولى: أن القرآن الكريم متضمن لخلاصة التعاليم الإلهية، وجاء مؤيداً ومصدقاً لما جاء في الكتب السابقة من توحيد الله وعبادته ووجوب طاعته، وجمع كل ما كان متفرقاً في تلك الكتب من الحسنات والفضائل، وجاء مهيمناً ورقياً عليها، يُقرّ ما فيها من حق، ويبين ما دخل عليها من تحريف وتغيير^(١)، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة، الآية: ٤٨].

قال الإمام الطبري - رحمه الله - «إنا أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد مصدقاً للكتب قبله وشهيداً عليها وأنها حق من عند الله أميناً عليها حافظاً لها»^(٢).

والثانية: أن هذا القرآن الكريم جاء بشريعة عامة للبشر فيها كل ما يلزمهم لسعادتهم في الحياة الدنيا والآخرة، ونسخ به جميع الشرائع العملية الخاصة بالأقوام السابقة، وأثبت فيها الأحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان حيث قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة، الآية: ١٥، ١٦] فلا يسع أحداً التحاكم إلى غيره قال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة، الآية: ٥٠].

والثالثة: أن هذا القرآن الكريم معجز لا يقدر أحد من الخلائق على الإتيان بمثله، لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَعِدَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء، الآية: ٨٨].

الإحسان في الإيمان بالكتب المنزلة:

وطريقة المحسنين في الإيمان بالكتب المنزلة الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك ولا يمازجه ريب أن الله تعالى متكلم على الحقيقة كيف يشاء، وأن ما في الكتب والصحف قبل أن تحرف أو تغير هو كلامه سبحانه وتعالى، وأن القرآن الكريم هو الكتاب المهيم على ما سبقه من الكتب،

(١) انظر الإيمان. للدكتور محمد نعيم ياسين (٦٧).

(٢) جامع البيان (٤/١٧٣).

المحفوظ من التحريف والتغيير والتبديل، يؤمنون بذلك كله حتى لكأنهم يسمعون بقلوبهم كلام الله حين تكلم بها، ويشاهدون ببصائرهم نزولها حين تنزيلها، ولكأنما هم حاضرون مع الأنبياء ساعة أوحى الله إليهم بها، فمن وجد في قلبه ما يجده المحسن اشتد تمسكه بالقرآن باطنًا وظاهرًا، وقام بحقوقه: قراءة وتدبرًا، وعملاً خير قيام، فهو يقرؤه وكأنه ينظر إلى الله تعالى، والله تعالى يستمع إليه، ويتدبره وهو مطرق رأسه خشية وإجلالاً لله تعالى وكأنما هو حاضر بين يديه، ويعمل به وكأنه عند ربه في السماء يستشعر عظمته وقربه حتى وكأنه يراه حقًا.

الأصل الرابع: الإيمان بالرسول والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -

أ- المراد من هذا الأصل هو التصديق الجازم بأن الله تعالى اصطفى من البشر رجالاً جعلهم رسله وأنبياءه إلى العالمين وأوحى إليهم بشرعه وعهد إليهم بإبلاغه، وأيدهم بالمعجزات، لإرشاد الخلق في معاشهم ومعادهم، يبشرونهم بالنعيم لمن أطاع وينذرونهم الجحيم لمن عصى حتى تنقطع على الله يوم القيامة^(١).

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل، الآية: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء، الآية: ١٦٥]

ب - واجبنا نحو الأنبياء والرسول - عليهم السلام -:

١- الإيمان بمن سمى الله تعالى من رسله وأنبيائه في كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ وذلك على وجه التفصيل، والمذكورون في القرآن الكريم بهذه الصفة خمسة وعشرون وهم:

آدم، ونوح، وإدريس، وصالح، وإبراهيم، وهود، ولوط، ويونس، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، واليسع، وذوالكفل، وداود، وزكريا، وسليمان، وإلياس، ويحيى، وعيسى، ومحمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - .
والأدلة من القرآن معلومة^(٢).

وأما من لم يسمه الله تعالى من الأنبياء والرسول وهم كثير، فالواجب علينا

(١) انظر الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين (٤٨)، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية للسلمان (٦٦).

(٢) راجع سورة الأنعام (٨٣-٨٦)، وهود ٦١، ٥٠، والأعراف (٨٥)، وآل عمران ٣٣، والأنبياء ٨٥، والفتح (٢٩).

- الإيمان بهم على سبيل الإجمال وذلك بأنهم كانوا مرسلين إلى الذين ذكروا لهم أنهم رسل الله إليهم، وأنهم كانوا في ذلك صادقين^(١).
- ٢- الإيمان بأن كل رسول أرسله الله أدى أمانته، وبلغ رسالته على الوجه الأكمل، وبينها بياناً واضحاً كافياً^(٢).
- ٣- طاعتهم، وعدم مخالفتهم، لأن ذلك من طاعة الله سبحانه بقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء، الآية: ٨٠].
- ٤- الإيمان بأنهم بشر غير مخصوصين بطبائع غير طبائع البشر، وأنهم لا يملكون من خصائص الألوهية شيئاً، وإنما خصّهم الله عز وجل بالنبوة وجميل الأخلاق وحسن الفضائل قال الله تعالى عن محمد ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف، الآية: ١٨٨].
- ٥- الإيمان بأن آخر أنبياء الله ورسله هو نبينا محمد ﷺ، وأنه خاتم النبيين لا نبي بعده وأن رسالته خاتمة الرسالات ناسخة لما سبقها من الشرائع والأديان قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب، الآية: ٤٠] وأن رسالته ﷺ للعالمين كافة عربيهم وعجمهم أبيضهم وأسودهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبا، الآية: ٢٨] وأنه ﷺ رسول رب العالمين إلى الثقلين الإنس والجن، لقوله تعالى عن الجن: ﴿يَقُومُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا﴾ [الأحقاق، الآية: ٣١].
- ٦- يجب على كل مكلف من الإنس والجن سماع برسالة محمد ﷺ وهو عاقل الإيمان به واتباعه فمن صدقه فلقد صدق كل نبي ومن أطاعه فقد أطاع كل نبي ومن كذبه فقد كذب كل نبي، ومن عصاه فقد عصى كل نبي^(٣) وأن الله لا يقبل من أحد ديناً غير دينه الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران، الآية: ٨٥].
- ٧- يجب على كل أحد طاعة أمره ﷺ واجتناب ما نهى عنه وعبادة الله بما شرع قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء، الآية: ٦٤].
- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ

(١) انظر شعب الإيمان للبيهقي (١/١٤٥).

(٢) انظر: الإيمان للدكتور محمد نعيم ٤٨-٥٥.

(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/٤٨٣).

وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ [النساء، الآية: ٦٩].

٨- يجب على كل من آمن بالأنبياء والرسل - عليهم السلام - محبتهم من غير غلو يخرجهم عن مكانتهم الشرعية، وكثرة الصلاة والسلام عليهم وخصوصًا نبينا محمد ﷺ فإنه يجب على كل من ذكر أو ذكر عنده الصلاة والسلام عليه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب، الآية: ٥٦].

٩- أن كل ما سبق هو مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله التي لا تتحقق شهادة التوحيد «لا إله إلا الله» إلا بها.

الإحسان في الإيمان بالرسول عليه الصلاة والسلام:

فمن آمن بما سبق كله إيمانًا صادقًا حتى يغلب على قلبه كآته حاضرٌ مع الأنبياء، يشاهدهم ويسمع كلامهم، ويهتدي بهديهم، ويناصر دعوتهم، ويؤازر جهادهم، مستشعرًا كآته ينظر إلى الله جلَّ وعلا ببصيرته، فإنه المحسن الحق الذي ينفعه إيمانه بهم فيسر بسيرتهم، لا تقهره شهوة، ولا يصده هوى، ولا تغره دنيا، حتى يلقي ربه وهو بأحسن اعتقاد.

الأصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

ومعناه: التصديق الجازم الذي لا يخالطه شك ولا يمازجه أدنى ريب بأن لأيام الدنيا آخر وأنها منقضية، وأن ما أخبر الله به وأخبر به رسوله ﷺ مما سيكون بعدها من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث بعد الموت، والحشر، وتطهير الصحف، والحساب، والميزان، والحوض والصراط والشفاعة، والجنة والنار، وما أعد الله تعالى لأهلها جميعًا حق واقع لا محالة^(١). قال الله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة، الآية: ٦٢] وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة، الآية: ١٧٧].

وهذا الأصل ركيزة عظيمة في الإيمان، فمن أنكره أو شك في وقوعه لم ينفعه إيمانه وهو عند الله من الكافرين المخلدين في نار جهنم وتحقق الإيمان به يكون بأمرين:

الأول: أن يؤمن الإنسان به إيمانًا إجماليًا.

والثاني: الإيمان باليوم الآخر وما يسبقه من علامات وما يكون بعده من أمور الغيب التي يمر بها الإنسان بعد موته تفصيليًا^(٢). وهي:

(١) انظر: الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين (٧٣)، وشرح الطحاوية (٣٩٦) وما بعدها.

(٢) انظر: الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين (٨٥-٨٦)، وشرح الطحاوية (٣٩٨) وما =

أ- ما يكون قبل يوم القيامة من علامات وأعظمها، خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وغيرها مما جاء بيانه في السنة النبوية، فإذا جاءت أشراط الساعة واستكملت علاماتها الكبرى قامت القيامة فيدمر الله هذا الكون، أرضه وسماؤه، فتكسف الشمس، ويخسف القمر، وتتناثر النجوم، وتشقق السماء، وتذك الأرض، وتزلزل الجبال، وتشتعل البحار ناراً، وينفخ في الصور فيهلك كل من في السماوات والأرض إلا من شاء الله.

ب - ما يكون بعد الموت مما يجب الإيمان به، وهي على النحو الآتي:

١- الإيمان بما يجده الإنسان عند موته من حضور الملائكة وقبض الروح ومعالجة خروجها من الأجساد والصعود بها إلى السماء عند ربها، وأن المؤمن تخرج روحه في رفق ولين، وأن روح الكافر تنشط من جميع عروقه وجسده في شدة وعذاب.

٢- فتنة القبر ونعيمه وعذابه:

قد ثبت في القرآن الكريم والسنة النبوية أن أهل القبور يفتنون في قبورهم بسؤال الملكين، وأن المؤمن ينعم في قبره يوسع له فيه حتى مد بصره، ويفتح له باب إلى الجنة فيرى مقعده فيها ويأتيه من روحها وريحانها.

وأما الكافر فإنه يضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه ويفتح له باب إلى النار فيرى مقعده فيها ويأتيه من حرها وسمومها وتنتها إلى يوم البعث، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الْأَضَالِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَزُلُّ مِنْ جَحِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة، الآية: ٨٨ - ٩٤]

وقال تعالى عن عذاب آل فرعون في قبورهم: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر، الآية: ٤٦]

وقال ﷺ كما في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «مرَّ النبي ﷺ بحائطٍ من حيطان المدينة أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ: يعذبان وما يعذبان في كبيرٍ» ثم قال: بلى؛ كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة...»^(١).

وعن سؤال الملكين منكر ونكير للميت في قبره أخبر ﷺ كما في

= بعدها.

(١) صحيح البخاري (٨٨/١) (٢١٣).

حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - : أنَّ رسول الله ﷺ قال : «إِنَّ العبد إذا وضع في قبره وتولى عن أصحابه، وإنَّه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ، فأما المؤمن فيقول أشهد أنَّه عبدالله ورسوله، فيقال له : انظر مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً . . قال : وأما المنافق والكافر فيقال له : ماكنت تقول في هذا الرجل فيقول : لا أدري، كنت أقول كما يقول النَّاسُ، فيقال : لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة، يسمعها من يليه غير الثقلين»^(١).

ومما يجب التنبيه عليه أنَّ العذاب والنعيم واقعٌ على الروح والجسد جميعاً، وأنَّ أرواح الموتى لها اتصال بالأجساد بكيفية لا يعلمها إلاَّ الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «مذهب سلف الأمة وأئمتها أنَّ الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأنَّ ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأنَّ الروح تبقى منعمة أو معذبة، وأنَّها تتصل بالبدن أحياناً، فيحصل له معها النعيم والعذاب ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى أجسادها وقاموا من قبورهم لرب العالمين»^(٢).

وقال ابن القيم - رحمه الله - : «الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت، فمنها ما هو في عليين، ومنها ما هو في حواصل طير خضر تسرح في الجنة، ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة، ومنهم من يكون محبوساً في قبره، ومنهم من يكون مقره باب الجنة، ومنهم من يكون محبوساً في الأرض، ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة وقيل عن أرواح في سجين»^(٣).

٣- الإيمان بحقيقة النفخ في الصور:

والصُّور قرن عظيم إسرافيل - عليه السلام - ملتقمه في فيه ينتظر أمر الله تعالى لينفخ فيه النفخة الأولى والثانية فإذا اقترب وعد الله وأذن بدمار الكون ومن فيه أمر الله عزَّ وجل إسرافيل وهو الملك الموكل بالنفخ فيه فينفخ نفخة واحدة فيصعق من في السماوات والأرض ويقعون هلكى إلاَّ من شاء الله وهي النفخة الأولى، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون.

(١) صحيح البخاري (٤٦٢/٢) (١٣٠٨).

(٢) الفتاوى (٢٨٤/٤).

(٣) الروح (١١٥/١).

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ ۝١٥﴾ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۖ ۝١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمْنِيَةٌ ۖ ۝١٧﴾ [الحاقة، الآية: ١٣-١٧]

ويوم ينفخ في الصور هو يوم القيامة الكبرى التي جاء ذكرها في القرآن الكريم بالقارعة، والحاقة، والطامة، والساعة، والصاخة، والزلزلة، وغيرها^(١).

٤- الإيمان بالبعث بعد الموت

وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية فيقوم الناس لرب العالمين قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ۖ ۝١٥﴾ [الزمر، الآية: ٦٨] وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۖ ۝٧﴾ [التغابن، الآية: ٧].

وقد أنكر فريق من الكفار إمكانية البعث بعد أن يصبح الإنسان رفاتا كما حكى الله ذلك عنهم في الآية السابقة وبقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسَىٰ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۖ ۝٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۖ ۝٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ۖ ۝٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۖ ۝٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۖ ۝٨٢﴾ [يس، الآية: ٧٨-٨٢] وفي الآية تأكيد على تحقق وقوع البعث بأن من أنشأ النشأة الأولى، وهي بدء خلق الإنسان بعد أن لم يكن قادر على إعادة خلقه مرة ثانية إذ الإعادة أهون من البدء، وصرف الله أنظار المنكرين إلى أخذ العبرة واستنتاج الدلالة بالقياس على قدرة الله تعالى في إخراج الشيء من ضده مثل: إخراج النار وإيقادها من الشجر الأخضر، فإذا كان هذا حاصلًا مشاهدًا ملموسًا فإن إعادة الإنسان من أصله أمكن من إخراج الشيء من ضده ثم أبان الله لهذا الفريق من الناس أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلقهم وإعادة إحيائهم فمن استطاع خلق العظيم فمن باب أولى أن يخلق ما دونه قال الله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۖ ۝٨١﴾ [يس، الآية: ٨١] وقال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۖ ۝٥٧﴾ [غافر، الآية: ٥٧] وفي آية أخرى يلفت الله سبحانه وتعالى

(١) انظر: شرح الطحاوية (٤١٢).

الأنظار إلى قياس إحياء الموتى بما يشاهدونه من إحياء الأرض الميتة حينما ينزل عليها المطر، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ﴾ [فصلت، الآية: ١٧].

٥- الإيمان بالحشر:

وهو جمع الناس بعد البعث من قبورهم إلى الأرض التي سيقفون فيها للحساب والجزاء^(١). قال الله تعالى: ﴿وَعَرَّضُوا عَلَىٰ رِيكٍ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف، الآية: ٤٨]. وفي أرض المحشر يجتمع الناس حفاة عراة غرلاً غير مختونين وهذا اليوم عسير على الكافرين يسير للمؤمنين فيكون بمقدار ما بين الظهر والعصر تدنو منهم الشمس قدر ميل في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

٦- الإيمان بأن الله تعالى أعطى رسوله محمدًا ﷺ حوضًا في عرصات القيامة يشرب منه المؤمنون من أمته بيده الشريفة الطاهرة، لا يظماون بعدها أبدًا وهو غير نهر الكوثر الذي أعطاه الله إياه في الجنة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ترد عليّ أمتي الحوض...» الحديث في مسلم وهذه إحدى الكرامات من الله تعالى لنبيه ﷺ وللمؤمنين والثانية: أن أمة محمد ﷺ شاهدة على الأمم السابقة، المنكرة لرسولهم بأن أولئك الرسل عليهم السلام بلغوا ما أرسلهم الله به، قال تعالى: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

٧- الإيمان بمجيء الله تعالى إلى أرض المحشر: لمحاسبة الخلائق ومجازاتها^(٢). قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر، الآية: ٢١، ٢٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية، الآية: ٢٥، ٢٦].

والثالثة: خاصة بالرسول ﷺ وهي شفاعته في أهل الموقف جميعًا أن يأذن الله في محاسبتهم وهذه الشفاعة هي المقام المحمود عندها توضع الموازين توزن فيها الأعمال والعمال وصحائف الأعمال، فلا تظلم نفس شيئًا. قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء، الآية: ٤٧].

وأول ما يحاسب العبد من أعماله على الصلاة، وأول ما يكون القصاص في الدماء ويسأل الرجل عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن

(١) انظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/٤٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/١٦٦).

ماله من أين اكتسبه فيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟ نسأل الله لنا ولعامة المسلمين العافية ويجاء بجهنم لها ألف زمام على كل زمام ألف ملك يجرونها إلى أرض الموقف قال تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنذَكُرُ الْإِنْسَانَ وَاقْنَصُ لَهُ الذِّكْرُ﴾ [الفجر، الآية: ٢٣].

٨- الإيمان بنشر الدواوين: وهي الصحف التي أحصى الله فيها أعمال العباد فالمؤمن يأخذ كتابه بيمينه والكافر يأخذه بشماله من وراء ظهره^(١). قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْقَرَ كَنَبَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَوْقَرُوا كَنَبِيَّ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حَسَابِيَّةٍ﴾ [الحاقة، الآية: ١٩، ٢٠] وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْقَرَ كَنَبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كَنَبِيَّ يَوْمَ أَدْرِمَا حَسَابِيَّةٍ يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة، الآية: ٢٥ - ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء، الآية: ١٣، ١٤].

٩- الإيمان بالصراط:

وهو الجسر المنصوب على متن جهنم الذي ترده جميع الخلائق بعد محاسبتهم وهو مدحضه مزلة لا يثبت على ظهره إلا المؤمنون ويتنكبه الكافرون، على أطرافه كلاليب، يمر عليه الناس بحسب أعمالهم سرعة وبطئا فجاج مسلم وهاوي على أم رأسه في نار جهنم^(٢). قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم، الآية: ٧١] وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «... فيمر المؤمن كطرف العين...»^(٣).

١٠- الإيمان بالقنطرة: وهي مكان بعد الصراط ودون الجنة يقف فيه المؤمنون للقصاص بعضهم من بعض ثم يأذن الله لهم بدخول الجنة^(٤).

١١- الإيمان بالجنة وأنها مخلوقة موجودة جعلها الله تعالى دار كرامة لعبادة المؤمنين المتقين^(٥)، قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَزْوَاجًا وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبا، الآية: ٣١، ٣٦].

من دخلها يحيا ولا يموت، ينعم ولا ييأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، أول زمرة يدخلونها على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم

(١) انظر: العقيدة الواسطية، لابن تيمية (٣٣).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (٤١٥).

(٣) صحيح مسلم (١٦٧/١) (١٨٣).

(٤) انظر: شفاء العليل لابن القيم (٢٦٠/١).

(٥) انظر: درء التعارض لابن تيمية (١٠٠/٧)، وشفاء العليل لابن القيم (٢٦٠/١).

على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء، لها ثمانية أبواب، درجاتها كثيرة ما بين كل درجة وأخرى كما بين السماء والأرض، كثنائها المسك وحسبائها اللؤلؤ، وحشائشها الزعفران، وأنهارها ماء رقيق وعسل مصفى، ولبن لم يتغير طعمه، وخمر لذة للشاربين، قصورها شاهقة لبنة من فضة وأخرى من ذهب، خيامهم من لؤلؤ مجوف طول الواحدة منها ستون ميلاً في السماء للمؤمن فيها أهلون لا يرى بعضهم بعضاً، فيها شجرة يقال لها طوبى، يسير الجواد المضمر في ظلها مائة عام لا يقطعها يلدُّ أهل الجنة بما يشاؤون من المطاعم والمشارب والمراكب، وبالجملة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وفوق ذلك كله ما خصَّ الله به المحسنين من النظر إلى وجهه الكريم حيث قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس، الآية: ٢٦].

١٢- الإيمان بالنار: وأنها مخلوقة موجودة حقيقة لا تفنى ولا تبيد، جعلها الله دار عذاب لمن استحقها من المسلمين فهم ما كثون فيها إلى حين، ثم مآلهم إلى الجنة برحمة أرحم الراحمين^(١).

وأما الكافرون والمنافقون فهم فيها أبد الآبدين قال الله تعالى: ﴿بَكَّىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة، الآية: ٨١] حرها شديد وما نار الدنيا وإن عظمت إلا جزء من سبعين جزءاً من نارها، لها شهيق وزفير، يحطم بعضها بعضاً، تكاد تلتهم كل شيء لولا أن يضع فيها الجبار قدمه، بعيد قعرها يلقي الحجر من شفيرها فيمكث سبعين خريفاً لا يبلغه، وقودها الناس والحجارة، كلما خبت زادهم الله سعيراً محكمة الإيصاد، عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، كلما دخلتها أمة لعنت أختها، جمع الله فيها الأشقياء من لدن أول الخليقة إلى آخرها فهم في عمد ممددة وبالأغلال مكبلون وبالسلاسل يسحبون، طعامهم الزقوم وشرابهم الحميم والصديد، ثيابهم قطعت من نار، كلما نضجت جلودهم أبدلهم الله جلوداً غيرها ليزوقوا العذاب ينادى الشيطان بالبراءة منهم ومن أعمالهم، فهم في الحسرة والندامة يعضون على أيديهم كلما أرادوا الخروج قال لهم الجبار سبحانه: ﴿قَالَ أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ﴾ [١١٨].

(١) انظر: درء التعارض لابن تيمية (٧/١٠٠)، وشفاء العليل لابن القيم (١/٢٦٠).

[المؤمنون، الآية: ١٠٨] لا يفتر عنهم العذاب وهم فيه مبلسون، ينادون بالموت فيقال لهم إنكم ماكثون.

الأصل السادس: الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله عز وجل:

قال ابن بطال - رحمه الله -: (القضاء هو المقضي)^(١) قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر، الآية: ٤٩] ومعناه: الإيمان بما سبق به علم الله تعالى، وجرى به القلم في اللوح المحفوظ مما هو كائن إلى الأبد، وأنه - عز وجل - قدر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع حسب ما قدرها^(٢).

والفرق بين القضاء والقدر: أنَّ القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر: وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها^(٣).

والقضاء والقدر هما سرُّ الله في خلقه لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل.

قال أبوالمظفر السمعاني فيما حكاه عنه ابن حجر العسقلاني - رحمهما الله تعالى - «سبيل المعرفة في هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل، فمن عدل عن التوقيف فيه ضلَّ وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء العين، ولا ما يطمئن به القلب، لأنَّ القدر سرٌّ من أسرار الله تعالى، أُخْتُصَّ العليم الخبير به، وضرب دونه الأستار، وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة، فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب»^(٤).

قال الإمام أحمد - رحمه الله -: «من السنة اللازمة: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، ولا يقال: لِمَ؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها، ومن لم يعرف تفسير الحديث، ولم يبلغه عقله، فقد كفى ذلك، وأحكم له، فعليه الإيمان به، والتسليم له، مثل حديث الصادق المصدوق، وما كان مثله في القدر»^(٥).

(١) فتح الباري (١١/١٤٩).

(٢) انظر: عقيدة السفاريني (١/٣٤٨).

(٣) التعريفات للجرجاني (١٧٤).

(٤) فتح الباري (١١/٤٧٧).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/١٥٧).

أركان الإيمان بالقضاء والقدر^(١)

الأول: الإيمان بأن الله تعالى علم الأشياء قبل وجودها، فالله جلّ وعلا محيط علمه بكل شيء، يعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ومن ذلك أحوال عباده، وأرزاقهم، وأجالهم، وأعمالهم، ومستقرهم في الآخرة، قال جلّ ذكره: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام، الآية: ٥٩].

الثاني: الإيمان بأن الله كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ مما قدره وقضاه سواء وقع أم لم يقع بعد، وذلك قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج، الآية: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد، الآية: ٢٢].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»^(٢).

الثالث: الإيمان بأن كل ما هو كائن في الكون مما حدث أو سوف يحدث إنما يقع بمشيئة الله وإرادته التامة له، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج، الآية: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير، الآية: ٢٩]، فما أَرَادَهُ اللهُ وقع وما وقع فهو مراد الله لأنه لا يمكن أن يكون في ملك الله ما لم يردده وما لم يردده لم يقع، وذلك لعدم مشيئته له لا لعدم قدرته عليه، لأن الله على كل شيء قدير، ومن جملة ما أَرَادَهُ اللهُ وشاءه الهداية والضلال، والكفر، والإيمان، فما كان من ضلال أو كفر فهو مراد له سبحانه وتعالى كوناً وأزلاً وغير محبوب له ديناً وشرعاً قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر، الآية: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر، الآية: ٧].

الرابع: الإيمان بأن الله تعالى وحده هو المتفرد بخلق الأشياء وإيجادها، فهو جلّ وعلا الخالق وما سواه مخلوق له، وهو خالق كل مخلوق وفعله، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر، الآية: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٦١].

(١) انظر: شفاء العليل لابن القيم (٩١/١) وما بعدها.

(٢) صحيح مسلم (٢٠٤٤/٤) (٢٦٥٣).

[الصفات، الآية: ٩٦].

فالله تعالى خلق الخلق وخلق أفعالهم، وأفعالهم من كسبهم يحاسبون عليها، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًا فشرًا، بعد أن ركب فيهم القدرة على الفعل والترك وجعل لهم الإرادة التامة على الطريقين فأمر بفعل الخير وحذر من فعل الشر، فهدى من كتب له السعادة برحمته، وأضل من كتب عليه الشقاوة بعدله قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۖ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۖ﴾ [الليل، الآية: ٥ - ١٠].

ومما يعين على فهم هذا الأصل من أصول الإيمان الآتي:

١- أَنَّ الله تعالى يقدر ما يشاء ويفعل في ملكه ما يريد قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف، الآية: ٥٤].

٢- أَنَّهُ لَا يجوز لمخلوق أن يعترض على الله تعالى أو يعترض عليه فيما قضاه وقدره وحكم به في ملكه، قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء، الآية: ٢٣].

٣- أَنَّ الله تعالى عادل في حكمه وقضائه، وأمره ونهيه، فلا يجوز أن ينسب إليه الظلم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت، الآية: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل، الآية: ١١٨].

٤- أَنَّ القدر سابق لأفعالنا وَأَنَّ ما فعلناه لم يسقنا إليه قهراً لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل، الآية: ١٢٥]. وقوله تعالى: ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء، الآية: ١٥].

٥- أَنَّ أهل الحق يحتجون بالقضاء والقدر في المصائب لا في المعائب قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة، الآية: ١٥٦].

أما المذنبون فليس لهم الاحتجاج بالقدر، بل الواجب عليهم أن يتوبوا ويستغفروا، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر، الآية: ٥٥]، فلا تقبل حجة السارق والزاني والمرابي بالقضاء والقدر، لأنَّ الله قطع كل حجة بعد إنزال الكتب وإرسال الرسل حيث قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء، الآية: ١٦٥]، وعليه فكل إنسان مسؤول عن تصرفاته وأعماله في الدنيا والآخرة، ألم تر أَنَّ الله شرع العقوبات من تعزيرات وحدود لمن خالف أمره في الدنيا وتوعدهم بالعذاب في الآخرة قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [الزمر، الآية: ٣٨].

[المدثر، الآية: ٣٨].

٦- أَنَّ مما قدره الله وقضاه في الأزل ما لم يردده ويحبه في الشرع، فيكون مقدراً لمحبوب آخر أو فتنة واختباراً لعباده فهو مراد كوناً مبغوض شرعاً، لأنَّ الله تعالى لا يقدر الشر المحض الذي لا خير فيه مثل الزنى فإنَّ الله خلقه وقدره في الأزل، ولم يردده ويحبه ويرضاه في الشرع فكان خلقه فتنة لعباده واختباراً لصدق إيمانهم، وينتج عنه لمن وقع فيه وتاب منه ثواب عظيم وهذه المجاهدة لتركه والتوبة منه محبوبة لله تعالى: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء، الآية: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٢].

٧- أَنَّ الإيمان بالقضاء والقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب الجالبة للخير والسعادة الدافعة للشر والتعاسة، فهي من قضاء الله وقدره، مثل النكاح لأجل الولد، والزرع وإعداد القوة للأعداء قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال، الآية: ٦٠].

فالأخذ بالأسباب حتم واجب، وتاركها آثم جاهل، ومن اعتمد عليها من دون الله فقد أشرك المخلوق مع الخالق، إذ الأسباب لا تعمل ما لم يجعل الله فيها خاصية العمل.

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة، الآية: ٢٣].

٨- مدافعة القدر المرّ قبل أو بعد وقوعه بالقدر حتّى إذا لم يبق سبب شرعي أو مباح يدفعه استسلمنا له ورضينا به، وعلمنا أنَّ ما أصابنا منه لم يكن ليخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا واحتسبنا أجر صبرنا على الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف، الآية: ٩٠]، وهذا الواقع من القدر المرّ لا يخلو إما أن يكون بفعل غيره، فعليه أن يصبر ويرضى به، وإن كان بفعله وكان ذنباً استغفر الله تعالى، قال جلّ ذكره: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر، الآية: ٥٥].

الإحسان في الإيمان بالقضاء والقدر:

لن يرتقي المؤمن في إيمانه بركن القضاء والقدر إلى درجة الإحسان حتّى يؤمن بما سبق بيانه إيماناً يقينياً حتّى يغلب على قلبه حالة كآته شاهد ربه تبارك وتعالى حين قدر كل شيء وقضاه وفق علمه التام الذي جرى به القلم ومشيتته النافذة وخلقته لكل شيء فمن وصل إلى هذه الدرجة لم يخطر بباله طرفة عين الشك فيما قدر الله وقضاه في ملكه وسلطانه، ورضي بذلك أكمل الرضى.

ثانيًا: التأمل، والتفكير، والتدبر:

والسبب الموجب للتَّحَقُّق والتَّثَبُّت بهذه المنزلة في الإحسان العقائدي هو ما تحدثه في القلب من تثبيت للإيمان وتقويه له.

الفرق بين التأمل والتفكير، والتدبر:

هناك فروق دقيقة بين هذه المسميات الثلاثة:

فالتأمل: مصدر مأخوذ من مادة (أ م ل) التي تدل على التثبيت والانتظار^(١).

واصطلاحًا: هو تثبيت النظر فيما يصلح أن يكون واعظًا ومذكرًا.

والتفكير: مأخوذ من مادة (ف ك ر) التي تدل على تردد القلب في الشيء^(٢).

واصطلاحًا: هو تصريف القلب في معاني الأشياء لِدرَك المطلوب^(٣).

والتدبر: مأخوذ من مادة (د ب ر) التي يقصد بها النظر في عواقب الأمور^(٤).

واصطلاحًا: هو عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكير، إلاَّ أنَّ التفكير تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب^(٥).

والخلاصة: أنَّ التأمل يكون بالبصر مع الاستمرار إلى استخلاص العبرة، وأنَّ التفكير جولان الفكر في الأمر الذي له صورة عقلية عن طريق الدليل، وأما التدبر، فإنَّه يعني نظر العقل إلى عواقب الأمور^(٦).
أهمية التأمل والتفكير والتدبر:

قال الغزالي - رحمه الله -: كثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار، ولا يخفى أنَّ الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيصة المعارف والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره^(٧).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: أصل الخير والشر من قبل الفكر، فإنَّ الفكر مبدأ الإرادة والطلب في الزهد والترك والحب والبغض^(٨).

(١) انظر: مقاييس اللغة (١/١٤٠).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٤/٤٤٦).

(٣) انظر: التعريفات (٦٦).

(٤) لسان العرب (٤/٢٧٣).

(٥) التعريفات (٥٤).

(٦) انظر: المفردات (٣٧٤)، وقارن مع التعريفات (٥٤).

(٧) الإحياء (٤/٢٢٣).

(٨) الفوائد (٢٥٥).

وعن عبدالله بن عتبة - رحمه الله - : قال : سألت أم الدرداء - رضي الله عنهما - : ما كان أفضل عبادة أبي الدرداء؟ قالت : «التفكر والاعتبار»^(١).

وعن عامر بن قيس - رحمه الله - قال : سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب محمد ﷺ يقولون : «إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكر»^(٢).

وقال عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - : «الفكرة في نعم الله عز وجل - من أفضل العبادة»^(٣).

وعن محمد بن كعب القرظي - رحمه الله - قال : «لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ«إذا زلزلت»، و«القارعة» لا أزيد عليهما وأتردد فيهما وأتفكر أحب إلي من أهذا القرآن ليلتي هذًا أو قال أنثره نثرًا»^(٤).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة بلا قلب»^(٥).
ميادين التأمل والتفكير والتدبر :

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : «تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله»^(٦).

قال ابن القيم - رحمه الله - : وأنفع الفكر الفكر في مصالح المعاد وفي طرق اجتلابها وفي دفع مفسد المعاد وفي طرق اجتنابها ، فهذه أربعة أفكار هي أجل الأفكار .

ويليها أربعة : فكر في مصالح الدنيا .

وطرق تحصلها ، وفكر في مفسد الدنيا وطرق الاحتراز منها ، فعلى هذه الأفكار الثمانية دارت أفكار العقلاء ، ورأس القسم الأول الفكر في آلاء الله ونعمه وأمره ونهيه وطرق العلم به وبأسمائه وصفاته من كتاب وسنة نبيه وما والاها^(٧).

ومن ميادين التأمل والتفكير والتدبر المهمة ما يأتي :
أولاً : التأمل والتدبر في القرآن الكريم :

(١) انظر : الزهد لوكيع بن الجراح (٤٧٤).

(٢) الدر المنثور (٤٠٩/٢).

(٣) الإحياء (٤٢٥/٤).

(٤) كتاب الزهد لابن المبارك (٩٧).

(٥) الإحياء (٤٢٥/٤).

(٦) الدر المنثور (٤٠٩/٢).

(٧) الفوائد (٢٥٥).

يقول ابن القيم - رحمه الله -: أما التأمل في القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر، قال الله تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص، الآية: ٢٩] فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، ولا أقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذاقيرهما، وعلى طريقيهما وأسبابهما وغاياتهما، ومآل أهلها، . . وبالجمله تعرفه الرب المدعو إليه، وطريق الوصول إليه، وماله من الكرامة إذا قدم عليه.

وتعرفه مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان. والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه^(١).

ثانيًا: التأمل والتفكر في المخلوقات.

لقد دعا القرآن الكريم إلى ذلك في مواطن عدة مرة باسم النظر وأخرى باسم التفكير، وثالثة باسم الرؤيا البصرية وهكذا كلها تدعو الإنسان للتأمل في عجائب صنع الله في المخلوقات على تنوعها من خلق الإنسان وحياته وموته، والحيوان، والنبات، وخلق السماوات والأرض، والكواكب والأفلاك، وآثار الأمم السالفة وما زود الله به الإنسان من القدرات التي تؤهله إلى ذلك وها نحن الآن نبصر عجائب صنع الله في المخلوقات من خلال اكتشافات العلماء لها فلا يملك العاقل إلا الإقرار بالتوحيد الكامل لمن أبدعها ولم يهمل علماء المسلمين الأوائل هذا النوع من العبادة الذي هو التأمل والتفكر علما منهم أنه من السبل الموصلة إلى خشية الله حقًا. التأمل والتفكر والتدبر صفة المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿ وَادْكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ [ص، الآية: ٤٥ - ٤٧].

قال الطبري - رحمه الله -: وعنى بالبصر بصر القلب، وبه ننال معرفة الأشياء.^(٢) والمقصود بالبصر هو النظر الذي يعني التأمل^(٣) يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف، الآية: ١٩٨].

(١) مدارج السالكين (١/٤٨٥-٤٨٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/١٧٠).

(٣) انظر بصائر ذوي التمييز (٥/٨٢).

تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة التأمل والتفكير والتدبر:
يمكن للعبد أن يحقق هذه المنزلة وذلك بأن يغلب عليه النظر والتفكير
والتدبر في كل ما يصلح شرعاً أن يكون مكاناً لذلك مما سبق بيانه بغرض
أخذ العبرة والعظة والرسوخ في العلم يفعل ذلك كله وهو على حالة كأنه
ينظر إلى ربه تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ
هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [٣٦] إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾
[ق، الآية: ٣٦، ٣٧].

قال ابن القيم - رحمه الله - الناس ثلاثة:
رجل قلبه ميت، فذلك الذي لا قلب له، فهذا ليست الآية ذكرى في
حقه.

والثاني: رجل له قلب حيّ مستعد، ولكنه غير مستمع للآيات المتلوة
التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة، إما لعدم ورودها أو لوصولها وقلبه
مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضراً، فهذا أيضاً لا تحصل
له الذكرى، مع استعداده ووجود قلبه.

والثالث: رجل حي القلب مستعد، تليت عليه الآيات فأصغى بسمعه
وألقى السمع وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد
القلب، ملقى السمع، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة
والمشهودة.

فالأول: بمنزلة الأعمى الذي لا يبصر.

والثاني: بمنزلة البصير الطامح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه
فكلاهما لا يراه.

والثالث: بمنزلة البصير، الذي قد حدّق إلى جهة المنظور، وأتبعه
ببصره، وقابله وتوسط من البعد والقرب، فهذا هو الذي يراه فسيحان من
جعل كلامه شفاء لما في الصدور.

فاعلم أنّ الرجل قد يكون له قلب وقاد، مليء باستخراج العبر،
واستنباط الحكم، فهذا قلبه يوقعه على التذكروالاعتبار، فإذا سمع الآيات
كانت له نوراً على نور، وهؤلاء أكمل خلق الله وأعظمهم إيماناً وبصيرة،
حتى كأنّ الذي أخبرهم به الرسول مشاهد لهم، ولكن لم يشعروا بتفاصيله
وأنواعه، حتى قيل: إن مثل حال الصديق مع النبي ﷺ، كمثل رجلين دخلا
داراً فرأى أحدهما تفاصيل ما فيها وجزئياته، والآخر وقعت يده على ما في
الدار ولم ير تفاصيله ولا جزئياته، لكن علم أنّ فيها أموراً عظيمة ولم يدرك
بصره تفاصيلها، ثم خرجا فسأله عما رأى في الدار فجعل كلما أخبره بشيء

صدقه، لما عنده من شواهد، وهذه أعلى الدرجات الصديقية، ولا تستبعد أن يمن الله المنان على عبد بمثل هذا الإيمان، فإن فضل الله لا يدخل تحت حصر ولا حساب.

فصاحب هذا القلب إذا سمع الآيات وفي قلبه نور من البصيرة ازداد نوراً إلى نوره، فإن لم يكن للعبد مثل هذا القلب فألقى السمع وشهد قلبه ولم يغب حصل له التذكر أيضاً: ﴿فَإِنْ لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة، الآية: ٢٦٥]، والوابل والطل في جميع الأعمال وآثارها وموجباتها، وأهل الجنة سابقون مقربون وأصحاب يمين وبينهما في درجات التفصيل ما بينهما^(١).

صور من أحوال المتأملين والمتفكرين والمتدبرين:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: بثُّ عند خالتي ميمونة فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الأخير قعد فنظر إلى السماء فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران، الآية: ١٩٠] ثم قام فتوضأ واستن فصلى إحدى عشرة ركعة ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى الصبح^(٢).

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال لي النبي ﷺ: اقرأ عليّ قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «فإني أحب أن أسمع من غيري» فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء، الآية: ٤١] قال: «أمسك» فإذا عيناه تذرفان^(٣).

عن عمر - رضي الله عنهما -: أنه كان إذا تلا هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد، الآية: ١٦] قال: «بلى يا رب، بلى يا رب»^(٤).

ثمرات التأمل والتفكير والتدبر:

- ١- تشهدُ الآخرة حتى كأنه فيها.
- ٢- وتغيبه عن الدنيا حتى كأنه ليس فيها.
- ٣- وتميز له بين الحق والباطل في كل ما اختلف فيه العالم، فترى الحق حقاً والباطل باطلاً، وتعطيه فرقاناً ونوراً يفرق به بين الهدى

(١) مدارج السالكين (١/٤٧٥-٤٧٧).

(٢) صحيح مسلم (١/٥٢٥) (٧٦٣).

(٣) صحيح البخاري - الفتح (٨/٢٥٠)، (٤٥٨٢).

(٤) الدر المنثور (٨/٥٩).

والضلال، والغني والرشاد.

٤- وتعطيه قوة في قلبه، وحياة وسعة وانشراحًا وبهجة وسرورًا، فيصير في شأن والناس في شأن آخر.

فإنَّ معاني القرآن دائرة على التوحيد وبراهينه، والعلم بالله وماله من صفات الكمال، وما ينزه عنه من سمات النقص، وعلى الإيمان بالرسول، وذكر براهين صدقهم، وأدلة صحة نبوتهم، والتعريف بحقوق مرسلهم، وعلى الإيمان بملائكته، وهم رُسُلُهُ في خلقه وأمره وتدبيرهم الأمور بإذنه ومشيئته، وما جعلوا عليه من أمر العالم العلوي والسفلي، وما يختص بالنوع الإنساني منهم، من حين يستقر في رحم أمه إلى يوم يوافي ربه ويقدم عليه وعلى الإيمان باليوم الآخر، وما أعد الله فيه لأوليائه من دار النعيم المطلق التي لا يشعرون فيها بألم ولا نكد ولا تنغيص، وما أعد لأعدائه من دار العقاب الوبيل التي لا يخالطها سرور ولا راحة ولا فرح، وعلى تفصيل ذلك أتم تفصيل وأبينه، وعلى تفاصيل الأمر والنهي، والشرع والقدر، والحلال والحرام، والمواعظ والعبر، والقصص، والأمثال، والأسباب والحكم، والمباديء والغايات، في خلقه وأمره، فلا تزال معانيه تُنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتحثه على التَّصَمُّرِ والتَّخَفُّفِ للقاء اليوم الثقيل وتهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلى سواء السبيل، وتصده عن اقتحام طرق البدع والأضاليل وتبعته على الازدياد من النعيم بشكر ربه الجليل، وتبصره بحدود الحلال والحرام، وتوقفه عليها لئلا يتعدها فيقع في الفناء الطويل، وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق، والتحويل، وتسهل عليه الأمور الصعاب والعقبات الشاقة غاية التسهيل، وتناديه كلما فترت عزماته، وونى في سيره، تقدم الركب وفاتك الدليل، اللحاق للحاق، والرحيل الرحيل، وتحذو به وتسير أمامه سير الدليل، وكلما خرج عليه كمين من كمائن العدو أو قاطع من قطاع الطريق نادته: الحذر الحذر فاعتصم بالله، واستعن به، وقل: حسبي الله ونعم الوكيل.

وفي تأمل القرآن وتدبره، وتفهمه أضعاف أضعاف ما ذكرنا من الحكم والفوائد^(١).

٥- أنَّ التأمل في المخلوقات أساس في معرفة التسخير الكوني الذي أودعه الله فيه فضلاً عن أنَّه عبادة، فمعرفة الإنسان لهذا التسخير تساعد على معرفة أسرار المادة وكيفية الإفادة منها في تحقيق الخلافة لله في الأرض وعمارتها، قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٨٥-٤٨٧).

[الجاثية، الآية: ١٣].

قال الشافعي - رحمه الله -: استعينوا على الكلام بالصمت، وعلى استنباط بالفكر.

وقال أيضًا: «صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور، والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم، والرؤية والفكر يكشفان عن الحزم والفتنة، ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة، ففكر قبل أن تعزم، وتدبر قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تقدم»^(١).

٦- أنه يورث للعبد الخوف والخشية من الله تعالى مما يكون سببًا في لحاقة بالأبرار من العلماء.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر، الآية: ٢٨].

(١) الإحياء (٤/٤٢٥).

ثالثاً: الخوف:

الخوف لغة: الدُّعْر والفَزَع^(١).

واصطلاحاً: توقع حلول مكروه أو فوات محبوب^(٢) وذلك يعني الخروج عن سكون الأمن، باستحضار ما أخبر الله به من الوعد والوعيد^(٣) قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم، الآية: ١٤].

قال أبو عمر الدمشقي - رحمه الله -: حقيقة الخوف ألا تخاف مع الله أحداً^(٤).

أنواعه: الخوف نوعان:

الأول: الخوف المحمود، وهو ما حجزك عن محارم الله^(٥).

فإن زاد، على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتقلل من فضول المباحات، كان ذلك فضلاً محموداً وهذه الزيادة صفة المحسنين في خوفهم من الله ومن عقوبته.

الثاني: الخوف المذموم، وهو ما زاد على ذلك بأن أورث مرضاً أو موتاً، أو همّاً لازماً بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عز وجل فإذا صار كذلك لم يكن محموداً^(٦).

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة^(٧).

منزلة الخوف من الدين:

أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله - عز وجل - وكل قلب ليس فيه خوف فهو مخدوع^(٨).

قال إبراهيم التيمي - رحمه الله -: ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار، لأن أهل الجنة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾

(١) مقاييس اللغة (٢/٢٣٠).

(٢) التعريفات (١٠١).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٢/٥٧٧).

(٤) شعب الإيمان للبيهقي (٣/٢٠٨).

(٥) مدارج السالكين (١/٥٥١).

(٦) انظر التخويف من النار لابن رجب (٤٥).

(٧) سنن الترمذي (٤/٦٣٣) (٢٤٥٠) وقال هذا حديث حسن غريب. وصححه الحاكم

(٤/٣٠٧، ٣٠٨) ووافقه عليه الذهبي.

(٨) التخويف من النار (٧).

[فاطر، الآية: ٣٤] وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾^(١) [الطور، الآية: ٢٦].

قال ابن حجر - رحمه الله -: إنَّ الخوف من المقامات العالية، وهو من لوازم الإيمان قال تعالى: ﴿وَحَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢) [آل عمران، الآية: ١٧٥] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا الْكَاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾ [المائدة، الآية: ٤٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر، الآية: ٢٨]، وقال ﷺ: «لأنَّا أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية»^(٣) وكلما كان العبد أقرب إلى ربه كان أشد له خشية فمنَّ دونه، وقد وصف الله تعالى الملائكة بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل، الآية: ٥٠] والأنبياء بقوله: ﴿الَّذِينَ يَبْلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب، الآية: ٥٠] وإنَّما كان خوف المقرين أشد، لأنَّهم يُطالبون بما لا يطالب به غيرهم فيراعون تلك المنزلة، ولأنَّ الواجب لله منه الشكر على المنزلة فيضاعف تلك المنزلة. ولأنَّ الواجب لله منه الشكر على المنزلة فيضاعف بالنسبة لعلو تلك المنزلة، فالعبد إن كان مستقيماً فخوفه من سوء العاقبة لقوله تعالى: ﴿وَيَصْذُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال، الآية: ٣٤] أو نقصان الدرجة بالنسبة، وإن كان مائلاً فخوفه من سوء فعله، وينفعه ذلك مع الندم والإقلاع، فإنَّ الخوف ينشأ من معرفة قبح الجناية والتصديق بالوعيد عليها، وأن يحرم التوبة أو لا يكون ممن شاء الله أن يغفر له، فهو مشفق من ذنبه طالب من ربه أن يدخله فيمن يغفر له^(٣).

المخوفات:

مما جاء في السنة النبوية أنَّ النبي ﷺ تخوف على أمتة من خصال منها: حيف الأئمة، والإيمان بالنجوم، والتكذيب بالقدر^(٤)، وإمارة السفهاء، وسفك الدم، وبيع الحكم، وقطيعة الرحم، ونشوا يتخذون القرآن مزامير، وكثرة الشرط^(٥) والدنيا^(٦)، وعمل قوم لوط^(٧) والشرك الأصغر وهو

(١) التخويف من النار (١٦).

(٢) صحيح مسلم (١٨٢٩/٢) (٢٣٥٦).

(٣) فتح الباري (٣١٣/١١).

(٤) انظر: حديث أبي محجن رضي الله عنه أخرجه ابن عساكر (٤٠١/٥٨) (١٢١٥٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٣/١) (٢١٤).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٥٧/١٨) (١٠٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٣/١) (٢١٦) من رواية عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٦) انظر: حديث عوف بن عمرو رضي الله عنه عند البخاري في صحيحه، الفتح (٢٤٣/١١) (٦٤٢٥).

(٧) انظر: حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن ابن ماجه في السنن (٢٥٦٣) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٠٧٧).

الرياء^(١) وتقاتل المسلمين، وادعاء النبوة، وردة قبائل العرب^(٢) وآفات اللسان^(٣).

ضرورة التوازن بين الخوف والرجاء:

الخوف والرجاء للعبد في سيره إلى الله تعالى بمثابة الجناحين للطائر يستحيل طيرانه بدونهما أو بأحدهما دون الآخر، فالخوف سائق والرجاء قائد، فمن عبد الله بالخوف دون الرجاء وقع في القنوط ومن عبد الله بالرجاء دون الخوف وقع في الأمن من مكر الله وعقوبته والسلامة الاعتدال بالأخذ من كلٍّ بطرف بما لا يطغى على الآخر فيفسده.

قال أبو حفص - رحمه الله -: الخوف سوط الله يُقَوِّمُ به الشاردين عن بابه^(٤).

وقال: «الخوف سراج في القلب يبصر به ما فيه من الخير والشر»^(٥).

وقال إبراهيم بن سفيان - رحمه الله -: «إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه وطرده الدنيا عنه»^(٦).

قال أبو علي الروذباري - رحمه الله -: «الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع النقص، وإذا ذهب صار الطائر في حد الموت»^(٧).

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف، الآية: ٥٦] والدعاء نوع من العبادة واشترط الله لقبوله استواء الخوف والطمع الذي هو الرجاء في ما عند الله تعالى وعبر سبحانه وتعالى عن الاستجابة بالرحمة وأفاد سبحانه وتعالى أنَّ رحمة الله وهي حصول المدعو به قربة من المحسنين الذين تحقق فيهم استواء الخوف والرجاء في العبادة.

الخوف صفة المحسنين:

قال الله تعالى عن إمام المحسنين محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ

(١) انظر: حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه أخرجه البغوي في شرح السنة (٣٢٤/١٤) وقال المنذري رواه أحمد بإسناد جيد (٦٩، ٩٨/١).

(٢) انظر: حديث ثوبان رضي الله عنه عند مسلم (٢٢١٥/٣) (٢٨٨٩).

(٣) انظر: حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه عند الترمذي (٦٠٧/٤) (٢٤١٠) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٠٨).

(٤) بصائر ذوي التمييز (٥٧٧/٢).

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

(٧) مدار السالكين (٣٧/١).

يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ [الزمر، الآية: ١٣] وقال تعالى: ﴿أَمَنْ هُوَ فَنِتْ عَائَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَتَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ [الزمر، الآية: ٩، ١٠] وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَافِرٌ بِهِ﴾ وَجَدُّ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ [الحج، الآية: ٣٤، ٣٥] إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ [الحج، الآية: ٣٧].

والمخبتون: هم الخائفون كما قال الأخفش^(١) وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم^(٢) وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن، الآية: ٤٦]. ثم ألحق تعالى بعد آيات بقوله جل ذكره: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ ﴿٦٠﴾ [الرحمن، الآية: ٦٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَأْتُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ [المؤمنون، الآية: ٥٧-٦١].

وعن عائشة - رضي الله عنها -: زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ولا يسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات^(٣).

والمسارعون في الخيرات هم المحسنون.

تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة الخوف:

يمكن للمرء المسلم أن يحقق الإحسان في خوفه من الله تعالى ومن عقوبته وذلك بأن يستشعر عظمة الله تعالى وجلاله، وكبريائه وجبروته: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ [الزمر، الآية: ٦٧] وكذلك يستشعر أخذه جلّ وعلا للأمم الكافرة بمثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٠١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ

(١) مدارج السالكين (٦/٢).

(٢) مدارج السالكين (٦/٢).

(٣) سنن الترمذي (٣٢٧/٥) (٣١٧٥) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٣٧).

يَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠١﴾ [هود، الآية: ١٠٢، ١٠٣] ويتأمل كذلك فيما يحدثه تعالى في الكون من آيات يخوف بها عباده بمثل قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٠٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٠٣﴾﴾ [هود، الآية: ١٢، ١٣] ويستشعر كذلك ما أخبر به الله تعالى عن شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه وما فيها من النكال، وما حوت من السلاسل والأغلال والزقوم والضريع وغيرها من عظام الأهوال، بمثل قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُفْسِدُونَ ﴿١٠٤﴾ لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الزمر، الآية: ١٥، ١٦] ثم ينظر في سير الخائفين من عباده المقربين مع سبقهم في الطاعات واستكثارهم من المستحبات كيف كانوا من الله على أشد الخوف قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْدَامُهُمْ﴾ [الأنعام، الآية: ٩٠] فإذا حصل له ذلك العلم ثم غلب على قلبه حالة كأنه ينظر إلى الجبار غاضباً على العصاة والملائكة تسوقهم على وجوههم إلى السعير أحدث ذلك كله في نفسه ذعراً وفزعاً يعرف به قبح جنايته والتصديق بالوعيد عليها مما يحمله على أداء الفرائض، والنوافل، واجتناب المحارم والمكروهات، وترك ما يلهي من المباحات على وجه الإتيان التام، والإخلاص الكامل لله تعالى مع شدة الوجع ألا تقبل منه، فقد حق له أن يكون من المحسنين في خوفه من الله تعالى.

ثمره الخوف:

- ١- أنه دليل صادق على تحقق الإيمان.
- قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنهما -: «إنَّ المؤمن يرى ذنبه كأنه جالس في أصل جبل يخشى أن ينقلب عليه، وإنَّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه فقال به هكذا»^(١).
- وقال الحسن البصري - رحمه الله -: «والله ما مضى مؤمن ولا بقي إلا وهو يخاف النفاق، وما أمنة إلا منافق»^(٢).
- ٢- أن من خاف الله في الدنيا أخاف منه كل شيء.
- قال عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله -: «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء»^(٣) قال يحيى بن معاذ

(١) شرح السنّة للبغوي (٣٧٣/١٤)

(٢) صحيح البخاري، الفتح (١١١/١).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (٢٠٦/٣)

- رحمه الله -: «على قدر حبك لله يحبك الخلق، وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق»^(١).

٣- أنه يورث الزهادة في الدنيا:

بكى أبوهريرة - رضي الله عنه -: في مرضه فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: «أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بُعد سفري وقلة زادي، وإني أمسيت في صعود على جنة أو نار لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي»^(٢).

٤- أنه يحمل على الإتيان والإخلاص لله تعالى».

قيل للحسن بن صالح - رحمه الله -: إن سفيان يقول: ليتني لم أسمع من هذا العلم بشيء، قال الحسن: ولم؟ قال أبو محمد: «كانوا يتخوفون من أفضل أعمالهم»^(٣).

٥- الأمن في الآخرة والفوز بالجنة.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... [ومنهم رجل دعت امرأته ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله...]^(٤).

وقال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ [النازعات، الآية: ٤٠، ٤١].

(١) المرجع السابق (٢٠٩/٣).

(٢) شرح السنة للبغوي (٣٧٣/١٤).

(٣) الجرح والتعديل للرازي (٦٢/١).

(٤) صحيح البخاري، الفتح (٢٩٣/٣) (١٤٢٣).

رابعاً: الخشية:

الخشية لغة: مصدر خشي وهو مأخوذ من مادة (خ ش ي) التي تدل على خوف وذعر، وقد تستعمل مجازاً في معنى العلم^(١).

اصطلاحاً: هي خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخشى منه، ولذلك خصَّ الله العلماء بها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢) [فاطر، الآية: ٢٨].

الفرق بين الخشية والخوف:

يقول الكفوي - رحمه الله -: الخشية أشد من الخوف؛ لأنها مأخوذة من قولهم شجرة خاشية أي يا بسة وهو موات بالكلية والخوف النقص مطلقاً من قولهم ناقة خوفاء أي بها داء وليس بفوات، ولذلك خصت الخشية بالله في قوله: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الرعد، الآية: ٢١] والخشية تكون من عظم المَحْشَى، وإن كان الخاشي قوياً، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المَخُوف أمراً يسيراً.

وأيضاً فإن أصل الخشية خوفٌ مع تعظيم، ولذلك حُصَّ بها العلماء في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣) [فاطر، الآية: ٢٨].

الإحسان والخشية:

جاء في بعض روايات حديث جبريل - عليه السلام -: عندما سأل الرسول الله ﷺ عن الإحسان؟ فقال: «أن تخشى الله كأنك تراه، فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك» قال: صدقت^(٤).

الأمر بالخشية:

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُورِبِكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان، الآية: ٣٣].

الخشية صفة أحسن الناس:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾

(١) مقاييس اللغة: (٢/١٨٤).

(٢) المفردات: (١٤٩).

(٣) الكلبيات (٢/٣٠٢).

(٤) صحيح مسلم (١/٤٠) (١٠).

بمعنى أحسن .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - وذكر الحديث بطوله قال : قال ﷺ : «... والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له»^(١).

من علامات الخشية :

ما ذكره الله تعالى من اقشعرار الجلود عند تلاوة القرآن ولينها قال تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ نَقَشِعُرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر، الآية : ٢٣].

تحقيق الإحسان في صفة الخشية :

يتحقق الإحسان في صفة الخشية بأن يخاف المؤمن ربه تعالى تعظيماً لحقه عليه أشد الخوف والتعظيم حتى لكأنه يرى ربه تعالى حالة خشيته إياه .

ثمرات الخشية :

- ١ - أنها دليل صادق على صلاح القلب .
- ٢ - أنها تبعد عن معاصي الله تعالى .
- ٣ - أنها سبب في الأمن يوم القيامة والفوز بالجنة .

(١) صحيح البخاري، الفتح (١٠٤/٩) (٥٠٦٣).

خامساً: علو الهمة:

العلو لغة: مصدر مأخوذ من مادة (ع ل و) التي تدل على السمو والارتفاع^(١).

والهمة لغة: ما هم به من أمر ليفعله وهم بالشيء: نواه^(٢).
علو الهمة اصطلاحاً: هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور^(٣).
مكانتها: إنّ علو الهمة أساس الخير، وعنوان الجد، وهو من أعظم الخصال المحبوبة لله تعالى:

عن سهل بن سعد - رضي الله عنه -: قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله عزّ وجل كريم، يحب الكرم ومعالي الأخلاق ويبغض سفاسفها^(٤).

قال الماوردي - رحمه الله -: اعلم أنّ من شواهد الفضل، ودلائل الكرم: المروءة التي هي حلية النفوس، وزينة الهمم.

ومن حقوق المروءة وشروطها، ما لا يتوصل إليه إلاّ بالمعانة، ولا يوقف عليه إلاّ بالتفقد والمراعاة، فثبت أنّ مراعاة النفس أفضل أحوالها هي المروءة، وإذا كانت كذلك، فليس ينقاد لها مع ثقل كلفها، إلاّ من تسهلت عليه المشاق، رغبة في الحمد، وهانت عليه الملاذ حذرًا من الذم، ولذلك قيل: سيد القوم أشقاهم.

وقال الشاعر:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام
والداعي إلى استسهال ذلك شيان:

أحدهما: علو الهمة، والثاني: شرف النفس، أما علو الهمة، فلائّه باعث في التّقدم، وداع إلى التخصيص، أنفة من خمول الضعة، واستنكاراً لمهانة النقص^(٥) وقال معاوية - رضي الله عنه - لعمر بن العاص - رضي الله عنه -: «من طلب عظيمًا خاطر بعظيمته» وكان عمرو بن العاص - رضي الله عنه - يقول: عليكم بكل أمر مزلة مهلكة، أي عليكم بجسام الأمور^(٦).
ميادين علو الهمة:

إذا كان علو الهمة بهذه المكانة فإنّ ذلك ينصرف إلى التخصص

(١) المقاييس (٤/١٢٠).

(٢) لسان العرب (١٢/٦٢٠-٦٢١).

(٣) وسائل الإصلاح للخضر حسين (٥٧).

(٤) مستدرک الحاكم (١/١١١) (١٥١) وسكت عنه الذهبي وصحّحه الألباني في الصحيحة (٣/٣٦٦) (١٣٧٨).

(٥) أدب الدنيا والدين (٣٠٦-٣٠٧).

(٦) عيون الأخبار لابن قتيبة (١/٣٣٥).

بأحكام الشريعة ومكارمها علماً وعملاً وأعلاها مرتبة الإحسان مع عدم المبالاة بسعادة الدنيا وشقاوتها، فلا يتحرى الفضائل لأجل جأه أو ثروة أو لذة، أو استشعار نخوة واستعلاء على البرية، بل يتحرى مصالح العباد شاكراً بذلك نعمة الله متوخياً به مرضاته حتى لكأنه يراه سبحانه وتعالى على الحقيقة غير مكترث بقله مصاحبيه فإنه إذا عظم المطلوب قلّ المساعد، وطُرق العلّاء قليلة الإيناس^(١) قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَخِرَةِ لِمَنِ الَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا﴾ [القصص، الآية: ٨٣] وهذه هي مرتبة الإحسان في منزلة علو الهمة خلافاً لمن رضي بالهمة الدون، كمن كان حيواني الهمة همّه فرجه وبطنه، أو من تقطعت همته دون المعالي، ورضي بما يشترك فيه عامة الناس من الفضائل اليسيرة دون أشرافهم.

قيل للقبابي - رحمه الله -: فلان بعيد الهمة، قال: إذن لا يكون له غاية دون الجنة^(٢).

عن دكين الرّاجز - رحمه الله - قال: «أتيت عمر بن عبدالعزيز بعد ما استخلف أستنجز منه وعداً كان وعدنيه وهو والي المدينة فقال لي: يا دكين، إن لي نفساً تواقّة، لم تزل تتوق إلى الإمارة، فلما نلتها تاقّت إلى الخلافة، فلما نلتها تاقّت إلى الجنة^(٣)».

صور من علو الهمة:

عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: رأيتُ عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرنى فيردني، وأنا أحب الخروج لعلّ الله أن يرزقني الشهادة، قال: فعرض على رسول الله ﷺ فردّه، فبكى فأجازه، فكان سعد - رضي الله عنه - يقول: فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره فقتل، وهو ابن ست عشرة سنة^(٤).

عن عبادة بن عبد الله بن الزبير عن أبيه - رضي الله عنهما - قال: حدثني أبي الذي أَرْضَعَنِي وكان أحد بني مرة بن عوف، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة، قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر - رضي الله عنه - حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل القوم حتى قُتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها

(١) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة (٢٩١)، والتوقيف على مهمات التعاريف (٢٤٣).

(٢) عيون الأخبار (٣٣٧/١).

(٣) المصدر السابق (٣٣٤/١).

(٤) الإصابة (٣٦/٥) وقال الهيثمي أخرجه البيّار ورجاله ثقات (٦٩/٦).

والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
عليّ إذ لا قيتها ضرابها^(١)

ثمرات علو الهمة :

إنّ هذا الخلق الفاضل يسمو بصاحبه فيتوجه به إلى النهايات من
معالي الأمور :

فهو الذي ينهض بالضعيف يضطهد أو يزدري، فإذا هو عزيز كريم.
وهو الذي يرفع القوم من سقوط، ويبدلهم بالخمول نباهة، وبالاضطهاد
حرية، وبالطاعة العمياء شجاعة أدبية^(٢)

وهو الذي يترقى بصاحبه من خلق فاضل إلى أفضل حتى يصف بقدمه مع
القلّة الأخيار أهل الحظوة والقرب من الله تعالى.

إنّنا بحاجة اليوم إلى همم عالية كمثل هذه الهمم السامية ترفع عن
المسلمين ضععتهم، وتضرب لهم القدوة الحسنة، ممّا يعيد للأمة مكانتها في
القيادة والتربية الربانية للعالم أجمع، فلا يكفي أن نتغنّى بأمجاد الآباء إن لم
نسلك دروبهم وإن كانت صعبة المسارب.

(١) الحلية لأبي نعيم (١/١١٨).

(٢) انظر: وسائل الإصلاح للخضر حسين (٨٥) وما بعدها.

سادساً: العزم:

العزم لغة: مصدر مأخوذ من مادة (ع ز م) التي تدل على الصَّريمة والقطع، وقال الخليل: - رحمه الله - العزم: ما عُقد عليه القلب من أمر أنت فاعله، وأولو العزم من الرسل - عليهم السلام -: هم الذين عزموا على أمر الله فيما عهد إليهم وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ أجمعين^(١). واصطلاحاً:

قال الراغب - رحمه الله -: عقد القلب على إمضاء الأمر^(٢).

وقال الكفوي - رحمه الله -: هو القصد على إمضاء الأمر^(٣).

الفرق بين الهم والعزم:

أنَّ الهم هو اجتماع النفس على الأمر، والإزماع عليه.

والعزم: هو القصد على إمضائه، فالهم دون العزم، وهو أول العزيمة^(٤). قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران، الآية: ١٥٩].

مكانة العزم:

إنَّ العزم من الخصال الحميدة التي أمر الله تعالى بها رسوله عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاق، الآية: ٣٥] وهو وصية الأولياء والصالحين لأبنائهم كما حكى الله تعالى عن لقمان عليه السلام بقوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ أَقْوَمَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان، الآية: ١٧] وسيأتي أنَّ الرسول ﷺ كان يسأل الله تعالى العزيمة على الرشد وفي هذه دلالة على سمو مكانة هذا الخلق الرفيع.

ميادين العزم:

يمكن أن يدخل العزم في كل ما يصدر عن الإنسان من قول أو فعل أو اعتقاد. ومما يحسن أن يعزم عليه ما جاء في القرآن الكريم:

١- العزم في المشاورة كما قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران، الآية: ١٥٩].

٢- الصبر والتقوى، كما قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ

(١) مقاييس اللغة (٤/٣٠٨)، والصحاح (٥/١٩٨٥)، واللسان (٥/٢٩٣٢ - ٢٩٣٣)، والمفردات (٥٦٥)، والمصباح (٤٠٨).

(٢) المفردات (٥٦٥).

(٣) الكليات (٦٩١).

(٤) انظر: الكليات (٦٩١).

وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ [آل عمران، الآية: ١٨٦].

٣- إقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى عن لقمان عليه السلام -: في وصاته لابنه: ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان، الآية: ١٧].

٤- المغفرة للمسيء كما قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى، الآية: ٤٣].

٥- التآني: كما قال تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَّهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَبَلَغَ فَبَلَغَ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاق، الآية: ٣٥].

٦- الجهاد في سبيل الله: كما قال تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد، الآية: ٢١].

قال ابن عاشور: والتعريف في الأمر تعريف للعهد، أو اللام عن المضاف إليه، أي أمر القتال^(١).

ومما جاء في السنة النبوية مما يحسن العزم عليه:

١- العزيمة على الرشد:

عن شداد بن أوس - رضي الله عنه - قال: إن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم»^(٢).

٢- العزم في الدعاء:

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -: قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولنَّ اللهمَّ إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له»^(٣).

وفي قوله ﷺ: «العزيمة على الرشد» دعوة إلى عموم الرشد من أعمال البرِّ قاطبة.

من صور العزم:

(١) التحرير والتنوير (١١١/٢٦).

(٢) سنن النسائي: (٥٤/٣) (١٣٠٤) وصحيح ابن حبان (الإحسان) (٢٤١٦).

(٣) صحيح البخاري الفتح (١٣٩/١١) (٦٣٣٨).

ما جاء عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لأبي طلحة عُرِي وفي يده السيف وهو يقول: «لم تُراعُوا لم تُراعُوا»، ثم قال: «وجدناه بحرًا» أو قال: «إنَّه لبحر»^(١).

ومن ذلك ما روى عن أبي محجن الثقفي - رضي الله عنه - لا يزال يجلد في الخمر فلما أكثر عليهم سجنوه وأوثقوه، فلما كان يوم القادسية رأهم يقتتلون، فكأنه رأى أنَّ المشركين قد أصابوا من المسلمين، فأرسل إلى أم ولد سعد أو إلى امرأة سعد يقول لها: إنَّ أبا محجن يقول لك: إن خليت سبيله وحملته على هذا الفرس ودفعت إليه سلاحًا، ليكون أول من يرجع إليك إلَّا أن يقتل، وأنشأ يقول:

كفى حزنًا أن تلتقي الخيل بالقنا وأترك مشدودًا عليَّ وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وغلقت مصارع دوني قد تصم المناديا
فذهبت الأخرى، فقالت ذلك لا امرأة سعد. فخلت عنه قيوده، وحُمل على فرس كان في الدار وأعطى سلاحًا ثم خرج يركض حتى لحق بالقوم، فجعل لا يزال يحمل على رجلٍ فيقتله ويدقُّ صلبه؟! فلم يلبثوا إلَّا يسيرًا حتى هزمهم الله. ورجع أبو محجن - رضي الله عنه - ورد السلاح، وجعل رجله في القيود كما كان. فجاء سعد - رضي الله عنه - فقالت له امرأته أو أم ولده: كيف كان قتالكم؟ فجعل يخبرها، ويقول: لقينا ولقينا، حتى بعث الله رجلاً على فرس أبلق، لولا أنني تركت أبا محجن في القيود لظننت أنَّها بعض شمائل أبي محجن، فقالت: والله إنَّه لأبومحجن، كان من أمره كذا وكذا، فقصبت عليه قصته، فدعا به وحلَّ قيوده قال أبو محجن - رضي الله عنه - أنا والله لا أشربها أبدًا كنتُ أنف أن أدعها من أجل جلدكم، قال: فلم يشربها بعد ذلك^(٢).

ومن شدة عزائم الصحابة في طلب العلم، ما جاء عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم كتاب يهود، قال: «إني والله ما آمن يهود على كتاب» قال: فما مرَّ بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال: «فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم»^(٣).

(١) صحيح مسلم (٢/١٨٠٢) (٢٣٠٧).

(٢) الاستيعاب (٤/١٨٤)، والإصابة: (٤/١٧٤).

(٣) سنن الترمذي: (٥/٦٧) (٢٧١٥) وقال حديثٌ حسنٌ صحيح. وكذا قال الألباني في =

من ثمرات العزم:

١- أنّه خير معين على بلوغ معالي الأمور.

٢- أنه دليل على صدق توجه.

٣- أنه يحقق النصر ويرجع كفة الحق.

تحقيق مرتبة الإحسان في العزم:

يمكن للمرء المسلم أن يُحقّق مرتبة الإحسان في العزم؛ وذلك بأن يعقد قلبه بقوة على إمضاء كل أمرٍ صالح دونما تأخير أو استجابة لشهوة الراحة والدعة والكسل أو تثبيطات الشيطان وتخذيّل جنده والمسلم على حاله من الإخلاص وشدة نية الإتيان وكأنّه تبصر إلى الله تعالى.

سابعًا: التوكل:

التوكل لغة:

التَّوَكَّلَ مصدر تَوَكَّلَ يَتَوَكَّلُ وهو مأخوذ من مادة (و ك ل) التي تدل على اعتماد على الغير في أمر ما، ومن ذلك التَّوَكَّلُ وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك^(١).

واصطلاحًا: صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار، من أمور الدنيا والآخرة، وكلُّ الأمور كُلُّها إليه، وتحقيق الإيمان بأنَّه لا يعطي ولا يمنع ولا يضُرُّ ولا ينفع سواه^(٢).

وقال الجرجاني - رحمه الله - التوكل هو الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس^(٣).

الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل:

قال ابن القيم - رحمه الله -: التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم معه التوكل، ولكن من تمام التوكل: عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها.

فالأسباب محلُّ حكمة الله وأمره ونهيه، والتوكل متعلِّقُ بربوبيته وقضائه وقدرته، فلا تقوم عبودية الأسباب إلَّا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلَّا على قدَم العبودية^(٤).

الفرق بين التوكل والتواكل أو الاتكال:

أنَّ التوكل الأخذ بالأسباب، وقطع علاقة القلب بها، والاتكال ترك الأسباب الموصلة إلى المراد وعدم الأخذ بها.

الفرق بين التوكل والتفويض:

لو قال قائل: التوكل فوق التفويض وأجل منه وأرفع لكان مصيبًا ولهذا كان القرآن الكريم مملوءًا به أمرًا وإخبارًا عن خاصة الله وأوليائه، وصفوة المؤمنين وأمر الله به رسوله في مواضع عديدة من كتابه وسماه المتوكل [يعني الرسول ﷺ].

أما التفويض فلم يجيء في القرآن الكريم إلَّا فيما حكاه المولى

(١) انظر: مقاييس اللغة (٦/١٣٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (٤٠٩).

(٣) التعريفات (٧٤).

(٤) مدارج السالكين (٢/١٢٥).

عَزَّوَجَلَّ عن مؤمن آل فرعون، وذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر، الآية: ٤٤] ومن يفوض أمره إلى الله يتبرأ من الحول والقوة، ويفوض الأمر لصاحب الأمر من غير أن يقيم المُفَوِّضُ إليه مقام نفسه في مصالحه، بخلاف التوكل، فإنَّ الوكالة تقتضي أن يقوم الوكيل مقام الموكل، وهو بذلك أوسع من التفويض، وأعلى وأرفع^(١).

الفرق بين التوكل والثقة بالله عَزَّوَجَلَّ:

الثقة خلاصة التوكل وُلْبُهُ، أما العلاقة بين الثقة والتفويض فتتلخص في أنَّ الثقة هي التي يدور عليها التفويض والتوكل يشمل ذلك كله^(٢) [يعني الثقة والتفويض].

المحسنون والتوكل:

أخبر الله تعالى عن جملة الأنبياء وأبان عن إحسانهم ومن جملة ما أحسنوا فيه التوكل الحق على ربهم ومنهم:

١- نوح - عليه السلام - قال الله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [٧٩] إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ [الصفات، الآية: ٧٩، ٨٠] وعن توكله يقول تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَفْقَهُمْ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيَّانَتِ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس، الآية: ٧١].

٢- إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [١٠٩] كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ [الصفات، الآية: ١٠٩، ١١٠]، وعن توكله يقول تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَعْدَاؤُا وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۖ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة، الآية: ٤].

٣- موسى - عليه السلام - قال الله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [١٢١] كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٢﴾ [الصفات، الآية: ١٢٠، ١٢١] وقال عن توكله: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر، الآية: ٤٤]، وكان يأمر قومه بالتوكل كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمُ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [٨٤] فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ [يونس، الآية: ٨٤، ٨٥].

٤- محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ

(١) انظر: مدارج السالكين (١٤٥/٢).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١٤٩/٢، ١٥٠).

الْمُنْقُوتُ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ [الزمر، الآية: ٣٣، ٣٤].

وعن توكله ﷺ يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى، الآية: ١٠].

ثمرات التوكل:

- ١- أنه من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب.
- ٢- أنه دليل صادق على إيمان المرء بربه تعالى.
- ٣- أنه يحدث في القلب راحة بأن النافع والضار حقيقة هو الله تعالى.
- ٤- أن صدق التوكل على الله تعالى يلحق صاحبه بمنزلة المقربين من الله جل وعلا.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة التوكل:

يمكن للمرء المسلم أن يحقق الإحسان في توكله وذلك بأن يأخذ بالأسباب المشروعة والمباحة الموصلة إلى المراد مع عدم الركون إليها واستفراغ القلب منها بصدق اعتماده على الله عز وجل في استجلاب ما ينفعه ودفع ما يضره من أمور الدنيا والآخرة حتى يتيقن أنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه تعالى يفعل ذلك كله وحاله كأنه ينظر إلى الله تعالى حال توكله عليه.

ثامناً: الاعتصام:

تعريفه لغة:

يقول ابن فارس - رحمه الله -: «العين والصاد والميم أصل واحد، صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كله معنى واحد من ذلك العِصْمَةُ: أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه، واعتصم العبد بالله تعالى: إذا امتنع، واستعصم التجأ...»^(١).

والاعتصام: الاستمسك بالشيء^(٢)

تعريفه اصطلاحاً:

هو اجتماع المسلمين على الاستعانة بالله، والثوق به، وعدم التفرق عنه، والاجتماع على التمسك بعهدته على عبادته، وهو الإيمان والطاعة، أو الكتاب [والسنة]^(٣).

أنواع الاعتصام:

الاعتصام نوعان:

الأول: اعتصام بالله، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج، الآية: ٧٨].

ومعناه: التوكل على الله، والامتناع به، والاحتماء به، وذلك بسؤاله أن يحمي عبده ويمنعه ويعصمه ويدفع عنه الوقوع في الهلكة^(٤).

ومن هذا النوع ما حصل لنبي الله المحسن يوسف - عليه الصلاة والسلام - حينما استعصم بالله تعالى من الوقوع في كبير امرأة العزيز ومراودتها إياه على الفاحشة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف، الآية: ٢٢] ﴿وَرَوَدَتْهُ الْمَرْءُ فَقِيصٌ وَهِيَ بِأَبْوَابِ الْيَمِّ وَهِيَ لَكَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف، الآية: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [٣٠] ﴿لَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [٢١] ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَفْعَلَنَّهُ لَئِيْلٌ مُّسْقِنَةٌ﴾ [٢٢] ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [٢٣]

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٣٣١).

(٢) لسان العرب (١٢/ ٤٠٤).

(٣) انظر: تفسير الكشاف للزمخشري: (١/ ٢٠٦).

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/ ٤٩٥، ٤٩٧).

وَكَانَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُذُئُهُ حَتَّىٰ حِينَ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَثًا بَتًّا وَيْلَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْقَانِ بِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بَتًّا وَيْلَهُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَسْحَقُ وَيَعْقُوبُ مَا كَانَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْدِحِي السِّجْنَ أَرْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَاقِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْدِحِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَّ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُبُلَاتٍ خُضِرَ وَأُخِرَ يَابَسَتِ يَتَأْتِيهَا أَلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ [يوسف، الآية: ٣٢-٤٣].

ووجه الدلالة أَنَّ الله تعالى نعت يوسف - عليه الصلاة والسلام - بالإحسان وأبان عن صفاته ومنها صفة العفاف والاستعصام به تعالى من الوقوع في الفاحشة يؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ ﴿٣٢﴾ [النجم، الآية: ٣١، ٣٢] والزنا فاحشة كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ﴿٣٣﴾ [يونس، الآية: ٣٢].

ثمرة الاعتصام بالله تعالى:

الدفع عن العبد المحسن إذا اعتصم به كل سبب يفضي به إلى العطب، ويحميه منه فيدفع عنه الشبهات والشهوات، وكيد عدوه الظاهر والباطن، وشر نفسه، ويدفع عنه موجب أسباب الشر بعد انعقاده، بحس قوة الاعتصام به وتمكنه، فتفقد في حقه أسباب العطب، فيدفع عنه موجباتها ومسبباتها^(١).

النوع الثاني: الاعتصام بحبل الله:

ومعناه: التمسك بالكتاب والسنة واتباعهما باطنًا وظاهرًا، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران، الآية: ١٠٣].

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٤٩٥، ٤٩٧).

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «... تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله...» (١).
ثمرة الاعتصام بحبل الله:

النجاة من الضلال، فإنَّ السائر إلى الله تعالى كسائر على طريق نحو مقصده، فهو محتاج إلى هداية الطريق، والسلامة منها، فلا يصل إلى مقصده إلاَّ بعد حصول هذين الأمرين:

فالدليل كفيل بعصمته من الضلالة وأن يهديه إلى الطريق، والعُدَّة والقوَّة والسلاح التي بها تحصل له السلامة من قطاع الطريق وآفاتِها.

فلاعتصام بحبل الله يوجب له الهداية واتباع الدليل، . والاعتصام بالله يوجب له القوة والعُدَّة والسلاح، والمادة التي يسلم بها وعلى الاعتصام بالله، والاعتصام بحبله مدار السعادة الدنيوية والأخروية، ولا نجاة إلاَّ لمن تمسك بهما (٢) فإنَّهما يهديان إلى صراط الله المستقيم الذي هو صراط المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الذين هم أهل مرتبة الإحسان قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران، الآية: ١٠١] وقال تعالى: ﴿قَالِمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء، الآية: ١٧٥].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء، الآية: ٦٩].
الاعتصام صفة للمحسنين:

والاعتصام صفة لازمة للمحسنين: كما قال تعالى: ﴿فَأَسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف، الآية: ٤٣].
تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة الاعتصام:

يمكن للمسلم أن يحقق الإحسان في هذه المنزلة وذلك بأن يفرغ قلبه من حوله وقوته ويتوكل على الله تعالى، ويمتنع به، ويحتمي بجنابه ويسأل الله تعالى بلسان الحال والمقال أن يحميه ويمنعه ويدفع عنه الوقوع في الهلكة، ويقبل على الاستمسك بالكتاب والسنة ظاهراً وباطناً، يفعل ذلك كله على حالة من الإتيان والإخلاص والافتقار وكأنه يرى الله تعالى يسأله وينطرح بين يديه مرة تلو مرة حتى الممات.

(١) صحيح مسلم (٨٨٦/٢) (١٢١٨).

(٢) مدارج السالكين (١/٤٩٥، ٤٩٧).

تاسعاً: الاتباع:

الاتباع لغة: مصدر اتبع المأخوذ من مادة (ت ب ع) وتدل هذه المادة على التلو والقفو ثم استعمل في العمل بمثل عمل الغير، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَلْحَسِنُ﴾ [التوبة، الآية: ١٠٠] ثم استعمل في انتشار الأمر، والعمل بما يأمر به المتبوع فهو الائتمار^(١).

واصطلاحاً: قال ابن عبد البر - رحمه الله -: الاتباع ما ثبت عليه الحجة، وهو اتباع كل ما أوجب عليك الدليل اتباع قوله، فالرسول ﷺ هو المثل الأعلى في اتباع ما أمر به^(٢).

وقال الإمام أحمد - رحمه الله -: هو أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن الصحابة، ثم هو من بعد في التابعين مخير^(٢).

أنواع الاتباع:

ورد الاتباع في القرآن الكريم على ضربين:

الأول: مأمور به وجاء على صور عديدة منها:

أولاً: اتباع المولى عز وجل:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس، الآية: ٣٥].

ثانياً: اتباع الرسل - عليه الصلاة والسلام -: قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوِّمُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس، الآية: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء، الآية: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف، الآية: ١٠٨].

ثالثاً: اتباع الهدى والرضوان وما أنزل الله من كتاب أو ارتضى من شريعة:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام، الآية: ١٥٣] وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ

(١) المقاييس (٣٦٢/١)، والصحاح (١١٩٠/٣)، واللسان (٤١٦/١)، (٤١٩). تفسير التحرير والتنوير (٤٢٣/٧).

(٢) نقلاً عن أضواء البيان (٥٤٨/٧).

مَنْ أَلَّهَ نُورٌ وَكَتَبَ مُبِيتٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكُ سُبُلَ
السَّالِمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة، الآية: ١٥، ١٦] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ
فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر، الآية:
١٨].

رابعاً: اتباع المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْقُدُّوسِ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
بِإِحْسَنِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة، الآية: ١٠٠].

وعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:
«اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر»^(١).

الضرب الثاني: اتباع منهي عنه: وهو اتباع الهوى والشيطان والظن
والكفار والبدع وما أشبه ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام، الآية: ١٥٣].

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - أنه قال: أتى النبي ﷺ
بكتاب أصابه بعض أهل الكتاب فقرأه النبي ﷺ فغضب فقال: «أمتهوكون
فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا
تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي
نفسى بيده لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»^(٢).

الاتباع صفة المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء، الآية: ١٢٥].
صورة من الاتباع:

١- شدة اتباع الصحابة لرسول الله ﷺ في العلم:

عن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - قال: سئل عمر بن الخطاب
- رضي الله عنه - عن إملاص المرأة وهي التي يضرب بطنها فتلقي جنيناً
فقال: أيكم سمع من النبي ﷺ فيه شيئاً؟ فقلت: أنا فقال: ما هو؟ قلت:
سمعت النبي ﷺ يقول: «فيه عُرَّةٌ، عبدٌ أو أمة» فقال: لا تبرح حتى

(١) سنن الترمذي (٦٠٩/٥) (٣٦٦٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي
(٢٣٤/٣) (١٢٣٣).

(٢) مسند أحمد (٣٧٦/٤) (١٤٧٣٦) وحسنه الألباني كما في المشكاة (٦٣/١).

تجيئني بالمخرج فيما قلت»^(١).

٢ - شدة اتباعهم - رضي الله عنهم - للرسول ﷺ في الأفعال والامثال للحق على الفور.

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: اتخذ النبي ﷺ خاتماً من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب فقال النبي ﷺ: «إني اتخذت خاتماً من ذهب» فنبذه، وقال: «إني لن ألبسه أبداً» فنبذ الناس خواتيمهم»^(٢).

ثمرات الاتباع:

١- أن الاتباع دليل محبة الله عز وجل ورسوله ﷺ.

٢- أنها سبب في مغفرة الذنوب. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران، الآية: ٣١].

يقول ابن القيم - رحمه الله - «يحببكم الله» إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها، فدليلها وعلامتها اتباع الرسول ﷺ، وفائدتها الاتباع، وثمرتها محبة الله عز وجل فإذا لم تحصل المتابعة فليست المحبة بحاصلة، وقال أيضاً: وعلى ذلك فإنه لا تنال محبة الله عز وجل إلا باتباع الحبيب ﷺ^(٣).

٣- أن الاتباع عصمة من الزيغ والضلال

قال محمد بن سيرين - رحمه الله -: كانوا يرون أنه على الطريق ما كان على الأثر.^(٤)

تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة الاتباع:

تتحقق مرتبة الإحسان في هذه المنزلة بأن يتبع المسلم الدليل من الكتاب والسنة قولاً وعملاً واعتقاداً وكأنه يرى الله تعالى ويسمع كلامه حينما يأمره أو ينهيه ويتبع الصحيح من السنة النبوية وكأنه حاضر مع الرسول ﷺ يراه ويسمع كلامه، يفعل ذلك كله على وجه الاتقان والإخلاص التام.

(١) صحيح البخاري (الفتح) (٢٩٨/١٣) (١٣١٧).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٢٧٤/١٣) (٧٢٩٨).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٣/٢٢-٣٩).

(٤) سنن الدارمي (٦٦/١) (١٤٠).

عاشراً: التواضع:

التواضع: لغة:

مصدر تواضع أي أظهر الضَّعة، وهو مأخوذ من مادة (وَضَعَ) التي تدل على الخفض للشيء وحطه^(١).

وقال الراغب - رحمه الله -: الوضع أعم من الحط^(٢).

وقال الجوهري - رحمه الله -: ووضع الرجلُ يَوْضَعُ ضَعَةً وضعةً أي صارَ وضيعاً، ووضع منه فلان أي حطَّ من درجته، والتواضع التذلل^(٣).

واصطلاحاً:

إظهار التَّزُّل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه، وقيل: هو تعظيم من فوقه لفضله، وفي الرسالة القشيرية، التواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض في الحكم^(٤).

ومن هذا يستفاد أنَّ صفة التواضع تكون سمة لمن أظهر الضَّعة والدُّلَّ لله عزَّ وجل ولرسوله ﷺ والمؤمنين، وإن كان المرء عزيزاً في نفسه، كما قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة، الآية: ٥٤]

وممن يجب له التواضع في أسمى صورة الوالدان كما أمر الله به في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء، الآية: ٢٣، ٢٤].

أهمية التواضع وأَنَّهُ من صفات المحسنين:

لأهمية هذا الخلق الكريم أمر الله تعالى قدوة المحسنين وإمامهم محمد ﷺ به كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر، الآية: ٨٨].

وقوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء، الآية:

٢١٥].

ووصف سبحانه وتعالى عباده المحبوبين إليه بالتواضع للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ

(١) المقاييس (١١٨/٦).

(٢) المفردات (٥٢٥).

(٣) الصحاح (١٣٠٠/٣).

(٤) مدارج السالكين (١٣٤/٢)، فتح الباري (٣٤١/١١)، دليل الفالحين لابن علان (٥٠/٣).

أَذَلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ [المائدة، الآية: ٥٤].

وفي سورة لقمان - عليه السلام - أخبر الله تعالى أن الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين، وأفاد سبحانه وتعالى أن من الإحسان ما وصى به لقمان عليه السلام ابنه بوصايا تدخله في جملة المحسنين، منها التواضع، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِّن صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [لقمان، الآية: ١٨، ١٩].

ولما تحسر الكافرون لما رأوا العذاب أن لم يكونوا من المحسنين ردَّ الله عليهم بأنهم لم يتواضعوا لشرع الله فقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جُنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَ تَكَءَايَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ [الزمر، الآية: ٥٥].

صورة من التواضع:

- ١- حسن معاشره النبي ﷺ لأصحابه ومواساته لهم:
عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - في خطبة له: «إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا وَيَتَّبِعُ جَنَازَتَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ»^(١).
- ٢- نهيه ﷺ أصحابه أَنْ يُتَجَاوَزَ الْحَدُّ فِي مَدَحِهِ:
عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ - رضي الله عنه - يَقُولُ عَلَى الْمَنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(٢).
- ٣- من تواضع الصحابة - رضي الله عنهم: قال أبو بكر - رضي الله عنه -: «وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع»^(٣).

من ثمرات التواضع:

- ١- ما شرف الله به أهله، وذلك بنسبتهم إليه جلَّ وعلا تشريفاً وتعظيماً

(١) مسند أحمد (٥٣٢/١) (٥٠٤) وحسن إسناده أحمد شاكر، وذكره الهيثمي في المجمع (٢٩/٣) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٤٧٨/٦) (٣٤٤٥).

(٣) إحياء علوم الدين (٣/٣٤٣).

لهم جزاء تواضعهم حيث قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان، الآية: ٦٣]

٢- أنه من أفضل أنواع العبادة:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «تفعلون أفضل العبادة: التواضع»^(١).

٣- أنه دليل على كمال الرجولة والانتصار على الذات: قيل لعبد الملك ابن مروان - رحمه الله -: أي الرجال أفضل؟ قال: مَنْ تواضع من قُدْرَةٍ، وزهد عن رغبة»^(٢).

تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة التواضع: إذا انقاد المسلم لما جاء به الدين، ولم يُعَارِضْهُ بقول أو رأي، ولم يَتَّهَمْ له دليلاً، ولم يخالفه في يسير، ورضي بأن يكون أخاً للمسلمين يقبل معاذيرهم، واستسلم للحق ولو من عدوه، وترك رأيه وعوائده في العبادة، ولم ير له على الله حقاً، مع كمال الإخلاص وهو على حال كأنه ينظر إلى الله جلّ وعلا يعامله بذلك فإنه حينئذٍ ولا ريب محسن في تواضعه.

(١) الزهد، لوكيع (٤٦٣/٢) وإسناده صحيح.

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٣٤٢).

الحادي عشر: الزهد:

الزهد لغة:

قال ابن فارس - رحمه الله - (الزاي، والهاء، والذال) أصل يدل على قِلَّة الشيء^(١) وقال الراغب - رحمه الله -: والزاهد في الشيء: الراغب عنه^(٢).

اصطلاحًا:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: الزهد المشروع: هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدَّار الآخرة، وهو فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله^(٣).
حقيقة الزهد:

يقول ابن القيم - رحمه الله -: الزهد سفر القلب من وطن الدنيا، وأخذه في منازل الآخرة، وعلى هذا صنف المتقدمون كُتُب الزهد، كالزهد لعبدالله بن المبارك، وللإمام أحمد، ولوكيع، ولهثَّاد بن السَّري، وغيرهم، ومتعلِّقه ستة أشياء لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها: وهي المال والصُّور، والرياسة، والناس، والنفس، وكل ما دون الله. وليس المراد رفضها من المُلْك، فقد كان سليمان وداود - عليهما السلام - من أزهد أهل زمانهما، ولهما من المال والملك والنساء مالهما، وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق، وله تسع نسوة، وكان علي بن أبي طالب، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير، وعثمان - رضي الله عنهم -: من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وغيرهم كثير^(٤).
أقسام الزهد:

يقول ابن القيم - رحمه الله -: الزهد أقسام:

- ١- زهد في الحرام: وهو فرض عين.
- ٢- زهد في الشبهات: وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحق بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًا.
- ٣- وزهد في الفضول: وهو زهد فيما يغني من الكلام، والنظر، والسؤال، واللقاء، وغيره، وزهد في الناس، وزهد في النفس، حيث تهون عليه نفسه في الله.

(١) المقاييس (٣/٣٠).

(٢) المفردات (٢٢٠).

(٣) الفتاوى (١٠/٢١).

(٤) مدارج السالكين (٢/١٣-١٤).

٤- وزهد جامع لذلك كله، وهو الزهد فيما سوى ما عند الله، وفي كل ما يشغلك عن الله، وأفضل الزهد: إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد في الحفظ (١).

وسائل الزهد:

مما يساعد على بلوغ صفة الزهد ثلاثة أشياء:

١- علم العبد أن الدنيا ظلٌّ زائل، وخيالٌ زائر، فهي كما قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ﴾ [الحديد، الآية: ٢٠] وسماها الله متاع الغرور، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَآ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران، الآية: ١٨٥] ونهى عن الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين، وحذرنّا مثل مصارعهم، وذم من رضي بها واطمأن إليها.

٢- علمه أن وراءها دار أعظم منها قدرًا، وأجل خطرًا، وهي دار البقاء فالزهد فيها لكمال الرغبة فيها أعظم منها.

٣- معرفته وإيمانه الحق بأن زهده فيها لا يمنعه شيئًا كتب له منها، وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يُقْضَ له منها، فمتى تيقن ذلك ثلج له صدره، وعلم أن مضمونه منها سيأتيه.

فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد في الدنيا، وتثبت قدمه في مقامه (٢).

الزهد والنفس البشرية:

قد أخبر جلّ وعلا أن النفس البشرية بطبعها ميالة إلى الدنيا كما قال تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [الأعلى، الآية: ١٦، ١٧] لذلك أمر الله رسوله ﷺ باطراحها والزهادة فيها، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه، الآية: ١٣١].

أهمية الزهد:

جاء التحذير من الركون إلى الدنيا والرضا بها والاطمئنان إليها في آيات عدة تدل على أهميته منها قوله تعالى عن قارون: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ ﴾ [٧٩] وقال الذين أوتوا العلم ويليكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا ولا يلقاها إلا الصابرون ﴿ ٨٠ ﴾ فحسبنا به ويداره الأرض فما كان لهم من فئة ينصرونه من

(١) الفوائد (١١٨).

(٢) انظر جامع العلوم والحكم (٢٥٤-٢٥٥).

دُونَ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآتُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآتُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ [القصص، الآية: ٧٩-٨٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس، الآية: ٨، ٧]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى، الآية: ٢٠].

الزهد صفة المحسنين:

قد أبى الله تعالى بلوغ عبد مرتبة الإحسان ما لم تثبت قدمه في مقام الزهد وإن كان العبد من آل الأنبياء والرسول - عليهم السلام -، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلٌ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسَرِّحَنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب، الآية: ٢٨، ٢٩].

وعن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، ذلني على عمل إذا عملته أحبني الله، وأحبني الناس، فقال رسول الله ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس»^(١).

صور من الزهد:

١- عن عائشة زوج النبي ﷺ - رضي الله عنها - قالت: «لقد مات رسول الله وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين»^(٢).

٢- وعن عمرو بن الحارث - رضي الله عنه - قال: «ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا، إلا بغلته البيضاء، وسلاحه، وأرضا جعلها صدقة»^(٣).

٣- عن طارق بن شهاب - رحمه الله - قال: لما قدم عمر - رضي الله عنه - الشام، تلقاه الجنود، وعليه إزار وخفان، وعمامة، وهو آخذ برأس راحلته يخوض الماء، فقالوا: يا أمير المؤمنين، يلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على حالتك هذه، فقال: إنا أعزنا الله بالإسلام، فلن يُلْتَمَسَ الْعِزُّ

(١) سنن ابن ماجه (١٣٧٣/٢) (٤١٠٢) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٣١٠).

(٢) صحيح مسلم (٢٢٨٣/٣) (٢٩٧٤).

(٣) صحيح البخاري، الفتوح (٣٥٦/٥) (٢٧٣٩).

بغيره^(١).

من ثمرات الزهد:

- ١- أنه يورث محبة الله ومحبة الناس.
 - ٢- أنه يورث السخاء وعزة النفس.
 - ٣- أنه يورث الصحة النفسية كما قال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد، الآية: ٢٣].
- تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة الزهد:

يمكن للمرء المسلم أن يحقق مرتبة الإحسان في الزهد؛ وذلك بأن لا يرغب في شيء لا ينفعه في الآخرة وإن ملكه سواء أكان ذلك الشيء ماديًا أم معنويًا يبتغي بذلك وجه الله تعالى ومحبه وهو على حالة وكأنه ينظر إلى ربه جلّ جلاله.

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحلي (٣/٣٨٧).

الثاني عشر: المحبة

المحبة لغة :

هي الاسم من الحُبِّ وكلاهما مأخوذ من مادة (ح ب ب) التي تدل على اللزوم والثبات، والحُبُّ: والودادُ، والمَحَبَّةُ: إرادة ما تراه أو تظنه خيرًا^(١).

واصطلاحًا: المحبة ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيرًا^(٢) مما يوافق المُحِبَّ^(٣) مع ابتهاج القلب وسروره^(٤).
أنواعها:

المحبة ضربان: طبعي واختياري.

والأول: يكون في الإنسان والحيوان، وقد يكون في الجمادات.

والثاني: يختص به الإنسان، وهو على أقسام:

الأول: ما كان محمودًا مثل حب الله ورسوله، والمؤمنين.

والثاني: ما كان مباحًا، مثل حب الرجل زوجته وأولاده وأقاربه.

والثالث: ما كان مذمومًا مثل ما كان للشهوة، أو للمنفعة وأعظمها

قدرًا وأرفعها درجة محبة الله.

وهي: أن تهب إرادتك وعزمك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك له

تعالى، وتجعلها حبسًا في مرضاته ومحابه، فلا تأخذ لنفسك منها إلا ما أعطاك، فتأخذه منه له، راضيًا بذلك فرحًا مسرورًا^(٥).

عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من

أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»^(٦).

فضل المحبة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: ما حفظت حدود الله

ومحارمه، ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته وهذه الثلاثة:

الحب والخوف والرجاء، هي التي تبعث على عمارة الوقت بما هو الأولى،

لصاحبه، والأنفع له، وهي أساس السلوك، والسير إلى الله، وهذه الثلاثة

(١) المقاييس (٢٦/٢)، المفردات (٢٠٥)، اللسان (٢٨٩/١، ٢٩٠).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٦٣).

(٣) انظر: فتح الباري (٧٤/١).

(٤) الكليات (٤٧٨).

(٥) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٦٣) وطوق الحمامة لابن حزم (٦٣)، وتهذيب

مدارج السالكين (٥١٢).

(٦) سنن أبي داود (٦٠/٥) (٤٦٨١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٨٨٦/٣)

(٤٦٨١).

هي قطب رحي العبودية، وعليها دارت رحي الأعمال، فمتى خلا القلب من هذه الثلاث فسد فسادًا لا يرجى صلاحه أبدًا، ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه»^(١) قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة، الآية: ١٦٥].

وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدًا لا يحبه إلا الله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار»^(٢).

وفي الحديث دليل على أفضلية محبة الرسول ﷺ ومحبة المؤمنين، وهذا ليس من باب النذب بل من باب الواجب كما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: «فوالذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده»^(٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»^(٥).

وسائل المحبة لله تعالى:

الأولى: قراءة القرآن الكريم بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.
عن عتبة بن عامر الجهني - رضي الله عنه - قال: إن رسول الله ﷺ تلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيْزٌ ۖ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت، الآية: ٤١، ٤٢].
فقال رسول الله ﷺ: «إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أحب إليه من شيء خرج منه» يعني القرآن^(٦).

- (١) مجموع الفتاوى (٢١/١٥).
- (٢) صحيح البخاري (١٦/١) (٢١).
- (٣) صحيح البخاري (١٤/١) (١٤).
- (٤) صحيح مسلم (٧٤/١) (٥٤).
- (٥) صحيح مسلم (١٩٨٨/٣) (٢٥٦٦).
- (٦) مستدرک الحاكم (٤٧٩/٢) (٣٦٥١) وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

الثانية: التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المَحْبُوبِيَّة بعد المحبة.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتَهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيزَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(١).

الثالثة: دوام ذكره على كل حال: باللسان والقلب، والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر، من ذلك ما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(٢).

الرابعة: إثارة محابه تعالى على محابك عند غلبة الهوى، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٨﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٣، ١٣٤].

الخامسة: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها وتقلُّبُهُ في رياض هذه المعرفة ومبَادِيهَا فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة، الآية: ١٦٥].
عن عائشة - رضي الله عنها - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٤) فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي ﷺ: «أخبروه أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ»^(٥).

السادسة: مشاهدة بَرِّهِ وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها

(١) صحيح البخاري (٢٣٨/٥) (٦١٣٧).

(٢) صحيح مسلم (٢٠٧٢/٣) (٢٦٩٤).

(٣) الترغيب والترهيب، للمنذري (١٦/٤)، وقال رواه الطبراني في الأوسط. وقال الهيثمي (٢٧٤/١٠) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

داعية إلى محبته والقلوب جبلت على حب من أحسن إليها قال الله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [لقمان، الآية: ٢٠].

قال ابن القيم - رحمه الله -: المحب الصادق : لا بد أن يقارنه أحياناً فرح بمحبوبه، ويشتد فرحه به، ويرى مواقع لطفه به، وبره به، وإحسانه إليه، وحسن دفاعه عنه، والتلطف في إيصال المنافع والمسار والمبار إلى به بكل طريق ، ودفع المضار والمكارة عنه بكل طريق^(١).

السابعة: انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى، قال ابن القيم - رحمه الله -: «لا ينال رضا المحبوب وقربه والابتهاج والفرح بالذُّنُوبِ منه، والزلفى لديه، إلا على جسر الذل والمسكنة، وعلى هذا قام أمر المحبة، فلا سبيل إلى الوصول إلى المحبوب إلا بذلك»^(٢).

الثامنة: الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ أَخْذِينَ مَا أَنْزَلَهُمْ رَبُّهُمْ مِنْهُمْ أَنْهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُجْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الذاريات، الآية: ١٥، ١٦].

التاسعة: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطيب ثمرات كلامهم كما تنتقى أطيب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيداً لحالك، ومنفعة لغيرك.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: قال قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عدل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»^(٣).

والشاهد من الحديث: قوله ﷺ: «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه».

وجه الاستشهاد: أَنَّ الْمُجَالِسَ وَالْمُجَالَسَ من الصالحين المحبين لله المتحابين لأجل الطاعة وَأَنَّ اجتماعهما وافتراقهما كانا على ذكر الله ومحابه والتعاون فيما يقرب إليه.

والعاشرة: مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله - عز وجل -:

(١) مدارج السالكين (٢/٤٢-٤٣).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/٢٤).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٣/٢٩٣) (١٤٢٣).

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران، الآية: ٣١] والآية دليل على أن كل عمل ليس مما عمله ﷺ مبعّد عن محبة الله تعالى وهذه الآية شرط المحبة الصريح.

قال الحسن البصري - رحمه الله -: وغيره من السلف، ادّعى قومٌ محبة الله، فأنزل الله آية المحنة: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١] وقال: ﴿ يحببكم ﴾ إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها، فدليلها وعلامتها، اتباع الرسول، وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم، فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة ومحبته لكم منفية.

وقال تعالى: ﴿ يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوِيٍّ مِمَّنْهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة، الآية: ٥٤].

فقد ذكر أربع علامات:

الأولى والثانية: أنّهم أذلةٌ أعزّة قيل: معناه أرقاء رحماء مشفقون عليهم عاطفون عليهم، فلما ضمن: «أذلة» هذا المعنى عدّاه بأداة «على» قال عطاء: للمؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده، وعلى الكافرين كالأسد على فريسته: ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [محمد، الآية: ٢٩].

والعلامة الثالثة: الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد، واللسان، والمال، وذلك تحقيق دعوى المحبة.

العلامة الرابعة: أنّهم لا تأخذهم في الله لومة لائم، وهذا علامة صحة المحبة، فكل مُحِبٍّ يأخذه اللوم عَنْ مَحْبُوبِهِ فليس بمحب على الحقيقة^(١).
المحسوبون لله تعالى:

محبة الله تعالى للمحسنين، قال الله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥].

محبة الله للمتقين: قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران، ٧٦].

محبة الله للمقسطين: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة، الآية: ٤٢].

محبة الله للتوايين والمتطهرين: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٢].

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/ ١٧-٢٦).

محبة الله للمتبعين لرسوله ﷺ: قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ ﴾ [آل عمران، الآية: ٣١].

محبة الله تعالى لمحبيه، ومحبة الله للمتدللين للمؤمنين، ومحبة الله لأهل العزة على الكافرين.

محبة الله للمجاهدين في سبيله الذين لا يخافون في الله لومة لائم. قال الله تعالى: ﴿ يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة، الآية: ٥٤].

محبة الله للصابرين: قال الله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران، الآية: ١٤٦].

محبة الله للعبد المتقي، الغني، الخفي، عن عامر بن سعد - رحمه الله - وذكر قصة سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ»^(١).

من الأعمال المحبوبة لله تعالى:

محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ، ومحبة عباد الله المؤمنين، وقراءة القرآن الكريم، والأذكار مثل قول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، وزيارة الإخوان في الله، والحياء والستر، والحلم والأناة، وأداء الفرائض والنوافل، وأن يرى أثر نعمته على عبده، والعطاس، والمتحابون بجلال الله، والمتجالسون فيه، والمتزاورون والمتبازلون فيه، الوتر، قراءة: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾، محبة الأنصار، الرفق، أدوم الأعمال وإن قل، الصلاة على وقتها، بر الوالدين، الجهاد في سبيل الله، صلاة الرجل مع الجماعة وكلما كثرة كان أحب إلى الله، العفو، حسن الخلق، محبة لقاء الله، العمل في عشر ذي الحجة، الغيرة في غير ريبة، قوة الإيمان، قراءة سورة: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾، صيام يوم وإفطار يوم، قيام ثلث الليل، وكل هذه الأعمال تدعمها نصوص من الكتاب والسنة لولا التطويل لذكرتها.

صورة من المحبة:

محبة الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه -: عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ» فقال: «أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة

(١) صحيح مسلم (٢٢٧٧/٣) (٢٩٦٥).

تقول: اللَّهُمَّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(١)

محبة علي - رضي الله عنه - لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه -:

عن أبي حيان التيمي - رحمه الله - قال: «رؤي علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: ثوبٌ كأنه كان يكثر لبسه، فقليل له فيه: فقال: هذا كسانيه خليلي وصفيي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إنَّ عمر ناصح الله فنصحه»^(٢).

من ثمرات المحبة:

١- محبة الله تعالى لعبده، وليس العجب أن يحب العبدُ ربه بل العجب كل العجب أن يحب الله عبده.

٢- النعيم والسرور في الدنيا والآخرة.

تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة المحبة:

يستطيع المؤمن أن يحقق مرتبة الإحسان في صفة المحبة لله تعالى وذلك بابتهاج القلب والفرح بالدنو من الله، والقرب لديه مع كمال الذل والمسكنة والإخلاص له والرجاء فيما عنده حتَّى لكأنه يرى ربه فلا ينطق إلَّا لله وبالله، ولا يسكت إلَّا لله، ولا يتحرك إلَّا بأمر الله، ولا يسكن إلَّا على مرضاة الله، فحبه للخلق على قدر حبهم لله، وأنسه مناجاة الله، وتنعمه بالخلوة بالله، فمن بلغ ذلك بلغ مرتبة الإحسان في محبة الرحيم الرحمن.

(١) سنن أبي داود (١٨٠/٢) (١٥٢٢) وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٤/١) ..

(٢) كتاب الإخوان (٢٣٨).

الثالث عشر: الرجاء:

الرجاء لغة:

مصدر وهو مأخوذ من مادة (ر ج و) التي تدل على الأمل الذي هو نقيض اليأس، وقيل: الأمل أكبر من الرجاء، لأن الرجاء معه خوف^(١). واصطلاحاً:

النظر إلى سعة رحمة الله^(٢) والثقة بجوده تعالى^(٣) قال الله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر، الآية: ٩]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء، الآية: ١٠٤]

الفرق بين الرجاء والتمني:

الفرق بينه وبين التمني: أنَّ التمني يصاحبه الكسل، ولا يسلك صاحبه طريق الجِدِّ، والرجاء على الضدِّ من ذلك^(٤) قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَفَقِّهُونَ وَالْمُتَفَقِّهَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ ثَوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُمْ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [يونس، الآية: ١٣] ينادونهم أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [الحديد، الآية: ١٣، ١٤].

وعن الرجاء الباعث على الجِدِّ والعمل يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف، الآية: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة، الآية: ٢١٨].

قال شاه الكرمانى - رحمه الله -: «علامة صحة الرجاء حسن الطاعة»^(٥).

قال ابن حجر: - رحمه الله -: المقصود من الرجاء أنَّ مَنْ وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله وهو يرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه

(١) انظر الصحاح (٣٥٢/٦)، واللسان (٣٠٩/١٤ - ٣١٠).

(٢) مدارج السالكين (٣٧/١).

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر المرجع السابق.

(٥) مدارج السالكين (٣٧/٢).

طاعة يرجو قبولها، وأما من من انهمك على المعصية راجياً عدم المؤاخذه بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور، وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع، وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصي وترجو أن تنجو^(١).

قال سفيان - رحمه الله -: «من أذنب ذنباً فعلم أن الله تعالى قدره عليه، ورجا غفرانه، غفر الله له ذنبه»^(٢).
مكانة الرجاء:

قال ابن القيم - رحمه الله -: الرجاء هو عبودية، وتعلق بالله من حيث اسمه: البرّ المحسن فذلك التعلق والتعبد بهذا الاسم، والمعرفة بالله: توجب للعبد الرجاء من حيث يدري ومن حيث لا يدري ففؤة الرجاء على حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته، وغلبة رحمته غضبه ولولا روح الرجاء لعطلت عبودية القلب والجوارح، وهدمت غضبه ولولا روح الرجاء لعطلت عبودية القلب والجوارح، وهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، بل لولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة، ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات.

لولا التَّعَلُّقُ بِالرَّجَاءِ تَقَطَّعَتْ نَفْسُ الْمُحِبِّ تَحَسَّرًا وَتَمَرُّقًا
لولا الرِّجَا يحدو المطي لما سرت بحمولها لديارهم ترجو اللِّقَا
فتأمل هذا الموضع حق التأمل يطلعك على أسرار عظيمة من أسرار العبودية والمحبة، فكل محبة مصحوبة بالخوف والرجاء، وعلى قدر تمكنها من قلب المحب يشتد خوفه ورجاؤه، ولكن خوف المحب لا يصحبه وحشة، بخلاف خوف المسيء ورجاء المحب لا يصحبه علة، بخلاف رجاء الأجير، وأين رجاء المحب من رجاء الأجير وبينهما كما بين حالهما؟^(٣).
اقتران الخوف بالرجاء:

إذا لم يقترن الخوف بالرجاء في أعمال الإحسان فإنَّ العامل يجنح إلى القنوط من رحمة الله، أو الاتكال على الرحمة وترك العمل وكلا الأمرين محذور، وقد نبه الله تعالى إلى وجوب اقترانهما حيث قال جلَّ شأنه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء، الآية: ٥٧].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ، قال: «لو يعلم

(١) انظر: فتح الباري (١١/١٠٣).

(٢) إحياء علوم الدين (١/١٤٥).

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/٤٣-٤٤).

المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد»^(١).

الرجاء من صفات المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتٌ ءَانَاءَ أَلِيلٍ سَاجِدًا وَفَآئِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَعْبادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر، الآية: ٩، ١٠]

قال ابن عاشور: «والمراد بالذين أحسنوا: الذين اتَّقُوا اللهَ وهم المؤمنون الموصوفون بما تقدم من قوله: ﴿أَمَنَ هُوَ قَنِيتٌ﴾ [الزمر، الآية: ٩]، الآية: لأنَّ تلك الخصال تدل على الإحسان المفسر بقول النبي ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فعدل عن التعبير بضمير الخطاب بأن يقال لكم في الدنيا حسنة، إلى الإتيان باسم الموصول الظاهر وهو: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ ليشمل المخاطبين وغيرهم ممن ثبت له هذه الصلة، وذلك في معنى: اتَّقُوا ربكم لتكونوا محسنين فإن للذين أحسنوا حسنة عظيمة فكونوا منهم» (٢).

وهذا إمام المحسنين محمد ﷺ يتصف بالرجاء كما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة»^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَأِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَبْغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ [الإسراء، الآية: ٢٨].

من صورة الرجاء:

١- عن أنس بن مالك - رضي الله عنه :- [وذكر حديثاً عن غزوة بدر وفيه]
فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: قوموا إلى جنة عرضها السماوات
والأرض» قال: يقول عُمَيْرُ بن الحُمَام الأنصاري: يا رسول الله، جنة
عرضها السماوات والأرض؟ قال: نعم قال: بَخ بَخ، فقال رسول الله
ﷺ: «ما يحملك على قولك بَخ بَخ» قال: لا، والله يا رسول الله إلا
رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قال: «فإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» فأخرج تمرات من
قَرْنِهِ، فجعل يأكل منهنَّ ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه

(۱) صحیح مسلم (۳/۲۱۰۹) (۲۷۵۵).

(٢) التحرير والتنوير (٢٣/٣٥٣).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٨ /) (٤٩٨١).

إنَّها لحياة طويلة، قال فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل^(١).

٢- وعن أنس - رضي الله عنه -: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: «كيف تجدك؟» قال: والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف»^(٢).

من ثمرات الرجاء:

١- أَنَّهُ من الأعمال التي تكون سبباً لدخول الجنة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۖ لِيُؤْفِقَهُمُ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر، الآية: ٢٩، ٣٠].

وعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما -: يقول: قال رسول الله ﷺ: «أربعون خصلة أعلاهن مِئْبُوحَةُ العِزِّ ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله الجنة»^(٣).

٢- أَنَّهُ يفتح باب التوبة للعبد مهما أذنب.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: عن النبي ﷺ ، فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: «أذنب عبد ذنباً، فقال: اللَّهُمَّ اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعَلِمَ أَنَّ له رباً يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً فعَلِمَ أَنَّ له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعَلِمَ أَنَّ له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك»^(٤).

قال الإمام النووي: - رحمه الله -: معناه: «ما دمت تذنب ثم تتوب غفرت لك»^(٥).

(١) صحيح مسلم (٥٠٩/٢) (١٩٠١).

(٢) سنن الترمذي (٣٠٢/٣) (٩٨٣).

وقال: حديث حسن غريب. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٨٩/١).

(٧٨٥).

(٣) صحيح البخاري، الفتح: (٢٤٣/٥) (٢٦٣١).

(٤) صحيح مسلم (٢١١٢/٣) (٢٧٥٨).

(٥) شرح النووي لصحيح مسلم (٧٥/١٧).

٣- أنَّ الرجاء يفتح باب المحبة لله تعالى على مصراعيه .
قال ابن القيم - رحمه الله - : «الرجاء حادٍ يحدو القلوب إلى بلاد
المحبوب وهو الله، والدار الآخرة، ويُطَيَّبُ لها السَّيْرُ»^(١) .
تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة الرجاء :
يمكن للمرء المسلم أن يحقق مرتبة الإحسان في منزلة الرجاء وذلك
بأن يعتقد اعتقادًا جازمًا أنَّ رحمة الله واسعة للعبد مهما عظم ذنبه مع الثقة
التامة بجلوده وكرمه لمن اتَّقه واتَّبَعَ رضوانه يفعل ذلك مع كمال الإخلاص
والاتقان وهو على حالة كأنه ينظر إلى ربه يغفر ذنبه ويقبل طاعته سبحانه
وتعالى .

(١) مدارج السالكين (٢/٣٦) .

الرابع عشر: التقوى:

التقوى لغة:

هي الاسم من قولهم اتَّقَى والمصدر الاتَّقَاء، وكلاهما مأخوذ من مادة (وقى) التي تدل على دفع شيء عن شيء بغيره، والاتَّقَاء أخذ الوقاية وهو بمعنى التَّقْوِي، ومعنى قولهم: اتَّقِ الله: توقُّهُ أي اجعل بينك وبينه كالوقاية. والوقاية: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره.

والتقوى: جعل النفس في وقاية مما يخاف^(١).

التقوى اصطلاحاً:

قال الراغب - رحمه الله -: التقوى في تعاريف الشرع: حفظ النفس عما يؤثمُ وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات^(٢).

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة، الآية: ١٨٨]. وقال تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران، الآية: ١١٥].

عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»^(٣). مكانة التقوى:

ورد الحديث عن التقوى في القرآن الكريم في مائتين واثنين وخمسين آية تقريباً مما هو دليل على أهميتها فهي أصل كل خير ووصية الله للأولين والآخرين حيث قال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء، الآية: ١٣١].

وأوصى بها الرسول ﷺ أصحابه، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رجلاً جاءه فقال: أوصني فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك: فقال: أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء،

(١) انظر: مقاييس اللغة (١٣/٦)، ومفردات الراغب (٥٣٠).

(٢) المفردات (٥٣٠).

(٣) صحيح مسلم (١٩٨٦/٣) (٢٥٦٤).

وَذَكَرْكَ فِي الْأَرْضِ»^(١).

وهي خير الزاد في الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة، الآية: ١٩٧]

وهي من الأعمال الدينية الملازمة للعبد في كل زمان ومكان كما جاء عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله ﷺ: اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَ تَمَحُّجَهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(٢).

وهي سمة من سمات أكرم الناس وأفضلهم عند الله تعالى، فقد جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قيل للنبي ﷺ: «من أكرم الناس؟» قال: «أَكْرَمُهُمْ أَتْقَاهُمْ» الحديث^(٣). يصدق ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُمْ﴾ [الحجرات، الآية: ١٣].

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: «مُؤْمِنٌ يَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ» قالوا: ثم من؟ قال: «مُؤْمِنٌ فِي شُعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَدَعِ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»^(٤) وعن سمرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «الْحَسَبُ الْمَالُ، وَالكَرَمُ التَّقْوَى»^(٥).

الفرق بين التقوى والورع:

برغم ما بين التقوى والورع من تقارب إلا أنه يمكن أن يفرق بينهما بما يأتي:

- ١- أنَّ التقوى أخذُ عُدَّةٍ، والورع دفعُ شبهة.
 - ٢- أنَّ التقوى مُتَحَقِّقَةُ السبب، والورع مظنون السبب.
 - ٣- أنَّ التقوى احتراز عما يتقيه الإنسان وتحصل به الحيلولة بينه وبين ما يُكره، والورع تجافٍ بالنفس عن الانبساط فيما لا يؤمن عاقبته^(٦).
- التقوى من صفات المحسنين:

التقوى من الصفات الأساسية التي اتَّصف بها عباد الله المحسنين، قال

(١) مسند أحمد (٨٢/٣) وقال الهيثمي في المجمع (٢١٥/٤)، رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أحمد ثقات والحديث صحيحه الألباني في الصحيحة (٨٧/٢) (٥٥٥).

(٢) سنن الترمذي (٣٥٥/٤) (١٩٨٧) وقال حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨١/١) (٩٧).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٤١٤/٦) (٣٣٧٤).

(٤) صحيح البخاري (١٠٢٦/٣) (٢٦٣٤).

(٥) الترمذي (٣٩٠/٥) (٣٢٧١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٧/١) (٣١٧٨).

(٦) انظر: نزهة الأعين النواظر (٢١٩).

الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة، الآية: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا أَءِتَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيَصِيرَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف، الآية: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [٣١] الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم، الآية: ٣١، ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل، الآية: ٣٠] وقال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِ بِكُمْ اللَّهُ عَلَى مَا هَدَيْكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج، الآية: ٣٧] وقال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر، الآية: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [٣٣] لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر، الآية: ٣٣، ٣٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ﴾ [٤١] وَفَوْكَه مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [٤٢] كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٤٣] إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [المرسلات، الآية: ٤١، ٤٤].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قيل للنبي ﷺ: من أكرم الناس؟ قال: «أكرمهم اتقاهم»^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ المحارم تكن أعبد الناس»^(٢).

شرط التقوى الورع:

وحقيقته أن يدع مالا بأس به خشية أن يكون به بأس.

قال أبو الدرداء - رضي الله عنه -: «تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حرامًا يكون حجابًا بينه وبين الحرام»^(٣).

(١) صحيح البخاري، الفتح (٤١٤/٦) (٣٣٧٤).

(٢) سنن الترمذي (٥٥١/٤) (٢٣٠٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٢/١) (١٠٠).

(٣) الدر المنثور (٦١/١).

ميادين التقوى:

ميادين التقوى كثيرة جدًا يصعب حصرها هنا مع التدليل عليها وبالجملة فهي كما قال طلق بن حبيب - رحمه الله -: التقوى: العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء رحمة الله.

والتقوى: ترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله^(١).

من ثمرات التقوى:

١- محبة الله تعالى للمتقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾

[التوبة، الآية: ٧].

٢- أن الله يجعل لهم فرقانًا يفرقون به بين الحق والباطل، ويكفر عنهم السيئات قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال، الآية: ٢٩].

٣- ولاية الله تعالى لعباده المتقين قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنَّوْكَ عَنْ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية، الآية: ١٩].

٤- الأمن يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾

[الدخان، الآية: ٥١].

٥- الفوز بالجنة ونعيمها: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ

ءَاخِذِينَ مَآءٍ ثَلَاثُهُمْ رِثْمًا رِثْمًا إِنَّهُمْ كَانَ ءُوقِلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات، الآية: ١٥، ١٦].

٦- يجعل الله له في الدنيا فرجًا من كل ضيق ويرزقه من حيث لا يحتسب، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَآَمَسِكُوهُنَّ فَمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق، الآية: ٢، ٣].

تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة التقوى:

يمكن للمرء المسلم أن يحقق هذه المرتبة في التقوى وذلك بفعل الطاعات جميعًا رجاء ثواب الله وبترك المحذورات جميعًا وما يخشى أن يجر إليها من المباحات مخافة عقاب الله تعالى على وجه الإخلاص والالتقان والخشوع يفعل ذلك كله، وهو على حالة كأنه ينظر إلى الله حين الفعل أو الترك.

(١) المصنف لابن أبي شيبة (٢٣/١١).

الخامس عشر: الخشوع:

الخشوع لغة:

مصدر مأخوذ من مادة (خ ش ع) التي تدل على معنى واحد وهو التَّطامن^(١) قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت، الآية: ٣٩].

قال الرَّاغب - رحمه الله -: الخشوع الضَّرَاعَة، وأكثر ما يُستعمل فيما يوجد على الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب ولذلك قيل فيما روى: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح^(٢). واصطلاحًا:

قال ابن القيم - رحمه الله -: الحق أَنَّ الخشوع معنى يلتزم من التعظيم والمحبة والذل والانكسار^(٣).

وقال غيره: هو معنى يقوم بالنفس يظهر عنه سكون في الأطراف يلائم مقصود العبادة^(٤).

قال ابن القيم - رحمه الله -: قال صاحب المنازل: الخشوع على ثلاث درجات:

الأولى: التذلل للأمر، والاستسلام للحكم، والاتضاع لنظر الحق. أما التذلل للأمر فهو تلقيه بذلة القبول والانقياد والامتثال مع مواطأة الظاهر الباطن، وإظهار الضعف والافتقار للهداية. وأما الاستسلام للحكم فيشمل الحكم الشرعي بعدم معارضته برأي أو شهوة كما يشمل الحكم القدري بعدم تلقيه بالتسخط والكراهة والاعتراض. وأما الاتضاع لنظر الحق فهو اتضاع القلب والجوارح وانكسارها لنظر الرب إليها وإطلاعه على تفاصيل ما فيها.

الثانية: تَرْقُبُ آفات النفس والعمل، ورؤية فضل كل ذي فضل، ويتحقق ذلك بانتظار ظهور نقائص نفسك وعملك وعيوبها لك، وذلك يجعل القلب خاشعًا لا محالة لمطالعة عيوب نفسه وأعماله ونقائصها من الكبر والعجب، وضعف الصدق، وقلة اليقين، وتشتت النية، أما رؤية فضل كل ذي فضل فيتحقق بمراعاة حقوق الناس وأدائها، ولا ترى أَنَّ ما فعلوه من حقوقك عليهم، فلا تعاوضهم عليها، فَإِنَّ هذا من رعونات النفس

(١) المقاييس (٢/١٨٢).

(٢) المفردات (١٤٨).

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/٥٥٨).

(٤) انظر: فتح الباري (٢/٢٦٤).

وحماقاتها، ولا تطالبهم بحقوق نفسك.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: العارف لا يرى له على أحد حقاً، ولا يشهد له على غيره فضلاً، ولذلك لا يعاتب ولا يطالب، ولا يضارب.

الثالثة: التأدب مع الله ومراعاة حقوقه عندما يجد حلاوة قربهِ ومشاهدته بقلبه، وتصفية القلب من مراعاة الخلق^(١).

مكانة الخشوع:

قد رتب الله تعالى الفلاح في الدنيا والآخرة على الخشوع في الصلاة، لأنه روحها حيث قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون، الآية: ١، ٢].

وعاتب سبحانه وتعالى المؤمنين في الصدر الأول، - رضي الله عنهم - مع تقدم إسلامهم بالنسبة لنزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد، الآية: ١٦].

قال ابن عباس - رضي الله عنه -: «إن الله استنبطاً قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن»^(٢).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما -: أنه كان إذا تلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال: بلى يا رب، بلى يارب^(٣) ومما يبين مكانته قلة أهله وندرتهم آخر الزمان ما جاء عن شداد بن أوس - رضي الله عنه -: قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يُرفع من الناس الخشوع»^(٤).

مبادئ الخشوع:

الخشوع عمل قلبي تظهر آثاره على الجوارح عامة وعلى جميع مستوى العبادة.

عن علي - رضي الله عنه - قال: «الخشوع في القلب أن تلين كنفك للرجل المسلم وأن لا تلتفت في الصلاة»^(٥).

وعبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -: «من تواضع لله تخشعاً، رفعه الله

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٥٥٩ - ٥٦٠).

(٢) الدر المنثور (٦/٢٥٣).

(٣) المرجع السابق (٦/٢٥٥).

(٤) معجم الطبراني الكبير (٧/٧١٨٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٥٠٣) (٢٥٧٦).

(٥) الزهد لوكيع (٢/٥٩٩).

يوم القيامة، ومن تطاول تعظماً، وضعه الله يوم القيامة»^(١).

وأهم المواطن التي يجب فيها الخشوع هي الصلاة.

فقد جاء عن ابن عمر - رضي الله عنهما -: في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون، الآية: ٢] قال: «كانوا إذا قاموا في الصلاة، أقبلوا على صلاتهم، وخفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم، وعلموا أن الله يقبل عليهم فلا يلتفتون يميناً ولا شمالاً»^(٢).

ومما يجب التنبيه عليه أن الخشوع القلبي هو الأصل الذي يبنى عليه الخشوع في الجوارح لذلك حذر السلف من إهمال الأول وإعمال الثاني لأنه تكلف معدوم فهذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: رأى رجلاً طأطأ رقبته في الصلاة، فقال: «يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلب»^(٣).

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: «كان يكره أن يرى الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه»^(٤).

الخشوع صفة المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [٨٩] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ [٩٠] [الأنبياء، الآية: ٨٩، ٩٠].

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض، حنيفاً وما أنا من المشركين، إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، اصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك، أنا بك وإليك تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك» وإذا ركع قال: «اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي» وإذا رفع قال: «اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض

(١) الزهد لو كيع (٢/٤٦٧).

(٢) الدر المنثور (٦/٨٤).

(٣) مدارج السالكين (١/٥٥٩).

(٤) المرجع السابق.

وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد» وإذا سجد قال: «اللَّهُمَّ لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين» ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللَّهُمَّ اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المُقَدِّم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»^(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٢٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٢٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٢٩﴾﴾ [الإسراء، الآية: ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩]

من صور الخشوع:

ما جاء عن علي بن الحسين - رضي الله عنهما - «إذا توضأ اصفر وتغيّر، فيقال: مالك؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟»^(٢).

من ثمرات الخشوع:

١- ذهاب القسوة من قلب صاحبه.

٢- المغفرة والأجر العظيم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب، الآية: ٣٥].

تحقيق مرتبة الإحسان في الخشوع

يمكن للمؤمن أن يحقق ذلك بتعظيم الله ومحبته والذل له والانكسار والافتقار إليه والسكون بين يديه في كل عمل يعملُه العبد مما يبتغي به وجه الله تعالى مع تمام الإخلاص والاتقان له وهو على حالة وكأنه يشاهد ربه جلَّ شأنه بقلبه لا يحول عنه ويدخل في ذلك لينه واتضاعه للمؤمنين ابتغاء مرضاة رب العالمين.

(١) صحيح مسلم (٥٣٤/١) (٧٧١).

(٢) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة (٢٧٣).

السادس عشر: التعظيم:

التعظيم لغة:

مصدر عَظَّمَ مأخوذ من مادة (ع ظ م) التي تدور حول معنى الكِبَر والقوة وأعظم الأمر وعظمه أي: فَحَّمَهُ والتَّعْظِيمُ: التَّبْجِيلُ^(١). واصطلاحاً:

التوقير، والتبجيل والإجلال^(٢). قال الله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح، الآية: ١٣].

قال البغوي: - رحمه الله -: قال ابن عباس - رضي الله عنه - ومجاهد - رحمه الله -: لا ترون لله عظمة وقال سعيد بن جبیر - رحمه الله -: لا ترون لله عظمة، وقال سعيد بن جبیر - رحمه الله -: لا تخافون الله حق عظمته، والرجاء: بمعنى الخوف، والوقار، العظمة اسم التوقير وهو التعظيم قال الحسن - رحمه الله -.

لا تعرفون الله حقاً ولا تشكرون له نعمة.

قال ابن كيسان - رحمه الله -: ما لكم لا ترجون في عبادة الله أن يثيبكم على توقيركم إياه خيراً^(٣). مكانته:

أعرف الناس بالله تعالى: أشدهم له تعظيماً وإجلالاً وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق تعظيمه، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق وصفه كما ذكر الله تعالى في الآية السابقة: ^(٤).

وقد خص النبي ﷺ الركوع في الصلاة بتعظيم الله تعالى كما في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -: قال: قال ﷺ: «... فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم»^(٥) وقال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْتِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج، الآية: ٣٢]. وشعائر الله هي حرماته.

والحرمات جمع حرمة وهي ما يجب احترامه، وحفظه: من الحقوق والأشخاص، والأزمنة، والأماكن، فتعظيمها: توفيتها حقها، وحفظها من

(١) المقاييس: (٣٥٥/٤)، الصحاح: (١٩٨٧/٥).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٥١٧/٢).

(٣) تفسير البغوي (٣٦٧/٤).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٥١٦/٢).

(٥) صحيح مسلم (٣٤٨/١) (٤٧٩).

الإضاعة^(١) وشعائر الحج: معالمه الظاهرة للجواس^(٢).

ميادين التعظيم:

وهي ثلاثة: الأول: تعظيم الله تعالى وذلك بأربعة أمور:

الأول: تعظيم الله تعالى: بالنظر في أسمائه وصفاته وآثارهما في مخلوقاته.

الثاني: تعظيم الله تعالى بأن لا يجعل للوصول إليه سبباً غيره تعالى فيعتقد أنه هو الذي يوصل عبده إليه، فلا يوصل إلى الله إلا الله تعالى، ولا يقرب إليه سواه، ولا يُدني إليه غيره، ولا يتوصل إلى رضاه إلا به، فما دلّ على الله إلا الله، ولا هدى إليه سواه، ولا أدنى إليه غيره، فإنه سبحانه هو الذي جعل السبب سبباً، فالسبب وسببته وإيصاله: كله خلقه وفعله.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾ [الرعد، الآية: ٢٧].

الثالث: تعظيم الله تعالى: بأن لا يرى له أو لأحد من الناس على الله حق واجب، بل الحق لله على خلقه.

وأما ما أحقّه الله على نفسه تعالى: من إثابته لمطيعهم، وتوبته على تائبهم، وإجابته لسائلهم، فتلك حقوق غير واجبة عليه تعالى وإنما أحقّها بحكم وعده وإحسانه لا أنّها حقوق أحقّوها هم عليه، فالحق في الحقيقة لله على عبده وحق العبد عليه ما اقتضاه جودُهُ وبرُّهُ، وإحسانُهُ إليه بمحض جوده وكرمه، وهذا قول أهل التوفيق والبصائر.

الرابع: تعظيم الله تعالى بأن يرضى بما رضي الله له فلا ينازعه قضاءه وقدره فيه أو في غيره من المخلوقات، بل الواجب عليه التسليم إذا لم يجد سبباً شرعياً يدفع المكروه به.

وكذلك لا يرتكب المعاصي محتجاً بقدر الله عليه بها فإنه وإن قدرها عليه كوناً لم يرضها له ديناً ولا شرعاً ولم يجبره على فعلها قهراً فالواجب عليه الاحتراز من الذنوب وسرعة التوبة منها ولوم نفسه على ارتكابها لا على تقديرها.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء، الآية: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت، الآية: ٤٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل، الآية: ١١٨].

الميدان الثاني: تعظيم حكمة الله تعالى في الكون، وذلك بأمور منها:

(١) مدارج السالكين (٧٧/٢).

(٢) انظر: المفردات (٢٦٩).

الأول: بأن يرى كل ما قضاء الله وقدره في الكون مستقيماً صادراً عن عين الحكمة الإلهية فلا عوج فيه.

الثاني: أن يعلم أن قضاء الله وقدره وحكمه الكوني لا يناقض دينه وشرعه وحكمه الديني، بحيث تقع المدافعة بينهما، لأن هذا مشيئته الكونية، وهذا إرادته الدينية، وإن كان المرادان قد يتدافعان ويتعارضان لكن من تعظيم كل منهما: أن لا يدافع بالآخر ولا يعارض، فإنهما وصفان للرب تعالى، وأوصافه لا يدافع بعضها ببعض، وإن استعاذ ببعضها من بعض، فالكل منه سبحانه وهو المعيد من نفسه بنفسه، كما قال أعلم الخلق به: «أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك» فرضاه وإن أعاذ من سخطه فإنه لا يبطله ولا يدفعه. وإنما يدفع تعلقه بالمستفيد وتعلقه بأعدائه باق غير زائل، فهكذا أمره وقدره سواء، فإن أمره لا يبطل قدره، ولا قدره يبطل أمره، ولكن ما قضاء وقدره بما أمر به وأحبه، وهو أيضاً من قضائه، فما دفع قضاؤه إلا بقضائه وأمره، فلم يدفع العلم الحكم بل المحكوم به، والعلم والحكم دفعا المحكوم به الذي قدر دفعه وأمر به.

فتأمل هذا، فإنه محض العبودية والمعرفة، والإيمان بالقدر، والاستسلام له، والقيام بالأمر، والتنفيذ له بالقدر، فما نفذ المطيع أمر الله إلا بقدر الله، ولا دفع مقدور الله إلا بقدر الله وأمره.

الثالث: أن يعتقد أن عبادة الله واجبة عليه تعظيماً له وحباً فيه وخوفاً منه وإن لم يرتب الباري على طاعة الطائعين الثواب ومعصية العاصين العقاب، لأن المتصرف في العبد هو مالكه، فلا يصرف العبد نفسه بل الله هو الذي يقيمه ويقعده، ويقلبه ذات اليمين وذات الشمال، بل يقوم بالعبادة تعظيماً للأمر والنهي، وأنه أهل لأن يعبد، وتُعظم حرماته فهو يستحق العبادة والتعظيم والإجلال لذاته كما قال القائل:

هب العبت لم تأتنا رسله وجاحمة النار لم تضرم

أليس من الواجب المستحق حق على ذي الوري الشكر للمنع؟

وهذا لا ينافي طلب الجنة والاستعاذة من النار.

الميدان الثالث:

تعظيم الأمر والنهي الإلهي، وذلك بأمور:

الأول: تعظيم الأمر والنهي بعدم الترخص الذي يمنع صاحبه عن كمال الامتثال، فإن المحسن يأخذ نفسه بالعزائم مع عدم إنكاره للرخصة والمترخصين، أما إذا كانت الرخص مما لا يمنعه من بلوغ مرتبة الإحسان، فالرخصة في المذاهب الفقهية.

الثاني: تعظيم الأمر والنهي بعدم الغلو الذي يتجاوز بصاحبه حدود الأمر والنهي. قال الله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ﴾ [المائدة، الآية: ٧٧]. ومن الغلو قيام الليل كله، وسرد الصوم، والصلاة أوقات النهي فإن ذلك يخرجهم عن الطاعة، ويأخذ به إلى الانقطاع والترك لعدم القدرة. عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً^(١)

وهم المتعمقون المغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوهم ثم استعمل في كل تعمق قولاً وفعلاً^(٢).
الثالث: تعظيم الأمر والنهي بعدم تأويلهما بما يعود عليهما بالإبطال أو يعلل حكمهما بعلّة ضعيفة تضعف انقياده لهما والواجب الامتثال للأمر والنهي على ظاهرهما مالم تأت قرينة شرعية أخرى تصرفه عن الظاهر. وكذا الواجب على العبد الامتثال للأمر والنهي والانقياد لهما سواء أدرك لهما علة أم لا^(٣).

ومن تعظيم الأمر والنهي تعظيم ما أمر الله بتعظيمه من الطاعات والمحارم، والأشخاص، والأماكن، والأزمنة مثل: الكعبة الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، وتعظيم المحرم أفعال الحج حتى يحلّ تُعَظَّم لا لذاتها ولكن لأمر الله بتعظيمها.
قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بُيُوتِي ٱلطَّائِفِينَ ٱلْقَائِمِينَ ٱلرُّكَّعَ ٱلسُّجُودَ ۖ وَأَذِّنْ فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۖ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَامِ فَكَلُوا مِنْهَا وَٱطْعَمُوا ٱلْبَآسَ ٱلْفَقِيرَ ۖ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ۖ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِنْدَ رَبِّهِۦ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ ٱلْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُوا ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَانِ وَٱجْتَنِبُوا قَوْلَ ٱلزُّورِ ۖ حُفَّاءَ ٱللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَنْ يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَجِيقٍ ۖ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعِيرَةَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۖ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ۖ﴾ [الحج، الآية: ٢٦-٣٣].

ومما يجب تعظيمه أيضاً دماء المسلمين، وأعراضهم وأموالهم.

(١) صحيح مسلم (٢٠٥٥/٣) (٢٦٧٠).

(٢) انظر: النهاية (٧٤/٥).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٩٢-٨٦/٢)، (٥١٧-٥٢٣).

وعن بريدة - رضي الله عنه - : قال : قال رسول الله ﷺ : « قَتْلُ الْمُؤْمِنِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا »^(١).

قال ابن كثير - رحمه الله - : « تعظيم الحرمات اجتناب المعاصي والمحارم ، بحيث يكون ارتكابها عظيمًا في نفسه »^(٢)
التعظيم صفة المحسنين :

قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لِّكَ ﴾ [الحج ، الآية : ٣٠].

عن أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - قالت : لما توفي ابن رسول الله ﷺ ، بكى رسول الله ﷺ فقال الْمُعْزِي : « إِمَّا أَبُوبَكْرٍ وَإِمَّا عُمَرُ » أنت أحق من عظم الله حقه ، قال رسول الله ﷺ : « تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب ، ولولا أنه وعد صادق وموعد جامع ، وأن الآخر تابع للأول لوجدنا عليك يا إبراهيم أفضل مما وجدنا وإنا بك لمحزونون »^(٣).

عن المسوار بن مخرمة - رضي الله عنه - : في حديث صلح الحديبية ومنه قال : فقال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده ، لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها »^(٤) أي خطة لا تجر إلى القتال تعظيمًا للبلد الحرام.

صور من التعظيم :

١- قال أنس بن مالك - رضي الله عنه - : « إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر ، إن كنا لنعدها على عهد النبي ﷺ الموبقات »^(٥)
قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : « بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله ، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله »^(٦).

٢- وقال محمد بن منصور - رحمه الله - : « كُنَّا فِي مَجْلِسِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَخَارِيِّ فَرَفَعَ إِنْسَانٌ مِنْ لَحِيَّتِهِ قِذَاءً وَطَرَحَهَا إِلَى الْأَرْضِ ، فَرَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَإِلَى النَّاسِ فَلَمَّا غَفَلَ النَّاسُ رَأَيْتُهُ مَدَّ يَدَهُ فَرَفَعَ الْقِذَاءَ مِنَ الْأَرْضِ فَأَدْخَلَهَا فِي كُمِهِ فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ رَأَيْتُهُ أَخْرَجَهَا

(١) سنن النسائي (٨٣/٧) (٣٩٩٠) وقال الألباني في صحيح سنن النسائي (٨٣٩/٣) (٣٧٢٥) حسن صحيح.

(٢) تفسير ابن كثير (٢١٩/٣).

(٣) سنن ابن ماجه (٥٠٦/١) (١٥٨٩) وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٦٥/١) (١٢٩٢).

(٤) صحيح البخاري (٩٧٤/٢) (٢٥٨١).

(٥) صحيح البخاري ، الفتح (٦٤٩٢/١١) (٦٤٩٢).

(٦) الداء والدواء (٥٨).

وطرحها على الأرض فكأنه صان المسجد عما تصان عنه لحيته»^(١).
من ثمرات التعظيم:

- ١- أَنَّ ذَلِكَ دَلِيلُ لِقْوَةِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبُهُ
اللَّهُ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج، الآية: ٣٢]
- ٢- الفوز بالخيرية عند الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ
لِّمَنْ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج، الآية: ٣٠].

تحقيق مرتبة الإحسان في التعظيم:

يستطيع المسلم أن يحقق هذه المرتبة العالية في التعظيم، وذلك بأن يملأ قلبه بتعظيم الله تعالى وتعظيم حكمه وأمره ونهيه ابتغاء مرضاته وهو على حال كأنه يرى ربه تعالى ويطالع أسمائه وصفاته وتدييره في خلقه أمراً وناهياً.

(١) مقدمة الفتح (٥٠٥).

السابع عشر: حسن الظن:

حسن الظن لغة:

الحُسْنُ: ضد القُبْح بمعنى الجمال^(١).

وأما الظن: فهو مصدر مأخوذ من مادة (ظ ن ن) التي تدل على

معنيين.

أحدهما اليقين والآخر الشك.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾ [البقرة، الآية:

٢٤٩].

أراد والله أعلم: يوقنون^(٢).

والآخر الذي بمعنى الشك مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج، الآية: ١٥]^(٣) وقد سماه الله تعالى بظن السوء كما في قوله سبحانه: ﴿وَلَنَنْتَظِرَ ظَنُّكَ السَّوْءَ﴾ [الفتح، الآية: ١٢]. واصطلاحاً:

قال ابن العربي - رحمه الله -: «الظن تجويز أمرين في النفس لأحدهما ترجيح على الآخر»^(٤).

وعليه فحسن الظن: هو ترجيح كفة الخير إلى درجة علم اليقين على جانب الشر.

الفرق بين الظن والشك والعلم:

إذا كان الظن هو تجويز أمرين في النفس لأحدهما ترجيح على الآخر. فإنَّ الشك عبارة عن استوائهما.

والعلم: هو حذف أحدهما وتعين الآخر^(٥).

أقسام الظن:

ينقسم الظن إلى قسمين:

الأول: الظن المحمود: بدلالة قوله تعالى: ﴿أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ﴾ [الحجرات، الآية: ١٢].

وهو نوعان:

النوع الأول: حسن الظن بالله تعالى مثل قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ

(١) المقاييس (٥٧/٢).

(٢) المقاييس (٦٣٩).

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز (٥٤٥/٣).

(٤) أحكام القرآن (١٧٢٤/٤).

(٥) المرجع السابق.

طَلَّوْتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكَ اللَّهُ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمَنْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ [البقرة، الآية: ٢٤٩]، أي يؤقنون^(١) وقال الزجاج - رحمه الله - لو كانوا شاكين لكانوا ضللاً كافرين^(٢) وقال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ [البقرة، الآية: ٤٥، ٤٦] والمعنى يؤقنون بالبعث والنشور والحساب يوم القيامة وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْآلِثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة، الآية: ١١٨] أي: تيقنوا أن لا ملجأ يلجؤون إليه في الصفح عنهم وقبول التوبة منهم إلا إليه^(٣)، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حِسَابِيَّةٌ﴾ [الحاقة، الآية: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَنَ تُعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَكِن تَعَجَّزْهُ هَرَبًا﴾ [الجن، الآية: ١٢].

مكانته:

حسن الظن بالله تعالى ثمرة صادقة من ثمرات حسن العبادة لله تعالى: يؤيد ذلك حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ حَسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَسَنِ الْعِبَادَةِ»^(٤).

وقد أوصى النبي ﷺ أمته قبل وفاته بحسن الظن بالله تعالى كما جاء عن جابر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»^(٥).

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -: قال: والذي لا إله غيره ما أعطي عبد مؤمن شيئاً خيراً من حسن الظن بالله عز وجل، والذي لا إله إلا غيره، لا يحسن عبد بالله عز وجل الظن إلا أعطاه الله عز وجل ظنه، ذلك بأن الخير في يده»^(٦).

ومما يصدق كلام ابن مسعود - رضي الله عنه -: ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه -: عن رسول الله ﷺ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ

(١) معاني القرآن للنحاس (١/٢٥٤).

(٢) معاني القرآن للزجاج (١/٣٢٧).

(٣) تفسير القرطبي (٨/١٨٢).

(٤) مسند أحمد (٣/٤٣) (٨٤٩٣) وحسن إسناده أحمد شاكر (٧٨/٢٠) (١٠٣٦٩).

(٥) صحيح مسلم (٣/٢٢٠٥) (٢٨٧٧).

(٦) حسن الظن لابن أبي الدنيا (٩٦).

عبدى بي، إن ظنَّ خيرًا فله، وإن ظنَّ شرًّا فله»^(١).
وعن سفيان الثوري - رحمه الله -: في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٥]
قال: «أحسنوا الظن بالله»^(٢).

وقال أحمد بن العباس النميري - رحمه الله -:
وإني لأرجو الله حتى كأنني أرى بجميل الظن ما الله صانع^(٣)
النوع الثاني: حسن الظن بالمؤمنين.
قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور، الآية: ١٢] عن أمنا عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ :
..... وذكرت حادثة الإفك، وفيه أن الرسول ﷺ قال: «فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا»^(٤) فالواجب على المحسن، حسن الظن بإخوانه المسلمين الذين ظاهرهم العدالة فلا يعتقد فيهم إلا الخير حتى يثبت له بالدليل القاطع خلاف ذلك فإن تقرر له خلاف ذلك وجب عليه العدل معه في الاعتقاد والقول والعمل فلا يحيف عليه بما يكون عونًا للشيطان على أخيه المسلم بل الواجب النصيح والتعاون على البر والتقوى حسب الوسع والطاقة، بما يساعد على التوبة، فلرب عبد وقع في ذنب يلام عليه شرعًا إلا أنه عند الله بمنزلة عظيمة بسبب طاعات أخر.

القسم الثاني: الظن المذموم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس، الآية: ٣٦].
وهذا القسم نوعان:

الأول: الظن المذموم بالله تعالى، وهو بمعنى الشك في قدرته تعالى ووعدته والرجوع إليه، قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونًا﴾^(١) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا^(٢) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا^(٣) [الأحزاب، الآية: ١٠، ١٢].

أي: تظنون بالله تعالى أنواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب أن الله تعالى ينجز وعده في إعلاء دينه كما يعرب عنه ما سيحكي الله

(١) مسند أحمد (٩٨/٣) (٨٨٣٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥/٢) (٤٣١٥).

(٢) حلية الأولياء (٣١٨/٩).

(٣) حسن الظن لابن أبي الدنيا (١٠٠).

(٤) صحيح مسلم (٢١٢٩/٣) (٢٧٧٠).

عنهم من قولهم: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب، الآية: ٢٢] وظن المنافقون الضعاف القلوب أَنَّ المسلمين يُستأصلون^(١) كما قال تعالى ردًّا عليهم ظنهم الفاسد وحاكما عليهم بالخسارة في الدنيا والآخرة: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح، الآية: ١٢]. وهذا الظن السيء هو عين ظن إخوانهم السابقين من أهل الجاهلية الذين لا يؤمنون بقدره الله على كل شيء ومنها قدرته تعالى على نصره الحق وأهله فقال تعالى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [آل عمران، الآية: ١٥٤].

وفي آياته ثانية يتهكم الله بهذه العقول الفاسدة التي لم تعرف الله قدره وعظمته فقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج، الآية: ١٥]، أي: عليكم معاشر المنافقين الآيسين من نصر المسلمين أن تفعلوا ما يفعله أمثالكم ممن ملأهم الغيظ وضائق عليهم سبل الانفراج، فامددوا حبلًا بأقصى ما يمد إليه حبل، وتعلقوا به في أعلى مكان ثم اقطعوه تخروا إلى الأرض، وذلك تهكم بهم في أنهم لا يجدون غنى في شيء من أفعالهم من البقاء على الإسلام ظاهرًا مع يأسهم من تحقق وقوع النصر أو الكفر، وإنذارًا باستمرار فتنهم في الدنيا والخسران في الآخرة^(٢).

ومن هذا نستفيد أنَّ حسن الظن بالله واجب وأنَّ سوء الظن به إثم كبير قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس، الآية: ٣٦].

قال القرطبي - رحمه الله -: وفي هذه الآية دليل على أنه لا يكتفي بالظن في العقائد^(٣).

هذا وقد يحصل للمؤمن ضعيف الإيمان بعض الأحايين شيء من سوء الظن بالله وسببه تبرمه على القدر بما يجد في حاله من حاجة لم تسد أو في غيره وعلاج ذلك المعرفة بأسماء الله وصفاته ومطالعة آثارها في مخلوقاته. النوع الثاني: الظن المذموم بالمؤمنين وهو بمعنى الشك في عقائد المسلمين وأعراضهم بغير بينة وهذا حرام كما جاء عن أبي هريرة - رضي

(١) انظر: تفسير أبي السعود (٩٣/٧)، وتفسير القرطبي (٩٥/١٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢١٨/٨ - ٢٢٠).

(٣) تفسير القرطبي (٢١٩/٨).

الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحْسَسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(١).

قال ابن قدامة - رحمه الله -: «ليس لك أن تظن بالمسلم شرًا إلا إذا انكشف أمر لا يحتمل التأويل فإن أخبرك بذلك عدل، فمال قلبك إلى تصديقه، كنت معذورًا، لأنك لو كذبتك كنت قد أسأت الظن بالمخبر، فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسيئه بآخر، بل ينبغي أن تبحث، هل بينهما عداوة وحسد؟ فتتطرق التهمة حيثئذ بسبب ذلك، ومتى خطر لك خاطر سوء على مسلم، فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير، فإن ذلك يغضب الشيطان ويدفعه عنك، فلا يلقي إليك خاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة.

وإذا تحققت هفوة مسلم، فانصحه في السر. واعلم : أن من ثمرات سوء الظن التجسس، فإن القلب لا يقنع بالظن، بل يطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس، وذلك منهى عنه لأنه يوصل إلى هتك ستر المسلم، ولو لم ينكشف لك، كان قلبك أسلم للمسلم»^(٢).

وقال ابن حجر الهيتمي - رحمه الله -: سوء الظن بالمسلمين من الكبائر وذلك أن مَنْ حَكَمَ بِشَرِّ عَلَى غَيْرِهِ بِمَجَرَدِ الظَّنِّ حَمَلَهُ الشَّيْطَانُ عَلَى احتقاره وعدم القيام بحقوقه والتواني في إكرامه وإطالة اللسان في عرضه، وكل هذه مهلكات، وكل من رأته سيء الظن بالناس طالبًا لإظهار معائبهم فاعلم أن ذلك لحُبُّ باطنه وسوء طويته؛ فإن المؤمن يطلب المعاذير لسلامة باطنه، والمنافق يطلب العيوب لحُبُّ باطنه»^(٣).

فعن سعيد بن المسيب - رحمه الله -: قال: «كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك ولا تظن بكلمة خرجت من أمريء مسلم شرًا وأنت تجد له في الخير محملًا ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه ومن كتم سره كانت الخيرة في يديه وما كافأت من عصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه»^(٤).

(١) صحيح مسلم (٣/١٩٨٥) (٢٥٦٣).

(٢) مختصر منهاج القاصدين (١٧٢).

(٣) انظر: الزواجر (١٠٩).

(٤) شعب الإيمان (٦/٣٢٣) (٨٣٤٥).

حسن الظن صفة المحسنين :

ومنهم موسى - عليه السلام - : امتحن في حسن ظنه بربه على الملائكة ففاز في مكان ساء ظن غير المحسن فيه ، وذلك ليكون قدوة لقومه وللمن جاء بعدهم ممن يريد الإحسان إلى يوم القيامة .

وقصة الامتحان ، أنه لما خرج موسى - عليه السلام - : ومن معه من بني إسرائيل من مصر إلى حيث أمرهم الله ، اغتاز فرعون بهذا العمل ورآه خروجاً على سلطانه ، فما كان منه إلا أن حشد كبراء دولته وجنده وجمع قوته وسار بهم في جمع عظيم يتبع موسى وقومه المستضعفين بغياً وعدواً وبينما موسى - عليه السلام - : يسير بقومه لم يفجأهم إلا البحر من أمامهم ولا وسيلة يركبونها وفرعون وجنده يزحفون إليهم مسرعين فلما ترآوا الجمعان أيقن بنو إسرائيل بالتهلكة ونادوا في موسى إنا لمدركون وما ذاك إلا لأن الشك في عدم قدرة الله على إنجائهم قد تمكن من قلوبهم فقال موسى مقالة الواثق بربه الموقن بقوته ونصره للمؤمنين كلا إن معي ربي سيهدين ، معي الركن الشديد والقدرة التي لا تغلب ، فنجى الله المؤمنين وأهلك الكافرين ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَسْرِ بِعِبَادِي هَٰؤُلَاءِ مَثْبُوعُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِطُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٦٠﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّتٍ وَعَيْوُنَ ﴿٦١﴾ وَكُنُوزَ وَمَقَامِرَ كَرِيمٍ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٦٣﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ ﴿٦٤﴾ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٧﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَأَخْبَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٧٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٧١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٢﴾ [الشعراء ، الآية : ٥٢ - ٦٨] .

وهذا إمام المحسنين نبينا محمد ﷺ وهو في طريقه إلى الهجرة أوى إلى الغار هو وصاحبه الصديق أبوبكر - رضي الله عنه - : تخفياً من قريش وقد خرجت بقضها وقضيضها في طلبه وجعلوا ألف ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، فلم يتركوا سهلاً ولا جبلاً إلا والتمسوا فيه الرسول ﷺ وصاحبه وإذا بكوكبة من الفرسان واقفة في فم الغار إلا أن الله أخذ أبصارهم قال أبوبكر - رضي الله عنه - : متعجباً من قدرة الله تعالى على حفظهما قلت للنبي ﷺ ، وأنا في الغار : لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا ، فقال : « ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما »^(١) .

(١) صحيح البخاري ، الفتح (٨/٧) (٣٦٥٣) .

صورة من حسن الظن :

عن جابر - رضي الله عنه - : أنه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه ، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العِصاه فنزل رسول الله ، وتفرَّق الناس يستظلون بالشَّجر ، فنزل تحت شجرة وعلَّق بها سيفه ، ونام نومةً ، فإذا رسول الله ﷺ يدعوننا ، وإذا عنده أعرابيٌّ فقال : إنَّ هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلَّتا ، فقال : من يمنعك مِنِّي ؟ فقلتُ : «الله» (ثلاثاً) ، ولم يُعاقبه وجلس^(١) .

من ثمرات حسن الظن :

١- الجنة ونعيمها قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةً ۖ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبِيَّةٌ ۖ فهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحاقة ، الآية : ١٩ - ٢٣]

٢- قبول توبة من أيقن أنَّه لا يغفر الذنوب ولا يقبل التوبة إلاَّ الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [التوبة ، الآية : ١١٨] .

٣- النصر والظفر للفئة المؤمنة وإن كانت قليلة ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۖ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَم مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَتُهُ كَثِيرَةً ۖ يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ يَأْذِنُ اللَّهُ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة ، الآية : ٢٤٩ ، ٢٥١] .

٤- أنَّ حسن الظن بالمسلمين مجلبة المحبة والتراحم والتعاون على الخير بما يعود على المسلمين بالحياة الكريمة .

تحقيق مرتبة الإحسان في حسن الظن :

يستطيع المؤمن أن يحقق هذه المرتبة في حسن الظن بالله تعالى ، وذلك بأن يملأ قلبه كلية باليقين بقدرته الله التامة على فعل كل شيء والثقة بتحقيق وعده ، وأنَّ الله غالب على أمره ، لا يعجزه شيء أبدًا مهما عظم ،

(١) صحيح البخاري ، الفتح (٩٦/٦) (٢٩١٠) .

سواء ذلك في الدنيا أم في الآخرة، يعتقد ذلك وهو على حالة وكأنه ينظر إلى ربه تعالى ينجز ما وعد ويغلب كل أحد، وينفذ قدره في ما أراد، يفعل ذلك ابتغاء مرضاته ورجاء ثوابه.

وأما مرتبة الإحسان في حسن الظن بالمؤمنين فإنه يستطيع تحقيقها، وذلك بأن يحملهم على الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ويدفع عنهم الريبة بما يدفعه عن نفسه يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله ورجاء ثوابه وهو على حالة كأنه ينظر إلى الله، والله تعالى ينظر إلى ما في قلبه تجاه المسلمين.

الثامن عشر: الفرح:

الفرح لغة:

مصدر مأخوذ من مادة (ف ر ح) التي تدل على خلاف الحزن^(١) وقال ثعلب: هو أن يجد في القلب خِفَّةً^(٢).

واصطلاحاً:

قال المناوي - رحمه الله -: الْفَرَحُ: انفتاح القلب بما يُلتذُّ به^(٣)

قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس، الآية: ٥٨] أي أحسن وأفضل.

أنواع الفرح:

جاء «الفرح» في القرآن على نوعين. مطلق ومقيد:

فالمطلق: جاء في الذم كقوله تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص، الآية: ٧٦] وقوله: ﴿إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ [هود، الآية: ١٣]

والمقيد: نوعان أيضاً، مقيد بالدنيا يُنسي صاحبه فضل الله ومنتته، فهو مذموم كقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْتَهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام، الآية: ٤٤].

والثاني: مقيد بفضل الله وبرحمته، وهو نوعان أيضاً: فضل ورحمة بالسبب. وفضل بالمسبب.

فالأول: كقوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس، الآية: ٥٨].

والثاني: كقوله: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران، الآية: ١٧٠]^(٤).

مكانة الفرح المحمود:

الفرح صفة كمال ولهذا يوصف الرب تعالى بأعلى أنواعه وأكملها، كفرحه بتوبة التائب أعظم من فرحة الواجد لراحته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة بعد فقد له: واليأس من حصولها.

والفرح بالله، وبرسوله، وبالإيمان، وبالسنة، وبالعلم، وبالقرآن: من أعلى مقامات الدين، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة، الآية: ١٢٩]

(١) المقاييس (٤/٤٩٩).

(٢) اللسان (٢/٥٤١).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٥٨).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٣/١٦٥).

وقال: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد، الآية: ٣٦].
فالفرح بالعلم وبالإيمان والسنة: دليل على تعظيمه عند صاحبه،
ومحبته له، وإيثاره له على غيره، فإن فرح العبد بالشيء عند حصوله له:
على قدر محبته له، ورغبته فيه، فمن ليس له رغبة في الشيء لا يفرحه
حصوله له، ولا يحزنه فوائده.

فالفرح تابع للمحبة والرغبة.

والمقصود: أنَّ «الفرح» أعلى نعيم القلب، ولذته وبهجته، والفرح
والسرور نعيمه، والهم والحزن عذابه، والفرح بالشيء فوق الرضى به، فإنَّ
الرضى طمأنينة وسكون وانسراح، والفرح لذة وبهجة وسرور، فكل فرح
رضى وليس كل راضٍ فرحاً، ولهذا كان الفرح ضد الحزن، والرضى ضد
السخط، والحزن يؤلم صاحبه والسخط لا يؤلمه، إلا إن كان مع العجز عن
الانتقام.

وقد أمر الله به في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا كَانَ مِنْكُمْ قَوْمٌ يَفْرَحُونَ﴾ [يونس، الآية: ٥٨]
وأثنى على السعداء به في قوله: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١) [آل
عمران، الآية: ١٧٠].

الفرح المحمود صفة المحسنين:

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: دخلت على النبي ﷺ
وهو يُوعَكُ فوضعتُ يدي عليه، فوجدتُ حرَّه بين يدي، فوق اللحافِ فقلتُ
يا رسول الله! ما أشدَّها عليك! قال: «إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ وَيُضَعَّفُ
لَنَا الْأَجْرُ» قلتُ: يا رسول الله! أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً؟ قال «الأنبياء» قلتُ: يا
رسول الله! ثمَّ من؟ قال: «ثُمَّ الصَّالِحُونَ إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لِيُتْلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا
يَجِدَ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعِبَاءَةَ يُحَوِّيهَا وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُ
أَحَدُكُمْ بِالرِّخَاءِ»^(٢)

عن كعب بن مالك - رضي الله عنه - قال: لم أتخلف عن رسول الله
ﷺ في غزوة غزاها قطُّ إلا في غزوة تبوك، غير أنَّي قد تخلفتُ في غزوة
بدر، ولم يُعَاتَبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهُ إِلَّا مَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ
يُرِيدُونَ عِيرَ قَرِيشٍ حَتَّى جُمِعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ، عَلَى غَيْرِ
مِيعَادٍ.. الحديث وفيه: فبينما أنا جالسٌ على الحال التي ذكر الله عزَّ وجل، منَّا

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/١٦٥-١٦٩).

(٢) سنن ابن ماجه (٢/١٣٣٤) (٤٠٢٤) وقال في الزوائد إسناده صحيح، وصحَّحه الألباني
في صحيح سنن ابن ماجه (٢/٣٧١) (٣٢٥٠).

قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول: بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر قال: فخررت ساجداً. وعرفت أن قد جاء فرج، قال: فأذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا، حين صلى صلاة الفجر. فذهب الناس يبشروننا، فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إليّ فرساً، وسعى ساع من أسلم قبلي. وأوفى الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يُبشّرني فزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته، والله، ما أملك غيرهما يومئذ. واستعرت ثوبين فلبستهما فانطلقت أنا ثم رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فوجاً فوجاً يُهتفونني بالتوبة ويقولون: لتهتك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد وحوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يُهرول حتى صافحني وهنأني، والله، ما قام رجل من المهاجرين غيره، قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال، وهو يبرق وجهه من السرور ويقول: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك» قال: فقلت: أمن عندك؟ يا رسول الله، أم من عند الله؟ فقال: «لا، بل من عند الله» وكان رسول الله ﷺ إذا سرّ استنار وجهه، كأن وجهه قطعة قمر قال: وكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ.. الحديث» (١)

صور من الفرح المحمود:

١- عن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: كنّا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتأبي النمار أو العباء متقلّدي السيوف عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء، الآية: ١] والآية التي في الحشر: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر، الآية: ١٨] تصدّق رجل من ديناره من درهمه، من ثوبه من صاع برّه من صاع تمره (حتى قال) ولو بشقّ تمرّة قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كوميّن من طعام وثباب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلّل كأنه مذهب فقال رسول الله ﷺ: «من سنّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سنّ سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في

الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(١)

٢- عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - قال: غزونا مع رسول الله ﷺ وكان معنا أناس من الأعراب، فكنا نبتدر الماء، وكان الأعراب يسبقوننا إليه، فسبق أعرابي أصحابه، فسبق الأعرابي فيملاً الحوض ويجعل حوله حجارةً ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه، قال: فأتى رجل من الأنصار أعرابياً فأرخى زمام ناقته لتشرب، فأبى أن يدعه فانتزع قباض الماء فرفع الأعرابي خشبته فضرب بها رأس الأنصاري فشجّه فأتى عبدالله بن أبي رأس المنافقين فأخبره وكان من أصحابه، فغضب عبدالله ابن أبي ثم قال كما حكى القرآن الكريم ذلك: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ [المنافقون، الآية: ٧] يعني الأعراب، وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام، فقال عبد الله: إذا انفضوا من عند محمد فأتوا محمدًا بالطعام، فليأكل هو ومن معه، ثم قال لأصحابه كما حكى القرآن الكريم ذلك: ﴿لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون، الآية: ٨] قال زيد: وأنا ردفت رسول الله ﷺ قال: فسمعت عبدالله بن أبي فأخبرت عمي فانطلقت فأخبر رسول الله ﷺ فأرسل إليه رسول الله فحلف وجحد قال: فصدقه رسول الله وكذّبي قال: فجاء عمي إليّ فقال: ما أردت إلا أن مقتك رسول الله وكذّبك والمسلمون، قال: فوقع عليّ من الهم ما لم يقع على أحد قال: فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر قد خفقت برأسي من الهم، إذ أتاني رسول الله ﷺ فعرك أذني وضحك في وجهي، فما كان يسرني أن لي الخلد في الدنيا، ثم إن أبا بكر لحقني فقال: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قلت: ما قال شيئاً إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي، فقال: أبشر، ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لأبي بكر، فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة ﴿المنافقين﴾^(٢).

٣- عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: دخلت أسماء بنت عميس وهي ممن قدم معنا، على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه، فدخل عمر على حفصة، وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء، من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ فقالت أسماء: نعم فقال عمر: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم فغضبت وقالت كلمة

(١) صحيح مسلم (٧٠٤/١) (١٠١٧).

(٢) سنن الترمذي (٤١٥/٥) (٣٣١٣) وقال هذا حديث حسن صحيح.

كذبت يا عُمَرُ! كلا والله! كنتم مع رسول الله يُطعم جائعكم، ويعظُ جاهلكم، وكُنَّا في دار، أو في أرض البُعْدَاءِ البُغَضَاءِ، في الحبشة وذلك في الله وفي رسوله وإيم الله! لا أطعم ولا أشرب شرابًا حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ونحن كَنَانُؤُذِي ونُخَافُ وسأذكرُ ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله، ووالله! لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيدُ على ذلك، قال: فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله إنَّ عمر قال كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ: «ليس بِأحقَّ بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السَّفينَةِ هجرتان» قالت: فلقد رأيتُ أبا موسى وأصحاب السَّفينَةِ يأتوني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم مما قال لهم رسول الله ﷺ^(١).

من ثمرات الفرح المحمود:

- ١- أنَّ الفرح دليل على صدق الاستقامة وحب الطاعة.
- ٢- أنَّ الفرح بفضل الله ثمرة الرضا من الله للعبد.
- ٣- أنَّ الفرح بالله يورث المسارعة في الخيرات والاستكثار من الطاعات.

تحقيق مرتبة الاحسان في الفرح المحمود

يمكن للمؤمن أن يحقق مرتبة الإحسان في الفرح وذلك بأن يملأ قلبه بالسرور والانشراح إذا أصاب حسنة أو أصابته حسنة من الله تعالى يفعل ذلك وهو على حالة وكأنَّه ينظر إلى ربه تعالى والله تعالى ينظر إلى ما في قلبه من الفرح به تعالى وبفضله ورحمته.

(١) صحيح مسلم (٢/١٩٤٦) (٢٥٠٣).

التاسع عشر: الولاء والبراء

الولاء لغة: مصدر مأخوذ من مادة (و ل ي) التي تدل على القرب والولي ضد العدو، والموالاتة ضد المعاداة^(١) واصطلاحاً:

هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً^(٢) قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ﴾ [التوبة، الآية: ٧١].

والبراء لغة:

مصدر مأخوذ من مادة (ب ر أ) التي تدل على التباعد من الشيء ومزاييلته^(٣) قال الله تعالى: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف، الآية: ٢٦] واصطلاحاً:

البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار^(٤) قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [المتحنة، الآية: ١].

وموالاتة الكفار تعني التقرب إليهم وإظهار الود لهم بالأقوال والأفعال، والنوايا^(٥) أنواع الولاء:

الولاء نوعان:

محمود، ومذموم.

فالمحمود أقسام:

الأول: موالاتة الله تعالى للمؤمنين وهي تقتضي محبتهم ونصرتهم وحفظهم وتأيدهم: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾ [البقرة، الآية: ٢٥٧].

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افترضته عليه، وما يزال عبدِي يتقَرَّبُ إِلَيَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها

(١) المقاييس (٦/١٤١)، والصحاح (٦/٢٥٢٨).

(٢) الولاء والبراء للقططاني (٨٩-٩٠).

(٣) انظر: لسان العرب (١٣/٣٢، ٣٣).

(٤) الولاء والبراء للقططاني (٩٠).

(٥) الإيمان لنعيم ياسين (١٤٥).

ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»^(١).

الثاني: موالاة المؤمنين لر بهم جل شأنه وهي: تقتضي محبته ومحبة دينه ونصرته والوقوف عند أمره ونهيه، قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس، الآية: ٦٢، ٦٣].

قال ابن حجر - رحمه الله -: والمراد بولي الله العالم بالله تعالى والمواظب على طاعته المخلص في عبادته^(٢).

الثالث: موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، وهي تقتضي المحبة والنصر والتأييد والكون معهم باطنًا وظاهرًا قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة، الآية: ٧١].

وعن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي ﷺ جهرًا غير سرٍ يقول: «إن آل أبي [فلان] - ليسوا بأوليائي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين»^(٣).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة، الآية: ٥٥، ٥٦].

النوع الثاني: الولاء المذموم: وهو قسمان:

الأول: موالاة الشيطان وهي بمعنى محبته وطاعته والكون معه قال الله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَزَنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النحل، الآية: ٦٣].

والثاني: موالاة المنافقين والكفار: وهي بمعنى محبتهم ونصرتهم وتأيدهم والكون معهم باطنًا وظاهرًا. قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَركَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾ [النساء، الآية: ٨٨، ٨٩].

وقال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٩٢﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ

(١) صحيح البخاري، الفتح (٣٤٠/١١) (٦٥٠٢).

(٢) فتح الباري (٢٩٣/١٣).

(٣) صحيح البخاري (٤١٩/١٠) (٥٩٩٠).

أُولِيَائِهِ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُوتَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ [النساء، الآية: ١٣٨، ١٣٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: ومسمى الموالاة لأعداء الله: يقع على شعب متفاوتة، منها ما يوجب الردة وذهاب الإسلام بالكلية، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات^(١).

وهذه الولاية منقطعة عند الحاجة لها في الدنيا والآخرة، بل تنقلب عداوة بين الطرفين، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ [الأنفال، الآية: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [القصص، الآية: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِي فَنَتَّبِعَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيدُهُمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة، الآية: ١٦٥، ١٦٧].

ولا يعذر من هؤلاء إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان قال الله تعالى:

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [النحل، الآية: ١٠٦، ١٠٧].

لأن الإكراه لا سلطان له على القلوب فإنه لا يعلم ما فيها إلا الله، وقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً﴾ [آل عمران، الآية: ٨٢].

فمن والى الكفار بقلبه ومال إليهم فهو كافر على كل حال، فإن أظهر موالاته بلسانه أو بفعله عومل في الدنيا بكفره وفي الآخرة يخلد في النار، وإن لم يظهرها بفعل ولا قول، وعمل بالإسلام ظاهراً عصم ماله ودمه وهو منافق في الدرك الأسفل من النار^(٢).

ومما يجب التنبيه عليه أن المؤمن وإن كان فاسقاً فإن له نوع ولاء

(١) الفرقان (٧).

(٢) انظر: الولاء والبراء (٢٣١-٢٤٨).

بحسب الخير الذي فيه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : على المؤمن أن يعادي في الله، ويوالي في الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه، وإن ظلمه فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية، وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة، ومعصية وسنة، وبدعة استحق من المعادة والعقاب بحسب ما فيه من الشر^(١) .

أنواع البراء :

البراء نوعان :

محمود، ومذموم .

والمحمود قسمان :

الأول : البراء من كل ما يعبد من دون الله تعالى وهو مقتضي شهادة أن لا إله إلا الله . وهو بمعنى الكفر بكل ما يعبد من دون الله وكرهيته وبغضه أبداً قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُوا لِيَا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَتْ مِنَ الْمَشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام، الآية : ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْتُكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ اللَّهِ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام، الآية : ١٩] .

عن طارق بن أشيم الأشجعي - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم الله دمه وحسابه على الله »^(٢) .

والثاني : البراء من المشركين والكافرين والمنافقين ومن أعمالهم : قال الله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَأَبْرَءُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة، الآية : ٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة، الآية : ٢٢] .

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٨ - ٢٠٩) .

(٢) صحيح مسلم (١/٥٣)، (٢٣) .

النوع الثاني: البراء المذموم، وهو قسمان:
 الأول: البراء من الله تعالى ومما يقرب إليه.
 والثاني: البراء من المؤمنين ومن أعمالهم الصالحة. وهذان من نواقض الإسلام.

مكانة الولاء والبراء في الدين:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أوثق عُرَى الإيمان، المولاة في الله والمعاداة في الله، والحبُّ في الله، والبغض في الله»^(١).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنَّه قال: من بنى بأرض المشركين فصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة»^(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ليس للقلوب سرور ولا لذة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه، ولا يمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله وهي ملّة إبراهيم الخليل - عليه السلام - وسائر الأنبياء والمرسلين صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين، أما شقُّها الثاني محمّد رسول الله ﷺ فمعناه تجريد متابعتة ﷺ فيما أمر والانتفاء عما نهى عنه وزجر، ومن هنا كانت «لا إله إلا الله» ولاء وبراء نفياً وإثباتاً»^(٣).

الولاء والبراء صفة عباد الله المحسنين:

يقول الله تعالى عن إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [الممتحنة، الآية: ٤].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمِن تَابِ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٦) وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٧﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٨﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٩﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ [النحل، الآية: ١٢٨].

(١) معجم الطبراني الكبير (١٧١/١١) (١١٥٣٧). وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٢٨).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، ٢٠٠، وقال إسناده صحيح.

(٣) الفتاوى (٣٢/٢٨).

صور من الولاء والبراء:

هذا الصَّحابي الجليل عبدالله بن حذافة السهمي - رضي الله عنه - لما أَسْرَتْهُ الروم جاءوا به إلى ملكهم فقال له: تنصّر، وأنا أُشْرِكُكَ في ملكي وأزوِّجُكَ ابنتي، فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العربُ على أن أرجع عن دين محمّد طرفة عين ما فعلت، فقال: إذا أَقْتُلَكَ، قال: أنتَ وذاك، فأمر به فُصِّلَ، وأمر الرُّمّة فرمّوه قريبا من يديه ورجليه وهو يعرضُ عليه دين النصرانية فيأبى، ثم أمر به فأُنزل، ثم أمر بقدر وفي رواية ببكرة من نحاسٍ فأحميت وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر، فإذا هو عظامٌ تلوحُ وعرض عليه فأبى، فأمر به أن يلقي فيها، فرفع في البكرة ليلقي فيها، فبكى فطمع فيه ودعاه، فقال له: إني إنما بكيْتُ؛ لأنَّ نفسي إنّما هي نفسٌ واحدةٌ تُلقَى في هذه القدر السّاعة في الله، فأحييتُ أن يكون لي بعدد كل شعرة من جسدي نفسٌ تعذب هذا العذاب في الله^(١).

ولقد كان بلالٌ - رضي الله عنه -: تُفعلُ به الأفاعيل، حتّى إنهم ليضعون الصّخرة العظيمة على صدره في شدّة الحرّ، ويأمرونه أن يشرك بالله فيأبى عليهم ويقول: أحدٌ أحدٌ ويقول: والله لو أعلم كلمةً أغيظَ لكم منها لَقُلْتُهَا^(٢).

وهذا حبيبُ بن زيد الأنصاري - رضي الله عنه - لما قال له مسيلمة الكذاب: أتشهد أنّ محمّداً رسول الله؟ قال: نعم، فيقول: أتشهد أنّي رسول الله؟ فيقول: لا أسمع، فلم يزل يُقَطِّعُهُ إرباً إرباً وهو ثابت على ذلك^(٣).

وانظر إلى عبدالله بن عبدالله بن أبي - رضي الله عنه -: لما بلغه ما كان من أبيه، أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّه بلغني أنّك تُريد قتل عبدالله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنتَ فاعلاً فمرني به، فأنا أحملُ إليك رأسه، فوالله لقد عَلِمَتِ الخزرجُ، ما كان لها من رجلٍ أبرّ بوالديه مني، إني أخشى أن تأمر غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في النَّاسِ فأقتله فأقتل مؤمناً بكافرٍ فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ وَنُحَسِّنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا».

ووقف عبدالله بن عبدالله بن أبي على باب المدينة واستلَّ سيفه، فلما

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/٢).

(٢) انظر: أسد الغابة (٢٠٦/١).

(٣) انظر: أسد الغابة (٣٧٠/١).

جاء أبوه قال له: وراءك فقال: مالك وملك؟ قال: والله لا تجوز حتى يأذن لك رسول الله ﷺ وكان إنما يسير ساقه فشكا إليه عبد الله ابنه: فقال الابن: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له، فأذن له رسول الله ﷺ فأجازه^(١).

وعن يحيى بن يعمر، قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهنني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي سيكل الكلام إليّ فقلت: يا أبا عبد الرحمن إنّه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أنّ لا قدر وأنّ الأمر أنف.

قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أنّ لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر...^(٢)
من ثمرات الولاء والبراء:

١- شهادة الله له بآئه من حربه وموعده له بالغلبة على أعدائه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة، الآية: ٥٦].

٢- أنّ ذلك دليل صادق على قوة الإيمان في قلب صاحبه.

٣- عدم الخوف في الدنيا وانتفاء الحزن في الآخرة.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الولاء والبراء:

يستطيع المرء المسلم أن يحقق ذلك بأن يتفقد قلبه فلا يذر فيه مثقال ذرة من ميل إلى غير الله تعالى وغير رسوله والمؤمنين حتى يصبح أبيض طاهراً نقيّاً، ثم يملؤه بحب الله وحب رسوله والمؤمنين وحب الدين والامتنال له باطنًا وظاهرًا يفعل ذلك وهو على حالة وكأنه ينظر إلى ربه سبحانه وتعالى.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣٧٣/٤).

(٢) صحيح مسلم (٣٦/١) (٨).

العشرون: اليقين:

اليقين لغة:

مصدر مأخوذ من مادة (ي ق ن) التي تدل على زوال الشك^(١).

وقال الجوهري - رحمه الله -: اليقين: العلم وزوال الشك^(٢).

واصطلاحاً:

قال التهانوي - رحمه الله - اليقين: الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع^(٣).

مكانته:

عن عبدالله بن حبشي الخثعمي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ لَا شَكَّ فِيهِ وَجِهَادٌ لَا غُلُولَ فِيهِ، وَحُجَّةٌ مَبْرُورَةٌ، قِيلَ: فَأَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: طَوْلُ الْقُنُوتِ، قِيلَ: فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: جَهْدُ الْمُقْلِ، قِيلَ: فَأَيُّ الْهَجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، قِيلَ: فَأَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ جَاهَدَ الْمُشْرِكِينَ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ، قِيلَ: فَأَيُّ الْقَتْلِ أَشْرَفُ؟ قَالَ: مَنْ أَهْرَقَ دَمَهُ وَعَقَرَ جَوَادُهُ»^(٤).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: «وهو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، وَعَمَلُ الْقَوْمِ إِنَّمَا كَانَ عَلَيْهِ، وَإِشَارَاتُهُمْ كُلُّهَا إِلَيْهِ، وَإِذَا تَزَوَّجَ الصَّبْرُ بِالْيَقِينِ، وَوُلِدَ بَيْنَهُمَا حَصُولُ الْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ﴾ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايِنَتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ [السجدة، الآية: ٢٤].

وخصَّ سبحانه أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين، فقال: وهو أصدق القائلين: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ [الذاريات، الآية: ٢١].

وخصَّ أهل اليقين بالهدى والفرح من بين العالمين، فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ [البقرة، الآية: ٤، ٥].

وأخبر عن أهل النار: بأنهم لم يكونوا من أهل اليقين، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ [الجاثية، الآية: ٣٢].

(١) المقاييس (١٥٧/٦).

(٢) الصحاح (٢٢١٩/٦).

(٣) الكليات (٩٧٩).

(٤) سنن النسائي (٥٨/٥) (٢٥٢٦). وصحَّح الألباني في صحيح سنن النسائي (٥٣١/٢) (٢٣٦٦).

ف«اليقين» روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح وهو حقيقة الصديقية، وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره^(١).

خطب أبوبكر - رضي الله عنه - فقال: «قام رسول الله ﷺ مقامي هذا عام الأول، وبكى أبوبكر فقال أبوبكر: سلوا الله المعافاة، أو قال: العافية، فلم يؤت أحد قط بعد اليقين أفضل من العافية أو المعافاة، عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا إخوانًا كما أمركم الله تعالى»^(٢).

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : «اليقين الإيمان كله»^(٣).

درجات اليقين:

يأتي اليقين على ثلاث درجات.

الأولى: علم اليقين: وهو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع بتصديق وصحة ما جاء عن الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من أوامر ونواه ودين، والإيمان بما غاب عنا كالجنة والنار والصراط والحساب، ونحو ذلك وما جاء من أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر، الآية: ٥، ٦].

الثانية: عين اليقين: وهو ما استغنى به صاحبه عن طلب الدليل لأن الدليل يُطلب للعلم بالمدلول، فإذا كان المدلول مشاهدًا له، فلا حاجة حينئذ للاستدلال قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر، الآية: ٥ - ٧].

الثالثة: حق اليقين: وهذه منزلة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فقد رأى نبينا محمد ﷺ بعينه الجنة والنار، وكلم الله تعالى موسى - عليه السلام - بلا واسطة، أما بالنسبة لنا فإن حق اليقين يتأخر يوم القيامة: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [٨٨] ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ [٨٩] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [٩٠] ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [٩١] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ﴾ [٩٢] ﴿فَقَرْءُ مِنْ حَمِيمٍ﴾ [٩٣] ﴿وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٍ﴾ [٩٤] ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [٩٥] [الواقعة، الآية: ٨٨ - ٩٥].

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»^(٤).

(١) المدرج (٢/٤١٣).

(٢) مسند أحمد (١/٧) (٥) وصحح إسناده أحمد شاكر (١/١٥٦).

(٣) حلية الأولياء (٧/١٧).

(٤) سنن الترمذي (٥/٥١٧) (٣٤٧٩) و الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/١٦٤) (٢٧٦٦).

ومثال ذلك: مثل من قال لك: عندي عسل، وأنت لا تشك في صدقه، فهذا علم اليقين، ثم أراك إياه، فهذا عين اليقين، ثم ذقت منه، فهذا حق اليقين^(١).

اليقين صفة المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ قُورَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات، الآية: ١٥ - ٢٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة، الآية: ٢٣، ٢٤].

وموسى - عليه السلام - من أئمة المحسنين.

صورة من اليقين:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، وهو يقص في قصصه، وهو يذكر رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَخَا لَكُمْ لَا يَقُولُ الرَّفَثَ» يعني بذلك عبدالله ابن رواحة:

وفينا رسولُ الله يتلو كتابه	إذا انشَقَّ معروفٌ من الفجر ساطعُ
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا	به موقناتٌ أن ما قال واقعُ
بيتٌ يُجافي جنبه عن فراشه	إذا استثقلت بالمشركين المضاجع ^(٢)

ثمرات اليقين:

- ١- أنه يورث قوة التوكل على الله تعالى.
- ٢- أنه سبب في تهوين المصائب في الدنيا.
- ٣- أنه سبب في الإمامة في الدين.
- ٤- أنه متى وصل «اليقين» إلى القلب امتلأ نوراً وإشراقاً، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط، وهمٌ وغمٌ، فامتلاً محبةً لله، وخوفاً منه ورَضَى به، وشكراً له، وتوكلاً عليه، وإنابةً إليه.
- ٥- أنه سببٌ في النجاة من عذاب القبر.

عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - أنها قالت: أتيت عائشة حين خسفت الشمس والناس قيامٌ، وهي قائمةٌ تُصلي فقلت: ما للناس؟ فأشارت بيدها نحو السماء فقالت: سبحان الله، فقلت: آية؟ قالت برأسها:

(١) انظر: المدارج (٢/٤٢٠).

(٢) صحيح البخاري (١/٣٨٧) (١١٠٤).

أَنْ نَعَمْ، فلما انصرف رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «ما من شيء لم أره إلا وقد رأيته في مقامي هذا، حتى الجنة والنار، وأوحى إلي أنكم تُفتنون في القبور قريباً من فتنة الدجال، فأما المؤمن أو الموفق لا أدري أي ذلك قالت: أسماء فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وآمنا واتبعنا، فقال: نعم صالحاً، فقد علمنا إن كنت لمؤمناً، وأما المنافق (أو المرتاب، لا أدري ذلك ذكرت أسماء) فيقول: لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلته»^(١).

٦- أنه سبب في دخول الجنة

عن شداد بن أوس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «سيد الاستغفار أن تقول: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مَوْقِعًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَصْبَحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٢).

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة»^(٣) وذكر في الحديث قصة.

تحقيق مرتبة الإحسان في اليقين:

يمكن للعبد المؤمن أن يحقق ذلك بأن يعتقد اعتقاداً جازماً صدق المُخْبِرُ به عن الله تعالى وعن رسول الله ﷺ في كل شيء كأنه يراه بعينه حقيقة فلا يبقى في قلبه ريب ولا شك.

(١) صحيح البخاري (٢٦٥٧/٦) (٦٨٥٧).

(٢) صحيح البخاري (٢٣٢٣/٥) (٥٩٤٧).

(٣) صحيح مسلم (٥٩/١) (٣١).

المطلب الثاني الإحسان القولي

قال الكفوي: القول والكلام واللفظ من حيث أصل اللغة بمعنًى^(١)

أقسام الإحسان القولي:

يمكن تقسيم الإحسان القولي إلى ثلاثة أقسام:

الأول: قراءة القرآن والذكر والدعاء في الدنيا وتمجيد الله وتحميده وتسبيحه في الآخرة.

الثاني: كل كلام تضمن الدعوة إلى الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء أكان ذلك الكلام قرآناً أم حديثاً أم من معناه.

الثالث: كل كلام يستطيعه السامع ويسعد خاطره مما هو مشروع أو مباح^(٢).

(١) الكليات (١٨/٤).

(٢) انظر: نضرة النعيم (٣٢٧١/٧).

أولاً: تلاوة القرآن الكريم.

التلاوة لغة :

مصدر مأخوذ من مادة (ت ل و) التي تدل على معنى واحد وهو الاتباع يقال: تلوته إذا تبعته، ومنه تلاوة القرآن؛ لأنَّ القاريء يقرأ آيةً بعد آية^(١).

واصطلاحاً :

قراءة القرآن الكريم متتابعاً كالأوراد والأسباع، يبين حروفها ويتأنى في أدائها ليكون أقرب إلى فهم المعاني^(٢).

والقرآن الكريم لغة :

مصدر قرأ بالهمزة التي تدل على جمع واجتماع يقال: قرأتُ الكتاب قراءةً وقرأنا ومنه سمي القرآن قرآنًا، لأنه يجمع السور فيضمها^(٣).

واصطلاحاً :

قال الجرجاني - رحمه الله - : القرآن هو الكتاب المنزل على الرسول ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة لها^(٤).

وجوب قراءة القرآن الكريم وتحريم هجره :

قال الله تعالى: ﴿ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرِثِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل، الآية: ٤].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان، الآية: ٣٠].

والمقصود بالهجر هجر التلاوة والتدبر لمعانيه، والعمل به أو أحدها.

فضل تلاوة القرآن الكريم :

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَكْبُرَ ۖ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر، الآية: ٣٠].

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف، ولامٌ حرف وميم حرف»^(٥).

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إنَّ هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم، إنَّ هذا القرآن حبل الله، والنور المبين،

(١) انظر: المقاييس (٣٥١/١)، واللسان (١٠٤، ١٠٢/١٤).

(٢) انظر: فتح الباري (٧٠٧/٨)، وكشاف اصطلاحات الفنون (٢٢٤/١).

(٣) المقاييس (٧٨/٥)، والصحاح (٦٥/١).

(٤) التعريفات (١٨١).

(٥) سنن الترمذي (١٧٥/٥) (٢٩١٠) وقال حسنٌ صحيح.

والشفاء النافع وعصمة لمن يمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيُستعَب ، ولا يَغوُجُ فيَقوُم ، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلُق من كثرة الرَّدِّ، اتلوه فإنَّ الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»^(١).

وعن أنس - رضي الله عنه - : قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لله أهلين من الناس» قالوا: من يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»^(٢).

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - : عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن يوم القيامة، اقرأ ورائك كما كنت ترتل في الدنيا، فإنَّ منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها»^(٣).

وعن عائشة - رضي الله عنها - : قالت: قال رسول الله ﷺ قال: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعت فيه وهو عليه شاق له أجران»^(٤).

والمعنى أنه يجد مشقة في تعلمه لتلاوة القرآن.
قال قتادة - رحمه الله - : «ما جالس القرآن أحدٌ فقام عنه إلاَّ بزيادة أو نقصان ثم قرأ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾»^(٥) [الإسراء، الآية: ٨٢].

استحباب حسن الصوت والتلاوة:

عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - : أنَّ رسول الله ﷺ قال: «زَيَّنُوا القرآن بأصواتكم»^(٦).

قال ابن بطَّال: المراد بقوله ﷺ: «زَيَّنُوا القرآن بأصواتكم» المدُّ والترتيل، والمهارة في القرآن جَوْدَةُ التَّلَاوَةِ بِجَوْدَةِ الْحِفْظِ فلا يتلعثم ولا يتشكك وتكون قراءته سهلة بتيسير الله تعالى كما يسره على الكرام البررة^(٧).

وقد كان النبي ﷺ يحب أن يسمع القرآن من حسن الصوت والتلاوة كما جاء عن أبي موسى - رضي الله عنه - أنَّ النبي ﷺ قال له: «يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل

(١) المستدرک للحاکم (٧٤١/١) (٢٠٤٠) وصححه الألباني في الصحيحة: (٢٦٧/٢) (٦٦٠).

(٢) سنن ابن ماجه (١٢٤٢/١) (٣٧٨٠). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣١٤/٢) (٣٠٤٧).

(٣) سنن الترمذي (١٧٧/٥) (٢٩١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصحَّحه الألباني.

(٤) صحيح مسلم (٥٤٩/١) (٧٩٨).

(٥) سنن الدَّارمي: (٨٣٤). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٢٤/١) (١١٠٣).

(٦) سنن أبي داود (١٥٥/٢) (١٤٦٨) وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٧٥/١).

(٧) فتح الباري (٥٢٨/١٣).

داود»^(١).

قال ابن حجر - رحمه الله -: والذي يتحصّل من الأدلة أنّ حسن الصّوت بالقرآن مطلوب، فإن لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع. ومن جملة تحسينه أن يراعي فيه قوانين النّغم؛ فإنّ الحسن الصّوت يزّداد حسناً بذلك، وإن خرج عنها أثر ذلك في حسنه، وغير الحسن ربّما انجبر بمراعاتها ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات، فإن خرج عنها لم يفّ تحسين الأداء، فإن وُجد من يراعيهما معاً فلا شكّ في أنّه أرجح من غيره لأنّه يأتي بالمطلوب من تحسين الصّوت ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء والله أعلم^(٢).

وأفضل التلاوة الترتيل: وهو القراءة بتؤدة واطمئنان وإخراج كل حرف من مخرجه، وإعطاؤه حقه ومستحقه مع تدبر المعاني^(٣).

المقدار الذي ينبغي قراءته من القرآن:

قال النووي: - رحمه الله - قد كان للسلف - رضي الله عنهم -: عادات مختلفة في القدر الذي يختمون فيه، فكان جماعة منهم يختمون في كل شهرين ختمة، وآخرون في كل شهر ختمة، وآخرون في كل عشر ليال ختمة، وآخرون في كل سبع ليال ختمة، وهكذا فعل الأكثرين من السلف، وبعضهم في أقل من ذلك، والمختار أنّ ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له فيه فهم ما يقرأ، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو فصل الحكومات بين المسلمين أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة للمسلمين فليقتصر على قدر لا يحصل له بسببه إخلال بما هو مرصود به، ولا فوت كماله، ومن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل أو الهزيمة في القراءة وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة أو أقل مستدلين بالحديث الشريف: «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»^(٤)^(٥).

(١) صحيح مسلم (٥٤٦/١) (٧٩٣).

(٢) فتح الباري (٦٩٠/٨).

(٣) البرهان في تجويد القرآن (٦).

(٤) سنن أبي داود (٥٦/٢) (١٣٩٤) وقال النووي رويناه بأسانيد صحيحة.

(٥) انظر: الأذكار للنووي (١٤٦).

الأوقات التي تستحب فيها قراءة القرآن الكريم:

قال النووي - رحمه الله -: أفضل القراءة ما كان في الصلاة وأما في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل، والنصف الأخير منه أفضل من الأول، والقراءة بين المغرب والعشاء، مستحبة، وأما قراءة النهار، فأفضلها ما بعد صلاة الصبح، ولا كراهة في القراءة في وقت من الأوقات، ولا في أوقات النهي عن الصلاة^(١)، ومن السنة كثرة الاعتناء بالقراءة في شهر رمضان، وفي العشر الأخير منه أفضل وليالي الوتر أكد ومن ذلك العشر الأول، من ذي الحجة ويوم عرفة^(٢)

استحباب الجمع بين التلاوة والتدبر:

عن مجاهد - رحمه الله -: في قول الله عز وجل: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقَّتْهُ لِقْرَاءٍ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ﴾ قال: على تؤدة

قال محمد بن الحسين: «والقليل من الدرس للقرآن مع الفكر فيه وتدبره أحب إلي من قراءة الكثير من القرآن بغير تدبر ولا تفكر فيه، وظاهر القرآن يدل على ذلك والسنة وقول أئمة المسلمين^(٣)

وعن الحسن بن محمد الصباح الزعفراني (من أصحاب الشافعي) قال: «الزموا كتاب الله وتتبعوا ما فيه من الأمثال وكونوا فيه من أهل البصر» ثم قال: «رحم الله عبداً عرض نفسه وعمله على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله حمداً لله وسأله الزيادة، وإن خالف كتاب الله أعتب نفسه ورجع من قريب^(٤).
تلاوة القرآن الكريم صفة المحسنين:

لقد كان إمام المحسنين محمد ﷺ تالياً للقرآن الكريم آناء الليل والنهار. قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ [النحل، الآية: ٩٨، ٩٩]
وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُمْ وَلَوْ عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ [الإسراء، الآية: ٤٥ - ٤٧]

وقال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا

(١) الأذكار (١٤٦).

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن (١٤).

(٣) أخلاق أهل القرآن للآجري (١٦٩).

(٤) صحيح البخاري، الفتح (٦٣/٩) (٥٠١٦).

تَحْمُودًا ﴿٧٥﴾ [الإسراء، الآية: ٧٨ - ٧٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أِهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلْ لِحَمْدِ اللَّهِ سَيْرِكُمْ ءَايِنُهُ فَنَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النمل، الآية: ٩١ - ٩٣].

وقال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾﴾ [البينة، الآية: ١ - ٣].
وممن أسلم واطمأن قلبه للإيمان محسنون يتلون آيات الله.
قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٦﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١١٤، ١١٣].

وبالجملة فإن أحسن خلق الله من تعلم القرآن وعلمه.

فعن عثمان - رضي الله عنه -: عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١)

صورة من إحسان التلاوة:

عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما -: قال: سمعت النبي ﷺ «يقرأ: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾» في العشاء وما سمعت أحدا أحسن صوتا منه أو قراءة^(٢).

ثمرات تلاوة القرآن الكريم:

هناك ثمرات كثيرة منها:

- ١- أن قارئ القرآن من أفضل الناس، وأعلاهم درجة في الدنيا والآخرة.
- ٢- مضاعفة الأجر لقارئ القرآن.
- ٣- أن قارئ القرآن تظله الرحمة وتنزل عليه السكينة، وتحيط به الملائكة.
- ٤- أن قراءة القرآن تورث الفضائل الحسنة.
- ٥- أن قارئ القرآن لا يقربه الشيطان.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة تلاوة القرآن:

يمكن للمسلم أن يحقق ذلك بأن يتلو القرآن ويحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله، وهو على حالة وكأنه يرى الله تعالى حين تكلم به

(١) صحيح البخاري، الفتح (٧٤/٩) (٥٠٢٧).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٢٥١/٢) (٧٦٩).

وأنزله ويسمع جبريل - عليه السلام - حين أوحاه على الرسول محمد ﷺ
ويسمع الرسول ﷺ وهو يتلوه ويبلغه للناس يفعل ذلك كله ابتغاء مرضاة الله
تعالى ورجاء ثوابه .

ثانيًا : الذكر:

الذكر لغة :

مصدرٌ مأخوذٌ من مادة (ذ ك ر) يقول ابن فارس - رحمه الله - : «الذال والكاف والراء» أصلان عنهما يتفرع كلُّم الباب، فالمذكر التي ولدت ذكرًا، والمذكَّارُ: التي تلد الذُكران عادة والأصل الآخر: ذكرت الشيء خلاف نسيته، ثم حُمِل عليه الذكر باللسان ^(١) وله معانٍ أُخَرُ. واصطلاحًا:

التخلص من الغفلة والنسيان ^(٢) بالإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها شرعًا ^(٣).
مكانة الذكر:

للذكر بين العبادات مكانة عالية جدًا وذلك لما يحدثه في القلب والجوراج من آثار حسنة وما يترتب عليه من أجور عظيمة قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت، الآية: ٤٥].

قال ابن القيم - رحمه الله -: «الذكر» منشور الولاية، الذي مَنْ أعطيه اتَّصل، وَمَنْ مُنِعَهُ عَزَلَ وهو قوت قلوب المؤمنين، الذي متى فارقتها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بُورًا، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقه انتكست منهم القلوب والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فترك الذكر أحيانًا فَنَتَكِسُ به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات إذا أظلمهم البلاء، فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون ورؤس أموال سعادتهم التي بها يتجرون. يدع القلب الحزين ضاحكًا مسرورًا، ويوصل الذاكر إلى المذكور بل يدع الذاكر مذكورًا.

وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، و«الذكر» عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة، بل هم يأمرُون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال قيامًا وقعودًا، وعلى جنوبهم، فكما أنَّ الجنة قيعان، وهو غراسها، فكذلك القلوب بور خراب وهو عمارتها، وأساسها.

(١) انظر: المقاييس (٢/٣٥٨).

(٢) مدارج السالكين (٢/٤٥١).

(٣) فتح الباري (١١/٢١٢).

وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد
الذاكر في ذكره استغراقاً: ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقاً وإذا واطأ
في ذكره قلبه للسانه: نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل
شيء، وكان له عوضاً من كل شيء.
به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقش الظلمة عن
الأبصار.

زَيَّنَ الله به ألسنة الذاكرين، كما زَيَّنَ بالنور أبصار الناظرين، فاللسان
الغافل: كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء، وهو باب الله
الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته.
قال الحسن البصري - رحمه الله -: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء:
في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن فإن وجدتم . . . وإلا فاعلموا أنَّ
الباب مغلق.

وبالذكر: يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة
والنسيان، وهو روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان
كالجسد الذي لا روح فيه^(١).

عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «مثل الذي يذكر
ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»^(٢).

ومن أعظم الأحاديث الواردة في بيان مكانة الذكر وعظم أجر الذاكر
ماروي عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «ألا أنبئكم
بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من
إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم
ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى: قال: «ذكر الله تعالى» فقال معاذ بن جبل
- رضي الله عنه -: ما شيء أنجي من عذاب الله من ذكر الله»^(٣).

وقد كان الرسول ﷺ يوصي أصحابه بكثرة الذكر كما في حديث
عبدالله بن بسر أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله إنَّ شرائع الإسلام قد كثرت عليّ،
فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»^(٤).
وأخبر ﷺ أنَّ الله تعالى يباهي بالذاكرين الله تعالى الملائكة وكفي بها

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/٤٤٠-٤٤١).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (١١/٢٠٨) (٦٤٠٧).

(٣) سنن الترمذي (٥/٤٥٩) (٣٣٧٧) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي
(٣/١٣٩) (٢٦٨٨).

(٤) سنن الترمذي (٥/٤٥٨) (٣٣٧٥) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/١٣٩)
(٢٦٨٧).

شرفاً.

عن أبي سعيد الخدي - رضي الله عنه - : قال : خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ، قال : الله ، ما أجلسكم إلا ذاك ؟ قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك قال : أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، وما كان أحدٌ بمنزلي من رسول الله ﷺ أقلّ عنه حديثاً مني ، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : « ما أجلسكم ؟ » قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ، ومنّ به علينا ، قال : « الله ، ما أجلسكم إلا ذاك ؟ » قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك ، قال : « أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني ، أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة » (١) .

حديث القرآن عن الذكر :

قال ابن القيم : جاء الذكر في القرآن على عشرة أوجه :
الأول : الأمر به مطلقاً ومقيّداً وذلك كقوله تعالى : ﴿ يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ ﴾ [الأحزاب ، الآية : ٤١ ، ٤٢] .
الثاني : النهي عن ضده من الغفلة والنسيان كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ۖ ﴾ [الأعراف ، الآية : ٢٠٥] .

الثالث : تعليق الفلاح باستدامته وكثرته كقوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۖ ﴾ [الجمعة ، الآية : ١٠] .

الرابع : الشاء على أهله والإخبار بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالذَّكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۖ ﴾ [الأحزاب ، الآية : ٣٥] .

الخامس : الإخبار عن خسران من لها عنه بغيره كقوله تعالى : ﴿ يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلْهِكُمْ ءَمُولَكُمْ وَلَا ءُولَدَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۖ ﴾ [المنافقون ، الآية : ٩] .

السادس : أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاءً لذكرهم له ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَذْكُرُوا فِي أذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة ، الآية : ١٥٢] .

السابع : الإخبار أنه أكبر من كل شيء ، كقوله تعالى : ﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۖ ﴾ [العنكبوت ، الآية : ٤٥] .

الثامن : أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها ، وذلك كما ختم به الحج في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ۖ ﴾

(١) صحيح مسلم (٣/٢٠٧٥) (٢٧٠١) .

كَذَرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴿البقرة، الآية: ٢٠٠﴾، وختم به الصلاة كقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء، الآية: ١٠٣] وختم به الجمعة كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْنِعُوا مِنَ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة، الآية: ١٠].

التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته وأنهم أولو الأبواب دون غيرهم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٩٠، ١٩١].

العاشر: أنه جعله قرين جميع الأعمال وروحها، فقد قرنه بالصلاة كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١١﴾﴾ [طه، الآية: ١٤]، وكذلك قرنه بالصيام والحج وغيرهما^(١).
من آداب الذكر وأحكامه:

قال الإمام النووي - رحمه الله -: ينبغي أن يكون الذكر على أكمل الصفات ، وأن يكون الموضع الذي يذكر الله فيه خاليًا نظيفًا، ولهذا مُدِح الذكر في المساجد والأماكن الشريفة، وأن يكون فمه نظيفًا، فإن كان فيه تغير أزاله بالسواك ونحوه، وإن كان فيه نجاسة أزالها بالماء، والذكر محبوب في جميع الأحوال، إلا ما ورد الشرع باستثنائها منها: عند الجلوس على قضاء الحاجة، وفي حالة الجماع، وفي حالة الخطبة لمن يسمع صوت الخطيب، وفي القيام في الصلاة لأن عليه الاشتغال بالقراءة، وفي حالة النعاس^(٢)
الذكر صفة المحسنين:

من عباد الله المحسنين الذاكرين الله كثيرًا، موسى وهارون - عليهما السلام - قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِ ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ تَسْبَحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طه، الآية: ٢٩ - ٣٥].

وقد كان نبينا محمد ﷺ يذكر الله على كل أحيانه عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه»^(٣).

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٤١-٤٤٨).

(٢) انظر: الأذكار (١٧-١٨).

(٣) صحيح مسلم (١/ ٢٨٢) (٣٧٣).

وقد وصف الله عباده المحسنين بذكره كما قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٣٧) لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ (٣٨) ﴾ [النور، الآية: ٣٦ - ٣٨].

وبما أنَّ المحسن سابق بالخيرات فإنَّ الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات سابقون إلى الله فهم محسنون كما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمرَّ على جبل يقال له جُمْدَان، فقال: «سيروا هذا جُمْدَان، سبق المُفْرَدُونَ» قالوا: وما المُفْرَدُونَ يا رسول الله؟ قال: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ (١) [الأحزاب، الآية: ٣٥].

صور من الذاكرين:

وهذه أمنا جويرية - رضي الله عنها - صورة بارزة في إحسانها في ذكر الله تعالى كما جاء عنها أنَّ النبي ﷺ خرج من عندها بُكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم، قال النبي ﷺ: «لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرَّات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته» (٢).

من ثمرات الذكر لله تعالى:

لو أردنا الوقوف على ثمرات الذكر وأدلتها جميعًا لطال بنا المقام وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله تعالى - في الذكر أكثر من مائة فائدة منها:

- ١- أَنَّهُ يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ وَيَقْمَعُهُ.
- ٢- أَنَّهُ يُرْضِي الرَّحْمَنَ - عَزَّ وَجَلَّ -.
- ٣- أَنَّهُ يَزِيلُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ عَنِ الْقَلْبِ.
- ٤- أَنَّهُ يَجْلِبُ لِلْقَلْبِ الْفَرَحَ وَالشَّرَّورَ وَالْبَسْطَ.
- ٥- أَنَّهُ يَقْوِي الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ.
- ٦- أَنَّهُ يُنَوِّرُ الْوَجْهَ وَالْقَلْبَ.
- ٧- أَنَّهُ يَجْلِبُ الرِّزْقَ.
- ٨- أَنَّهُ يَكْسُو الذَّاكِرَ الْمَهَابَةَ وَالْحُلَاوَةَ وَالنُّضْرَةَ.
- ٩- أَنَّهُ يورثه المحبَّة التي هي روح الإسلام وقُطْبُ رَحَى الدِّينِ ومدارُ

(١) المصدر السابق (٣/٢٠٦٢) (٢٦٧٦).

(٢) صحيح مسلم (٣/٢٠٩٠) (٢٧٢٦).

السَّعَادَةُ وَالنَّجَاةُ .

١٠- أَنَّهُ يورثُ المراقبةَ حتَّى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنَّه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعدة إلى الوصول إلى البيت^(١).

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الذكر:

يمكن للمؤمن أن يحقق هذه المرتبة في صفة الذكر وذلك بأن يواطىء القلب اللسان وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكر معانيه ومقاصده ابتغاء مرضاة الله وهو على حالة وكأنه ينظر إلى ربه ويذكره والله تعالى ينظر إليه ويذكره.

(١) راجع: الكلم الطيب (صحيح الكلم الطيب) ١٦٤-٨٢.

أنواع الذكر:

١ - التهليل:

التهليل لغة: مصدر هَلَّلَ وهو مأخوذ من مادة (ه ل ل) التي تدل على رفع الصوت^(١) وهَلَّلَ الرجل: أي قال: لا إله إلا الله^(٢). واصطلاحاً: أن يقول لا إله إلا الله^(٣).

ومعناها: لا معبود بحق إلا الله تعالى.

الأمر بقول لا إله إلا الله. قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [الرعد، الآية: ٣٠].

مكانتها: وفضلها:

لا إله إلا الله أعظم كلمة تقال، وأثقل شيء في الميزان.

عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: «كنا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة مزروعة بالدباج فقال: ألا إنَّ صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس قال: يريد أن يضع كل فارس ابن فارس ويرفع كل راع ابن راع، ثم قال: إنَّ نبي الله نوحاً ﷺ لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية، آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، آمرك بلا إله إلا الله، فإنَّ السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أنَّ السماوات السبع والأرضين السبع كنَّ حلقة مبهمة قصمتهن، لا إله إلا الله، ولو أنَّ السماوات السبع والأرضين السبع كنَّ حلقة مبهمة قصمتهن، لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده فإنَّها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الشرك، والكبر، قال: قلتُ أو قيل: يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر؟ قال: أن يكون لأحدنا نعلان حستان لهما شراكان حسان؟ قال: لا قال: هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها؟ قال: لا، قال: الكبر هو أن يكون لأحدنا دابة يركبها؟ قال: لا قال: أفهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: لا، قيل: يا رسول الله فما الكبر؟ قال: سفه الحق وغمط الناس»^(٤).

ولا إله إلا الله تذكر بصاحبها عند الله تعالى كما في حديث النعمان بن

(١) انظر: المقاييس (١١/٦).

(٢) لسان العرب (٤٦٨٨/٨).

(٣) المفردات (٥٤٢).

(٤) مسند أحمد (٣٥٨/٢) (٦٥٤٧) وصحح إسناده أحمد شاكر (٨٧/٨) (٦٥٨٣).

بشير - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مما تذكرون من جلال الله، التسبيح والتهليل والتحميد ينعطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل، تُذَكِّرُ بصاحبها، أما يحب أحدكم أن يكون له «أو لا يزال له» من يُذَكِّرُ به»^(١).

وهي أفضل الذكر كما جاء

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - : أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله»^(٢).

وهي من أحب الكلام إلى الله تعالى يؤيد ذلك حديث سمرة بن جندب - رضي الله عنه - : أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الكلام إلى الله أربع: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَا يَضُرُّكَ بَأْيَهُنَّ بَدَأْتَ وَلَا تُسَمِّنَ غُلَامَكَ يَسَارًا وَلَا رِبَاحًا وَلَا نَجِيحًا، وَلَا أَفْلَحَ فَإِنَّكَ تقول: أثم هو؟ فلا يكون فيقول: لا إنما هن أربع فلا تزيدن علي»^(٣).

وكانت دعوة ذي النون وهو في بطن الحوت قال الله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَكَاذَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء، الآية: ٨٧]، وهي فرج لكل من دعا بها مهما كان كربه.

عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - : قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»^(٤).

ومن قالها خالصًا من قلبه كان أسعد الناس بشفاعته الرسول ﷺ.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قيل يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك، لما رأيتُ من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه»^(٥).

(١) سنن ابن ماجه (١٢٥٢/٢) (٣٨٠٩) وقال في الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) سنن ابن ماجه (١٢٤٩/٢) (٣٨٠٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٢/١) (١١١٥).

(٣) صحيح مسلم (١٦٨٥/٢) (٢١٣٧).

(٤) سنن الترمذي (٥٢٩/٥) (٣٥٠٥).

(٥) صحيح البخاري، الفتح (١٩٣/١) (٩٩).

قول لا إله إلا الله والإكثار منها صفة المحسنين :

فقد كان الرسول ﷺ يقولها عند الفزع .

عن زينب بنت جحش - رضي الله عنها - أنها قالت : استيقظ النبي ﷺ من النوم محمرا وجهه ، وهو يقول : لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شرّ قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه « وعقد سفيان تسعين أو مائة ، قيل : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم إذا كثر الخبث »^(١) . ويقولها عند الكرب :

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : أنه قال : إنّ رسول الله ﷺ كان يدعو بهن ويقولهن عند الكرب ، يعني : « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله ربّ العرش وربّ السماوات والأرض وربّ العرش الكريم »^(٢) .

تحقيق مرتبة الإحسان في قول لا إله إلا الله :

يستطيع المسلم أن يحقق مرتبة الإحسان في قول لا إله إلا الله وذلك بأن يحقق أركانها وهي نفي كل ما يعبد من دون الله ، وإثبات العبادة لله وحده ويحقق شروطها وهي العلم واليقين ، والقبول والانقياد ، والصدق والإخلاص والمحبة^(٣) مؤمناً بذلك موافقاً قلبه لسانه وهو على حاله كأنه ينظر إلى ربه تعالى حين اعتقادها وقولها والعمل بمقتضاها .

٢ - التكبير

التكبير لغة :

مصدر «كَبَّرَ» وهو مأخوذ من مادة (ك ب ر) التي تدل على خلاف الصَّغر ، بمعنى الكثرة والعظمة وقول : «الله أكبر» اختلف فيها على وجوه : الأول : أنّ معناها «الله الكبير» .

الثاني : أنّ معناها : «الله أكبر من كل شيء» .

الثالث : قيل معناها : «الله أكبر من أن يعرف كُنْه كبريائه وعظمته»^(٤) .

وهذه الوجوه كلها صواب .

واصطلاحاً :

قول الله أكبر ، قال الله تعالى : ﴿ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴾ [المدثر ، الآية : ٢] .

(١) صحيح البخاري ، الفتح (١١/١٣) (٧٠٥٩) .

(٢) صحيح مسلم (٢٠٩٢/٣) (٢٧٣٠) .

(٣) سبق الحديث عن أركان لا إله إلا الله وشروطها في الإحسان العقائدي .

(٤) المقاييس (١٥٣/٥) (٢٩٠/٣) ، المفردات (٤٢١) ، النهاية (١٤٠/٤) .

مكانة التكبير:

بالنظر إلى مجموع الآثار الواردة في التكبير يلحظ القاريء الكريم أنَّ التكبير جاء قوة للنفس البشرية عند الملمات والصعاب.

عن أنس - رضي الله عنه - قال: صَبَّحَ النبي ﷺ خبير وقد خرجوا بالمساحي، على أعناقهم، فلما رأوه قالوا: محمد والخميس، محمد والخميس، فلجأوا إلى الحصن، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «الله أكبر، خربت خبير، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، وأصبنا حمراً فطبخناها، فنادى منادي الرسول ﷺ: «إِنَّ الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر، فأكفئت القدر بما فيها»^(١)

وجاء التكبير تذكيراً للنفس البشرية، بأنَّ كل ما تراه ويقع تحت حواسها من المخلوقات العظام وقدرتها وسطوتها وطول بقائها، فإنَّ الله الذي خلقها أعظم قدراً وأكبر قوة وأشدَّ بأساً منها.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله إني أريد أن أسافر فأوصني قال: «عليك بتقوى الله، والتكبير على كل شرف»^(٢).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما -: قال: كان النبي ﷺ وجيوشه إذا علوا الشيا كبروا وإذا هبطوا سبحوا»^(٣).

وجاء التكبير ليبرهن أنَّ كل ما يلقي في روع الإنسان أو ما يتوهمه عن جلال الله وعظمته لا يليق بالله تعالى وذلك لأنَّ الله تعالى موصوف بصفات الكمال والجلال التي لا يدرك كنهها وكيفيتها إلَّا هو جلَّ جلاله وتعالى سلطانه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام، الآية: ٩١] وأنَّ كل طاعة للعبد مهما بلغت من الإحسان فإنَّ حق الله أكبر وأعظم منها.

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كنَّا نعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ بالتكبير»^(٤) ورد على أولئك السفلة من بني آدم الذين ألحقوا بالله تعالى النقص تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرٌ﴾ [الإسراء، الآية: ١١١] وأنَّ الله وحده الذي يهدي عباده دون سواه فحقه أن يكبر ويعظم كما

(١) صحيح البخاري، الفتح (١٣٤/٦) (٢٩٩١).

(٢) سنن الترمذي (٥٠٠/٥) (٣٤٤٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٤٧/٢) (٤٠٤٦).

(٣) سنن أبي داود (٧٥/٣) (٢٥٩٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٩٢/٢) (٢٢٦٤).

(٤) صحيح مسلم (٤١٠/١) (٥٨٣).

قال تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة، الآية: ١٨٥].

وجاء التكبير صحيحة في أذن كل مسلم كل يوم خمس مرة من على رؤوس المأذن ليقول له إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْظَمُ مَنْ ذُكِرَ وَأَجَلَّ مَنْ تُقَرَّبُ إِلَيْهِ وَأَجْزَلُ مَنْ يُثِيبُ عَلَى الْعَمَلِ، وَأَنَّ الْإِشْتَغَالَ بِطَاعَتِهِ أَوْلَى.

وبالجملة فَإِنَّ الْإِنْسَانَ الْمُسْلِمَ تَبْتَدِئُ حَيَاتُهُ أَوَّلَ مَا يَفِدُ إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالتَّكْبِيرِ يَنَادِي فِي أُذُنِهِ عَقِبَ الْوِلَادَةِ كَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي رَافِعٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَذَّنَ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ بِالصَّلَاةِ^(١).

وتختتم بالتكبير حين يصلي عليه قبل الدفن كل ذلك ليقطع المسلم مراحل حياته ما بين الحين والحين وهو معظم لربه ومكبره.

أنواع التكبير:

قال الإمام النيسابوري: التكبير أنواع منها:

١- تكبيره في صفاته بأن يعتقدها كلها من صفات الجلال والإكرام وفي غاية العظمة ونهاية الكمال، وأنها منزهة عن سمات التغير والزوال والحدوث والانتقال.

٢- تكبير الله في أحكامه، وهو أن يعتقد أنَّ أحكامه كلها جارية على سنن الصَّواب، وقانون العدالة^(٢).

من ثمرات التكبير:

١- أَنَّهُ مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ.

٢- عَظَمَ أَجْرَ صَاحِبِهِ.

٣- أَنَّهُ يَغْرَسُ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَالْخَوْفَ مِنْهُ وَرَجَاءَ مَا عِنْدَهُ.

٤- أَنَّهُ مِنْ عَوَامِلِ الثَّبَاتِ عِنْدَ الْمَلَمَاتِ.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينُ ﴿١﴾ قَدْ فَانَدَرَ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَيَا بَاكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجِرْ ﴿٥﴾﴾ [المدر، الآية: ١ - ٥].

التكبير من صفات المحسنين: قال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْفَايِعَ وَالْمُعَتَرِّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَوِيُّ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ وَبَشِّرِ

(١) الترمذي (٩٧/٤) (١٥١٤) وقال: حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٦١/٣) (٤٢٥٨).

(٢) غرائب القرآن للنيسابوري (١٠٤/٨) بهامش تفسير الطبري.

الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ [الحج، الآية: ٣٦، ٣٧].

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة التكبير:

يمكن للمؤمن أن يحقق ذلك بأن يعظم الله تعالى بلسانه قولاً وبقلبه اعتقاداً بأنه جلّ جلاله الكبير الذي هو أكبر من كل شيء وأكبر من أن يحيط بكنهه أحد من مخلوقاته ويكبر الله تعالى في أحكامه باعتقاد أنّها كلها جارية على سنن الصواب وقانون العدالة يفعل ذلك كله، وهو على حاله وكأنه ينظر إلى كبرياء الله وعظمته، يتغني بذلك وجه الله تعالى وحده دون سواه.

٣ - التسبيح :

التسبيح لغة :

مصدر سَبَّح وهو مأخوذ من مادة (س ب ح) التي تدور حول معنيين :
الأول : جنس من العبادة ، والآخر جنس من السعي ^(١) وسَبَّح الرجل
قال سبحانه الله ^(٢) .

واصطلاحاً :

قال ابن حجر - رحمه الله - : التسبيح يعني قول سبحانه الله ، ومعناه :
تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص ، فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد
وجميع الرذائل ، ويطلق التسبيح ويراد به جميع ألفاظ الذكر ، وجماع معناه .
منزلة التسبيح :

للتسبيح في الدين الإسلامي منزلة سامية فقد افتتح الله به جملة من
السور في القرآن الكريم مثل سورة الإسراء والحديد، والحشر، والصف،
والجمعة، والتغابن وغيرها، وقد أمر به في قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ ﴾ [الأحزاب] وهو العمل الذي لا
ينقطع عنه المؤمن لا في الدنيا ولا في الجنة كما جاء عن أبي هريرة - رضي
الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «أول زُمرة تلج صورتهم على صورة
القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون، آتيتهم فيها
الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك،
ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا
اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلبٌ واحدٌ يسبحون الله بكرة وعشيًا» ^(٣) .
والتسبيح من أحب الكلام إلى الله تعالى كما جاء عن أبي هريرة
- رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «كلمتان خفيفتان على اللسان
ثقلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحانه الله وبحمده ، سبحانه الله
العظيم» ^(٤) .

وعن أبي سعيد وأبي هريرة - رضي الله عنهما - : قالوا : قال النبي ﷺ
«أفضل الكلام أربع : سبحانه الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله
أكبر» ^(٥) .

(١) المقاييس (١٢٥/٣) .

(٢) اللسان (٤٧٢/٢) .

(٣) صحيح مسلم (٢٠١٧٨/٣) (٢٨٣٤) .

(٤) صحيح مسلم (٢٠٧٢/٣) (٢٦٩٤) .

(٥) صحيح ابن خزيمة (١٨٠/٢) (١١٤٢) .

وهو سبب من أسباب المغفرة وإجابة السؤال وأن يجير الله العبد مما يستجار منه كما ورد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال: أو زاد عليه»^(١).

عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ - تبارك وتعالى - ملائكةٌ سيَّارةٌ فضلاً يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم، وحفَّ بعضهم بعضاً بأجنتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال: فيسألهم الله عزَّ وجل، وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادٍ لك في الأرض، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال: وما يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي ربِّ، قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك، قال: ومم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب، قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا، قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك قال: فيقول: قد غفرتُ لهم، فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا، قال: فيقولون: ربِّ فيهم فلان عبد خطاء، إنَّما مرَّ فجلس معهم، قال: فيقول: وله غفرتُ هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»^(٢).

وفي التسبيح قوة جسدية ومعونة من الله تعالى للمسيح.

عن علي - رضي الله عنه - أنَّ فاطمة اشتكت ما تلقى من الرَّحَى في يدها، وأتى النبي ﷺ سُبَيْءٌ فأنطلقت فلم تجده، ولقيت عائشة، فأخبرتها فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليها، فجاء النبي ﷺ إلينا، وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال النبي ﷺ: «علي مكانكما» فقعد بيننا حتَّى وجدتُ برد قدمه عليَّ صدري، ثم قال: «ألا أعلمكما خيراً مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما، أن تكبرا الله أربعاً وثلاثين، وتسبحاه ثلاثاً وثلاثين، وتحمداه ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم»^(٣).

وكل تسبيحة بعشر حسنات أو ما يعادلها من حط السيئات أو أكثر.

عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: كُنَّا عند رسول الله ﷺ فقال: «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟» فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: «يسبح مائة تسبيحة، فيكتب له ألف

(١) صحيح مسلم (٢٠٧١/٣) (٢٦٩٢).

(٢) صحيح مسلم (٢٠٦٩/٣) (٢٦٨٩).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٥٠٦/٩) (٥٣٦١).

حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة»^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من قال سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة مرة، حطت خطاياها، وإن كانت مثل زبد البحر»^(٢).

وكل تسبيحة صدقة فسبحان الله كم من صدقات وميراث يأتي بها المسبحون يوم القيامة.

عن أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزيء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»^(٣).

وفي التسبيح تشترك المخلوقات من إنسان، وملك وحيوان وجماد.
قال الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء، الآية: ٤٤]، وأما كيفية تسبيحها فالله عالم به ليس مما تحت قدرتنا معرفته، إلا أن نؤمن به ويزيدنا إيماناً و يقيناً بربنا تبارك وتعالى، وقد سبق الدليل على تسبيح الإنسان والملائكة الكرام، وهذه الأحاديث تبين عن تسبيح الحيوان والجماد.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قرصت نملة نبياً من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله»^(٤).

وعن عبدالله - رضي الله عنه - قال: كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء، فقال: «اطلبوا فضلة من ماء» فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: «حي على الطهور المبارك، والبركة من الله» فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام، وهو يؤكل^(٥).

وقد كان النبي ﷺ يستعين بالتسبيح في كشف الملمات والصعاب كما جاء ذلك عن عبدالرحمن بن سمرة، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قال: «كنت أرتمي، بأسهم لي بالمدينة في حياة رسول الله ﷺ إذ كسفت الشمس

(١) صحيح مسلم (٢٠٧٣/٣) (٢٦٩٨).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٢٠٦/١١) (٦٤٠٥).

(٣) المصدر السابق (١٤٨/١٠) (٢٦١٨).

(٤) المصدر السابق (٢١٥/٨) (٤٤٨٢).

(٥) صحيح البخاري (٥٨٧/٦) (٣٥٧٩).

فنبذتها فقلتُ: والله لأنظرنَّ إلى ما حدث لرسول الله ﷺ في كسوف الشمس قال: فأتيته وهو قائم في الصلاة، رافع يديه فجعل يسبح ويحمد ويهلل ويكبر ويدعو، حتَّى حَسِرَ عنها قال: فلمَّا حَسِرَ عنها، قرأ سورتين وصلى ركعتين»^(١).

والتسبيح من العبادة التي تشترك فيها جميع المخلوقات كما قال تعالى: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء].

التسبيح من صفات المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يُؤْخَذُ لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٣٩] إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِثَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ [الصافات، الآية: ١٣٩ - ١٤٤].

وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [٣٦] رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ [النور، الآية: ٣٦، ٣٨].

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأول القرآن»^(٢).

من ثمرات التسبيح:

- ١- أنَّ التسبيح يصل بالمرء المسلم إلى تعظيم ربه وتقديسه.
 - ٢- عظم أجر المسبحين.
 - ٣- سبب في محبة الله تعالى لعبده المؤمن به.
 - ٤- أنَّه يحدث في النفس والبدن قوة ونشاطاً يلحظه المسبح عند التسبيح.
- تحقيق مرتبة الإحسان في صفة التسبيح:
- يمكن للمؤمن أن يحقق ذلك بأن يواطأ قلبه لسان في تعظيم الله وتقديسه وتنزيهه وهو على حاله وكأنه ينظر إلى ربه تعالى والله تعالى يسمع تسبيحه ويثيبه عليه يفعل ذلك كله ابتغاء مرضاة الله تعالى.

(١) صحيح مسلم (٦٢٩/١) (٩١٣).

(٢) المصدر السابق (٣٥٠/١) (٤٨٤).

٤ - الحمد

الحمد لغة:

مصدر مأخوذ من مادة (ح م د) التي تدل على خلاف الذم بمعنى الثناء^(١)
واصطلاحاً:

قال ابن القيم - رحمه الله -: الحمد: إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه^(٢).

وقال الجرجاني - رحمه الله -: الحمد: هو الثناء على الجميل من جهة التعظيم من نعمة وغيرها^(٣).

وقال الراغب - رحمه الله -: الحمد لله تعالى، . هو الثناء عليه بالفضيلة^(٤).

مكانة الحمد:

المحمود المثنى عليه هو الله عز وجل وهو الحميد بحمده لنفسه كما قال تعالى: ﴿يَسْمِىَ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [الفاتحة] وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر، الآية: ١] وغيرهما من الآيات كثير جداً وبحمد عباده له أبداً في الدنيا والآخرة كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى عن أهل الجنة: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْمُدُكَ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [يونس، الآية: ١٠]. ويرجع هذا إلى صفات الجلال والعلو والكمال^(٥) لذا كان من الواجب على الحامد أن يكون عالماً بأسماء الله وصفاته ليتحقق حمده إياه^(٦).

ولا ريب أن حمد الله تعالى من أعظم أنواع العبادة لذلك أمر به في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ۝﴾ [الإسراء، الآية: ١١١] وقال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ۚ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ۝﴾ [النمل، الآية: ٥٩] وقد رتب الله تعالى على الحمد أجوراً عظيمة كما جاء على لسان رسوله محمد ﷺ عن أبي مالك الأشعري، - رضي الله عنه - قال: رسول الله ﷺ: «الطهور شطر

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ١٠٠)، والصحاح (٢/ ٤٦٦). واللسان (٣/ ١٥٥-١٥٨).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٩٣).

(٣) التعريفات (٩٣).

(٤) المفردات (١٣١).

(٥) انظر: المقصد الأسنى (١٣٠).

(٦) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٩٣).

الإيمان والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض والصلاة، نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»^(١).

ففي الحديث انفراد الحمد بملئه الميزان واشترك في ملئه ما بين السماوات والأرض، فيالله ما أعظم قدر الحمد وأجل مثوبته فقد جاء عن رفاعه بن رافع - رضي الله عنه - قال: كنا يوماً نصلي وراء النبي ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة، قال: «سمع الله لمن حمده» قال رجل: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف قال: «من المتكلم؟» قال: أنا قال: «رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول»^(٢).

والله من فضله وكرمه وجوده رضي من عبده بالحمد على نعمه فأعطى الكثير ورضي بالقليل كما جاء عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله، إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ»^(٣) والحمد من الكلمات الأربع المحبوبة لله تعالى، يؤيد ذلك حديث سمرة بن جندب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت..»^(٤) وقد كان النبي ﷺ يفتتح خطبه بالحمد.

عن أبي شريح أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة، ائذن لي أيها الأمير، أحدثك قولاً قال به النبي ﷺ الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي، وأبصرته عيني، حين تكلم به. حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن مكة حرّمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ولا يعضد بها شجرة، فإن أحدٌ ترخص لقتال رسول الله ﷺ، فيها فقولوا: إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب» فقبل لأبي شريح ما قال لك عمرو؟ قال: أنا أعلم منك يا أبا شريح ما قال لك عمرو؟ قال: أنا أعلم منك يا أبا شريح ما قال لك عمرو؟ قال: أنا أعلم منك يا أبا شريح إن مكة لا تعيد عاصياً ولا فارّاً بدم، ولا فارّاً بخربة»^(٥).

(١) صحيح مسلم (٢٠٣/١) (٢٢٣).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٢٨٤/٢) (٧٩٩).

(٣) سنن ابن ماجه (١٢٥٠/٢) (٣٨٠٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٧٥/٢) (٥٥٦٣).

(٤) صحيح مسلم (١٦٨٥/٢) (٢١٣٧).

(٥) صحيح البخاري، الفتح (١٩٧/١) (١٠٤).

وكان ﷺ يقول كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»^(١).

أنواع الحمد:

الحمد نوعان: الأول: حمد اللسان وهو ثناؤه على الله تعالى بما أثنى به على نفسه وعلى لسان أنبيائه.

والثاني: حمد الجوارح: وهو الاتيان بالأعمال البدنية، ابتغاء لوجه الله تعالى^(٢).

الحمد من صفات المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل، الآية: ١٥]. وقال تعالى عن إبراهيم - عليه السلام -: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم، الآية: ٣٩].

وعن عبدالله بن أبي أوفى - رضي الله عنهما - قال: إن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم لك الحمد ملء السماء وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد، اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ»^(٣).

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بعد أن لبس ثوباً جديداً فلماً بلغ ترقوته، قال: «الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأتجمل به في حياتي»^(٤).

وكان عروة بن الزبير - رضي الله عنهما - لا يؤتى أبداً بطعام ولا شراب، حتى الدواء فيطعمه أو يشربه، إلا قال: الحمد لله الذي هدانا وأطعمنا وسقانا ونعمنا، الله أكبر، اللهم ألفتنا نعمتك بكل شر، فأصبحنا منها وأمسينا بكل خير، نسألك تمامها وشكرها، لا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك، إله الصالحين، ورب العالمين، الحمد لله ولا إله إلا الله ما شاء الله ولا قوة إلا بالله، اللهم بارك لنا فيما رزقنا وقنا عذاب النار»^(٥).

(١) صحيح مسلم (٢٠٧٢/٣) (٢٦٩٥).

(٢) انظر: التعريفات (٩٢-٩٣).

(٣) صحيح مسلم: (٣٤٦/١) (٤٧٦).

(٤) عدة الصابرين (١٢٥).

(٥) الموطأ (٩٣٤، ٩٣٥).

من ثمرات الحمد:

- ١- به يتحقق رضا الله تعالى للحامد.
- ٢- أنه من أرفع الطاعات وأعلى القربات.
- ٣- أنه سبب في زيادة النعم.
- ٤- أنه سبب في دخول الجنة.
- ٥- أن فيه قوة للبدن.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الحمد:

يمكن للمرء المسلم أن يحقق ذلك بأن يواظب على قلبه لسانه بالحمد ثناء على الله تعالى مع محبته وإجلاله وتعظيمه ابتغاء وجهه وهو على حالة كأنه ينظر إلى الله جلّ وعلا.

٥ - الحوقلة

الحوقلة لغة :

مصدر حوقل الرجل إذا قال : لا حول ولا قوّة إلاّ بالله^(١) .

قال الراغب - رحمه الله - : «أما الحولُ في اللغة فأصله تغير الشيء وانفصاله عن غيره»^(٢) .

الحوقلة اصطلاحاً :

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في : «لا حول ولا قوّة إلاّ بالله» قال : «لا حول بنا على العمل بالطاعة إلاّ بالله، ولا قوة لنا على ترك المعصية إلاّ بالله»^(٣) .

وعن زهير بن محمّد أنّه سئل ، عن تفسير : «لا حول ولا قوّة إلاّ بالله» قال : لا تأخذ ما تحب إلاّ بالله، ولا تمنع مما تكره إلاّ بعون الله»^(٤) .

قال ابن الأثير - رحمه الله - والمعنى بهذا اللفظ إظهار الفقر إلى الله تعالى بطلب المعونة على ما يزاوله من الأمور^(٥) .

حقيقة لا حول ولا قوة إلاّ بالله :

قال ابن القيم - رحمه الله - : «ليس في الوجود الممكن سببٌ واحد مستقل بالتأثير، بل لا يؤثّر سببٌ البتّة إلاّ بانضمام سببٍ آخر إليه وانتفاء مانع يمنع تأثيره هذا في الأسباب المشهودة بالعيان، وفي الأسباب الغائبة والأسباب المعنوية كتأثير الشمس في الحيوان والنبات، فإنّه موقوف على أسبابٍ أخرى، من وجود محلٍ قابلٍ وأسبابٍ أخرى تنضم إلى ذلك السبب، وكذلك حصول الولد موقوف على عدة أسبابٍ غير وطء الفحل، وكذلك جميع الأسباب مع مُسَبِّبَاتِهَا، فكل ما يخافُ ويرجى من المخلوقات فأعلى غاياته أن يكون جزء سببٍ غير مستقل بالتأثير، فإنّه لو فرض أنّ ذلك سببٌ مستقل وحده بالتأثير لكانت سَبَبِيَّتُهُ من غيره لا منه، فليس له من نفسه قوّة يفعل بها؛ فإنّه لا حول ولا قوة إلاّ بالله، فهو الذي بيده الحول كله والقوة كلها، فالحول والقوة التي يرجى لأجلهما لمخلوق ويخاف إنّما هما لله وبيده في الحقيقة، فكيف يخاف ويرجى من لا حول له ولا قوّة، بل خوفُ المخلوق ورجاؤه أحدُ أسباب الحرمان ونزول المكروه بمن يرجوه ويخافه،

(١) لسان العرب (٤٦٨٨/٨)، الصحاح (١٦٧٢/٤)، المصباح المنير (٦٣٩/٢).

(٢) المفردات : (١٣٧).

(٣) الدر المنثور (٣٩٣/١٥).

(٤) الدر المنثور (٣٩٤/١٥).

(٥) جامع الأصول (٣٩٨/٤).

فإنَّه على قدر خوفك من غير الله يسَلِّط عليك، وعلى قدر رجائك لغيره يكون الحرمان وهذا حال الخلق أجمعه وإن ذهب عن أكثرهم علماً وحالاً، فمأشأ الله كان ولا بد، وما لم يشأ لم يكن، ولواتَّفقت عليه الخليفة^(١).
مكانتها:

إذا كانت الحقولة بهذا المعنى فإنَّها حقيقة العبودية لله تعالى يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة، الآية: ٥].
فالمعني على عبادته تعالى هو وحده دون سواه وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف، الآية: ٣٩] توبيخ على ترك الإقرار بأنَّ مشيئة الله وقوته وحده دون سواه هي السبب في إعطاء الجنة وما الأسباب الأخرى إلَّا من مشيئته وقوته تعالى^(٢).
وهذه الكلمة الطاهرة هي كنز من كنوز الجنة.

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: كنَّا مع النَّبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال: «اربعوا على أنفسكم، فإنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، تدعون سميعًا بصيرًا، قريبًا ثم أتى علي وأنا أقول في نفسي لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله، فقال: «يا عبد الله بن قيس، قل: لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله، فإنَّها كنز من كنوز الجنة» أو قال: «ألَّا أدلك به»^(٣).
وهي وصية الرِّسول ﷺ لأتباعه.

عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أنَّه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني كلامًا أقوله، قال: «قل لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، سبحان الله ربَّ العالمين، لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العزيز الحكيم» قال هؤلَاء لربي، فما لي؟ قال: «قل اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني»^(٤).

عن قتادة: «إنَّ عثمان كان إذا سمع المؤذن يقول كما يقول في التَّشهد والتَّكبير كله، فإذا قال: حيَّ على الصلاة قال: ما شاء الله ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله...»^(٥).

وقال الزمخشري: «لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلَّا بالله تعالى، وعن عروة بن الزبير أنَّه كان يثلم حائطه أيام الرطب، فيدخل من

(١) الفوائد (٥٢/١).

(٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٣٢٤/١٥).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٧٣٨٦/١٣).

(٤) صحيح مسلم (٢٠٧٢/٣) (٢٦٩٦).

(٥) المصنف (٢٠٦/١).

شاء، وكان إذا دخله يردد ما شاء الله لا قوة إلا بالله حتى يخرج»^(١).
من ثمرات الحوقلة:

١- في قولها نجاة من الشيطان.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إذا خرج الرَّجُل من بيته، فقال: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قال: يُقَالُ حينئذٍ: هُدِيََتْ وَكُفِّيَتْ وَوُقِّيَتْ فَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجلٍ قد هُدي وكُفي ووُقي»^(٢).

٢- أنَّ قولها سبب في استجابة الدعاء، وقبول الأعمال:

عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله»، ثم قال: «اللَّهُمَّ اغفر لي أو دعا استُجيب فإن تَوْضُأً قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»^(٣).

٣- عظم أجر قائلها: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «خرج رسول الله ﷺ من عند جويرية، وكان اسمها برة، فحول اسمها، فخرج وهي في مصلاًها ورجع وهي في مصلاًها، ورجع وهي في مصلاًها، فقال: «لم تزال في مصلاك هذا؟ قالت: نعم قال، قال: قد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرَّات لو وُزِنَتْ بما قلت لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته»^(٤).

٤- أنَّ قولها سبب في دخول الجنة: عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم، الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: أشهد أن محمداً رسول الله، ثم قال: حيَّ على الصَّلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: حيَّ على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله، قال:

(١) الكشاف (٣٩١/٢).

(٢) سنن أبي داود (٣٢٨/٥) (٥٠٩٥). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٥٩/٣) (٤٢٤٩).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٣٩/٣) (١١٥٤).

(٤) سنن أبي داود (١٧١/٢) (١٥٠٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٠/١) (١٣٣١).

لا إله إلا الله من قلبه، دخل الجنة»^(١).

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الحوقلة:

إذا قال المؤمن لا حول ولا قوة إلا بالله افتقارًا إلى الله تعالى وتبرءً من كل حيلة وقوة وطلبًا للمعونة من الله وحده دون سواه معتقدًا أنه لا يغير ما به من نعمة أو سوء إلا هو تعالى يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى وهو على حال وكأنه ينظر إلى الله القوي الغالب فإنه قد أحسن في قولها.

(١) صحيح مسلم (٢٨٩/١) (٣٨٥).

٦ - الحسبة (حسبى الله ونعم الوكيل)

وتعريفها:

أ - الحسب لغة : اسم فعل بمعنى يكفي^(١)

يقول ابن فارس - رحمه الله -: «الحاء والسين والباء أصول أربعة، فالأول العدُّ والثاني: الكفاية والثالث: الوسادة الصغيرة، والرابع: الذي ابيضت جلده من داء ففسدت شعرته، كأنه أبرص»^(٢).

أورد ابن منظور - رحمه الله - : في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال، الآية: ٦٤] قال جاء التفسير بكيفيك الله، وكيفي من اتبعك (٣).

ب - ونعم لغة: كلمة تستعمل في المدح^(٤).
واصطلاحًا:

قال الكفوي - رحمه الله -: «حسبنا الله» كناية عن قولهم: اعتمدنا كما أنَّ «نعم الوكيل» كناية عن وكلنا أمورنا إلى الله تعالى^(٥).

وقال الراغب - رحمه الله -: «حَسْبُ» يستعمل في معنى الكفاية «حسبنا الله» أى كافينا^(٦).

مکانتھا :

وردت هذه العبارة المباركة بهذا المعنى في القرآن العظيم في مواضع أعقبها الفرجُ والروحُ والطمأنينةُ منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٦) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٧) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى دِيَارِهِمْ فَأَتَى الْفِيلَ أَمْرٌ مِنْ اللَّهِ ففَضَّلَهُ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (١٧٨) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٩) [آل عمران، الآية: ١٧٢ - ١٧٥].

وهذه الآيات الكريمات تحكي ما كان من أمر الرسول ﷺ وأصحابه بعد معركة أحد وقد أصابتهم الجراح فلما بلغ المشركون موضعاً يقال له: الروحاء خطر لهم أن يعودوا إلى المسلمين ليستأصلوهم إلا أنهم أرسلوا نعيم بن مسعود الأشجعي ليخبر الرسول ﷺ أن بدرًا موعدهم من قابل ووافق

(١) الكليات (٣٩٧).

(٢) المقاييس (٢٦٣) مختصراً.

(٣) اللسان (١/٣١٢).

(٤) المفردات (٥٢١).

(٥) الكلّيات (٣٩٨).

(٦) البصائر (٢/٤٦٢).

أَنَّ الرَسُولَ ﷺ قَدْ انتَدَبَ مِنْ كَانَ مَعَهُ فِي أَحَدٍ وَإِنْ كَانَ جَرْحُهُ يَثْغِبُ دَمًا إِلَى الذَّهَابِ وَرَاءَ قَرِيْشٍ لَتُرْوِيْعُهُمْ وَلِيُرِيْعَهُمْ أَنَّ بِهِمْ قُوَّةً وَجَلْدًا، فَقَابَلُوا نَعِيمَ بْنِ مَسْعُودٍ فِي حِمْرَاءِ الْأَسَدِ وَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ فَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ قَابِلٍ خَرَجَ الرَسُولُ ﷺ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَوَاقِفًا بَدْرًا فَلَمْ يَجِدُوا بِهَا أَحَدًا مِنْ قَرِيْشٍ وَمَكْثُوا أَيَّامًا يَتَاجِرُونَ وَرَبِحُوا مَالًا وَفِرًا، وَانْقَلَبُوا سَالِمِينَ مُنْتَصِرِينَ ^(١).

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ^(٢) [آل عمران، الآية: ١٧٣] والآية الثانية جاءت إرشادًا للمنافقين الذين عابوا على الرسول ﷺ تفريق الصدقات وطعنوا عليه قسمته فيها بقولهم زورًا وبهتانًا إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَا يُعْطِي إِلَّا مِنْ أَحَبِّ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ ^(٣) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةُ فُلُوقُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ [التوبة، الآية: ٥٨ - ٦٠].

قال البغوي - رحمه الله -: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ أي قنعوا بما قسم لهم الله ورسوله: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ كافينا ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ ما نحتاج إليه: ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ ^(٤) في أن يوسع علينا من فضله فيُغْنينا عن الصدقة وغيرها من أموال الناس، وجواب ﴿لو﴾ محذوف أي: لكان خيرًا لهم وأعود عليهم ^(٥).

وفي الآية الثالثة يأمر الله تعالى رسوله بالحسيلة بعدما استفرغ الوسع والطاقة في هداية أهل الضلال الذين لم ينفعهم النصيح ولم تجد فيهم الموعظة فأعرضوا عن الإيمان وناصبوا الرسول ﷺ العداء إن سرًا فسرًا وإن جهراً فجهرًا أمر بها ﷺ لتكون زادًا له في مسيرة الدعوة وقوة على خصوم الإيمان قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ^(٦) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي

(١) انظر: تفسير البغوي (١/٢٩٣، ٢٩٥).

(٢) صحيح البخاري (٤/١٦٦٢) (٤٢٨٧).

(٣) تفسير البغوي (٢/٢٥٥).

كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ [التوبة، الآية: ١٢٤ - ١٢٩].

وفي الآية الرابعة يأمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يقول للمشركين الذين يُخَوِّفُونَهُ الْأَوْثَانِ من دون الله أنها لا تملك نفعا ولا ضرا فما كانوا يقرون بذلك وإنما يقولون إن لها شفاعة أمره الله تعالى بأن يقول حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون أي كفييني من بيده النفع والضرر وحده دون سواه^(١) قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ أَلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر، الآية: ٣٦ - ٣٨] وهكذا ينبغي لمن دهمه أمر لا طاقة له به أن يقول حسبي الله ونعم الوكيل.

الحسيلة صفة من صفات المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٧٢] والقائلون هم الرسول محمد ﷺ والصحابة - رضي الله عنهم -.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: قال: كان آخر قول إبراهيم حين أُلقي في النار: «حسبي الله ونعم الوكيل»^(٢).

عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ فكان ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ فقال لهم: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»^(٣).

من ثمرات الحسيلة:

١- أن في قولها صدق اللجأ والتوكل على الله تعالى.

٢- أن قائلها يحقق العبودية لله تعالى بالدعاء.

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٥/١٦٨).

(٢) صحيح البخاري (٤/١٦٦٢) (٤٢٨٨).

(٣) سنن الترمذي (٤/٦٢٠) (٢٤٣١) وحسنه وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/٨٤٢) (٤٥٩٢).

٣- أنَّها من أهم أسباب النصر على العدو.

٤- أنَّها تعين قائلها على إدراك ما أراد ودفع ما أهمه.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الحسيلة:

عندما يقولها المسلم بلسانه، ويعتقد معناها بقلبه، أنَّ الله كافيه ومتولي أمره، على الحقيقة وهو على حال وكأنه ينظر إلى ربه تعالى موقناً بالفرج والظفر والضفر فقد حقق مقام الإحسان في الحسيلة.

٧ - الاسترجاع

التعريف لغة:

قال الراغب - رحمه الله -: استرجع فلان إذا قال: إنا لله وإنا إليه راجعون^(١) وقال ابن الأثير - رحمه الله - يقال منه رجّع واسترجع^(٢). واصطلاحاً:

هو القول المطابق للاعتقاد لمن أصابته مصيبة أنّه ملك لله تعالى يتصرف فيه كيف يشاء فلا جزع مما أتاه، مع علمه أنّه صائر إليه فيشبهه على ذلك^(٣).

مكانته وفضله:

امتدح الله تعالى عباده الصابرين الذين لم تسهم المصيبة ذكر ربهم فصبروا أكمل الصبر وأحسنه المقترن بعلمهم أنّهم عباد الله تعالى يتصرف فيهم كيف يشاء راجين المثوبة منه تعالى على ذلك فقال جلّ ذكره: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١٥٦) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(١٥٨) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(١٥٩) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(١٦٠) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُمْتَدُونَ﴾^(١٦١) [البقرة، الآية: ١٥٣ - ١٥٧].

وقد جعل الله جزاء من صبر واسترجع عند فقد حبيب له بينا في الجنة يقال له بيت الحمد.

عن أبي سنان قال: دفنتُ ابني سناناً وأبو طلحة الخولاني جالس على شفير القبر، فلما أردتُ الخروج أخذ بيدي فقال: ألا أبشرك يا أبا سنان! قلتُ: بلى فقال: حدّثني الضّحّاك بن عبد الرحمن بن عرزب عن أبي موسى الأشعري؛ أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي! فيقولون: نعم فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده! فيقولون نعم: فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمّوه بيتَ الحمد»^(٤)

الاسترجاع صفة المحسنين:

عن أم سلمة - رضي الله عنهما - أنّها قالت: سمعت رسول الله ﷺ

(١) المفردات (١٩٤).

(٢) النهاية (٢/٢٠٢).

(٣) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٢/٥٧).

(٤) سنن الترمذي (٣/٣٣٢) (١٠٢١) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٢٩٨) (٢٩٨).

يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول: ما أمره الله إنّا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها، إلّا أخلف الله له خيراً منها».

قالت: فلمّا مات أبوسلمة قلتُ: أي المسلمين خيراً من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ثمّ إنني قُلْتُها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ. قالت: أرسل إلى رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له فقلت: إنّ لي بنتاً وأنا غيور فقال: «أما ابنتها فندعو الله أن يُغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة»^(١).

من ثمرات الاسترجاع:

١- أنّ الاسترجاع للعبد دليل تسليم صادق للقضاء القدر.

٢- ما استرجع عبد صادقاً إلّا عوضه الله خيراً مما فاته.

٣- عظم ثواب المسترجعين في الجنة.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الاسترجاع: إذا قال العبد عند مصيبتِهِ
إِنّا لله وإنا إليه راجعون معتقداً معنى ذلك بقلبه محتسباً أنّه مَلِكٌ لله تعالى
يتصرف فيه كيف يشاء فلا يجزع مما أتاه عالماً أنّه صائر إليه فيئيبه على ذلك
في الدنيا والآخرة وهو على حال كأنه حين قولها ينظر إلى ربه تعالى، فقد
بلغ مرتبة الإحسان في استرجاعه حينئذٍ.

(١) صحيح مسلم (٦٣١/١) (٩١٧).

٨ - الاستغفار

الاستغفار لغة:

مصدر مأخوذ من مادة (غ ف ر) التي تدل على السَّتر، والغفر، والغفران بمعنى^(١).

واصطلاحاً: الاستغفار من طلب الغُفران بالمقال والفعال، والغفران تغطية الذنب بالعتو عنه، والغفران والمغفرة من الله تعالى: هو أن يصون العبد من أن يمسه عذاب^(٢).

مكانة الاستغفار:

الاستغفار من أعلى مراتب الأذكار التي رتب الباري جلّ وعلا عليها المغفرة والأجر الجزيل.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قال الله: يا ابن آدم، إنَّك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذُنُوبُك عنان السماء ثمَّ استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنَّك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»^(٣).

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربّه عزّ وجل قال: «أذنبَ عبدٌ ذنباً فقال: اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: أذنبَ عبدي ذنباً فعلم أن له ربّاً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى عبدي أذنبَ ذنباً فعلم أن له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: أذنبَ عبدي ذنباً فعلم أن له ربّاً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرتُ لك» قال عبدالأعلى: لا أدري أقال في الثالثة أو الرابعة: «اعمل ما شئت»^(٤).

والمراد اعمل ما شئت من الذنوب إن غلبتك نفسك الأمانة بالسوء والهوى والشيطان ثم استغفر الله يغفر لك، ما دام أنَّك على حالة المجاهدة مع الندم، والاستغفار محبوب لله تعالى لأنَّ فيه الرجوع إلى الله والاعتراف بالذنب وطلب ستره ومحوه والخلوص من عقوبته، وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا

(١) اللسان (٢٥/٥، ٢٦) باختصار.

(٢) القاموس المحيط (١٠٣/٢) والمفردات (٣٦٢).

(٣) سنن الترمذي (٥٤٨/٥) (٣٥٤٠).

(٤) صحيح مسلم (٢١١٢/٣) (٢٧٥٨).

لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله، فيغفر لهم»^(١).
 قال ابن علان - رحمه الله - «دلَّ الحديث على محبة الله تعالى للاستغفار، لأنه فيه عظم عفو الله عن المذنبين وحسن تجاوزه عنهم»^(٢).
 ومما يعزز مكانة الاستغفار حديث القرآن الكريم عنه في آيات كثيرة من ذلك:

الأمر به في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مَنَاسِكَاتِكُمْ مَنَاسِكَاتِكُمْ مَنَاسِكَاتِكُمْ﴾ [هود، الآية: ٣]. وحثَّ عباده عليه فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعُكُمْ بَيْنَكُمْ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ عَنِ الصِّدْقِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة، الآية: ٧٤] وقد شاهدت أنَّ الآيات الواردة في الاستغفار أغلبها ختم بالحلم والرحمة والود والعفو منه سبحانه وتعالى للمستغفرين وما ذاك إلا لِیُحِبَّ عباده تعالى في الاستغفار ويحضهم عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة، الآية: ٢٣٥] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء، الآية: ٤٣] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ [البروج، الآية: ١٤] وهذه الآيات وأمثالها تفتح للنفس البشرية الباب على مصراعيه للعودة الصادقة إلى الله تعالى ليتحقق تعبد الله تعالى بهذه الصفات والأسماء الحسنى.

ولما كان الأنبياء والرسل عليهم السلام هم أعرف الخلق بالله تعالى وبسعة رحمته ومغفرته وإحسانه. أمروا أقوامهم بالاستغفار وأبانوا لهم عن فضله ومكانته فهذا هود عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَيَقُولِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود، الآية: ٥٢] وكذلك كانت الرسل عليهم السلام تستغفر لأتباعهم كما قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح، الآية: ٢٨] وقد أثنى الله على المستغفرين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا

(١) صحيح مسلم (٢١٠٦/٣) (٢٧٤٩).

(٢) الفتوحات الربانية شرح الأذكار النووية (١٨١/٧).

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٥، ١٣٦]
قبول الاستغفار:

إذا انتفت موانع صحة الاستغفار وتوافرت شروط قبوله قبل مهما عظم الذنب.

والموانع هي: الإقامة على الكفر أو الشرك أو النفاق أو المعصية، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال، الآية: ٣٨] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء، الآية: ١١٦] وقال تعالى عن المنافقين:

﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة، الآية: ٨٠].
وأما الشروط فهي:

الأول: الإيمان بالله تعالى.

الثاني: أن يعلم المذنب أن الله وحده هو الذي يغفر الذنب وحده دون سواه.

الثالث: أن يعتقد العبد أن مغفرة الذنوب داخلية تحت مشيئة الله تعالى.

الرابع: الندم على ما فات.

الخامس: العزم على عدم العودة إلى الذنب.

السادس: التوبة النصوح الخالصة لوجه الله تعالى.

السابع: أن يستقبل المستغفر العمل الصالح ويداوم على فعله.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه، الآية: ٨٢] وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٥] وقال تعالى: ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [البقرة، الآية: ٢٨٤].

وقد سبق قريباً حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وهو نص في المسألة.

صيغ الاستغفار:

١- أن يقول المستغفر: أستغفر الله.

عن ثوبان - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا

الجلال والإكرام» وقال الوليد: أحد رواة الحديث ، فقلت للأوزاعي: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: «أستغفر الله، أستغفر الله»^(١).

٢- أن يقول المستغفر: اللهم اغفر لي.

عن عائشة - رضي الله عنها -: قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، يتأول القرآن»^(٢).

٣- سيد الاستغفار:

عن شداد بن أوس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء لك بذنبي اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» قال: «ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقنٌ بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»^(٣).

الاستغفار من صفات عباد الله المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ اخْذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِلَّا تَحَارَىٰ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات، الآية: ١٥ - ١٨] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [البقرة، الآية: ٥٨] وقولوا حطة: أي قولوا نستغفر الله^(٤).

ويستحث الله تعالى عباده إلى المسارعة بالاستغفار ليكتبهم من المحسنين قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٣، ١٣٤] وقال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٤٦ - ١٤٨].

(١) صحيح مسلم (٤١٤/١) (٥٩١).

(٢) صحيح مسلم (٣٥٠/١) (٤٨٤).

(٣) صحيح البخاري ، الفتح (٩٧/١١) (٦٣٠٦).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٩/١).

من ثمرات الاستغفار:

١- جلاء القلوب.

عن الأغر المزني - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»^(١).

٢- مغفرة الذنوب مهما عظمت.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: قال: قال رسول الله ﷺ: «من جلس في مجلس فكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك»^(٢).

عن بلال بن يسار بن زيد - رضي الله عنه - مولى النبي ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غُفر له وإن كان فرًّا من الزحف»^(٣).

٣- أمان من عذاب الله تعالى:

قال أبو موسى - رضي الله عنه - «كان لنا أمانان، ذهب أحدهما، وهو كون رسول الله ﷺ فينا، وبقي الاستغفار معنا، فإن ذهبنا هلكنا»^(٤) قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال، الآية: ٣٣].

٤- أنه سبب في نعيم الجنة قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [١٣٥] أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٥، ١٣٦].

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الاستغفار:

يستطيع عبدالله المؤمن أن يحقق ذلك بأن يطلب المغفرة من الله تعالى بلسان حاله ومقاله وفعاله بعد أن يحقق شروط القبول وانتفاء الموانع مخلصاً لله تعالى وهو على حال كأنه ينظر إلى ربه يسأله ذلك بافتقار وتذلل له جلّ وعلا.

(١) صحيح مسلم (٢٠٧٥/٣) (٢٧٠٢).

(٢) سنن الترمذي (٤٩٤/٥) (٣٤٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٦٥/٢).

(٣) سنن أبي داود (١٧٨/٢) (١٥١٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٤) مسند أحمد (٥٣٤/٥) (١٩٠١٢).

ثالثاً : ومن أقسام الإحسان القولي: الاعتراف بالفضل والشكر :
الاعتراف بالفضل لغة :

الاعتراف : مصدر اعترف بالشيء أي أقرَّ به ، وهو مأخوذ من مادة (ع ر ف) التي تدل على معنيين :

الأول : تتابع الشيء متصلاً بعضه ببعض ، ومن ذلك عُرِفَ الفرس ، والآخر السكون والطمأنينة ، ومنه المعرفة والعرفان^(١) ، وضد الاعتراف الجحود والنكران ، وفي القرآن الكريم : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾ [النحل ، الآية : ٨٣] .

ب - وأما الفضل : فهو الإحسان وهو ضد ، النقص والنقيصة ويقال : رجل مفضل وامرأة مفضالة على قومها إذا كانت ذات فضل سمحة^(٢) .
الاعتراف بالفضل اصطلاحاً :

هو أن يقرَّ المُحْسَنُ إليه من الناس بإحسان من أسدى إليه الإحسان ولا يجحده أو يتناساه سواء أكان المُحْسِنُ هو الله تعالى أم غيره^(٣) .
قال الله تعالى : ﴿ وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف ، الآية : ٢٣] .

والآية محتملة أن الإحسان من الله تعالى ، أو من عزيز مصر ، وقال سبحانه وتعالى آمراً الزوجين ببذل الفضل والاعتراف به : ﴿ وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة ، الآية : ٢٣٧] .

وهكذا يتصف الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بهذه الصفة الحميدة ، ومنهم سليمان - عليه السلام - كما حكى الله عنه ذلك بقوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رِبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل ، الآية : ٤٠] .

ويوسف - عليه السلام - كما قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا أَإِذَا نَاكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيَصِيرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يونس ، الآية : ٩٠] وفي قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي

(١) انظر : مقاييس اللغة (٤/ ٢٨١) .

(٢) لسان العرب (٦/ ٣٤٢٨ ، ٣٤٣٠) ، والصحاح (٥/ ١٧٩١ ، ١٧٩) .

(٣) مستنبط من التعريف اللغوي .

لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ [يوسف، الآية: ١٠٠]

وقد ذم الله عباده الذين لا يعترفون بالفضل أو ينسبونه إلى غير أهله كما جاء عن زيد بن خالد الجهني - رضي الله عنه - أنه قال: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِ عَلَى أَثَرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مَطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِالْكَوَاكِبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بَنُوهُ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ»^(١) وقد كان رسول الله ﷺ يعترف بفضل الله تعالى دبر كل صلاة حين يسلم.

عن عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما -: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يَسْلَمُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ لَهُ النِّعْمَةُ، وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»، وَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُهَلِّلُ بِهِ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ^(٢) وَهَكَذَا يَجِبُ الْاعْتِرَافُ لِأَهْلِ الْفَضْلِ بِفَضْلِهِمْ وَإِنْ كَانُوا كُفَرَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ - عَزَّوَجَلَّ»^(٣).

تحقيق مرتبة الإحسان في الاعتراف بالفضل لأهله:

إذا أقرَّ المسلم بإحسان من أسدى إليه الإحسان ما يجحده أو يتناساه قَلْبُهُ أو لِسَانُهُ أو جَوَارِحُهُ سواء أكان المحسن هو الله تعالى أم أحد من خلقه ابتغاء مرضاة الله، وهو على حال وكأنَّه ينظر إلى الله تعالى فقد بلغ مرتبة الإحسان في اعترافه بالفضل لأهله.

ب - الشكر:

الشكر لغة:

مصدر شَكَرَ يَشْكُرُ، وهو مأخوذ من مادة (ش ك ر) التي تدل على «الثناء على الإنسان بمعروف يُولِيكُهُ»^(٤).

وقال الراغب - رحمه الله -: الشكر، تصور النعمة وإظهارها^(٥).

(١) صحيح البخاري ، فتح (٢/٨٤٦).

(٢) صحيح مسلم (١/٤١٥) (٥٩٤).

(٣) مسند أحمد (٢/٢٥٨) وصححه أحمد شاكر.

(٤) المقاييس (٣/٢٠٧).

(٥) المفردات (٢٦٥).

وقال ابن منظور: - رحمه الله -: الشكر عرفان الإحسان ونشره^(١) وهو بمعنى كلام الراغب - رحمه الله - .

وقال ابن فارس - رحمه الله - وحقيقة الشكر الرضا باليسير، ومن ذلك فرس شكور وإذا كفاه لسمنه العلف القليل^(٢).
واصطلاحاً:

قال المناوي: - رحمه الله - الشكر شكران:
الأول: شكر باللسان: وهو الثناء على المُنعم، والآخر: شكر بجميع الجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر الاستحقاق والشكور الباذل وسعه في أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقاداً واعترافاً^(٣).
وشكر الله تعالى: هو ظهور أثر نعمته على لسان عبده: ثناء واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة^(٤).
منزلة الشكر:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر»^(٥).
قال الشعبي - رحمه الله -: «الشكر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله»^(٦).

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: قرن الله سبحانه الشكر بالإيمان وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به فقال: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ [النساء، الآية: ١٤٧] أي إن وفيتم ما خلقكم له، وهو الشكر والإيمان فما أصنع بعذابكم؟ وأخبر سبحانه أن أهل الشكر هم المخصوصون بمنته عليهم من بين عباده فقال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام، الآية: ٥٣]، وقسم الله سبحانه وتعالى الناس إلى شكور وكفور فأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله، وأحب الأشياء إليه الشكر وأهله قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان، الآية: ٣] وهذا كثير في القرآن، يقابل سبحانه بين الشكر والكفر فهو ضده، وعلّق الله سبحانه

(١) اللسان (٢٣٠٨، ٢٣٠٥/٤).

(٢) المقاييس (٢٠٧/٣).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٠٦، ٢٠٧).

(٤) مدارج السالكين (٢٤٤/٢).

(٥) سنن الترمذي (٦٥٣/٤) (٢٤٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣١/٢) (٣٩٤٢).

(٦) عدة الصابرين (١٢٤).

المزيد بالشكر والمزيد منه لانهاية له كما لا نهاية لشكره، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم، الآية: ٧] وأوقف سبحانه الجزاء على المشيئة كثيرًا وأطلق ذلك في الشكر. فقال تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران، الآية: ١٤٥] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران، الآية: ١٤٤] فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل، الآية: ٧٨]، وأخبر سبحانه أنه إنما يعبد من شكره، ومن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته فقال: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة، الآية: ١٧٢]، وقد أثنى الله سبحانه على أول رسول بعثه إلى أهل الأرض بالشكر فقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء، الآية: ٣] كما أثنى سبحانه على خليله إبراهيم بشكره نعمه فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل، الآية: ١٢٠، ١٢١] فأخبر عنه سبحانه بصفات ثم ختمها بأنه شاكِر لأنعمه، فجعل الشكر غاية خليله، وأمر الله عز وجل عبده موسى أن يتلقى ما آتاه من النبوة والرسالة وتكليمه إياه بالشكر، فقال تعالى: ﴿يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَىٰ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف، الآية: ١٤٤] بل جعل الله - عز وجل - أول وصية وصى بها الإنسان بعد ما عقل عنه بالشكر له وللوالدين فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان، الآية: ١٤] كما أخبر سبحانه أن رضاه في شكره فقال: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾^(١) [الزمر، الآية: ٧].

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: عليكم بملازمة الشكر على النعم، فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم^(٢).

وقال الحسن البصري - رحمه الله - الخير الذي لا شر فيه. العافية مع الشكر، فكم من مُنعم عليه غير شاكر^(٣) وقال أيضًا: «إِنَّ اللَّهَ لِيَمْتَعَ بِالنِّعْمَةِ مَا شَاءَ، فَإِذَا لَمْ يُشْكَرْ عَلَيْهَا قَلْبُهَا عَذَابًا، وَلِهَذَا كَانُوا يَسْمُونَ الشُّكْرَ: الْحَافِظَ، لِأَنَّهُ يَحْفَظُ النِّعْمَ الْمَوْجُودَةَ، وَالْجَالِبَ: لِأَنَّهُ يَجْلِبُ النِّعْمَ الْمَفْقُودَةَ»^(٤).

(١) عدة الصابرين (١٢٤).

(٢) انظر: عدة الصابرين (١١٨، ١٢١).

(٣) عدة الصابرين (١٤٤).

(٤) الإحياء (٤/١٣٤).

أنواع الشكر:

أ- الشكر على نعم الله تعالى نوعان:

الأول: الشكر باللسان.

عن أنس - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لِيرْضِي عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فِيْحَمْدِهِ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فِيْحَمْدِهِ عَلَيْهَا»^(١).
والثاني: الشكر بالجوارح وذلك باستعمالها فيما يرضي المنعم جلّ وعلا.

عن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - قال: إن كان النبي ﷺ ليقوم أو ليصلي حتى تَرِمُ قدماه أو ساقاه فيقال له: فيقول: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(٢).

قال أبو حازم - رحمه الله تعالى - لرجل سأله: ما شكر العينين يا أبا حازم؟ قال: «إِنْ رَأَيْتَ بِهِمَا خَيْرًا أَعْلَنْتَهُ، وَإِنْ رَأَيْتَ بِهِمَا شَرًّا سَتَرْتَهُ، قَالَ: فَمَا شُكْرُ الْأَذْنَيْنِ؟ قَالَ: إِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا خَيْرًا وَعَيْتَهُ وَإِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا شَرًّا دَفَعْتَهُ» قال: فما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما ولا تمنع حقًا لله هو فيهما، قال: فما شكر البطن؟ قال: قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾^(٣) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ [المؤمنون، الآية: ٥ - ٧] ^(٣).

وقال أبو عبد الرحمن السلمي - رحمه الله - «الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير عمله لله - عز وجل - شكر، وأفضل الشكر الحمد»^(٤).

ب - الشكر على إنعام المخلوقين:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مِنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسُ»^(٥).

وشكر المخلوقين نوعان:

١- الشكر بالمكافأة على العطاء بمثله أو أحسن منه.

٢- الشكر بالمكافأة على العطاء بالدعاء والثناء الحسن.

عن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزْ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ، فَمَنْ أَثْنَىٰ بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ

(١) صحيح مسلم (٢٠٩٥/٣) (٢٧٣٤).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (١٤/٣) (١١٣٠).

(٣) عدة الصابرين (١٣٥-١٣٦).

(٤) تفسير ابن كثير (٥٢٨/٣).

(٥) سنن أبي داود (١٥٧/٥) (٤٨١١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود

(٩١٣/٣) (٤٠٢٦).

فقد كفره»^(١).

وعن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «من صُنِعَ إليه معروفٌ فقال لفاعله: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الشناء»^(٢).
شروط الشكر:

قال الفيروز أبادي - رحمه الله - ومبناه على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحب له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره فمتى فقد منها واحدة اختلت قاعدة من قواعد الشكر^(٣).
الشكر من صفات عباد الله المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء، الآية: ٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة، الآية: ١٢٠، ١٢١] وقال تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿فَنَبِّئْهُمْ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل، الآية: ١٩]

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: «أَنَّ رسول الله ﷺ قَدِمَ المدينة فوجد اليهود صيامًا يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ فقالوا: هذا يومٌ عظيمٌ أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا، فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: نحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه»^(٤).

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: سجد النبي ﷺ في (ص) وقال: سجدها داود توبة ونسجدها شكرًا»^(٥).
من ثمرات الشكر:

١- الرضا الإلهي عن الشاكر.

٢- الزيادة للشاكر في النعم.

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - «من عرف نعمة الله بقلبه، وحمده

(١) سنن أبي دواد (١٥٨/٥) (٤٨١٣) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩١٤/٣) (٤٠٢٨).

(٢) سنن الترمذي (٣٨٠/٤) (٢٠٣٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٨٩/٢) (٦٣٦٨).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٣/٣٣٧).

(٤) صحيح مسلم (٧٩٦/١) (١١٣٠).

(٥) سنن النسائي (١٥٩/٢) (٩٥٧) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٠٩/١) (٩١٧).

بلسانه لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة لقوله تعالى: ﴿لَيْنْ شَكْرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم، الآية: ٧] وإن من شكر النعمة أن يُحدث بها^(١).

٣- دليل على حسن الخلق:

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الشكر.

يمكن للمؤمن أن يحقق ذلك بأن يُظهر آثار نعمة الله عليه على لسانه ثناءً واعتراضاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة.

أما نعم المخلوق فبالمكافأة بأحسن من المعروف المسدّي إليه مع الدعاء له، والثناء عليه فإن لم يجد ما يكافئوه به فبالدعاء والثناء.

يفعل ذلك كله ابتغاء مرضاة الله وهو على حاله وكأنه ينظر إلى ربه ومولاه جلّ جلاله.

(١) الإحياء (٤/١٢٧).

خامساً : الدعوة إلى الله تعالى:

الدعوة لغة:

تكون مصدراً لقولهم: دَعَا فلان إلى كذا دَعْوَةً وهو مأخوذ من مادة (د ع و) التي تدل كما يقول ابن فارس على إمالة الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك.

والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين^(١).

الدعوة إلى الله اصطلاحاً:

هي دعوة الناس إلى الإسلام بالقول والعمل^(٢).

أهداف الدعوة: هدف واحد وهو تعبيد الناس لله رب العالمين حقاً.

أقسام الدعوة إلى الله:

تنقسم الدعوة إلى الله تعالى بحسب حال المدعو إلى ثلاثة أقسام:

١- أن يكون المدعو طالباً للحق محباً له مؤثراً له على غيره إذا عرفه، فهذا يُدعى بالحكمة التي تعني الكتاب والسنة.

٢- أن يكون مشغولاً بضد الحق ولكن لو عرفه أثره واتبعه فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب.

٣- أن يكون معانداً معارضاً فهذا يُجَادَلُ بالتي هي أحسن، فإن رجع وإلاً أقام عليه الحجة^(٣).

قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل، الآية: ١٢٥].

شروط الداعية:

١- الإسلام ٢- العقل ٣- العلم ٤- القدرة.

قال ابن القيم - رحمه الله -: إذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه^(٤).

وأكمل أحوال الدعاة مَنْ دعا الناس إلى الله تعالى وهو في نفسه مهتد بما يقول: كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت، الآية: ٣٣] قال ابن كثير - رحمه الله - أي دعا

(١) لسان العرب (٢٥٨/١٤، ٢٥٩).

(٢) تفسير الطبري (٥٣/١١).

(٣) انظر: فتح المجيد (٨٦، ٨٧).

(٤) التفسير القيم (٣١٩).

عباد الله إليه وهو في نفسه مهتد بما يقول فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر، ويأتونه، بل يَأْتِمِرُ بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى، وهذه عامة في كل من دعا إلى الخير وهو في نفسه مهتد، ورسوله ﷺ أولى الناس بذلك^(١).

شروط الدعوة إلى الله:

- ١- أن تكون الدعوة إلى سبيل الله وهو الإسلام.
- ٢- أن تكون مادة الدعوة إلى الله تعالى الكتاب والسنة الصحيحة وتفهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وفي ضوء لغة العرب.
- ٣- أن يراعي في الدعوة الحال والمقال والزمان والمكان، لكل من الداعي والمدعو، وبيان ذلك باختصار أنه يجب على الداعية معرفة حالته الاجتماعية سنًا ومكانة، وكذا حالة المدعو الاجتماعية سنًا ومكانة، فإنه ليس دعوة الكبير للكبير كدعوة الصغير للصغير وكذا دعوة الكبير للصغير، ولا دعوة العالم للأمير كدعوة الأمير للعالم ولا دعوة العالم للعامي كدعوة العامي للعالم وهكذا فليست دعوة الموافق كالمعاند فإن المعاند بحاجة إلى مزيد بيان وجدال بالتي هي أحسن كما يجب على الداعية مراعاة المقال فما يصلح أن يقال بإيجاز لا يصلح فيه الإطناب، فعلى الداعية أن يتخير من الألفاظ أجملها ومن العبارات أسلسها ومن المعاني أوضحها بعيدًا عن العموميات والمثاليات القصوى التي لا يمكن تحقيقها في الواقع فخير الكلام ما قل ودلّ والبلاغة الإيجاز ويتدرج بالمدعو من حال إلى حال أرفع في يسر وسهولة وأيضًا يجب على الداعية مراعاة الزمان فما يكفي فيه الدققة والدقيقتان لا داعي إلى الزيادة أو النقصان فأوقات الناس محترمة وعلى الداعية أن يعرف قيمة وقته ووقت غيره وما لم يمكن إنجازها في وقت ينظر له وقت آخر مناسب فمن رام نجاح دعوته فليأت الناس بدعوته في الزمان المناسب لهم إلا إذا كان هناك أمرٌ بمعروف أو نهي عن منكر فلا بدّ من تغيير في حينه فإنه يؤخذ بقدر إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة وختامًا لا بد من مراعاة المكان وملابساته فإن الدعوة في المسجد تلقى من القبول ما لم تلقه في السوق والدعوة في المدرسة تلقى من القبول ما لم تلقه في البيت وهكذا، وما يقال في مكان لا يصلح أن يقال في مكان آخر، وما يقال لشخص لا يصلح أن يقال لكل شخص، وما يقال في زمان لا يصلح أن يقال في كل زمان، وما يصلح أن يقال على انفراد لا يصلح أن يقال في

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٠٠).

جمع ، وهكذا وهذه الأمور الأربعة الأخيرة هي الموعظة الحسنة والبصيرة في الدعوة كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ [يوسف، الآية: ١٠٨] وكما قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل، الآية: ١٢٥].

قنوات الدعوة:

يمكن للداعية أن ينفذ إلى الناس من خلال قنوات عدة منها:

١- التربية والتعليم في المدارس والجامعات والمساجد والمنازل

٢- التأليف والكتابة والتحقيق والتخريج.

٣- المؤسسات الشرعية ذات الصلة بالناس.

٤- الإعلام والصحافة.

٥- الجهاد في سبيل الله تعالى.

المحسنون دعاة:

أعظم المحسنين قدراً وأرفعهم درجة أنبياء الله ورسله وكلهم دعاة إلى

الله تعالى ، ومنهم:

١- نوح عليه السلام محسن وداعية.

قال الله تعالى: ﴿ سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

[الصافات، الآية: ٧٩، ٨٠] وقال تعالى عن دعوته لقومه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا إِذِ انبَغَذْتُهُمْ وَاسْتَغْتَشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾ [نوح، الآية: ٥ - ٧].

٢- إبراهيم - عليه السلام - محسن وداعية قال الله تعالى: ﴿ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ

يَبْرَاهِيمُ ﴿١١٢﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الصافات، الآية: ١٠٤،

١٠٥] وقد دعا أباه وقومه إلى التوحيد ونبت عبادة الأصنام قال الله تعالى:

﴿ وَإِذْ مِنْ شِعْبِهِ إِِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَيفكًا ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الصافات، الآية:

٨٣ - ٨٧].

٣- موسى وهارون عليهما السلام محسنان داعيان، قال الله تعالى عن

إحسانهما: ﴿ سَلِّمْ عَلَى مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٥﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

[الصافات، الآية: ١٢٠، ١٢١] وقد دعا فرعون وقومه قال تعالى: ﴿ أَذْهَبًا إِلَىٰ

فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَنذَرُ ﴿٤٤﴾ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ [طه، الآية: ٤٣، ٤٤].

٤- ويوسف - عليه السلام - محسن وداعية، قال الله تعالى حكاية عن

قول صاحبي السجن: ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يوسف، الآية: ٣٦] دعا

إلى الله تعالى حتى داخل السجن، كما قال الله تعالى عنه: ﴿يَصْحَبِي السَّجْنُ
ءَازِيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ
سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا
إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف، الآية: ٣٩،
٤٠].

٥- إيلياس - عليه السلام - محسن وداعية كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ
إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِلَّا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ مُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ
الْمُخْلِصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِلَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [الصفات، الآية: ١٢٣ - ١٣١].

٦- محمد ﷺ محسن وداعية، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ
وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الزمر، الآية: ٣٣، ٣٤]، والذي جاء بالصدق هو محمد ﷺ
والذي صدق به هو أبوبكر - رضي الله عنه - وقد أبلى الرسول ﷺ في الدعوة
إلى الله بلاءً حسناً قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ
اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف، الآية: ١٠٨].

من ثمرات الدعوة إلى الله تعالى:

- ١- أنها دليل صادق على إيمان الداعي بربه تعالى.
- ٢- أنها تبني مجتمعاً صالحاً سليماً من الشهوات والشبهات.
- ٣- أنها تحدث تلاحماً بين أفراد المجتمع المسلم بعامة وتحقق الأخوة
الإسلامية في أرفع معانيها.
- ٤- أنها تحقق الهدف من عالمية الرسالة الإسلامية.

تحقيق الإحسان في صفة الدعوة إلى الله تعالى:

يمكن تحقيق الإحسان في صفة الدعوة إلى الله تعالى بأن يحقق الداعية
ما ذكر سابقاً من أهداف الدعوة وشروط الداعية بإتقان وإخلاص لله تعالى
حتى يغلب على قلبه حال دعوته كأنه ينظر إلى ربه تبارك وتعالى.

سادساً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :
المعروف لغة :

المعروف : كالْعُرْف وهو ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه^(١).
واصطلاحاً :

اسم جامع لكل ما فيه رضا الله من قول أو فعل أو اعتقاد^(٢).
والمنكر لغة واصطلاحاً :
خلاف المعروف^(٣).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اصطلاحاً : يعرفان على النحو التالي :

الأمر بالمعروف أمر بما يوافق الكتاب والسنة والنهي عن المنكر نهى عما تميل إليه النفس والشهوة^(٤) وقيل : النهي عن المنكر تقبيح ما تنفر عنه الشريعة والعفة وهو ما لا يجوز في دين الله تعالى^(٥).
حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم ومسلمة وقع تحت درك إحدى حواسه وكان قادراً على فعله إذا لم يفعله غيره.
قال الله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤]. ومن في قوله [منكم] بيانية وليست تبعية كما يتبادر إلى الذهن دلّ على ذلك قوله ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره... » الحديث^(٦).

فجاء في الحديث قوله [من] وهي اسم موصول بمعنى الذي ، تفيد الوجوب على العموم إذ هي من ألفاظه وقوله : « منكم » بيانية كذلك . والسنة شارحة للقرآن ومبينة لمجمله ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أسلوب حصر قوي يفيد تقييد النجاة في الدنيا والآخرة من عذاب الله تعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسمع قول الله تعالى معلناً اللعنة على تاركها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث قال : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [٧٨] كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا

(١) الصحاح (٢/٨٣٧).

(٢) انظر : التعريفات للجرجاني (٢٣٤).

(٣) اللسان (٥/٣٢ ، ٢٣٣) ، والتعريفات (٢٣٤).

(٤) التعريفات (٣٦).

(٥) المرجع السابق (٣٧).

(٦) صحيح مسلم (١/٦٩) (٤٩) من رواي أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [المائدة] وهي غاية في التشديد إذ علل استحقاقهم لللعنة بتركهم النهي عن المنكر.

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فجعل أخص خصائص هذه الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما سواهما فقد شاركت الأمم فيه، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [التوبة: ٧١] فنتع المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥] فيبين أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ فقرن ذلك مع الصلاة والزكاة لعظمته، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ وأي بر وتقوى أعظم من سد سبل الشر والعدوان.

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ فيبين هلاك الجميع إلا القليل الذين كانوا ينهون عن الفساد.

وقال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء، الآية: ١١٤] والآيات في الباب كثيرة.

ومن السنة:

ما رواه أبوسعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»^(١).

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال ﷺ: «إنكم مصيبون ومنصورون ومفتوح لكم، فمن أدرك ذلك منكم فليقلق الله، وليأمر بالمعروف، ولينه عن المنكر، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(٢).

ومن الآثار:

قال الإمام أحمد - رحمه الله - «ثبت بالكتاب والسنة وجوب الأمر

(١) صحيح مسلم (٦٩/١) (٤٩).

(٢) مسند أحمد (٦٤٣/١) (٣٦٨٦) وصححه إسناده أحمد شاكر (٣٦٩٦/٥) (٣٦٩٤).

بالمعروف والنهي عن المنكر ثم إن الله تعالى جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فارقا بين المؤمنين والكافرين لأنه قال: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] فثبت بذلك أنَّ أخص أوصاف المؤمنين وأقواها دلالة على صحة عقيدتهم وسلامة سريرتهم هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال: وكل من كان من علماء المسلمين الذين يجمعون بين فضل العلم وصلاح العمل فعليه أن يدعو إلى الأمر بالمعروف ويزجر عن المنكر بمقدار طاقته، فإن كان يطيق إبطال المنكر ورفع وردع المتعاطي له عنه فعله وإن كان لا يطيق ذلك بنفسه إلا ما كان طريقه طريق الحدود والعقوبة فإن ذلك إلى السلطان دون غيره، وإن كان لا يطيق إلا القول، قال، وإن لم يطق إلا الإنكار بالقلب أنكر، والأمر بالمعروف في مثل النهي عن المنكر إن استطاع أن يغيره بيده فعل، وإن لم يقدر إلا على القول قال: وإن لم يقدر إلا على الإرادة بقلبه أراده وتمنى على الله عز وجل فلعله أن يشفعه به»^(١) اهـ.

ويجب أن يعلم أنَّ الأمر والنهي المطلق هو الله تعالى، وغيره أمر بأمره ومأمور منه، ونهيه ونهي منه خلافاً لأرباب البدع.

قال تعالى: ﴿بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد، الآية: ٣١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران، الآية: ١٥٤] وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف، الآية: ٥٤] وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف، الآية: ١٩٩].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج، الآية: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى، الآية: ٢٦].

مجالات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجبان في المباحات ولا الخلافات خلاف تنوع، وكذا مسائل الورع، ولا على سبيل اللزوم في المندوبات.

فالحسبة شيء والورع شيء آخر.

(١) انظر: شعب الإيمان للبيهقي (٦/ ٨٤، ٨٥).

وكذا الدعوة شيء والحسبة شيء آخر وإن كان بينهما عموم وخصوص.

عن عائشة - رضي الله عنها - أنَّ أبا بكر - رضي الله عنه - دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى [في عيد الأضحى] تغنيان وتضربان بالدف، والنبى ﷺ متغش بثوبه فانتهرهما أبوبكر، فكشف النبي ﷺ وجهه، وقال: «دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد»^(١).

والورع حقيقة ترك ما لا بأس به خشية أن يكون به بأس، فلا يُحمل من العزائم الناس على ما تُحمل به النفس وهنا يجب الحذر من الخلط بين الورع والفتيا.

وأما المندوبات من صيام وقيام وغيره فيُرجب فيها لا يأمر بها قصرًا، قال الله تعالى: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة، الآية: ٩١].

عن طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه -: «أنَّ أعرابيًا جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس، فقال: يا رسول الله: أخبرني ماذا فرض الله عليّ من الصلاة، فقال: الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئًا. فقال: أخبرني ما فرض الله عليّ من الصيام. قال: شهر رمضان إلا أن تطوع شيئًا. قال: أخبرني بما فرض الله عليّ من الزكاة. قال: فأخبره رسول الله ﷺ شرائع الإسلام قال: والذي أكرمك لا أتطوع شيئًا ولا أنقص ممّا فرض الله عليّ شيئًا. فقال رسول الله ﷺ: أفلح إن صدق أو دخل الجنة إن صدق»^(٢).

والعموم بين الدعوة والحسبة:

اشتراكهما في الغاية، وهي طلب التغيير إلى الأحسن والأكمل شرعًا وعقلًا.

والخصوص بينهما:

أ- أنَّ الحسبة استجابة لحاجة حاصلة تستدعي التغيير، وربما اقتضت التعنيف والزجر.

والدعوة استجابة لحاجة مستقبلية تستدعي التنشئة عليها.

ب - أنَّ الحسبة على الفور لضيق وقتها، كلفة التغيير حتى لا يفلت المنكر عليها.

مثاله: الأخذ على يد السفیه في حديث المداهن في حدود الله والواقع فيها: [أعني حديث السفينة] فإنهم لو لم يأخذوا على يده على الفور بالكلية

(١) صحيح البخاري (٣٢٣/١) (٩٠٧).

(٢) صحيح البخاري (٢٥٥١/٦) (٦٥٥٦).

خرق السفينة . وسيأتي الحديث عنه .

ج - الدعوة على التراخي لوسع وقتها ومرحلية التغيير مثاله :

تعامل الرسول ﷺ مع خوات بن جبير قال : نزلنا مع رسول الله ﷺ مرَّ الظهران قال : فخرجت من خبائي فإذا أنا بنسوة يتحدثن فأعجبني ، فرجعت فاستخرجت عيبي فاستخرجت منها حلة فلبستها وجئت فجلست معهن ، وخرج رسول الله ﷺ من قبه فقال : « يا أبا عبد الله ما يجلسك معهن » فلما رأيت رسول الله ﷺ هبته واختلطت قلت : يا رسول الله جمل لي شرد ، فأنا أبتغي له قيداً فمضى واتبعته ، فألقى إليّ رداءه ودخل الأراك كأني أنظر إلى بياض متنه في خضرة الأراك ، فقضى حاجته وتوضأ ، فأقبل والماء يسيل من لحيته على صدره أو قال : يقطر من لحيته على صدره ، فقال : « أبا عبد الله ما فعل شرادُ جملك » ؟ ثم ارتحلنا فجعل لا يلحقني في المسير إلا قال : « السلام عليك أبا عبد الله ما فعل شرادُ ذلك الجمل ؟ » فلما رأيت ذلك تعجلت إلى المدينة ، واجتنبت المسجد والمجالسة إلى النبي ﷺ فلما طال ذلك تحينت ساعة خلوة المسجد ، فأتيت المسجد فقامت أصلي ، وخرج رسول الله ﷺ من بعض حجره فجأة فصلى ركعتين خفيفتين وطولت رجاء أن يذهب ويدعني ، فقال : « طول أبا عبد الله ما شئت أن تطول فلست قائماً حتى تنصرف » فقلت في نفسي ، والله لأعتذرني إلى رسول الله ﷺ ولأبرئن صدره فلما قال : السلام عليك أبا عبد الله ما فعل شرادُ ذلك الجمل ؟ » فقلت : والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلم فقال : « رحمك الله » ثلاثاً ، ثم لم يعد لشيء ممّا كان ^(١) .

فانظر - رحمك الله - إلى هذا الخلق الرفيع والمرحلية في التغيير .

ج - إذا تحققت استطاعة الإنكار وجب وبوجوبه يجب إتمامه .

ومثاله : من استطاع الحيلولة بين السارق وسرقته فحال بينهما ثم خلى سبيله لغير ضرورة أثم قال ﷺ : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . » الحديث ^(٢) .

وقال ﷺ كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « من رأى منكم منكراً فليغيره . » الحديث ^(٣) .

د - الدعوة مستحبة ، فإذا تحققت الاستطاعة أُسْتَحَبَّ له الإتمام إذا لم يحتج الموقف إلى بيان شك أو رد شبهة وإلاَّ وجب .

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/٢٠٣) (٤١٤٦) وقال الهيثمي في المجمع (٩/٤٠١) رواه الطبراني من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير الجراح بن مخلد وهو ثقة .

(٢) صحيح البخاري (٢/٨٦٣) (٢٣١١ ، ٢٣١٢) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٣) صحيح مسلم (١/٦٩) (٤٩) .

يحتج الموقف إلى بيان شك أو رد شبهة وإلا وجب.

مثاله: رجل سأل عن مسألة فأجبت ثم شرعت في بيان مسألة أخرى فبدأ لك الانصراف فيستحب لك إتمامها أما إذا وقع السامع في مشكل أو تفررت في ذهنه شبهة فيجب البيان والإتمام.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه (أو قال لجاره) ما يحب لنفسه»^(١).

شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- الإسلام: ويخرج به الكافر فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء، الآية: ١٤١].

٢- التكليف: ويخرج به الصبي، فإذا بلغ المسلم الحلم وجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال جرير بن عبد الله: «بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(٢).

ومن أعظم النصح للمسلمين أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ووجه الدلالة من الحديث:

استواء مَنْ أسلم عن كبر وَمَنْ كبر في الإسلام في التكليف وقد رفع التكليف عن الصغير حتى يكبر.

٣- القدرة: ويخرج بها العاجز سواء كان عجزاً معنوياً أو حسيّاً، فالمعنوي: كالجاهل أو الجبان جبناً خارجاً عن العادة، والحسي: كالأعمى في المنكر المرئي والأصم في المنكر المسموع، وعديم الشم والذوق في المنكر المشموم أو المذوق وهكذا وهنا لا بد من بيان أنّ من لم يقدر على الحسبة بمقاصد الشريعة وجب عليه تعلم ذلك ما لم يعجز عنه.

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة، الآية: ٢٨٦] وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن، الآية: ١٦].

٤- العقل: ويخرج به المجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ والصغير حتى يكبر.

عن علي - رضي الله عنه - قال: قال ﷺ: «رُفِعَ القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستقيظ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن الصغير حتى يكبر»^(٣).

(١) صحيح مسلم (٦٧/١) (٤٥).

(٢) صحيح البخاري (٣١/١) (٥٧).

(٣) صحيح ابن خزيمة (١٠٢/٢) (١٠٠٣). وابن حبان في صحيحه، الإحسان (٣٥٦٦/١) =

٥ - العلم :

إنَّ الأمر إما عالم وأمره بالحكمة، فأصاب مقاصد الشريعة، أو بغيرها فمفسدة راجحة، ومثل الأخير الجاهل الأمر ولا يكون جهله إلاً مركباً فالأول لله هو كم من نائم أيقظه، وشارد رده. وعابد بصّره وفتنة دهماء صدها. ومن أمر بغير حكمة من أهل العلم فقد صد عن سبيل الله، ووقف على أبواب الهداية، فنفر وأجلب العداوة بخيلها ورجلها. والجاهل فيما جهله ليس من أهل الأمر والنهي لافتقاره إليه، فإن احتسب فحاصل احتسابه مفسدة محققة، تدور بين صغرى البدع وكبرها. وفي أهل التصوف والتشيع عبر! وللبیان فإنَّ الحكمة المرادة هنا هي تلك القاعدة الجامعة التي سبق الكلام عنها ومقاصد الشريعة هي تعبيد الناس لله وامتنال الأمر، وتحصيل الأجر، ودرء المفاسد، وجلب المصالح، وقد تقدم الحديث عنها.

والحاصل هنا أنَّ التصرفات العشوائية الممزوجة بالحدة والصلف، أو الجهل جرّت عداوات على الحسبة وأهلها متعددة المحاور والأساليب، أخرجت مسيرة الإصلاح سنوات قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفْتَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران، الآية: ١٥٩].

وقال ﷺ في حديث أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه - : «يا أيها الناس إنَّ منكم منفرين»^(١) منفرين وإن كانوا علماء لا حسابهم بغير حكمة، منفرين وإن كانوا جهالاً لا فتقار احتسابهم إلى حكمة، مُنْفَرِينَ وإن كانوا جهالاً لا فتقار احتسابهم إلى الشرعية فالحسبة ليست مكاناً للتنفيس عن النفس بالصراخ، واحتقار العصاة من المسلمين وإنزالهم منزلة الملحدين، أو مكاناً لتجارب الجهال يخلطون الحابل بالنابل، بل هي مدرسة إصلاحية دقيقة المنهج والتنفيذ فيا أيها العالم مر بالحكمة، واتق الله أيها الجاهل لا تفسد على الناس دينهم، فالله طلب العلم قبل القول والعمل، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد، الآية: ١٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء، الآية: ٣٦].

ويوم احتسب العالم بغير حكمة والجاهل بغير علم كانت المحصلة مفسدة محققة، وانظر إلى أهل التصوف والشيعة، فإنَّهم جمعوا حشفاً وسوء كيل، يعطلون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن احتسبوا احتسبوا بالباطل، فأوقعوا العوام في الضلال المبين، حيث زيّنوا لهم الموالد، والأعياد

= (١٤٣). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٩/١) (٣٥١٤).

(١) صحيح مسلم (٣٤٠/١) (٤٦٦).

الباطلة، والغلو في الصالحين، وسلسلة متتابعة من الخرافات يجر بعضها بعضاً، صرفوا الناس عن الكتاب السنة وأوجبوا عليهم طرق المشايخ والسادة، فأفسدوا في الأرض باسم صلاحها، وحاربوا الفضيلة ووأدوها باسم الذب عنها.

وكم يجد الغيور من حرقه من علماء السوء الذين استخفوا بحرمان الله، وحسنوا للناس الاستخفاف بها، لا يجدون حرجاً في إباحة ما حرم الله باسم سماحة الإسلام ويسره، ومن خالفهم وأنكر عليهم كالوا له ألقاب السوء، فاتخذهم الفساق عكازاً.

آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- أن يكون متيناً في دينه، شجاعاً في غير تهور، ليناً من غير ضعف في أمره ونهيه.

٢- أن يكون بعيداً عن الكبر، سالمًا من السخرية في حال أمره ونهيه.

٣- أن يتحلى بالصبر الجميل والأناة الدائمة.

٤- ألا يخالف قوله فعله، بالعكس.

٥- أن يكون عارفاً بأحوال الناس ملماً بما يجري حوله من الأحداث، مستفيداً من الجديد النافع.

٦- أن يكون مشاوراً في ما أشكل عليه، مستفيداً ممن سبقه، ولو كان أصغر سناً منه.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة من صفات المحسنين:

قال الله تعالى لإمام المحسنين محمد ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف، الآية: ١٩٩].

وقال تعالى: ﴿ وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا وَإِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [١٥٦] الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف، الآية: ١٥٦، ١٥٧].

وأخبر تعالى أنَّ من خير النجوى الأمر بالمعروف قال تعالى: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء، الآية: ١١٤].

كما أفاد تعالى أنَّ الخيرية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث قال جلَّ ذكره: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٥﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتِلُوكُمْ يُولُوكُمْ أَدْبَارًا ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١١٦﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَغْضٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٧﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٨﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٩﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١٢٠﴾ [آل عمران، الآية: ١١٠ - ١١٥].

وعلمنا العبد الصالح لقمان عليه السلام أَنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الأمور وهو الإحسان في عبادة الله تعالى حيث قال لابنه كما أخبر عنه الله تعالى بقوله: ﴿يَبْنِىْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان، الآية: ١٧]، وأخبر جل ذكره أَنَّ الأمر بالعدل خير، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل، الآية: ٧٦].

صور من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «رَأَى خَاتِمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ: «يَعْمَدُ أَحَدَكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ» فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: لَا، وَاللَّهِ لَا آخِذَهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»^(١).
من ثمرات الحسبة:

١- تعبيد الناس لله تعالى .

قال ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحَسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ»^(٢).

٢- امتثال أمر الله تعالى:

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران، الآية: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿وَامُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ

(١) صحيح مسلم (٢/١٦٥٥) (٢٠٩٠).

(٢) صحيح البخاري (١٧/١) (٢٥). حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما.

الْأُمُور ﴿١٧﴾ [لقمان، الآية: ١٧].

٣- تحصيل الأجر:

وعن أبي جعفر الخطمي أنَّ جده عمير بن حبيب بن حماشة وكان قد أدرك النبي ﷺ عند احتلامه أوصى ولده فقال: «يا بني إياك ومجالسة السفهاء فإنَّ مجالستهم داء، ومن يحلم عن السفية يُسرُّ، ومن يجبه يندم، ومن لا يرضى بالقليل مما يأتي به السفية يرضى بالكثير، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن نفسه على الصبر على الأذى، ويثق بالثواب من الله تعالى، فإنه من وثق بالثواب من الله عزَّ وجل لم يضره مس الأذى»^(١).

٤- تكفير الذنوب:

عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره، يكفرها الصيام والصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(٢).

٥- درء المفسد وجلب المصالح:

وقال ﷺ: «مثل المداهن في حدود الله والواقع فيها، مثل قوم استهموا سفينة، فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذي في أسفلها يملأ بالماء على الذين في أعلاها، فتأذوا به، فأخذ فأسأ، فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: مالك، قال: تأذيتم بي ولا بد لي من الماء، فإن أخذوا على يديه أنجوه، ونجوا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم»^(٣).

وقال ﷺ: «مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر: رجل آتاه الله مالاً وعلماً، فهو يعمل بعلمه في ماله، ينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً، فهو يقول: لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل قال ﷺ: فهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً، فهو يخبط في ماله بالنفقة في غير حقه ورجل لم يؤته علماً ولا مالاً فهو يقول: لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل قال رسول الله ﷺ: فهما في الوزر سواء»^(٤).

(١) المعجم الأوسط للطبراني (٥٥/٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٦٩/٧) رجاله ثقات.

(٢) صحيح البخاري (٦٧٠/٢) (١٧٩٦).

(٣) صحيح البخاري (٩٥٤/٢) (٢٥٤٠) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٤) سنن ابن ماجه (١٤١٣/٢) (٤٢٢٨) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤١٣/٢) (٣٤٠٦).

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:
يمكن للعبد المسلم أن يحقق ذلك بأن يراعي ما سبق من شروط
وآداب ابتغاء وجه الله تعالى وهو على حالة كأنه حين الأمر والنهي ينظر إلى
مولاه وسيده سبحانه وتعالى.

سابعًا : النصيحة والتواصي:

النصيحة لغة :

مأخوذة من مادة (ن ص ح) التي تدل على ملاءمة بين شيئين وإصلاح لهما، وهي خلاف الغش^(١).

قال الراغب - رحمه الله -: النصيح مأخوذ من قولهم: نصحت له الوُدَّ أي أخلصته أو من قولهم: نصحتُ الجِلْدَ: خِطَّتُهُ^(٢).

وقال الأصمعي - رحمه الله -: الناصح: الخالص من العسل وغيره، وكل شيء خَلَصَ فَقَدْ نَصَحَ^(٣).

واصطلاحًا:

قال الراغب - رحمه الله -: النَّصِيحُ إخلاص المحبة للغير بإظهار ما فيه صلاحه^(٤).

وقال ابن عبد البر - رحمه الله -: النصيحة: كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً، وتشمل النصيحة لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم^(٥).
مبادئ النصيحة:

النَّصِيحة لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين، وعامتهم.

قال ابن حجر - رحمه الله -: النَّصِيحة لله: وصفه بما هو له أهل، والخضوع له ظاهراً وباطناً، والرَّغبة في محابِّه بفعل طاعته والرَّهبة من مساخطه بترك معصيته، والجهاد في ردِّ العاصين إليه، والنَّصِيحة لكتاب الله تعلُّمه، وتعليمه وإقامة حروفه في التلاوة وتحريرها في الكتابة، وتفهُّم معانيه، وحفظ حدوده، والعمل بما فيه، وذبُّ تحريف المبطلين عنه، والنَّصِيحة لرسوله تعظيمه، ونصره حيّاً وميتاً، وإحياء سنته بتعلمها وتعليمها والاقتراء به في أقواله وأفعاله، ومحَبَّته ومحبة أتباعه. والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على ما حملوا القيام به، وتنبههم عند الغفلة، وسدَّ خلَّتْهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن، ومن جملة أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد، وتقع النَّصِيحة لهم بيبِّث علومهم، ونشر مناقبهم وتحسين الظنِّ

(١) مقاييس اللغة (٤٣٥/٥).

(٢) المفردات (٤٩٤).

(٣) لسان العرب (٤٤٣٨/٧).

(٤) الذريعة (٢٩٥).

(٥) جامع العلوم والحكم (٧٦).

بهم، والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم، والسعي فيما يعود نفعه عليهم، وتعليمهم ما ينفعهم، وكف وجوه الأذى عنهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه^(١).

وقال عبدالرحمن بن ناصر السعدي: النصيحة لله ولرسوله تكون بصدق الإيمان، وإخلاص النية في الجهاد والعزم عليه عند القدرة، وفعل المستطاع من الحث والترغيب والتشجيع للمسلمين عليه^(٢).

التواصي:

التواصي لغة:

التواصي مصدر قولهم: تواصى فلان وفلان أي أوصى كل منهما صاحبه بمعنى عهد إليه، وأوصى الرجل ووصاه بمعنى، والاسم من ذلك: الوصية والوصاة^(٣).

التواصي اصطلاحًا:

ما يقع به الزجر عن المنهيات والحث على المأمورات^(٤)

الوصية بكتاب الله عز وجل:

قال ابن حجر: المراد بالوصية بكتاب الله تعالى حفظه حسًا ومعنى، فيكرم ويصان، ولا يسافر به إلى أرض العدو ويُتبع ما فيه فيُعمل بأوامره وتُجنب نواهيه، ويدوام على تلاوته وتعلّمه وتعليمه^(٥).

منزلة التواصي:

لقد أقسم المولى - عز وجل - أن الإنسان لفي خسر واستثنى من ذلك من توفرت فيه أربع خصال هي:

الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

وقد قال الشافعي - رحمه الله تعالى - «لو تدبر الناس هذه السورة لو سعتهم»^(٦).

ميادين التواصي:

سأل بعضهم شيخ الإسلام ابن تيمية أن يوصيه بما فيه صلاح دينه

(١) فتح الباري (١/١٦٧).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (١/٢٧٥).

(٣) انظر: لسان العرب (١٥/٣٩٤).

(٤) فتح الباري (٥/٤١٩).

(٥) فتح الباري (٨/٦٨٦).

(٦) تفسير ابن كثير (٤/٥٨٥).

ودنياه فأجاب - رحمه الله - أما الوصية فما أعلم وصية أنفع من وصية الله ورسوله لمن عقلها وأتبعها قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء، الآية: ١٣١]

ووصى النبي ﷺ معاذًا لما بعثه إلى اليمن، فقال: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»^(١) فهذه وصية جامعة لمن عقلها مع أنها تفسير للوصية القرآنية، أما بيان جمعها فلا أن العبد عليه حقان:

حق لله عز وجل، وحق لعباده، ثم الحق الذي عليه لا بد أن يخل ببعضه أحيانًا، إما بترك المأمور به أو فعل المنهي عنه، وفي قوله ﷺ: «اتق الله حيث ما كنت» تحقيق لحاجته إلى التقوى في السر والعلانية «وفي كل زمان ومكان»، ثم قال: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها» لأنه لما كان الذنب للعبد كأنه أمر حتم كان الكيس هو الذي لا يزال يأتي من الحسنات ما يمحو به السيئات، وفي هذا إرشاد للخاصة والعامة بما يخلص النفوس من ورطات الذنوب وهو اتباع السيئات الحسنات، ولما قضى الرسول ﷺ بهاتين الكلمتين حق الله من عمل الصالح وإصلاح الفاسد، قال: «وخالق الناس بخلق حسن» وهو حق الناس، وأما بيان أن هذا كله في وصية الله فهو أن اسم «تقوى الله يجمع فعل كل ما أمر به الله به إيجابًا واستحبابًا، وما نهى عنه تحريمًا وتنزيهًا، وهذا يجمع حقوق الله وحقوق العباد»^(٢).

النصيحة والتواصي من صفات المحسنين:

قال الله تعالى عن نوح - عليه السلام -: ﴿قَالَ يَنْقُومُ لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف، الآية: ٦١، ٦٢].

وقال تعالى عن هود - عليه السلام -: ﴿قَالَ يَنْقُومُ لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف، الآية: ٦٧، ٦٨].

وقال تعالى عن شعيب - عليه السلام -: ﴿فَنُؤَلِّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُومُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي ربي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف، الآية: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُوثُ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ

(١) سنن الترمذي (٣٣٥/٤) (١٩٨٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨١/١) (٩٧).

(٢) انظر: الفتاوى (١٠/٦٥٣، ٦٥٤).

رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ [الأعراف، الآية: ٩١].

عن جابر - رضي الله عنه - قال: أعتق رجل من بني عذرة عبداً له عن دبر فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ألك مالٌ غيره؟» فقال: لا فقال: «من يشتريه مني؟» فاشتراه نعيم بن عبدالله العدوي بثمانية دراهم، فجاء بها سول الله فدفعها إليه، ثم قال: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلاهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهلكذا وهلكذا» يقول فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك»^(١).

وأما التواصي فقد قال تعالى عن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة، الآية: ١٣٢].

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه - رضي الله عنهما - قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً..» الحديث^(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: «أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني، قال: لا تغضب فردد مراراً قال، لا تغضب»^(٣).

صور من النصيحة والتواصي:

قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُْوسَىٰ إِنَّكَ أَلَمَّا يَأْتِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص، الآية: ٢٠].

وعن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - قال: إنَّ عبدالله هلك وترك تسع بنات أو قال سبع، فتزوجت امرأة ثيباً فقال لي رسول الله ﷺ: يا جابر، تزوجت؟ قال: قلت نعم، قال: فبكر أم ثيب؟ قال: قلت بل ثيب يا رسول الله! قال: «فهلأ جارية تلاعها وتلاعبك» أو قال: تضاحكها وتضاحكك قال: قلت له: إنَّ عبدالله هلك وترك تسع بنات (أو سبع) وإني كرهت أن آتيهن أو أجيئنهم بمثلهن، فأحببت أن أجيء بامرأة تقوم عليهن وتصلحن، قال: «فبارك الله لك» أو قال لي خيراً^(٤).

(١) صحيح مسلم (٦٩٢/١) (٩٩٧).

(٢) صحيح مسلم (١٣٥٧/٣) (١٧٣١).

(٣) صحيح البخاري (الفتح) (٥١٩/١٠) (٦١١٦).

(٤) صحيح مسلم (١٠٨٧/٢) (٧١٥).

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «أوصاني خليلي بثلاث: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أرقد»^(١).

عن أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً فإنَّ لهم ذمة ورحمًا، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة فإخرج منها»^(٢).

من ثمرات النصيحة والتواصي:

١- أنَّ النصيحة هي دليل خير وصلاح.

٢ - في النصيحة والتواصي بالحق السعادة في الدنيا والآخرة والنجاة من الخسارة.

٣- عظم أجر الناصح والموصى بالخير.

قال الحسن البصري - رحمه الله - «ما زال الله تعالى نصحاء، ينصحون الله في عباده، وينصحون لعباد الله حق الله، ويعملون لله تعالى في الأرض بالنصيحة، أولئك خلفاء الله في الأرض»^(٣).

تحقيق مرتبة الإحسان في النصيحة والتواصي:

إذا قام المسلم بواجب النصح والتواصي بالحق لأخيه المسلم بما يرضي الله تعالى على وجه الاتقان والإخلاص لله تعالى وهو على حال حين النصح والتواصي وكأنه ينظر إلى الله تعالى فإنه بذلك يحقق مرتبة الإحسان في النصح والتواصي بالحق.

ثامنًا : الإصلاح

الإصلاح لغة:

مصدر مأخوذ من مادة (ص ل ح) التي تدل على خلاف الفساد والصلح: السِّلْم^(٤).

واصطلاحًا:

مأخوذ من الصِّلح: وهو عقد يرفع النزاع بمعنى المصالحة، وهو المسالمة خلاف المخاصمة^(٥).

الإصلاح في القرآن الكريم:

وقد ورد الإصلاح في القرآن الكريم في مواضع متعددة، منها: قوله

(١) صحيح مسلم (٤٩٩/١) (٧٢١).

(٢) صحيح مسلم (١٩٧٠/٢) (٢٥٤٣).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٦٧/٥، ٦٨).

(٤) المقاييس (٣٠٣/٣) واللسان (٥١٦/٢، ٥١٧)، ومختار الصحاح (٣٦٧).

(٥) تبين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي (٢٩/٥، ٣٠).

تعالى على لسان موسى - عليه السلام - يوصي أخاه هارون: ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف، الآية: ١٤٢]. وهو هنا بمعنى الرِّفْق.

ومنه قوله تعالى على لسان نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿ قَالَ يَنْقُورُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَمِينٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود، الآية: ٨٨].

وهو هنا بمعنى الإحسان، ومنه قوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة، الآية: ١١]. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف، الآية: ٨٥].

قال المفسرون: الإصلاح هنا الطاعة، ضدُّ الإفساد وهو المعصية، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود، الآية: ١١٧]، والإصلاح هنا بمعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١).

مكانة الإصلاح:

معنى الإصلاح دال على حسنه الذاتي، فكم من فساد انقلب به الصلاح إلى الحسنه، ولهذا أمر الله تعالى به عند حصول الفساد والفتن بقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات، الآية: ٩] وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء، الآية: ٣٤]. قالوا: معناه جنس الصلح خير. فيعلم بهذا أن جميع أنواع الصلح حسنة، لأن فيه إطفاء الثائرة بين الناس، ورفع المنازعات الموبقات عنهم^(٢).

عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة»^(٣).

من أنواع الإصلاح:

إصلاح ذات البين: ومعنى ذات البين صاحبة البين، والبين في كلام

(١) انظر: نزهة الأعين النواظر (٣٩٧، ٣٩٨).
(٢) تبين الحقائق شرح كنز الدقائق للزبيلي (٢٩/٥، ٣٠).
(٣) سنن الترمذي (٦٦٣/٤) (٢٥٠٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٦/١) (٢٥٩٥).

العرب يأتي على وجهين متضادين، فيأتي بمعنى الفراق والفرقة، ويأتي بمعنى الوصل وإصلاح ذات البين على المعنى الأول يكون بمعنى إصلاح صاحبة الفرقة بين المسلمين وإصلاحها يكون بإزالة أسباب الخصام، أو بالتسامح والعفو، أو بالتراضي على وجه من الوجوه، وبهذا الإصلاح يذهب البين وتنحل عقدة الفرقة أما إصلاح ذات البين على المعنى الثاني، فيكون بمعنى إصلاح صاحبة الوصل والتحابب والتآلف بين المسلمين، وإصلاحها يكون برأب ما تصدّع منها وإزالة الفساد الذي دبّ إليها بسبب الخصام والتنازع على أمر من أمور الدنيا^(١).

طريقة الإصلاح:

عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت من المهاجرات الأول اللاتي بايعن النبي ﷺ أخبرته أنها سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، ويقول خيراً وينمي خيراً»^(٢).

قال الفضيل: إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلاً فقل يا أخي اعفُ عنه فإن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو ولكن أنتصر كما أمرني الله - عز وجل - قل فإن كنت تحسن أن تنتصر مثلاً بمثل وإلا فارجع إلى باب العفو فإنه بابٌ أوسع؛ فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله، وصاحب العفو ينام الليل على فراشه، وصاحب الانتصار يُقَلِّبُ الأمور^(٣) هذا على مستوى الأفراد.

أما على مستوى الجماعات: فقال العلماء: لا تخلو الفتان من المسلمين في اقتالهما، إمّا أن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعاً، أو لا، فإن كان الأوّل، فالواجب في ذلك أن يُمشَى بينهما بما يصلح ذات البين، ويثمر المكافأة والمودعة، فإن لم يتحاجزا ولم يصطلحا وأقامتا على البغي صيرَ إلى مقاتلتهما، وأما إن كان الثاني وهو أن تكون إحداها باغيةً على الأخرى، فالواجب أن تقاتل فئة البغي إلى أن تكف وتتوب؛ فإن فعلت أصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل، فإن التحم القتال بينهما لشبهة دخلت عليهما وكلتاها عند أنفسهما محقة، فالواجب إزالة الشبهة بالحجة النيرة والبراهين القاطعة على مَرَأَشِدِ الحق، فإن ركبنا متن اللجاج ولم تعملنا على شاكلة ما هُديتا إليه ونصحنا به من اتباع الحق بعد وضوحه

(١) انظر: الأضداد للأنباري (٧٥)، والأضداد للأصمعي والسجستاني وابن السكيت (٥٢)،

(٢٢٥، ٣٥٢، ٣٥١).

(٢) صحيح مسلم (٢٠١١/٣) (٢٦٠٥).

(٣) حلية الأولياء (١١٢/٥).

لهما فقد لحقتا بالفتنيتين الباغيتين^(١).

شروط الإصلاح:

- ١- أن يكون فيما يرضي الله تعالى.
- ٢- أن يكون فيه رضاء للخصمين.
- ٣- أن يكون المصلح عالمًا بالوقائع.
- ٤- أن يكون المصلح عازمًا بالواجب.
- ٥- أن يقصد للعدل في صلحه^(٢).

قال الطبري عند قوله تعالى: ﴿أَوْ إِصْلَاحٌ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء، الآية:

١١٤]. هو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين، بما أباح الله الإصلاح بينهما ليرجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة على ما أذن الله وأمر به^(٣).
الإصلاح من صفات المحسنين:

عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - : أنَّ ناسًا من بني عمرو بن عوفٍ كان بينهم شيءٌ فخرج إليهم النبي ﷺ في أناسٍ من أصحابه يصلح بينهم^(٤).

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سمع رسول الله ﷺ صوتَ خصومٍ بالبابِ عالية أصواتهم، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء وهو يقول: والله لا أفعل فخرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: «أين المُتألي على الله لا يفعل المعروف؟ فقال: أنا يا رسول الله، فله أيُّ ذلك أحبُّ»^(٥).

رُوي أنَّ ابن أبي عذرة الدُّولي، وكان في خلافةِ عمر - رضي الله عنه - كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهنَّ، فطارت له في النَّاس من ذلك أُحدوثةٌ يكرهها، فلمَّا علِمَ بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم، حتَّى أتى به إلى منزله، ثم قال لامرأته، أنشدك بالله هل تبغضيني؟ قالت: لا تنشديني، قال: فإنِّي أنشدك الله، قالت: نعم فقال لابن الأرقم: أسمع؟ ثم انطلقا حتَّى أتيا عمر - رضي الله عنه - فقال: إنَّكم لتحدِّثون أنَّي أظلم النساء وأخلعن فاسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره، فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت هي وعمَّتها، فقال: أنتِ التي تحدِّثين زوجك أنَّكِ تبغضينه؟ فقالت: إني أوَّل من تاب وراجع أمر الله تعالى، إنَّه ناشدني فتحرَّجتُ أن أكذب، أفأكذب يا أمير

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠٨/١٦).

(٢) انظر: أعلام الموقعين (١٠٩/١، ١١٠).

(٣) تفسير الطبري (٢٧٦/٤).

(٤) صحيح البخاري، الفتح (٢٩٧/٥) (٢٦٩٠).

(٥) صحيح البخاري، الفتح (٣٠٧/٥) (٢٧٠٥).

المؤمنين؟ قال: نعم، فاكذبي، فإن كانت إحدائكم لا تحب أحدنا فلا تحدّثه بذلك، فإنّ أقلّ البيوت الذي بُني على الحبّ ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب»^(١).

صور من الإصلاح:

عن كعب بن مالك أنّه تقاضى ابن أبي حذرٍ دينًا كان له عليه في عهد رسول الله ﷺ في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته فخرج رسول الله ﷺ إليهما حتّى كشف سِجف حُجرتِه فنادى كعب بن مالك، فقال: «يا كعب» فقال: لبيك يا رسول الله، فأشار بيده أن يضع الشّطر فقال كعبٌ قد فعلتُ يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: «قم فاقضه»^(٢).

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: «اشترى رجلٌ من رجلٍ عقارًا له، فوجد الرّجلُ الذي اشترى العقار في عقاره جَرَّةً فيها ذهبٌ، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني، إنّما اشترَيْتُ منك الأرض، ولم أبتع منك الذهب، فقال الذي شَرى الأرض: إنّما بعْتُك الأرض وما فيها قال: فتحاكما إلى رجل فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولدٌ، فقال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر، لي جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسكما منه وتصدقاً»^(٣).

من ثمرات الإصلاح:

١- أنّه يغرس المودة في القلوب، ويعمق جانب الأخوة الإيمانية بين المسلمين.

٢- أنّه سبب في سعادة الأفراد والشعوب.

٣- عظم أجر المصلحين.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الإصلاح:

يمكن أن يتحقق ذلك بأن تتوافر الشروط في المصلح وصلحه وهو على حال كأنّه ينظر إلى الله تعالى حال صلحه بين المتخاصمين.

(١) إحياء علوم الدين (٣/١٣٨).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٥/٣١١) (٢٧١٠).

(٣) صحيح مسلم (٢/١٣٤٥) (١٧٢١).

تاسعاً : الصدق :

الصدق لغة :

مصدر قولهم صدق يصدق صدقاً، وهو مأخوذ من مادة (ص د ق) التي تدل على قوة في الشيء قولاً أو غير قول، من ذلك الصدق خلاف الكذب لقوته في نفسه ولأن الكذب لاقوة له وهو باطل، وأصل هذا من قولهم شيء صدق أي صلب، ورمح صدق^(١).

الصدق اصطلاحاً :

قال الرّاعب - رحمه الله - : الصدق مطابقة الضمير والمُخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً، بل إما ألا يوصف بالصدق، وإما أن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب على نظرين مختلفين، كقول كافر إذا قال من غير اعتقاد: محمّد رسول الله فإنّ هذا يصح أن يقال: صدق لكون المُخبر عنه كذلك، ويجوز أن يقال كذب لمخالفة قوله ضميره، ومن الوجه الثاني، إكذاب الله المنافقين حيث قالوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾^(٢) [المنافقون، الآية : ١].

مبادئ الصدق :

قال ابن القيم - رحمه الله - : والصدق ثلاثة .

قول ، وعمل ، وحال .

فالصدق في الأقوال : استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها .

والصدق في الأعمال : استواء الأفعال على الأمر والمتابعة ، كاستواء الرأس على الجسد .

والصدق في الأحوال : استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص واستفراغ الوسع وبذل الطاقة، فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صديقيته، كما فعل أبو بكر - رضي الله تعالى عنه -^(٣).

مدخل الصدق :

قد أخبر سبحانه أنه أكرم عباده المتقين بأن جعل لهم، مدخل صدق، ومخرج صدق، ولسان صدق، وقدم صدق، ومقعد صدق .
وحقيقة الصدق في هذه الأشياء هو الحق الثابت المتصل بالله،

(١) المقاييس (٣/٣٣٩)، وانظر: المفردات (٢٧٧) ولسان العرب (١٠/١٩٢).

(٢) المفردات (٢٧٧).

(٣) مدارج السالكين (٢/٢٨١).

الموصل إلى الله، وهو ما كان به وله من الأقوال والأعمال، وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة^(١).
علامة الصدق.

من علامات الصدق طمأنينة القلب إليه، ومن علامات الكذب حصول
الريبة.

عن أبي محمد الحسن بن علي - رضي الله عنهما - قال: حفظت من
رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة،
والكذب ريبة»^(٢).

الصدق شعار عباد الله المحسنين:

أول شعار يلوح من شخصية المحسن لمن عرفه الصدق فهذا صاحب
السجن مع يوسف - عليه السلام - يحكي عنه بقوله: ﴿يُؤْسَفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا
فِي سَبْعِ بَقَرَاتِ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُبُلُكَلْتِ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَابِسَتْ لَعَلَّيْ
أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف، الآية: ٤٦] وقالت امرأة العزيز: ﴿أَلَكُنْ
حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف، الآية: ٥١]،
وهذا الصدق من يوسف عليه السلام كان جزاء مما أسهم في زيادة إحسانه
حيث قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ
بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف، الآية: ٥٦] وكل نبي صديق
وليس كل صديق نبي قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [آل عمران، الآية: ٦٩] وقال الله تعالى
عن أم عيسى عليهما السلام: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة، الآية: ٧٥] والصديقية في غير الأنبياء وهي
الدرجة الثانية في مرتبة الإحسان.

سميت بذلك، لقوله تعالى: ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا﴾ [التحریم،
الآية: ١٢].

قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم،
وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم، الآية: ٥٦].

والصديق هو كثير الصدق، ومنهم أبوبكر الصديق - رضي الله عنه -
قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [آل عمران، الآية: ٣٣] لهم ما

(١) مدارج السالكين (٢/٢٨٢).

(٢) سنن الترمذي (٤/٦٦٨) (٢٥١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٦٣٧) (٣٣٧٨).

يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ [الزمر، الآية: ٣٣، ٣٤].
علامات الصديقية:

الإيمان بالله ورسوله والجهاد بالمال والنفس والهجرة نصرة للدين،
قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ [الحديد].
وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات، الآية: ١٥].
والصديق أولى من الصادق بالجهاد بالمال والنفس لمزيد صدقه.
وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر، الآية: ٨].
أحسن الحديث أصدقه:

عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة - رضي الله عنهما - أنَّ
رسول الله ﷺ قام حين جاء وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم
وسببهم فقال لهم رسول الله ﷺ: «أحب الحديث إليَّ أصدقه.. الحديث»^(١).
الصدق من وسائل الإحسان:

عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الصَّدَقَ
يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْفَجْرِ، وَإِنَّ الْفَجْرَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ،
وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَكْذِبَ حَتَّى يَكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(٢).
من ثمرات الصدق:

- ١- أنه من أحب الخصال إلى الله تعالى.
 - ٢- أنه من أعظم الأسباب الموصلة إلى الإحسان.
 - ٣- أنه دليل على قوة إيمان صاحبه.
 - ٤- عظم أجر الصادقين عند الله تعالى.
- تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الصدق:

يمكن أن يُحقق المؤمن مرتبة الإحسان في صفة الصدق وذلك بأن
يستوي لسانه على الأقوال الصادقة، وأفعاله على المتابعة الصادقة للرسول
ﷺ، وأعمال القلب والجوارح على الإخلاص الصادق لله تعالى مستفرغاً
الوسع والطاقة صدقاً فإذا فعل ذلك كله حتى يغلب على قلبه كأنه يشاهد ربه
ومولاه الحق تبارك وتعالى فقد حقق الإحسان في صدقه.

(١) صحيح البخاري فتح (٤/٤٨٣) (٢٣٠٧، ٢٣٠٨).

(٢) صحيح البخاري، فتح (١٠/٥٠٧) (٦٠٩٤٣).

المطلب الثالث الإحسان الفعلي في عبادة الله تعالى

أولاً: الاستقامة.

الاستقامة لغةً:

مصدر استقام على وزن استفعل، وهو مأخوذ من مادة (ق و م) التي تدل على معنيين:

أحدهما: جماعة من الناس والآخر انتصاب أو عزم، وإلى هذا المعنى ترجع الاستقامة في معنى: الاعتدال، يقال قام الشيء واستقام، واستوى، يقال: استقام له الأمر، أي اعتدل.
واصطلاحاً:

الاستقامة: «هي سلوك الصراط المستقيم وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنة ولا يسرة ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة وترك المنهيات كلها كذلك»^(١).

وقال ابن حجر - رحمه الله تعالى -: «الاستقامة كناية عن التمسك بأمر الله تعالى فعلاً وتركاً»^(٢).

وقد عبر القرآن الكريم عنها بالعبادة كما قال تعالى: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس، الآية: ٦١].

أركان الاستقامة:

للاستقامة أربعة أركان وهي: الإيمان بالله، والاعتصام به، وطاعته، وطاعة رسوله محمد ﷺ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ (١٧٨) ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء، الآية: ١٧٤، ١٧٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ (٦١) وَإِذَا لَا تَأْتِيهِمْ مِنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٦٨) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠) [النساء، الآية: ٦٦ - ٧٠].

(١) جامع العلوم والحكم (١٩٣).

(٢) الفتح (٢٥٧/١٣).

حقيقة الاستقامة :

أورد الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت، الآية: ٥٣].

أن الاستقامة حقيقتها: عدم الاعوجاج والميل والسين والتاء فيهما للمبالغة في التقوم فحقيقة استقام: استقل غير مائل ولا مُنَحِنٍ، وتطلق الاستقامة أيضاً على ما يجمع معنى حسن العمل والسير على الحق والصدق قال تعالى: ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت، الآية: ٦]. وقال: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود، الآية: ١١٢] فاستقاموا تشمل معنى الوفاء بما كُلفوا به، وأول ما يشمل من ذلك أن يثبتوا على التوحيد، أي لا يغيروا ولا يرجعوا عنه، وعن أبي بكر: ﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ لم يشركوا به شيئاً، وعن عمر: استقاموا على الطريقة لطاعته ثم لم يَرَوْغُوا رَوَّغَانَ الثعالب، وقال عثمان: ثم أخلصوا العمل لله وَعَنْ عَلِيٍّ ثُمَّ أدوا الفرائض وكل هذه الأقوال ترجع إلى معنى الاستقامة في الإيمان وآثاره.

والاستقامة زائدة في المرتبة على الإقرار بالتوحيد، لأنها تشملها وتشمل الثبات عليه والعمل بما يستدعيه.

وجمع قوله: ﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ أصلي الكمال الإسلامي فقوله: ﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ يُشير إلى الكمال النفساني، وهو معرفة الحق للاهتداء به.

ومعرفة الخير لأجل العلم به.

وقوله: ﴿استقاموا﴾ يشير إلى أساس الأعمال الصالحة، وهو الاستقامة على الحق، أي أن يكون وسطاً غير مائل إلى طرفي الإفراط والتفريط... فكمال الاعتقاد راجع إلى الاستقامة، فالاعتقاد الحق أن لا يتوغل في جانب النفي إلى حيث ينتهي إلى التعطيل ولا يتوغل في جانب الإثبات إلى حيث ينتهي إلى التشبيه والتَّمثِيل؛ بل يمشي على الخط الفاصل بين التشبيه والتعطيل، ويستمر كذلك فاصلاً بين الجبري والقدري، وبين الرجاء والقنوط، وفي الأعمال بين الغلو والتفريط^(١).

والخلاصة أن الاستقامة - كما يقول صاحب البصائر - كلمة آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد وهي تتعلّق بالأقوال والأفعال والنيّات والاستقامة فيها وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله تبارك وتعالى^(٢).

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢٤/٢٨٢، ٢٨٤).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٤/٣١٢).

فضل الاستقامة:

١- يدرك بها العبد درجة الصوام القوام.

عن عبدالله بن عمرو- رضي الله عنهما -: أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ الْمُسَدَّدَ لِيَدْرِكَ دَرَجَةَ الصَّوَامِ الْقَوَامِ بِآيَاتِ اللَّهِ بِحَسَنِ خَلْقِهِ، وَكَرَمِ ضَرِيْبَتِهِ»^(١).

والمسدد: المستقيم المقتصد في الأمور.

٢- أَنَّ الاستقامة طريق النجاة:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - «الاستقامة هي لزوم المنهج القويم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [فصلت، الآية: ٣٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاق، الآية: ١٣] إلى قوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [هود، الآية: ١١٢] إلى قوله: ﴿بَصِيرٌ﴾ فبيّن أَنَّ الاستقامة بعدم الطغيان، وهو مجاوزة الحدود، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت، الآية: ٦]، والمقصود من العبد بالاستقامة وهي السداد فإن لم يقدر عليها فالمقاربة، وعند مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «سَدُّوا وَقَارِبُوا، وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ» فجمع في هذا الحديث مقامات الدين كلها، فأمر بالاستقامة وهي السداد والإصابة في النيات والأقوال وأخبر في حديث ثوبان أَنَّهُمْ لَا يَطِيقُونَهَا فَنَقَلَهُمْ إِلَى الْمَقَارِبَةِ، وهي أَنْ يَقْرَبُوا مِنَ الاستقامة بحسب طاقتهم كالذي يرمي إلى الغرض، وإن لم يصبه يقاربه، ومع هذا فقد أخبرهم أَنَّ الاستقامة والمقاربة لَا تُنْجِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا يَرْكُنُ أَحَدٌ إِلَى عَمَلِهِ، وَلَا يَرَى أَنَّ نَجَاتَهُ بِهِ؛ بَلْ إِنَّمَا نَجَاتُهُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَغَفْرَانِهِ وَفَضْلِهِ، فَالاستقامة كلمة جامعةٌ أَخَذَتْ بِمَجَامِعِ الدِّينِ، وهي القيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد.

والاستقامة تتعلّق بالأقوال والأفعال والأحوال والنِّيَّاتِ فالاستقامة فيها، وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله^(٢).

(١) مسند أحمد (١٧٧/٢) (٦٦٤٨)، وصحح أحمد شاكر إسناده (١٣٤/١٠)، وذكره الألباني في صحيح الجامع (١٦٤/١)، (١٩٤٥)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٨/٢) (٥٢٢).

(٢) مدارج السالكين (١٠٣/٢، ١٠٩).

٣- إذا استقام القلب استقامت الجوارح :

قال ابن رجب - رحمه الله - : «أصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد، وقد فسّر أبوبكر - رضي الله عنه - الاستقامة في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت، الآية : ٣٠] بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره، فمتى استقام القلب على معرفة الله، وعلى خشيته وإجلاله ومهابته وإرادته ورجائه ودعائه والتوكل عليه، والإعراض عما سواه، استقامت الجوارح كلها على طاعته، فإن القلب هو ملك الأعضاء، وهي جنوده، فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه وأعظم ما يراعى استقامة بعد القلب من الجوارح اللسان، فإنه ترجمان القلب والمعبر عنه» (١).

الاستقامة من صفات عباد الله المحسنين :

لقوله تعالى : ﴿فَاسْتَقِيمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٧) وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٨﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ [هود، الآية : ١١٥].

وقوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَذَكَرْنَا وَيْحَ عِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَ قُلْ لَا آسَأُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنعام، الآية : ٨٣ - ٩٠].

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِن دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا﴾ (٦٦) وَإِذَا لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يَطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء : ٦٦ - ٧٠].

(١) انظر : جامع العلوم والحكم (١٩٣ ، ١٩٤).

وهؤلاء الأصناف الأربعة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين هم المحسنون.

الطريق إلى تحقيق الإحسان في صفة الاستقامة

ويتحقق الإحسان في صفة الاستقامة بأن يفعل المسلم الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، ويترك المنهيات كلها الظاهرة والباطنة على حال كأنه ينظر إلى ربه تعالى فلا يروغ عن الصراط يمينة أو يسرة، روغان الثعلب.

ثانيًا: عمل الصالحات:

العمل لغة: مصدر مأخوذ من مادة (ع م ل) التي تدلُّ على «كل فعل يُفعل»^(١).

العمل اصطلاحًا:

وقال الكفوي: العمل المهنة والفعل والعمل يُعمُّ أفعال القلوب والجوارح، ولا يقال إلا لما كان عن فكر وروية ولهذا قرن بالعلم حتى قال بعض الأدباء: قُلِبَ لفظ العمل من لفظ العلم تنبيهًا على أنه من مُقتضاه^(٢).

الصالح لغة:

مصدر «صلح» الشيء يصلح ويصلح صلاحًا وهو ضد الفساد.

قال الراغب: قُوبِل الصلاح في القرآن تارةً بالفساد وتارةً بالسيئة قال تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة، الآية: ١٠٢] وقال عز وجل: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف، الآية: ٥٦]^(٣). واصطلاحًا:

قال الكفوري: الصَّلاح هو سلوك طريق الهدى وقيل: هو استقامة الحال على ما يدعو إليه [الشرع] والعقل، والصالح: المستقيم الحال في نفسه، وقال بعضهم: هو القائم بما عليه من حقوق الله وحقوق العباد [وحقوق النفس] والكمال في الصَّلاح منتهى درجات المؤمنين ومتممى الأنبياء والمرسلين^(٤) وهو مرتبة الإحسان غير أن إحسان الأنبياء عليهم السلام لا يبلغه محسن من المؤمنين مهما كان إحسانه.

العمل الصالح:

العمل الصالح، هو العمل المراعى من الخلل، وأصله الإخلاص في النية وبلوغ الوسع في المجادلة بحسب علم العامل وإحكامه وقال بعضهم: العمل الصالح ما دُبر بالعلم^(٥).

قال الفضل بن عياض - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿لِبَلُوكُمْ أَنْتُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك، الآية: ٢] قال: أخلصه وأصوبه، إنَّ العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا، لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا قال: والخالص إذا كان لله عز وجل،

(١) مقاييس اللغة (٤/ ١٤٠).

(٢) الكليات (٦١٦).

(٣) الصحاح (١/ ٣٨٣)، لسان العرب (٢/ ٥١٦)، القاموس المحيط (١/ ٢٩٣).

(٤) الكليات (٥٦١)، وما بين المعكوفين مما لا بد منه.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٤٧).

والصواب إذا كان على السنة^(١).

قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف، الآية: ١١٠].

مكانة العمل الصالح:

العمل الصالح هو المراد من إنزال الكتاب الكريم ومن جمع العلم. قال الفضيل - رحمه الله -: «إنما نزل القرآن ليعمل به، فاتخذ الناس قراءته عملاً، قال: قيل: كيف العمل به؟ قال: أي ليحلوا حلاله، ويحرموا حرامه، ويأتمروا بأوامره، وينتهوا عن نواهيه، ويقفوا عند عجائبه»^(٢).

وقال أيضاً: إنَّما يراد من العلم العمل والعلم دليل العمل^(٣).

والعمل الصالح دليل الإيمان في القلب، قال الحسن - رحمه الله - «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلوب، وصدقته الأعمال، من قال حسناً، وعمل غير صالح، رده الله على قوله، ومن قال حسناً وعمل صالحاً رفعه العمل، وذلك بأنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾»^(٤) [فاطر، الآية: ١٠].

وهكذا فهم السلف الصالح - رحمهم الله -: أنَّ العمل هو المراد الأول قال ابن مسعود - رضي الله عنه - «تعلموا فمن علم فليعمل»^(٥).

يحدوهم إلى ذلك ما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»^(٦).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة»^(٧).

وقد كانوا - رحمهم الله - يتخوفون من السؤال عن العمل بين يدي الله تعالى فيما علموا، قال أبو الدرداء - رضي الله عنه - «إنَّما أخاف أن يكون أول ما يسألني عنه ربي أن يقول: قد علمتَ فما عملتَ فيما علمت؟»^(٨).

(١) الحلية (٨/٩٥).

(٢) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (١٦).

(٣) المرجع السابق (٣٧).

(٤) المرجع السابق (٤٣).

(٥) المرجع السابق (٢٤).

(٦) صحيح مسلم (١/١١٠) (١١٨).

(٧) صحيح مسلم (٣/٢٢٦٧) (٢٩٤٧).

(٨) اقتضاء العلم العمل (٤١).

ولأجل هذا كانوا يتواصلون بالاجتهاد في العمل .

قال مطرف بن عبدالله بن الشخير - رحمه الله - يا إخواني اجتهدوا في العمل فإن يكن الأمر كما نرجوا من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات في الجنة، وإن يكن الأمر شديدًا نخاف ونحاذر لم نقل: ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنّا نعمل، نقول: قد عملنا فلم ينفعنا^(١).

يشير - رحمه الله - إلى قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام، الآية: ١٣٢]. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [٣٦] وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ﴾ [فاطر، الآية: ٣٦، ٣٧]، وقبل ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون، الآية: ١٠٠] وقد مايز الله بين فريقين من الناس فريق يعمل الصالحات والآخر نحس يعمل السيئات فقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية، الآية: ٢١].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر، الآية: ٤٠].

وحمل الله كل إنسان مسؤولية عمله فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية، الآية: ١٥]. وأخبر سبحانه وتعالى أن الجزاء على مِثْقَالِ الذرة من الخير أو الشر، ليأخذ كل إنسان حذره قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة، الآية: ٧، ٨].

وأفاد جلّ ذكره أن أعمال الناس مكتوبة عنده ليوفي كل عامل بعمله ثم يجازي عليه فقال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُطِيقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية، الآية: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف، الآية: ١٩]. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الجاثية].

وقال تعالى عن الفريق الآخر: ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا

(١) المصدر السابق (٩٥).

تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [الطور، الآية: ١٦].

ويكفي في منزلة العمل الصالح أن أهله هم أفضل الناس قاطبة وأنه تعالى راضٍ عنهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة، الآية: ٧، ٨].

وتكفل جلّ وعلا بأن يجعل لهم وداً ينعمون به فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم، الآية: ٩٦]، وأخبر تعالى أنه لا أحد أحسن عملاً ممن عمل صالحاً فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت، الآية: ٢٣].

مبادئ العمل الصالح:

كل ما دعت إليه الشريعة من عمل على وجه اللزوم أو الاستحباب فإنه عمل صالح في ذاته فإن أداه المؤمن على وجه الاتقان والإخلاص فقد عمل الصالحات يدخل في ذلك ما كان قربة محضة لله تعالى أو ما شرعه الله تعالى من العمل مما له منفعة عائدة على النفس أو الخلق قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّتَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [العنكبوت، الآية: ٥٨، ٥٩] فالصبر والتوكل من الأعمال الصالحة.

الإيمان والعمل الصالح وعلاقتهما بالإحسان:

يتفاوت الإيمان والعمل الصالح من عبد إلى عبد آخر بحسب علمهما ومجاهدتهما على تحقيقهما فإذا تمكن العبد من تحسين باطنه بالإيمان الصادق وتحسين ظاهره بالعمل الصالح على وجه الإخلاص لله والمتابعة لرسوله ﷺ فقد صدق عليه بمجموع تحقيقتها اسم الإحسان كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف، الآية: ٣٠] يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ [البينة، الآية: ٧] وخير الخلق هم المحسنون.

العمل الصالح صفة المحسنين:

ليس كل من عمل صالحاً محسناً وكل محسن عاملاً للصالحات قال الله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل، الآية: ٩٦، ٩٧] أي

بسبب عملهم البالغ في الحسن^(١) وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِنًا يَخِيطُ الْكَفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُنِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُنِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [التوبة، الآية: ١٢٠، ١٢١].

صور من العمل الصالح:

عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: صليت مع النبي ﷺ، فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء، قيل له: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ^(٢).

وعن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال: كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو اغبر بطنه، يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع بها صوته أبينا أبينا^(٣)

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن تعرض عملي وأنا صائم»^(٤).

من ثمرات العمل الصالح:

١- الأمن في الدنيا والآخرة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة، الآية: ٢٧٧].

٢- المغفرة والأجر العظيم، قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة، الآية: ٩].

٣- الفوز بالجنة، قال الله تعالى: ﴿ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [إبراهيم، الآية: ٢٣].

(١) التحرير والتنوير (٢٧٢/١٤).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (١٩/٣) (١١٣٥).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٣٩٩/٧) (٤١٠٤).

(٤) سنن الترمذي (١١٣/٣) (٧٤٧) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٢٧/١) (٥٩٦).

٤- العمل الصالح سبب في تفريج الكرب في الدنيا:

عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بينما ثلاثة نفر يمشون أخذهم المطر، فأووا إلى غار في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض، انظروا أعمالاً عملتموها صالحة فادعوا الله تعالى بها، لعل الله يفرجها عنكم... الحديث»^(١).

تحقيق مرتبة الإحسان في العمل الصالح: .

إذا تحققت شروط العمل الصالح من الإخلاص لله تعالى والمتابعة لرسوله ﷺ وأداء العبد وهو على حال كأنه ينظر إلى ربه تعالى فقد أحسن في عمله.

(١) صحيح البخاري، الفتح (٤٠٤/١٠) (٥٩٧٤).

ثالثًا : الطاعة:

الطاعة لغة:

هي إسمٌ من قولهم: أطاعه يُطيعه طاعةً والمصدر الإطاعة، وكلاهما مأخوذٌ من مادة (ط و ع) التي تدل على الإصحاب والانقياد^(١).
الطاعة اصطلاحًا:

قال الجرجاني: الطاعة هي موافقة عندنا (معشر أهل السنة).
وقال الكفوري: الطَّاعة فعل المأمورات ولو ندبًا وترك المنهيات ولو كراهة، فقضاء الدين والإنفاق على الزوجة والمحارم ونحو ذلك طاعةٌ لله وليس بعبادة.

وقال ابن المناوي: (بعد أن نقل كلامَ الجرجاني) عُرِفَت الطَّاعة أيضًا بأنَّها: كل ما فيه رضا وتقرب إلى الله تعالى^(٢).
وقال ابن علان: هي الامتثال ظاهرًا والرضا باطنًا لحكم الله ورسوله وما يقوله من دعا إلى ذلك^(٣).

الأمر بطاعة الله تعالى، وطاعة رسوله ﷺ:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾ [النساء، الآية: ٥٩].

المحسنون يطيعون الله تعالى، في المنشط والمكره والعسر واليسر،
قال الله تعالى عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿فَسَرَّيْنَاهُ يَغُفِّرُ حَلِيمٌ ١١٠﴾
﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ١١١﴾ قَالَ يَتَابِعُ أَفْعَلُ
مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ١١٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ١١٣﴾ وَتَدِينَهُ أَنْ
يَتَابِعُهِمْ ١١٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١١٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ١١٦﴾
وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ١١٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ١١٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ١١٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ١٢٠﴾ [الصافات، الآية: ١٠١ - ١١٠].

وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننزع الأمر أهله وأن نقوم أو نقول بالحق، حيثما كنّا، ولا نخاف في الله لومة لائم^(٤).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤٣١/٣)، وبصائر ذوي التمييز (٥٢١/٣)، والصحاح (١٢٥٥/٣)، ولسان العرب (٢٤٠/٨).

(٢) التعريفات (١٤٥) الكليات (٥٨٢) والتوقيف على مهمات التعاريف (٢٢٥).

(٣) دليل الفالحين (٤٣٠/١).

(٤) صحيح البخاري، فتح (٧١٩٩/١٣)، (٧٢٠٠).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك السمع والطاعة في عسرك ويُسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك»^(١) غير أنَّ الشارع الحكيم لم يوجب الطاعة إلَّا فيما عرف حسنه شرعًا وعقلًا ومما هو داخل تحت استطاعة المكلف.

عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما -: عن النبي ﷺ قال: «السمع والطاعة على المرء فيما أحب وكره، مالم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(٢).

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: كنا نبأيع رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فيقول لنا: فيما استطعتم»^(٣).
صور من الطاعة:

١- عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: كان النبي ﷺ يلبس خاتمًا من ذهب فنبذه فقال: «لا ألبسه أبدًا» فنبذ الناس خواتيمهم^(٤).

٢- وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «قال رسول الله ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب لا يصلين أحد العصر إلَّا في بني قريظة، فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحدًا منهم»^(٥).

الطاعة من صفات المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء، الآية: ٦٩].

من ثمرات الطاعة:

١- فعل الطاعة مرة يُعْقِبُ فِعْلَ الطَّاعَةِ مَرَّةً أُخْرَى بعدها:

قال ابن القيم - رحمه الله -: مثال تَوْلَدُ الطَّاعَةُ ونموّها وتزايدها كمثَلِ نَوَاةٍ غَرَسَتْهَا فَصَارَتْ شَجَرَةً ثُمَّ أَثْمَرَتْ فَأَكَلَتْ ثَمَرَهَا وَغَرَسَتْ نَوَاهَا فَكَلَّمَا أَثْمَرَ مِنْهَا شَيْءٌ جَنَيْتَ ثَمَرَهُ وَغَرَسْتَ نَوَاهُ، وكذلك تداعي المعاصي فليتدبر اللَّبِيبُ هَذَا الْمَثَالَ»^(٦).

(١) صحيح مسلم (١٤٦٧/٢) (١٨٣٦).

(٢) صحيح البخاري، فتح (٧١٤٤/١٣).

(٣) سنن الترمذي (١٥٠/٤) (١٥٩٣) وقال: حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١١٦/٢) (١٢٩٦).

(٤) صحيح البخاري (٢٢٠٣/٥) (٥٥٢٩).

(٥) صحيح البخاري (٣٢١/١) (٩٠٤).

(٦) الفوائد (٤٩).

٢- محبة الله تعالى للطائع :

كتب أبو الدرداء إلى سلمة بن مخلد: «أما بعد، فإنَّ العبد إذا عمل بطاعة الله أحبَّه الله، وإذا أحبَّه الله حبَّبه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله فإذا أبغضه بَغَّضه إلى خلقه»^(١)

٣- الفوز العظيم :

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب، الآية: ٧٠، ٧١].

٤- دخول الجنة: قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْآعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذَّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح، الآية: ١٧].

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الطاعة :

يمكن للمرء المسلم أن يحقق مرتبة الإحسان في صفة الطاعة وذلك بأن يسلم للأمر والنهي الشرعي ظاهراً بالامتثال ويرضى بحكم الله جلَّ وعلا وحكم رسوله ﷺ باطناً حتى لا يجد في قلبه أدنى حرج وكذا لما يقوله من دعا إليهما، يفعل ذلك كله حتى يغلب على قلبه كأنه يعاين الله تعالى يأمره وينهاه حالة كونه مطيعاً له.

(١) الزهد للإمام أحمد (١٦٨).

رابعًا: المسارعة في الخيرات:

المسارعة لغة:

مصدر مأخوذ من مادة (س ر ع) التي تدل على خلاف البطء^(١)
واصطلاحًا:

المسارعة إلى الشيء: المبادرة إليه^(٢).
والخيرات لغة:

جمع خير وهو ضد الشر^(٣).

واصطلاحًا: اسم لكل ممدوح ومرغوب فيه^(٤).
والمسارعة في الخيرات: اصطلاحًا:

المبادرة إلى الطاعات والاستكثار منها مع الرغبة فيها.

قال الطاهر بن عاشور: «والمسارعة مستعارة للاستكثار من الفعل، والمبادرة إليه، تشبيهاً للاستكثار والاعتناء بالسير السريع لبلوغ المطلوب^(٥).
والمراد بالمسارعة إلى الخير هو الارتياح لعمل الخير، وسرعة التفتح النفسي له والإقبال الروحي والعملية عليه، والفرح بالدعوة إليه والتذكير به، وهذه فضيلة من أكرم الفضائل الإنسانية التي تدل على المعدن الأصيل الطيب عند الإنسان، والاستعداد القوي النبيل للاستجابة في كل موطن من مواطن الخير والبر؛ وكأنَّ صاحب هذه الفضيلة يجد متعته النفسية ولذته الروحية في السبق إلى الطيب من القول والعمل بلا تردد أو إبطاء^(٦).

العلاقة بين المسارعة والمسابقة والمنافسة:

هناك تقارب في المعنى بين تلك الكلمات، وأصل المسابقة التقدم في السير، ويستعار السبق لإحراز الفضل والتبريز من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة، الآية: ١٠]. أي المتقدمون إلى ثواب الله وجنته بالأعمال الصالحة، نحو قوله: ﴿وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾^(٧) [آل عمران، الآية: ١١٤].

فكل مسارعة إلى الخير فيها سبق^(٨).

(١) المقاييس (٣/١٥٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٤/١١٣).

(٣) اللسان (٤/٢٦٤).

(٤) نزهة الأعين النواظر (٢٨٥).

(٥) التحرير والتنوير (٤/٥٨).

(٦) موسوعة أخلاق القرآن للشرباصي (٢٤١).

(٧) المفردات (٢٨٨).

(٨) موسوعة أخلاق القرآن (٢٤٨).

والمنافسة: مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل واللحوق بهم من غير إدخال ضرر على غيره^(١). قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين، الآية: ٢٦].

منزلة المسارعة في الخيرات:

عندما قسم الله تعالى مراتب عبادہ المستجيبين لدعوة الرسول ﷺ إلى ثلاث مراتب، جعل مرتبة السابقين بالخيرات، أفضلها فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر، الآية: ٣٢]. لأن المسارعة في الخيرات والسبق إليها والمنافسة في أدائها دليل على فرط الرغبة فيها والحب لها والحرص على ألا تفوت لعارض من العوارض أو حائل من الحوائل، ومن فعل تلك الخصلة الحميدة صار من المتحليين بمكارم الأخلاق لأن من شأن المؤمن أن لا يتباطأ عن مواطن الخير.

قال أبوحيان - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [آل عمران، الآية: ١١٤] المسارعة في الخير ناشئة عن فرط الرغبة فيه، لأن من رغب في أمر بادر الله إلى القيام به وأثر الفور على التراخي^(٢) وإلى هذه المرتبة دعا الله تعالى عباده فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٣] والمصارعة إلى المغفرة والجنة: هي المبادرة إلى أسبابهما من فعل الحسنات واجتناب السيئات على الدوام وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلًى فَلَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ إِنَّمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة، الآية: ١٤٨] وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد، الآية: ٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [٢٢] عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ نَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خَتَمُهُمْ مِّسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين، الآية: ٢٢ - ٢٦].

وقد كان النبي ﷺ يوصي أتباعه ويأمرهم بالمبادرة خشية العوائق. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: عن النبي ﷺ قال: «بادرُوا بالأعمال فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ، يَصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيَمْسِي كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ

(١) المفردات (٥٢٣).

(٢) البحر المحيط (٣٨/٣).

من الدنيا^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا أَوْ الدِّخَانُ أَوْ الدِّجَالُ، أَوْ الدَّابَّةُ، أَوْ خَاصَّةُ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرُ الْعَامَةِ»^(٢).

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ لرجلٍ وهو يعظه: «اغتنم خمسًا قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلِكَ، وحياتك قبل موتك»^(٣)، وحذَّرَ اللهُ عباده المؤمنين من التثاقل والتباطيء في فعل الطاعات فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء، الآية: ١٤٢] وكما حذَّرَ تعالى من الكسل في أداء القربات أخبر جلَّ ذكره عن حال الكفار ومسارعته في باطلهم كبرًا وعنادًا وحال المنافقين ومسارعته في أهل الباطل تحذيرًا للمؤمنين من أفعالهم القبيحة، وتجاهلهم للحقيقة فقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنِ يُضْرُّوا اللَّهُ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران، الآية: ١٧٦] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاق، الآية: ١١]. وقال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ﴾ [المائدة، الآية: ٥٢].

وقد فهم السلف الصالح - رحمهم الله - منزلة المسابقة وأهمية المسارعة وفضيلة المنافسة^(٤).

فعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِدْبَارًا فَاعْتَنِمُوهَا عِنْدَ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا، وَدَعُوهَا عِنْدَ فِتْرَتِهَا وَإِدْبَارِهَا^(٥).

قال أحمد بن حنبل - رحمه الله - «كل شيء من الخير يُبَادِرُ بِهِ»^(٦).

وقال محمد بن نصر العابد: «وشاورتهُ (أي الإمام أحمد) في الخروج

(١) صحيح مسلم (١٠/١) (١١٨).

(٢) صحيح مسلم (٣/٢٢٦٧) (٢٩٤٧).

(٣) المستدرک للحاکم (٤/٣٤١) (٧٨٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٢٤٣) (١٠٧٧).

(٤) المفردات (٥٢٣).

(٥) الفوائد (٢٠٢).

(٦) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/٢٣٩).

إلى الثغر فقال: بادر بادر^(١).

مبايدين المسارعة والمسابقة والمنافسة في الخيرات:

ما دام أنَّ الخيرات اسم لكل ممدوح ومرغوب فيه من الطاعات وترك السيئات فإنها بعمومها ميدان رحب للمسارعة والمسابقة والمنافسة، ومما يمكن أن يمثل به هنا.

ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾^(٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَتَّقُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴿[المؤمنون، الآية: ٥٧ - ٦١] وقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾^(١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿[آل عمران، الآية: ١١٣، ١١٤]. وقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١١٣) ﴿[آل عمران، الآية: ١٣٣]. وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾^(٩٠) [الأنبياء، الآية: ٩٠].

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفَجَّرُونَ﴾^(١٠٠) ﴿[التوبة، الآية: ١٠٠]. وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾^(٢١) ﴿[الحديد، الآية: ٢١].

المسارعة والمسابقة والمنافسة صفة المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١٣٩) ﴿[آل عمران، الآية: ١٣٤].

وقال تعالى عن نبي الله المحسن زكريا - عليه السلام -: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾^(٨٩) ﴿[الأنبياء، الآية: ٨٩، ٩٠].

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس وأجود الناس، ولقد فزع أهل المدينة، فكان النبي ﷺ أسبقهم، على فرس وقال: وجدناه بحرًا»^(٢).

(١) المرجع السابق.

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٦/٣٥) (٢٨٢٠).

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: مرَّ رسول الله ﷺ وأنا معه وأبوبكر على عبدالله بن مسعود وهو يقرأ، فقام فسمع قراءته، ثم ركع عبدالله وسجد، قال: فقال رسول الله ﷺ: «سل تُعطه» قال: ثم مضى رسول الله ﷺ وقال: «من سرَّه أن يقرأ القرآن غَضًّا كما أنزل فليقرأه من ابن أم عبد» قال: فأدلجتُ إلى عبدالله بن مسعود لأبشره بما قال رسول الله ﷺ: فلما ضربتُ الباب، أو قال: لمَّا سمع صوتي قال: ما جاء بك هذه الساعة؟ قلتُ: جئتُ لأبشرك بما قال رسول الله ﷺ قال: قد سبقك أبوبكر، قلتُ: إن يفعل فإنه سبق بالخيرات، ما استبقنا خيراً قطُّ إلا سبقنا إليه أبوبكر»^(١).
 صور من المسابقة:

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك مالاً، فقلتُ: اليوم أسبقُ أبابكر إن سبقته يوماً، قال: فجئتُ بنصفِ مالي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلتُ: مثله، وأتى أبوبكر بكُلِّ ما عنده، فقال: يا أبابكر: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيتُ لله ورسوله، قلتُ: والله لا أسبقه إلى شيء أبداً»^(٢).

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال النبي ﷺ: «عُرِضْتُ عَلَى الْأُمَمِ فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمْرُؤٌ مَعَهُ الْأَمَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُؤٌ مَعَهُ الْعَشْرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُؤٌ مَعَهُ الْخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُؤٌ وَحْدَهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ هَؤُلَاءِ أُمَّتِي؟ قَالَ: لَا وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قَالَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قَدْ آمَهُمْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فقام إليه عُكاشة بن محصن، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ».

ثم قام إليه رجلٌ آخرُ فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «سبقك بها عُكاشة»^(٣).

من ثمرات المسابقة:

- ١- أَنَّ فِيهَا مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.
- ٢- أَنَّهَا دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ الْإِيمَانِ وَطَلَبِ الْإِحْسَانِ.
- ٣- أَنَّهَا تَوْجِدٌ فِي النَّفْسِ نَمَوْاً مَطْرَداً إِلَى بُلُوغِ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ.

(١) مسند أحمد (٣٨/١) (٢٦٥)، وصحيح أحمد شاكر، إسناده (٢٦٥/١) (٢٦٥).
 (٢) سنن الترمذي (٦١٤/٥) (٣٦٧٥)، وقال حسن صحيح. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٢/٣) (٢٩٠٢).
 (٣) صحيح البخاري، الفتح (٤٠٥/١١) (٦٥٤١).

٤- عظم أجر أهلها.

٥- الفوز بالجنة، ونعيمها في الآخرة.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة المسابقة والمسارة والتنافس في الخيرات
إذا بادر العبد إلى الطاعات وترك المخالفات على وجه الإخلاص
والإتقان وكأنه ينظر إلى ربه تعالى بقلبه فقد أحسن في ذلك.

خامساً : الطهارة:

الطهارة لغة :

النظافة من الأقدار حسية كانت أو معنوية^(١) وهي مصدر مأخوذ من مادة (ط ه ر) التي تدل على نقاء وزوال دنس ، والتطهر التنزه عن الدم وكل قبيح^(٢).

واصطلاحاً :

الطهارة ضربان :

طهارة جسم وطهارة نفس ، ولكل معناه الاصطلاحي .

فطهارة النفس : ترك الذنب والعمل للصالح وتنقية النفس من المعائب قال الله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [الأحزاب، الآية : ٣٣] .

وطهارة الجسم : رفع حدث أو إزالة نجس أو ما في معناهما وعلى صورتها^(٣).

مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ [البقرة، الآية : ٢٢٢]

قال الجرجاني - رحمه الله - : الطهارة في الشرع : عبارة عن غسل أعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة^(٤).

مكانة الطهارة

عندما تحدث القرآن الكريم عن الطهارة بضربيهما السابقين كانت العناية أكبر بتطهير النفس من الذنوب والمعاصي ، وذلك لمزيد الأهمية .

قال ابن القيم - رحمه الله - : إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ بِحُكْمَتِهِ جَعَلَ الدُّخُولَ إِلَى جَنَّتِهِ مَوْقُوفًا عَلَى الطَّيِّبِ وَالطَّهَارَةِ ، فلا يدخلها إلا طيب طاهر ، فهما طهارتان :

طهارة البدن ، وطهارة القلب^(٥).

فمن تطهر في الدنيا ولقي الله طاهراً من نجاساته دخل الجنة بغير معوق ، وأما من لم يتطهر في الدنيا فإن كانت نجاسته عينية كالكاfer لم يدخلها بحال ، وإن كانت نجاسته كسبية عارضة دخلها بعدما يتطهر في النار

(١) انظر : تاج العروس للزبيدي (٣٩٢/٢) ، والتعريفات للجرجاني (١٤٢) .

(٢) المقاييس (٤٢٨/٣) .

(٣) انظر : المفردات (٣٠٧) والمجموع شرح المذهب (٧٩/١) .

(٤) التعريفات (١٤٦) .

(٥) انظر : إغاثة اللهفان (٦٩/١) .

من تلك النجاسة ثم لم يخرج منها^(١) أي من الجنة.

قال أبو العالية - رحمه الله - في قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [التوبة، الآية: ١٠٨]

إنَّ الطهور بالماء لحسن، ولكنهم المطهرون من الذنوب^(٢) وقال الأعمش - رحمه الله -: التوبة من الذنوب والتطهر من الشرك^(٣) وقد أمر الله تعالى رسوله محمد ﷺ بالطهارة فقال جلَّ ذكره: ﴿وَيَاكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر، الآية: ٤].

وقد عزم ابن القيم - رحمه الله - الآية في الطهارة من الكفر والفسوق والطهارة من الحدث والطهارة من الأعيان الخبيثة، التي هي نجسة، وقال: إن كان طهارة القلب، فطهارة الثوب، وطيب مكتسبه تكميل للذِّكْر، فإن خُبثَ الملبس يكسب القلب هيئة خبيثة، كما أنَّ خُبثَ المطعم يكسبه ذلك، ولذا حرم ما حرم من اللباس، لما تُكسب القلب من الهيئة المشابهة لتلك الحيوانات التي تلبس جلودها فإنَّ الملابس الظاهرة تسري إلى الباطن، والمقصود أنَّ طهارة الثوب وكونه من مكسب طيب، هو من تمام طهارة القلب وكمالها، فإن كان المأمور به ذلك فهو وسيلة مقصودة بغيرها، فالمقصود لنفسه أولى أن يكون مأمورًا به، وإن كان المأمور به طهارة القلب وتزكية النفس فلا يتم إلَّا بذلك^(٤) وقد حث الشارع الحكيم على طهارة الباطن بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٢].

وقد كان النبي ﷺ يدعو الله في الطهارة كما جاء عن عبدالله بن أبي أوفى - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد، اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ»^(٥).

وامتدح الله تعالى أهل مسجد قباء حينما بالغوا في طهارة الجسم فكانوا إذا استجمروا بالأحجار أتبعوا ذلك بالماء فقال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [التوبة، الآية: ١٠٨].

(١) المرجع السابق (١/٧١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٣٩١).

(٣) المرجع السابق.

(٤) إغاثة اللفهان (١/٦٩) بتصرف.

(٥) صحيح مسلم (١/٣٤٦) (٤٧٦).

وهي شطر الإيمان كما جاء عن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان...»^(١). وما من مسلم يبيت على طهر ثم يستقيظ فيدعو الله إلا استجاب الله له.

عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يبيت على ذكر طاهرًا، فيتعار من الليل فيسأل الله خيرًا من الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إيّاه»^(٢).

ولا يقبل الله صلاة عبد بغير طهور، فعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه دخل على عامر يعوده وهو مريض، فقال: ألا تدعو الله لي يا ابن عمر؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول» الحديث^(٣).

ومرّ الرسول ﷺ على قبرين يعذبان أحدهما لعدم استبرائه من البول. عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: مرّ رسول الله ﷺ على قبرين، فقال: «أما إنَّهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير. أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله» قال فدعا بعسيب رطب فشقه باثنين، ثم غرس على هذا واحدًا، وعلى هذا واحدًا، ثم قال: «لعلَّه أن يخفف عنهما مالم ييبسا»، وفي رواية: «وكان الآخر لا يستتره عن البول أو من البول»^(٤).

وبالجملة فقد حث الشارع الحكيم على الطهارة بعامة سواء في الجسم أم في الملبس أم في المنزل أم في الآنية، كمشروعية غسل الجمعة، واستعمال السواك والاستنجاء والاستجمار.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشر من الفطرة قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط وحلق العانة، وانتقاص الماء» قال زكرياء قال مصعب: ونسيت العاشرة، إلا أن تكون المضمضة»^(٥) وفي اللباس ومشروعية نظافته يقول ﷺ في حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله

(١) صحيح مسلم (٢٠٣/١) (٢٢٣).

(٢) سنن أبي داود (٢٩٦/٥) (٥٠٤٢) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٥١/٣) (٤٢١٦).

(٣) صحيح مسلم (٢٠٤/١) (٢٢٤).

(٤) صحيح مسلم (٢٤٠١) (٢٩٢).

(٥) صحيح مسلم (٢٢٣/١) (٢٦١).

عنه - «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»^(١).

وعن طهارة المكان قال ﷺ في حديث سعد - رضي الله عنه - «طهروا أفئنتكم، فَإِنَّ الْيَهُودَ لَا تَطْهَرُ أَفْئِنْتَهَا»^(٢).
الطهارة من صفات المحسنين:

عن سفينة صاحب رسول الله ﷺ - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يغتسل بالصَّاع ويتطهر بالمد^(٣).

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: «كان النبي ﷺ يتوضأ كل صلاة» قلتُ: كيف كنتم تصنعون؟ قال: يجزيء أحدنا الوضوء مالم يحدث^(٤) والسائل هو: الراوي عن أنس - رضي الله عنه -.

عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء، فيصلّي صلاة إلا غفر الله له ما بينه وبين الصلاة التي تليها»^(٥).

وإحسان الوضوء هنا إتقانه ومبالغته وإسباغه على ما جاء في السنة من غير إسراف.

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: أَنَّ رجلاً توضأ فترك موضع طُفْرٍ على قدمه فأبصره النبي ﷺ فقال: «ارجع فأحسن وضوءك» فرجع ثم صلّى^(٦).

صور من إحسان الطهارة:

عن نعيم بن عبد الله المجرم؛ قال: رأيت أبا هريرة يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء، ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق، ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ، وقال: قال رسول الله ﷺ: «أنتم الغرّ المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليطل غرّته وتحجّيله»^(٧).

(١) صحيح مسلم (٩٣/١) (٩١).

(٢) معجم الطبراني الأوسط (١٣٥/٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٠/٢) (٣٩٣٥).

(٣) صحيح مسلم (٢٥٨/١) (٣٢٦).

(٤) صحيح البخاري (٨٧١) (٢١١).

(٥) صحيح مسلم (٢٠٥/١) (٢٢٧).

(٦) صحيح مسلم (٢١٥/١) (٢٤٣).

(٧) صحيح مسلم (٢١٦/١) (٢٤٦).

من ثمرات إحسان الطهارة:

١- أنَّها سببٌ في تكفير الذنوب:

ما روي عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياهُ من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره»^(١).

وعن حمران مولى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: توضأ عثمان بن عفان يوماً وضوءاً حسناً، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: «من توضأ هكذا ثم خرج إلى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة غفر له ما خلا من ذنبه»^(٢).

ومن ثمرات الطهارة العامة:

٢- أنَّها تحدث انشراحاً في النفس ونشاطاً في البدن.

٣- أنَّها سبب قوي في الحفاظ على صحة الجسم.

٤- أنَّها عنوان على صحة إسلام المرء وقوة إيمانه.

٥- بلوغ محبة الله للعبد وتحصيل الثواب الجزيل.

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الطهارة:

إذا طهر العبد باطنه من الذنوب والمعاصي والاعتقادات الفاسدة وطهر ظاهره بإتقان الغسل والوضوء وإسباغهما واستن بسنن الفطرة وتجميل في ملبسه وأدام نظافة منزله وآنيته ابتغاء مرضاة الله وهو على حال وكأنَّه ينظر إلى الله بعيني قلبه فإنَّه ولا ريب محسن في صفة الطهارة.

(١) صحيح مسلم (٢١٦/١) (٢٤٥).

(٢) صحيح مسلم (٢٠٨/١) (٢٣٢).

سادساً: الصلاة:

تعريف الصلاة لغة:

اسم مصدر من قولهم صلى صلاة وهو مأخوذ من مادة (ص ل و ي) التي تدل على أمرين:

الأول: النار وما شابهها من الحمى. والآخر جنس من العبادة وهي الدعاء^(١) قال ابن الأثير - رحمه الله -: وقال بعضهم إن أصل الصلاة في اللغة التعظيم وسميت العبادة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب^(٢) تعالى.

واصطلاحاً:

أقوالٌ وأفعالٌ مفتتحةٌ بالتكبير مختتمةٌ بالتسليم بشرائط مخصوصة^(٣).

حكم الصلاة:

الصلاة فريضة على كل مسلم ومسلمة، وقد فرضها الله في آيات عدة من كتابه منها قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء، الآية: ١٠٣]. وقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة، الآية: ٢٣٨].

وعن عبدالله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت»^(٤).

مكانتها وفضلها:

اهتم القرآن العظيم بالصلاة فجاء ذكرها في قرابة مائة آية منه، وفي كل آية إما وعد المصلين بالكرامة، أو أوعد التاركين لها بالعقوبة والملامة، أولها: قوله تعالى في المتقين: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة، الآية: ٣].

وأخرها قوله لنبيه ﷺ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ﴾ [الكوثر، الآية: ٢]. ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت، الآية: ٤٥]. فهي الركن الثاني من أركان الإسلام وعمود الدين وأفضل الأعمال والعبادة التي فرضت في السماء وقد كان النبي ﷺ يبايع

(١) انظر: مقاييس (٣/٣٠٠).

(٢) النهاية (٣/٥٠).

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة للجزري وجماعة (١/١٧٥).

(٤) صحيح مسلم (١/٤٥) (١٦).

أصحابه عليها، ويعلمهم إياها، وهي نور المؤمن في الدنيا والآخرة، وراحته النفسية، ومفرزه عند الشدائد، وكفارته من الذنوب، والعلامة الفارقة لصحة إيمان المرء، ومن حافظ عليها كان له عهد عند الله تعالى أن يدخله الجنة^(١)، وفي كل ذلك أحاديث صحاح وحسان منها:

١- حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال ﷺ: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»^(٢).

٢- حديث جرير بن عبدالله - رضي الله عنه - قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(٣).

٣- حديث أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «... والصلاة نور...»^(٤).

٤- وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: «الصلاة الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارة لما بينهما ما لم تغش الكبائر»^(٥).

٥- حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ سئل عن أفضل فقال: «الصلاة على ميقاتها...»^(٦).

٦- حديث رجل من أسلم - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «يا بلال أرحنا بالصلاة»^(٧).

٧- حديث حذيفة - رضي الله عنه - قال: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمرٌ صلى»^(٨).

فضل صلاة الفريضة:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز (٤٣٨/٣).

(٢) سنن الترمذي (١١/٥) (٢٦١٦) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٢٨/٢) (٢١١٠).

(٣) صحيح البخاري (٣١/١) (٥٧).

(٤) صحيح مسلم (٢٠٣/١) (٢٢٣).

(٥) صحيح مسلم (٢٠٩/١) (٢٣٣).

(٦) صحيح البخاري (١٠٢٥/٣) (٢٦٣٠).

(٧) مسند أحمد (٢٢٥٧٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٠٧/٢) (٧٨٩٢).

(٨) سنن أبي داود (٧٨/٤) (١٣١٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٥٨/٢) (٤٧٠٣).

يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»^(١).
فضل صلاة الفجر:

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «قال ﷺ أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة»^(٢).
فضل الصلاة على وقتها:

عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: سألت النبي ﷺ أي: العمل أحب إلى الله قال: الصلاة على وقتها قلت: ثم أي، قال: ثم برُّ الوالدين قلت: ثم أي قال: الجهاد في سبيل الله حدثني بهن، ولو استزدته لزادني^(٣).
فضل صلاة الجماعة:

عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»^(٤).
وهي واجبة على كل مسلم مستطيع ولو كان أعمى.
صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد.
عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن»^(٥).
أفضل الصفوف:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها»^(٦).
أفضل المصطفين للصلاة:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «خياركم أئنيكم مناكب في الصلاة»^(٧).

-
- (١) صحيح البخاري (٢٣٨٥/٥) (٦١٣٧).
 - (٢) الحلية (٩١/٤) (١٥٦٦) وصححه الألباني في الصحيحة (٩١/٤) (١٥٦٦).
 - (٣) صحيح البخاري (١٩٧/١) (٥٠٤).
 - (٤) صحيح مسلم (٤٥٠/١) (٦٥٠).
 - (٥) سنن أبي داود (٣٨٢/١) (٥٦٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١١٣/١) (٥٣٠).
 - (٦) صحيح مسلم (٣٢٦/١) (٤٤٠).
 - (٧) سنن أبي داود (٤٣٥/١) (٦٧٢) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٣١/١) (٦٢٤).

أفضل أعمال الصلاة القيام:

عن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصلاة طول القنوت»^(١).

أفضل القراءة في الصلاة:

عن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله»^(٢).
أفضل التطوع مكانًا:

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبورًا»^(٣).

عن زيد بن ثابت أَنَّ رسول الله ﷺ اتَّخذ حجرة قال: حسبت أَنَّهُ قال: من حصير في رمضان فصلى فيها ليالي فصلى بصلاته ناس من أصحابه فلما علم بهم جعل يقعد فخرج إليهم فقال: قد عرفت الذي رأيت من صنعكم فصلوا أيها الناس في بيوتكم فَإِنَّ أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إِلَّا المكتوبة»^(٤).

أفضل التطوع زمانًا:

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - يرفعه قال: سئل النبي ﷺ أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة وأي الصيام أفضل بعد شهر رمضان فقال: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم»^(٥).

فضل القيام في النافلة:

عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله ﷺ عن صلاة الرجل قاعدًا فقال: «إِنْ صلى قائمًا فهو أفضل ومن صلى قاعدًا فله نصف أجر القائم ومن صلى نائمًا فله نصف أجر القاعد»^(٦).
أفضل صلاة التطوع:

عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»^(٧).

(١) صحيح مسلم (٥٢٠/١) (٧٥٦).

(٢) سنن ابن ماجه (٤٢٥/١) (١٣٣٩)، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٩٣).

(٣) صحيح البخاري (٣٩٨/١) (١١٣١).

(٤) صحيح البخاري (٢٥٦/١) (٦٩٨).

(٥) صحيح مسلم (٢١٧١/٣) (٢٨١٩).

(٦) صحيح البخاري (٣٧٥/١) (١٠٦٤).

(٧) صحيح مسلم (٥٥٠/١) (٧٢٥).

فضل السجدة الواحدة في آخر الزمان :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ثم يقول أبوهريرة واقرأوا إن شئتم : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ (١) [النساء، الآية : ١٥٩ .

إقامة الصلاة والمحافظة عليها والإكثار منها صفة المحسنين :

قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (١١٨) وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ (١١٥) [هود، الآية : ١١٤ ، ١١٥ .

وقال تعالى : ﴿ فِي يُثُوتِ آذِنَ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَمْ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴾ (٣٦) رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تَحَرَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿ (٣٧) لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٨) [النور، الآية : ٣٦ ، ٣٨] . وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلِ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ (٧٣) [الأنبياء، الآية : ٧٣] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَتَى الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (٤) [لقمان، الآية : ١ - ٤] .

وقال تعالى على لسان لقمان في وصيته لابنه : ﴿ يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (١٧) [لقمان، الآية : ١٧] .

صورة من إحسان الصلاة :

عن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - قال : « إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ فَقِيلَ لَهُ : أَتُكَلِّفُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدُمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ ، فَقَالَ : « أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا » (٢) .

وفي الحديث دلالة على كثرة الصلاة وطول القيام فيها وكل ذلك يستدعي طول القراءة والركوع والسجود والخشوع وكثرة الذكر .

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٢٧٢) (٣٢٦٤) .

(٢) صحيح مسلم (٣/ ٢١٧١) (٢٨١٩) .

تحقيق مرتبة الإحسان في إقام الصلاة:

قال ابن القيم - رحمه الله -: والنَّاسُ في الصلاة: على مراتب خمس: إحداها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثانية: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها لكن قد ضيَّع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوسوس، والأفكار. الثالثة: من يُحافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوسوس والأفكار، فهو مشغولٌ بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاةٍ وجهادٍ.

الرابعة: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامسة: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه - عز وجل - ناظرًا بقلبه إليه، مُراقبًا له، ممتلئًا من محبته وعظمته كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوسوس والخطرات، وارتفعت حُجُبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغولٌ بربه - عز وجل -: قرير العين به.

فالقسم الأول: معاقبٌ، والثاني محاسبٌ، والثالث مكفَّرٌ عنه، والرابع مُثابٌ، والخامس مُقَرَّبٌ من ربه - عز وجل -^(١).

وإذا قام العبد المسلم بالجمع بين المرتبة الرابعة، والخامسة استحق مرتبة الإحسان في إقام الصلاة.

ثمرات إقام الصلاة:

- ١- استشعار عظمة الله تعالى.
- ٢- مغفرة الذنوب ورفع الدرجات.
- ٣- ما يجده المصلي من راحة النفس والنشاط في البدن.
- ٤- تهذب النفوس وتقوي الروابط بين المؤمنين.
- ٥- تنهى عن الفحشاء والمنكر.

(١) الوابل الصيب (٤٩، ٥٠).

سابعاً : القنوت:

القنوت لغةً:

مصدر قَنَتَ يَقْنُتُ قُنُوتًا، وهو مأخوذ من مادة (ق ن ت) التي تدل على طاعة وخير في دين، والأصل فيه الطاعة، ثم سُمِّيَتْ كل طاعة في طريق الدين قنوتًا، وسمي السكوت في الصلاة والإقبال عليها قنوتًا^(١)، قال الله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة، الآية: ٢٣٨].

وقال ابن منظور: القنوت دوام الطاعة، وقيل: الدعاء في الصلاة، والقنوت الخشوع، والإقرار بالعبودية، وقيل: القيام، وزعم ثعلب أنه الأصل، وقيل: إطالة القيام، ويقال للمصلي قانتٌ وفي الحديث: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم» أي المصلي، ويرد القنوت بمعانٍ متعددة، كالطَّاعة، وقد تقدم بعضها، فيصرف في كل واحد من هذه المعاني إلى ما يحتمله لفظ الحديث الوارد فيه.

ونقل الفيروزآبادي: عن ابن الأعرابي قوله: أقنت: دعا على عدوه وأقنت إذا أطال القيام في الصلاة، وأقنت إذا أدام الحج، وأقنت إذا أطال الغزو، وأقنت إذا تواضع لله تعالى^(٢).

القنوت اصطلاحاً:

قال الراغب: القنوت لزوم الطَّاعة مع الخضوع وفسر في كل واحد منهما في قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ وقوله عز وجل: ﴿كُلُّ لَهٍ قَانِتُونَ﴾^(٣) [البقرة، الآية: ١١٦].

وقال المناوي: القنوت ثباتُ القائم بالأمر على قيامه تحقُّقًا بتمكُّنه فيه... ودعاء القنوت هو دُعاء الانتصاب في الصلاة^(٤).

أهمية القنوت:

ترجع أهمية القنوت لأمر الله تعالى عباده به واتصاف أنبيائه وأوليائه به، قال الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَلِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ [البقرة، الآية: ١٣٨، ١٣٩].

قال مجاهد - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة، الآية: ٢٣٨].

(١) مقاييس اللغة (٣١/٥).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٢٩٨/٤).

(٣) المفردات (٤١٣).

(٤) التوقيف (٢٧٥).

قال : من القنوت الركوع ، والخشوع وغض البصر ، وخفض الجناح من رهبة الله^(١) .

وقال تعالى أمرًا مريم عليها السلام بالقنوت : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [٤٢] يَمْرَيْمُ أَفْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [آل عمران ، الآية : ٤٢ ، ٤٣] . وقد امتدح الله تعالى القانتين بقوله : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ [٨] أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر ، الآية : ٨ ، ٩] . والاستفهام هنا إنكاري والتقدير : أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ أَفْضَلُ أَمْ مِنْ هُوَ كَافِرٌ؟ والقانت هو العابد وخص القنوت بالليل ، لأنَّ العبادة فيه أعون على تمحض القلب لذكر الله ، وأبعد عن مداخله الرياء ودليل على إثارة عبادة الله على حظ النفس من الراحة والنوم ، وقدم السجود على القيام في الآية لأفضليته ، وقيل : القانت في الآية هو النبي ﷺ أو غيره من الصحابة أمثال أبي بكر - رضي الله عنه - وقد اشتمل القنوت على طول السجود والقيام وشدة الخوف والرجاء وهذه الأوصاف الأربعة ، تتحقق في المثابرين على قيام الليل^(٢) . قال ابن عمر - رضي الله عنه - : « ما أعرف القنوت إلا طول القيام »^(٣) . وروي عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - : « كنا نتكلم في الصلاة يكلم أحدهنا صاحبه في حاجته حتى نزلت : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ فأمرنا بالسكوت »^(٤) وعن جابر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل الصلاة طول القنوت »^(٥) .

وقد كان النبي ﷺ يُضْرَبُ به المثل لعلو مكانته .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قيل للنبي ﷺ ما يعدل الجهاد في سبيل الله - عز وجل - ؟ قال : « لا تستطيعونه » قال : فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول : « لا تستطيعونه » وقال في الثالثة : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله ، لا يفتر من صيام ولا صلاة ، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى »^(٦) .

(١) شرح السنة للبغوي (٣/٣٦٢) .

(٢) انظر : تفسير التحرير والتنوير (٢٤/٣٤٥ ، ٣٤٦) .

(٣) بصائر ذوي التمييز (٤/٢٩٨) .

(٤) بصائر ذوي التمييز (٤/٩٨) .

(٥) صحيح مسلم (١/٥٢٠) (٧٥٦) .

(٦) صحيح مسلم (١/١٤٩٨) (١٨٧٨) .

وعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْمُسْلِمَ الْمُسَدَّدَ لِيَدْرِكَ دَرَجَةَ الصَّوَامِ الْقَوَّامِ بِآيَاتِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لِكَرَمِ ضَرِيْبَتِهِ وَحَسَنِ خُلُقِهِ»^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَحْسِبْهُ قَالَ: (شَكَ الْقَعْنَبِي أَحَدُ الرِّوَاةِ) كَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لَا يَفْطُرُ»^(٢).

القنوت صفة المحسنين:

قال الله تعالى عن إبراهيم - عليه السلام -: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النحل، الآية: ١٢٠، ١٢٢].

قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -: «إِنَّ مَعَاذَ بَنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا فَقَالَ: مَا نَسِيتُ، هَلْ تَدْرِي مَا الْأُمَّةُ وَمَا الْقَانِتُ؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: الْأُمَّةُ الَّذِي يَعْلَمُ الْخَيْرَ، وَالْقَانِتُ الْمَطِيعُ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ، وَكَانَ مَعَاذٌ يَعْلَمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَمَطِيعًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ»^(٣).

وقال تعالى عن مريم - عليها السلام -: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنَاتِ نِجَاتٌ ﴿١٢٧﴾﴾ [التحریم، الآية: ١٢].

صور من القنوت:

عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: صليت مع النبي ﷺ فلم يزل قائمًا حتى هممت بأمر سوء، قيل له: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ»^(٤).

وعن حذيفة - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فَكَانَ إِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ عَذَابٍ اسْتَجَارَ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَنْزِيهِ لِلَّهِ سَبَّحَ»^(٥).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ شَدَّ مِئْزَرَهُ وَأَحْيَا لَيْلَهُ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ»^(٦).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنْ

(١) مسند أحمد (٢/٢٢٠) وصححه الألباني في الصحيحة (٥٢٢).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٤٣٧/١٠) (٦٠٠٧).

(٣) حلية الأولياء (١/٢٣٠).

(٤) صحيح البخاري، الفتح (١٩/٣) (١١٣٥).

(٥) سنن ابن ماجه (٤٢٩/١) (١٣٥١) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/٢٢٥) (١١١).

(٦) صحيح البخاري، الفتح (٤/٢٦٩) (٢٠٢٤).

الليل يتهجّد قال: «اللهم لك الحمد، أنت قيّم السماوات والأرض ومن فيهنّ ، ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومن فيهنّ، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمّد ﷺ حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدّم وأنت المؤخّر، لا إله إلا أنت، أو لا إله غيرك»^(١).

وعن عبدالله بن الشّخير - رضي الله عنه - قال: «رأيتُ رسول الله ﷺ وفي صدره أزيزٌ كأزيز الرّيح من البكاء ﷺ»^(٢).
تحقيق مرتبة الإحسان في القنوت:

إذا خضع المؤمن لربه مطيعاً له، في أمره ونهيه، وأقام الصلاة في سكون، مقبلاً على الله بها، في طول قيام وركوع وسجود وكثرة دعاء خوفاً من عذابه وطمعاً في رحمته على الدوام وهو على حالة من الإلتقان والإخلاص، وكأنّه ينظر إلى ربه ومولاه وإلهه بعيني قلبه، ليس بينه وبينه حجاب، فقد استحق هذه المرتبة الشريفة.

ثمرات القنوت:

- ١- فيه دليل على صلاح العبد وكمال إيمانه وقوة مجاهدته.
- ٢- أنه اتباع لطرق النبيين والصالحين واستجابة لأمر رب العالمين عزّ وجل.
- ٣- المغفرة والأجر العظيم كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلَ صَلَاحًا تُؤْتِيهَا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهُا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب، الآية: ٣١] والقنوت هنا بمعنى الطاعة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب، الآية: ٣٥].

(١) صحيح البخاري ، الفتح (٣/٣) (١١٢٠).

(٢) سنن أبي داود (٥٥٧/١) (٩٠٤). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٧٠/١) (٧٩٩).

ثامناً : الزكاة:

الزكاة لغة :

يقول ابن فارس : الزاي والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة، ويقال الصدقة زكاة المال قال بعضهم : سُميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاء المال، وهو زيادته ونماؤه وقال بعضهم : سُميت زكاة لأنها طهارة قالوا : وحجة ذلك قوله جل ثناؤه : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة، الآية : ١٠٣].

والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين وهما النماء والطهارة^(١).

ويعتقد الرّاعب أنّ النموّ في الزكاة ناتج عن بركة الله تعالى فيقول : «أصل الزّكاة: النمو الحاصل عن بركة الله تعالى، ويُعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية ويقال زكا الزرع يزكو إذا حصل منه نمو وبركة... ومنه الزكاة لما يخرج الإنسان من حقّ الله تعالى إلى الفقراء، وتسميته بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة أو لتزكية النفس أي تنميتها بالخيرات والبركات، أولهما جيمعاً فإنّ الخيرين موجودان فيها^(٢)».

الزكاة اصطلاحاً :

اسم لأخذ شيء مخصوص من مال مخصوص على أوصاف مخصوصة لطائفة مخصوصة^(٣) بنية.

وعند الجرجاني : «عبارة عن إيجاب طائفة من المال في مال مخصوص لمالك مخصوص»^(٤).

قال الماوردي : الصدقة زكاة، والزكاة صدقة يفترق الاسم ويتّفق المسمى^(٥).

منزلة الزكاة وفضلها والترهيب من منعها:

تأتي الزكاة في الدّرجة الثالثة في الإسلام حيث إنّها الركن الثالث من أركانه الخمسة المعروفة، وقد فرضها الله على عباده الأغنياء فجاء ذكرها في قرابة إحدى وخمسين آية من كتابه العزيز وكثيراً ما جاءت مقرونة بالصلاة للأهمية فلا تقبل إلّا بها وقد نوه الرسول ﷺ بذكرها في سنته بين الأمر بها

(١) مقاييس اللغة (١٧/٣).

(٢) المفردات (٢١٨).

(٣) المجموع شرح المذهب (٣٢٥/٥).

(٤) التعريفات (١١٤).

(٥) نقلاً عن فقه الزكاة للقرضاوي (٤٠/١).

والنهي عن تركها وثواب فاعلها وعقوبة تاركها ومقاديرها ومصارفها في عشرات الأحاديث، ومن الآيات الآمرة بها قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة، الآية: ٤٣]، وهي وصية الله لرسله حيث قال تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم، الآية: ٣١]. وهي وصية الرسل لأتباعهم حيث قال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم، الآية: ٣١]. وهي وصية الرسل لأتباعهم حيث قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم، الآية: ٥٤]، وكان يأمر أهله بالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا [مريم، الآية: ٥٤، ٥٥] وهي مصداق الإيمان والفيصل بين الأخوة الإسلامية: . وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَفُصِّلَ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة، الآية: ١١]. [١١]

وقد أمر الله تعالى بمقاتلة مانعي الزكاة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة، الآية: ٥] ولا تتحقق الهداية إلا بإتيائها كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْزِمُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة، الآية: ١٨] وعسى هنا تفيد تحقق الوقوع.

وإيتاء الزكاة سبيل الرحمة الإلهية كما قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرُّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور، الآية: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة، الآية: ٧١].

وهي عنوان الفلاح للعبد في الدنيا والآخرة، كما قال جل ذكره: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤﴾ [المؤمنون، الآية: ١ - ٤].

والزكاة من محاسن هذا الدين تؤكد روح التراحم والتعاطف والتعاون بين المسلمين وتزيل الأحقاد بين الأغنياء والفقراء، وهي طهرة للمال من الأدران ونماء وبركة وحفظ له من الآفات كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة، الآية: ١٠٣].

والمال الذي لم يترك يشتعل على صاحبه يوم القيامة نارًا يتكوى به،

كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَا كُفُونَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكُوفٌ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة، الآية: ٣٤، ٣٥] وكل مال لم تخرج زكاته فهو كنز استحق صاحبه هذه العقوبة.

وأما من السنة فما جاء عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «بُني الإسلام على خمسة: على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان والحج»^(١).

عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»^(٢).

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم - رحمه الله -: «أبى الله أن يقبل الصلاة إلاً بالزكاة، وقال: يرحم الله أبابكر ما كان أفقهه» يعني لما قاتل مانعي الزكاة»^(٣).

وعن جابر بن عبدالله البجلي - رضي الله عنه -: قال: «بايعتُ النبي ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(٤). وقد جعلها النبي ﷺ برهان إيمان المرء.

فعن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك، أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»^(٥).

وهي كفارة لفتنة الرجل في أهله وولده وجاره كما جاء عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: قال عمر - رضي الله عنه -: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ عن الفتنة؟ قال: قلت: أنا أحفظه كما قال: قال: إنك عليه لجريء،

(١) صحيح مسلم (٤٥/١) (١٦).

(٢) صحيح البخاري (١٧/١) (٢٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٣٣٦/٢).

(٤) صحيح مسلم (٧٥/١) (٥٦).

(٥) صحيح مسلم (٢٠٣/١) (٢٢٣).

فكيف قال؟ قلت: فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والمعروف...» الحديث^(١)

وهي من موجبات الجنة كما ورد عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «خمسٌ مَنْ جاءَ بهنَّ مع إيمانٍ دخل الجنة، من حافظ على الصلوات الخمس، على وضوئهن وسجودهن ومواقيتهن، وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً، وأعطى الزكاة طيبة بها نفسه، وأدى الأمانة» قالوا: يا أبا الدرداء: وما أداء الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة^(٢).

تاسعاً: الإنفاق:

ورد هذا المصطلح في الكتاب والسنة وهو الزكاة والصدقة متفقة في المقاصد.

الإنفاق لغة:

مصدر أنفق، يقال: أنفق يُنفق إنفاقاً فهو مُنفقٌ وتدور هذه المادة حول معنيين:

أحدهما: يدل على انقطاع شيء وذهابه.

والآخر: على إخفاء شيء وإغماضه، وصفة الإنفاق إنما هي من المعنى الأول^(٣).

واصطلاحاً:

الإنفاق إخراج المال الطيب في الطاعات والمباحات^(٤) وفي النفقة على العيال والأهل يقول ابن علان - رحمه الله - النفقة هي سائر المؤن من كسوة ونفقة، وسكن على من يعول من زوجة وولد وخادم^(٥) [أو ممن تلزمه نفقة] وهي مقدرة بالكفاية^(٦).

حكم الإنفاق:

أكثر ما يكون الإنفاق على سبيل التطوع، وقد يكون واجباً إذا قام عليه الدليل إلا أنَّ المحسنين يلزمون أنفسهم به لمقام الإحسان^(٧)، وقد حث

(١) صحيح البخاري، الفتح (٣/٣٠١) (١٤٣٥).

(٢) سنن أبي داود (١/٢٩٨) (٤٢٩) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٨٧) (٤١٤).

(٣) لسان العرب (٨/٤٥٠٨) والصحاح (١/١٥٦).

(٤) دليل الفالحين (٢/٥١٤).

(٥) المرجع السابق (٢/٥١٤).

(٦) المغني لابن قدامة (٧/٥٦٤، ٥٦٥).

(٧) انظر: التفسير القيم (١٤٨، ١٥١).

الإسلام على الإنفاق ورغب فيه وأثاب فاعليه الأجر الجزيل من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٣، ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢٥٥) [البقرة، الآية: ٢٥٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِّن أَنْصَارٍ ﴾ (٢٧٠) [البقرة، الآية: ٢٧٠].

وأخبر جلّ ذكره أن ترك الإنفاق في سبيله يؤدي إلى التهلكة فقال جلّ شأنه: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٩٥) [البقرة، الآية: ١٩٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٩٥) تعميم بعد تخصيص فبعد أن أمر الله تعالى بالإنفاق في سبيله أمر بالإحسان عموماً علماً أن الإنفاق نوع من الإحسان وفيه دلالة على أهمية الإنفاق.

قال ابن القيم - رحمه الله -: في معنى قول الله تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٤٥) [البقرة، الآية: ٢٤٥].

صدّر سبحانه الآية بالطف بأنواع الخطاب، وهو الاستفهام المتضمن معنى الطلب، وهو أبلغ في الطلب من صيغة الأمر، والمعنى: هل أحد يبذل هذا القرض الحسن، فيجازي عليه أضعافاً مضاعفة؟

وسمي ذلك الإنفاق قرضاً حسناً حثاً للنفوس، وبعثاً لها على البذل؛ لأنّ الباذل متى علم أنّ عين ماله يعود إليه ولا بد، طوّعت له نفسه، وسهّل عليه إخراجها، فإن علم أنّ المستقرض ملىء وفي محسن، كان أبلغ في طيب فعله وسماحة نفسه، فإن علم أنّ المستقرض يتجر له بما اقترضه، وينمي له ويثمره حتى يصير أضعاف ما بذله كان بالقرض أسمح وأسمح، فإن علم أنّه مع ذلك كله يزيده من فضله وعطائه أجراً آخر من غير جنس القرض، فإنّ ذلك القرض حظ عظيم وعطاء كريم؛ فإنّه لا يتخلّف عن قرضه، إلّا لآفة في نفسه من البخل والشح، أو عدم الثقة بالضمان وذلك من ضعف إيمانه، ولهذا كانت الصدقة برهاناً لصاحبها وهذه الأمور كلها تحت هذه الألفاظ التي تضمنتها الآية، فإنّه سمّاه قرضاً، وأخبر أنّه هو المقرض لا قرض حاجة، ولكن قرض إحسان إلى المقرض واستدعاء لمعاملته، وليعرف مقدار الربح فهو الذي أعطاه ماله واستدعى منه معاملته به ثم أخبر عما يعطيه فوق ذلك من الزيادة وهو الأجر الكريم، وحيث جاء هذا القرض في القرآن

قيده بكونه حسناً، وذلك يجمع أموراً ثلاثة:

أولها: أن يكون من طيب ماله، لا من رديئه وخبثه.

ثانيها: أن يخرج طيبة به نفسه، ثابتة عند بذله ابتغاء مرضاة الله.

ثالثها: أن لا يمن به ولا يؤذي.

فالأول: يتعلّق بالمال.

والثاني: يتعلّق بالمنفق بينه وبين الله.

الثالث: بينه وبين الآخذ.

وأما قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة، الآية: ٢٦١]، فقد شبه الله سبحانه النفقة في سبيله، سواء كان المراد بها الجهاد أو جميع سُبُل الخير بمن بذر بذراً فأُنبَت كل حبة منه سبع سنابل اشتملت كل سُنْبُلَةٍ على مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء فوق ذلك بحسب حال المنفق وإيمانه وإخلاصه، وإحسانه، ونفع نفقته وقدرها، ووقوعها موقعها، فإنَّ ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص والتثبيت عند النفقة، وهو إخراج المال بقلب ثابت، قد انشرح صدره بإخراجه وشرحت به نفسه وخرج من قلبه قبل خروجه من يده، فهو ثابت القلب عند إخراج غير جزع ولا هلع ولا متبّعته نفسه، ترجف يده وفؤاده، ويتفاوت بحسب نفع الإنفاق وبحسب مصادفته لموقعه، وبحسب طيب المنفق وزكائه وتوضيح هذا المثل من النفقة: أنَّه سبحانه شبّه الإنفاق بالبذر، فالمنفق ماله الطيب لله لا لغيره، باذراً ماله في أرض زكية فمغله بحسب بذره وطيب أرضه وتعاهد البذر بالسقي، ونفي الدغل والنبات الغريب عنه فإذا اجتمعت هذه الأمور ولم يحرق الزرع ناراً، ولا لحقته جائحة جاء أمثال الجبال، وكان مثله كمثّل جنة بربوة فتربى الأشجار هناك أتم تربية فنزل عليها من السماء مطر عظيم القطر فروّأها ونمّاها فأُت أكلها ضعفي ما يؤتيه غيرها، بسبب ذلك الوابل فإن لم يصبها وابل فطلّ فيكفيها لكرم منبتها، فتزكو على الطل، وتنمو عليه وفي هذا إشارة إلى نوعي الإنفاق الكثير والقليل فمن الناس من يكون إنفاقه وابلًا، ومنهم من يكون إنفاقه طلاً، والله لا يضيع مثقال ذرة.

والآيات الدالة على الأمر بالإنفاق واستحبابه كثيرة ومن الأحاديث:

ما جاء عن خُريم بن فاتك - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له بسبعمئة ضعف»^(١).

(١) سنن السنائي (٤٩/٦) (٣١٨٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١١٠).

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد مسلم ينفق من كل مال له زوجين في سبيل الله إلا استقبلته حبة الجنة كلهم يدعوه إلى ما عنده» قلتُ: وكيف ذلك قال: «إن كانت إبلاً فبعيرين، وإن كانت بقراً فبقرتين»^(١).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أنه كان جالساً مع أصحابه إذ جاءه قهرمانٌ له، فدخل فقال: أعطيت الرقيق قوتهم؟ قال: لا قال: فانطلق فأعطهم قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته»^(٢) والقهرمان هو: الخازن.

مقدار ما تكون النفقة:

قد يشكل على المنفق القدر الذي تستحب بعده النفقة وقد سئل النبي ﷺ عن ذلك فتولى الله تعالى الإجابة بقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣) ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [البقرة، الآية: ٢١٩ - ٢٢٠] والعفو: ما سهل وتيسر وفضل، ولم يشق على القلب إخراجها^(٤). والمعنى: أنفقوا ما فضل عن حوائجكم، ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة.

أوقات الإنفاق وأحواله:

ليس للإنفاق وقت محدد ولا حالة يجب التقيد بها كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْإِثْرِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٥) [البقرة، الآية: ٢٧٤] إلا أن صدقة السر أفضل كما سيأتي.

التوسط في النفقة:

وصف الله تعالى عباده المؤمنين بصفات جميلة منها:

التوسط في النفقة، والاعتدال فيها وذلك لدوامها ودفع الضرر الناتج عن الإفراط في إخراجها حتى لا تحصل لهم العاقة أو التفريط في عدم إخراجها بسبب الشيطان الذي يأمر بالبخل قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٦) [الفرقان، الآية: ٦٧].

(١) سنن النسائي (٤٨/٦) (٣١٨٥) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢٦٠).

(٢) صحيح مسلم (٦٩٢/١) (٩٩٦).

(٣) انظر: المفردات (٣٥٢).

عاشراً : صدقة التطوع:

الصدقة لغة :

اسم لما يتصدق به وهو مأخوذ من مادة (ص د ق) التي تدل على قوة في الشيء قولاً أو غيره، ومن ذلك أخذ الصدق لقوته في نفسه، ومن الصدق أخذت الصدقة، لأنها تدل على صدق العبودية لله تعالى والصدقة ما تصدقت به على الفقراء أو مَنْ في حكمهم، والمتصدق هو الذي يعطي الصدقة.

وقد تشمل الصدقة، الصدقة المفروضة أو الواجبة.

قال الراغب - رحمه الله -: وقد يُسمَّى الواجب صدقة إذا تحرى صاحبها الصدق في فعله قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ [التوبة، الآية: ٦٠].

ويقال أيضاً: لما يتجافى عنه الإنسان من حقه، تصدق به، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ﴾ [المائدة، الآية: ٤٥]. وقوله عز من قائل: ﴿ وَإِنْ كَانَتْ دُورُ عُسْرٍ فَنَظَرَةٌ إِلَى مَيْسَرٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة، الآية: ٢٨٠]. أجرى ما يسمح به المعسر مجرى الصدقة وعلى هذا ما ورد عن النبي ﷺ: «ما تأكله العافية فهو صدقة» وقول الله عز وجل: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ [المنافقون، الآية: ١٠] ويحتمل أن يكون من الصدق أو من الصدقة^(١).

واصطلاحاً:

قال الجرجاني: هي العطية يُبتغى بها المثوبة من الله تعالى. وقال الراغب: ما يخرج به الإنسان من ماله على وجه القرية كالزكاة، لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به، والزكاة للواجب^(٢). وقال التهانوي: الصدقة: عطية يراد بها المثوبة لا التكرمة؛ لأنَّ بها يظهر الصدق في العبودية وهي أعمُّ من الزكاة، وقد تطلق عليها أيضاً^(٣).
حكم صدقة التطوع وحكمتها وفضلها:

ليس في المال على المسلم صدقة واجبة سوى الزكاة وما عداها فهو مستحب إلا أنَّ أهل الإحسان أوجبوها على أنفسهم وهي الزيادة على الحق

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/٣٣٩)، والصحاح (٤/١٥٠٦)، ولسان العرب (٢٤١٩) والمفردات (٢٧٨).

(٢) التعريفات (١٣٨) والمفردات (٢٧٨).

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون (٤/٢٦٠).

المفروض كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ آلِئِلَ مَا يَهْجُونَ ﴿١٧﴾ وَيَأْتِيهِمْ سُرُورٌ مِّمَّا يَكْتُمُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات، الآية: ١٥ - ١٩].

وقد أخبر جلّ ذكره أنّ مرتبة الإحسان لا تنال إلا بالصدقة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَن نَّأَلُوا الْيَتْرَ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا يُحِبُّونَ وَمَا يُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران، الآية: ٩٦].

والبرّ هنا سعة الإحسان وشدة المرضاة والخير الكامل الشامل ولذلك توصف الأفعال القوية بالإحسان فيقال: بر الوالدين، وبر الحج^(١) وقد دعا الإسلام إلى الصدقة بأساليب تستهوي الأفئدة المؤمنة، بما يبعث فيها كوامن الخير، والبر، والإحسان، وذلك للتخلص من شح النفس، وحب الذات فقط، وتوثيق أواصر الأخوة الإيمانية، وسد حاجات المجتمع المسلم، إذ أنّه لا يسوغ أن يرى المسلم أخاه يجوع ويعرى وهو قادر على إطعامه، ولم يقيد هذه الصدقة بزمان ولا مكان ولا نصاب، بل أطلق ذلك كله إلى حالة المتصدق وما تجود به نفسه الكريمة.

ومن النصوص الداعية إلى الصدقة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة، الآية: ٢٦١] وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة، الآية: ٢٤٥] وقوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد، الآية: ٧].

وقوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء، الآية: ١١٤] وقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَيْ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المنافقون، الآية: ١٥].

وعن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتَّقُوا النار ولو بشق تمرة»^(٢).

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل

(١) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٢/١٢٨).

(٢) صحيح البخاري (٢/٥١٤) (١٣٥١).

آناه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها»^(١).

وعن أسماء - رضي الله عنها - قالت: قال لي النبي ﷺ: «لا توكي فيوكي عليك»^(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»^(٣).

أقسام الصدقات:

المتبادر إلى الذهن أن المراد بالصدقات هي ما يقدمه الأغنياء إلى الفقراء من مال، ولكن في الحقيقة الشرعية الأمر أوسع من ذلك، فإن كل معروف صدقة، سواء ما كان بين المسلم وربه جلّ وعلا من العبادة المفروضة أو المستحبة فإنّها صدقة يتصدق بها المرء على نفسه، أم ما يكون بين المسلم ونفسه أم أخيه المسلم أم الحيوان النافع، أم البيئة التي يعيش فيها، فإن كل ذلك وغيره من الإحسان صدقة يؤجر عليها.

فعن حذيفة - رضي الله عنه - قال: قال نبيكم ﷺ: «كل معروف صدقة»^(٤).

وقال تعالى عن موسى - عليه السلام - ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقَىٰ حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص، الآية: ٢٣، ٢٤].

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نُصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم قال: «أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة. ونهي عن منكر صدقة. وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر، قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»^(٥).

(١) صحيح البخاري (٥١٠٢) (١٣٤٣).

(٢) صحيح البخاري (٥٢٠/٢) (١٣٦٦).

(٣) صحيح البخاري (٥٢٢/٢) (١٣٧٤).

(٤) صحيح مسلم (٦٩٧/١) (١٠٠٥).

(٥) صحيح مسلم (٦٩٧/١) (١٠٠٦).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كَبَّرَ الله، وحمد الله وهلَّلَ الله. وسبَّح الله، واستغفر الله، وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس، وأمر بمعروف أو نهى عن منكر، عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامي، فإنَّه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار»^(١).

وعن أبي بردة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة» قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال: «يعملُ بيديه فينفع نفسه ويتصدق» قال قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف» قال قيل له: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «يأمر بالمعروف أو الخير» قال: أرأيت إن لم يفعل قال: «يمسك عن الشر فإنَّها صدقة»^(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس» قال: تعدل بين الاثنين صدقة» «وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه، صدقة» قال: والكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»^(٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خُفَّهُ ثم أمسكه بفيه، ثم رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له» قالوا: يا رسول الله، وإنَّ لنا في البهائم أجراً؟ قال: في كل كبد رطبة أجر»^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف، الآية: ٥٦].

من آداب إخراج الزكاة والنفقة والصدقة:

١- الإخلاص لله تعالى في النفقة وغيرها كما قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ﴾ [البقرة، الآية: ٢٦٥].

٢- أن يكون المال المنفق طيباً، فلا ينفق من خسيس المال ورديئه؛ لأنَّ الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِن

(١) صحيح مسلم (٦٩٨/١) (١٠٠٧).

(٢) صحيح مسلم (٦٩٩/١) (١٠٠٨).

(٣) صحيح مسلم (٦٩٩/١) (١٠٠٩).

(٤) صحيح البخاري (٨٣٣/٢) (٢٢٣٤).

طَيِّبَتْ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ
وَلَسْتُمْ بِبَاخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْنِصُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ [البقرة، الآية: ٢٦٧].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب، إلا أخذها الله بيمينه، فيريها كما يربي أحدكم فلوله أو قلوصة، حتى تكون مثل الجبل أو أعظم»^(١).

٣ - عدم المن بها، لأنه محبط لها وهو دليل على عدم الإخلاص فيها لله تعالى وعنوان شح النفس بها، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالْهَكَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة، الآية: ٢٧٤] وقد أعد الله تعالى للذين يطيّبون نفساً بما ينفقون الأجر العظيم وانتفاء الخوف والحزن في الآخرة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة، الآية: ٢٦٢].

وقال سفيان الثوري - رحمه الله - سئل عن المن؟ فقال: «أن يذكره ويتحدث به»^(٢).

٤ - أن يتحرى المتصدق بصدقته أهلها الذين أمر الله تعالى بالتصدق عليهم، وهم الأصناف الثمانية، وذلك تأسيًا بفعل النبي ﷺ كما في حديث عبيد الله بن عبد الله بن الخيار، - رضي الله عنه - أن رجلين جاءاه في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسألاه منها، فرفع النظر إليهما، وخفضه فرأهما جلدين فقال: «إن شئتما أعطيتكما، ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب»^(٣).

٥ - إخفاء الصدقة عن أبصار الناس؛ لأن ذلك أدعى للإخلاص وأستر للسائل.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله

(١) صحيح مسلم (٧٠٢/١) (١٠١٤).

(٢) إحياء علوم الدين (٢٦٧/١).

(٣) سنن أبي داود (٩٩/٥) (١٦٣٣) وصحيح إسناده الألباني في الإرواء (٣/٣٨١).

خالياً ففاضت عيناه»^(١).

٦- ردالسائل بالقول الجميل إذا لم يكن صدقة، أو تعثرت النفس في عدم التخلص من الشح والمثّة في صدقة التطوع، لقوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة، الآية: ٢٦٣].

٧- عدم شراء المتصدق صدقته إذا تصدق بها، ثم وجدها تباع في السوق، حتى لا يعود في صدقته.

فعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - يحدث أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - تصدق بفرس في سبيل الله، فوجده يُباع فأراد أن يشتريه، ثم أتى النبي ﷺ فاستأمره، فقال: «لا تعد في صدقتك»^(٢).

٨- إخراجها بنفس طيبة، ودليل ذلك انبساط الوجه، ولين العريكة، وحسن الكلام.

٩- الحذر من الاستعلاء بها على المؤمنين المستحقين لها، إذ الأصل أن يؤكد أواصر المودة والتراحم لا أن يقطعها، ودواء ذلك أن يضع المتصدق نفسه مكان المتصدق عليه، ويعامله بما يحب أن يعامل به لو كان مكانه.

١٠- استشعار إحسان الله إليه بما آتاه، وأنه خليفة عن الله تعالى فيه يضعه فيما أمر جلّ وعلا، قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص، الآية: ٧٧].

أفضليات تتعلق بالزكاة والإنفاق والصدقة:

١- أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح:

لما روى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أتى رسول الله ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم: «وفي رواية» قال أي الصدقة أفضل؟ فقال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تهمل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان»^(٣).

٢- أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى:

كما جاء عن حكيم بن حزام - رضي الله عنه - قال: أن رسول الله ﷺ

(١) صحيح مسلم (٧١٥/١) (١٠٣١).

(٢) صحيح البخاري (٥٤٢/٢) (١٤١٨).

(٣) صحيح مسلم (٧١٦/١) (١٠٣٢).

قال: «أفضل الصدقة (أو خير الصدقة) عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى، وأبدأ بمن تعول»^(١).

٣- من أفضل الصدقة ما يعطى للقريب الذي يضرر عداوته، عن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «إِنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ الصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ»^(٢).

٤- من أفضل الصدقة صدقة من يملك القليل.

لما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: «جُهِدُ الْمُقْلِّ وابدأ بمن تعول»^(٣).

٥- أفضل الصدقة سقي الماء:

عن سعد بن عباد - رضي الله عنه - قال: قلت يا رسول الله إِنَّ أُمِّي ماتت أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم» قلت: فأَي الصدقة أفضل؟ قال: «سَقْيُ الْمَاءِ»^(٤).

٦- أفضل الرقاب عتقًا:

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قلت يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله، والجهد في سبيله».

قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: «أنفسها عند أهلها، وأكثرها ثمنًا» قال: قلت فإن لم أفعل؟ قال: «تعين صانعًا أو تصنع لأخرق» قال: قلت: يا رسول الله، أرايت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: «تكف شرك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك»^(٥) والأخرق الذي ليس بصانع.

٧- من أفضل الصدقة صدقة السرِّ

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة، الآية: ٥٧١].

٨- من أفضل الصدقة حط الدين عن المعسر أو بعضه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرٍ فَنظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

(١) صحيح مسلم (٧١٧/١) (١٠٣٤).

(٢) مسند أحمد (٥٧٨/٦) (٢٣٠١٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٩/١) (١١٠).

(٣) سنن أبي داود (٣١٢/٢) (١٦٧٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٩/١) (١١٢).

(٤) سنن النسائي (٢٥٤/٦) (٣٦٦٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٠/١) (١١٣).

(٥) صحيح مسلم (٨٩/١) (٨٤).

تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ [البقرة، الآية: ٢٨٠].

٩- من أفضل الصدقة النفقة على الأهل، والدَّابة، والأصحاب:

عن ثوبان - رضي الله عنه - مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله»^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك»^(٢).

إيتاء الزكاة والإنفاق والتصدق من صفات المحسنين:

قال الله تعالى عن إبراهيم - عليه السلام -: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ ۖ يَا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء، الآية: ٧٢، ٧٣]

وقال تعالى: ﴿الْم ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [لقمان، الآية: ١ - ٥]

وقال تعالى: ﴿فِي يُثُوبِ أَذِنَ اللَّهُ أَن تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٦٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور، الآية: ٣٦ - ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٣، ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَن حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِم عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِن عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُنِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٥﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة، الآية: ١٢٠، ١٢١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ

(١) صحيح مسلم (٦٩١/١) (٩٩٤).

(٢) صحيح مسلم (٦٩٢/١) (٩٩٥).

وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ [النور، الآية: ٢٢] وهذه الآية نزلت في المحسن الثاني في هذه الأمة وهو أبوبكر - رضي الله عنه - كان ينفق على مسطح بن أثانة المطلبي، إذ كان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين فلما علم بخوضه في قصة الإفك أقسم أن لا ينفق عليه، ولما تاب مسطح وتاب الله عليه لم يزل أبوبكر - رضي الله عنه - واجداً في نفسه عليه فعاتبه الله في ذلك وكفر عن يمينه وأعاد النفقة عليه^(١)، وأولوا الفضل هم أصحاب الإحسان والمعروف.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَانَتْهُمْ رَبُّهُمْ رِزْقُهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات، الآية: ١٥ - ١٩]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلَاثِي نَوْمٍ مِّنَ اللَّيْلِ مَعَكَ وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْمَ الْآنَ تُخْصِمُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ إِنَّ عِلْمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْضَىٰ وَءَاخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخِرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَءُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا نُقِذُوا لَأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل، الآية: ٢٠].

وفي حديث الثلاثة الذين خلفوا رضي الله عنهم أن كعب بن مالك - رضي الله عنه - وهو أحدهم قال: قلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «أمسك بعض مالك فهو خير لك»^(٢)

وقال عثمان بن عفان - رضي الله عنه - لما حُوصِر بعد أن أشرف عليهم أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ حَفَرَ رُومَةً فَلَهُ الْجَنَّةُ فَحَفَرْتُهَا؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ جَهَّزَ الْعَسْرَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ؟ فَجَهَّزْتُهَا! فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ.^(٣) ورومة بئر في المدينة.

صور من إيتاء الزكاة والإنفاق والصدقة:

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «ما سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامَ شَيْئًا إِلَّا أُعْطَاهُ قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ اسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ يُعْطِي عَطَاءً مِّنْ لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ»^(٤).

(١) انظر: تفسير التحرير والتنوير (١٨/١٨٨، ١٨٩).

(٢) صحيح مسلم (٣/٢١٢٧) (٢٧٦٩).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٤٠٦/٥) (٢٧٧٨).

(٤) صحيح مسلم (٢/١٨٠٦) (٢٣١٢).

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك ثم أمر له بعطاء»^(١).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فإنَّ رسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة»^(٢).

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنَّه أخذ أربعمئة دينار فجعلها في صرة فقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تله ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها الغلام إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين، اجعل هذه في بعض حاجتك فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفدها فرجع الغلام وأخبره فوجده قد أعدَّ مثلها إلى معاذ بن جبل، فقال: اذهب بهذا إلى معاذ بن جبل ثم تله في البيت حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين، اجعل هذا في بعض حاجتك، فقال - رحمه الله - ووصله تعالي يا جارية، اذهبي إلى بيت فلان بكذا فاطلعت امرأة معاذ فقالت: نحن والله مساكين فأعطنا ولم يبق في الخرق إلا ديناران، فنحنا بهما إليها ورجع الغلام إلى عمر فأخبره وسرَّ بذلك وقال: إنَّهم إخوة بعضهم من بعض»^(٣).

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كان أبوطلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ﴾ [آل عمران، الآية: ٩٢] قال أبوطلحة: وإنَّ أحب أموالي إليَّ بيرحاء، وإنَّها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعتها يا رسول الله حيث أراك الله. قال: فقال رسول الله ﷺ: «بَخ، ذلك مالٌ رابح، ذلك مالٌ رابح، وقد سمعت ما قلت، وإنني أرى أن نقسمها في الأقربين» فقال أبوطلحة: افعل يا رسول الله فقسمها أبوطلحة

(١) صحيح مسلم (٧٣١/١) (١٠٥٧).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٣٠٥/٦) (٣٢٢٠).

(٣) الزهد لابن المبارك (٥١١) الحلية لأبي نعيم (٢٧/١).

في أقاربه وبني عمه»^(١)

وقال شبيب بن شيبه - رحمه الله تعالى - كنا بطريق مكة وبين أيدينا سفرة لنا ببغداد في يوم قائط فوقف علينا أعرابي ومعه جارية له زنجية فقال: يا قوم أفيكم أحد يقرأ كلام الله حتى يكتب لي كتاباً؟ قال: قلنا أصب من غدائنا حتى نكتب لك ما تريد، قال: إني صائم فعجبنا من صومه في تلك البرية فلما فرغنا من غدائنا دعونا به فقلنا ما تريد؟ فقال: أيها الرجل إن الدنيا قد كانت ولم أكن فيها، وستكون ولا أكون فيها، فإني أردت أن أعتق جاريتي هذه لوجه الله، وليوم العقبة أتدري ما يوم العقبة؟ قوله عز وجل: ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۚ فَكُ رَقَبَةً ۚ﴾ [البلد، الآية: ١١ - ١٣] فاكتب ما أقول لك ولا تزيدن عليّ حرفاً هذه فلانة خادم فلان قد أعتقها لوجه الله وليوم العقبة، قال: شبيب فقدمت البصرة فأتيت ببغداد فحدثت بهذا الحديث المهدي، قال: مائة نسمة تُعتق على عهد الأعرابي^(٢).

تحقيق الإحسان في إيتاء الزكاة، والإنفاق والصدقة:

إذا بلغ المؤمن في إيتاء الزكاة والإنفاق ودفع الصدقات الواجب وزاد عليه طيبة بها نفسه من ما يحب من ماله متحريراً آدابها وهو على حالة من الإخلاص والإتقان وكأنه ينظر إلى ربه تعالى فإنه محسن ولا ريب.

ثمرات إيتاء الزكاة والصدقة:

١- تحقيق لأحد أركان الإسلام، ودليل على حسن الظن بالله والثقة به.

٢- تطهير للمال، وتركية النفوس من الشح.

٣- يدفع الله بها المصائب والنقم.

٤- تقوى العلاقات الاجتماعية، وإشاعة التراحم والتواؤ في المجتمع المسلم.

٥- تحل مشاكل الفقر وما ينتج عنه من انحرافات.

(١) صحيح البخاري ، الفتح (٣/ ٣٢٥) (١٤٦١).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٨/ ٨٤) وقال مخرجه إسناده صحيح.

الحادي عشر : الصوم:

تعریفہ :

الصوم لغة :

مصدر صام يصوم صومًا وصيامًا، مأخوذٌ من مادةٍ (ص و م) الَّتِي تدل على «إمساك وركود في مكانٍ» من ذلك صوم الصَّائِم وهو إمساكه عن مطعمه ومشربه وسائر ما مُنعه، ويكون الإمساك عن الكلام صومًا.

قال أهل اللغة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم، الآية: ٢٦] إنه الإمساك عن الكلام أي الصمت، وأما الركود فيقال: للقائم صائم^(١) واصطلاحًا:

قال الجرجاني: الصوم في الشرع عبارة عن إمساك مخصوص وهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من الصبح إلى المغرب مع النية^(٢).

حقيقة الصوم:

قال ابن القيم - رحمه الله - (في الصوم): هو لحام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين، من بين سائر الأعمال، فإنَّ الصائم لا يفعل شيئاً، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس، وتلذذاتها، إثارةً لمحبة الله ومرضاته، وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده فهو أمر لا يطلع عليه بشرٌ وتلك حقيقة الصوم^(٣).

فضله :

يعد الصوم من أفضل العبادات وأشرفها وأحبها إلى الله تعالى قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة، الآية: ١٨٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب، الآية: ٣٥].

وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - أنه سأل رسول الله ﷺ: «أي

(١) المقاييس (٣/٣٢٣)، لسان العرب (١٢/٣٥٠، ٣٥١).

(٢) التعريفات (١٤١).

(٣) زاد المعاد (٢/٢٩).

العمل أفضل؟» قال: «عليك بالصوم فإنه لا عدل له»^(١) أي لا مثيل له.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ قال: الله عز وجل: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به» والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقلل إني امرؤ صائم، والذي نفسي محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر، فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»^(٢)

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله، إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً»^(٣).

وعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون، يوم القيامة، لا يدخل معهم أحدٌ غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق، فلم يدخل منه أحد»^(٤).

فوائده:

للصيام فوائد دينية ودنيوية منها:

أنه ينمي عند المسلم خلق التقوى الذي هو من أرفع صفات المحسنين، ويحبس النفس البشرية عن الشهوات والتعلق بالعادات، ويحدث اعتدالاً في المزاج، ويساعد على القيام بأعباء العبادات الأخرى على تنوعها، ويسدد الخلل الناتج عن الإساءة أو التقصير في بعض العبادات والسلوك مثل: كفارات القتل، والصيام، واليمين، والحج وغيرها، كما أنه شعار للأمة الإسلامية في اتحاد السلوك ولمدة شهر كامل، تتعزز به روابط الأخوة الإسلامية، إضافة لما يحدثه في الجسم من تخلص من الأخلاط الرديئة والأمراض المستعصية.

قال ابن القيم - رحمه الله -: «وللصوم تأثيرٌ عجيبٌ في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وحمايتها من التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من

(١) سنن النسائي (٤/١٦٥) (٢٢٢٣) وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٣٧).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٤/١١٨) (١٩٠٤).

(٣) صحيح مسلم (١/٨٠٨) (١١٥٣).

(٤) صحيح مسلم (١/٨٠٨) (١١٥٢).

صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات فهو من أكبر العون على التقوى كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَقُّونَ﴾ (١) [البقرة، الآية: ١٨٣]

الصيام صفة عباد الله المحسنين:

عن أنس - رضي الله عنه - قال: دخل النبي ﷺ على أم سليم فأتته بتمر وسمن، قال: «أعيدوا سمنكم في سقائه، وتمركم في وعائه، فإني صائم» (٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟» قال أبو بكر - رضي الله عنه - أنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر - رضي الله عنه -: أنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟» قال أبو بكر - رضي الله عنه - أنا، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟» قال أبو بكر - رضي الله عنه - أنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» (٣).

صورة من إحسان الصيام:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: أخبر رسول الله ﷺ أنه يقول: لأقومن الليل ولأصومن النهار، ما عشت، فقال رسول الله ﷺ: أنت الذي تقول ذلك؟ فقلت: له: قد قلته، يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، ونم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر» قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك قال: «صم يوماً وأفطر يومين» قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، يا رسول الله! قال: «صم يوماً وأفطر يوماً، وذلك صيام داود عليه السلام، وهو أعدل الصيام» قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك قال رسول الله ﷺ: «لا أفضل من ذلك» (٤).

تحقيق مرتبة الإحسان في الصوم:

يمكن للمرء المسلم أن يحقق هذه المرتبة الشريفة وذلك بأن يحقق شروط قبول الصوم وينتفي عنه موانع قبوله مع مراعاة آدابه الظاهرة والباطنة أكثرًا منه، وهو على حالة من الإتيان والإخلاص والخشية وكأنه ينظر إلى

(١) زاد المعاد (٢/٢٩).

(٢) صحيح البخاري (٢/٦٩٩) (٨٨١).

(٣) صحيح مسلم (١/٧١٣) (١٠٢٨).

(٤) صحيح مسلم (١/٨١٢) (١١٥٩).

ربه تعالى لا يحجبه عنه شيء.

قال جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب، والمأثم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل يوم صيامك وفطرك سواء»^(١).

وقال أبوذر - رضي الله عنه - : «إذا صمت فتحفظ ما استطعت وكان طليق [أحد الرواة] إذا كان يوم صومه دخل فلم يخرج إلا للصلاة»^(٢).

وقال ميمون - رحمه الله - : «إن أهون الصوم ترك الطعام والشراب»^(٣).

من ثمرات الصوم :

- ١- الوعد بالبشري والفوز بالجنة.
- ٢- طهارة للنفس ووقاية للبدن.
- ٣- يثمر محبة الله وطاعته.
- ٤- يهذب الطباع ويكبح جماح النفس.
- ٥- دليل على صلاح العبد واستقامته.
- ٦- فيه أمن من الوقوع في المحرمات.
- ٧- يورث الخشية من الله عز وجل.
- ٨- ينمي حسن المراقبة لله عز وجل في السر.
- ٩- فيه صحة للبدن من كثير من الآفات!
- ١٠- فيه حرب للشيطان.
- ١١- فيه إحساس بآلام الفقراء ومشاركة لهم.
- ١٢- فيه إحساس بوحدة الأمة الإسلامية وتماسكها^(٤)

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٢/٢٧١) (٨٨٨٠).

(٢) المراجع السابق (٨٨٧٨).

(٣) المراجع السابق (٢/٢٧٢) (٨٨٨٣).

(٤) انظر: نضرة النعيم (٧/٢٦٦٢).

الثاني عشر : الحج والعمرة:

الحج لغة:

مصدر قولهم حجَّ يحجُّ وهو مأخوذ من مادَّة (ح ج ح) التي تدل على أربعة معان:

الأول: القصد، وكل قصد حج.

والثاني: الحِجَّة وهي السنة.

والثالث: الحِجَابُ (بفتح الحاء وكسرهما)، وهو العظمُ المستدير حول العين.

والرابع: الحَجَّجَةُ بمعنى الثكوص والحجُّ المذكور هنا إنَّما يرجع إلى المعنى الأول، وهو القصد أو القصد للزيارة، يُقال: ورجل محجَّوجٌ أي مقصودٌ، وحجَّه يحجُّه حجًّا: قصده، وقد حجَّ بنو فلانٍ فلانًا إذا أطالوا الاختلاف إليه^(١).

واصطلاحًا:

قال الجرجاني: قصدٌ لبيت الله تعالى بصفةٍ مخصوصةٍ في وقتٍ مخصوصٍ بشرائطٍ مخصوصةٍ.

وقال الحافظ: الحجُّ في الشرع: القصد إلى البيت الحرام بأعمال مخصوصة.

وقال العيني: الحج قصدٌ إلى زيارة البيت الحرام على وجه التَّعظيم بأفعال مخصوصة^(٢).

العمرة لغة:

العمرة والاعتمار: الزيارة التي فيها عمارة البيت.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة، الآية: ١٨] إما من العمارة التي هي حفظُ البناء أو من العمرة التي هي الزيارة، أو من قولهم عمرتُ بمكان كذا أي أقمتُ به، وقال ابن فارس: إنَّ العمرة بمعنى الزيارة إنما هي مأخوذةٌ من مادَّة (ع م ر) التي تدل على الصَّياح والجلبة، يقال: اعتمر الرَّجُل إذا أهْلَّ بعمرته، وذلك رفعُهُ صوته للتَّلبية للعمرة.

وقال الجوهري: والعمرة في الحج وأصلها من الزيارة والجمع العمر.

وقال ابن منظور، وقوله تعالى: ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٦]

(١) مقاييس اللغة (٢/٣٠٠) والصحاح (١/٣٠٤) ولسان العرب (٢/٣٠).

(٢) انظر: التعريفات (٨٢) وفتح الباري (٣/٣٧٨)، وعمدة القاريء (٩/١٢١) ودليل الفالحين (٤/٧٣).

قال الزجاج: معنى العمرة في العمل: الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة فقط، والفرق بين الحج والعمرة، أنَّ العمرة تكون للإنسان في السنة كلها، والحج وقت واحد في السنة، وتماام العمرة أن يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة، والحج لا يكون إلا مع الوقوف بعرفة يوم عرفة^(١).
واصطلاحًا:

زيارة البيت الحرام على وجه مخصوص وبشروط مخصوصة^(٢)
الحج عبادة العمر:

قال الغزالي - رحمه الله - : إنَّ الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتماام الإسلام وكمال الدين، فعلى كل حاجٍّ ومعتمر أن يبدأ بالتوبة، وردَّ المظالم وقضاء الديون، وإعداد التَّفَقُّة لكلِّ مَنْ تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وإيابه، كما ينبغي أن يلتبس رفيقًا صالحًا محبًا للخير معينًا عليه، إن ذكره الله أعانه، وإن جبن شجَّعه، وإن عجز قوَّاه، وإن ضاق صدره صَبَّره^(٣).

حكم الحج والعمرة:

الحج فرض عين على كل مسلم ومسلمة مرَّة في العمر، إذا استطاع إليه سبيلًا، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران، الآية: ٩٧] ولما جاء عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله يقول: «بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»^(٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيُّها الناس! قد فرض الله عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكلَّ عام؟ يا رسول الله! فسكت حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: لو قلت نعم، لوجبت، ولما استطعتم» ثم قال: ذروني ما تركتكم فإنَّما هلك من كان قبلك بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»^(٥).

(١) المفردات (٣٤٧) المقاييس (١٤١/٤) والصحاح (٧٥٧/٢)، واللسان (٣١٠/٢).

(٢) انظر: الروض المربع (١٣٣).

(٣) الإحياء (١/٢٣٩، ٢٤٧).

(٤) صحيح البخاري، الفتح (١/٤٩) (٨).

(٥) صحيح مسلم (١/٩٧٥) (١٣٣٧).

إلا أنه يستحب تكرار الحج والإكثار منه، لما جاء عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإن المتابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد»^(١).

وأما العمرة فإنها من السنن المؤكدة وقيل واجبه لقوله تعالى: ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٦].

فضلهما:

والحج كذلك من أفضل الأعمال عند الله تعالى فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله» قال ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قال: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»^(٢).

والحج جهاد من لا يقدر على الجهاد في سبيل الله، فعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لا لكن أفضل الجهاد حج مبرور»^(٣).

والحج والعمرة من أعظم الشعائر الإسلامية التي ينال بهما العبد المغفرة والثواب الجزيل، لما روى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه»^(٤).

وعنه - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(٥). والمبرور: هو الذي لم يخالطه إثم.

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟»^(٦). حكمتها:

من الحكم الظاهرة أن الحج والعمرة يهدفان إلى إقامة ذكر الله تعالى

(١) سنن ابن ماجه (٩٦٤/٢) (٢٨٨٧) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٣٣٤).

(٢) صحيح مسلم (٨٨/١) (٨٣).

(٣) صحيح البخاري (٥٥٣/٢) (١٤٤٨).

(٤) صحيح مسلم (٩٨٣/١) (١٣٥٠).

(٥) صحيح مسلم (٩٨٣/١) (١٣٤٩).

(٦) صحيح مسلم (٩٨٢/١) (١٣٤٨).

على مستوى الجماعة الإسلامية، المتوحدة في المشاعر المقدسة على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة، الآية: ٢٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا إِلَهًا وَحْدًا فَلَهُ أَسْلِمُوا وَيُشِيرَ الْمُخْبِتِينَ﴾ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥) [الحج، الآية: ٣٤، ٣٥] يفسر ذلك حديث أمنا عائشة - رضي الله عنها - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة لإقامة ذكر الله تعالى» (١).

ومن الحكم تعظيم حرمة الله تعالى لقوله جلّ وعلا: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج، الآية: ٣٠].

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - هي جميع المناهي في الحج: فسوق وجدال، وجماع، وصيد، وتعظيمها أن لا يحوم حولها (٢) وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٣٢) [الحج، الآية: ٣٢]. وشعائر الله تعالى هي: مواضع الحج كلها من منى وعرفة والمزدلفة والصفا والمروة والبيت وغيرها (٣) يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة، الآية: ١٥٨].

ومن الحكم كذلك التقرب إلى الله تعالى بذبح الهدي، وفي ذلك تزكية للروح وتخليص لها من صفة البخل الذميمة، وتعويد للمسلم على الإنفاق في سبيل الله من بعد الحج كما قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١١٦) [البقرة، الآية: ١٩٦].

ومن الحكم الظاهرة تربية النفوس وتعويدها على ضبط السلوك بما في الحج والعمرة من أحكام وآداب فردية واجتماعية.

منها: النفقة وإعداد الراحلة واختيار الرفقة والقيام بحقوقها، والصبر

(١) تفسير القرطبي (١٢/٥٤).

(٢) انظر: روح المعاني (٦/١٧، ١٥٤).

(٣) الأصل في معرفة أحكام الحج والعمرة قول النبي ﷺ وفعله وتقريره لقوله ﷺ: «لتأخذوا عني مناسككم، فإني لا أدري لعلني لا أحج بعد حجتي هذه». صحيح مسلم

(١/٩٤٣) (١٢٩٧)

على مشقة السفر، والتخلص من الأخلاق الرذيلة مثل: الرفت والفسوق والجدال، إذ أن اجتماع الحجاج في المشاعر المقدسة وانتقالهم من مشعر إلى آخر مظنة اختلاف أو زلل لذلك حذر الله من الوقوع فيه، قال الله تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٧].

وهناك حكم أخرى لا يتسع المقام لذكرها، تستشف من قوله تعالى: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج، الآية: ٢٨] والآية دليل على عموم المنافع الدينية.

أداء الحج والعمرة من صفات المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَمِ يُظْلَمِ نُذُوقُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٥ ﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ٢٦ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٢٧ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْبَاسِ الْفَقِيرِ ٢٨ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدْوَرَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ٢٩ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ٣٠ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ السَّمَاءُ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ٣١ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ٣٢ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ٣٣ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَرِهُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْفُحْشُ ٣٤ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ٣٥ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْبِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعِ وَالْمُعْتَرِ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٣٦ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ٣٧ ﴾ [الحج، الآية: ٢٥-٣٧].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ مرَّ بوادي الأزرق فقال: أي وادٍ هذا؟ فقالوا: هذا وادي الأزرق قال: كأني أنظر إلى موسى عليه السلام - هابطاً من الثنية وله جوار إلى الله بالتلبية، ثم أتى على ثنية هرشي، فقال: «أي ثنية هذه؟» قالوا: ثنية هرشي، قال: «كأني أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف، خطام

ناقته خُلبه وهو يلبي»^(١)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - يحدث عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ليُهْلَنَ ابن مريم بفجِّ الروحاء حاجًا أو معتمرًا أو لثنيهما»^(٢)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بعثني أبوبكر الصديق في الحجة التي أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع، في رهط يؤذنون في الناس يوم النَّحر: «لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان»^(٣).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: سمعت النبي ﷺ يخطب يقول: «لا يخلون رجل بامرأة إلاَّ ومعهما ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلاَّ مع ذي محرم» فقام رجل فقال: يا رسول الله! إنَّ امرأتي خرجت حاجة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال: انطلق فحج مع امرأتك»^(٤).

صور من إحسان الحج والعمرة:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال المشركون، إنَّه يقدم وقد وهنتهم حُمَّى يثرب، فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلاَّ الإبقاء عليهم»^(٥).

عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «غدونا مع رسول الله ﷺ من منى إلى عرفات، منا الملبِّي ومنا المكبر»^(٦).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة فسمع النبي ﷺ وراءه زجرًا شديدًا وضربًا وصوتًا للإبل، فأشار بسوطه إليهم وقال: «أيها الناس عليكم بالسكينة، فإنَّ البرَّ ليس بالإيضاع»^(٧) أي ليس بالإسراع.

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنَّه كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات يكبر على إثر كل حصاة ثم يتقدم حتى يُسهل ثم يرمي الوسطى، ثم يأخذ ذا الشمال فيُسهل ويقوم مستقبل القبلة، فيقوم طويلاً ويدعو، ويرفع يديه ويقوم طويلاً، ثم يرمي جمره ذات العقبة من بطن الوادي ولا يقف

(١) صحيح مسلم (١٥٢/١) (١٦٦).

(٢) صحيح مسلم (٩١٥/١) (١٢٥٢).

(٣) صحيح مسلم (٩٨٢/٢) (١٣٤٧).

(٤) صحيح مسلم (٩٧٨/٢) (١٣٤١).

(٥) صحيح البخاري، الفتح (٤٦٩/٣) (١٦٠٢).

(٦) صحيح مسلم (٩٣٣/١) (١٢٨٤).

(٧) صحيح البخاري، الفتح (٥٢٣/٣) (١٦٧١).

عنده، ثم ينصرف فيقول: هكذا رأيت النبي ﷺ يفعل^(١).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «ما آسى على شيء فاتني من الدنيا إلا أنني لم أحج ماشياً حتى أدركني الكبر، اسمع قول الله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾^(٢) [الحج، الآية: ٢٧].

وقال الأصمعي - رحمه الله -: «دعا أعرابي بمكة، فقال: «اللهم لا تمنعني خير ما عندك بسوء ما عندي، وإن كنت لم تقبل نصبي فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبيته»^(٣).

تحقيق مرتبة الإحسان في الحج والعمرة:

إذا أتى العبد المؤمن بالحج والعمرة مثبتاً أركانهما ومحققاً شروطهما ومحافظةً على سننهما وآدابهما كما جاءت به السنة على وجه الإخلاص والإتقان مستشعراً ما يقول معظماً له ولشعائر الله تعالى وهو في سكونة ووقار يرجو الثواب ويخاف التفريط وهو على حال وكأنه يرى الله تعالى ويخاطبه ويتبتل له فقد أحسن كل الإحسان.

من ثمرات الحج والعمرة:

- ١- طاعة الله وتلبية النداء الأول بالحج.
- ٢- إعلان العبودية له وحده وخلع ما سواه.
- ٣- التجريد والتحرر من شهوات النفس وملذاتها.
- ٤- ينمي روح المحبة والوصية والتعاون بين المسلمين.
- ٥- طهارة النفس من أوزار الذنوب والمعاصي.
- ٦- فيه إذلال للشيطان.
- ٧- تعود على المشاق وأخذ العبر من السير في الأرض.
- ٨- تعويد على النفقة في سبيل الله تعالى.

(١) صحيح البخاري الفتح (٥٨٢/٣) (١٧٥١).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٥٣٧/٧).

(٣) المرجع السابق (١٢٣/٨).

الثالث عشر : الجهاد:

الجهاد لغة:

مصدر قولهم جَاهَدَ يُجَاهِدُ مأخوذ من مادة (ج ه د).
التي تدل في الأصل على المشقة ومصدر الثلاثي من ذلك قولهم : جَهْدٌ
(بالفتح) وَجْهٌ (بالضم) وكلاهما يعني : إما الوُسْعَ والطاقة، أو التعب
والمشقة^(١)

اصطلاحاً:

قال الراغب - رحمه الله - الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع، في
مدافعة العدو^(٢) قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج، الآية:
٧٨].

مكانته: عن أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «أفضل العمل:
الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله»^(٣).

أقسام الجهاد:

والجهاد: أربعة أقسام وهي:

الأول: جهاد النفس بتعلم أمور الدين، وبفعل ما أمرت به، وترك ما
نهيت عنه، وهذا النوع مقدم على غيره.

الثاني: جهاد الشيطان وذلك بدفع ما يأتي به من الشبهات باليقين، وما
يزينه من الشهوات بالصبر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا
إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر، الآية: ٦].

الثالث: جهاد الكفار والمنافقين بالقلب، واللسان، والمال والنفس،
وأخص جهاد الكفار باليد، والمنافقين، أخصه باللسان، قال تعالى:
﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة، الآية: ٤١].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِيعُوا الْكُفْرِينَ وَجَاهِدُوهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان،
الآية: ٥٢] أي بالقرآن الكريم.

الرابع: جهاد الفساق، ويكون باليد ثم اللسان، ثم القلب^(٤) لحديث
أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى
منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك

(١) انظر: مقاييس اللغة (١/٤٨٦).

(٢) المفردات (١١٠).

(٣) صحيح البخاري فتح (١٤٨/٥) (٢٥١٨).

(٤) انظر: زاد المعاد (٣/١٠، ١٢) فتح الباري (٥/٦).

أضعف الإيمان»^(١)

حكم الجهاد:

جهاد النفس في ذات الله تعالى، وجهاد الشيطان فرض عين لا ينوب فيه أحد عن أحد.

وأما جهاد الكفار والمنافقين وَمَنْ فِي حَكْمِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ فهو فرض كفاية قد يكتفي فيه ببعض الأمة إذا حصل منهم مقصود الجهاد^(٢)

أهداف الجهاد:

١- إقامة الدين، وحماية جناب التوحيد كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٣] يدخل في ذلك أهل الكتاب وغيرهم.

٢- نصررة المستضعفين من المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء، الآية: ٧٥]

٣- قتال المعتدين، وصد هجماتهم عن الدولة الإسلامية كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٠]

فضل الجهاد:

الجهاد من أفضل الأعمال عند الله تعالى وأعظمها أجرًا وأنفعها للمسلمين في الدنيا.

فعن أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله وجهاد في سبيله...»^(٣).

وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده، وذروة سنامه؟» قلت: بلى يا رسول الله قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»^(٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دُلّني على عمل يعدل الجهاد، قال: «لا أجده» قال: «هل تستطيع إذا

(١) صحيح مسلم (٦٩/١) (٤٩).

(٢) زاد المعاد (١٢/٣).

(٣) صحيح البخاري - الفتح (١٤٨/٥) (٢٥١٨).

(٤) سنن الترمذي (١١/٥) (٢٦١٦). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩١٣/٢) (٥١٣٦).

خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟ قال: ومن يستطيع ذلك؟ قال: أبو هريرة: إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات»^(١)

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - في هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران، الآية: ١٦٩] قال: إنا قد سألنا عن ذلك فقال: أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل^(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يَخْرُجُهُ إِلَّا جِهَادَ فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصَدِيقَ بِرْسَلِي فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلًا مَانَالٍ مِنْ أَجْرٍ، أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلَّمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ رِيحُ مَسْكٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ لَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزَوُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزَوْا فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزَوْا فَأُقْتَلَ»^(٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مثل المجاهد في سبيل الله، والله أعلم بمن يجاهد في سبيله، كمثل الصائم القائم، وتكفل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالمًا مع أجر أو غنيمة»^(٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدُوسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفْجَرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(٥).

وعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرُّوحَةُ يَرْوَحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ

(١) صحيح البخاري، الفتح (٤/٦) (٢٧٨٥).

(٢) صحيح مسلم (١٥٠٢/٢) (١٨٨٧).

(٣) صحيح مسلم (١٤٩٥/٢) (١٨٧٦).

(٤) صحيح البخاري الفتح (٦/٦)، (٢٧٨٧).

(٥) صحيح البخاري الفتح (١١/٦) (٢٧٩٠).

الدنيا وما عليها»^(١).

أفضل الجهاد:

عن عمر بن عنبسة - رضي الله عنه - قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله!... أي الجهاد أفضل؟ قال: «من عُقِرَ جواده وأهريقَ دمه»^(٢).
الجهاد صفة المحسنين:

والمحسنون هم الثلثة التي تحققت فيهم صفة الجهاد بجميع أنواعه كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت، الآية: ٦٩] وقال تعالى ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة، الآية: ١٢٠، ١٢١].

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: «رجل جاهد بنفسه وماله، ورجل في شُعبٍ من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره»^(٣).

عن بريدة عن أبيه - رضي الله عنه - قال: «غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة قاتل في ثمان منهن»^(٤).

صور من جهاد المحسنين:

عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - أنَّ رجلاً سألَه فقال: أكتتم وليتم يوم حنين؟ يا أبا عمار، فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما وُلِّيَ ولكنه انْطَلَقَ أَخِفاءً مِنَ النَّاسِ وَحُسْرًا إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ هَوَازِنَ، وَهُمْ قَوْمٌ رَمَاءٌ، فَرَمَوْهُمْ بِرَشَقٍ مِنْ نَبْلِ كَأَنَّهَا رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ، فَانْكَشَفُوا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبُوسُفْيَانُ بْنُ الْحَارِثِ يَقُودُ بِهِ بِغْلَتِهِ، فَتَزَلَّ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ وَهُوَ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ، اللَّهُمَّ نَزِلْ نَصْرَكَ» قال البراء: كنا والله إذا احمرَّ البأس نتقي به، وإنَّ الشجاع منا للذي يحاذي به

(١) صحيح البخاري، الفتح (١٠٥٩/٣). (٢٧٣٥).

(٢) سنن ابن ماجه (٩٣٤/١) (٢٧٩٤) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٢٨/٢) (٢٢٥٣).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٣٣٠/١١) (٦٤٩٤).

(٤) صحيح مسلم (١٤٤٨/٢) (١٨١٤).

يعني النبي ﷺ^(١).

وعن إياس بن سلمة حدّثني أبي قال: قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مائة، وعليها خمسون شاة لا تُروىها قال: فقعد رسول الله ﷺ على جبا الرّكبة فإما دعا وإما بسق فيها قال: فجاشت، فسقينا واستقينا قال: ثم إنّ رسول الله ﷺ دعانا للبيعة في أصل الشجرة قال: فبايعته أول الناس ثم بايع وبائع حتى إذا كان في وسط من الناس قال: «بايع يا سلمة!» قال: قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس، قال: «وأيضاً» قال: ورآني رسول الله ﷺ عزلاً (يعني ليس معه سلاح) قال: فأعطاني رسول الله ﷺ حجة أودرفة ثم بايع حتى إذا كان في آخر الناس قال: «ألا تبايعني؟ يا سلمة!» قال: قلت: قد بايعتك يا رسول الله! في أول الناس وفي أوسط الناس، قال: «وأيضاً» قال: فبايعته الثالثة، ثم قال لي: «يا سلمة! أين حجفتك أو درقتك التي أعطيتك؟» قال قلت: يا رسول الله لقيني عمي عامر عزلاً فأعطيته إياها قال: فضحك رسول الله ﷺ وقال: «إنك كالذي قال الأول، اللهم أبغني حبيباً هو أحبُّ إلي من نفسي» ثم إنّ المشركين راسلونا الصلح حتى مشى بعضنا في بعض واصطلحنا قال: وكنت تبيعاً لطلحة بن عبيد الله أسقي فرسه وأحلسه وأخدمه وأكل من طعامه وتركت أهلي ومالي مهاجراً إلى الله ورسوله ﷺ قال: فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة، واختلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسحت شوكة فاضطجت في أصلها قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم فتحوّلت إلى شجرة أخرى وعلّقوا سلاحهم واضطجعوا فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي: يا للمهاجرين! قتل ابن زُئيم قال: فاخترطت سيفي، ثم شدّدت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم فجعلته ضغثاً في يدي، قال: ثم قلت: والذي كرّم وجه محمّد! لا يرفع أحد منكم رأسه إلّا ضربت الذي فيه عيناه، قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ قال: وجاء عمي عامر برجل من العبلات يقال له مُكرز يقوده إلى رسول الله ﷺ على فرس مُجفّف في سبعين من المشركين فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: «دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه» فعفا عنهم رسول الله ﷺ، وأنزل الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح].

قال ثم خرجنا راجعين إلى المدينة فنزلنا منزلاً بيننا وبين بني لحيان جبل وهم المشركون فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رقى هذا الجبل الليلة،

(١) صحيح مسلم (١٤٠٠/٢) (١٧٧٦).

عبدالرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله، فاستاقه أجمع وقتل راعيه. قال فقلت: يا رياح ! خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيدالله، وأخبر رسول الله ﷺ أَنَّ المشركين قد أغاروا على سَرَحِهِ. قال: ثمَّ قمت على أكمة فاستقبلت المدينة فناديت ثلاثاً: يا صباحاه! ثمَّ خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل، وأرتجز أقول: أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع. فالحق رجلاً منهم. فأصك سهمًا في رَحْلِهِ. حتى خلس نصل السهم إلى كتفه، قال قلت: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع، قال: فوالله ! ما زلت أرميهم وأُعْقِرُهُمْ. فإذا رجع إليَّ فارس أتيت شجرة فجلست في أصلها، ثمَّ رميته، فعقرت به حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه، علوت الجبل فجعلت أرميهم بالحجارة. قال: فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري. وخلصوا بيني وبينه. ثمَّ أتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحًا يستخفون ولا يطرحون شيئًا إلا جعلت عليه آرامًا من الحجارة يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه حتى أتوا متضايقًا من ثنية فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري فجلسوا يتضحون (يعني يتغدون) وجلستُ على رأس قرنٍ قال الفزاري: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح والله! ما فارقنا منذ غلس يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا قال: فليقم إليه نفر منكم أربعة قال: فصعد إلي منهم أربعة في الجبل قال: فلما أمكنوني من الكلام قال قلت: هل تعرفوني؟ قالوا: لا ومن أنت؟ قال: قلتُ: أنا سلمة بن الأكوع والذي كرَّم وجه محمد ﷺ لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته، ولا يطلبني رجل منكم فيدركني قال أحدهم: أنا أظن قال: فرجعوا فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر قال: فإذا أولهم الآخرم الأسدي على إثره أبوقتادة الأنصاري وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي، قال: فأخذتُ بعنان الآخرم قال: فولَّوا مدبرين، قلت: يا أخرم! احذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه قال: يا سلمة! إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أَنَّ الجنة حق والنار حق، فلا تحل بيني وبين الشهادة قال: فخليته فالتقى هو وعبدالرحمن قال: فعقر بعبدالرحمن فرسه، وطعنه عبدالرحمن فقتله، وتحول على فرسه، ولحق أبوقتادة فارس رسول الله ﷺ بعبدالرحمن فطعنه فقتله فوالذي كرَّم وجه محمد ﷺ لتبعتهم أعدو على رجلي حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم شيئًا، حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء، يقال له ذا قرْدٍ ليشربوا منه وهم عطاش قال: فنظروا إليَّ أعدو وراءهم، فخلَّيتهم عنه (يعني أجليتهم عنه) فما ذاقوا منه قطرة قال: ويخرجون فيشتدون في ثنية قال: فأعدوا

فألحق رجلاً منهم فأصكه بسهم في نغص كتفه قال: قلت: خذها وأنا ابن الأكوخ، واليوم يوم الرُّضع، قال: يا ثكلته أمه! أكوعه بكرة قال قلت: نعم ياعدو نفسه! أكوعك بكرة قال: وأرادوا فرسين على ثنية قال: فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ قال: ولحقني عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن، وسطيحة فيها ماء فتوضأت وشربت ثم أتيت رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي خلأتهم عنه فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبل، وكل شيء استنقذته من المشركين وكل رمح وبردة وإذا بلال نحر ناقة من الإبل التي استنقذت من القوم وإذا هو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها قال: قلت يا رسول الله! خلني فأنتحب من القوم مائة رجل فأتبع القوم فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، في ضوء النار فقال: «يا سلمة! أترأى كنت فاعلاً» قلت: نعم والذي أكرمك! فقال: «إنهم الآن ليقرون» في أرض غطفان قال: فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم فلان جزوراً، فلما كشفوا جلدها رأو غباراً فقالوا: أتاكم القوم فخرجوا هاربين فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: «كان خير فرساننا اليوم أبوقتادة وخير رجالتنا سلمة» قال: ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين: سهم الفارس وسهم الرّاجل، فجمعهما لي جميعاً ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك قال: فلما سمعت كلامه قلت: أما تُكرم كريماً، ولا تهاب شريقاً؟ قال: لا إلا أن يكون رسول الله ﷺ قال: قلت يا رسول الله! بأبي وأمي! ذرني فلا سابق الرجل، قال: «إن شئت» قال: قلت: اذهب إليك، وثني رجلٍ فظفرتُ فعدوت قال: فربطت عليه شرفاً أو شرفين أستبقي نفسي ثم عدوت في إثره فربطت عليه شرفاً أو شرفين، ثم إني رفعتُ حتى ألحقه قال: فأصكه بين كتفيه قال: قلت قد سُبقتُ والله! قال: أنا أظن. قال: فسبقته إلى المدينة قال: فوالله! ما لبثنا إلا ثلاث ليالٍ حتى خرجنا إلى خير مع رسول الله ﷺ قال: فجعل عمي عامرُ يرتجز بالقوم:

تالله! لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا فثبت الأقدام إن لا قينا
وأنزلن سكيناً علينا

فقال رسول الله ﷺ: «من هذا» قال: أنا عامر قال: «غفر لك ربك» قال: وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخرجه إلا استشهد قال: فنادى عمر بن الخطاب، وهو على جمل له: يا نبي الله! لولا ما متّعتنا بعامر، قال: فلما قدمنا خير قال: خرج ملكهم مرحبٌ يخطر بسيفه ويقول: قد علمت خير أني مرحبٌ شاكي السلاح بطل مجربٌ

إذا الحروب أقبلت تلهَّبُ

قال: وبرز له عمِّي عامر، فقال:

قد علمتُ خير أني عامرُ شاكي السلاح بطل مُغامرُ
قال: فاختلفا ضربتين فوق سيف مرحبٍ في تُرس عامرٍ، وذهب عامر
يسفلُ له فرجع سيفُه على نفسه، فقطع أكحله فكانت فيها نفسه.

قال سلمة: فخرجتُ فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بطلَ عملُ
عامر، قال رسول الله ﷺ: «من قال ذلك؟ قال قلتُ ناسٌ من أصحابك قال:
كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين» ثم أرسلني إلى علي، وهو أرمدُ فقال:
لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله» قال: فأتيته
عليًّا فجئت به أقوده وهو أرمد، حتى أتيتُ به رسول الله ﷺ فبسق في عينيه
فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحبٌ فقال:

قد علمتُ خير أني مرحبُ شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهَّبُ
فقال علي:

أنا الذي سمَّني أُمي حيدرة كليث غاباتٍ كرية المنطرة
أوفيهم بالصاع كيل السندرة

قال: فضرب رأس مرحبٍ فقتله ثم كان الفتح على يديه^(١).

ميزات جهاد المحسنين:

١- أنَّ جهادهم في سبيل الله، ولرفع كلمة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ
ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [النساء، الآية:
٧٦].

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى
النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل حَمِيَّةً، ويقاتل شجاعة، ويقاتل رياءً فأئِ
ذلك في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في
سبيل الله»^(٢).

٢- معرفة أحوال عدوهم الدينية والتثبت منها، والحكم على الناس
بظواهرهم، وهذه الميزة وإن كانت واجبة في حق كل مجاهد إلا أنَّ
المحسنين أشد تثبتًا لها، قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَلْسِنَتُ مَوْمِنًا تَبْتَغُونَ
عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ

(١) صحيح مسلم (١٤٣٣/٢) (١٨٠٧).

(٢) صحيح البخاري (٢٧١٤/٦) (٧٠٢٠)، ومسلم (٢٤٠٦). واللفظ له.

فَمَرَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾
[النساء، الآية: ٩٤].

٣- أنهم قوم صَبْرٌ عند اللقاء، لا يهنون، ولا يضعفون، ولا يستكينون لما أصابهم.

٤- الاستغفار من الذنوب لعلمهم أنها أول طلائع الهزيمة.

٥- اليقين بأن الثبات والنصر بيد الله لا بأيديهم وأن الدعاء سبب في حصوله.

٦- طلب الثواب من الله تعالى وحده.

يدل على ذلك كله قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيبِيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَكَانَتْ لَهُمْ ثَوَابٌ دُنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابٍ آخِرَةٍ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٤٦، ١٤٨].

٧- الاستمرارية في الجهاد وإن نالتهم الرماح وأخذت منهم السيوف لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران، الآية: ١٧٢].

٨- الثقة بوعده الله لمن نصره بالنصر كما قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج، الآية: ٤٠].

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الجهاد:

إذا قام المؤمن بشعيرة الجهاد بأنواعه الأربعة المذكورة على وجه الإخلاص التام والإتقان الكامل لأعماله حتى يغلب على قلبه كأنه يشاهد ربه تعالى أمراً له به ومرغباً له فيه يمدد بالصبر والثبات واليقين بالنصر الموعود استحق مرتبة الإحسان.

من ثمرات الجهاد:

١- أنه من أفضل الأعمال وأحبها عند الله تعالى.

٢- عظم أجر المجاهدين.

٣- فيه إعلاء كلمة الله في الأرض.

٤- فيه صون لحرمات المسلمين ومقدساتهم.

٥- دليل على حسن الظن بالله وقوة الدين.

٦- فيه تزكية للنفوس ودفع للشيطان والهوى.

٧- فيه دعم لموارد الدولة الإسلامية وأفرادها.

الرابع عشر : الهجرة:

الهجرة لغة:

الهجرة: هي الاسم من الهجر أو الهجران، مأخوذة من مادة (هـ ج ر) التي تدل معنيين:

الأول: القطيعة، والآخر: شد شيء وربطه، فمن الأول: أخذ الهجر: ضد الوصل وكذلك الهجران، وقولهم هاجر القوم من دار إلى دار: تركوا الأولى للثانية، كما فعل المهاجرون، حين هاجروا من مكة إلى المدينة.

وقال ابن منظور - رحمه الله - الهجرة والهجرة: الخروج من أرض إلى أرض... والمهاجرون الذين ذهبوا مع النبي ﷺ مُشْتَقُّ منه^(١). واصطلاحاً:

هي ترك الوطن الذي بين الكفار، والانتقال إلى دار الإسلام^(٢).

وقال الراغب - رحمه الله -: الهجرة الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان كمن هاجر من مكة إلى المدينة، وقيل: مقتضى ذلك هجران الشهوات والأخلاق الذميمة، والخطايا وتركها ورفضها^(٣).

المراد بدار الكفر، ودار الإسلام:

١- دار الكفر: هي التي يحكمها الكفار، وتجرى فيها أحكام الكفر، ويكون النفوذ فيها للكفار وهي على نوعين:
أ- بلاد كفر حربيين.

ب - بلاد كفر مهادين بينهم وبين المسلمين صلح وهدنة فتصير إذا كانت الأحكام للكفار. دار كفر، ولو كان بها كثير من المسلمين.

٢- ودار الإسلام: وهي التي يحكمها المسلمون، وتجرى فيها الأحكام الإسلامية ويكون النفوذ فيها للمسلمين ولو كان جمهور أهلها كفاراً^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكون الأرض دار كفر ودار إيمان أو دار فاسقين ليست صفة لازمة لها، بل هي صفة عارضة بحسب سكانها، فكل أرض سكانها المؤمنون المتقون هي دار أولياء الله في ذلك الوقت، وكل أرض سكانها الكفار فهي دار كفر في ذلك الوقت، وكل أرض سكانها الفساق فهي دار فسوق في ذلك الوقت، فإن سكنها غير ما ذكرنا وتبدلت

(١) مقاييس اللغة (٣٤/٦) واللسان (٢٥٠/٥).

(٢) التعريفات (٢٥٦).

(٣) المفردات (٥٣٧).

(٤) الفتاوى السعدية للشيخ عبدالرحمن بن سعدي (٩٢/١).

بغيرهم فهي دارهم^(١) فأحوال البلاد كأحوال العباد فيكون الرجل تارة مسلمًا، وتارة كافرًا وتارة مؤمنًا، وتارة منافقًا، وتارة برًا، وتارة فاسقًا وتارة فاجرًا شقيًا^(٢).

أقسام الهجرة:

تنقسم الهجرة إلى قسمين رئيسين:

الأول: الهجرة المكانية، والثانية الهجرة القلبية والسلوكية.

والهجرة الأولى نوعان:

النوع الأول: الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإيمان، ويشترط فيها أن تكون الدولة والغلبة لأهل الإيمان بحيث تقام الشريعة وشعائر الدين.

والنوع الثاني: الانتقال من بلد الكفر الذي لا يأمن المرء المسلم فيه على دينه، ولا يستطيع القيام بشعائره إلى بلد كافر يأمن فيه على دينه ويستطيع القيام بشعائره ويشترط فيه شرطان:

الأول: أن لا يوجد دار للإيمان أصلاً وليس هناك، عصابة مؤمنة تسعى لإيجادها أو لا تستطيع.

والثاني: أن يكون بلد الكفر المهاجر إليه بلد يدفع الظلم عن المسلم ويؤمن له الحرية الدينية، في ممارسة شعائره، وأن لا ينوي الإقامة الدائمة، بحيث إنه لو وجدت دار إيمان كان عليه الهجرة إليها.

يؤيد ذلك هجرة المسلمين في صدر الإسلام إلى الحبشة فرارًا من أذى قريش، وهجرة رسول الله ﷺ والمسلمين قبله وبعده ومعه إلى المدينة.

القسم الثاني: الهجرة القلبية والسلوكية، وهي نوعان:

النوع الأول: الهجرة القلبية وهي: الهجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدق اللجأ والافتقار في كل نفس إليه.

والنوع الثاني: الهجرة السلوكية وهي الهجرة إلى رسول الله ﷺ في حركاتنا وسكناتنا الظاهرة والباطنة بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفضيل محاب الله تعالى ومرضاته ولا يقبل الله من أحد دينًا سواه، وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها لا زاد المعاد^(٣).

قال العز بن عبد السلام - رحمه الله -: «الهجرة هجرتان: هجرة الأوطان، وهجرة الإثم والعدوان، وأفضلها هجرة الإثم والعدوان لما فيها

(١) مجموع الفتاوى (٢٨٢/١٨).

(٢) المرجع السابق (٢٨٤/٨).

(٣) انظر: طريق الهجرتين لابن القيم (٢٠/١).

من إرضاء الرحمن، وإرغام النفس والشيطان»^(١) يدعم ذلك ما روي عن عبدالله بن السعدي - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «لا تنقطع ما دام العدو يُقاتِلُ» فقال معاوية وعبدالرحمن بن عوف وعبدالله ابن عمرو بن العاص - رضي الله عنهم - إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِنَّ الهجرة خصلتان:

إحداهما أن تهجر السيئات والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تُقْبِلَتِ التَّوْبَةُ، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت طُبع على كل قلب بما فيه، وكُفي الناس العمل»^(٢).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»^(٣).

وقد يردُّ اشكال مع هذه الأحاديث وما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال النبي ﷺ يوم افتتح مكة: «لا هجرة ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا...»^(٤) الحديث.

ووجه الإشكال إثبات الهجرة في النصوص السابقة ونفيها هنا، ومما يحل هذا الاشكال أن يقال لا هجرة بعد الفتح من مكة لأنها صارت دار إسلام، وأما الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام فهي باقية إلى يوم القيامة.

وأما الهجرة في القسم الثاني فلا إشكال فيها وهي واجبة على كل أحد.

فضل الهجرة:

مِمَّا طبع عليه الإنسان حب بلده الذي نشأ وترعرع فيه واستنشق عبيره، وسار في جنباته، وارتوى من مائه، وتغذى من نتاج ترابه حتى امتزج بلحمه ودمه يستسهل مقارعة الخطوب والمخاطرة بالنفس من أجله يصعب عليه مفارقه وإن كان إلى بلد آخر، أحسن مقيلاً منه، من هنا كانت الهجرة عسيرة على النفس يضاف إلى ذلك ما يجده المهاجر في المفارقة من لوعة على الأهل والمال، ومشاق جسام في السفر كما جاء عن عبدالله بن عدي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إليّ، ولولا أنني أُخْرِجْتُ منك ما خرجت»^(٥) يعني مكة

(١) شجرة المعارف والأحوال (٣٨٣).

(٢) مسند أحمد (١٩٢/١) (١٦٧٦) وصححه إسناده أحمد شاكر (١٣٣/٣، ١٣٤) (١٦٧١).

(٣) صحيح البخاري (١٣/١) (١٠).

(٤) صحيح البخاري (٦٥١/٢) (١٧٣٧).

(٥) سنن الترمذي (٧٢٢/٥) (٣٩٢٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٩٢/٢).

(٧٨٠٩).

والهجرة أصدق الأعمال على صحة الإيمان لذا كانت الهجرة من أشرف الأعمال الإيمانية قاطبة وأعظمها أجراً.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ [التوبة، الآية: ٢٠ - ٢٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢١٨) [البقرة، الآية: ٢١٨] وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْآثَرِ﴾ (١٩٦) رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١٩٧﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَنَّهُمْ جَنَّتِ بَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ [آل عمران، الآية: ١٩٣ - ١٩٥] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ [النحل، الآية: ٤١، ٤٢] وقد زكى الله المؤمنين المهاجرين وشهد لهم بالإيمان والصدق كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٧٤) [الأنفال، الآية: ٧٤] وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨) [الحشر، الآية: ٨] وعن أبي فاطمة - رضي الله عنه - أنه قال: يا رسول الله! حدثني بعمل أستقيم عليه وأعمله قال له رسول الله ﷺ: «عليك بالهجرة فإنه لا مثل لها»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: كنا عند رسول الله ﷺ يوماً حين طلعت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «سيأتي أناس من أمتي يوم القيامة نورهم كضوء الشمس» قلنا: من أولئك يا رسول الله؟ فقال: «فقراء المهاجرين، الذين تتقى بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته في صدره يحشرون من أطار الأرض»^(٢).

وقد قرر القرآن الكريم والسنة النبوية أفضلية السابق بالهجرة على اللاحق كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهِجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ

(١) سنن النسائي (١٤٥/٧) (٤١٦٨) وصحح الألباني إسناده في صحيح الجامع (٣٩٢٤) وانظر: الصحيحة (١٩٣٧).

(٢) مسند أحمد (١٧٧/٢) (٦٦٥٩) وصحح أحمد شاكر إسناده (١٣٦/١٠) (٦٦٥٠).

اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة، الآية: ١٠٠]

وعن أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمَهُمْ بِالسَّنَةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السَّنَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمَهُمْ هَجْرَةَ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهَجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمَهُمْ سَلَمًا، وَلَا يُؤْمِنُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرَمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ» (١)

وقد كان الصحابة - رضي الله عنهم - يرون أفضلهم أقدمهم هجرة إلى الرسول ﷺ فعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيرا منها، إلا أخلف الله له خيرا منها، قالت: فلما مات أبوسلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ . . .» الحديث (٢)

وقد كان النبي ﷺ والصحابة - رضي الله عنهم - يتخوفون على ثواب هجرتهم؛ لعظم أجرها كما جاء عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل مكة قال: «اللهم لا تجعل منايانا بها حتى تخرجنا منها» (٣)

وفي حديث سعد بن أبي وقاص وقال: - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «... اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم، لكن البائس سعد بن خولة، يرثي له رسول الله ﷺ أن مات بمكة» (٤)

الهجرة عند الحاجة إليها من صفات المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر، الآية: ١٠]

وقال الله تعالى عن موسى - عليه السلام -: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى ابْنُ الْمَلَأِ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ فَرَجَّ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ

(١) صحيح مسلم (٤٦٥/١) (٦٧٣).

(٢) صحيح مسلم (٦٣١/١) (٩١٨).

(٣) مسند أحمد (٢٥/٢) (٤٧٧٧) وصحح أحمد شاكر إسناده (٩/٧) (٤٧٧٨).

(٤) صحيح البخاري، الفتح (١٦٣/٣) (١٢٩٥).

وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَبَى يَدْعُوكَ لِيجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ [القصاص، الآية: ٢٠ - ٢٥]

وقال تعالى عن إبراهيم - عليه السلام - : ﴿وَأَبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْقُضُوا ذُلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ بِرَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ ﴿٢٥﴾﴾ فَمَنْ لَمْ لَوْطُ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [العنكبوت، الآية: ١٦ - ٢٦]

وقال تعالى عن محمد ﷺ : ﴿إِلَّا نَضْرِبْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة، الآية: ٤٠]

صور من هجرة المحسنين:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ : «هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة، فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة، فقيل: دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء، فأرسل إليه أن يا إبراهيم مَنْ هَذِهِ الَّتِي مَعَكَ؟ قال: أختي، ثم رجع إليها فقال: لَا تُكَذِّبِي حَدِيثِي، فَإِنِّي أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّكَ أختي والله إِنَّ عَلَى الْأَرْضِ مَوْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرِكَ، فَأرسل بها إليه فقام إليها، فقامت تَوْضاً، وتصلني فقالت: اللهم إِنْ كُنْتَ آمَنْتَ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتَ فَرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي فَلَا تَسْلُطْ عَلَى الْكَافِرِ فَعُطَّ حَتَّى رَكُضَ بِرَجْلَيْهِ».

قال الأعرج: قال أبوسلمة بن عبد الرحمن: إِنَّ أبا هريرة قال: «قالت: اللهم إِنْ يُمُتْ يقال هي قتلته فأرسل ثم قام إليها فقامت توضاً وتُصلي وتقول: اللهم إِنْ كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلّا على زوجي، فلا تسلط عليّ هذا الكافر فَعُطَّ حتى ركض برجله»

قال أبوسلمة بن عبد الرحمن: قال أبوهريرة: فقالت: «اللهم إِنْ يُمُتْ فيقال هي قتلته فأرسل في الثانية أو في الثالثة، فقال: والله ما أرسلتم إليّ إلّا شيطاناً أرجعوها إليّ إبراهيم وأعطوها أجراً، فرجعت إليّ إبراهيم - عليه السلام - فقالت: أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة^(١)»

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: أقبل نبي الله إلى المدينة وهو مُردف أبابكر وأبوبكر شيخٌ يعرف ونبي الله ﷺ شاب لا يعرف قال: فيلقني الرجل أبابكر فيقول: يا أبابكر! من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل، قال: فيحسبُ الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنّما يعني سبيل الخير، فالتفت أبوبكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا رسول الله! هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت نبي الله ﷺ فقال: اللهم اصصره فصرعه الفرس، ثم قامت تُحمحم، فقال يانبي الله مرني بما شئت قال: فقف مكانك، لا تتركنّ أحداً يلحق بنا قال: فكان أول النهار جاهداً على نبي الله ﷺ، وكان آخر النهار مسلحة له، فنزل رسول الله ﷺ جانب الحرّة، ثم بعث إلى الأنصار، فجاءوا إلى نبي الله ﷺ وأبي بكر فسلموا عليهما وقالوا: ركباً آمينين مطاعين فركب نبي الله ﷺ وأبوبكر وحقوا دونهما بالسلاح فقبل في المدينة: جاء نبي الله ﷺ فاشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبي الله فاقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب، فإنه ليحدث أهله إذ سمع به عبدالله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف لهم فعجل أن يضع الذي يخترف لهم فيها فجاء وهي معه فسمع من نبي الله ﷺ ثم رجع إلى أهله فقال نبي الله ﷺ: «أي بُيوت أهلنا أقرب؟» فقال أبوأيوب: أنا يا نبي الله هذه داري وهذا بابي قال: فانطلق فهِئْ لَنَا مَقِيلًا، قال: قومنا على بركة الله فلما جاء نبي الله ﷺ جاء عبدالله بن سلام فقال: أشهد أنّك رسول الله ﷺ وأنك جئت بحق وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيّ ما ليس فيّ فأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود! ويلكم اتّقوا الله، فوالذي لا إله إلّا هو إنّكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وأنّي جئتكم بحقٍ

(١) صحيح البخاري (٧٧٢/٢) (٢١٠٤).

فأسلموا» قالوا: ما نعلمه قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاث مرار قال: «فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟» قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال: «أفرأيتم إن أسلم؟» قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم قال: «أفرأيتم إن أسلم؟» قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم قال: «يا ابن سلام، اخرج عليهم فخرج» فقال: يا معشر اليهود، اتقوا الله، فوالذي لا إله إلا هو، إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق فقلوا: كذبت، فأخرجهم رسول الله ﷺ (١).

تحقيق مرتبة الإحسان في الهجرة:

إذا هاجر المؤمن إلى الله تعالى بقلبه وقالبه، وفارق دار الكافرين ابتغاء مرضاة الله، ونصرة للدين، وتكثيراً لسواد المؤمنين؛ متوكلاً على الله تعالى، صابراً على لوعة الفراق، ومشاق السفر واستشعر معية الله ونصرته، وحفظه وتأييده له يسأله من فضله، وهو على حالة من الإخلاص والالتقان، وكأنه يرى ربه تعالى لا يحجه عنه شيء، فقد أحسن في هجرته ووقع أجره على الله تعالى.

من ثمرات الهجرة:

- ١- دليل على صدق الإيمان ومحبة الله تعالى ورسوله ﷺ.
- ٢- وسيلة فاعلة لإصلاح النفس وزيادة الإيمان.
- ٣- السعة في الرزق كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [النساء، الآية: ١٠٠].
- ٤- فيها تقوية للعصبة المؤمنة على ممارسة شعائرها وإقامة دولتها.
- ٥- الفوز بالرضوان الإلهي والكرامة الأخروية.

(١) صحيح البخاري، الفتح (٢٤٩/٧) (٣٩١١).

المبحث الثالث إحسان الإنسان مع نفسه باطنًا وظاهرًا

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإحسان مع النفس باطنًا

المطلب الثاني: الإحسان مع النفس ظاهرًا

المطلب الأول الإحسان مع النفس باطنًا

عندما تحدثت الشريعة الإسلامية ممثلة في الكتاب العزيز والسنة النبوية عن باطن الإنسان كان الحديث يدور على عدة مسميات ربما يعبر بواحد منها عن الجميع وربما يعبر بواحد منها عن مجموعة وربما يعبر عن كل واحد بانفراده وذلك لما بين تلك المسميات من تقارب وارتباط وتشابه في الوظائف والأداء وهذه المسميات هي: النفس أو الروح، والصدر، والقلب، والفؤاد، والفكر، واللب، والعقل، والحجر والنهي، وحيث إن هذه الوحدات جعل الله لها القدرة على الاستجابة للخير والشر وفقًا لمؤثرات معينة، وأن ما يصدر عنها من سلوكيات للإنسان هو نتاج تلك المؤثرات فيها كان لا بد من الإحسان إليها بالمؤثرات الخيرية ودفع المؤثرات الشريرة عنها تلك المتمثلة في وساوس الشيطان الداعية للإثم والعدوان، وفي استعراض سريع عن معرفة هذه الدواخل الإنسانية نستطيع أن نحددها ونحدد صفاتها وكيفية الإحسان إليها:

أولاً: النفس :

أ - نشأتها:

المقرر في الشريعة أن النفس الإنسانية مخلوقة لله تعالى وأن النفوس جميعًا من أصل نفس واحدة وهو آدم عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتَفُؤًا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء، الآية: ١] وقد يراد بها الروح والجسد أو الروح فقط.

ب - نهاية النفس:

النفس هي التي تذوق الموت، وهذا يعني أن لها عمرًا ترد فيه إلى الله لمجازاتها عما قدمت إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر. قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء، الآية: ٣٥]

ج - أصناف النفوس:

النفوس ثلاثة أصناف:

الأولى: النفس المطمئنة، وهي التي قبلت الهدى وعملت به ودعت إليه قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ [الفجر، الآية: ٢٧ - ٣٠]

والثانية: النفس اللوامة وهي النفس التي تلوم صاحبها على فعل الشر والتقصير في فعل الخير قال الله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ ﴿٢١﴾

[القيامة، الآية: ٢].

والثالثة: النفس الأمانة بالسوء أو المسولة وهي النفس التي لم تقبل الهدى وتدفع بصاحبها إلى الإثم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ [يوسف، الآية: ٥٣] وقال تعالى: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ﴾ [يوسف، الآية: ١٨]

الإحسان إلى النفس:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنَكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلُوا تَنْبِيْراً ﴾ [الإسراء، الآية: ٧] والإحسان إلى النفس يكون بأخذ الأسباب التي تصير بها مطمئنة وهي:

١- أمر النفس بالبر كما قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [البقرة، الآية: ٤٤].

٢- عمل الصالحات كما قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فصلت، الآية: ٤٦].

٣- وقايتها من عذاب الله كما قال تعالى: ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم، الآية: ٦].

٤- التسليم لأحكام الشريعة الإسلامية كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيماً ﴾ [النساء، الآية: ٦٥].

٥- ذكر الله تعالى وطلب المغفرة منه: كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٥].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ... ﴾ [القصص، الآية

: ١٦]

٦- أداء الزكاة والصدقات كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي إِلَيَّ وَنِصْفَهُمْ وَأَنْتُمْ وَمَا يُغْنِي عَنْكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ إِلَيَّ وَالنَّهَارُ عَلِمَ أَنْ تَخْصُوهُ فَنَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ وَأَمَّا تَبَسُّرُ مِنْ الْفَرَاءِ إِنَّ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْحُومٌ وَمِمَّا يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَمِمَّا يَضْرِبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ وَمَا يَنْسَرُ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقْرِضُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المزمل، الآية: ٢٠].

٧ - السمع والطاعة للأوامر الشرعية كما قال تعالى: ﴿ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ [التغابن، الآية: ١٦].

٨- البعد عن اليأس والقنوط من رحمة الله كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَبْعَادَى

الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴿الزمر، الآية: ٥٣﴾.

٩- الحذر من تزكية النفس كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبِيرَ الْأَثَمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْتُهُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم، الآية: ٣٢].

١٠- العدل كما قال تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ [النساء، الآية: ١٣٥].

١١- الحذر من الشح كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر، الآية: ١٨] وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿٢﴾﴾ [الشمس، الآية: ٩، ١٠].

١٢- تزكية النفس بالطاعات كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر، الآية: ١٨].

١٣- الجهاد بأنواعه كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت، الآية: ٦] وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآبِ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ الَّتِي بِآيَتِهِمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١﴾﴾ [التوبة، الآية: ١١١].

١٤- شكر الله تعالى على القليل والكثير، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [لقمان، الآية: ١٢].

١٥- ملازمة الصالحين والإفادة منهم كما قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ [الكهف، الآية: ٢٨].

١٦- نهى النفس عن الهوى كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النازعات، الآية: ٤٠].

١٧- التقديم للنفس بالذرية الصالحة كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْ يَشْتِمُوا وَقَدْ مَوْا لَأَنْفُسِكُمْ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٣].

١٨- ترك الأسف على من أخلد إلى الأرض واتبع هواه مع القيام بواجب النصيحة له كما قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ تَكُنْ أَوْ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء، الآية: ٣].

١٩- الهجرة إلى بلد الإيمان كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا فَاوْلَيْكَ مَاوِيَّتُهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء، الآية: ٩٧].

٢٠- التفكير في النفس وما تحمله من مشاعر كما قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات، الآية: ٥١] (١)

وبالجملة فكل معصية ظلمٌ للنفس وكل طاعة إحسانٌ إليها ومما يحسن به إلى النفس التخفف مما يُلحِقُ بها العناء والتعب من الدنيا وزينتها.

١٢- البعد عن كل ما يرهق النفس ويضرها من المطعومات والمشروبات والمشاهدات، والمسموعات، والمقروءات إلخ. والوسائل لها حكم المقاصد ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية لحينكة (١/٢٣٣-٢٥٦).

ثانياً: الصدر :

جاءت الآيات القرآنية مفردة الصدر بأوصاف وأعمال بمعرفتها ومعرفة أصدادها يمكن تحديد مبدأ الإحسان إليه وهذه الخصائص الصدرية هي :

الانسراح والضيق : كما قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [١٢٩] [الأنعام، الآية : ١٢٥]

ويحصل في الصدر مشاعر الرهبة والكبر، والغبط، والغل والبغضاء والإكبار، والإعظام قال تعالى : ﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ ﴾ [الحشر، الآية : ١٣] وقال تعالى : ﴿ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِغِيهِ ﴾ [غافر، الآية : ٥٦]

وقال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴾ [الأعراف، الآية : ٤٣] وقال تعالى : ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ [الإسراء، الآية : ٥٠]

٥١، وحاجات النفس تتمركز في الصدر كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْآيَمْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] وأنَّ وساوس الشيطان تصل إلى مشاعره كما قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس] وأنَّ منابع الأعمال القيادية في الصدر لذلك فهي التي يُوجَّه لها الامتحان الرباني كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يَخْفَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران، الآية : ١٥٤] وأنَّ

في الصدر تثبت آيات القرآن التي تُجَلِّي الحقائق له ويشفي بها من الأمراض النفسية، كما قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَظِرُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت، الآية : ٤٩] وقال تعالى : ﴿ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس، الآية : ٤٩].

والإحسان إلى الصدر يكون بجلب المنافع له ودفع المضار عنه وسبيل تحصيل المنافع له ودفع المضار عنه يكون بالآتي :

١- اليقين التام بأنَّ القرآن وحده الشفاء لمافي الصدور من الآلام والمشاعر السيئة.

٢- إدامة تلاوة القرآن الكريم بتدبر وحفظ المستطاع منه.

٣- الاستعاذة بالله تعالى من وساوس شياطين الإنس والجن.

- ٤- الدعاء الصادق واللجأ إلى الله تعالى بانسراح الصدر.
- ٥- التحرز بأخذ الوسائل والاحتياطات اللازمة لدفع المشاعر السلبية عن الصدر.
- ٦- المراقبة الدائمة والمحاسبة الصادقة لما يجده الإنسان في صدره على ضوء الموازين الشرعية.
- ٧ - عدم اليأس من انسراح الصدر وسلامته وإدامة المجاهدة لصلاحه.

ثالثاً: القلب:

خصائصه، ووظائفه، وأمراضه، ودواؤه^(١)، والإحسان إليه.
عندما نتبع آيات القرآن الكريم نجد أنَّ القلب يكون عبارة عن المركز الرئيس للنفس.

والقلب إما أن يكون سليماً طاهراً بريئاً من العلل والأمراض وهي الشبهات والشهوات وعندئذ يكون الإنسان متمتعاً بعمق الصحة النفسية القلبية، والقلب السليم الطاهر هو القلب المؤمن بالله الذاكر له، المخبت الخاضع المطمئن المستسلم لأحكامه وشرائعه، الراضي بقضائه وقدره الواثق بفضلِهِ ورحمته، والبريء من خلائق السوء وإرادات المعصية، ونيات الإثم والفسوق والعصيان قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [٨٧] يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ [٨٨] إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [٨٩] [الشعراء، الآية: ٨٧، ٨٩] وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْعَةٍ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ [٨٢] إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [٨٢] إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ [٨٥] أَفَكَاةَ إِلَهِةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ [٨٦] فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ [٨٧] [الصافات، الآية: ٨٣ - ٨٧]

وإما أن يكون القلب سقيماً لما يتعرض له من العلل والأمراض، فتعطب درجات الصحة النفسية القلبية لديه إلى مستويات متفاوتة حسب تلك العلل والأمراض، ومتى تكاثرت على القلب أدناس الإثم والعدوان وإرادات السوء والشر، أصابته الأمراض الخطيرة وأشدّها النفاق والكفر بالله تعالى.
ودوام العلل المرضية تمت فيه حسّ الخير، فيقسو ويتصلب حتى يكون كالحجارة أو أشد قسوة، لا يتذكر مهما ذكر بالخير ومن باب أولى أن لا يستجيب له، فينصرف عن آخرته وما يقرب إلى ربه إلى دنياء وشهواته العاجلة بل يقف أحياناً عدواً للحق ويحمله وهذا هو القلب الميت إلاّ أنّه من رحمة الله تعالى أن يسر للقلوب المريضة علاجاً تشفى به إن هي أخذته بحقه.

أسباب أمراض القلوب:

مهما تعددت الأسباب فإنّها في الجملة لا تخرج عن سببين:

الأول: أسباب تعود إلى الشبهات منها:

- ١- الشك في قدرة الله على معرفة ما في القلوب كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَنْ لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ [محمد، الآية: ٢٩]
- ٢- الشك في قدرة الله تعالى على تحويل المستحيلات، كما قال تعالى عنهم في معركة بدر لما رأوا قلة المسلمين وكثرة المشركين: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ

(١) انظر الحديث عن هذه العناصر الأربع في الأخلاق الإسلامية لحبنة (١/ ٢٦٥ - ٣٠٩).

وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ [الأنفال، الآية : ٤٩].

والسبب الثاني: يعود إلى الشهوات، ومنها:

١- الرغبة والميل إلى النساء المحرمات عليه كما قال تعالى: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُمْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُمْ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ﴿٣٢﴾ [الأحزاب، الآية : ٣٢].

٢- ومنها الاستغراق في متاع الحياة الدنيا وزينتها كما قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾ [الأنبياء، الآية : ٣].

٣- ومنها طول الأمد في النعمة والرفاهية المادية وارتكاب المعاصي، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [الحديد، الآية : ١٦].

دواء القلوب:

كما أَنَّ القلوب تمرض فكذلك تشفى، فلكل داء من أدوائها دواء يستطب به، فمن أخذه بحقه متوكلاً على الله مستيقناً بقدرته تعالى على الشفاء صابراً عافاه الله منه.

فعن حذيفة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُعَرِّضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكْتُ فِيهِ نَكْتَةُ سُودَاءٍ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكْتُ فِيهِ نَكْتُ بِيضَاءٍ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: أَبْيَضٌ مِثْلَ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مُزْبَادًا، كَالْكُوزِ مَجْحِيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يَنْكُرُ مَنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»^(١).

وأدوية أمراض القلوب كثيرة وأهمها:

١- اليقين التام بأنَّ الله تعالى يعلم ما في القلوب، وما يلج إليها، وما يصدر عنها، وقدرته تعالى على الحيلولة بين المرء وقلبه، كما قال تعالى: ﴿تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤَيِّ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَ أَعْيُنُهُمْ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَى بِمَا ءَالَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ ﴿٥١﴾ [الأحزاب، الآية : ٥١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

(١) صحيح مسلم (١/١٢٨) (١٤٤).

يُحْيِيكُمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾
[الأنفال، الآية: ٢٤] فلا يكون في القلب شيء ولا يصدر منه شيء إلا ويعلمه الله وما لم يرده تعالى مما يخالف قدره العام يمنعه تعالى من الدخول.

وهذا يستدعي الحرص التام على سلامة القلوب، وطهارتها قبل مرضها، والسعي الحثيث على صحتها بعد مرضها، بالوسائل الشرعية.

٢- العلم بأن مرض القلب وشقاءه مقدور للعبد وأوله بيده، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف، الآية: ٥] وقال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة، الآية: ١٠] وفي المقابل يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُونَهُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد، الآية: ١٧] وكل ذلك إرادة الله تعالى.

٣- العلم النافع المبدد للشبهات، كما قال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام، الآية: ١٢٢].

٤- الإيمان بالله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن، الآية: ١١]، وهذا يستلزم الإيمان بشرائع الدين كلها، وأولها وأهمها التوبة النصوح، التي تفرغ القلب من أمراضه وتبعثه من موته.

٥- معرفة مكائد الشيطان والحذر من اتباع خطواته والمجاهدة في دفع وساوسه وسد مداخله على القلب، وذلك باللجوء إلى الله تعالى والاستعاذة به جلّ وعلا منه، وطلب النصرة على هذا العدو الذي لا يفتر إذ أن كل خطيئة هو سببها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنَ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر، الآية: ٦] وكما حكى الله تعالى قول الشيطان لعنه الله: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَكَ صِرْطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُنِي مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف، الآية: ١٦، ١٧].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «إذا نودي بالصلاة أدبر، فإذا قضي أقبل حتى يخطر بين الإنسان وقلبه فيقول: اذكر كذا وكذا حتى لا يدري أثلاثاً صلى أم أربعاً فإذا لم يدر ثلاثاً صلى أو أربعاً سجد سجدة السهو»^(١).

وعن سليمان بن صرد - رضي الله عنه - قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ

(١) صحيح البخاري (١١٩٦/٣) (٣١١١).

ورجلان يستبان فأحدهما احمرَّ وجهه وانتفحت أوداجه فقال النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد لو قال: أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد، فقالوا له إِنَّ النبي ﷺ قال: تعوذ بالله من الشيطان، فقال: وهل بي جنون»^(١)

ومكائد الشيطان كثيرة جدًا يطول حصرها، وقد أطال الحديث عنها ابن القيم - رحمه الله - في كتابه إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان.

٦- الدعاء الصادق، والتضرع الحثيث إلى الله تعالى، بإزالة ما في القلوب من أمراض، ودوام معافاتها كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر، الآية: ١٠] وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُغِثْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ أَوْهَابُ﴾ [آل عمران، الآية: ٨].

والأحاديث في هذا كثيرة منها:

ما روي عن عائشة - رضي الله عنها - أَنَّ النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الكسل والهزم والمأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن فتنة النار وعذاب النار ومن شرِّ فتنة الغنى وأعوذ بك من فتنة الفقر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال اللهم اغسل عني خطاياي بالماء والثلج والبرد ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب»^(٢).

وعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: «كان أكثر دعائه ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، قلت: يا رسول الله ما أكثر دعائك: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»؟ قال: «يا أم سلمة، إنه ليس آدمي إلَّا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء»^(٣).

٧- إدامة ذكر الله تعالى بقراءة القرآن الكريم والأذكار الصحيحة النبوية كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد، الآية: ٢٨] وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء، الآية: ٨٢].

٨- التفكير والتأمل والتدبر في ملكوت الله تعالى، مما خلق في الأرض

(١) صحيح لبخاري (١١٩٥/٣) (٣١٠٨).

(٢) صحيح البخاري (٢٣٤١/٤) (٦٠٠٧).

(٣) سنن الترمذي (٢٣٨/٥) (٣٥٢٣). وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٧١/٣) (٢٧٩٢).

والسمااء، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ [الحج، الآية: ٤٦].

٩- تعظيم شعائر الله تعالى لقوله جلّ وعلا: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج، الآية: ٣٢].

١٠- ومن الأدوية أدوية طبيعية مثل إزالة مرض حزن القلب وهمه بإزالة المادة التي تسببت فيه.
الإحسان إلى القلب:

إذا عرفنا ما سبق فإنّ الإحسان إلى القلب على وجه الاختصار يكون بتوفير ما يحتاج إليه مما يحفظ عليه قوته وهو الإيمان وإرادة الطاعات وحميته عن المؤذي الضار، وذلك باجتنب الآثام والمعاصي، وأنواع المخالفات، واستفراغه من كل مادة فاسدة تعرض له، وذلك بالتوبة النصوح، وإبعاده عن كل مطعوم، أو مشروب، أو مركوب، أو ملبوس، أو منكوح حرام، واستغفار غافر الخطيئات^(١).

(١) انظر: إغاثة اللفهان لابن القيم (١/١٧).

رابعاً: العقل:

تعريفه في اللغة: يقول ابن فارس - رحمه الله - العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد، يدل عَظْمُهُ على حُبْسَةٍ في الشيء أو ما يقارب الحُبْسَةَ ومن ذلك العقل: وهو الحابس عن ذميم القول والفعل^(١).

واصطلاحًا:

هو القوة المتهية لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيدة الإنسان بتلك القوة العقل أيضاً، ويقال: لما يَحْبِس النفس عن هواها عقل^(٢) ويسمى الحجر والنُّهي لأنه يمنع صاحبه وينهاها عما لا يحسن ويسمى اللب: وهو العقل الخالص من الشوائب^(٣) وضده الحمالة.

موارد تنمية العقل وكماله:

هناك موارد بموجبها ينمو العقل ويؤدي وظائفه وهي:

المورد الأول: مورد التلقي ويجب أن يكون سالمًا من الخطأ وأصح الموارد العلمية كتاب الله تعالى وما صحَّ من سنة رسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَصِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرْيَضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُم مِّمَّا تَحْتَهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَاسْلُمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النور، الآية: ٦١].

المورد الثاني: التفكير والنظر في الآيات الكونية وأحوال الأمم السابقة وعواقب الأمور كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ [الحج، الآية: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [٨٠] [المؤمنون، الآية: ٨٠] وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام، الآية: ٥٠] وقوله تعالى: ﴿ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام، الآية: ٣٢]

وقوله تعالى: ﴿وَبِأَيِّ لَّيْلٍ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٣٨﴾ [الصفات، الآية: ١٣٨] وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْفُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

(١) مقاييس اللغة (٦٧٢).

(۲) انظر: بصائر ذوي التمييز (۴/ ۸۵).

(۳) انظر: المفردات (۴۴۶).

لَأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ [طه، الآية: ١٢٨]

معوقات العقل:

مما يعوق حقيقة العقل عدم استناده إلى النتائج العلمية الصحيحة فتكون إدارته حمقاء وإن كانت حازمة لأنها خاضعة للهوى وشفاء ذلك العلم الصحيح المستند إلى الكتاب والسنة، والأدهى من ذلك أن يبتكر العقل علوماً نافعة غير أنها لم تكن حازمة للنفس عن رعوناتها، التي تدفع بها إلى الهلكة، وشفاء ذلك معرفة الله تعالى

بأسمائه وصفاته واليقين بمبدأ الثواب والعقاب الإلهي.

الإحسان إلى العقل:

مما سبق يمكن استخلاص الكيفية التي يمكن، بموجبها الإحسان إلى العقل وذلك أولاً بتنمية الاستعدادات الفطرية التي تتقبل العلم ودفع الصوارف عنها ومنها: ما هو طبيعي كالإنصات والاستماع والمذاكرة والسؤال والتفكير والنظر والتأمل والحفظ ومنها ما هو شرعي ويتمثل في فعل الطاعات فإنها تنور العقل وتصلقه وترك المعاصي فإنها تحجب العقل وتسوده قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة، الآية: ٢٤٢].

وثانياً: باهتدائه بالمعارف النافعة في الدنيا والآخرة وخيرها ما كان من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وماله علاقة بهما.

وثالثاً: بالاستجابة لأوامره ونواهيه الحققة المنطلقة من الشريعة الإسلامية وعدم معارضتها بمعقولات أخرى أو تسلط من النفس الشهوانية.

صفات العقول الحسنة:

جاء في سورة الرعد صفات أولي الأبواب في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَتُوبُوا أَلَا لَيْسَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد، الآية: ١٩-٢٢].

وهذا هو الحق الذي يسلم به الكافرون يوم القيامة عندما يقولون فيما حكى الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ يَوْمَ تَوُودُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَىٰ عُقْبَىٰهَا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الدَّارِ الْآخِرَةِ سَئِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الملك]

والمعنى أنهم نفوا عن أنفسهم العقل المدرك والموجه للخير؛ لأنهم لم يقوموا بما أوجب الله تعالى عليهم.

خامساً: الفؤاد

الفؤاد: أصله القلب، ويطلق كثيراً على العقل^(١).
وقال الراغب - رحمه الله - الفؤاد كالقلب لكن يقال له فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد أي التوقد^(٢)

ومما يظهر من النصوص الشرعية أن الفؤاد أعماق النفس البشرية مما له ارتباط بالعقل فكأنَّ العقل هو المحرك الرئيسي لما استقر في تلك الأعماق من مشاعر ووجدانات وإرادات.

الإحسان إلى الفؤاد:

بما أنَّ الفؤاد اسم يطلق على أعماق القلب أو العقل أو هما معاً فإنَّ الإحسان إليه يكون بمعرفة الإحسان إلى كل واحد بانفراده وقد سبق الحديث عن الإحسان إليهما.

(١) التحرير والتنوير (١٤/٢٣٢).

(٢) المفردات (٣٨٢).

المطلب الثاني الإحسان مع النفس ظاهرًا

من مقاصد الشريعة الإسلامية أن يتميز المسلمون بالعناية بأجسادهم وظواهرهم مطعمًا، ومشربًا، وملبسًا ونظافة، وصحة ومركبًا، وتوسطًا بين الراحة الجسمية والعمل وغيرها من الضروريات التي لا تقوم الحياة إلا بها والحاجيات التي يفقدها تصعب الحياة والتحسينات التي تجعل الحياة جميلة، ولئن كان طائفة من المسلمين أفرطوا في ذلك أو فرطوا فإن المحسن الحق هو أولى الناس بتحقيق هذا المقصد الشرعي والتوسط فيه، تقريبًا إلى الله تعالى، وأداءً لحق الجسد، وقدوة حسنة للناس فلا يهمل ظاهره لاشتغاله بباطنه ولا يفصل مظهره عن مخبره، بل يجمع بين جمال الظاهر والباطن.

فعن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال لي النبي ﷺ: «ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار» قلت: إني أفعل ذلك قال: فإنك إذا فعلت ذلك هَجَمَت عينك وتفهمت نفسك، وإن لنفسك حقًا ولأهلك حقًا، فصم وأفطر، وقم ونم»^(١) ومعنى هَجَمَت عينك أي: غارت ودخلت في موضعها^(٢).

وهكذا فإن الشريعة الإسلامية عند ما حثت على العناية بالجسد والاهتمام بالمظهر وأخذ الزينة حذرت من الإفراط والمبالغة في ذلك بحيث يصبح المسلم عبدًا لها تُعَدُّ شغله الشاغل وهمه الدائم، بل يجب التوسط والاعتدال في ذلك كله بما يحقق التوازن بين مطالب الباطن والظاهر.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٣) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ [الأعراف، الآية: ٣٢، ٣٣]

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة»^(٤) وهذا الأمر ينسحب على ما عداه مما يمكن الإحسان به إلى ظاهر الإنسان. وهذا الظاهر الذي يجب الإحسان إليه يتمثل فيما يأتي:

(١) صحيح البخاري (٣٨٧/١) (١١٠٢).

(٢) النهاية (٢٤٧/٥).

(٣) سنن النسائي (٧٩/٥) (٢٥٥٩) وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٣٩٩).

أولاً: الإحسان مع النفس بالمطعم:

هو أول ما يجب على المحسن فعله إذ الحياة الإنسانية لا يمكن أن تقوم بغيره وعليه أن يتخير من الطعام أطيبه كما أمر الله تعالى رسله عليهم السلام، والمؤمنين بقوله جلّ ذكره: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون، الآية: ٢٣] وضد الطيب الخبيث وهو حرام على أهل الإيمان كما قال الله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف، الآية: ١٥٧] والأطعمة نوعان:

حيوان وغيره.

أما الحيوان فكله مباح إلا ما كان نجسًا أو مضرًا أو مستقذرًا وهو نوعان:

حيوان بحري، و بري.

فأما البحري فكله حلال إلا الخبيث المستقذر، وأما البري فكله حلال إلا كل ذي ناب من السباع والخنزير، وكل ذي مخلب من الطير والحرر الأهلية والبغال وما يأكل الجيف وما يستخبث من الحشرات والزواحف^(١).

ويشترط لصحة أكله أن يكون داخلًا عليه من وجه حلال إما بتملك أو ما في حكمه وخير الأكل ما كان من كسب اليد، وقد كان نبي الله داود يأكل من كسب يده. وأن تحصل له الزكاة الشرعية إن كان من حيوان البر، وأن لا يكون مذبحًا لغير الله، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام، الآية: ١٤٥] وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [٤] أَيْ يَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾ [المائدة، الآية: ٤، ٥].

والنوع الثاني من الأطعمة ما أحله الله مما تخرج الأرض من نبات وغيره والأصل الإباحة ما لم يكن مستخبثًا قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة، الآية: ١٦٨] وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة، الآية: ٨٧] والمحسنون يتحرون الطيبات في مطاعمهم كما حكى الله تعالى عن الفتية المؤمنة التي آوت إلى الكهف

(١) انظر: العدة شرح العمدة لبهاء الدين المقدسي (٢/ ١٨٩، ١٩١).

بقول جل ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف، الآية: ١٩] والطيب ما كان حلالاً وصحيحاً ومتوازناً ولا شك أن بعض الطعام أطيب من بعض لذا كان حقاً على أهل الإحسان أن يحسنوا إلى أنفسهم بأطيب الطيبات إن تيسر ومن ذلك ما روى عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «كان أحب العراق إلى رسول الله ﷺ عُراقُ الشاة» (١)(٢)

وعنه - رضي الله عنه - قال: «كان النبي ﷺ يعجبه الذراع، قال: وسُمَّ في الذراع، وكان يرى أنَّ اليهود هم سُمُّوه» (٣).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: أرادت أُمِّي: أن تُسَمِّنِي لدخولي على رسول الله ﷺ، فلم أقبل عليها بشيء مما تريد، حتى أطعمتني القثاء بالرُّطْب فسَمِنْتَ عليه كأحسن السَّمَنِ» (٤).

وكان النبي ﷺ يفضل الثريد على سائر الطعام.

فعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام» (٥).

والثريد: هو الخبز مع اللحم النضيج في المرق (٦).

وكان ﷺ يحب الحلواء والعسل، كما روي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: وكان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل» (٧).

وليس المقصود هنا استقصاء الأطعمة وأنواعها وإنما الإشارة إلى ما ينبغي للمحسن من إحسانه إلى نفسه بتخير ما هو حسن تميل إليه النفس بطبعها مما له فائدة تعود على الجسم بالصحة والقوة والشبع، وقد أكل النبي ﷺ الحلوى والعسل، وكان يحبهما كما سبق وأكل لحم الجزور، والضأن، والدجاج ولحم الحباري والأرنب، وطعام البحر، وأكل الشواء، وأكل

(١) العُراق: جمع عرق بالسكون، العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم، يقال: عرقت العظم وإذا أخذت عنه اللحم بأسنانك، النهاية (٣/٢٢٠).

(٢) سنن أبي داود (٤/١٤٦)، (٣٧٨٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣١١).

(٣) سنن أبي داود (٤/١٤٦)، (٣٧٨١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣١١).

(٤) سنن أبي داود (٣/٢٢٤)، (٣٩٠٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٣٩/٢)، (٣٣٠٣).

(٥) صحيح البخاري (٥/٢٠٧٠)، (٥١١٢).

(٦) انظر: النهاية (١/٢٠٩).

(٧) صحيح البخاري (٥/٢٠٧١)، (٥١١٥).

الرطب والتمر، وأكل القثاء بالرطب، وأكل الأقط، وأكل التمر بالخبز، وأكل الخبز بالخل، وأكل الثريد كما سبق، وأكل الخبز بالإهالة، وهي الودك، وهو الشحم المذاب، وأكل من الكبد المشوية، وأكل الثريد بالسمن، وأكل الجبن، وأكل الخبز بالزيت، وأكل البطيخ بالرطب، وأكل التمر بالزبد، وكان يحبه، ولم يكن يردُّ طيبًا، ولا يتكلفه، بل كان هديه أكل ما تيسر، فإن أعوزه، صبر حتى إنه ليربط على بطنه الحجر من الجوع^(١).

ومن المسلم به أنَّ الرسول ﷺ أكل هذه الأشياء متفرقة، في أوقات وأماكن مختلفة، فإنه ﷺ أكل الأطيب الأحسن من غيره عندما وجده وأكل ما هو دونه عند ما لم يجد غيره.

وعلى المحسن أن يجتنب الأطعمة ذات الروائح الكريهة مثل: البصل والثوم والكراث، وما شابهها إلا لضرورة مع إماتة البصل والثوم طبخًا فعن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - أنَّ النبي ﷺ قال: «من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا، أو ليعتزل مسجدنا»^(٢).

آداب الطعام:

١- التسمية عند أول الطعام والحمد في آخره، فيقول بسم الله، وعند فراغه يقول: «الحمد لله، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غير مكفي ولا مُودَّع، ولا مستغنى عنه ربنا».

٢- الأكل باليد اليمنى بثلاثة أصابع إن أمكن.

٣- الأكل مما يلي الإنسان من القصعة ونحوها.

٤- عدم الأكل مُتَكَبِّيًا.

٥- الاعتدال في الطعام، بقدر الحاجة، من غير شره ونهم، والاكتفاء بما يقيم الصلب، ويحفظ على الجسم قوته ونشاطه.

فعن مقدم بن معديكرب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطن، بحسب ابن آدم أَكْلَات يُقْمَنَ صَلْبُهُ، فإن كان لا محالة: فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»^(٣).

٦- لعقُّ الأصابع.

٧- غسل اليدين والفم.

٨- عدم الأكل في آنية الذهب والفضة.

(١) انظر: زاد المعاد (١/١٤٧، ١٤٨).

(٢) صحيح البخاري (٥/٢٠٧٧)، (٥١٣٧).

(٣) سنن الترمذي (٤/٥٩٠) (٢٣٨٠) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٨١) (١٩٣٩).

ثانيًا: الإحسان إلى النفس بالمشرب:

وكما يجب الإحسان إلى النفس بالطعام كذا يجب الإحسان إليها بالشراب الطيب فإنَّ الآيات الآمرة بتحري الطيب من الطعام، تشمل الشراب إذ أنَّ الجميع غذاء، وكل الأشرية مباحة إلا ما أسكر أو كان نجسًا أو فيه ضرر على الجسم أو لم يكن مملوكًا أو في حكم الملوكة أو فيه ضررٌ على الجسم، وقد كان النبي ﷺ يحب الحلو البارد، وشرب العسل بالماء، واللبن خالصًا ومشويًا، وشرب نقيع التمر، وشرب زمزم وكان ﷺ يتحرى الماء الطيب كما جاء عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - يقول كان أبوطليحة أكثر أنصاري بالمدينة مالا من نخل أحبُّ ما له إليه يَبْرَحَاءَ مُسْتَقْبَلَةَ المسجد وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيب..» الحديث (١)

وخير مشروب على وجه الأرض ماء زمزم وهو لما شرب وهو طعام طعم وشفاء سقم، فعن جابر - رضي الله عنه - قال: قال ﷺ «ماء زمزم لما شرب له» (٢) وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال ﷺ: «زمزم طعام طعم، وشفاء سقم» (٣).

وعن أبي بكر بن عبدالله المزني قال: كنت جالسًا مع ابن عباس - رضي الله عنهما - عند الكعبة، فأتاه أعرابي، فقال: مالي أرى بني عمكم يسقون العسل واللبن، وأنتم تسقون النبيذ، أمِنْ حاجة بكم أم من بُخل، فقال ابن عباس: الحمد لله ما بنا حاجة ولا بخل قدِمَ النبي ﷺ على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى، فأتيناه بإناء من نبيذ فشرب، وسقى فضله أسامة، وقال أحستتم وأجملتكم كذا فاصنعوا، فلا نريد تغيير ما أمر به رسول الله ﷺ (٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ ليلة أُسري بي رأيتُ موسى وإذا هو رجل ضَرْبٌ، رجل كأنه من رجال شنوءة ورأيتُ عيسى فإذا هو رجل رَبْعَةٌ أحمر كأنما خرج من ديماس وأنا أشبه ولد إبراهيم ﷺ به ثم أُتيتُ بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر فقال: اشرب أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته فقليل: أخذت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك» (٥). والديماس بكسر الدال وفتحها: هو الحمَّام وقيل الكِنُّ (٦).

(١) صحيح البخاري (٤/١٦٥٩) (٤٢٧٩).

(٢) مسند أحمد (٤/٣٢٧) (١٤٤٣٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٢).

(٣) مصنف عبدالرزاق (٥/١١٨) (٩١٢٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٧٢).

(٤) صحيح مسلم (١/٩٥٣) (١٣١٦).

(٥) صحيح البخاري (٣/١٢٤٣) (٣٢١٤).

(٦) النهاية (٢/١٣٣).

والديماس: بكسر الدال وفتحها: هو الحمّام وقيل: الكِنُّ^(١)
من آداب الشراب:

- ١- التسمية عند أوله والحمد عند آخره.
 - ٢- عدم الشرب من فم القربة أو نحوها.
 - ٣- عدم النفخ في الشراب.
 - ٤- عدم الشرب قائمًا إلا لضرورة لا بد منها.
 - ٥- الشرب ثلاث مرات والتنفس خارج الإناء.
 - ٦- عدم الشرب في آنية الذهب والفضة.
 - ٧- إذا سقى قومًا كان آخرهم شربًا.
 - ٨- إذا شرب ناول مَنْ على يمينه.
 - ٩- إذا شرب ما يحتاج إلى المضمضة تمضمض.
- ويتحقق الإحسان إلى النفس بالشراب بأن يتخير المحسن من الأشربة أطيبها مذاقًا ورائحة وأنفعها للجسد، ويتوسط في شربه فلا يشرب شرب النهم بل يأخذ حاجته باعتدال مع مراعاة الآداب الشرعية، ويتجنب ما فيه ضرر عليه وإن كان عند عموم الأصحاء مستحب.

(١) النهاية: (١٣٣/٢)

ثالثاً: الإحسان إلى النفس باللباس:

إنَّ مما يحسن بالمحسن العناية بلباسه وهندامه، فلا يرى إلا في هيئة حسنة، أنيق المظهر متناسق اللباس والزينة تلذ لمرآه الأعين، وتأنس به الأنفس، كأنه الشامة، فلا يقابل ربه، ولا يخرج على الناس في هيئة مزرية، بدعوى التقشف والزهد، بل يتفقد نفسه قبل خروجه، فيتجمل بلبس أحسن ما يقدر عليه قال الله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُّورِي سَوْءَ تَكْمٍ وَرِيشًا وَلِبَاسُ الْتَقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ﴾ [الأعراف، الآية: ٢٦] وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرِيْلَ تَقِيْكُمْ الْحَرِّ وَسَرِيْلَ تَقِيْكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل، الآية: ٨١] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَٰلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [٣٢] قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رِيَّ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف، الآية: ٣٣، ٣٢].

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال: «إنَّ الله جميل يحب الجمال، الكبر بطرُ الحق وعَمَطُ الناس»^(١) وليس المراد من الحديث الاقتصار على الثوب والنعل فقط وإنما كل ما يلبس ويتزين به.

وعن عبدالله بن سرجس المُرَني أنَّ النبي ﷺ قال: «السَّمْتُ الحسن والتُّؤدَّة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة»^(٢) والسَّمْتُ هو الهيئة الحسنة في المظهر الخارجي من طريقة الحديث والصمت والحركة والسكون والدخول والخروج واللباس والسيارة العملية في الناس بحيث ينسبه الناس للخير والصلاح.

ومع ما في الهيئة الحسنة من ارتياح نفسي للإنسان ذاته وللمن يعاشره فإنَّ ذلك إظهار لنعمة الله عليه كما جاء عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»^(٣)

(١) صحيح مسلم (٩٣/١) (٩١).

(٢) سنن الترمذي (٣٦٦/٤) (٢٠١٠) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٦٣٥).

(٣) سنن الترمذي (١٢٣/٥) (٢٨١٩) وحسنه وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٢٦٠) حسن صحيح.

وقد لبس النبي ﷺ الحلل .

فعن البراء - رضي الله عنه - يقول : « كان النبي ﷺ مربوعًا وقد رأيته في حلة حمراء ما رأيْتُ شيئًا أحسن منه »^(١) .

والحلة : إزار ورداء وهما بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود وليست حمراء بحته فإنَّ ذلك منهى عنه^(٢) .

وكان من هديه ﷺ الإنكار على سيء الهيئة حتى يصلحها .

فعن أبي الأحوص عن أبيه - رضي الله عنه - قال : دخلت على رسول الله ﷺ فرآني سيء الهيئة فقال النبي ﷺ : « هل لك من شيء » قال : نعم من كل المال قد آتاني الله فقال : « إذا كان لك مال فليُر عليك »^(٣) .

ومن البداهة بمكان أنَّ المحسنين ينبغي أن يكونوا أحسن الناس هيئة ، وأجملهم مظهرًا وأتمهم أناقة ، وأكثرهم جاذبية ؛ ليظهروا نعمة الله عليهم ، وليكونوا على مستوى جمال بواطنهم ، وأقدر على رسم القدوة الصالحة لغيرهم ، وذلك يوصلهم إلى قلوب ذوي الطبع الرائق ، والذوق السليم .
وقد كان عبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنه - يلبس البرد أو الحُلَّة تساوي خمسمائة أو أربعمائة^(٤) .

واشترى ابن عباس - رضي الله عنهما - ثوبًا بألف درهم فلبسه^(٥) .
وكل ذلك دليل إباحة الطيب من اللباس والزينة لمن يقدر عليه مادام لم يخرج به إلى الإسراف والخِيلاء فتصبح شغله الشاغل وهمه الدائم أما إذا قصد بها الشهرة والاختيال والفخر فلا غرو أنَّه بذلك جانب التوسط والاعتدال وأصبح عبدًا للباسه وزينته فقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما - كل ما شئت ، والبس ما شئت ، واشرب ما شئت ، ما أخطأتك اثنتان : سرفٌ أو مخيلة^(٦) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « تعس عبدالدينار والدرهم ، والقטיפه والخميصة ، إن أُعطي رضي ، وإن لم يعط لم يرض »^(٧) .
وقال ابن القيم - رحمه الله - : فالذين يمتنعون عما أباح الله لهم من الملابس والمطاعم والمناكح تزهّدًا وتعبدًا بإزائهم طائفة قابلوهم ، فلا

(١) صحيح البخاري (٢١٩٨/٥) (٥٥١٠) .

(٢) انظر : زاد المعاد (١/١٣٧) .

(٣) سنن النسائي (١٩٦/٨) (٥٢٩٤) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٤٨٨٨) .

(٤) الطبقات لابن سعد (٣/١٣١) .

(٥) الحلية (١/٣٢١) .

(٦) ذكره البخاري في صحيحه تعليقًا (٥/٢١٨١) .

(٧) صحيح البخاري (٣/١٠٥٧) (٢٧٣٠) .

يلبسون إلاَّ أشرف الثياب، ولا يأكلون إلاَّ ألين الطعام ، فلا يرون لبس الخشن ولا أكله تكبراً وتجبّراً، وكلا الطائفتين هديه مخالف لهدى النبي ﷺ ولهذا قال بعض السلف: كانوا يكرهون الشهرتين عن الثياب العالي، والمنخفض^(١)

والمقصود أنَّ من لبس الحسن من الثياب للشهرة والخيلاء والفخر، فإنَّه مذموم، ومن لبسه تجملاً وإظهاراً لنعمة الله فإنَّه حسن، وقربة إلى الله تعالى، وإذا خشي المحسن على نفسه من الوقوع في الخيلاء والفخر استحَبَّ له لبس ما دونه، وإذا لم يتحقَّق له ذلك وجب له لبس الدنيء مع مجاهدة نفسه.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «بينما رجل يمشي في حُلَّة، تعجبه نفسه مُرَجِّلٌ جُمَتَهُ إذ خَسَفَ الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة»^(٢) ويشترط لصحة الملبوس شروط منها ما هو خاص باللباس ومنها ما هو خاص باللباس.

وهي الآتي:

١- أن يكون الملبوس حلالاً فلا يكون من حرير فإنَّه محرَّم على الرجال حلال على النساء.

٢- أن يدخل عليه من وجه حلال إما بتملك أو نحوه فلا يحل لبس المغصوب أو المسروق ونحوه.

٣- أن لا يكون أحمر صرفاً فإنه منهي عن لبسه على الرجال.

٤- أن لا يكون ثوب شهرة والمراد به ما يلفت أنظار الناس إليه مصحوباً بالخيلاء والفخر.

٥- أن لا يكون فيه مشابة للباس النساء إذا كان اللباس رجلاً ولا يكون فيه مشابة للباس الرجل إذا كانت اللابسة امرأة وأن لا يكون مشابهاً لألبسة الكفار التي لا يعرفون إلاَّ بها.

٦- وأن يكون ساتراً للمفروض سواء للرجل أم المرأة والمفروض ستره للرجل من السرة إلى الركبة والمرأة كلها إلاَّ موضع الحلي إذا كانت بين النساء أو المحارم من الرجال وأما إذا خرجت إلى مكان فيه رجال أجنب فالواجب عليها ستر جميع بدنهما بما فيه الوجه والكفان.

٧- أن لا يكون ضيقاً بحيث يحجم العورة أمام من لا يباح له النظر إليها.

٨- أن لا يكون شفافاً يَشْفُ عما تحته من العورة أو شيء منها لمن لا يحل

(١) زاد المعاد (١/١٤٥).

(٢) صحيح البخاري (٥/٢١٨٢) (٢٤٥٢).

- له النظر إليها، وهذان الشرطان للرجال والنساء.
- ٩- أن لا يكون ثوب زينة للمرأة إذا أرادت الخروج من بيتها.
- ١٠- أن لا يكون ثوب الرجل مضمخًا بالزعفران أو الورد.
- ١١- وأن يكون خاليًا من التصاوير لذوات الأرواح^(١).
- ١٢- وأن يكون اللباس سالمًا من الإسبال، والإسبال للرجل ما زاد عن الكعبين وللمرأة ما زاد عن ذارع.

هدي النبي ﷺ في اللباس:

قد كانت طريقة رسول الله ﷺ التي سنّها، وأمر بها، ورغب فيها، وداوم عليها في اللباس: أن يلبس ما تيسر من اللباس، من الصوف تارة، والقطن تارة والكتان تارة، ولبس البرود اليمانية، والبرد الأخضر، ولبس الجبة، والكساء والقباء، والقميص والسراويل، والإزار، والرداء والخف والنعل، وأرخى الذؤابة من خلفه تارة، وتركها تارة، ولبس البيضة: التي تسمى الخوذة، ولبس الدرع والخاتم، يلبس في كل موطن ما يناسبه.

وكان أحب الثياب إليه القميص والحبرة وهي ضرب من البرود فيه حمرة وأحب الألوان إليه البياض، ولبس الأحمر، والأخضر المشوب بلون آخر، وكان كفه إلى الرسغ ونهى عن ما تحت الكعبين للرجال وما زاد عن الذراع للنساء^(٢).

آداب اللباس، وهي:

- ١- الدعاء عند لبسه إن كان جديدًا وقد كان النبي ﷺ إذا استجد ثوبًا، سماه وقال: كما في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجد له ثوبًا سماه باسمه: عمامة أو قميصًا أو رداء، ثم يقول: «اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له»^(٣).
- ٢- يبدأ بميامينه عند اللباس وبمياسره عند الخلع.

(١) كل هذه الشروط أدلتها معلومة تركناها خشية الإطالة وتراجع في مظانها من كتب اللباس والزينة لمن أراد الوقوف عليها.

(٢) انظر: زاد المعاد (١٣٥، ١٤٧).

(٣) سنن الترمذي (٢٣٩/٤) (١٧٦٧). وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٥٢/٢) (١٤٤٦).

رابعاً: الإحسان إلى النفس بالنظافة، والطيب، والزينة:

أ- الإحسان إليها بالنظافة:

المحسن الحق هو الأشد تعاهداً لجسمه وثوبه ومرافقه التي يسكن فيها أو يركبها بين الحين والحين، فلا يرضى أن يشم منه رائحة كريهة، أو يرى عليه ثوباً متسخاً، فهو نظيف جداً، وتتمثل هذه النظافة في الآتي:

١- نظيف في جسمه بالاغتسال كلما دعت إليه الحاجة ولو كان كل يوم وبخاصة يوم الجمعة كما في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال ﷺ: «اغسلوا يوم الجمعة، واغسلوا رؤوسكم، وإن لم تكونوا جنباً، وأصيبوا من الطيب»^(١).

٢- ونظيف بالعناية الفائقة بسنن الفطرة، كما جاء عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشر من الفطرة: قص الشارب وإعفاء اللحية، والسواك واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء» «قال أحد الرواة» نسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة» وقال وكيع: انتقاص الماء يعني: الاستنجاء^(٢).

والبراجم عقد الأصابع ومفاصلها^(٣).

٣- ونظيف بالعناية الدائمة بفمه وأسنانه بالسواك، والفرشاة والمطهرات والمنظفات، بحيث يبقى فمه نقياً، معطر الأنفاس، كما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «لولا أن أشق على أمتي أو على الناس، لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»^(٤).

٤- ونظيف في ثوبه، وما يلبسه، وما يفترشه، وما يلتحف به، وقد كان النبي ﷺ ينكر على من خرج للناس بثياب متسخة ويأمرهم بغسلها كما جاء عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: أتانا رسول الله ﷺ فرأى رجلاً شعثاً قد تفرق شعره فقال: «أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره» ورأى رجلاً آخر وعليه ثياب وسخة فقال: «أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه»^(٥).

(١) صحيح البخاري (٣٠٢/١) (١١٣/١).

(٢) صحيح مسلم (٣٠٣/١) (٢٦١).

(٣) انظر: النهاية (١١٣/١).

(٤) صحيح البخاري (٣٠٣/١) (٨٤٧).

(٥) سنن أبي داود (٣٣٣/٤) (٤٠٦٢). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٤/١) (١٣٣٣).

وكان ﷺ يستحب ألا يخرج الرجل بثوب المهنة إلى الناس وكان ﷺ يخص الجمعة بمزيد اهتمام كما روى عن يوسف بن عبدالله بن سلام - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «ما على أحدكم إن وجد، أو ما على أحدكم إن وجدتم أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته»^(١)

٥- ونظيف المسكن والمرافق كما عن سعد - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «طهروا أفئتكم، فإن اليهود ولا تطهر أفئتها».

وفي رواية له: «طيبوا ساحاتكم، فإن أنتن الساحات ساحات اليهود»^(٢).

الإحسان إلى النفس بالطيب:

يجتهد المحسنون أن تتزوع ثيابهم بالطيب وتنفوح أجسامهم بالروائح العطرة الزكية، إرضاءً لربهم تبارك وتعالى وتأسياً بالرسول ﷺ، وقياماً بحقوق أنفسهم، وأدخالاً للسرور على غيرهم، كما روى أنس بن مالك - رضي الله عنهما - قال: «ما شمت عنبراً قط، ولا مسكاً، ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ»^(٣).

وكان مما حُب إليه ﷺ من الدنيا الطيب، ولكل محسن فيه أسوة حسنة، كما روي عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «حُب إليّ النساء والطيب، وجعلت قرّة عيني في الصلاة»^(٤) وقد خصّ الرسول ﷺ لكل من الرجال والنساء ما يناسبهم من الطيب فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه»^(٥).

واستحب ﷺ المسك على غيره كما جاء عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أطيب الطيب المسك»^(٦).

وقد كره الرسول ﷺ لمن أهدي له طيب أن يردّه.

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله ﷺ لا يرد الطيب»^(٧).

-
- (١) سنن أبي داود (٦٥٠/١) (١٠٧٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٣٥).
- (٢) معجم الطبراني الأوسط (٤٢/٥) (٤٠٦٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٣٥)، (٣٩٤١).
- (٣) صحيح مسلم (١٨١٤/٢) (٢٣٣٠).
- (٤) سنن النسائي (٦١/٧) (٣٩٤٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤).
- (٥) سنن الترمذي (١٠٧/٥) (٢٧٨٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٣٧).
- (٦) سنن الترمذي (٣٠٨/٣) (٩٩١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٣٢).
- (٧) صحيح البخاري (٩١٢/٢) (٢٤٤٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من عرض عليه طيب فلا يردّه، فإنّه طيب الريح خفيف المحمل»^(١).

وقد استعمل رسول الله ﷺ من الطيب المسك، والعنبر، والغالية، والفاغية، وغيرها، وكره للرجال الزعفران.

ويستحب الطيب في كل وقت وكل مكان إلا للمحرم والمحرمه وللحادة على زوجها أو المرأة تريد الخروج من بيتها، ويتأكد استحبابه في يوم الجمعة، وقبل الإحرام، وبعد الحل منه، وعقب الحيض للمرأة، ولمن أراد الجماع.

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كنت أطيب رسول الله ﷺ، ثم يطوف على نسائه، ثم يصبح محرماً ينضح طيباً»^(٢).

ويوضع الطيب في الأماكن التي هي مظنة انبعاث الروائح الكريهة بعد غسلها، وفي مفرق الرأس، واللحية، واليدين، وغيرها ممّا يبادر الناس بها.

وللطيب فوائد منها: أنه يجم النفس، ويعدل المزاج، ويحدث في النفس قوة مضاعفة.

ج - الإحسان إلى النفس بالزينة والتجمل:

والزينة: اسم جامع لكل شيء يتزين به^(٣).

وقال الراغب - رحمه الله - الزينة الحقيقية ما لا يشين الإنسان في شيء من أحواله لا في الدنيا ولا في الآخرة، فأما ما يزينه في حالة دون حالة فهو من جهة شين، والزينة بالقول المجمل ثلاث: زينة نفسية، كالعلم والاعتقادات الحسنة، وزينة بدنية كالقوة، وطول القامة، وزينة خارجية كالمال والجاه فقوله تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيَّكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنُوا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات، الآية: ٧] فهو من الزينة النفسية، وقوله: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ [الأعراف، الآية: ٣٢] فقد حمل على الزينة الخارجية.. وقوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ [القصص، الآية: ٧٩] هي الزينة الدنيوية من المال والأثاث والجاه يقال زانه كذا وزينته إذا أظهر حسنه إما بالفعل أو بالقول^(٤).

الزينة والتجمل بالحلي واللباس وغيرها:

أباح الإسلام للناس الزينة والتجمل بما لا يخرجهم عن حد الاعتدال، وخصّ كلا من الرجال والنساء بما يصلح له ويناسب حاله، قال الله تعالى:

(١) سنن أبي داود (٤/٤٠٠) (٤١٧٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٩٣).

(٢) صحيح مسلم (١/٨٤٩) (١١٩٢).

(٣) اللسان (٢٠٢/١٣).

(٤) المفردات (٢٢٣).

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ... ﴾ [الأعراف، الآية: ٣٢] وقال تعالى عن البحر: ﴿ وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ [النحل، الآية: ١٤] وراعى الإسلام جانب زينة المرأة وجمالها بمزيد سعة حيث إنها ميالة إليه بطبعها، والجمال يمكنها من إظهار حسنها أمام زوجها، قال الله تعالى: ﴿ أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [الزخرف، الآية: ١٨] وبما أن النفس الإنسانية قد تطفئ وتتجاوز إلى ما ليس بجمال وزينة، حد الإسلام لها حدوداً تقف عندها، فحرم على الرجال الذهب والحديد، والتشبه بالنساء، وأباح لهم الفضة، وأباح للنساء الذهب والحديد والمجوهرات، وحرم على الرجال النساء نتف الشيب، والنمص وهو أخذ شعر الوجه، وحرم عليهم وصل الشعر، وتفليج الأسنان، والوسم، والتحلي بالحديد أو النحاس. وأباح للمرأة أن تتحلى في جميع جسدها وللرجل بخاتم الفضة في أصبعه الخنصر من يده اليمين أو اليسرى وحرم على الرجل التشبه بالمرأة في مواضع الزينة.

وأما التجميل باللباس فمحمود على ما سبق بيانه.

التزين والتجميل بإعفاء اللحية وإحفاء الشارب:

يتأكد الوجوب على المحسن بإعفاء لحيته، كما يتأكد عليه استحباب إكرامها بالغسل بالماء والمنظفات إن احتاج ذلك، وتطيبها وتسريحها، وخضبها بغير السواد إن كان فيها شيب، ويحرم عليه وعلى كل مسلم حلقها أو قصها أو نتفها أو عقده، لما فيها من الزينة والهيبة والوقار، وحسن الأسوة بالرسول والأنبياء والصالحين، ولأنها من سنن الفطرة التي خلق الله الرجال عليها، وميزهم بها من دون النساء والصبيان.

فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال النبي ﷺ: «احفوا الشوارب وأعفوا اللحى»^(١) وتحف الشوارب حتى يبدو أطراف الشفة وهو الإطار، ولو قصه حتى يبدو بياض الشفة فلا بأس ولا يمثل به.

التزين والتجميل بتسريح شعر الرأس وإكرامه:

إذا اتخذ المحسن شعراً وأطاله، كان عليه إكرامه بالغسل والمنظفات، حتى لا يكون مأوى للحشرات، ومكاناً تتجمع فيه الوساخات، حفاظاً على صحته وتزيئاً وتجملاً به، واستحب له دهنه إن احتاج إليه، والإكثار فيه من الطيب، وتسريحه، ويحرم عليه حلق بعضه دون بعض.

وقد كان للرسول الله ﷺ شعرٌ حسنٌ، جعله مرة جمه، ومرة لمة، ومرة أرخاه حتى بلغ منكبيه، وكان يرجله ﷺ كما جاء عن عائشة - رضي الله

(١) صحيح مسلم (٢٢٢/١) (٢٥٩).

عنها - قالت: «كنت أرجل رأس رسول الله ﷺ وأنا حائض»^(١) والترجيل تسريح الشعر وتحسينه إلا أنه كان ينهى عن الترجل إلا غبا كما جاء عن عبدالله بن مغفل - رضي الله عنه - قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الترجل إلا غبا»^(٢)

أي يوماً بعد يوم، وهذا فيه معنى الاعتدال، وله أن يفرقه أو يسدله، ولا يحل للمرأة أن تجعله كالسنام فوق رأسها، أو تقصه تشبه بالرجال، أو الكافرات أو توصله بغيره، ويجوز لكل من الرجال والنساء خضاب شعر الرأس بالحناء والكتم وغيرهما ما لم يكن أسود.

التزين والتجمل بتقليم الأظفار، والحناء في اليدين للنساء:

يأمر الإسلام أتباعه بتقليم أظفارهم وتعاهدوا بالنظافة، حتى لا تكون كهوفاً تتجمع فيها القاذورات، ومصدراً للروائح الكريهة، ومنظراً سيئاً يدعو للاشمئزاز، وجعل ذلك من سنن الفطرة التي لا يعذر أحد بتركها.

فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «من الفطرة حلق العانة وتقليم الأظفار وقص الشارب»^(٣).

ويستحب تقليمها كلما طالت، ولا يجوز تركها فوق أربعين يوماً، كما روى أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «وُقِّتَ لنا في قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة، أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة»^(٤). ويستثنى من ذلك من أراد أن يضحي، إذا دخل عليه العشر من ذي الحجة، فلا يأخذ من شعره ولا من ظفره حتى يذبحها.

فعن أم سملة ترفعه قالت: «إذا دخل العشر، وعنده أضحية، يريد أن يضحي، فلا يأخذن شعراً، ولا يَقْلِمَنَّ ظفراً»^(٥).

وتغير المرأة لون يدها وأظفارها بالحناء، لما روى عن عائشة - رضي الله عنها - أن امرأة مدت يدها إلى النبي ﷺ بكتاب فقبض يده فقالت: يا رسول الله مددت يدي إليك بكتاب، فلم تأخذه، فقال: «إني لم أدر أيد امرأة أو رجل» قالت: بل يد امرأة قال: «لو كنت امرأة لغيرت أظفارك

(١) سنن النسائي (١٤٨/١) (٢٧٧). وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٥٧/١) (٢٦٧).

(٢) الشمائل، للترمذي (٥٢) (٣٥) وصححه الألباني. في صحيح الجامع (١١٥٨/٢) (٨٧٠).

(٣) صحيح البخاري (٢٢٠٩/٥) (٥٥٥١).

(٤) صحيح مسلم (٢٢٢/١) (٢٥٨).

(٥) صحيح مسلم (١٥٦٥/٢) (١٩٧٧).

بالحناء»^(١)

وعلى المحسن والمحسنة مراعاة ذلك والقيام به أكثر من غيرهما.

التزين والتجمل بالكحل للرجال والنساء:

مما يباح للرجال والنساء الاكتحال، ما لم تكن المرأة مُحَدَّةً على

زوج.

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ

خَيْرِ أَكْحَالِكُمُ الْإِثْمَدُ، يَجْلُو الْبَصَرَ وَيَنْبِتُ الشَّعْرَ»^(٢)

(١) سنن النسائي (١٤٢/٨) (٥٠٨٩) وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (٤٧١٢).
(٢) سنن النسائي (١٤٩/٨) (٥١١٣) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٠٤٨/٣) (٤٧٣١).

خامساً: الإحسان إلى النفس بتلمس أسباب الصحة:

يحرص المحسن على صحة جسمه، وقوة بدنه، وأن يكون سالمًا من الأمراض والعاهات؛ ليتمكن من القيام بواجب العبادة والكسب، فيلزم عليه اتخاذ الوقاية من الأمراض، فلا يرد على الوباء إذا نزل بأرض أو شخص مرض معد، مع اعتقاد أن المرض بذاته لا يمرض، وإنما الذي يمرض ويشفي هو الله تعالى، كما روى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة ولا صفر، وفرّ من المجذوم كما تفرّ من الأسد»^(١) وخير وقاية اعتدال الطعام والشراب والجماع والنوم، وأن لا يتعرض للبرد الشديد، أو الحر الشديد، أو الشمس الشديدة، ويتجنب الأطعمة المتسخة، والأماكن المستقذرة، والإرهاق في العمل، ويمارس من الحركة البدنية بقدر ما يحفظ عليه لياقته، ومن الصيام أو الحمية ما يذهب عنه التخمة والسمنة إن وجدت، ويلزم على المحسن التداوي، إذا شعر بمرض كما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء»^(٢) فيعرض نفسه على المختص الحاذق، ويجوز التداوي بكل مباح شرعاً، ويتجنب الأدوية ذات السموم، وما يمكن أن يكون له مضاعفات على الجسم والخزعات والذهاب إلى السحرة والكهان، وخير ما تداوى به العبد القرآن الكريم وما صحّ من الرقى والتعاويذ، وماء زمزم والعسل والحجامة والكلي، إذا لم ينفع غيره، وتمر العجوة من المدينة النبوية، والسنا والسنوت والحبة السوداء، والقسط الهندي أو البحري، والتلبينة، وألبان الإبل وأبوالها^(٣). وتعاطي الأدوية يحتاج إلى ماهر بها.

(١) صحيح البخاري (٢١٥٨/٥) (٥٣٨٠).

(٢) صحيح البخاري (٢١٥١/٥) (٥٣٥٤).

(٣) انظر: أدلتها في كتاب الطب من صحيح البخاري (٢١٥١/٥، ٢١٨٠).

سادساً: الإحسان إلى النفس بالمسكن الواسع والمرأة الصالحة والمركب الهنيء، والخادم القوي الأمين:

عن نافع بن عبد الحارث - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «من سعادة المرء الجار الصالح، والمركب الهنيء والمسكن الواسع»^(١).

وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من السعادة وثلاث من الشقاء، فمن السعادة المرأة الصالحة تراها فتحبك، وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون وطيفة، فتلحقك بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق، ومن الشقاء: المرأة، تراها فتسوؤك، وتحمل لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون قطوفاً، فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك، والدار ضيقة قليلة المرافق»^(٢).

فيستحب للمحسن أن يكون له منزلٌ واسعٌ يفي بحاجاته وحسن القيام على ضيفة شريطة ألا يكون عبثاً، أو للمباهاة؛ لأنَّ الإسلام عندما أباح البناء كرهه عبثاً كما قال الله تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾ [الشعراء]. وأن لا يكون منه شيء مهجور، لأنَّ كل ما زاد عن حاجة الإنسان من الدور والفرش يفتريه الشيطان.

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «فِرَاشٌ للرجل، وفِرَاشٌ لامرأته، والثالث للضيف، والرَّابِع للشيطان»^(٣).

ويجب على المحسن الزواج ويستحب أن تكون زوجته صالحة، خيرة دينة، جميلة حسبية، نسيبة غنية، عوودة ولودة عويينة، أمينة، حسنة الملكة، قعدة بيتها تعفه ويتمم بها نصف دينه، ويسكن إليها، تشاطره آماله وآلامه، وتسعى جاهدة على إدخال السرور إليه، تعينه على البر والتقوى قال تعالى: ﴿ فَانْكَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [النساء، الآية: ٣] وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم، الآية: ٢١].

كما رُوي عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»^(٤).

وعن أبي أذينة الصدفي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) مسند أحمد: (٤١٣/٤) (١٤٩٤٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢٩).

(٢) مستدرک الحاكم (١٧٥/٢) (٢٦٨٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٥٦).

(٣) صحيح مسلم (١٦٥١/٢) (٢٠٨٤).

(٤) صحيح مسلم (١٠٩٠/٢) (١٤٦٧).

«خير نسائكم الولود المواسية، إذا اتقين الله، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات، وهن المنافقات، لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم»^(١).

وكما روى أبوهريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»^(٢).

وفقه الحديث أن المرأة يدعو الرجال لنكاحها هذه الخصال مجمعة أو متفرقة، فإذا اجتمعت في امرأة كانت أولى من غيرها، وإذا لم يجد إلا من فيها بعض هذه الصفات مع الدين نكحها، فإن لم يجد إلا دينة غير جميلة ولا نسيبة ولا حسيبة نكح الدينة دون غيرها من الجميلات والنسيبات والغنيات.

كما يستحب للمحسن أن يكون له مركب هنيء، ينقله وينقل حوائجه في يسر وسهولة، ويتجمل به في غدوه ورواحه، كما قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(٣) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرْجُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ^(٤) وَتَحْمِلُ أَنْفَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِلَيْغِهِ إِلَّا يَشِقُ الْأَنْفُسَ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ^(٥) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ^(٦) [النحل، الآية: ٥ - ٨] وفي حديث سعد - رضي الله عنه - قال: كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء لا تُسَبَّقُ...»^(٣).

وقد ركب الرسول ﷺ الخيل والإبل، والبغال والحمير، وركب الفرس مسرجة تارة، وعريًا أخرى، وكان يجريها في بعض الأحيان، وكان يركب وحده وهو الأكثر، وربما أردف خلفه على البعير وربما أردف خلفه وأركب أمامه، وكانوا ثلاثة على بعير، وربما أردف الرجال، وأردف بعض نسائه، وكان أكثر مراكبه الخيل والإبل، وأما البغال، فالمعروف أنه كان عنده بغلة واحدة أهداها له بعض الملوك، ولم تكن البغال مشهورة بأرض العرب^(٤).

هذا وقد أنعم الله على البشرية الآن بمراكب شتى كالسيارات والطائرات والبواخر وغيرها فإذا تيسر للمحسن مال عليه أن يتخير من المراكب أريحها وأكثرها سلامة وأمنًا وأقدرها قوة وسبقًا وأجملها منظرًا

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٨٢/٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٣٠).

(٢) صحيح البخاري (١٩٥٨/٥) (٤٨٠٢).

(٣) صحيح البخاري (١٠٥٣/٣) (٢٧١٧).

(٤) انظر: زاد المعاد (١٥٩/١).

وسعةً بحيث تفي بحاجاته وحاجات أهله، وأن يتمكن من قيادتها مراعيًا قواعد السير والسلامة.

ويُباح للمحسن أن يكون له خادمٌ يسعى في حوائجه وحاجات أهل بيته من قوت ونحوه، ويقف على خدمته وشأن مركبه، ويستحب أن يكون قويًا حتى يتمكن من القيام بأعباء الخدمة وأمينًا على ماله وبيته، فلا يطلع على عورة، وإذا كلفه ما يشق عليه أعانه ويطعمه إذا طعم ويكسوه إذا اكتسى وقد خدم النبي ﷺ أنس بن مالك، وكان على حوائجه، وعبد الله بن مسعود صاحب نعله وسواكه، وعقبة بن عامر الجهني صاحب بغلته، يقود به في الأسفار، وأسلع بن شريك وكان صاحب راحلته، وبلال بن رباح المؤذن، وسعد مولى أبي بكر الصديق، وأبوذر الغفاري وأيمن بن عبيد وأمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ، وكان أيمن على مطهرته وحاجته^(١)، خلافاً عن مواليه ومنهم: زيد بن حارثة بن شراحيل، حب رسول الله ﷺ أعتقه وزوجه مولاته أم أيمن، فولدت له أسامة.

ومنهم أسلم، وأبورافع وثوبان، وأبوكبشة سليم وشقران واسمه صالح، ورباح نوبي ويسار نوبي أيضًا، وكان على ثقله ﷺ وكان يمسك راحلته عند القتال يوم خيبر، ومنهم أنجشة الحادي وسفينة بن فروخ واسمه مهران، وسماه رسول الله ﷺ «سفينة» لأنهم كانوا يحملونه في السفر متاعهم، وغيرهم ومن النساء سلمى أم رافع، وميمونة بنت سعد، وحفدة وغيرهن^(٢) على أنه يجب على المحسن مراعاة أحوال خدمه، وضبط سلوكياتهم، والحذر من الخدم الكفرة والفسقة، وأخذ الحيطة في البيوت بحيث لا يكون الخدم مدعاة للرديلة، كما يحرص كل الحرص من خدمة النساء الأجانب بحيث لا يكنَّ معه في البيت إلا بقدر، وعند الضرورة الشرعية القصوى، وبدون خلوة، وذلك لما يترتب عليه من المحاذير الدينية والدنيوية.

(١) زاد المعاد (١/١١٥).

(٢) انظر: زاد المعاد (١/١١٥، ١١٦).

سابعاً: الإحسان إلى النفس بإنجاب الذرية الصالحة:

فطر الله تعالى الأبوين على محبة الولد، وأودع في قلوبهما من المشاعر ما يسهم إلى حد كبير في حمايته والشفقة عليه، والقيام على تربيته، فالأولاد نعمة كبيرة، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَدَدْنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء، الآية: ٦] وقرة عين إذا كانوا صالحين كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان، الآية: ٧٤] وزينة الحياة الدنيا كما قال جل ذكره: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف، الآية: ٤٦]

وقد كان المحسنون يدعون الله أن يهبهم الولد الصالح كما حكى الله تعالى عن زكريا عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء، الآية: ٨٩] وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة، الآية: ١٢٨] فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٣٠﴾ [الصافات، الآية: ١٠٠، ١٠١].

وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ كُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ [الأنبياء، الآية: ٧٢] ولا يظن بالمحسن عند طلبه الولد والحرص عليه الاستكثار به وادخاره للدنيا بل المحسن الحق من يطلبه بالأصالة نصرة للدين وزيادة في عباد الله الصالحين، وبالتالي يرجو بره وإحسانه ديناً ودنياً كما قال تعالى عن زكريا عليه السلام: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِكَ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم، الآية: ٦، ٥] وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم، الآية: ٤٠] ويخطيء كثير من الناس خطأ فاحشاً عندما يفرقون بين الذكر والأنثى كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل، الآية: ٥٩].

والحق أنه كم من أنثى تزن ملايين الرجال مثل مريم وخديجة وفاطمة وعائشة وآسيا امرأة فرعون وغيرهن عليهن السلام وإذا كان الذكر يحمل أعباء الدعوة والجهاد والكسب خارج الدار، فإن الأنثى قائمة بمثل ذلك في بيتها ممّا لا يمكن أن تقوم حياة صالحة بغيرها، ناهيك عن ما يحصده الأب من الأجر في تربية البنات، كما جاء عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهم وضم أصابعه»^(١).

(١) صحيح مسلم (٣/٢٠٢٧) (٢٦٣١).

فيجب العدل بين البنين والبنات وتربيتهم التربية الصالحة الراشدة على وفق الشريعة الإسلامية، ليحقق الغرض من إنجابهم شرعاً.

فعن معقل بن يسار - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد أفأتزوجها قال: «لا» ثم أتاه الثانية فنهاء ثم الثالثة، فقال: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»^(١).

ومن المسلم به أنَّ النَّبِيَّ ﷺ إنما سيكاثر بالأخيار لا بالأشرار.

(١) سنن أبي داود (٥٤٢/٢) (٢٠٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٦/١) (٢٩٥٤٠).

ثامناً: الإحسان إلى النفس بالمال الصالح:

جعل الله تعالى النفس الإنسانية بطبعها ميالة إلى المال، كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ [آل عمران، الآية: ١٤] وأفصح تعالى عن حب الإنسان للمال فقال: ﴿وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر، الآية: ٢٠] وجعله زينة الحياة حيث قال جلّ ذكره: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف، الآية: ٤٦] ولم يمدح المال أو يذم لذاته، بل لما يعمل فيه؛ لأنه وسيلة خير أو شر، فهو وسيلة خير للنفوس الصالحة التي تجمعها من حله، ولم تجعلها همها وقصدها، وأدت حق الله فيه، وهو وسيلة شر للنفوس الدنيئة التي تجمعها من غير حله، وجعلته همها وقصدها لا تؤدي حق الله فيه، بل تكاثر وتفاخر به وتدفعه في وجوه الشر.

والإسلام دعا إلى التكسب والضرب في الأرض كما قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك، الآية: ١٥] ودعا إلى الترشيده في إنفاقه وعدم توليته السفهاء لا لذاته بل لما يترتب على حصوله من غنى عن الناس وسد لحاجات المسلم ومن يعول، وإسهام في فعل الخيرات فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان، الآية: ٦٧] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء، الآية: ٥]

وجاء عن المقدم - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده»^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «أفضل الصدقة ما ترك غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وأبدأ بمن تعول»^(٢).

وفي حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «... وإن هذا المال خضرة حلوة، فنعيم صاحب المسلم، ما أعطى منه المسكين، واليتيم، وابن السبيل»^(٣).

ولذلك يجب على المحسن أن يكون له حرفة أو تجارة مباحة ليتكسب منها ما يسد منه حاجاته، ويحمي به وجهه عن ذل السؤال، ويغني به من خلفه، ويدفع منه في وجوه البر والإحسان، وأن لا يكون عالة على غيره،

(١) صحيح البخاري (٧٣٠/٢) (١٩٦٦).

(٢) صحيح البخاري (٢٠٤٨/٥) (٥٠٤٠).

(٣) صحيح البخاري (٥٣٢/٢) (١٣٩٦).

يدًا سفلَىٰ يتربص إحسان الناس، فليس من الإسلام في شيء ما يعتقده بعض العباد أنَّ الفقر خير من الغنى، فيعكفون على العبادَة وينقطعون لها وَيَدْعُونَ التَّكْسِبَ.

كما يجب أن يحذر المحسن من مطاردة المال في جميع مظانّه، واستفراغ الوقت والجهد في تحصيله، فلم يُخْلَقْ لذلك، بل الواجب العدل والتوسط بين الأمرين، وأن يحذر من الكسب الخبيث، وإن كان مباحًا، ويجب عليه أن يسعد بماله، ويسعد من حوله، بما يباح، وبقدر عليه، وأن يجعل في ماله حقًا معلومًا للسائل والمحروم.

تاسعاً: الإحسان إلى النفس بتربيتها على الشجاعة:

الشجاعة لغة:

مصدر شَجُعَ فلان أي صار شجاعاً، وهو مأخوذ من مادة (ش ج ع) التي تدل على الجرأة والإقدام، ومن ذلك قولهم الرجل الشجاع وهو المقدام^(١).

واصطلاحاً:

قال الجاحظ: الشجاعة هي الإقدام على المكاره والمهالك عند الحاجة إلى ذلك، وثبات الجأش عند المخاوف مع الاستهانة بالموت^(٢).

وقال الجرجاني - رحمه الله -: هي هيئة حاصلة للقوة، بين التهور والجبين، بها يقدم على أمور ينبغي أن يُقدّم عليها، كالقتال مع الكفار ما لم يزيدوا على ضعف المسلمين^(٣).

منزلة الشجاعة:

قال الطرطوسي - رحمه الله -: واعلم أن كل كريهة تُرفع، أو مكرمة تُكتب لا تتحقق إلا بالشجاعة، ألا ترى أنك إذا هممت أن تمنح شيئاً من مالك خار طبعك، ووهن قلبك، وعجزت نفسك، فشحت به، وإذا حققت عزمك، وقويت نفسك، وقهرت ذلك العجز، أخرجت المال المضنون به، وعلى قدر قوة القلب وضعفه تكون طيبة النفس بإخراجه، أو كراهة النفس لإخراجه، وعلى هذا النمط جميع الفضائل، إذا لم تقارنها قوة نفس لم تتحقق، وكانت مخدوعة، فالجبان يفرّ عن أمه وأبيه، والشجاع يقاتل عمن رحله، فبقوة القلب يُصاب امتثال الأوامر والانهاء عن الزواجر، وبقوة القلب يُصاب اكتساب الفضائل وبقوة القلب يُنتهى عن اتباع الهوى والتضمُّح بالردائل وبقوة القلب يصبر المجلس على إيذاء المجلس وجفاء الصاحب، وبقوة القلب يكتُم الأسرار ويدفع العار، وبقوة القلب يفتحُم الأمور الصعاب وبقوة القلب يتحمل أثقال المكاره، وبقوة القلب يصبر على أخلاق الرجال، وبقوة القلب تُنفذ كل عزيمة أوجبها الحزم والعدل.

وليس الصبر والشجاعة وقوة النفس أن تكون مصرّاً في المحال لجوّجاً في الباطل، ولا أن تكون جلدّاً عند الضرب، صبوراً على التعب، مُصمّماً على التّغريير والتّهوّر، فإنّ هذه صفة الحمير والخنازير، ولكن أن تكون صبوراً على أداء الحقوق عليك صبوراً على سماعها وإلقائها إليك، غالباً

(١) انظر: لسان العرب (٢٠٠/٤، ٢٢٠١) والمقاييس (٢٤٨/٣) والصاح (١٢٣٧/٣)، (١٢٣٨).

(٢) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٢٧).

(٣) التعريفات (١٢٥).

لهواك، ، مالكا لشهواتك، ملتزما للفضائل بجهدك، عاملا في ذلك على الحقيقة التي لا يحيلك عنها حياة ولا موت، حتى يكون عندك موتك على الخير الذي أشار به العلم وأوجه العدل خير من البقاء على ما أوجب ورفض العلم والعدل^(١).

وقال الأبشيهي - رحمه الله تعالى -: اعلم أنَّ الشجاعة عماد الفضائل، ومن فقدوها لم تكمل فيه فضيلة يُعبر عنها بالصبر وقوة النفس.

قال الحكماء وأصل الخير كله في ثبات القلب، والشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: إذا التقى الجمعان، وتزاحف العسكران وتكالحت الأحداق بالأحداق برز من الصف إلى وسط المعترك يحمل ويكر وينادي هل من مبارز.

والثاني: إذا نشب القوم واختلطوا ولم يدر أحد منهم من أين يأتيه الموت، يكون رابط الجأش، ساكن القلب، حاضر اللب، لم يُخالطه الدهش ولا تأخذه الحيرة فيتقلب تقلب المالك لأمره القائم على نفسه.

والثالث: إذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب في وجوه القوم، ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوي قلوب أصحابه ويزجي الضعيف ويمدهم بالكلام الجميل، ويُشجع نفوسهم فمن وقع أقامه، ومن وقف حملة، ومن كبا به فرسه حماه حتى ييأس العدو منهم: وهذا أحمدهم شجاعة، وعن هذا قالوا: إن المقاتل من وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين، ومن أكرم الكرم الدفاع عن الحرم^(٢).

حقيقة الشجاعة وعوامل تقويتها:

يقول الراغب: الشجاعة إن اعتبرت وهي في النفس فصرامة القلب على الأهوال وربط الجأش في المخاوف وإن اعتبرت بالفعل فالإقدام على موضع الفرصة وهي فضيلة بين التهور والجبن وهي تتولد من الفزع والغضب إذا كانا متوسطين، فإنَّ الغضب قد يكون مفرطاً كمن يحتد سريعا من أشياء صغيرة، وقد يكون مقتصرًا كمن لا يغضب من الاجترار على حرمه وشتم أبيه وأمه وقد يكون متوسطًا على ما يجب في وقت ما يجب وبقدر ما يجب، وكذلك الفزع قد يكون مفرطاً فيتولد منه الجبن الهالع، ومقتصرًا فيتولد عنه الوقاحة والغمارة كمن لا يفزع من شتم آبائه وتضييع حرمه وأصدقائه وقد يكون متوسطًا كما يجب وبقدر ما يجب ولكونهما أعني الغضب والفزع على

(١) انظر: سراج الملوك للطرطوسي (٢٠/٦٦٨، ٦٧٠).

(٢) المستطرف (١/٣١٠).

حالين محمود ومذموم صارا يحمدان تارةً ويذمَّان أخرى؛ فإنَّ الغضب في
نحو قوله تعالى: ﴿وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ والفرع في نحو قول الشاعر فزعتُ
لظلمة... إلخ.. محمودان والتهور هو الثبات المذموم في الأمور
المعطبة^(١)

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٢٨).

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : **أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد بن علي بن أبي طالب** كنية : **أحمد** الدعوة وأصول الدين قسم : **المكتاب والسنة**
 الأطروحة مقدمة لئيل درجة : **الدكتوراه** في تخصص : **المكتاب والسنة**
 عنوان الأطروحة : **((الإحسان في ضوء الكتاب والسنة النبوية دراسة موضوعية))**

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه، والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٢/١٢/١٤٤١هـ، بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث قد تم عمل اللازم؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه...

أعضاء اللجنة

المشرف

الاسم: م. سلمان الصارفة البرية الاسم: م. عبد الله بن علي لغامري

التوقيع:

رئیس قسم

التوقيع : ٢١/١٢

يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

٠٠٥٣٠٤



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
قسم الدراسات العليا

الإحسان في ضوء الكتاب والسنة النبوية

«دراسة موضوعية»

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الكتاب والسنة

إعداد الطالب

أحمد بن سعد بن أحمد آل غرم الغامدي

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور / سليمان الصادق البيرة

١٤٢٢هـ

المجلد الثاني

المبحث الرابع إحسان الإنسان إلى الخلق

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإحسان إلى الإنسان بالقلب، واللسان، والجوارح
المطلب الثاني: الإحسان إلى غير الإنسان

المطلب الأول

الإحسان إلى الإنسان، بالقلب، واللسان، والجوارح

أولاً: الإحسان إلى المسلم القريب والبعيد

إنَّ المُحسن الصادق، شخصية اجتماعية راقية، كونها مجموعة كبيرة جداً من مكارم الأخلاق، التي استهدت بهدى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وجعلت التخلق بها ديناً يثاب عليه المرء المحسن، ويحاسب على تركه، فاستطاعت بذلك أن تجعل شخصية المحسن الصادق نموذجاً فذاً للإنسان الاجتماعي الراقي المذهب التقى الخير النظيف.

يبد أن الباحث المستقصي نصوص تلك التوجيهات الاجتماعية في الإسلام، يجد نفسه أمام حشد كبير جداً من النصوص التي تحض على كل خلق من هذه الأخلاق الاجتماعية الرفيعة، مما يدل على عناية الإسلام البالغة بتكوين شخصية المحسن الاجتماعية تكويناً دقيقاً، لا يكتفي بالعموميات، بل يقف عند كل جزئية من الجزئيات الخلقية التي تكوّن جانباً من جوانب الشخصية الاجتماعية المتكاملة، وهذا الاستيعاب والشمول لم يتوافرا في منهج من مناهج التربية الاجتماعية توافره في هذا الدين.

ولا مناص للباحث من الوقوف عند هذه النصوص جميعاً، والإلمام بما تضمنته من هدى وتوجيه وتشريع، ليستطيع تجلية الشخصية الاجتماعية الراقية التي تميز بها المحسن الواعي وتفرّد.

ولقد وقفنا فيما سلف في هذا البحث عند بعض هذه النصوص التي جلّت جوانب من شخصية المحسن المستجيب لهدي دينه، الوقّاف عند أمر ربه ونهيه.

والآن نمضي بعون الله تعالى مع النصوص الأخرى الكثيرة التي تصوغ شخصية المحسن الاجتماعية، وتحدد طابعها المتميز في شتى النواحي^(١) وهي تدور بين العدل والإحسان.

١- العدل مع الإنسان

العدل لغةً: مصدر عدل يعدل عدلاً وهو مأخوذ من مادة (ع د ل) التي تدل - كما يقول ابن فارس - على معنيين متقابلين: أحدهما يدل على الاستواء، والآخر على اعوجاج، ويرجع لفظ العدل مصدراً إلى: خلاف الجور وهو ما قام في النفوس أنّه مستقيم، وقد يستعمل هذا المصدر

(١) انظر: شخصية المسلم: د/ محمد علي الهاشمي (١٦٢، ١٧٦).

استعمال الصفات ، فيقال: رَجُلٌ عَدْلٌ ، وَالْعَدْلُ مِنَ النَّاسِ الْمَرْضِيّ المستقيم الطريقة^(١).

العدل اصطلاحاً: هو فصل الحكومة على مافي كتاب الله - سبحانه وتعالى - وسنة رسوله ﷺ لا بالحكم بالرأي المجرد^(٢).

وقيل: بذل الحقوق الواجبة وتسوية المستحقين في حقوقهم^(٣).

وقال ابن حزم: هو أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه^(٤).

وقال الجرجاني: العدل الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط.

والعدالة في الشريعة: عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب مما هو محظور ديناً^(٥).

أنواع العدل:

والعدل ضربان: مطلق يقتضي العقل حسنه، ولا يكون في شيء من الأزمنة منسوخاً، ولا يوصف بالاعتداء بوجه، نحو الإحسان إلى من أحسن إليك، وكف الأذى عمن كف أذاه عنك. وعدل يُعْرَفُ كونه عدلاً بالشرع. ويمكن أن يكون منسوخاً في بعض الأزمنة، كالقصاص أرش الجنيات، وأخذ مال المرتد، ولذلك قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة، الآية: ١٩٤] ، وقال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى، الآية: ٤٠] فسمى ذلك سيئة واعتداء للمشاكلة. وهذا النحو هو المعنى بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل، الآية: ٩٠]، فإن العدل هو المساواة في المكافأة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه والشر بأقل منه^(٦).

شمولية العدل وأقسامه وكيفية تحقيقه:

يتأتى العدل في كل مجال من عقائد وشرائع وسير مع الناس في الأمانات وترك الظلم والإنصاف وإعطاء الحق^(٧).

كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل،

(١) مقاييس اللغة (٢٤٦/٤)، والصحاح (١٧٦٠/٥) ولسان العرب (٢٨٣٨/٥)، والمفردات (٣٢٥).

(٢) فتح القدير (٤٨٠/١).

(٣) الرياض الناضرة للسعدي (٢٥٣).

(٤) مداواة النفوس (٨١).

(٥) التعريفات (١٥٣).

(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز (٣٠-٢٨/٤).

(٧) انظر: المحرر الوجيز (٤٩٤/٥).

الآية: ٩٠]، فهذه الآية عامة في كل ما يفتقر صلاحه إلى العدل؛ لأن الألف واللام فيه للعموم كما يشعر بذلك حذف المعمول^(١).

فشملت العدل بين العبد وبين ربه، وذلك بإيثار حقه تعالى على حظ نفسه، وتقديم رضاه على هواه، والاجتناب للزواج، والامتناع للأوامر، وذلك لمقتضى خلق الله تعالى له حيث جعل الغاية من خلقه عباده كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات، الآية: ٥٦] والعدالة تقتضي القيام بعبادة الله على النحو الذي ذكر ومن لم يفعل كان مفرطاً وذلك هو الظلم بعينه.

وشملت العدل بينه وبين نفسه، وذلك بمنعها عما فيه هلاكها كما قال تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات، الآية: ٤٠] وعزوب الأطماع عن الاتباع، ولزوم القناعة في كل حال ومعنى.

لأنه إذا لم يفعل ذلك جرت نفسه إلى اتباع الهوى وارتكاب حدود الله تعالى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف، الآية: ٥٣]، وإذا فعل ما أمرته كان مجانباً للعدل معها كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق، الآية: ١].

وشملت العدل بينه وبين الخلق، وذلك ببذل النصيحة لهم، وترك خيانتهم فيما قل أو كثر، والإنصاف من النفس لهم بكل وجه، ولا يوصل إلى أحد مساءة بقول ولا بفعل، لا في سر ولا في علن، والصبر على ما يصيبه منهم من البلوى وإذا لم يفعل ذلك فلا أقل من الإنصاف من النفس وترك الأذى^(٢). ومن الآيات العامة في العدل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [الأعراف، الآية: ٢٩]. وقوله تعالى: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد، الآية: ٢٥]. ومع هذا العموم فقد خص الله تعالى بعض الصور بالعدل منها:

١- العدالة في الشهادة كما قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق، الآية: ٢]. وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة، الآية: ٨].

٢- العدالة في الكتابة للحقوق قال تعالى: ﴿وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة، الآية: ٢٨٢].

٣- الإملاء في الكتابة بالحق، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة، الآية: ٢٨٢].

٤- العدالة في الولاية على الضعفاء قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ

(١) انظر: أضواء البيان (٣/٣١٦).

(٢) انظر: أحكام القرآن «لابن العربي» (٣/١١٧٢).

بِالْقِسْطِ ﴿النساء، الآية: ١٢٧﴾.

٥- العدل بين الزوجات كما قال تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء، الآية: ٣].

٦- العدل في الصلح بين المتنازعين سواء كانوا أفراداً أم جماعات كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَاقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات، الآية: ٩].

٧- العدل في القول عامة بما يتفق مع قواعد الدين كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام، الآية: ١٢٥] (١).

٨- العدل في الحكم بين الناس كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء، الآية: ١٠٥].

٩- العدل في الحكم في حقوق الله تعالى كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مَّتَعِدًا فَجَرَاءٌ مِّثْلُ مَا قُتِلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة، الآية: ٩٥].

وقال الماوردي: إن مما تصلح به حال الدنيا قاعدة العدل الشامل، الذي يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة، وتعمر به البلاد، ويكبر به النسل، ويأمن به السلطان.

وليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور؛ لأنه لا يقف عند حد، ولا ينتهي إلى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل.

ونقل عن بعض البلغاء قوله: إن العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق، ونصبه للحق فلا تخالفه في ميزانه، ولا تعارضه في سلطانه، واستعن على العدل بخلتين: قلة الطمع، وكثرة الورع. فإذا كان العدل من إحدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به، ولا صلاح فيها إلا معه، وجب أن يبدأ بعدل الإنسان في نفسه، ثم بعدله في غيره. فأما عدله في نفسه، فيكون بحملها على المصالح وكفها عن القبائح، ثم بالوقوف في أحوالها على أعدل الأمرين: من تجاوز أو تقصير، فإن التجاوز فيها جورٌ، والتقصير فيها ظلمٌ، ومن ظلم نفسه فهو لغيره أظلم، ومن جار عليها فهو على غيره أجور. فأما عدله مع غيره، فقد تنقسم حال الإنسان مع غيره على ثلاثة

(١) انظر: أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، لأحمد حداد (٣/١٢٥١-١٢٥٣).

أقسام:

القسم الأول: عدل الإنسان فيمن دونه، كالسلطان في رعيته، والرئيس مع صحابته، فعدله فيهم يكون بأربعة أشياء:

باتباع الميسور وحذف المعسور، وترك التسلط بالقوة، وابتغاء الحق في السيرة، فإن اتبع الميسور أدوم، وحذف المعسور أسلم، وترك التسلط أعطف على المحبة، وابتغاء الحق أبعث على النصر.

القسم الثاني: عدل الإنسان مع من فوقه. كالرعية مع سلطانها، والصحابة مع رئيسها، ويكون ذلك بثلاثة أشياء:

بإخلاص الطاعة، وبذل النصر، وصدق الولاء؛ فإن إخلاص الطاعة أجمع للشمل، وبذل النصر أدفع للوهن، وصدق الولاء أنفى لسوء الظن. وهذه أمور إن لم تجتمع في المرء تسلط عليه مَنْ كان يدفع عنه واضطر إلى اتقاء مَنْ كان يقيه... وفي استمرار هذا حلّ نظام شامل، وفساد صلاح شامل.

القسم الثالث: عدل الإنسان مع أكفائه، ويكون بثلاثة أشياء: بترك الاستطالة، ومجانبة الإدلال، وكف الأذى؛ لأن ترك الاستطالة آلف، ومجانبة الإدلال ألطف، وكف الأذى أنصف، وهذه أمور إن لم تخلص في الأكفاء أسرع فيهم تقاطع الأعداء، ففسدوا وأفسدوا. وقد يتعلق بهذه الطبقات أمور خاصة يكون العدل فيها بالتوسط في حالتي التقصير والسرف، لأن العدل مأخوذ من الاعتدال، فما جاوز الاعتدال فهو خروج عن العدل، وإذا كان الأمر كذلك فإن كل ماخرج عن الأولى إلى ما ليس بأولى خروج عن العدل إلى ما ليس بالعدل.

ولست تجد فسادًا إلا وسبب نتيجته الخروج فيه عن حالة العدل، إلى ما ليس بعدل من حالتي الزيادة والنقصان، وإذا لا شيء أنفع من العدل كما أنه لا شيء أضر مما ليس بعدل^(١).

وقال الغزالي - رحمه الله -: «إن حظ العبد من العدل أمر ظاهر لا يخفى، فأول شيء يجب عليه من العدل في صفات نفسه أن يجعل الشهوة، والغضب أسيرين تحت إشارة العقل والدين، فإنه لو جعل العقل خادماً للشهوة والغضب فقد ظلمه، هذا في الجملة، أما تفصيلات ما يجب عليه في العدل في نفسه فمراعاة حدود الشرع كلها، وإن عدله في كل عضو أن يستعمله على الوجه الذي أذن الشرع فيه.

وأما عدله في أهله وذويه فأمر ظاهر يدل عليه العقل الذي وافقه

(١) انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (١٤١-١٤٤).

الشرع.

وأما إن كان من أهل الولاية فإن العدل في الرعية من أوجب واجباته^(١).

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما - أن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك فإنه لا ينفع تكلمٌ بِحَقٍّ لا نفاذ له، وآس بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر. والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا أو حرم حلالًا، ومن ادعى حقًا غائبًا، أو بينة فاضرب له أمدًا ينتهي إليه؛ فإن جاء ببينة أعطيته بحقه فإن أعجزه ذلك استحلت عليه القضية؛ فإن ذلك أبلغ من العذر، وأجلى للعمى، ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم فرجعت فيه لرأيك، وهديت فيه لرشدك، أن تراجع إلى الحق؛ لأن الحق قديم لا يُبطلُ الحق شيء، ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل، والمسلمون عدول بعضهم على بعض في الشهادة إلا مجلود في حد، أو مجرب عليه شهادة الزور، أو ظنين في ولاء أو قرابة، فإن الله - عز وجل - تولى من العباد السرائر وستر عليهم الحدود إلا بالبينات والأيمان، ثم الفهم الفهم فيما أدلى إليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قايِس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال والأشباه، ثم اعمد إلى أحبها إلى الله فيما ترى وأشبهها بالحق، وإياك والغضب والقلق والضجر والتأذي بالناس عند الخصومة والتنكر؛ فإن القضاء في مواطن الحق يوجب الله له الأجر، ويحسن به الذخر، فمن خلصت نيته في الحق ولو كان على نفسه، كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين لهم بما ليس في قلبه شأنه الله، فإن الله - تبارك وتعالى - لا يقبل من العباد إلا ما كان له خالصًا، وما ظنك بثواب من عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته^(٢).

وقيل الذي يجب أن يستعمل الإنسان معه العدالة خمسة:

الأول: بينه وبين رب العزة بمعرفة أحكامه وامثالها.

والثاني: العدالة من قوى نفسه وهو أن يجعل هواه مستسلمًا لعقله

المستهدي بهدي الشريعة، فقد قيل أعدل الناس من أنصف عقله من هواه.

والثالث: بينه وبين أسلافه الماضين في إنفاذ وصاياهم، والدعاء لهم.

والرابع: بينه وبين معاملته من أداء الحقوق والانصاف في المعاملات

(١) انظر: أسماء الله الحسنى للغزالي (٩٨-١٠١).

(٢) السنن الكبرى، للبيهقي (٢٥٣/١٠).

من المبايعات والمقارضات والكرامات.

والخامس: بث النصيحة بين الناس على سبيل الحكم، وذلك إلى الولاية وخلفائهم^(١).

يؤيد ذلك ما جاء عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن - عز وجل - وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولُّوا»^(٢).

وسائل اكتساب العدل:

يمكن اكتساب هذه الفضيلة الشريفة بثلاثة أمور وهي:

١- إصلاح القوة المفكرة بالعلم الشرعي.

٢- إصلاح القوة الشهوانية بالعفة.

٣- إصلاح قوة الحمية بالحلم^(٣).

أهمية العدل وفضله:

العدل فضيلة تُنظَّمُ في مقدمة الفضائل والصفات الحميدة التي لا يتصف بها إلا الكُمَّل من الناس، ولرفعة مقامها وشرف منزلتها كانت من صفات الله عز وجل العَلِيِّ، فالله تعالى لكمال عدله حرم الظلم على نفسه، وجعله بين الناس محرماً، وذلك لشناعة أمره، ووخامة عاقبته.

والعدل ميزان الله المبرء من الزلل، الذي تتشرف الأذان لسماعه وتبهج القلوب لذكره. وقد علم الله تعالى أنه لا يُصلِحُ الناسَ في معاشها ومعادها إلا العدل والإحسان فأمر بهما وجمع بينهما في آية واحدة، حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل، الآية: ٩٠].

وأمر به خاتم رسله وصفوة خلقه محمداً ﷺ فقال تعالى: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [الشورى، الآية: ١٥].

وأمر عباده المؤمنين بالعدل في أنفسهم ومع أقاربهم وأعدائهم قولاً وعملاً. فقال تعالى: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ

(١) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة (٢٤٤).

(٢) صحيح مسلم (١٤٥٨/٢) (١٨٢٧).

(٣) انظر: الذريعة (٤٧) وما بعدها.

أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ نَعَرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ [النساء، الآية: ١٣٥]

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ [المائدة، الآية: ٨].

وأخبر تعالى عن حبه لأهل العدل فقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَنِّيلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ [الحجرات، الآية: ٩].

وقد كان النبي ﷺ يبايع المسلمين على العدل أين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم. فعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكارهنا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالعدل أين كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»^(١).

وكان ﷺ يأمر بالعدل والإحسان سواء، كما روى أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا فإن الله - عز وجل - محسن يحب المحسنين»^(٢).

والحكم بين الناس بالعدل مع أنه واجب فهو كذلك صدقة كما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الناس صدقة»^(٣). والسلامى المِفْصَل^(٤).

ومن السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم القيامة الإمام العدل لما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عدل...»^(٥).

ومن ثلاثة الأصناف الذين هم أهل الجنة السلطان المقسط.

عن عياض بن حمار المجاشعي: أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في

(١) سنن النسائي (١٣٩/٧) (٤١٥٣) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٨٧١/٣) (٣٨٧٢).

(٢) معجم الطبراني الأوسط (٣٤٣/٦) (٥٧٣١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٧/٥) رجاله ثقات وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٤٧/١) (٤٩٤).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٣٠٩/٥).

(٤) انظر: فتح الباري (١٣٢/٦).

(٥) صحيح البخاري، الفتح (٢٩٣/٣) (١٤٢٣).



خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم. وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب. وقال: إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان، وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً. فقلت: رب، إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة. قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك. وأنفق فسننق عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، قال: وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال. قال: وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، والذين هم فيكم تبع لا يتبعون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفي له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك» وذكر البخل أو الكذب [والشنطير الفحاش]»^(١).

ومعنى يثلغوا رأسي: يشدخوه^(٢)، ولا زبر له: لا عقل له يزجره ويمنعه ممّا لا ينبغي^(٣)، والشنطير: الشيء الخلق^(٤).

وقد حذرت النصوص الشرعية من الظلم وتوعدت صاحبه بالخزي والندامة في الدنيا والآخرة ومنها: ما روي عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك، إلا أتى الله - عز وجل - مغلولاً يوم القيامة، يده إلى عنقه، فكه بره، أو أوبقه إثمه، أولها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها خزي يوم القيامة»^(٥).

وما روى عن بريدة بن الحصيب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم، فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل، فهو في النار»^(٦).

(١) صحيح مسلم (٢١٩٨/٣) (٢٨٦٥).

(٢) النهاية (٢٢٠/١) (والشدخ): كَسُرُ الشيء الأجوف. النهاية (٤٥١/٢).

(٣) النهاية (٢٩٣/٢).

(٤) النهاية (٥٠٤/٢).

(٥) مسند أحمد (٢٦٧/٥) (٢١٧٩٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٩٧/٢).

(٥٧١٨).

(٦) سنن أبي داود (٥/٤) (٣٥٧٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٨/٢) =

وقال ابن حزم - رحمه الله -: «أفضل نعم الله تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحب الحق وإيثاره»^(١).

وقال ابن تيمية - رحمه الله -: «بالصدق في الأخبار، والعدل في الإنشاء من الأقوال والأعمال تصلح في جميع الأعمال، وهما قرينان كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام، الآية: ١١٥].»^(٢)

وقال أيضًا: «أمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام»^(٣).

وقال أيضًا: «العدل نظام كل شيء. فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق. ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزي به في الآخرة»^(٤).

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «إن من له ذوق في الشريعة واطلاع على كمالها وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد، ومجيئها بُغْيَةً العدل الذي يسع الخلائق يجد أنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تَضُمُّهُ من المصالح، تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها، وفرع من فروعها، وأن مَنْ أحاط علما بمقاصدها ووضعها موضعها وحسن فهمه فيها، لم يحتج معها إلى سياسة غيرها ألبتة.

فإن السياسة نوعان: سياسة ظالمة، فالشريعة تحرمها. وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر فهي من الشريعة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها»^(٥).

العدل من صفات المحسنين:

وأولهم رسولنا محمد ﷺ فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال بينا النبي ﷺ يقسم ذات يوم، فقال ذو الخويصرة - رجل من بني تميم - يارسول الله اعدل قال: «ويلك من يعدل إذا لم أعدل». فقال عمر: ائذن لي فلاضرب عنقه، قال «لا، إن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية..»^(٦).

= (٤٤٤٦).

(١) مداوة النفوس (٩٠).

(٢) الحسبة (٢٢).

(٣) الحسبة (١٤٧).

(٤) المصدر السابق (١٤٨).

(٥) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية (١١٠).

(٦) صحيح البخاري (٢٢٨١/٥) (٥٨١١).

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن قريشاً أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا: ومن يجتريء عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، فقال: أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها...»^(١).

وهذا عيسى بن مريم عليه السلام ينزل آخر الزمان حكماً عدلاً بين الناس: فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليؤشكن أن ينزل فيكم ابن مريم صلى الله عليه وسلم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»^(٢).

ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فعن عطاء قال كان عمر رضي الله عنه يكتب إلى عماله أن يوافوه بالموسم فيوافوه، فقام فقال: أيها الناس، إني استعملت عليكم عمالي هؤلاء، ولم أستعملهم ليصيبوا من أبشاركم، ولا من أموالكم، ولا من أعراضكم، ولكن استعملتهم ليحجزوا بينكم، أو يردوا عليكم فيئكم، فمن كانت له مظلمة عند أحد منهم فليقم، فما قام من الناس أحد يومئذ إلا «فلان» قام فقال: يا أمير المؤمنين إن عاملك «فلان» ضربني مائة سوط فقال: يضرب مائة!! فاستقد منه. فقام عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، إنك متى تفتح هذا على عمالك تكثر عليهم، وتكون سنة يأخذ بها من بعدك، فقال: أنا لا أقيد منه، وقد رأيت النبي ﷺ يقيد نفسه. فقال: دعنا إذن نرضيه. قال: أرضوه. قال: فافتديت منه بمائتي دينار، فكان كل سوط بدينارين^(٣).

صور من عدل المحسنين:

منها ما رواه ابن عباس - رضي الله عنه - أن زوج بريرة كان عبداً يقال له: مغيث قال: كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ لعباس - رضي الله عنه -: «يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثاً؟! فقال النبي ﷺ: «لو راجعته» قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: «إنما أنا شافع» قالت: لا حاجة لي

(١) صحيح مسلم (١٣١٥/٢) (١٦٨٨).

(٢) صحيح مسلم (١٣٥/١) (١٥٥).

(٣) تاريخ المدينة، لابن شبة (٨٠٦-٨٠٧).

فيه^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اشترى رجل عقارًا، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب. فقال الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني، إنما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الذهب. فقال الذي شري الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها. قال: فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد، فقال أحدهما: لى غلام. وقال الآخر: لي جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسكما منه وتصدقاً»^(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء ذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك. فتحاكما إلى داود، ف قضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتا، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله، هو ابنها، ف قضى به للصغرى». قال أبوهريرة: والله إن سمعت بالسكين إلا يومئذ وما كنا نقول إلا المدية^(٣).

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند عمر رضي الله عنه فأتاه ناس من أهل الكوفة فشكوا إليه سعداً حتى قالوا ما يحسن الصلاة، فقال سعد: أما أنا والله فقد كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ، قال عمر رضي الله عنه: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، وكيف كانت صلاة رسول الله ﷺ؟ قال: أركد في الأوليين وأحذف في الآخرين قال: فأرسل عمر رضي الله عنه إلى الكوفة فطيف به في مساجدها، فيقولون فيه خيراً ويشنون خيراً حتى انتهوا إلى مجلس بني عبس وفيه رجل يكنى أبا سعدة فقال: اللهم كان لا ينفر في السرية، ولا يعدل في القضية، ولا يقسم بالسوية، فقال سعد: اللهم إن كان كاذباً فأطل عمره، وأشد فقره، وأعم بصره، واعرض عليه الفتن. قال عبد الملك بن عمير: فأنا رأيته بعدُ كبيراً فقيراً ذاهب البصر فقال له: كيف أنت يا أبا سعدة؟ فيقول: شيخ كبير فقير مفتون أجيت في دعوة سعد^(٤).

(١) صحيح البخاري (٢٠٢٣/٥٠) (٤٩٧٩).

(٢) صحيح مسلم (١٣٤٥/٢) (١٧٢١).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٤٥٨/٦) (٣٤٢٧).

(٤) تاريخ المدينة، لابن شبة (٨١٦-٨١٧).

من ثمرات العدل:

١- أنه من أعظم الأعمال الموصلة إلى رضوان الله تعالى وأنه سبب في دخول الجنة.

٢- أنه سبب في سلامة المجتمع من الآفات والشرور.

٣- أن صاحب العدل محمود السيرة محبوب لدى النفوس الصحيحة.

٤- أن العدل سبب رئيس في دوام الملك واستتباب الأمن.

٢ - الإحسان أو الإنعام إلى الإنسان:

وقد تقدم الحديث بما فيه الكفاية عن تعريف الإحسان ومباحث أخرى هي موضوع الرسالة وبقي مسائل منها:

الأولى: الفرق بين العدل والإحسان:

ومن الفروق الواضحة بينهما أن الإحسان درجة أعلى ودائرة أشمل من العدل، لأن العدل يعني أن يأخذ الإنسان ماله ويعطي ما عليه، والإحسان يعني أن يأخذ الإنسان أقل مما له وأن يعطي أكثر مما عليه، فالإحسان بذلك زائد على العدل، والعدل يكون في الأحكام والإحسان يكون في المكارم، وإذا كان تحري العدل من الواجبات فإن تحري الإحسان ندب وتطوع، وكلاهما مأمور به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل، الآية: ٩٠]. وبالعدل والإحسان يستحق العبد الخلافة لله تعالى في الأرض وعمارتها وغاية الإحسان أن يقع من الإنسان أفضل الإحسان من غير فكر ولا روية كأنه مطبوع عليه^(١).

الثانية: شمول الإحسان:

من الواضح للباحث المدقق في النصوص الكريمة الواردة في الإحسان أنه مع العدل يشكل مضامين العلاقة بين الإنسان والإنسان الآخر وأحكامها، وأن دائرة هذا الإحسان تتسع لتشمل النفس والأسرة والأقارب ثم المجتمع والإنسانية عامة، والحياة بأسرها.

فالدائرة الأولى: وهي دائرة الإحسان إلى النفس وتتضمن كمال الطاعة وإتقانها وإخلاصها لله تعالى على أكمل وجه وكأن الطائع يرى ربه تعالى، كما تتضمن القيام على شؤون نفسه بما يصلحها في الظاهر والباطن. قال الله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ^{وُطِ} وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء، الآية: ٧].

وقد سبق الحديث عن هذه الدائرة وتجلى أمرها بوضوح.

أما الدائرة الثانية: فتشمل الإحسان إلى القرابة الأذنين وهم الوالدان، والزوجة، والأولاد. قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء، الآية: ٢٣].

أما الدائرة الثالثة: فإنها تشمل الإحسان إلى القرابة الأبعد من الوالدين، والزوجة، والأولاد، وهم الإخوان والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات وأبنائهم وبقية الأنساب والأصهار. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ ۝﴾ [البقرة، الآية: ٨٣].

(١) انظر: المفردات، للراغب (١١٩)، والذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٥).

أما الدائرة الرابعة: فهي أوسع من سابقتها فإنها تضم الإحسان إلى المسلم وتشمل الجيران، والإخوان في الله وبقية أفراد المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان والإحسان هذا أكثر ما ينصب على الجانب الفقير في المجتمع، كاليتامى والمساكين وابن السبيل والمماليك. قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء، الآية: ٣٦] وفي الآية أمر بالإحسان إلى من ذكر ونهى عن الترفع عليهم كبراً واختيالاً.

أما الدائرة الخامسة: وهي الأوسع في العلاقات الإنسانية فتشمل الإحسان إلى المخالفين في العقيدة الذين لا يدينون بدين الإسلام قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُّوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [النساء، الآية: ٩٨]. وقال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ فَبَيْثَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدْسِيَةً يُمِرُّونَ الْكَلِيلَ عَنْ مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ﴾ [المائدة، الآية: ١٣].^(١)

وأما الدائرة السادسة: وهي الإحسان مع غير الإنسان وتضم الإحسان إلى الملائكة الكرام عليهم السلام والنباتات والحيوانات والجمادات وغيرها، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف، الآية: ٥٦]. هذا إجمال ينساق الحديث بعده إلى التفصيل:

أ- الإحسان مع المسلم القريب:

يعتبر الإسلام الأقارب ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ذوو الأرحام: وهم كل من يجمع بينك وبينه نسب، والنسب اشتراك من جهة أحد الأبوين^(٢).

وهم أصول، وفروع، وحواشي، ومن سواهم. وبيانهم كالآتي:

أولاً: قرابة الأصول، وهم نوعان:

أ - أصل مباشر كالأب والأم.

ب - وأصل غير مباشر كالجد والجدة.

ثانياً: قرابة الفروع، وهم نوعان:

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية، للدكتور ماجد عرسان الكيلاني (١٤١).

(٢) انظر: لسان العرب (٢٣٣/١٢)، والمفردات (٥١١).

أ - الفرع المباشر ويضم الأولاد وبنات الصلب.
ب - والفرع غير المباشر وهم الأحفاد، أبناء الأبناء، وأبناء البنات وأبناؤهم.

ثالثاً: قرابة الحواشي:

وهم الإخوة والأخوات وأبناؤهم والأعمام والعمات وأبناؤهم.

رابعاً: من سواهم من الأرحام:

وهم الخال وأبناؤه والخالة وأبناؤها.

النوع الثاني: قرابة الرضاع.

وهم كل من يجمع بينك وبينهم سبب الرضاع سواء أكان الرضاع من جهة الأصول أم الفروع أم الحواشي أم ممن سواهم من ذوي الأرحام.

النوع الثالث: الأصهار:

وهم أهل بيت المرأة وأقاربها^(١).

وهؤلاء جميعاً هم عشيرة الرجل الأدنون، منهم الوارث وغيره، يعطي كل

واحد من البر والصلة بحسب قربه وبعده، ولا ريب أن أقرب القرابة هما

الوالدان. قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا

وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النساء، الآية: ٣٦].

(١) انظر: المفردات (٢٩٥).

أ - الإحسان إلى الوالدين:

من أبرز صفات المحسن الحق، الإحسان إلى الوالدين والبر بهما، وذلك لأنه من أجل الأمور التي حض عليها الإسلام، وأكدتها نصوصه القاطعة الحاسمة، والمحسن الواعي المستجيب لهذه النصوص الوفيرة من الكتاب والسنة الداعية إلى الإحسان إليهما وحسن مصاحبتهما، لا يسعه إلا أن يكون البر بهما سجية من ألزم سجاياءه، وخليقة من أبرز خلائقه^(١).

مكانتهما:

لقد رفع الإسلام مقام الوالدين إلى مرتبة لم تعرفها أمم الأرض في غير هذا الدين، إذ جعل الإحسان إليهما والبر بهما في مرتبة تلي مرتبة الإيمان بالله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء، الآية: ٣٦].

وقد عاب الله تعالى على الشقي العاق الذي قال كما حكى الله عنه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدِيْهِ أَفِيْ لَكُمْ أَتَعْدَانِيْ أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِيْ وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلِكْ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف، الآية: ١٧]. وتأتي السنة النبوية مؤكدة وجوب الإحسان إلى الوالدين، ومحذرة من عقوقهما أو الإساءة إليهما، مهما تكن الأسباب.

فعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: « سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله قال: الصلاة في وقتها، قال: ثم أي، قال: ثم بر الوالدين، قال: ثم أي، قال: الجهاد في سبيل الله. قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني^(٢) ».

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: «أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ، فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله، قال: «فهل من والديك أحد حي» قال: نعم بل كلاهما، قال: «فتبتغي الأجر من الله؟»، قال: نعم، قال: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»^(٣). وفي رواية له قال ﷺ: «ففيهما فجاهد»^(٤).

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أكبر الكبائر؛ الإشراك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور، أو شهادة الزور»^(٥). ولعلك تدرك أيها المحسن شناعة العقوق، وكيف قرنه الله بالإشراك وقتل

(١) انظر: شخصية المسلم (٥٥).

(٢) صحيح البخاري (١٩٧/١) (٥٠٤).

(٣) صحيح مسلم (١٩٧٥/٣) (٢٥٤٩).

(٤) المصدر السابق.

(٥) صحيح البخاري (٢٥١٩/٦) (٦٤٧٧).

النفس، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنفه، ثم رغم أنفه». قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك والديه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة»^(١).

وعندما حرص الإسلام كل الحرص على الإحسان إلى الوالدين جميعًا، والقيام بحقوقهما وأوجب ذلك لهما سواء كانا صغيرين أم كبيرين، وهو أشد التأكيد، خص الأم بمزيد رعاية وإحسان، جزاء ما كابدت من مشاق ومتاعب، فقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُ اللَّبْنِ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان، الآية: ١٤].

وفي الآية استدرار عطف الأبناء على الأمهات، بما زادت به من مشقة الحمل والولادة والرعاية إلى حد الفصال، بما لا يقدر عليه الوالد.

وتأكيدًا على هذا المعنى النبيل أكد النبي ﷺ أولوية الأم وأحقيتها في البر، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك»^(٢).

وعن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - قال النبي ﷺ: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»^(٣).

وليس يفهم من ذلك التأكيد التقصير في حقوق الأب، وإنما التأكيد لحق الأم في زيادة البر؛ ولأنَّ العقوق إليها أسرع منه إلى الأب؛ لشدة ضعفها وعدم قدرتها على انتزاع حقها كاملاً، إضافة إلى أنه في الغالب يجد الأبناء الجشعون في حوزة آبائهم ما يدعوهم من الماديات إلى البر بهم ما لم يجدوه في حوزة الأمهات.

مبادئ الإحسان إلى الوالدين:

إن المحسن الصادق يسعى جاهداً بكل ما أوتي من قدرة للإحسان إلى والديه بما يدفع عنهما الأذى ويديم عليهما الصحة الدينية والنفسية والجنسية فلا يقدم عليهما أحداً كائناً من كان انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان، الآية: ١٥]. وقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء، الآية: ٣٦].

وجاء المعروف والإحسان هنا منكرين، ليفيدا التعميم والتكثير

(١) صحيح مسلم (٣/١٩٨٨) (٢٥٥١).

(٢) صحيح مسلم (٣/١٩٧٤) (٢٥٤٨).

(٣) صحيح البخاري (٢/٨٤٨) (٢٢٧٧).

والتعظيم وليذهب العقل في الاحسان إليهما وإسداء المعروف لهما كل مذهب ومن ذلك الإحسان:

- ١- محبتهم والشوق إلى لقائهم وسماع حديثهم.
- ٢- طلاقة الوجه والمحيا وحنو البسمة لهما.
- ٣- اختيار أطيب الكلام لهما. وكأنه عبد بين يدي سيده.
- ٤- إحاطتهما بأجمل مظاهر الود والتقدير والاحترام.
- ٥- عدم المشي أمامهما، وإجلاسهما في خيرة المجلس.
- ٦- تقبيل يديهما وغض الصوت عندهما.
- ٧- تحري محبوبهما في المأكل والمشرب والمسكن والمركب وغيرها.

- ٨- الترفق في دعوتهم إلى الخير، والتودد في إقناعهما بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجة القوية والأسلوب الأمثل.
- ٩- الإنصات لحديثهما في تذلل وخضوع.
- ١٠- الإكثار من الدعاء لهما، بدوام الصحة والسعادة في الدنيا والآخرة وحسن الخاتمة. وإدامة الاستغفار لهما.

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء، الآية: ٢٤]. وقد كان الدعاء للوالدين طريقة الأنبياء عليهم السلام كما قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ [نوح، الآية: ٢٨]. وعن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَغْفِرْ لَأَيَّتِي اتَّبَعْتُ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ﴾ [الشعراء، الآية: ٨٦]. غير أن الاستغفار والدعاء لهما بالرحمة إذا كانا كافرين منسوخ ولا يجوز كما قال تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة، الآية: ١١٣].

ولا يجوز الاحتجاج باستغفار إبراهيم لأبيه؛ لأن الله تعالى بين عذره فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ﴾ [التوبة، الآية: ١١٤].

- ١١- التحدث بإحسانهما ومشاق تربيتهما له، وحسن صنعهما به.
- ١٢- إكرام أهل ودهما في حياتهما وبعد مماتهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا من جهتهما، وإنفاذ عهدهما.

فعن عبدالله بن دينار عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبدالله، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، فقال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله إنهم

الخطاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه»^(١).

١٣- قضاء الديون التي على الوالدين، للعباد ولرب العباد تبارك وتعالى. فعن الفضل بن العباس - رضي الله عنه - أنه كان رديف رسول الله ﷺ غداة النحر، فأتته امرأة من خثعم فقالت: يارسول الله إن فريضة الله عز وجل في الحج على عباده، أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يركب إلا معترضاً، أفأحج عنه. قال: «نعم حجي عنه، فإنه لو كان عليه دين قَضَيْتُهُ»^(٢).

١٤- إثارهما على النفس والزوجة والولد.

ففي حديث الثلاثة الذين آووا إلى الغار عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى آووا في المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي طلب شيء يومًا، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، وكهرت أن أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فلبثت والقدح على يديّ انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفجرت شيئاً لا يستطيعون الخروج...»^(٣).

١٥- تقديم طاعتها وامثال أوامرهما في غير معصية الله تعالى على طاعة كل أحد حتى نوافل الطاعات. ما لم يكن في ذلك ضرر بالغ أو هلاك محقق. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم وصاحب جريج. وكان جريج رجلاً عابداً. فاتخذ صومعة. فكان فيها. فأتته أمه وهو يصلي. فقالت: يا جريج، فقال: يارب أُمي وصلاتي. فأقبل على صلاته. فانصرفت. فلما كان من الغد أتته وهو يصلي. فقالت: يا جريج، فقال: يارب أُمي وصلاتي. فأقبل على صلاته. فانصرفت. فلما كان من الغد أتته وهو يصلي. فقالت: يا جريج. فقال: يارب أُمي وصلاتي. فأقبل على صلاته. فقالت: اللهم لا تمته حتى

(١) صحيح مسلم (١٩٧٩/٤) (٢٥٥٢).

(٢) سنن النسائي (٢٢٧/٨) (٥٣٨٩) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٠٩١/٣) (٤٩٨٢).

(٣) صحيح البخاري (٧٩٣/٢) (٢١٥٢).

ينظر في وجوه المومسات. فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته. وكانت امرأة بغية يُتَمَثَّلُ بحسنها. فقالت: إن شئت لأفتننه لكم، قال: فتعرضت له فلم يلتفت إليها. فأنت راعياً كان يأوى إلى صومعته فأمكنته من نفسها. فوقع عليها. فحملت. فلما ولدت قالت: هو من جريج. فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه. فقال: ماشأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغية. فولدت منك! فقال: أين الصبي؟ فجاءوا به. فقال: دعوني حتى أصلي، فصلى. فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه. وقال: يا غلام! من أبوك؟ قال: فلان الراعي. قال: فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به، وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب. قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت. ففعلوا...»^(١).

١٦- إغداق النفقة عليهما بجود وكرم، وبيد سخية سحاء الليل والنهار، بما يجب لهما عليه وزيادة، من غير تسخط أو تذر. قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدَيْنِ﴾ [البقرة، الآية: ٢١٥]. وقال تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران، الآية: ٩٢]. وعن عمر بن شبيب عن أبيه عن جده أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي مالاً ووالدًا، وإن والدي يحتاج مالي، قال: «أنت ومالك لوالديك، وإن أولادكم من أطيب كسبكم فكلوا من كسب أولادكم»^(٢). يفعل المحسن كل ذلك، ويتمنى بقلبه لو كان يقدر على أكثر منه، ابتغاء مرضاة الله تعالى، واحتساباً للأجر، لا لعوض مادي أو محمدة دنيوية، وهو بهذه الصفة في عبادة الله تعالى أيما عبادة، فإن أداها على وجه الإتيان والإخلاص، وكأنه ينظر إلى ربه تعالى، فقد جمع بين الإحسان الذي هو بمعنى المشاهدة والإحسان الذي بمعنى الإنعام على الغير، وبهما حاز أرفع الدرجات.

ولا يفوتني هنا أن أذكر أولئك النفر الجفأة، الذين عقوا آباءهم وأمهاتهم جرياً على ما جلبه فساد المادية الغربية، والمباديء الهدامة، واتباعاً لخطوات الشيطان من تقطيع لأواصر البنوة والأبوة، وتنكراً لإحسان الآباء وتقديم للزوجة والأولاد على الأبوين، مما جعلهم يعاملونهم كالضعفة والمساكين، أو أكلوا بهم الخدم يبالغون في شتمهم وسبابهم، أو زجوا بهم في دور العجزة والمسنين، أو تركوهم يهيمون على وجوههم في الطرقات،

(١) صحيح مسلم (٣/١٩٧٦) (٢٥٥٠).

(٢) سنن أبي داود (٣/٨٠١) (٣٥٣٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٣١١) (١٤٨٧).

يستجدون الناس عطفهم وإحسانهم.
أقول لهم بكل حرقة وأسى، اتقوا الله تعالى في آبائكم، وأمهاتكم،
واحذروا عقوبة الله، وسخطه عليكم، فكما تدين تدان، والله المستعان.
من ثمرات الإحسان إلى الوالدين:

- ١- تحصيل أعظم الأجر من الله تعالى.
- ٢- دفع مصارع السوء بالبر بهما.
- ٣- البركة في النفس والولد والمال.
- ٤- الإحسان إليهما بابٌ من أبواب الجنة.

ب - الإحسان إلى الزوجة:

مكانتها:

رفع الإسلام الزوجة مكانة عالية لم نعرفها في غير هذا الدين، فأوصى بها وبحسن معاشرتها أشد وصاية، ومن توصياته السامية الراقية قوله تعالى: ﴿وَمَنْ ءَايَتْهُ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم، الآية: ٢١] والآية جاءت في معرض الامتنان على الأزواج، وفيها معنى طلب المودة والرحمة بهن. وقال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء، الآية: ١٩].

ومن السنة النبوية ما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خُلِقْنَ من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً»^(١). وفي رواية له قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها»^(٢).

وفي أعظم وصية له ﷺ في حجة الوداع كان للمرأة نصيب وافٍ. فعن عمرو بن الأحوص - رضي الله عنه - أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ، فذكر في الحديث قصة فقال: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح. فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم، فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن»^(٣). ومعنى عوان: أي أسيرات.

وتسمو التوصيات الشرعية بالزوجات، إلى أن تجعل خيرية الزوج منوطة بحسن عشرته لزوجته، كما يروي أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم

(١) صحيح البخاري (١٩٨٧/٥) (٤٨٩٠).

(٢) صحيح مسلم (١٠٩١/٢) (١٤٦٨).

(٣) سنن الترمذي (٤٥٨/٣) (١٦٣) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٤١/١) (٩٢٩).

لنساءهم خلقًا»^(١).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي...»^(٢).

وعن إياس الدوسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد طاف الليلة بآل محمد نساء كثير، يشكون أزواجهنَّ، ليس أولئك بخياركم»^(٣).

وقد لاحظ القرآن الكريم أن من أسباب سوء العشرة للزوجات كراهية الزوج لبعض خُلُقِ زوجته، أو خُلُقِها، وغفلته عما يرضيه عنها، لذلك لم يترك له العنان يفعل ما شاء، في تهور ونزوات جامحة، تفصم عرى الزوجية، فخاطبة مخاطبة عقلية، ووعدته الخير الكثير، إن هو ترفع بنفسه عن تلك النزوات، في نبل وسعة صدر، وسمو خلق، بعيدًا عن طمع الجشعين وتفاهة الفارغين فقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء، الآية: ١٩].

وفي الحقيقة أن الإنسان ربما أحب الشيء وفيه عطبه وربما أبغضه وفيه مصلحته، كما قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة، الآية: ٢١٦].

وليس من العدل والإحسان أن يسلب الرجل زوجته محاسنها كلها ويتناساها من أجل خلق لم يرضه عنها، وفي هذا المعنى جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «لا يَفْرُكُ مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر أو قال غيره»^(٤) ومعنى يَفْرُكُ: يبغض^{(٥)(٦)}.

مبادئ الإحسان إلى الزوجة:

إن المحسن الحق لا يسعه بعد معرفته هذه النصوص القاطعة الأمرة بالإحسان إلى زوجته إلا أن يكون زوجًا مثاليًا تنعم امرأته بحسن عشرته، ودماثة خلقه، وتسعد برفقته المهدبة، الراقية الممتعة مهما امتدَّ بهما العمر، وطالت بهما الأيام، ومن الإحسان إلى الزوجة ما يأتي:

١- التعاون على البر والتقوى، لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ

(١) سنن الترمذي (٤٥٧/٣) (١١٦٢) وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي حسن صحيح (٣٤٠/١) (٩٢٨).

(٢) سنن الترمذي (٧٠٩/٥) (٣٨٩٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٦/١) (٣٣١٤).

(٣) سنن أبي داود (٦٠٨/٢) (٢١٤٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٧).

(٤) صحيح مسلم (١٠٩١/٢) (١٤٦٩).

(٥) انظر: النهاية (٤٤١/٤).

(٦) انظر: شخصية المسلم (٦٩-٧٤).

وَلَا تَعَاوُزُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا ﴿[المائدة، الآية: ٢].

٢- إظهار الود والرحمة وإحاطاتها بهما تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم، الآية: ٢١].

٣- الدعاء لها بالصلاح وأن تكون قرة عين له. كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء، الآية: ٩٠]. وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان، الآية: ٧٤].

٤- أن يُنْضِرَ حياتها بالسعادة والسرور والمرح، وإشاعة الرحمة والرضا في بيتها.

فعن عروة بن الزبير قال: قالت عائشة - رضي الله عنها -: «والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي، والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ يسترنني بردائه، لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن حريصة على اللّهُ»^(١).

٥- يمد لها يد العون إن رآها بحاجة إلى المساعدة، ويواسيها بالطف القول إن آنس منها شكوى من تعب أو سأم أو ضيق. وقد سئلت أمنا عائشة - رضي الله عنه - ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته قالت: «كان يكون في مَهْنَةٍ أهله، تعني خدمة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»^(٢).

وعنها رضي الله عنها: «أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر: فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني، فقال: هذه بتلك السبقة»^(٣).

٦- يشعرها أنها في ظل زوج كريم سمح، يحميها ويرعاها ويهتم بشؤونها ويوفر لها حاجتها المشروعة كلها وأكثر حسب استطاعته ومن غير إسراف.

ففي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك»^(٤).

(١) صحيح مسلم (٦٠٩/١) (٨٩٢).

(٢) صحيح البخاري (٢٣٩/١) (٦٤٤).

(٣) سنن أبي داود (٦٥/٣) (٢٥٧٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٩٠/٢) (٢٢٤٨).

(٤) صحيح مسلم (٦٩٢/١) (٩٩٥).

وعن سعيد بن زيد - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قُتِلَ دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون أهله فهو شهيد»^(١).

٧- يرضي أنوثتها بالتجمل لها بالزينة. لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ [البقرة، الآية: ٢٢٨].

٨- يعطيها جانبًا من وقته واهتماماته، ولا يشغل وقته كله عنها ولو بنوافل الطاعات وهي من أشرف الأعمال فكيف بغيرها نجد دليل ذلك فيما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: قال لي النبي ﷺ: «ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار». قلت: إني أفعل ذلك، قال: «فإنك إذا فعلت ذلك هَجَمْتَ عَيْنُكَ وَنَفَهْتَ نَفْسَكَ، وَإِنْ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَأَهْلِكَ حَقًّا فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ»^(٢). ومعنى هجمت: غارت ودخلت في موضعها^(٣). وَنَفَهْتَ: أَعْيَتْ وَكَلَّتْ^(٤).

٩- يحفظ لسانه من أن ينال أحدًا من أهلها بسوء، أو أن يفشي لها سرًا، ويكمل نقصها في العلم والسلوك بلطفٍ ولباقة وكياسة حتى يسلك بها الصراط المستقيم، من دون أن يعنفها أو يلومها أمام أحد من الناس.

١٠- يلج بيتها بالسلام ويخرج به، بوجه طلق وثرغ باسم، ومُحِبِّ صبوح. ولا يفوته ترطيب جفاف الحياة الرتيبة مع زوجته بالمداعبة والملاطفة، والنكتة المُرْضية السارة، يطلقها بين الحين والحين.

١١- يتجنب الانفعال للأسباب التافهة التي تثور لها ثائرة الأزواج الجهلة، إذا جاء الطعام أو اللباس، أو الشراب أو غيرها، على غير ما يريدون. متأسياً في حلمه ورضاه بالرسول ﷺ كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط، كان إذا اشتهى شيئاً أكله، وإن كرهه تركه»^(٥).

١٢- التوفيق في إحسانه بين بر الأم وإرضاء الزوجة، في ذكاء ولباقة وحلم، وقوة شخصية في التعامل معهما، بحيث لا يجور على أحد الطرفين مع تقديم بر الأم وإرضاء الزوجة.

١٣- الاضطلاع بالمسؤولية التامة عن زوجته وتحقيق القوامة الشرعية

(١) سنن الترمذي (٣٠/٤) (١٤٢١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٠٠/٢) (٦٤٤٥).

(٢) صحيح البخاري (٣٨٧/١) (١١٠٢).

(٣) النهاية (٢٤٧/٥).

(٤) النهاية (١٠٠/٥).

(٥) صحيح مسلم (١٦٣٢/٢) (٢٠٦٤).

التي حباه الله إياها بقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء، الآية: ٣٤].

وبما روي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته»^(١).

على أن مسؤولية الزوج المحسن لا تقتصر على مظهر زوجته الخارجي من الحجاب الشرعي فقط بل تتعداه إلى عباداتها وسلوكها في الحياة، وأي تقصير منها في جانب من الجوانب يخل برجولته، ويقدر في حسن إسلامه وقوامته. فكان من الواجب عليه أن يقود أسرته إلى السلامة والهدى الرشاد ويأخذ بأيديهم حتى يحلهم دار الكرامة والرضوان في جنان الخلد. يحدوه قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم، الآية: ٦].

وقد دعمت الشريعة الإسلامية قوامة الرجل على المرأة، وأوجبت عليها طاعته في غير معصية الله تعالى، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»^(٢).

وبلغ من حرص الإسلام على تأكيد قوامة الرجل على المرأة، ووجوب طاعتها له وإرضائه أنه لم يأذن لها بصيام النافلة إلا بإذنه ولا تستقبل أحداً من محارمها إلا بإذنه. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته إلا بإذنه، وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فإنه يؤدى إليه شطره»^(٣).

١٤- يبر ودها في حياتها وبعد مماتها. فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة، وإنني لم أدركها قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة يقول أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة قالت: فأغضبته يوماً فقلت: خديجة فقال رسول الله ﷺ: إنني قد

(١) صحيح مسلم (١٤٥٩/٢) (١٨٢٩).

(٢) سنن الترمذي (٤٥٦/٣) (١١٥٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٣٧/٢) (٥٢٩٤).

(٣) صحيح البخاري (١٩٩٤/٥) (٤٨٩٩).

رزقت حبها»^(١).

من هنا كان الزوج المحسن الواعي من أنجح الأزواج في الحياة الاجتماعية، ومن أحبهم إلى نفس المرأة الصالحة بمعرفته لكوامنها النفسية وكيفية التعامل معها.

على أن المحسن يفعل ذلك كله طلباً لمرضاة الله تعالى، واحتساباً للأجر منه وحده دون سواه لعلمه أن ذلك الإحسان إلى الزوجة من أجل الطاعات وأسمى القربات لله تعالى مستثيراً بحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «إنك مهما أنفقت على أهلك من نفقة، فإنك تؤجر فيها، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك»^(٢).

وبحديث أبي ذر - رضي الله عنه - وفيه قال رسول الله ﷺ: «وفي بضع أحدكم صدقة» قالوا: يارسول الله ﷺ أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر. قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»^(٣). والْبُضْعُ: يطلق على الجماع^(٤).

فإن زاد على حسن العشرة بأن يأتي ذلك وهو على حالة من الإتيان والإخلاص لله تعالى وكأنه يشاهده تعالى فقد جمع بين أهم معاني الإحسان وحاز قصب السبق فيه.

١٥- العدل بين الزوجات في المبيت والنفقة، قال الله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنٍ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء، الآية: ٣]. وهذا العدل فيما يقدر عليه الإنسان أما الميل القلبي فمرفوع عن صاحبه.

١٦- إذا تعذرت العشرة الحسنة، ورغب الزوجان أو أحدهما في فراق صاحبه، وجب عليهما الفراق الجميل وألا ينسئ أحدهما الفضل لصاحبه، قال الله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقال تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى التَّوَسُّعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [٢٣] وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة، الآية: ٢٣٦، ٢٣٧]^(٥).

(١) صحيح مسلم (١٨٨٨/٢) (٢٤٣٥).

(٢) مسند أحمد (٢٨٠/١) (١٤٨٣). وصحح إسناده أحمد شاكر (٤٥/٣) (١٤٨٠).

(٣) صحيح مسلم (٦٩٧/١) (١٠٠٦).

(٤) انظر: النهاية (١٣٣/١).

(٥) انظر: شخصية المسلم (٧٤-٩٠).

ج - الإحسان إلى الأولاد:

مكانتهم:

يرى المحسن أن الأولاد بهجة العمر، وأنس المعيشة، وأنهم مجال تستثمر فيه الصالحات، وتجنّب فيه الحسّنات، ونصرة للإسلام، وقوة للمسلمين، إذا حسّنت تربيتهم، وصلّحت تنشئتهم. أما إذا ساءت تربيتهم، وقل توجيههم فإنهم بذلك بلاءً ونكدًا على الوالدين والمجتمع بعامة.

مسؤولية الآباء عن الأولاد:

يدرك المحسن عظم مسؤوليته تجاه أولاده، فيقوم بها خير قيام ابتغاء مرضاة الله تعالى، وأداءً للأمانة، وتحقيقاً للأهداف السامية من إنجابهم، مستجيباً لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم، الآية: ٦].

ولما رواه ابن عمر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا كلّم راع، وكلّم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية في بيت بعليها وولده، وهي مسؤولة عن رعيتهما، والعبد راع على مال سيده، وهو مسؤول عنه، ألا فكلّم راع، وكلّم مسؤول عن رعيته»^(١).

وما لم يضع المحسن لهذه المسؤولية منارات تربوية، تتمثل في الأهداف التربوية الصالحة، ووسائل تحقيقها، يجعلها نصب عينيه، ويتابع تنفيذها أو الإشراف عليها بنفسه، فإن مسؤوليته حين ذلك قاصرة لا تثمر الثمرات المرجوة.

الأهداف التربوية الصالحة ووسائل تحقيقها:

يجب على المحسن أن تكون الأهداف التربوية التي يضعها ووسائل تحقيقها صالحة، ويمكن تحقيقها، ومتوافقة، حتى لا تتبعثر الجهود أو تتصادم.

أولاً: الأهداف التربوية الصالحة: وهي:

١- الإحسان الديني والسلوكي.

ويقصد به إجمالاً امتثال الأوامر الشرعية، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، مقرونة بالمحبة لها، والإتقان والإخلاص لله تعالى في أدائها.

(١) صحيح مسلم (١٤٥٩/٢) (١٨٢٩).

واجتناب المناهي الشرعية، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، مقرونة ببغضها والإخلاص لله تعالى في تركها، وهو على حالة حين امتثال الأوامر واجتناب المناهي، وكأنه ينظر إلى ربه تعالى.

ومن مفردات الأوامر والمناهي الشرعية نتعرف على الإحسان الديني والسلوكي والأخلاقي الذي تسهم هذه الرسالة في بيانه.

٢- الإحسان العلمي والعملية.

ويقصد به إجمالاً، اتساع دائرة معارف الأولاد في شتى التخصصات، وقدرتهم على المشاركة فيها، وتعميق قدراتهم في التخصص العلمي المناسب لاستعداداتهم وميولاتهم الحقيقية، وإشاعة حب العمل وغرسه في قلوب الأولاد والقدرة على انتقاء الأحسن منه المناسب لقواهم العقلية والبدنية وإتقانه والارتقاء بمستوى الانتاج في النوع والعدد.

٣- الصحة النفسية.

ويقصد بها سلامة الأولاد من الأمراض النفسية، بدفعها وأخذ الوقاية منها مثل: الاكتئاب، وازدواج الشخصية أو انفصامها وغير ذلك.

٤- الصحة الجسدية.

ويقصد بها حسن التغذية، وسلامة أجساد الأولاد من الأمراض والعاهات.

ويرجع في الرعاية النفسية والجسدية إلى أهل الاختصاص وكتاباتهم.

ثانياً: وسائل التربية الصالحة.

لقد انفردت الوسائل التربوية الإسلامية، دون غيرها من الطرق التربوية البشرية، بأنها أبرزت جيلاً إسلامياً محسناً من الرعيل الأول على مستوى الفرد والجماعة، في مدة لا تتجاوز ثلاثة وعشرين عاماً، وكان العامل الرئيس في هذا التفوق الكبير الذي وقفت وستقف المدارس التربوية مجتمعة، عاجزة عن بلوغ معشاره، هو ارتكازها على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، تستمد منهما التوجيه وتُصدِرُ عن أوامرهما، وتلك الوسائل الكريمة السامية هي القادرة الآن على تحقيق التربية الصالحة ومن أبرزها:

١- كثرة الدعاء الصادق للأولاد بالصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة لا سيما في الأوقات والأماكن والأحوال التي هي مظنة الاستجابة. وكان الدعاء للذرية هدي الأنبياء عليهم السلام ومنهم إبراهيم عليه السلام كما حكى الله عنه بقوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم، الآية: ٤٠]. بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ

الْتَمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ [إبراهيم، الآية: ٣٧]. ووصف الله تعالى عباده المحسنين بالدعاء لذرياتهم فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان، الآية: ٧٤].

٢- إدراك نفسيات الأولاد، ومعرفة مستواهم العقلي وأعمارهم الزمنية والعقلية، من أجل سرعة الدخول إليها، والقدرة على حسن صياغتها. ولعل أقرب دليل على ذلك معرفة الرسول ﷺ لنفسية أسامة بن زيد رضي الله عنه وتحديد مستواه العقلي الذي أهله بعد ذلك إلى تسلمه قيادة جيش فيه أكابر الصحابة وهو في الثامنة عشر من عمره^(١).

٣- إشعارهم بالحب والحنان والعطف والرحمة، بالدنو منهم، وملاعبتهم، وإسماعهم من كلمات الود ما يبهج قلوبهم، لينشأوا نشأة نفسية صحيحة، تعمر قلوبهم الثقة، وأخيلتهم التفاؤل. مما يجعلهم يقبلون على سماع توجيهاته برغبة وصدق، وتصبح طاعتهم له سلسلة ونابعة من القلب. فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنُ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا» أو كما قال^(٢).

وعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا»^(٣).

وعن شداد - رضي الله عنه - قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء، وهو حامل حسناً أو حسيناً، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه، ثم كبر للصلاة، فصلّى، فسجد بين ظهري صلاته سجدة أطالها. قال. فرفعت رأسي، وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال الناس: يارسول الله، إنك سجدت بين ظهري الصلاة سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك، قال: كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»^(٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «قَبَّلَ رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٤٩٧/٢) (١٠٤).

(٢) صحيح البخاري (١٣٦٥/٣) (٣٥٢٤).

(٣) مسند أحمد (٣٨٣/٢) (٦٦٩٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٥٧/٢) (٥٤٤٤).

(٤) سنن النسائي (٢٢٩/٢) (١١٤١) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٤٦/١) (١٠٩٣).

الولد، ما قَبَلْتُ منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يَرْحَمُ لا يُرَحَمُ»^(١).

٣- إشباع غرائزهم الفطرية المستحبة والمباحة، والإنفاق عليهم بسخاء وطيب نفس بما يكفيهم وزيادة من غير إسراف ابتغاء مرضاة الله تعالى. وقد سبق «أن أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله»^(٢). وفي حديث عبدالله بن عمرو - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «كفي بالمرء إثماً أن يحبس، عمن يملك قوته»^(٣).

وعن أبي مسعود البدرى - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة، وهو يحتسبها، كانت له صدقة»^(٤).

وعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن من جدته كن له حجاباً من النار يوم القيامة»^(٥).

وتخصيص البنات هذا بالذكر وعظيم الأجر تنبيه لأولئك الزاهدين في البنات إلى الإحسان إليهن. والقيام بواجبهم نحوهن.

وعن المقدام بن معد يكرب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة»^(٦).

٤- العدل بين الأولاد في الحنو والنفقة، والحذر كل الحذر من التفرقة بينهم، سواء أكانوا ذكوراً أم إناثاً. لأن الولد الذي يشعر بالعدل بين إخوانه ينشأ نشأة نفسية صحيحة لا يأكل قلبه الحسد والغيرة.

وفي حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - إلماحة قوية للآباء بمراعاة هذا المبدأ الشرعي قال: «أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: أعطيت سائر ولدك مثل هذا قال: لا، قال: فاتقوا الله واعدلوا بين

(١) صحيح البخاري (٢٢٣٥/٥) (٥٦٥١).

(٢) انظر: في صحيح مسلم (٦٩١/١) (٩٩٤).

(٣) صحيح مسلم (٦٩٢/١) (٩٩٦).

(٤) صحيح مسلم (٦٩٥/١) (١٠٠٢).

(٥) سنن ابن ماجه (١٢١٠/٢) (٣٦٦٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٠٦/٢) (٦٤٨٨).

(٦) مسند أحمد (١١٦/٥) (١٦٧٢٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٧١/٢) (٥٥٣٥).

أولادكم قال: فرجع فردَّ عطيَّته»^(١).

٥- الصبر على مشاق تربيتهم، والحلم عند مخالفتهم، والتدرج في توجيهاتهم. متأسيًا بالرسول ﷺ في صبره وحلمه في تربيته لأصحابه. فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن أناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فلم يسأله أحدٌ منهم إلا أعطاه، حتى نفذ ما عنده، فقال لهم حين نفذ كل شيء أنفق بيديه: «ما يكن عندي من خير لا أدخره عنكم، وإنه من يستعفف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله، ومن يستغن يغنه الله، ولن تعطوا عطاء، خيرًا وأوسع من الصبر»^(٢).

٦- تقديس النصوص الشرعية، وتعميق قيمتها في قلوب الأولاد باعتبارها المرجعية في التوجيه والتحاكم.

لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء، الآية: ٦٥].

٧- غرس الأخلاق والمثل الإسلامية في قلوب الأولاد واعتبارها مراتب سامية يجب تحقيقها. ولعل من أهمها الكرم، والشجاعة، والصبر، والصدق. والأمانة.

فعن أسامة بن شريك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الناس لم يعطوا شيئًا خيرًا من خلق حسن»^(٣).

٨- توحيد القدوة الحسنة في شخص الرسول ﷺ وأقواله وأفعاله. لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب، الآية: ٢١].

٩- انتقاء الوسائط المعرفية والتعليمية والسلوكية، والمهنية بعناية وحذر، شريطة أن تتحقق فيها الفضيلة الشرعية، والجودة العالية. وهذا من تمام النصيحة التي تجب على المربي وفي حديث ثوبان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضللين...»^(٤).

وعن عمران بن حصين - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم جدال المنافق عليم اللسان»^(٥).

(١) صحيح البخاري (٩١٤/٢) (٢٤٤٧).

(٢) صحيح البخاري (٢٣٧٥/٥) (٦١٠٥).

(٣) معجم الطبراني الكبير (١٧٩/١) (٤٦٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٨/١) (١٩٧٧).

(٤) سنن الترمذي (٥٠٤/٤) (٢٢٢٩). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٩/١) (٢٣١٦).

(٥) صحيح ابن حبان (الإحسان) (٢٨١/١) (٨٠). وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧/١) (٢٣٩).

١٠- الحيلولة بين الأولاد ومصادر الشر بأنواعها، مع إيجاد البدائل المشروعة إن أمكن.

فعن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إنما مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثاً»^(١).

ويدخل في حكم المجلس وسائل الإعلام بمختلف أنواعها.

١١- تنمية قدراتهم على التصويب وانتقاء الأحسن شرعاً وعقلاً. ويحصل ذلك بالمران والتجربة. مرة بعد مرة مع طلب التعليل. وهنا يجب على المربي التوجيه عند الخطأ برفق وإقناع من دون ضجر. ولعل في قوله تعالى عن اليتامى: ﴿فَإِنْ أَسْتَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء، الآية: ٦]. دلالة على هذا المعنى وكذا في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة أسري بي رأيت موسى وإذا هو رجل ضَرْب كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى فإذا هو رجل رُبْعَة أحمر كأنما خرج من ديماس، وأنا أشْبَه ولد إبراهيم به، ثم أُتِيتُ بإنائين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر فقال: اشرب أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقيل: اتخذت الفِطْرَةَ أما إِنَّكَ لو أخذت الخمر غوت أمتك»^(٢). والضَرْبُ: النحيف خفيف اللحم، الرَّجُلُ: الذي شعره ليس شديد الجعودة ولا شديد البسوبة والربعة: الذي ليس بطويل ولا قصير، والديماس: هو الحمام أو الكِنُّ. أي: كأنه لم ير شمساً، فهو في غاية الإشراق والنضارة.

١٢- مراعاة التكامل والشمول والتوازن، بين مطالب الروح والجسد والعقل، بإعطاء كل جانب حقه وأن لا يطغى جانب على آخر. ولعل في الحديث السابق عن الإحسان إلى النفس مايفي بالغرض مما أغنى عن إعادته هنا.

١٣- الترفق بالأولاد في الأوامر والنواهي، والتدرج بهم من القليل إلى الكثير، ومن الصغير إلى الكبير، في يُسر وسهولة وسعة صدر. فعن عائشة رضي الله عنها وذكرت قصة قالت: قال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله»^(٣)، وفي رواية أخرى لها رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا كون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(٤).

(١) صحيح مسلم (٢٠٢٦/٣) (٢٦٢٨).

(٢) صحيح البخاري (١٢٤٣/٣) (٣٢١٤).

(٣) صحيح البخاري (٢٢٤٢/٥) (٥٦٧٨).

(٤) صحيح مسلم (٢٠٠٤/٣) (٢٥٩٤).

وفي رواية أخرى لها - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «ياعائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»^(١).

١٤- استخدام مبدأ العقاب بقدر وعند الحاجة الماسة مع مراعاة الموقف وفي مثل ترك الصلاة أو التساهل في أدائها فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرّقوا بينهم في المضاجع»^(٢).

وبتحقيق هذه الوسائل تتحقق بإذن الله تعالى الأهداف التربوية الصالحة فإن قام بها الأب على وجه الاتقان والإخلاص وكأنه ينظر إلى ربه فقد استجمع الإحسان إلى الأولاد والإحسان في عبادته الله تعالى في تربيته أولاده.

د - الإحسان إلى الأقارب:

مكانتهم:

المحسن الحقيقي لا يحصر إحسانه وبره في والديه وزوجته وأولاده فقط، بل يتعداهم إلى بقية أقاربه بالنسب والصهر سواء الوارث منهم وغير الوارث، فيعم الجميع ببره وإنعامه لا يستثني منهم أحداً، كالغيث لا يترك سهلاً ولا جبلاً إلا أصابه بوابله أو طله. مع مراعاة الترتيب في القرابة. وذلك أن الإسلام رفع شأن القرابة واحتفى بهم إلى منزلة لم تصل إلى القليل منها النظم والأديان الأخرى، فأوصى بهم أشد وصاة، ورغب في صلتهم، وتوعد من قطعهم، فجاءت آيات القرآن الكريم مؤكدة هذه المكانة العالية تترى، مرة باسم الرحم، وأخرى باسم القرابة، تحضُّ على الإحسان إليهم، وتحذّر من الإساءة لهم، واضعة مرتبتهم بعد مرتبة الوالدين وإن كان الوالدان من القرابة إلا أنّ أفرادهم دليل على انفراد منزلتهم بالمكانة العالية جداً وأن حقوقهم أعظم وأكّد.

وكذا يدخل في القرابة الزوجة والأولاد وبدأت بالحديث عن كل أولئك لشدة قربهم. ومن الآيات الحاضرة على بر القرابة والإحسان إليهم قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النساء، الآية: ٤٦]. وقوله تعالى: ﴿وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقًّا﴾ [الإسراء، الآية: ٢٦]. وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء، الآية: ١]. والمعنى اتقوا الله الذي

(١) صحيح مسلم (٢٠٠٣/٣) (٢٥٩٣).

(٢) سنن ابن داود (٣٣٤/١) (٤٩٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٢١/٢) (٥٨٦٨).

يسأل بعضكم بعضاً به، واتقوا الأرحام لا تقطعوها^(١). وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ [محمد، الآية: ٢٢/٢٣].

ومن السنة النبوية ما روى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «خلق الله الخلق، فلماً فرغ منه، قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن، فقال لها: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك، قالت: بلى يارب، قال: فذاك، قال أبو هريرة اقرأوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾» (٢).

وهذه المكانة الرفيعة أكدها النبي ﷺ من الوهلة الأولى عند مبعثه ﷺ كما في حديث أبي سفيان رضي الله عنه مع هرقل وفيه: «قال هرقل لأبي سفيان - قبل إسلامه -: ماذا يأمركم قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آبائكم، ويأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصدقة، والعفاف، والصلة...» (٣).

وفي حديث عبدالله بن سلام - رضي الله عنه - قال: «لما قدم النبي ﷺ المدينة انجفل الناس قبلك، وقيل قد قدم رسول الله ﷺ، قد قدم رسول الله ﷺ، قد قدم رسول الله ﷺ، ثلاثاً فجئت في الناس لأنظر فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» (٤). وتوعد النبي ﷺ قاطع الأرحام بعدم دخول الجنة، فعن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع». قال سفيان: يعني قاطع الرحم (٥).

وصلة الرحم بركة في العمر والرزق، كما روي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه» (٦).

وقطيعة الرحم من الذنوب التي تخشى أشد الخشية، أن يعجل الله

(١) انظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي (١٧١/٥).

(٢) صحيح البخاري (١٨٢٨/٤) (٤٥٥٢).

(٣) صحيح البخاري (٧/١) (٧).

(٤) سنن ابن ماجه (١٠٨٣/٢) (٣٢٥١) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٢٢/٢) (٢٦٣٠).

(٥) صحيح مسلم (١٩٨١/٣) (٢٥٥٦).

(٦) صحيح البخاري (٢٢٣٢/٥) (٥٦٤٠).

عقوبتها في الدنيا، مع ما ينتظر صاحبها من العذاب في الآخرة. فعن أبي بكر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي، وقطيعة الرحم»^(١).

ميادين الإحسان إلى القرابة:

للإحسان إلى القرابة ميادين واسعة كلها متفرعة من بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى. ومنها:

- ١- توثيق أواصر الود والمحبة، بالإنصاف من النفس، والكلمة الطيبة، والوجه الطلق، واللقاء الحسن، والزيارة المتكررة، وإطعام الطعام، والهدية، والإيثار، وعيادة مريضهم، وتشجيع ميتهم.
- ٢- احتمال أذاهم بالصبر والحلم، والعفو والسماحة، ومقابلة إساءتهم بالإحسان، والقطيعة بالمواصلة.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً قال: «يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال: لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»^(٢).

٣- إغداق النفقة على من تجب له النفقة منهم، بما يكفيه وزيادة لقوله تعالى: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [الإسراء، الآية: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَاللَّذِينَ الْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة، الآية: ٢١٥].

٤- الصدقة على فقراء القرابة الذين لا تجب لهم النفقة، ومواساتهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ﴾ [الإسراء، الآية: ٢٢].

وجاء عن سليمان بن عامر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة»^(٣).

٥- مشاركتهم في الأفراح والأتراح، والدعاء لهم بالصلاح والفلاح. وأن يحب لهم ما يجب لنفسه.

٦- الحرص الشديد على تعليم جاهلهم، ونصح ضالهم في رفق ولين.

(١) صحيح ابن حبان، الإحسان (٢/٢٠٠) (٤٥٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/٢٢٢) (٢٦٣٠).

(٢) صحيح مسلم (٣/١٩٨٢) (٢٥٥٨).

(٣) سنن النسائي (٥/٩٢) (٢٥٨٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/٧١٧) (٣٨٥٨).

كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء، الآية: ٢١٤].

٧- تفقد القرابة البعيدة المنسية. أخذًا بوصية الرسول ﷺ كما جاء عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإنَّ لهم ذمة ورحمًا، أو قال ذمة وصهرًا...»^(١). والذمة مارية رضي الله عنها، والصهر هاجر عليهما السلام فإنهما مصريتان.

٨- أن يكون بره وإحسانه لا لعوض، وإنما ابتغاء وجه الله تعالى. لأن المعاوضة في الإحسان تجارة لا تليق بالمحسن الحق. فعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «ليس الواصل بالمكافيء ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»^(٢).

فإن كان الوصال والبر والإحسان لله تعالى وابتغاء مرضاته يؤديه المحسن وكأنه ينظر إلى الرحمن فقد تسنم درجة الإحسان القصوى.

(١) صحيح مسلم (٣/١٩٧٠) (٢٥٤٣).

(٢) صحيح البخاري (٥/٢٢٣٩) (٥٦٤٥).

٣ - الإحسان إلى المسلم البعيد:

أ - الإحسان إلى الجار:

الجيران ثلاثة، جار له حق واحد وهو الجار غير المسلم، وجار له حقان، وهو الجار المسلم، حق الجوار وحق أخوة الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق، وهو الجار المسلم القريب. حق الجوار وحق الأخوة الإسلامية وحق القرابة. والمحسن الصادق يعي حق الجار والمنزلة الكريمة التي منحها الإسلام له وذلك بالإحسان إليه، وكف الأذى عنه كما قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [النساء، الآية: ٢١].

والجار ذو القربى: هو قريب المسكن، والجار الجنب: البعيد المسكن. والصاحب بالجنب: الصاحب في السفر وغيره^(١). وقيل غير ذلك.

وفي حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه»^(٢).

ويجب على المحسن أن يعلم أن الإحسان إلى الجار من ركائز الإيمان بالله واليوم الآخر فلا يستتم إيمان للمرء بغير إحسان إلى جاره. ففي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت». وفي رواية. فليحسن إلى جاره»^(٣).

والإحسان إلى الجار دليل الخيرية، والعكس بالعكس، فعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره»^(٤).

وقد حذر الإسلام بقوة من الإساءة إلى الجار، واتهم المسيء بقلّة الدين وتوعده بالعقوبة الأخروية، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»^(٥). وعن أبي هريرة

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٢٠/٥ - ١٢٣).

(٢) صحيح البخاري (٢٢٣٩/٥) (٥٦٦٨).

(٣) صحيح مسلم (٦٨/١) (٤٧).

(٤) سنن الترمذي (٣٣٣/٤) (١٩٤٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٠/١).

(٥) (٣٢٧٠). صحيح مسلم (٦٨/١) (٤٦).

- رضي الله عنه - قال: «قال رجل يارسول الله إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقته، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: هي في النار قال: يارسول الله إن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقته وصلاتها، وإنها تصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها بلسانها، قال: هي في الجنة»^(١).

وعظم الرسول ﷺ حق الجار كما في حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ لأصحابه: ما تقولون في الزنا؟ قالوا: حرمه الله ورسوله، فهو محرم إلى يوم القيامة، قال: فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لأن يزني الرجل بعشر نسوة، أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره». قال: فقال: ما تقولون في السرقة؟» قالوا: حرمها الله ورسوله فهي حرام. قال: «لأن يسرق الرجل من عشرة بيوت أيسر عليه من أن يسرق من جاره»^(٢).

وأوجب النبي ﷺ على كل مسلم أن يحب لجاره ما يحب لنفسه. فعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو قال لأخيه ما يحب لنفسه»^(٣).

ميادين الإحسان إلى الجار:

من النصوص الشرعية والتوجيهات السامية في حسن الجوار يدرك المحسن الحضيف حق جاره عليه، ومن حقوقه عليه ما يأتي:

١- الصبر على هناته وأذاه، فلا يقابل أذاه بمثله بل يدفع السيئة بالحسنة. وفي حديث أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يشنؤهم الله عز وجل: رجل يلقي العدو في الفئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه، والقوم يسافرون فيطول سرائهم حتى يحبوا أن يمشوا الأرض، فينزلون فيتنحى أحدهم فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم، والرجل يكون له الجار يؤذيه جواره، فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن، قلت: ومن هؤلاء الذين يشنؤهم الله؟ قال: التاجر الحلاف، أو البائع الحلاف، والبخيل المنان، والفقير المختال»^(٤).

٢- يحب له ما يحب لنفسه، فهو سمح موطأ الكنف له، حسن العشرة معه، لطيف المعاملة، لا يمنعه من الاستفادة من بيته أو متاعه. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «لا يمنع جار جاره أن يغرز

(١) مسند أحمد (٣/١٨٤) (٩٣٨٣). وصححه إسناده أحمد شاكر (٢٠٠/١٨) (٩٦٧٣).

(٢) مسند أحمد (٧/١٥) (٢٣٣٤٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/٩٠٠) (٥٠٤٣).

(٣) صحيح مسلم (١/٦٧) (٤٥).

(٤) مسند أحمد (٦/١٨٧) (٢٠٨٣٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٥٨٩) (٣٠٧٤).

خشبه في جداره...»^(١).

٣- يعينه في الشدائد، ويبهج معه في الرخاء، يأسى لأساه، ويفرح لما يسره ويرضيه، ويؤثره على نفسه، إن افتقر بره وأسعفه، وإن جاع أشبعه. فعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يأبأ ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك»^(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «يأنساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»^(٣). والفرسن: الحافر وهو كناية عن الشيء القليل الذي ربما يستحي من إهدائه^(٤).

٤- يحفظه في غيبته، وينصحه في حضرته، ويصون عرضه، ويستر عورته، ويحفظ شرفه، ويغض طرفه عن محارمه. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن». قالوا: ماذا يا رسول الله، قال: «الجار لا يأمن جاره بوائقه». قالوا: يا رسول الله وما بوائقه؟ قال: «شره»^(٥).

٥- يزوره وإن مرض يعوده، وإن وفاه الأجل شيعة وواسى أهله وأحسن إليهم. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلاً»^(٦).

٦- يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، ويدعوه إلى الخير بالحكمة والموعظة الحسنة. وإذا استشاره نصح له. لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل، الآية: ١٢٥].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «المستشار مؤتمن»^(٧).

٧- يبدأ ببر جاره الأدنى قبل الأقصى. كما جاء عن عائشة رضي الله

(١) صحيح البخاري (٨٦٩/٢) (٢٣٣١).

(٢) صحيح مسلم (٢٠٢٥/٣) (٢٦٢٥).

(٣) صحيح البخاري (٩٠٦/٢) (٢٤٢٧).

(٤) انظر: النهاية (٤٢٩/٤).

(٥) مسند أحمد (٥٦١/٢) (٧٨١٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٩٤/٢) (٧١٠٢).

(٦) سنن الترمذي (٣٦٥/٤) (٢٠٠٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٩١/٢) (٦٣٨٧).

(٧) سنن الترمذي (١٢٥/٥) (٢٨٢٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٣٦/٢) (٦٧٠٠).

عنها قالت: يارسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي قال: «إلى أقربهما باباً»^(١).

٨- يحتسب بره وإحسانه لجاره عند الله تعالى حتى كأنه يراه سبحانه وتعالى لا يطلب من أحد المعاوضة أو المَحْمَدة الدنيوية.

هذا وإن في الحقوق ما يشترك فيها الجار وغيره، إلا أن حق الجار فيها أكد وأعظم. ومن وجد جاراً كهذا المحسن، فقد وجد رُكناً من السعادة في الدنيا عزيزاً.

فقد روى نافع بن الحارث - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «من سعادة المرء الجار الصالح، والمركب الهنيء، والمسكن الواسع»^(٢).

ب - الإحسان إلى الإخوان في الله تعالى :

مكانة الأخوة في الله تعالى:

الإسلام بهديه المتميز السامي قد أحل الأخوة الإيمانية مكانة عالية هي أرقى العلاقات البشرية قاطبة؛ حيث اعتبر عامة المسلمين إخوة في الدين من غير تمييز لعنصر على عنصر، أو لون على لون إلا بالتقوى. فقال - تعالى -: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]. وقال الله - تعالى -: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْقَرُكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]. وهو بهذه النظرة الرفيعة أوجب على أهله تطبيقها في واقعهم ومعاشهم، فألزمهم التعاطف والتراحم والتلاحم كما جاء ذلك في أحاديث الرسول ﷺ منها: ما رواه النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى»^(٣).

وحديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه...»^(٤).

ويؤكد الرسول ﷺ وجوب المحبة بين المؤمنين، وأنها شرط من شروط دخول الجنة بما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولاً أدلكم

(١) صحيح البخاري (٩١٦/٢) (٢٤٥٥).

(٢) مسند أحمد (١٩٩٩/٣) (١٤٩٤٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٢/١) (٣٠٢٩).

(٣) صحيح مسلم (١٩٩٩/٣) (٢٥٨٦).

(٤) صحيح البخاري (١٢٤٢/٥) (٥٦٨٠).

على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(١).

وكما أوجب الإسلام الأخوة الإيمانية، حرم كل ما يقطعها أو يضعف قوتها، فعن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»^(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله»^(٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تناجسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً»^(٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجسوا، ولا تباغضوا، ولا يَبْغ بعضكم على بعض، وكونوا عباد الله إخواناً. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»^(٥).

وزيادة في النهي عن التقاطع بين المؤمنين أخر الله - تعالى - قبول توبة المذنب حتى يصطلح مع أخيه المسلم الذي هجره بغير حق. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُعْفَرُ لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا»^(٦).

فضل الأخوة الإيمانية:

أعدَّ الله - تعالى - للمؤمنين المتحابين فيه منازل عالية في الآخرة كما في حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(١) صحيح مسلم (٣٨٣/١) (٥٤٠).

(٢) صحيح البخاري (٢٢٥٦/٥) (٥٧٢٧).

(٣) صحيح مسلم (١٩٨٥/٣) (٢٥٦٣).

(٤) صحيح البخاري (٢٢٥٣/٥) (٥٧١٩).

(٥) صحيح مسلم (١٩٨٦/٣) (٢٥٦٥).

(٦) صحيح مسلم (١٩٨٧/٣) (٢٥٦٥).

«قال الله - عز وجل - : المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء»^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»^(٢).

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن السبعة الذين يظلمهم الله - تعالى - في ظله يوم لا ظل إلا ظله، عن النبي ﷺ قال: «... ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه...»^(٣).

وهذه المحبة الإيمانية سبب قوي في محبة الله - تعالى - للمسلم، كما روى أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها؟ قال: لا، غير أنني أحببته في الله - عز وجل -، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»^(٤).

شرط الأخوة الإيمانية:

لم يكتفِ الإسلام بهذه الأخبار التي فيها معنى الطلب، بل اشترط في هذه العلاقة الكريمة أن تكون خالية من المطامع والمنافع والشهوات؛ حتى تثمر الثمرات الطيبة في الدنيا والآخرة، فعن أنس - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحب إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار»^(٥).

ميادين الإحسان إلى الإخوان في الله - عز وجل -:

من هذه النصوص السابقة وغيرها يصوغ المحسن شخصيته نحو إخوانه في الله - تعالى - فيعمهم ببره وإحسانه، ومن ذلك:

١ - أن يخبر أخاه بحبه له، وأن تكون محبته له في الله - تعالى -، مجردة عن كل منفعة، بريئة من أي عوض، نقية من كل شائبة، فعن المقدم بن معدي كرب - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «إذا أحب الرجل

(١) سنن الترمذي (٥٩٧/٥) (٢٣٩٠) وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥/٢) (٤٣١٢).

(٢) صحيح مسلم (١٩٨٨/٣) (٢٥٦٦).

(٣) صحيح البخاري (٢٣٤/١) (٦٢٩).

(٤) صحيح مسلم (١٩٨٨/٣).

(٥) صحيح مسلم (٦٦/١) (٤٣).

أخاه فليخبره أنه يحبه»^(١).

وقد كان النبي ﷺ يفعل ذلك حينما أخذ بيد معاذ - رضي الله عنه - حيث يقول: يعثني رسول الله ﷺ فقال: «يا معاذ: إني لأحبك»، فقلت: يا رسول الله وأنا والله أحبك، قال: «فإني أوصيك بكلمات تقولهن في كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(٢).

٢ - طلاقة الوجه والتبسم، وإفشاء السلام، والمصافحة أو العناق عند اللقاء من غيبة، وأن يدعو بأحب الأسماء إليه. كما روى أبوزر - رضي الله عنه - قال: قال لي النبي ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»^(٣).

وعن جرير - رضي الله عنه - قال: ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي، ولقد شكوت إليه أني لا أثبت على الخيل، فضرب بيده في صدري، وقال: «اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا»^(٤).

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: قال ﷺ: «إذا تصافح المسلمان لم تفرق أكفهما حتى يغفر لهما»^(٥).

٣ - الجود والكرم وإيثار الإخوان على النفس:

ومن أعجب الصور التطبيقية لهذه الأخلاق الأخوية ما صنع الأنصار بالمهاجرين، وقد مدحهم الله بذلك فقال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وقد أكبر المهاجرون لهم ذلك كما روى أنس - رضي الله عنه - قال: قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل، ولا أحسن بذلاً في كثير، لقد كفونا المؤونة، وأشركونا في المهناء حتى لقد حسبنا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: «لا، ما أثنيت عليهم ودعوتهم الله - عز وجل - لهم»^(٦).

(١) سنن أبي داود (٣٤٣/٥) (١٥٢٤).

(٢) مسند أحمد (٢١٦٢١/).

(٣) صحيح مسلم (٢٠٢٦/٣) (٢٦٢٦).

(٤) صحيح البخاري (١١٠٩/٣) (٢٨٧١).

(٥) المعجم الكبير، للطبراني (٢٨٠/٨) (٨٠٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٧/١)، (٤٣٣).

(٦) مسند أحمد (٥٧/٤) (١٢٦٦٢). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩١٣/٣) (٤٠٢٧).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلًى﴾ قال: ورثة، وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾: كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون رحمه للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلًى﴾ من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث، ويوصى له^(١).

٤ - الرفق والتذلل للإخوان. كما قال - تعالى -: ﴿أَذِلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

٥ - السماحة معهم والعفو عن زلاتهم، ومقابلة ذلك بالإحسان إليهم. كما قال - تعالى -: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وما أحسن ما قال الحريري - رحمه الله -:

سامح أخاك إذا خلط منه الإصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه إن زاغ يوماً أو قسط
واحفظ صنيعك عنده شكراً الصنعة أو غمط
وأطعه إن عاصى وهن إن عزَّ وادُّن إذا شمس
واقض الوفاء ولو أخ ل بما اشترطت وما شرط
واعلم بأنك إن طلبت مهذباً رمت الشطط
من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط^(٢)

٦ - الزيارة والهدية؛ لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من عاد مريضاً، أو زار أخاً له في الله، ناداه مناد أن طُبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً»^(٣).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويشب عليها»^(٤).

٧ - أن ينصر أخاه المسلم ويؤازره، ويشد من عضده. لما رواه أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً». فقال رجل: يا رسول الله: أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: «تحبزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره»^(٥).

(١) صحيح البخاري (١٦٧١/٤)، (٤٣٠٤).

(٢) جواهر الأدب، لأحمد الهاشمي (١٩٨).

(٣) سنن الترمذي (٣٦٥/٤)، (٢٠٠٨). وصححه الألباني في الجامع (١٠٩١/٢) (٦٣٨٧).

(٤) صحيح البخاري (٩١٤/٢)، (٢٤٤٥).

(٥) صحيح البخاري (٢٥٥٠/٦)، (٦٥٥٢).

٨ - الدعاء لهم بظهر الغيب . كما جاء في حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك : ولك بمثل »^(١) .

٩ - النصيح لهم ، وأن يحب لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه . ويدفع عن أعراضهم ، ويحملهم أحسن المحامل . فعن تميم الداري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « الدين النصيحة » . قلنا : لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »^(٢) .

وعن أنس - رضي الله عنه - ، عن النبي ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »^(٣) .

١٠ - حفظ الإخوان من غوائل اللسان كالغيبة والنميمة ، والبهتان ، والسباب ، والسخرية ، والتنازع بالألقاب ؛ لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢] . وقوله - تعالى - : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات : ١١] .

١١ - يتجنب معهم الجدال ، والمزاح المؤذي ، والإخلاف بالوعد . فعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ » [الزخرف ، الآية : ٥٨] ^(٤) .

وأما المزاح فقد كان النبي ﷺ يمزح ، إلا أنه لا يقول إلا حقاً ليس فيه أذية لأحد . فعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك الكذب ، وإن كان مازحاً ، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه »^(٥) .

وجاء في تحريم إخلاف الوعد ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - ، عن النبي ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا

(١) صحيح مسلم (٢٠٩٤/٣) ، (٢٧٣٢) .

(٢) صحيح مسلم (٦٢/١) ، (٥٥) .

(٣) صحيح البخاري (١٤/١) ، (١٣) .

(٤) سنن الترمذي (٣٧٨/٥) ، (٣٢٥٣) ، وقال : حسن صحيح ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٨٤/٢) ، (٥٦٣٣) .

(٥) سنن أبي داود (١٥٠/٥) ، (٤٨٠٠) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٦/١) ، (١٤٦٤) .

أو تمن خان»^(١).

١٢ - إجابة دعوته، وتشميته إذا عطس، واتباع جنازته إذا مات؛ لما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم ست»، قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»^(٢).

وعن بعض الحكماء في الأخ على الحقيقة قال: «من تلقاه في الغيبة، وتأنس بذكره في الخلوة، وتعذره من غير معذرة، وتبسط إليه من غير خيفة، ولا تُخفي منه ما يعلمه الله منك، وتأمن بغيبته كما تأمن بمشاهدته، ثم قال: أبلغ أخاك أخا الإحسان لي حسنًا إني وإن كنت لا ألقاه ألقاه وإن طرَفِي موصولٌ برؤيته وإن تباعد عن مثوَيِّ مثواه الله يعلم أنني لست أذكره! وكيف يذكره مَنْ لست أنساه»^(٣).
صور من أخوة المحسنين:

- عن أبي حيان التيمي - رحمه الله - قال: رُوي على علي بن أبي طالب ثوبٌ كأنه كان يكثر لبسه، ف قيل له فيه، فقال: «هذا كسانيه خليلي وصفيي عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - إن عمر ناصح لله فنصحه الله»^(٤).
- وعن شعبة - رحمه الله - قال: خرج عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - على أصحابه فقال: «أنتم جلاء حزني»^(٥).

- وعن أبي صالح، طهمان مولى العباس بن عبدالمطلب - رضي الله عنه - قال: أرسلني العباس إلى عثمان أدعوه، فأتيته في دار القضاء، فقلت: إن العباس يدعوك، فقال: نعم، أفرغ من شأني ثم آتية. قال: فأتاه، فلما دخل عليه قال: أفلح الوجه أبا الفضل، قال: ووجهك. قال: إن رسولك أتاني وأنا في دار القضاء، ففرغت من شأني، ثم أتيتك فما حاجتك؟ قال: لا والله، إلا أنه بلغني أنك أردت أن تقوم بعلي وأصحابه فتشكوهم إلى الناس، وعلي ابن عمك وأخوك في دينك، وصاحبك مع نبيك، قال: أجل، فوالله لو أن عليًا شاء أن يكون أدنى الناس لكان، ثم أرسلني إلى علي، فأتيته، فقال: إن أبا الفضل يدعوك، فلما جاءه قال: إنه بلغني أن عثمان أراد أن يقوم بك وأصحابك، وعثمان ابن عمك وأخوك في دينك، وصاحبك

(١) صحيح البخاري (٢١/١)، (٣٣).

(٢) صحيح مسلم (١٧٠٤/٢)، (٢١٦٢).

(٣) شعب الإيمان (٣٣١/٦)، (٨٣٩٠).

(٤) كتاب الإخوان، لابن أبي الدنيا (٢٣٨).

(٥) المرجع السابق (١٥٠).

مع نبيك ﷺ، فقال عليّ: والله لو أن عثمان أمرني أن أخرج من داري لفعلت»^(١).

- وعن عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - قال: «ما أعطيت أحداً مالا إلا وأنا أستقله، وإنني أستحي من الله - عز وجل - إن سألت الله - عز وجل - لأخ من إخواني وأبخل عنه بالدنيا، وإذا كان يوم القيامة قيل لي: لو كانت الدنيا بيدك كُنت أبخل»^(٢).

من ثمرات الأخوة الإيمانية:

مما سبق يتبين لنا ثمرات الأخوة الإيمانية ومنها:

- ١ - أنها تحقق التماسك والتكافل بين أفراد المجتمع الإسلامي.
- ٢ - أنها تعين على التعاون على البر والتقوى، ودفع الإثم والعدوان.
- ٣ - أنها ميدان فسيح لتحصيل الحسنات.
- ٤ - فيها محبة الله - تعالى - للمتأخين فيه.
- ٥ - أنها من لذائد الدنيا للمؤمنين، فمسكين من لا أخ له.

(١) المتفق من مكارم الأخلاق (٩١).

(٢) كتاب الإخوان (٢١٤).

ج - الإحسان إلى الأيتام والأرامل :

تعريف الأيتام:

الأيتام: جمع يتيم، واليتم بالضم: الانفراد، وقال في القاموس: اليتيم الفرد، وكل شيء يعز نظيره^(١).

وفي الاصطلاح: اليتيم: هو انقطاع الصبي عن أبيه قبل بلوغه^(٢).

وأما الأرامل في اللغة: فجمع أرمل، وهو: من افتقر وفني زاده^(٣).

وفي الاصطلاح: هي المرأة التي لا زوج لها، وسميت بذلك لافتقارها إلى من ينفق عليها، ولا يقال لها أرملة إلا إذا كانت فقيرة، فإن كانت موسرة فليست بأرملة^(٤).

مكانة الأيتام والأرامل الاجتماعية في الإسلام:

أوصى الإسلام أقوى الوصاة بالضعفة والإحسان إليهم، ومنهم الأيتام والأرامل، وإن كانت الوصية أكبر باليتيم لشدة حاجته وقلة حيلته، وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على العمل بما فيه صلاحهم، ومن آيات القرآن الكريم قوله - تعالى -: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ...﴾ [النساء: ٣٦]. ومن السنة في شأن الأرملة ما رواه أبوهريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل، الصائم النهار»^(٥).

قال ابن حجر - رحمه الله -: الساعي هو الذي يذهب ويجيء في تحصيل ما ينفع الأرملة والمسكين^(٦).

وقد ذم القرآن الذين لا يكرمون اليتيم، وجعل تلك الإساءة من شأن الكافرين، كما قال - تعالى -: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلُّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ [١٦] ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [١٧] ﴿وَلَا تَخْضُبُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [١٨] [الفجر: ١٦ - ١٨]. وقال - تعالى -: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْذِّبِ﴾ [١] ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [٢] ﴿وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [٣] [الماعون: ١ - ٣].

واستجدى القرآن الكريم عطف الأولياء على اليتامى بقوله - تعالى -:

(١) القاموس المحيط (٤/١٩٣)، المفردات (٥٠٠).

(٢) المفردات (٥٠٠).

(٣) أساس البلاغة، للزمخشري (١٧٩).

(٤) تاج العروس، للزبيدي (٧/٣٥١)، المصباح المنير (١/٢٥٧).

(٥) صحيح البخاري، الفتح (٩/٤٩٧)، (٥٣٥٣).

(٦) المصدر السابق (٩/٤٩٩).

﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩]. والآية: «تأمر الأوصياء والأولياء بأن يخشوا الله - تعالى - ويتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذرايرهم الضعاف بعد وفاتهم»^(١).

وقد حذر الرسول ﷺ من تضييع حق اليتيم والأرملة بما رواه أبوهريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أخرج حق الضعيفين: اليتيم والأرملة»^(٢).

ومعنى الحديث: «ألحق الحرج، وهو الإثم عن ضيع حقهما، وأحذر من ذلك تحذيرًا بليغًا، وأزجر عنه زجرًا كبيرًا»^(٣).
ميادين الإحسان إلى الأيتام:

إن الأمر بالإحسان إلى الأيتام، شامل وعام لكل ما من شأنه صلاح أحوالهم في الدنيا والآخرة، وذلك لا يكون إلا بأن ينزلهم المحسن منزلة أبناءه في النصيح والرعاية والرفق والحنان؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَاُولَآئِىْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٨٣]. ومعنى الآية: أحسنوا إحسانًا بالوالدين وبذي القربى واليتامى والمساكين. وهذا الإحسان جاء منكرًا ليفيد التعميم والتكثير وليذهب العقل فيه كل مذهب من شمول واتساع واستمرار. وهذا مما يدعو المحسن الحقيقي ألا يدع شيئًا من أعمال البر والإحسان يقدر عليه يفعله لليتيم إلا فعله. ومن ذلك الإحسان:

١ - قيام المحسن على اليتيم بالكفالة وحسن الرعاية؛ حتى لا يضيع أو يتعثر في حياته. فعن سهل بن سعد - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وقال بإصبعه السبابة والوسطى وفرج بينهما»^(٤).

٢ - إشعار المحسن، اليتيم بالعطف والحنان، وإدخال السرور عليه بما يعوضه عن والده، حتى يشب صحيح النفس يألف المحسن ويشعر بقربه وصدق مودته. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً شكى إلى النبي ﷺ

(١) جامع أحكام القرآن (٥/٥١).

(٢) سنن ابن ماجه (٢/١٢١٣)، (٨٧٦٣)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/٢٤٣)، (١٢٨٢): إسناده صحيح.

(٣) رياض الصالحين (١٦١).

(٤) صحيح البخاري (٥/٢٠٣٢)، (٤٩٩٨).

قسوة قلبه، فقال: «امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين»^(١).

٣ - يتعاهده المحسن بالكلمة الطيبة الحسنة في أمره ونهيه بالرفق واللين؛ لقوله - تعالى -: ﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [النساء: ٨]. وقوله: ﴿ وَلَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩].

٤ - يحقق المحسن مبدأ الأخوة الإيمانية في اليتامى وذلك بمخالطتهم وتثمير أموالهم إن كان وصيًا عليهم؛ لقوله - تعالى -: ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ أَنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. وقوله - تعالى -: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. أي: بقرب هو أحسن القرب وذلك بالمتاجرة فيه بما يصلحه وينميه لا بما يفسده ويهلكه، وإذا كان محتاجًا أكل منه بالمعروف غير مفسد له، كما قال - تعالى -: ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ... ﴾ [النساء: ٦]. وقد حرم الله أموال اليتامى أن تؤكل بالباطل أشد التحريم، فقال - تعالى -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠]. وقال - تعالى -: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٢].

٥ - الإنفاق على الأيتام بما يسد كفايتهم، واستخلاص حقوقهم من الغنيمة والفيء، كما قال الله - تعالى -: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٥]. فانظر أيها المحسن كيف قرن الله حق اليتامى ممن ليس له مال في النفقة مع حق الوالدين، وذلك دليل على أن النفقة على الأيتام من أفضل البر. وقال - تعالى -: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [الأنفال: ٤١]. وقال - تعالى -: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [الحشر: ٧]. وكل ذلك حرصًا من الإسلام على أن يعيش اليتامى في سعادة وهناء.

٦ - رزق الأيتام من الأموال المقسومة إذا حضروا قسمتها؛ لقوله - تعالى -: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [النساء: ٨].

(١) مسند أحمد (٩١/٣)، (٨٧٩١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٣/٨): رجاله رجال الصحيح.

فَلْيَسْتَقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ [النساء: ٨ - ٩].

٧ - العدل في مهور اليتامى من النساء التي في حجور الأوصياء وأرادوا نكاحهن؛ لما روي عن عروة بن الزبير - رضي الله عنهما - أنه سأل عائشة - رضي الله عنها - عن قول الله تعالى: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾ [النساء: ٣]، فقالت: يا ابن أخي: هي اليتيمة تكون في حجر وليها، تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنُهِوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سُنَنِهِنَّ من الصداق، وأُمرُوا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن. قال عروة: قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية، فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ - إلى قوله: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾، والذي ذكر الله أنه يُتْلَى عليكم في الكتاب الآية الأولى التي قال فيها: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾، قالت عائشة: وقول الله في الآية الأخرى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾، يعني هي رغبة أحدكم ليتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فنُهِوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن^(١).

٧ - إكرام اليتيم والجود عليه بإطعام الطعام وغيره؛ لقوله - تعالى -: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ [الفجر: ١٧ - ١٨]، وقوله - تعالى -: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٨ - يحذر المحسن أشد الحذر من ظلم اليتيم ومنعه حقوقه؛ لقوله - تعالى -: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾﴾ [الضحى: ٩]، وقوله - تعالى -: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ [الماعون: ١ - ٢].

٩ - دفع أموال اليتامى إليهم إذا بلغوا النكاح، وأنسوا منهم التصرف فيها، من بعد تجربة صادقة مرّة بعد مرّة، والإشهاد عليهم بتسلمها؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقوله - تعالى -: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ [النساء: ٦].

(١) صحيح البخاري، الفتح (٢٠٣٢/٥)، (٢٤٩٤).

وهذا الإحسان المذكور هنا إنما هو إضافة إلى حقوقهم الاجتماعية الأخرى التي تجب لهم كغيرهم من أفراد المجتمع الإسلامي، وجماع ذلك أن يكون المحسن لليتيم كالأب الرحيم^(١).

الإحسان إلى اليتامى من صفات المحسنين:

والشواهد كثيرة، منها:

١ - ما ذكر الله - تعالى - من شأن الخضر - عليه السلام - مع جدار الأيتام بقوله - عز وجل -: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ...﴾ [الكهف: ٨٢].

٢ - ما روي عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: قلت: يا رسول الله: ألي أجر أن أنفق على بني أبي سلمة؟ إنما هم بني. فقال ﷺ: «أنفقي عليهم، فلك أجر ما أنفقت عليهم»^(٢).

٣ - ما روي عن زينب امرأة عبدالله - رضي الله عنهما - قالت: كنت في المسجد فرأيت النبي ﷺ فقال: «تصدقن ولو من حليكن»، وكانت زينب تنفق على عبدالله وأيتام في حجرها، فقالت لعبدالله: سل رسول الله ﷺ: أيجزي عني أن أنفق عليك وعلى أيتامي في حجري من الصدقة؟ فقال: سلي أنت رسول الله ﷺ. فانطلقت إلى النبي ﷺ فوجدت امرأة من الأنصار على الباب، حاجتها مثل حاجتي، فمر علينا بلال، فقلنا: سل النبي ﷺ: أيجزي عني أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري؟ وقلنا: لا تخبر بنا. فدخل فسأله، فقال: «من هما؟» قال: زينب. قال: «أي الزيانب؟» قال: امرأة عبدالله. قال: «نعم، لها أجران: أجر القرابة، وأجر الصدقة»^(٣).

صور من الإحسان إلى اليتامى:

عن عمران بن حصين قال: كنت مع نبي الله ﷺ في مسير له، فأدلجنا ليلتنا. حتى إذا كُنَّا في وجه الصبح عرَّسنا، فغلبتنا أعيننا حتى بزغت الشمس. قال: فكان أول من استيقظ منا أبوبكر، وكنا لا نوقظ نبي الله ﷺ من منامه إذا نام حتى يستيقظ، ثم استيقظ عمر، فقام عند نبي الله ﷺ، فجعل يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ رسول الله ﷺ فلما رفع رأسه ورأى الشمس قد بزغت قال: «ارتحلوا»، فسار بنا، حتى إذا ابيضت الشمس، نزل فصلى بنا الغداة، فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا، فلما

(١) تفسير القرطبي (٢٠/١٠٠).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٣/٣٢٨)، (١٤٦٧).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٣/٣٢٨)، (١٤٦٦).

انصرف قال له رسول الله ﷺ: «يا فلان، ما منعك أن تصلي معنا؟» قال: يا نبي الله، أصابتني جنابة، فأمره رسول الله ﷺ فتيَّم بالصَّعيد، فصلى، ثم عَجَّلني في ركب بين يديه، نطلب الماء، وقد عطشنا عطشًا شديدًا. فبينما نحن نسير إذا نحن بامرأة سادلة رجلها بين مزادتين. فقلنا لها: أين الماء؟ قالت: أيها. أيها، لا ماء لكم. قلنا: فكم بين أهلك وبين الماء؟ قالت: مسيرة يوم وليلة. قلنا: انطلقى إلى رسول الله ﷺ. قالت: ومن رسول الله؟ فلم نملكها من أمرها شيئًا. حتى انطلقنا بها، فاستقبلنا بها رسول الله ﷺ فسألها فأخبرته مثل الذي أخبرتنا، وأخبرته أنها مؤتمة، لها صبيان أيتام. فأمر براويتها، فأنيخت، فمَجَّ في العزلاوين العلياوين، ثم بعث براويتها، فشربنا، ونحن أربعون رجلًا عطاش حتى روينا. وملأنا كل قربة معنا وإداوة، وغسلنا صاحبنا، غير أنا لم نسقِ بغيرنا، وهي تكاد تنضرج من الماء (يعني المزادتين)، ثم قال: «هاتوا ما كان عندكم»، فجمعنا لها من كَسِرٍ وتمر، وصَرَّ لها صُرَّة، فقال لها: «اذهبي فأطعمي هذا عيالك، واعلمي أنا لم نرزأ من مائك». فلما أتت أهلها قالت: لقد لقيت أسحر البشر، أو إنه لنبي كما زعم. كان من أمره زيت وذيت. فهدى الله ذاك الصرم بتلك المرأة، فأسلمت وأسلموا^(١).

عن عبدالله بن جعفر قال: بعث رسول الله ﷺ جيشًا استعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: «فإن قتل زيد أو استشهد فأمركم عبدالله ابن رواحة...» وفيه أنه ﷺ قال: «اللهم اخلف جعفرًا في أهله، وبارك لعبدالله في صفقة يمينه»، قالها ثلاث مرار. قال - أي عبدالله بن جعفر - فجاءت أمنا فذكرت له يتمنا، وجعلت تُفرح له، فقال: «الْعَيْلَةُ تخافين عليهم، وأنا وليهم في الدنيا والآخرة»؟^(٢).

من ثمرات الإحسان إلى الأيتام:

- ١ - رِفْعَةُ درجة كافل اليتيم في الجنة.
- ٢ - عَظْمُ أجر المحسن إلى اليتيم.
- ٣ - كِفَالَةُ اليتيم والإحسان إليه تَرَقِّقُ القلب.
- ٤ - الإحسان إلى اليتيم دليل على تَأَزُّرِ المجتمع وشدة تماسكه.

ميادين الإحسان إلى الأراامل:

حرص الإسلام على رعاية المرأة عمومًا؛ لضعفها وقلة قدرتها على

(١) صحيح مسلم (٤٧٤/١)، (٦٨٢).

(٢) مسند أحمد: (٣٣٦/١) (١٧٥٣) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. (١٩٢/٣) (١٧٥٠).

التكسب، فكيف بالأرملة التي فقدت زوجها بموت أو طلاق مع فقرها وفاققتها، لا شك أنه أشد حرصًا وعناية بها.

والمحسن الحقيقي هو الذي يستشعر ذلك الضعف والفاقة فينزل الأرامل منزلة أخواته الشقائق في البر والرعاية من دون أن يعرض نفسه أو إياها للريبة. ومظاهر الإحسان وميادينه بالأرامل كثيرة كثيرة احتياجاتهن النفسية والأمنية والمعاشية، ومنها:

١ - يحرص المحسن على تزويج الأرامل، أو الزواج منهن والدعوة إلى ذلك؛ لما فيه من كفاية لمؤننتهن، ولعل غالب أزواج الرسول ﷺ منهن، كأم سلمة، وحفصة، وأم حبيبة، وسودة بنت زمعه - رضي الله عنهن -، حفصة - رضي الله عنها - تأيمت من خنيس بن حذافة السهمي الذي توفي شهيدًا من جراحات أصابته ببدر - رضي الله عنه -.

وأم سلمة - رضي الله عنها - تأيمت من أبي سلمة - رضي الله عنه - الذي كان توفي شهيدًا إثر أحد، فتزوجها الرسول ﷺ وضمَّ عيالها إليه وجعلهم عياله.

وزينب بنت خزيمة بن الحارث، تأيمت من عُبيدة بن الحارث الذي استشهد ببدر - رضي الله عنه -، وقيل: من عبدالله بن جحش الذي استشهد بأحد - رضي الله عنه -^(١).

وأما سودة بنت زمعة - رضي الله عنها - فقد تأيمت من السَّكران بن عمرو، وكان لها فضل سبق إلى الإسلام والهجرة إلى الحبشة^(٢).

٢ - تلمس احتياجات الأرامل والإنفاق عليهن من الصدقات الواجبة والمستحبة.

٣ - الرفع من قيمة الأرملة الاجتماعية، بما يعود عليها بالصحة النفسية، وحتى لا يرغب عنها الناس.

٤ - على المرأة المحسنة أن تتفطن لحاجات أختها الأرملة التي لا يفتن لها الرجال فتسعى في سدها من غير أن يشعر أحد بذلك.

٥ - إن كان للأرملة أيتام فإن من أعظم الإحسان إليها، الإحسان إلى أيتامها.

٦ - على المحسنات أن يسعين جاهدات في إدخال السرور على الأرامل والحنو عليهن، وإرفادهن ولو بالقليل.

(١) انظر: مرشد المختار إلى خصائص المختار، لابن طولون (٢٦١ - ٢٦٢).

(٢) انظر: السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، لابن حجر (١٣٧).

الإحسان إلى الأرمال من صفات المحسنين:

وقد كان الرسول ﷺ نصير الأرمال وعصمتهن كما وصفه عمه أبو طالب بقوله:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرمال^(١)
ومن صور الإحسان إلى الأرمال:

١ - عن عمرو بن ثابت - رحمه الله - قال: لما مات علي بن الحسين - رضي الله عنه - وجدوا بظهره أثرًا، فسألوا عنه، فقالوا: هذا مما كان ينقل الجرب بالليل على ظهره إلى منازل الأرمال^(٢).

٢ - وقال عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله -: «وددت أنه ليس من الناس عبد ابتلي بسعة، إلا نظر قطيعة من ماله فجعله في الفقراء والمساكين والأرمال، بدأت بنفسي وأهل بيتي، ثم كان الناس بعد...»^(٣).

٢ - ومن أحسن ما قيل في إحسان عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - للأرمال ما قاله جرير - رحمه الله -:

كم بالمواسم من شعشاء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
أذهبت خلته حتى دعا ودعت يا رب بارك لطر الناس في عمر
ممن يعدك تكفي فقد والده كالفرخ في الوكر لم ينهض ولم يطير
هذه الأرمال قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الأرمال الذكر
فترقرقت عينا عمر وقال: إنك لتصف جهدك، فقال: ما غاب عني
وعنك أشد، فجهز إلى الحجاز غيرًا تحمل الطعام والكسب والعطايا يبيث في
فقرائهم^(٤).

٤ - وعن بكار بن منقذ - رحمه الله - قال: خرجنا مع الحسن - رضي الله عنه - إلى السوق فإذا جارية تقول: يا أبتاه مثل يومك لا أرى. قال: الحسن وأبوك مثل يومه ما رأى، يا بنية دليني على منزلك، فانطلقت بين يديه، وانطلق الحسن ونحن معه، حتى وقف على باب الدار، فنادى: يا أهل هذه الدار مالي أرى هذا الباب مهجورًا بعد أن كان معمورًا، قال: فنادته امرأة من داخل الدار يا عبدالله هكذا أبواب الأرمال واليتامى؟! فانصرف الحسن باكياً^(٥)!!

(١) انظر: السيرة، لابن هشام (٢/١٤).

(٢) شعب الإيمان، للبيهقي (٣/٤٥)، (٣٤٤٣).

(٣) حلية الأولياء (٥/٢٩٧).

(٤) حلية الأولياء (٥/٣٢٨).

(٥) الاعتبار، لابن أبي الدنيا (١/٣٦).

من ثمرات الإحسان إلى الأراذل:

١ - عظم ثواب من أحسن إليهن وأنه مثل ثواب الصائم القائم المجاهد.

٢ - أن ذلك يرقق القلوب ويردها إلى الله - تعالى - .

٣ - أنه عنوان تكافل المسلمين وتماسك أخوتهم الإيمانية.

د - الإحسان إلى الفقراء والمساكين :

التعريف:

الفقراء لغة: جمع فقير، وهو المكسور فقار ظهره، واشتق منه اسم الفقير الذي له بُلْغَةٌ من العيش ولا تكفي حاجته، تشبيهاً له به لذته ومسكنته، فكأنه مكسور الفقار^(١).

أما المساكين لغة: فجمع مسكين، وهو من أسكنه الفقر أي قلل حركته، أُطْلِقَ عَلَى من لا شيء له يكفي عياله^(٢).
أما في الاصطلاح:

فالفقير: هو الذي لا شيء له. أو له شيء لا يكفيه.
والمساكين: الذي لا شيء له يغنيه، ولا يُقْطَنُ لَهُ، فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلَا يُسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا.^(٣)

مكانة الفقراء والمساكين الاجتماعية في الإسلام:

يرى الإسلام الفقراء والأغنياء سواء في الواجبات والتكاليف والحقوق، فلا فرق بين الناس باعتبار أيّا كان سوى التقوى كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وهو بهذه النظرة العادلة التي لم تكن في دين أو نظام سواه يُلْزَمُ أتباعه بتطبيقها في واقعهم الاجتماعي ويعمل ذلك بأن الفقر والغنى بيد الله - تعالى - يبتلي بهما من يشاء من عباده ليعلم الشاكر والصابر، والكافر والساخط، وكذا يبتلي - جل وعلا - الأغنياء بالفقراء، والفقراء بالأغنياء ليؤدي كل واحد ما يجب عليه تجاه ربه وتجاه غيره من الناس.

فالأغنياء جعل الله - تعالى - في أموالهم حقاً له، يتمثل أولاً: في الاعتراف له بالفضل، واعتقاد أن المال ماله على الحقيقة، استخلفهم فيه ليعملوا فيه بما أمر - سبحانه وتعالى - .

والثاني: إدامة شكره - تعالى - على ما أنعم به، وأن ما آتاهم من مال

(١) مجمل اللغة، لابن فارس (٧٠٣/٣)، والصحاح، للجوهري (٧٨٢/٢).

(٢) انظر: القاموس المحيط (٢٣٥/٤)، والمصباح المنير (٣١٣/١).

(٣) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (٩٦١/٢)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠٦/٨ - ١١٩)، والكلبيات، للكفوي (٦٩٦).

ليس بحولهم ولا قوتهم، وإنما هو محضُ مِنَّةٍ مِنْهُ - جل وتعاظم -، وأن ما بذلوه من أسباب في تحصيله هي قدر الله - تعالى - وتوفيقه ومعونته.

وأما حق الفقراء على الأغنياء فيتمثل أولاً: في مخالطتهم والرفع من قيمهم الاجتماعية باعتبار الأخوة الإيمانية وواجباتها هي الرابطة، وباعتبار التقوى هي ميزان التفاضل.

والحق الثاني: أداء ما أوجب الله - تعالى - في أموالهم لإخوانهم الفقراء بنفس طيبة، من مال طيب يرجون به ثواب الله - تعالى -، من غير احتقار، أو سخرية، أو نظرة دونية، مهما دقت مع مراعاة نفسيات إخوانهم الفقراء.

فإن أدّى الأغنياء هذا الواجب فقد جازوا الامتحان الرباني في أموالهم غير أن أهل الإحسان أوجب الله - تعالى - في أموالهم صدقات زائدة على فرض الزكاة وذلك جزاء ما زادهم من إحسان.

وابتلاء الفقراء والمساكين بالأغنياء لا يكون الفوز منه إلا بالرضى عن الله - تعالى -، وبما قدره من الفقر والمسكنة، ودفعه بالوسائل المشروعة من التعرض لأرزاقه - تعالى - بالدعاء الصادق، والضرب في الأرض، ابتغاء فضله. والتوكل عليه واعتقاد أنه لا يحول من الفقر إلى الغنى إلا الله - تعالى -.

وعدم منازعة الله - تعالى - قدره بما أنعم به على الأغنياء حين يراهم يروحون ويسرحون في النعيم والرفاه، فيحسداهم على ما آتاهم الله من فضله، بتمني زوال النعمة عنهم، أو مناصبتهم العدا، أو إلزامهم فوق ما يجب عليهم.

فإذا تساوى الطرفان في أداء الواجبات كان التفاضل بالتقوى، وإذا كان أحد الطرفين مُقَصِّراً في واجبه كان الطرف الأفضل خيراً منه، وهذا ما تقرره النصوص الشرعية. منها ما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى، والنعيم المقيم، فقال: «وما ذاك؟» قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله ﷺ: «أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به مَنْ سبقكم، وتسبقون به مَنْ بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل صنيعكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «تسبحون وتكبرون وتحمدون، دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وتكبرون الله ثلاثاً وثلاثين». فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله. فقال رسول الله ﷺ: «ذلك

فضل الله يؤتيه من يشاء»^(١).

وأما النظرة الدونية للفقراء والمساكين فإنها ليست من الإسلام في شيء، بل هي نظرة جاهلية كما فعلت قريش عندما اصطفى الله محمداً ﷺ بالرسالة، وقد كان فقيراً كما حكى الله - تعالى - عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]. ولذلك صدوا عنه وناصبوا شريعته العداء. وهذا التمييز الظالم صدهم عن الهداية كما قال - تعالى -: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرِيكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرِيكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لَنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧].

وقد عوتب النبي ﷺ حينما وَجَّهَ وجهه إلى الكبراء من قريش رجاء إسلامهم، ونهى عن أن يستجيب لما اشترطوا عدم مخالطة الفقراء لهم في مجلسه. فنهاه الله عزوجل عن ذلك فقال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٥٦] وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [٥٧] وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِحَاثِلَتْنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام].

ولعظم مكانة الفقراء الاجتماعية في الإسلام أمر الله - تعالى - نبيه محمداً ﷺ بحسن صحبتهم وجميل معاشرتهم، فقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

ولم يكتف الإسلام بهذه النظرة السامية الكريمة للفقراء حتى رفع منزلتهم بجعلهم أداة فعالة من أدوات النصر؛ فقد روى مصعب بن سعد - رحمه الله - قال: رأى سعد - رضي الله عنه - أن له فضلاً على من دونه، فقال رسول الله ﷺ: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»^(٢).

وقد امتدح الله الفقراء المؤمنين المخلصين لدينهم بقوله - تعالى -: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهِجْرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

ونوه الرسول ﷺ بسابقتهم في دخول الجنة، وأنهم أكثر أهلها، وفيه دليل على رفع مكانتهم الاجتماعية والدينية، إن هم صبروا كما روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ

(١) صحيح مسلم (٤١٦/١)، (٥٩٥).

(٢) صحيح البخاري (١٠٦١/٣)، (٢٧٣٩).

عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً...» (١).

وعن عمران بن حصين - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء» (٢).

عناية الإسلام بالفقراء والمساكين:

لقد عني الإسلام بالفقراء والمساكين أيما عناية، فرعى حاجاتهم المعيشية والنفسية، أمراً أتباعه بالإحسان إلى الفقراء والمساكين، ومحذراً إياهم من الإساءة إليهم أو التفریط في أداء حقوقهم، فقال تعالى: ﴿فَأَتَتْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم]. وقال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ...﴾ [النساء: ٣٦].

وقد رغب في الإنفاق عليهم، فقال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١]. وقال - تعالى -: ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]. ووعد الله - تعالى - المنفق عليهم بالربح في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبا: ٣٩]، وقال - تعالى -: ﴿اللَّهُ قَرِضًا حَسَنًا وَمَا نَقِضُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

واستعطف الله - تعالى - الأغنياء بالصدقة على الفقراء باسم القرض له، وأن ذلك قرض عليه يوفيه إياه عند قدومهم عليه يوم القيامة بأفضل مما أعطوه من الثواب وجزيل الأجر، كما قال - تعالى -: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

وحبب الله تعالى الإنفاق إلى النفوس بما يضاعفه للمنفق، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وجعل - جل ذكره - النفقة عليهم طهارة وزكاة للمال والبدن، فقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا...﴾ [التوبة: ١٠٣].

(١) صحيح مسلم (٣/١١٤٧)، (٢٩٧٩).

(٢) صحيح البخاري (٥/٢٣٩٧)، (٦١٨٠).

العذاب، فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤ - ٣٥].

وشنع الله - تعالى - على أولئك الكفرة الذين لا يبالون بحق ضعفائهم في مشاركتهم العيش، فقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَيْتِمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ [الماعون: ١ - ٣]. وفي ذلك تنفير للأغنياء المؤمنين من هذه الصفة الذميمة وهي صفة البخل.

وخوف الله - تعالى - الأغنياء مانعي الفقراء والمساكين حقوقهم، محق أموالهم ولو بعد حين، كما حكى الله تعالى عن أصحاب الجنة الذين عزموا عقد الصرام على حين غفلة من الفقراء والمساكين حتى لا يطعموا منها بقوله - تعالى -: ﴿إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم: ١٧ - ٢٠].

كما أثنى - تعالى - على المحسنين إلى الفقراء والمساكين بقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُونَ مِن كَاسٍ كَانَتْ مِرَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإنسان: ٥ - ٩].

مبادئ الإحسان إلى الفقراء والمساكين:

يحرص المحسن الحقيقي على تحقيق الأخوة الإيمانية مع إخوانه الفقراء والمساكين، ويزيدهم من بره وإحسانه، بما يسد حاجاتهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ومنها:

١ - الوفاء بحقوقهم الواجبة كالزكاة؛ لقوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ...﴾ [التوبة: ٦٠]. والأضحية والهدي، وكفارة اليمين، والظهار، وكفارة الجماع في نهار رمضان، والفدية لمن لا يستطيع الصيام، وغيرها.

٢ - بذل الجاه والسعي معهم لاستحصال حقوقهم في الأموال العامة كأموال الغنيمة، والفيء؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ...﴾ [الأنفال: ٤١]. وقوله - تعالى -: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ...﴾ [الحشر: ٧].

ومن ذلك حقوقهم في بيت مال المسلمين، وقد كان أصحاب الرسول ﷺ يفعلون ذلك، فعن أبي عبد الرحمن، عبد الله بن يزيد - رحمه الله - قال:

ﷺ يفعلون ذلك، فعن أبي عبد الرحمن، عبد الله بن يزيد - رحمه الله - قال: جاء ثلاثة نفر إلى عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - وأنا عنده فقالوا: يا أبا محمد إنا والله ما نقدر على شيء، لا نفقة ولا دابة ولا متاع، فقال لهم: «ما شئتم، إن شئتم رجعتم إلينا فأعطيناكم ما يسر الله لكم، وإن شئتم ذكرنا أمركم للسلطان، وإن شئتم صبرتم...»^(١).

٣ - الوفاء بحقوقهم المستحقة والتي هي من باب الواجب على المحسنين دون غيرهم؛ لقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۖ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۖ وَلَا لَا سَمَارَ لَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۖ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۖ﴾ [الذاريات: ١٥ - ١٩].

٤ - بسط الوجه وحنو الابتسامة، ولين الجانب لهم.

٥ - مخالطتهم ومؤاكلتهم ومشاربتهم ورفع مكانتهم؛ لما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه كان يقول: «شر الطعام طعام الوليمة يدعى لها الأغنياء، ويترك الفقراء، ومن ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله ﷺ»^(٢).

٦ - ردهم بموعده صادق للإحسان إليهم، أو بالحسن من القول عند عدم الجدة، والدعاء لهم بما يسد خلالتهم.

٧ - الرفع من قيمة العمل عند من يقدر عليه منهم، وإرشاده إلى ما يناسب حاله منه؛ لما روي عن الزبير بن العوام - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لأن يأخذ أحدكم أحبلاً فيأخذ حُرْمَةً من حطب، فيبيع، فيكف الله به وجهه خير من أن يسأل الناس أعطى أم مُنِع»^(٣).

٨ - الإسهام في إقامة المؤسسات الخيرية ومشاريع البر التي تعود بالصالح عليهم ليعيشوا حياة كريمة. قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة].

الإحسان إلى الفقراء والمساكين من صفات عباد الله المحسنين: قال الله - تعالى -: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

صور من الإحسان إلى الفقراء والمساكين:

عن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار. قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار، أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مُضَرٍّ، بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله ﷺ

(١) صحيح مسلم (٣/٢٢٨٥)، (٢٩٧٩).

(٢) صحيح البخاري (٥/١٩٨٥)، (٤٨٨٢).

(٣) صحيح البخاري (٢/٨٣٦)، (٢٢٤٤).

خطب الناس فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]، إلى آخر الآية. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١]. والآية التي في سورة الحشر: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨]. تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرّه، من صاع تمره (حتى قال): ولو بشق تمره. قال: فجاء رجل من الأنصار بصرّة كادت كفه تعجز عنها. بل قد عجزت. قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كومين من طعام وثياب. حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل، كأنه مذهب. فقال رسول الله ﷺ: «من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده. من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(١).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: أصاب عمر بخير أرضاً، فأتى النبي ﷺ فقال: «أصبت أرضاً لم أصب قط مالا أنفس منه! فكيف تأمرني به؟ قال: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها». فتصدق عمر أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث. في الفقراء والقريبى والرقاب، وفي سبيل الله، والضييف، وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، أو يطعم صديقاً غير متمول فيه»^(٢). النمار: أزر مخططة من صوف، وتمعر: تغير، والمذهب: المموه بالذهب

من ثمرات الإحسان إلى الفقراء والمساكين:

١ - أنه يحدث انشراحاً في الصدر، وسعادة في النفس للمحسن بما يرى من سرور الفقراء والمساكين من إحسانه إليهم.

٢ - أنه يحدث ترابطاً وثيقاً وتكافلاً بين هاتين الفئتين من المجتمع الإسلامي، فإنّ النفوس جُبلت على حب من أحسن إليها.

٣ - أنّ فيه سلامة لدين الفقراء والمساكين من الوقوع في الحسد المذموم للأغنياء.

٤ - أنّه من أسباب النَّصر وزيادة الرزق للأفراد والمجتمعات.

٥ - عظم أجر المحسنين، ورفع درجاتهم في الآخرة؛ لما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل، الصائم النهار»^(٣).

(١) صحيح مسلم (٧٠٤/١)، (١٠١٧).

(٢) صحيح البخاري (١٠١٩/٣)، (٢٦٢٠).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٤٩٧/٩) (٥٣٥٣).

هـ- الإحسان إلى الخادم والمملوك وابن السبيل :

التعريف:

الخادم: معروف. واحد الخَدَم، ويقع على الذكر والأنثى. مأخوذ من الخِدْمَة، وهي: المِهْنَة^(١).

والمملوك لغة: العبد الذي سُبِيَ ولم يُمْلِكْ أبواه^(٢). ويسمى المملوك: رقيقاً^(٣).

والرَّقْ في اللغة: الضعف. ومنه رَقَّة القلب.

وفي الاصطلاح: عبارة عن عجز حكمي شرع في الأصل عن الكفر. أما أنه عجز: فلأنه لا يملك ما يملكه الحر من الشهادة والقضاء وغيرهما.

وأما أنه حكمي: فلأنَّ العبد قد يكون أقوى في الأعمال من الحرِّ حساً^(٤).

وأما أنه شرع في الأصل عن الكفر: فمعناه أنه ثبت جزاء للكفر، فإن الكفار لما استنكفوا عن عبادة الله - تعالى -، وألحقوا أنفسهم بالبهائم، في عدم النظر والتأمل، في إثبات التوحيد، وفي آيات الله - تعالى - جازاهم الله - تعالى - بجعلهم عبيد عبيده، متملكين مبتذلين، بمنزلة البهائم، ولذا لا يثبت الرق ابتداء على المسلم. ثم صار حقاً للعبد بقاء، بمعنى أن الشارع جعل الرقيق ملكاً من غير نظر إلى معنى الجزاء وجهة العقوبة، حتى يبقى رقيقاً، وإن أسلم واتقى. وضد الرق العتق^(٥).

وابن السبيل: قال مجاهد - رحمه الله - هو الذي يجتاز بك ماراً. والسبيل: الطريق، فنُسب المسافر إليه لمروره عليه ولزومه إياه^(٦).

مكانتهم وعناية الإسلام بهم:

هؤلاء الأصناف الثلاثة من المجتمع الإسلامي، هم من الضعفة الذين أحاطهم الإسلام برعاية خاصة، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الضعفاء كاليتامى والأرامل والفقراء والمساكين، إلا أن ابن السبيل قد يكون قوياً مكتسباً في بلده، فلما لزم الطريق ضاقت نفقته أو فقدت منه، فوجبت رعايته حتى يغتني أو يعود إلى بلده.

(١) انظر: لسان العرب (١٢/١٦٦ - ١٦٧).

(٢) اللسان (١٠/٤٩٣).

(٣) انظر: القاموس المحيط (١١٤٥).

(٤) التعريفات (١١١).

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون (٢/٢٥٢ - ٢٥٣).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٥/١٢٤).

وأما الخادم فقد يكون مملوكًا، وقد يكون أجيرًا، له حكم الأجير من الوفاء بالعقود والإحسان في معاملته.

وقد أثبت الرسول ﷺ أخوة المماليك للسادة بما روي عن المعرور بن سويد - رحمه الله - قال: لقيت أباذر - رضي الله عنه - بالربذة وعليه حلة، وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال: إني ساببت رجلاً فغيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: «يا أباذر أغيرته بأمه، إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»^(١).

وقد أمر الله - تعالى - بالإحسان إلى المماليك وابن السبيل بقوله - تعالى -: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

ورغب - تعالى - في الإنفاق على ابن السبيل فقال - تعالى -: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]. وقال - تعالى -: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ...﴾ [البقرة: ١٧٧].

وجعل له حقًا في أموال الأغنياء يسد به حاجته، فقال - تعالى -: ﴿فَإِنَّ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨].

وجعله من مصارف الزكاة الواجبة كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وأوجب له حقًا في أموال الغنيمة والفبيء، كما قال - تعالى -: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ...﴾ [الأنفال: ٤١]. وقال - تعالى -: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ...﴾ [الحشر: ٧].

(١) صحيح البخاري (٥١/١)، (٣٠).

وقد توعدَّ الله - تعالى - من يمنع ابن السبيل حقه الواجب ولا سيما ما تتوقف حياته عليه بأشد العقوبة في الآخرة، كما روى أبوهريرة - رضي الله عنه - يقول: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لنديا، فإن أعطاه منها رضي، وإن لم يعطه منها سخط، ورجل أقام سلعته بعد العصر فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا فصدقه رجل» ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا...﴾ [آل عمران: ٧٧] (١).

وقد أشرك عمر - رضي الله عنه - ابن السبيل فيما تصدق به من أرضه التي أوقفها بخير (٢).

وأعظم من ذلك ما فعله النبي ﷺ من رعاية ابن السبيل حتى بعد موته، كما روى عمرو بن الحارث - رضي الله عنه - قال: «ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهما ولا عبدًا ولا أمة إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة» (٣).

وفي قصة الثلاثة الذين امتحنهم الله - تعالى - بابن السبيل دليل على مكانته وعناية الإسلام به، كما رواها أبوهريرة - رضي الله عنه -: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، بدا لله أن يتليهم، فبعث إليهم ملكًا، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، قد قدّرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، فأعطي لونًا حسنًا، وجلدًا حسنًا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل، أو قال: البقر، هو شك في ذلك -: أن الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر، فأعطي ناقة عشراء، فقال: يُبارك لك فيها. وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا، قد قدّرني الناس، قال: فمسحه فذهب، وأعطي شعرًا حسنًا، قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: البقر، قال: فأعطاه بقرة حاملًا، وقال: يبارك لك فيها. وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله إلي بصري، فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والدًا، فأنتج هذان وولّد هذا، فكان لهذا وادٍ من إبل، ولهذا وادٍ من بقر، ولهذا وادٍ من الغنم. ثم إنه أتى الأبرص في صورته

(١) صحيح البخاري (٨٣١/٢)، (٢٢٣٠).

(٢) انظر الحديث في صحيح البخاري (٩٨٢/٢)، (٢٥٨٦).

(٣) صحيح البخاري (١٠٠٥/٣) (٢٥٨٨).

وهيئته، فقال: رجل مسكين، تقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بغيراً أتبلغ عليه في سفري. فقال له: إن الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرک الناس، فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، فردّ عليه مثل ما ردّ عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل. وتقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردّ عليك بصرك، شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فردّ الله بصري، وفقيراً فقد أغنانني، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته الله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك»^(١).

وقد رخص الإسلام لابن السبيل استعمال المراكب وأموال الصدقة والإفادة من نتائجها. قال البخاري - رحمه الله - باب: استعمال إبل الصدقة وألبانها لأبناء السبيل، وذكر حديث أنس - رضي الله عنه - أن ناساً من عُرَيْنَةَ اجتروا المدينة، فرخص لهم رسول الله ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة، فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فقتلوا الراعي واستاقوا الذؤد، فأرسل رسول الله ﷺ، فأتى بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم وسَمَرَ أعينهم، وتركهم بالحرّة يعضون الحجارة»^(٢).

وأما الرقيق فقد تشوف الإسلام إلى عتقهم في مثل كفارة القتل الخطأ، كما قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ...﴾ [النساء: ٩٢]. وكفارة الظهار؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ...﴾ [المجادلة: ٣].

وكفارة اليمين، كما قال - تعالى -: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُهُمْ بِطَعَامٍ عَشْرَةَ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ...﴾ [المائدة: ٣١]. وقد جعل الإسلام من مصارف الزكاة فك الرقاب كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُؤْمِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]. قال القرطبي - رحمه الله -: «وفي الرقاب» أي: في فك

(١) صحيح البخاري (١٢٧٦/٣)، (٣٢٧٧).

(٢) صحيح البخاري (٥٤٦/٣)، (١٤٣٠)، باب (٦٧).

الرقاب، قاله ابن عباس، وابن عمر - رضي الله عنهما - وهو مذهب مالك وغيره - رحمهم الله - . فيجوز للإمام أن يشتري رقابًا من مال الصدقة يعتقها عن المسلمين، ويكون ولاؤهم لجماعة المسلمين، وإن اشتراهم صاحب الزكاة وأعتقهم جاز»^(١).

ميادين الإحسان إلى الخادم والمملوك وابن السبيل:
أولاً: الإحسان إلى الخادم والمملوك:

المحسن الصادق، لا تمنعه مكانته من التواضع لخدمه ومماليكه والإحسان إليهم بضروب البر، ومنها:

١ - أن يكون المحسن لين العريكة، سهل التعامل، يمسك عن العتاب المقذع؛ لما روي عن أنس - رضي الله عنه - قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ليس له خادم، فأخذ أبوطلحة بيدي، فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن أنسًا غلام كَيْسٌ، فليخدمك. قال: فخدمته في السفر والحضر ما قال لي شيء صنعته: لِمَ صنعتَ هذا هكذا، ولا شيء لِمَ أصنعه: لِمَ لَمْ تصنع هذا هكذا»^(٢).

٢ - النفقة عليه بما يسد حاجته إن كان مملوكًا. ولا يكلف من العمل ألا ما يطيق، سواء أكان مملوكًا أم أجيرًا؛ لما روي عن خيثمة - رحمه الله - قال: كنا جلوسًا مع عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - إذ جاءه قَهْرمان له فدخل، فقال: أعطيت الرقيق قوتهم؟ قال: لا، قال: فانطلق فأعطهم. قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يحبس عَمَّن يملك قوته»^(٣). والقهرمان الخازن.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «للملوك طعامُهُ وكسوتُهُ، ولا يُكَلَّف من العمل إلا ما يطيق»^(٤).

٣ - مراعاة حالته النفسية، فلا يقول: عبدي وأمتي، ولا يقول: أطعم ربك، وما شابهها من الألفاظ، كما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يقل أحدكم: أطعم ربك.. اسق ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي»^(٥).

قال القرطبي - رحمه الله -: «ندب السادة إلى مكارم الأخلاق،

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/١١٥).

(٢) صحيح البخاري (٣/١٠١٨)، (٢٦١٦).

(٣) صحيح مسلم (١/٦٩٢)، (٩٩٦).

(٤) صحيح مسلم (٢/١٢٨٤)، (١٦٦٢).

(٥) صحيح البخاري (٢/٩٠١)، (٢٤١٤).

وحضّهم عليها، وأرشدهم إلى الإحسان وإلى سلوك التواضع؛ حتى لا يروا لأنفسهم مَزِيَّةً على عبيدهم؛ إذ الكل عبيد الله، والمال مال الله، لكن سخر بعضهم لبعض، وملّك بعضهم بعضاً؛ إتماماً للنعمة، وتنفيذاً للحكمة، فإن أطعموهم أقل مما يأكلون، وألبسوهم أقل مما يلبسون صفةً ومقداراً جاز إذا قام بواجبه عليه، ولا خلاف في ذلك. والله أعلم^(١).

٤ - الترفق بالمملوك وعدم عقابه إلا في حدٍّ يوجب ذلك؛ وذلك لما روي عن جرير - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «من يحرم الرفق يحرم الخير»^(٢)، ولما روي عن زاذان أن ابن عمر - رضي الله عنه - دعا بغيلاً له فرأى بظهره أثراً، فقال له: أَوْجَعْتُكَ؟ قال: لا، قال: فأنت عتيق، قال: ثم أخذ شيئاً من الأرض فقال: ما لي فيه من الأجر ما يزن هذا؛ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ضرب غلاماً له حدّاً لم يأتِه أو لطمه فإن كفرته أن يعتقه»^(٣).

٥ - ومن أعظم الإحسان إلى المملوك عتقه أو مكاتبته، وإعانته على ذلك؛ لما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا أَمْرِيءٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا، اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنَ النَّارِ». قال سعيد بن مرجانة (صاحب علي بن الحسين) - رضي الله عنه -، فذكرته لعلي بن الحسين، فأعتق عبداً له قد أعطاه به ابن جعفر عشرة آلاف درهم، أو ألف دينار^(٤).

وأما في مكاتبه المملوك فيقول الله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ يَبْنِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]. قال القرطبي - رحمه الله -: «إن العبد إن طلب الكتاب فالمستحب كتابته»^(٥).

وقيل نزلت هذه الآية في غلام لحويطب بن عبد العزى يقال له صبيح، وقيل صبيح، طلب من مولاه أن يكاتبه، فأبى، فأنزل الله - تعالى - هذه الآية، فكاتبه حويطب - رضي الله عنه - على مائة دينار، ووهب له منها عشرين ديناراً، فأداها، وقتل بحنين في الحرب^(٦). والمكاتبه: طلب العتق.

٦ - مؤاكلة الخادم ومشاربته، فإن ذلك أدعى لمودته وحسن عشرته؛ لما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «إذا أتى

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/١٢٤).

(٢) صحيح مسلم (٣/٢٠٠٣)، (٢٥٩٢).

(٣) صحيح مسلم (٢/١٧٨)، (١٦٥٧).

(٤) صحيح مسلم (١/١١٤٧)، (١٥٠٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٢/١٦٢).

(٦) المرجع السابق.

أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه، فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين، فإنه وليّ علاجه»^(١).

٧ - الدعاء للخادم مملوكًا كان أم غير مملوك، بالخير والصلاح؛ لما روي عن أنس - رضي الله عنه - قال: جاءت أمي، أم أنس، إلى رسول الله ﷺ، وقد أزرنتني بنصف خمارها ورَدَّتْني بنصفه، فقالت: يا رسول الله هذا أنيس ابني أتيتك به يخدمك، فادع الله له، فقال: «اللهم أكثر ماله وولده». قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادّون على نحو المائة اليوم^(٢).

٨ - العفو عن الخادم؛ لما روي عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كم نعفو عن الخادم؟ فصمت، ثم أعاد عليه الكلام، فصمت، فلما كان في الثالثة قال: «اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة»^(٣).

٩ - حسن تعليم الرقيق وتأديبهم، وإن كانت أمة أحسن إليها بعثتها والزواج منها؛ لما روي عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أدّب الرجل أُمَّتَهُ، فأحسن تأديبها، وعَلَّمَهَا فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها، كان له أجران، وإذا آمن بعبسي ثم آمن بي، فله أجران، والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران»^(٤).

١٠ - الوفاء بالعقود المبرمة بين الخادم الأجير وصاحب الخدمة، ومنها ألا يكلفه من العمل ما لم ينص عليه في العقد إلا بحقه، وأن يدفع إليه أجرته ساعة إنهاء العمل من دون مماطلة أو بخس، وأن يحط عنه من العمل إن كان فوق قدرته أو غبنه في قيمته، أو يزيده في قيمة الأجرة المتفق عليها، وأن لا يقول له إلا حسنًا، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «قال الله: ثلاثة أنا خَصْمُهُم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًّا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعط أجره»^(٥).

وفي حديث الثلاثة الذين آووا إلى الغار، عن ابن عمر - رضي الله عنهما -، عن رسول الله ﷺ قال: «... وقال: الآخر: اللهم إني كنت

(١) صحيح البخاري (٩٠٢/٢)، (٢٤١٨).

(٢) صحيح مسلم (١٩٢٩/٢)، (٢٤٨١).

(٣) صحيح البخاري (١٢٧١/٣)، (٣٢٦٢).

(٤) صحيح البخاري (١٢٧١/٣)، (٣٢٦٢).

(٥) صحيح البخاري (٧٧٦/٢)، (٢١١٤).

استأجرت أجيراً بفرق أرزاً، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي، فعرضت عليه حقه فتركه ورغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرّاً وراعيها، فجاءني فقال: اتق الله ولا تظلمني، وأعطني حقي، فقلت: اذهب إلى تلك البقر وراعيها، فقال: اتق الله ولا تهزأ بي، فقلت: إني لا أهزأ بك، فخذ تلك البقر وراعيها، فأخذه فانطلق بها، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج ما بقي. ففرج الله عنهم»^(١).

ثانياً: ميادين الإحسان إلى ابن السبيل:

السفر مشقة، وهو قطعة من العذاب، لا سيما من لا دراية له بالأسفار، فما الظن برجل مسافر ناءً عن أهله وبلده وعشيرته، وقفت به ذات اليد، فلا سفره أتم ولا في أهله بقي، فالغالب عليه الجوع والعطش ورثالة الحال، ناهيك عن انكسار نفسه بتعرضه للمسألة سيما إن كان في قومه عزيزاً أو مستور الحال. وقد راعت الشريعة الإسلامية حاجة ابن السبيل أشد رعاية فأمرت بالإحسان إليه ورغبت فيه، ومن ذلك:

١ - الإحسان إلى ابن السبيل بإصلاح طريقه بما ييسر عليه مسيره في سهولة وسرعة، وإعاقته على إصلاح مركبه أو حمولته، ودلالته على الطريق إن ضل عنها، وأحسنها إن اشتبهت عليه أو جهلها. لما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سُلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين اثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته، فيحمله عليها، أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة»^(٢). وفي رواية له: «ودل الطريق صدقة»^(٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره، فشكر الله له فغفر له»^(٤). وفي رواية له: «فقال: والله لأنحين هذا عن طريق المسلمين لا يؤذيهم، فأدخل الجنة»^(٥). وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قضى النبي ﷺ إذا تشاجروا في الطريق بسبعة أذرع»^(٦). قال الطبري - رحمه الله -: «والحكمة في جعلها سبعة أذرع لتسلكها الأحمال والأثقال دخولاً

(١) صحيح البخاري (٢٢٢٨/٥)، (٥٦٢٩).

(٢) صحيح البخاري (١٠٩٠/٣)، (٢٨٢٧).

(٣) صحيح البخاري (١٠٥٩/٣)، (٢٧٣٤).

(٤) صحيح البخاري (٢٣٣/١)، (٦٢٤).

(٥) صحيح مسلم (/)، (١٩١٤).

(٦) صحيح البخاري (٨٧٤/٢)، (٢٣٤١).

وخروجًا»^(١).

وعن أبي ذر - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ مِنْ مُحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ...»^(٢).

٢ - ومن الإحسان إلى ابن السبيل غض البصر عن محارمه، وكَفُّ الْأَذَى عَنْهُ، وَرَدُّ السَّلَامِ عَلَيْهِ، وَأَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُهُ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ لِمَا رَوَى عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطَّرِيقَاتِ»، قَالُوا: مَا لَنَا بِدٍ؛ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا». قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ»^(٣).

٣ - عدم العبث بما يُسْتَظَلُّ بِهِ مِنْ أَشْجَارٍ وَغَيْرِهَا؛ لِمَا رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبْشٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ». وَسُئِلَ أَبُو دَاوُدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنْ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ مُخْتَصَرٌ يَعْنِي: مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً فِي فَلَاةٍ يَسْتَظِلُّ بِهَا ابْنُ السَّبِيلِ وَالْبَهَائِمُ عَبَثًا وَظُلْمًا، بِغَيْرِ حَقٍّ يَكُونُ لَهُ فِيهَا، صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ»^(٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «اتَّقُوا اللَّعَانِينَ». قَالُوا: وَمَا اللَّعَانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ»^(٥).

٤ - الحرص على سلامة ابن السبيل حتى يبلغ أهله؛ لِمَا رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْخَصْبِ فَأَعْطُوا الْإِبِلَ حَقَّهَا مِنَ الْأَرْضِ، وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي السَّنَةِ فَاسْرِعُوا السَّيْرَ، وَإِذَا عَرَّسْتُمْ بِاللَّيْلِ فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ؛ فَإِنَّهَا مَأْوَى الْهُوَامِ بِاللَّيْلِ»^(٦). وَفِي رَوَايَةٍ: «طَرِيقُ الدَّوَابِّ وَمَأْوَى الْهُوَامِ».

(١) فتح الباري (٤/١٥٠).

(٢) صحيح مسلم (١/٣٩٠)، (٥٥٣).

(٣) صحيح البخاري (٢/٨٧٠)، (٢٣٣٣).

(٤) سنن أبي داود (٥/٤٠٤)، (٥٢٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/١١٠٤)، (٦٤٧٦).

(٥) صحيح مسلم (١/٢٢٦)، (٢٦٩).

(٦) صحيح مسلم (٢/١٥٢٥)، (١٩٢٦).

والتعريس: النزول في أواخر الليل للنوم والراحة. (١)

قال النووي - رحمه الله -: «أرشد إليه ﷺ؛ لأن الحشرات ودواب الأرض من ذوات السموم والسباع تتمشى في الليل على الطريق لسهولةها...» (٢).

٥ - ومن الإحسان إليه الصدقة عليه، والإسهام في مشاريع الخير الدائمة لرعايته، من إيقاف العقارات وغيرها. وفي ذلك حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان! فتنحى عن ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرّة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحوّل الماء بمسحاته! فقال له: يا عبدالله ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة! فقال له: يا عبدالله: لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان، لاسمك! فما تصنع فيها؟ قال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثلثه، وأكل أنا وعيالي ثلثاً، وأرد فيها ثلثه». وفي رواية له: «وأجعل ثلثه في المساكين والسائلين وابن السبيل» (٣).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن عمر - رضي الله عنه - تصدّق بمال له على عهد رسول الله ﷺ، وكان يقال له ثَمْعٌ، وكان نخلاً، فقال عمر: يا رسول الله: إني استفدت مالاً وهو عندي أنفُس، فأردت أن أتصدق به، فقال النبي ﷺ: «تصدّق بأصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث، ولكن ينفق ثمره، فتصدّق به عمر فصدقته تلك في سبيل الله والرقاب والمساكين والضيف وابن السبيل ولذي القربى، ولا جناح على من وليه أن يأكل منه بالمعروف أو يوكل صديقه غير متمول به» (٤). الحرة: هي الأرض ذات الحجارة السود والشرجة: مسيل الماء من الحرة إلى السهل.

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ، وذكر الحديث، وفيه: «وإن هذا المال خضرة حلوة، ونعم صاحب المسلم لمن أخذه بحقه فجعله في سبيل الله واليتامى والمساكين وابن السبيل، ومن لم يأخذه بحقه فهو كالآكل الذي لا يشبع، ويكون عليه شهيداً يوم القيامة» (٥).

٦ - تطيبه وتمريضه إن احتاج إلى ذلك، وإعانته إن ألتمت به كوارث،

(١) شرح صحيح مسلم (٤/٢٠٠).

(٢) المصدر السابق.

(٣) صحيح مسلم (٣/٢٢٨٨)، (٤/٢٩٨٤).

(٤) صحيح البخاري (٣/١٠١٧)، (٣/٢٦١٣).

(٥) صحيح البخاري (٣/١٠٤٥)، (٣/٢٦٨٧).

كما هو الحال الآن في حوادث المواصلات المروعة، والقيام بواجب الأخوة الإيمانية إن مات من غسل وتكفين وصلاة عليه ودفن له. فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه أقبل هو وأبوطلحة مع النبي ﷺ، ومع النبي ﷺ صفية مردفها على راحلته فلما كانوا ببعض الطريق عثرت الناقة، فصرع النبي ﷺ والمرأة، وإن أباطلحة قال: أحسب قال: اقتحم عن بعيره، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله جعلني الله فداءك هل أصابك من شيء؟ قال: «لا، ولكن عليك بالمرأة»، فأبقى أبوطلحة ثوبه على وجهه، فقصد قصدها، فألقى ثوبه عليها، فقامت المرأة فشد لهما على راحلتهما فركبا فसारوا حتى إذا كانوا بظهر المدينة، أو قال: أشرفوا على المدينة، قال النبي ﷺ: «آيئون تائبون عابدون، لربنا حامدون»، فلم يزل يقولها حتى دخل المدينة^(١).

٧ - إيواؤه وإطعامه حتى يرحل. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته، بعد موته، علماً نشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، تلحقه من بعد موته»^(٢).

الإحسان إلى ابن السبيل والمماليك والخدم من صفات المحسنين:

قال الله - تعالى -: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦].

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أفاً قط، ولا قال لي لشيء لم فعلت كذا، وهلاً فعلت كذا^(٣).

صور من الإحسان إلى ابن السبيل والخدام والمملوك:

عن أبي عبد الرحمن السلمي - رحمه الله - قال: لما حُصر عثمان - رضي الله عنه - أشرف عليهم فوق داره ثم قال: «أذكركم بالله هل تعلمون أن حراء حين انتفض قال رسول الله ﷺ: «اثبت حراء، فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»؟ قالوا: نعم، قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في جيش العُسرة: «من ينفق نفقة متقبلة». والناس مُجْهَدُونَ

(١) صحيح البخاري (١١٢٢/٣)، (٢٩٢٠).

(٢) سنن ابن ماجه (٨٨/١) (٢٤٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٣/١) (٢٢٣١).

(٣) صحيح مسلم (١٦٢/٢) (٢٣٠٩).

معسرون، فجهزت ذلك الجيش؟ قالوا: نعم. ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن بئر رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمرن، فابتعتها، فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل؟ قالوا: نعم، وأشياء عدّها»^(١).

وعن ابن العباس - رحمه الله - أن نفرًا وردوا على عجوز في بعض البوادي يسألونها بيع شاة، فقالت: «ما كنت لأبيع ابن السبيل شيئًا، ولكن خذوها على ما عند الله...»^(٢).

- وأما صور الإحسان إلى الخادم والمملوك فمنها:
عن أبي قلابة - رحمه الله -: «أن رجلاً أتى سلمان الفارسي - رضي الله عنه - فوجده يعتجن، فقال: أين الخادم؟ فقال: أرسلته في حاجة، قال: لم يكن ليجتمع عليه شيآن! أن نرسله ولا نكفيه عمله...»^(٣).

عن رياح بن جراح العبدي - رحمه الله - قال: جاء فتح الموصلي إلى منزل صديق له يقال له عيسى التمار، فلم يجده، فقال للخادم: أخرج إليّ كيس أخي، فأخرجته ففتحه وأخذ منه درهمين، وجاء عيسى إلى منزله فأخبرته الخادم بمجيء فتح وأخذ الدرهمين، فقال: إن كنت صادقة فأنت حرة، فنظر فإذا هي صادقة، فعتقت»^(٤).

من ثمرات الإحسان إلى ابن السبيل والخادم والمملوك:
١ - أن كل ما يقدمه المحسن لهؤلاء الأصناف صدقة على نفسه له أجرها يوم القيامة.

- ٢ - أن الإحسان إليهم نماء في المال والنفس والولد.
- ٣ - أن الإحسان إليهم من موجبات رحمة الله للمحسنين.
- ٤ - أن في ذلك دليلاً على صدق الأخوة وتكافل المجتمع المسلم.

و- الإحسان إلى المجتمع :

التمهيد:

إن المحقق المنصف يستبين له من أول وهلة إذا طالع النصوص الشرعية في الإسلام أنه دين لم يهتم بأمور الآخرة فحسب، بل هو دين شامل كامل يهتم بشؤون الدنيا، والعلاقات الاجتماعية بين الناس، قريباً من اهتمامه بعلاقة الناس مع خالقهم مرتباً على ذلك الثواب والعقاب.
فإذا كان الأفراد هم أساس المجتمعات، والدعائم التي يبنى عليها كل نهضة اجتماعية، فقد عُنيت الشريعة الإسلامية أشد العناية بتربية المسلم،

(١) سنن الترمذي (٦٢٥/٥)، (٣٦٩٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٨/٣).

(٢) صفة الصفوة (٣٩٣/٤).

(٣) شعب الإيمان، للبيهقي (٤٦٥/٦)، (٨٩٢١).

(٤) الإخوان، لابن أبي الدنيا (٢٠٥/١)، (١٦٢).

فتمت فيه جوانب الخير والبناء، وَسَلَّتْ من نفسه نزعات الشر والهدم؛ ليغدو فردًا محسنًا، إذ من مجموع الأفراد المحسنين يتكون المجتمع المحسن القوي الراقى النظيف.

لذلك نجد المحسن الواعي لأحكام دينه اجتماعيًا بطبعه لا يوصد قلبه وبيته دون مجتمعه ليقطع علاقته بهم فيحيا بعيدًا عنهم؛ لأنه صاحب رسالة في الحياة، وأصحاب الرسائل لا بد لهم من الاتصال بالناس، يخالطونهم، ويعاملونهم، ويبادلونهم الأخذ والعطاء.

وهو بهذه الشخصية الاجتماعية التي استنارت بهدي القرآن، وارتوت من منهل السنة النبوية الصحيحة نسيجٌ وَحْدِهِ، وطرأزٌ رفيع في علاقة الإنسان المذهب الراقى النبيل المتحلي بمكارم الأخلاق الإسلامية، لا تلك العلاقات المصطنعة التي تخفي وراءها المآرب والأغراض النفعية فقط^(١).

ميادين الإحسان إلى المجتمع المسلم:

ميادين الإحسان إلى المجتمع المسلم كثيرة ومتنوعة، منها:

أولاً: حسن الخلق:

أ- تعريفه:

تعريفه لغة: قال ابن فارس - رحمه الله -: الحاء والسين والنون أصل واحد. فالْحُسْنُ: ضد القبح، ويقال: رجل حَسَنٌ، وامرأة حَسَنَاءُ، وحُسْنَاءُ، والحُسْنُ: الجَمَالُ^(٢).

- والْخُلُقُ: اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها^(٣).

واصطلاحاً: قال الماوردي - رحمه الله -: الأخلاق: غرائز

كامنة، تظهر بالاختبار، وتقهر بالاضطرار^(٤).

وقال في موضع آخر: حسن الخلق: أن يكون سهل العريكة، لين

الجانب، طلق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة^(٥).

وقال الجرجاني: الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها

الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث

يصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة، سميت الهيئة خلقاً حسناً،

وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقاً

سيئاً، وإنما قلنا إنه هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الدور

(١) انظر: شخصية المسلم ص (٢١٥).

(٢) المقاييس (٥٧/٢).

(٣) المقاييس (٢١٤/٢).

(٤) تسهيل النظر وتعجيل الظفر (٥).

(٥) أدب الدنيا والدين (٢٣٧).

بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه^(١).

وعن عبدالله بن المبارك - رحمه الله - في تفسير حسن الخلق، قال: «هو: طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى»، وعنه قال: «حسن الخلق أن لا تغضب ولا تحقد»^(٢).

وقال الإمام أحمد - رحمه الله -: «حسن الخلق أن لا تغضب ولا تحقد»^(٣).

تحسين الأخلاق وتقويمها:

من الأخلاق ما هو جبلي، وما هو مكتسب، وقد أخطأ من قال إن الأخلاق غرائز نفسية لا يمكن تقويمها، يرد ذلك النصوص الشرعية التي تقرر أن الأخلاق الكريمة منها ما يطبع عليه صاحبه، وهذا محض فضل من الله - تعالى -، ومنها ما يمكن تحصيله بالمجاهدة، وفي حديث أشج عبد القيس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «إن فيك خلتين يحبهما الله: الحلم والأناة». قال: يا رسول الله، أنا أتخلق بهما أم جبلني عليهما أو حديثاً؟ قال: «بل الله جبلك عليهما»، قال: «الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما»^(٤).

وعقب ابن حجر - رحمه الله - على هذا الحديث بقوله: «فترديده السؤال وتقريره عليه يشعر بأن في الخلق ما هو جبلي، وما هو مكتسب»^(٥). ونقل عن القرطبي قوله: «الخلق جبلة في نوع الإنسان، وهم في ذلك متفاوتون، فمن غلب عليه شيء منها، إن كان محموداً، وإلا فهو مأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محموداً، وكذا إن كان ضعيفاً فيرتاض صاحبه حتى يقوى»^(٦).

ومن الأدلة على إمكانية تحسين الأخلاق وتقويمها:

- ١ - أن الله أمر بحسن الخلق، فكيف يأمر بما لا طاقة إليه، كما قال - تعالى -: ﴿وَاحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].
- ٢ - أن الرسول ﷺ كان يدعو الله - تعالى - في حسن الخلق، فكيف يدعو الله إلى ما لا سبيل إليه.

(١) التعريفات، للجزجاني (١٠٤).

(٢) جامع العلوم والحكم (١٦٠).

(٣) جامع العلوم والحكم (١٦٠).

(٤) سنن أبي داود (٣٩٥/٥) (٥٢٢٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٨١) (٤٣٥٤).

(٥) فتح الباري (١٠/٤٥٩).

(٦) المصدر السابق.

٣ - أنه بالمشاهدة نرى تغير أخلاق الناس وحتى الحيوانات، كل ذلك دليل واضح، ولم يبق عذر لسيء الخلق في مجاهدة نفسه إلى حسن الخلق^(١).

أقسام حسن الخلق:

قال ابن القيم - رحمه الله -: «حسن الخلق قسمان: أحدهما مع الله - عز وجل - وهو أن تعلم أن كل ما يكون منك يوجب عذراً، وأن كل ما يأتي من الله يوجب شكراً، فلا تزال شاكراً له معتذراً إليه سائراً إليه بين مطالعة مَنِّهِ، وشهود عيب نفسك وأعمالك.

والثاني: حسن الخلق مع الناس، وجماعه أمران: بذل المعروف قولاً وفعلاً، وكف الأذى قولاً وفعلاً. وهذا إنما يقوم على أركان خمسة: العلم، والجود، والصبر، وطيب العود، وصحة الإسلام.

(١) أما العلم: فلأنه به يعرف معالي الأخلاق وسفاسفها، فيمكنه أن يتصف بهذا ويتحلى به، ويترك هذا ويتخلى عن هذا.

(٢) وأما الجود: فسماحة نفسه وبذلها وانقيادها لذلك إذا أَرَادَهُ منها.

(٣) وأما الصبر: فلأنه إن لم يصبر على احتمال ذلك والقيام بأعبائه لم يتهياً له.

(٤) وأما طيب العود: فَأَنْ يَكُونَ اللهُ - تعالى - خَلَقَهُ عَلَى طَبِيعَةٍ مُنْقَادَةٍ سَهْلَةٍ لِلانْقِيَادِ، وَسَرِيعَةٍ لِلانْقِيَادِ لِدَاعِي الْخَيْرَاتِ.

(٥) وأما صحة الإسلام: فهي جِماع ذلك، والمصحح لكل خلق حسن، فإنه بحسب قوة إيمانه وتصديقه بالجزاء، وحسن موعود الله وثوابه، يسهل عليه تحمل ذلك ويلدُّ له الاتصاف به، والله الموفق والمعين^(٢).

وقال القزويني - رحمه الله -: ومعنى حسن الخلق: «سلامة النفس نحو الأَرْفَقِ الْأَحْمَدِ مِنَ الْأَفْعَالِ، وقد يكون ذلك في ذات الله - تعالى -، وقد يكون فيما بين الناس»^(٣).

أما ما يتعلق بذات الله - عز وجل - فهو: «أن يكون العبد منشرح الصدر بأوامر الله - تعالى - ونواهيه، بفعل ما فُرضَ عليه، طيب النفس به، سَلِسًا نَحْوَهُ، وينتهي عما حرم عليه، راضياً به، غير متضجر منه، ويرغب في نوافل الخير، ويترك كثيراً من المباح لوجهه - تعالى - وتقَدَّسَ -، إذا رأى أن تركه أقرب إلى العبودية من فعله، مستبشراً لذلك، غير ضَجِرٍ منه، ولا

(١) انظر: نحو ثقافة إسلامية، للأشقر (١٦٢ - ١٦٣).

(٢) تهذيب السنن، شرح سنن أبي داود (١٣٠/١٣).

(٣) مختصر شعب الإيمان (١١٦).

متعسر به» .

أما في المعاملات بين الناس فهو: «أن يكون سمحاً لحقوقه، لا يطالب غيره بها، ويوفي ما يجب لغيره عليه منها، فإن مرض ولم يعد، أو قدم من سفر فلم يزر، أو سلم فلم يرد عليه، أو ضاف فلم يكرم، أو شفع فلم يجب، أو أحسن فلم يشكر، أو دخل على قوم فلم يمكّن، أو تكلم فلم ينصت له، أو استأذن على صديق فلم يؤذن له، أو خطب فلم يزوّج، أو استمهل الدّين فلم يمهل، أو استنقص منه فلم ينقص، وما أشبه ذلك، ولم يغضب، ولم يعاقب، ولم يتنكر من حاله حالاً، ولم يستشعر في نفسه أنه قد حُفي وأوحش، وأنه لا يقابل كل ذلك إذا وجد السبيل إليه بمثله، بل يضمّر أنه لا يعتد بشيء من ذلك، ويقابل كلّاً منه بما هو أحسن وأفضل وأقرب منه إلى البر والتقوى، وأشبه بما يُحمَدُ ويُرضَى، ثم يكون في إيفاء ما يكون عليه، كهو في حفظ ما يكون له، فإذا مرض أخوه المسلم عادة، وإن جاء في شفاقة شقّعه، وإن استمهل في قضاء دين أمهله، وإن احتاج منه إلى معونة أعانه، وإن استسمحه في بيع سمح له، ولا ينظر إلى أن الذي يعامله كيف كانت معاملته إياه فيما خلا، وكيف يعامل الناس، إنما يتخذ الأحسن إماماً لنفسه، فينحو نحوه ولا يخالفه»^(١).

وقد أحسن القاضي عياض - رحمه الله - عندما قال: «وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها، وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلاً عما فوقه، وأثنى الشرع على جميعها، وأمر بها، ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها، ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة، وهي المسماة بحسن الخلق، وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها، والتوسط فيها دون الانتهاء في كمالها، والاعتدال إلى غايتها»^(٢).

وكل ما سبق ذكره عن أنواع وأقسام حسن الخلق إنما هو على سبيل الإجمال والتمثيل وذكر الأهم وليس على سبيل الحصر وفيما تقدم من أول هذه الرسالة، وما سيأتي بيان لجملته وافرة من أنواع حسن الخلق.

وقد قرر الفيروزآبادي - رحمه الله - أن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر والعفة والشجاعة والعدل. فالصبر يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ وإماطة الأذى والحلم والأناة والرفق وعدم الطيش والعجلة.

(١) مختصر شعب الإيمان (١١٦ - ١١٧).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ (١/١٢٦).

والعفة تحمله على اجتناب الرذائل والقبیح من القول والفعل . وتحمله على الحياء وهو ركن كل خير ، وتمنعه من الفحش والبخل والكذب والغيبة والنميمة .

والشجاعة تحمله على عزة النفس ، وإيثار معالي الأخلاق والشيم ، وعلى البذل والندى الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته ، وتحمله على كظم الغيظ والحلم فإنه بقوة نفسه وشجاعته يمسك عنانها ويكبحها بلجامها عن السطوة والبطش ؛ كما قال النبي ﷺ : «ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» . وهذه هي حقيقة الشجاعة ، وهي ملكة يقتدر معها على قهر خصمه .

والعدل يحمله على اعتدال أخلاقه وتوسطه بين طرفي الإفراط والتفريط ، فيحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الإمساك والتقتير ، وعلى خلق الحياء الذي هو توسط بين الذلة والقحة ، وعلى خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور ، وعلى خلق الحلم الذي هو توسط بين الغضب والمهانة . والتوسط منشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة^(١) .

مكانة حسن الخلق وفضله:

لم يعط الإنسان نعمة هي أجمل ولا أفضل من حسن الخلق ، ولا يسع الناس منك شيء مثل حسن الخلق ، وإن كاد حسن الخلق ليذهب بخيري الدنيا والآخرة . وأهله المؤمنون هم صفوة الله - تعالى - في الأرض ، ولولاهم لأظلمت الدنيا على كل ذي مروءة . وقد جاءت آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية تترى تأمر به ، وتنهى عن ضده ، وترفع شأن أهله . فقال - تعالى - في الإحسان إلى الناس فعلاً وقولاً : ﴿ وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا قَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣] .

وقال - تعالى - : ﴿ وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣] .

وقال - تعالى - : ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٦] .

وقال - تعالى - : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُمْ

(١) بصائر ذوي التمييز (٢/٥٦٩) .

مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقال - تعالى - : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت: ٣٣ - ٣٥].

ومن خصال الأخلاق الكريمة ما ذكره الله من صفات عباده المخلصين بقوله - تعالى - : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ ﴿٢٧﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿٢٩﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٣٠﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٣٣﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٣٤﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٣٧﴾ [الفرقان: ٦٢ - ٧٢].

وبالأخلاق كان الصالحون يوصون أتباعهم كما حكى الله - تعالى - عنهم بقوله - تعالى - : ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ﴿١٧﴾ وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظِضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [لقمان: ١٧ - ١٩].

وقال - تعالى - : مادحًا عبده ورسوله محمدًا ﷺ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم: ٤].

قال ابن القيم - رحمه الله - : «جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تُصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته»^(١).

ولعل من الأحسن أن نقول إن حسن الخلق يصلح ما بين العبد وربّه، وما بينه وبين الناس؛ لأن النبي ﷺ كان حسن الخلق، وإنما كان يتخلق بما في القرآن، يمثّل أوامره ويجتنب نواهيه، ويقف عند متشابهه، كما ورد عن أمنا عائشة - رضي الله عنها -، أن سعد بن هشام سألها فقال: يا أم

(١) الفوائد (٧٥).

المؤمنين: أنبئني عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»^(١).

وذلك استجابة منه ﷺ لوصية الله - تعالى - بحسن الخلق كما في حديث عبدالله بن الزبير - رضي الله عنهما - في قوله - تعالى -: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وعنه - أيضًا - قال: أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس، أو كما قال^(٢).

ومن هنا عظم النبي ﷺ شأن الخلق الحسن وسمو مكانته، ورفعة درجاته حتى جعل البر تلك الكلمة الجامعة لخصال الخير قاطبة كله أو أعظم خصاله هو حسن الخلق، فعن النواس بن سمعان - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»^(٣).

وقد أدرك النبي ﷺ أن حسن الخلق خير نعمة أعطيها العبد، فعن أسامة بن شريك - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «خير ما أعطي الناس خُلُقٌ حسن»^(٤).

وهكذا يسمو الرسول ﷺ بمكانة الخلق الحسن حتى حصر رسالته ﷺ فيه، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»^(٥).

كما جعل النبي ﷺ حسن الخلق شارة واضحة للخيرية وكمال الإيمان، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم خلقًا»^(٦).

وقد كان النبي ﷺ يدعو الله - تعالى - في حسن الخلق، كما روى عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم كما

(١) صحيح مسلم (٥/٢)، (٧٤٦).

(٢) صحيح البخاري، الفتحة (٣٠٥/٨)، (٤٦٤٣)، (٤٦٤٤).

(٣) صحيح مسلم (١٩٠٨/٣)، (٢٥٥٣).

(٤) سنن ابن ماجه (١١٣٧/٢) (٣٤٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٧/١)، (٣٣٢١).

(٥) مسند أحمد (٨٠/٣) (٨٧٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٤/١)، (٢٣٤٩).

(٦) سنن الترمذي (٤٥٧/٣)، (١١٦٢)، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٦/١)، (١٢٣٢).

أَحْسَنْتَ خَلْقِي، فَأَحْسَنْ خُلُقِي»^(١).

وقد كان ﷺ يوصي بحسن الخلق أحسن وصاة، فعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»^(٢).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما بلغ أباذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم ائتني، فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلامًا ما هو بالشعر...»^(٣).

وأخبر ﷺ عن حبه لذوي الخلق الحسن وشدة قربهم منه يوم القيامة، كما روى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنْ مِنْ أَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الثَّرَاوُونَ، وَالتَّشْدِقُونَ، وَالتَّمْتِيقُونَ». قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والتشدقون، فما التمتيقون؟ قال: «المتكبرون»^(٤).

ومن فضائل حسن الخلق ما روي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنْ الْمُؤْمِنُ لِيدْرِكُ بِحَسَنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»^(٥).

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَا مِنْ شَيْءٍ يَوْضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلَ مِنْ حَسَنِ الْخَلْقِ، وَإِنْ صَاحِبُ حَسَنِ الْخَلْقِ لِيَبْلُغَ بِهِ دَرَجَةَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ»^(٦).

صور من أخلاق المحسنين:

من تلك الصور الراقية عن الخلق الحسن ما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «خدمت النبي ﷺ، عشر سنين فما قال لي أفٍّ، ولا

(١) مسند أحمد (١/٦٦٥)، (٣٨١٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٢٨٠)، (١٣٠٧).

(٢) سنن الترمذي (٤/٣٥٥)، (١٩٨٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/٨١)، (٩٧).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٧/١٧٥)، (٣٨٦١).

(٤) سنن الترمذي (٤/٣٧٠)، (٢٠١٨)، وقال: هذا حديث حسن، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/٤٤٩)، (٢٢٠١).

(٥) سنن أبي داود (٥/١٤٩)، (٤٧٩٨). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩١١)، (٤٠١٣).

(٦) سنن الترمذي (٤/٢٠٠٣).

لَمْ صَنَعْتُ، وَأَلَا صَنَعْتُ»^(١).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قطُّ بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما ينل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن يُتَّهَكَ شيءٌ من محارم الله فينتقم الله - عز وجل -^(٢).

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «ما رأيت رجلاً اتَّعَمَ أذن رسول الله ﷺ فيئَحِّي رأسه، وما رأيت رجلاً أخذ بيده فترك يده، حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده».

وفي رواية للترمذي قال: «كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده، حتى يكون الرجل الذي ينزع، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه، ولم ير مقدماً ركبتيه بين جليسه له»^(٣).

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء، ضربه قومه، فأدموه فهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»^(٤).

من ثمرات حسن الخلق:

١ - أنه من أعظم وأشرف الطاعات.

٢ - أنه نماء وسعادة للفرد والمجتمع. قال الماوردي - رحمه الله -: «إذا حَسُنَتْ أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقل معادوه، فتسهَّلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب»^(٥).

وقال أحد البلغاء - رحمه الله -: «الحسن الخُلُق من نفسه في راحة، والناس منه في سلامة، والسَّيِّئ الخُلُق الناسُ منه في بلاء، وهو من نفسه في عناء».

٣ - أنه يدل على صفاء النفس واعتدال الطباع.

ومما سبق يتبين أن من الإحسان إلى المجتمع، حسن الخلق؛ لذلك وجب على كل مرید للإحسان، أن يحسن خلقه؛ لينعم وينعم به غيره، وتسير الحياة الاجتماعية في يسر وسهولة وهناء.

(١) صحيح البخاري (٢٢٤٥/٥)، (٥٦٩١).

(٢) صحيح مسلم (١٨١٤/٢)، (٢٣٢٨).

(٣) سنن أبي داود (١٤٦/٥)، (٤٧٩٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩١٠/٣)، (٤٠٠٩).

(٤) صحيح البخاري، الفتح (٣٠٥/١٢)، (٦٩٢٩).

(٥) أدب الدنيا والدين (٢٣٦).

ثانيًا: حسن المعاملة:

التمهيد:

يقول الراغب - رحمه الله -: «اعلم أنه لما صعب على كل أحد أن يحصل لنفسه أدنى ما يحتاج إليه إلا بمعاونة عدة رجال له، فلقمة طعام لو عددنا تعب محصلها من الزراعة والطحان والخباز وصناع آلاتها لصعب حصره، احتاج الناس أن يجتمعوا فرقة فرقة، فيتظاهروا، ولأجل ذلك قيل: الإنسان مدني بالطبع، أي: لا يمكنه التفرد عن الجماعة بعيشه، بل يفترق الناس بعضهم إلى بعض، سخر الله كل واحد من كافتهم لصناعة ما يتعاطاها، وجعل بين طبائعهم وصنائعهم مناسبات خفية، واتفاقات سماوية، يؤثر الواحد بعد الواحد حرفة من الحرف ينشرح صدره بملاستها، وتطيعه قواه بمزاولتها، فإذا جعل إليه صناعة أخرى فربما وجد متبلاً أو متبرماً بها، وقد سخرهم الله - تعالى - لذلك لئلا يختاروا بأجمعهم صناعة واحدة فتبطل الأقوات والمعاونات، ولولا ذلك لما اختاروا من الأشياء إلا أحسنها، ومن البلاد إلا أطيبها، ومن الصناعات إلا أنظفها، ومن الأعمال إلا أرفعها... قال الله - تعالى -: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾... [الزخرف: ٣٢]»^(١).

ومن هذا التشابك بين مصالح الناس، وعدم استغناء بعضهم عن بعض، احتاجوا إلى الخلق الحسن في تعاملهم لدوام المنفعة واستمرارها في يسر وسهولة، والعيش في سعادة وهناء بما يرضي الله - عز وجل -.

تعريف حسن المعاملة:

تعريف الحسن:

تقدم قريباً تعريفه في حسن الخلق.

المعاملة لغة: مصدر عامل، وهذا المصدر مأخوذ من مادة (ع م ل) التي تدل على كل فعل يُفَعَّلُ^(٢).

المعاملة اصطلاحاً:

قال التَّهَانَوِيُّ - رحمه الله -: «المعاملة عند الفقهاء عبارة عن العقد على العمل ببعض الخراج، وتطلق المعاملات أيضاً على الأحكام الشرعية المتعلقة بأمر الدنيا باعتبار بقاء الشخص كالبيع والشراء والإجارة ونحوها»^(٣).

(١) الذريعة (٢٦٢، ٢٦٣).

(٢) المقاييس، لابن فارس (١٤٤/٤).

(٣) كشف اصطلاحات الفنون (١٠٣٦/٣).

حسن المعاملة اصطلاحاً:

يمكن من التعاريف السابقة أن يقال: إن حسن المعاملة هو: الوفاء بما أبرمه الإنسان من عقود مع غير، مع الإحسان إليه.

أقسام حسن المعاملة:

يمكن تقسيم حسن المعاملة إلى قسمين:

الأول: حسن المعاملة الدنيوية: وهي الوفاء بالعقود والعهود مع الناس، مع الإحسان إليهم. قال الله - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

والثاني: حسن المعاملة الأخروية، وهي: الوفاء بالعهود التي أخذها الله على الإنسان وهو في ظهر أبيه آدم - عليه السلام - بإفراده وحده دون سواه بالعبادة والإحسان في أدائها.

قال الله - تعالى -: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

الفرق بين حسن المعاملة وحسن العشرة:

أن كل عشير مُعاملٌ، وليس كل مُعاملٍ عشيرٌ. بمعنى أن العشير أخص من حيث القرب، والمعامل أوسع من حيث العدد.

قال ابن فارس - رحمه الله -: «المُعَاشَرَةُ مصدر قولهم: عاشرت فلاناً، إذا خالطته، وكلاهما مأخوذ من مادة (ع ش ر) التي تدل على المخالطة والمداخلة^(١).

أقسام حسن العشرة:

يمكن تقسيم حسن العشرة إلى قسمين:

الأول: حسن العشرة مع النساء، وهو الغالب في الاستعمال، والمراد بالنساء الزوجات، وقيل عموم النساء والعشير الأغلب فيه الزوج، ويحتمل الجميع زوجاً كان أم ولياً. والمراد بحسن العشرة من الزوج توفية المرأة حقها من المهر والنفقة والسكنى وغيرها مما يجب عليه وزيادة، وألا يكون فظاً ولا غليظاً، ولا مظهرًا ميلاً إلى غيرها، وقيل حسن العشرة مع المرأة أن يتصنع لها كما تتصنع له^(٢). قال الله - تعالى -: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

والثاني: حسن العشرة مع عامة الناس:

(١) المقاييس (٤/ ٣٢٥).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٥/ ٩٧).

وقد قيل: إذا أردت حسن المعاشرة فإلقِ عدوك وصديقك بالطلاقة، ووجه الرضا والبشاشة، ولا تنظر في عِطْفَيْكَ، ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات. وإذا جلست فلا تتكبر على أحد، تحفظ من تشبيك أصابعك، ومن العبث بلحيتك، ومن اللعب بخاتمك، وتخليل أسنانك، وإدخال إصبعك في أنفك، وكثرة بصاقتك، وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس، وفي الصلاة، وليكن مجلسك هادئاً، وحديثك منظوماً مرتباً، وأصغ إلى كلام مُجالسك. واسكت عن المضاحك، ولا تتصنع المرأة في التزين، ولا تُلح في الحاجات. ولا تشجع أحداً على الظلم، وإذا خاصمت فأنصف، وتحفظ من جهلك، وتجنب عجلتك، وتفكر في حُجتك، ولا تكثر الإشارة بيدك، ولا الالتفات إلى من وراءك، واهديء غضبك وتكلم، وإذا قربك سلطان فكن منه على حذر، واحذر انقلابه عليك، ولا يحملنك لطفه بك على تدخل بينه وبين أهله وحشمه، وإن كنت لذلك مستحقاً عنده. وإياك وصديق العافية فإنه أعدى الأعداء، ولا تجعل مالك أكرم من عِرْضِكَ. ولا تجالس الملوك؛ فإن فعلت فالتزم ترك الغيبة، ومجانبة الكذب، وصيانة السر، وقلة الحوائج، وعليك بتهذيب الألفاظ، والمذاكرة بأخلاق الملوك والحذر منهم، وإن ظهرت المودة. ولا تتجشأ بحضرتهم، ولا تخلل أسنانك بعد الأكل عندهم، ولا تجالس العامة، فإن فعلت فآداب ذلك ترك الخوض في حديثهم، وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم، والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم، وإياك أن تمازح لبيباً أو سفيهاً؛ فإن اللبيب يحقد عليك، والسفيه يتجرأ عليك، ولأن المزاح يخرق الهيبة، ويذهب بماء الوجه، ويعقب الحقد، ويذهب بحلاوة الإيمان والود، ويشين فقه الفقيه، ويجرئ السفیه، ويميت القلب، ويباعد عن الرب - تعالى -، ويكسب الغفلة والذلة. ومن بُلي في مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه^(١).

شمولية حسن المعاملة:

تقرر الشريعة الإسلامية الغراء أن حسن المعاملة يدخل في كل شيء بين الإنسان وغيره، يؤيد ذلك المفهوم حديث أبي يعلي، شداد بن أوس - رضي الله عنه -، عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحُدِّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته»^(٢). ومعنى كتب: فرض وأوجب، وقوله: «على كل شيء» أي: في كل شيء، أو إلى كل شيء. وإفادة كل شيء، عموم

(١) المستطرف (١/ ١٨٦ - ١٨٧).

(٢) صحيح مسلم (٢/ ٧٢٦)، (١٩٥٥).

الأشياء، وما بقي من الحديث مثال لحسن المعاملة.

وعن عائشة - رضي الله عنها - وذكرت قصة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله»^(١).

وفي رواية عنها - رضي الله عنها -، عن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(٢).

وفي رواية ثالثة لها - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»^(٣).

ضوابط في حسن المعاملة، منها:

١ - أن يؤدي المحسن ما أمره الله - تعالى - به بإتقان وإخلاص، وكأنه يرى ربه - تعالى - معتذراً إليه - تعالى - عن النقصان، وأن لا يرى عمله صالحاً لربه، فهو مع إحسانه معتذر في إحسانه؛ لقوله - تعالى -: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٦].

٢ - أن يحب المحسن لغيره ما يحبه لنفسه من الخير، ويعاملهم بالذي يحب أن يعاملوه به، فيعطيهم حقوقهم كاملة موفورة، وقد نصح لهم غاية النصح وأرضاهم كل الرضا مما يقدر عليه. فعن أنس - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٤).

٣ - أن تعلم أيها المحسن أن لك ذنباً بينك وبين الله تخاف عواقبها وترجوه أن يعفو عنها ويغفرها لك، ويهبها لك، ومع هذا لا يقتصر على مجرد العفو والمسامحة حتى ينعم عليك ويكرمك ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمله، فإذا كنت ترجو هذا من ربك أن يقابل به إساءتك فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه، وتقابل به إساءتهم ليعاملك الله هذه المعاملة، فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقلك يفعل الله معك في ذنوبك وإساءتك جزاءً وفاقاً...»^(٥).

فعن أبي مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسراً، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله - عز

(١) صحيح البخاري (٢٢٤٢/٥)، (٥٦٧٨).

(٢) صحيح مسلم (٢٠٠٤/٣)، (٢٥٩٤).

(٣) صحيح مسلم (٢٠٠٣/٣)، (٢٥٩٢).

(٤) صحيح البخاري: (١٤/١)، (١٣).

(٥) بدائع الفوائد: (٤٦٨/٢).

وجل - : «نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه»^(١).

صور من حسن معاملة المحسنين:

١ - ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه، فأغلظ، فهِمَّ به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً». ثم قال: «أعطوه سنّاً مثل سنّه». قالوا: يا رسول الله إلا أمثلك من سنّه. قال: «أعطوه، فإن من خيركم أحسنكم قضاء»^(٢).

٢ - وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد. نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مُر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء»^(٣).

٣ - وعن زياد بن الربيع اليُحْمِدي، عن أبيه، قال: «رأيت محمد بن واسع يبيع حماراً بسوق (بَلَخَ)، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيت له لم أبعه»^(٤).

٤ - وروي أن الحسن البصري - رحمه الله - باع بَغْلَةً له بأربعمائة درهم، فلما استوجب المال قال له المشتري: اسمح لي يا أباسعيد، قال: «قد أسقطت عنك مائة». قال له: «فأحسن يا أباسعيد». فقال: «قد وهبت لك مائة أخرى»، فقبض من حقه مائتي درهم، فقليل له: «يا أباسعيد: هذا نصف الثمن»، فقال: «هكذا يكون الإحسان، وإلا فلا»^(٥).

من فوائد حسن المعاملة:

- ١ - أن فيها مرضاة الله - تعالى - وعظم الأجر والمغفرة.
 - ٢ - يزيد الألفة بين المسلمين، ويُعمق روح الأخوة الإيمانية لديهم.
 - ٣ - تكسب ثقة الآخرين مما يُديم التعامل معهم.
 - ٤ - تيسير مصالح الناس ورفع المشقة عنهم.
 - ٥ - تنزع الغل والحقد والحسد من القلوب المريضة.
- لذلك وجب على أهل الإحسان حسن معاملة غيرهم، وأن يكونوا نموذجاً فريداً وقدوة حسنة حتى يعم السرور ويغتبط المجتمع بأفراده ومقدراته.

(١) صحيح مسلم: (١٠٩٥/٢) (١٥٦١).

(٢) صحيح البخاري - الفتح -: (٤٨٣/٤) (٢٣٠٦).

(٣) صحيح البخاري - الفتح -: (٢٥١/٦) (٣١٤٩).

(٤) الورع، لابن أبي الدنيا: (١٠٦).

(٥) إحياء علوم الدين: (٨١/٢).

ثالثاً: الكرم :

الكرم لغة:

مصدر قولهم: (كَرَّمَ) فلان يَكْرُم، وهو مأخوذ من مادة (ك ر م) التي تدل على شرف في الشيء في نفسه أو شرف خُلُقٍ من الأخلاق^(١).
وقال الجوهري - رحمه الله -: «الكرم ضد اللؤم»^(٢).
والكريم: الذي كَرَّمَ نفسه عن التدنس بشيء من مخالفة ربه، وهو - أيضاً - واسع الخُلُق^(٣).

واصطلاحاً:

قال ابن مسكويه: «الكرم: إنفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر، الكثيرة النفع»^(٤).
وقيل: هو التبرع بالمعروف قبل السؤال، والإطعام في المَحَلِّ، والرأفة بالسائل مع بذل النائل^(٥).
وقيل: هو الإعطاء بالسهولة^(٦).
وقيل: الكرم هو إفادة ما ينبغي لا لغرض، فمن يهب المال لغرض جلباً للنفع، أو خلاصاً عن الدم، فليس بكريم. فالكريم من يوصل النفع بلا عَوَضٍ^(٧).

أنواع الكرم:

قال الكفوي: الكرم إن كان بمال فهو جود. وإن كان بكف ضرر مع القدرة فهو عفو. وإن كان ببذل النفس فهو شجاعة^(٨).
وقال الفيروزآبادي - رحمه الله -: «والكرم إذا وُصِفَ به الله فهو اسم لإحسانه وإنعامه، وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه، ولا يقال: هو كريم حتى يظهر منه ذلك. قال بعض العلماء: الكرم كالحرية، إلا أن الحرية قد تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة، والكرم لا يقال إلا في الكبيرة؛ كإنفاق مال في تجهيز جيش الغزاة، وتحمل حمالة ترفاً بها دماء قوم. وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

(١) لسان العرب: (٧/٣٦٨١ - ٣٦٨٤)، ومقاييس اللغة: (١٧٢/٥).

(٢) الصحاح: (٦/٢٠١٩ - ٢٠٢١).

(٣) بصائر ذوي التمييز: (٣/٤٣).

(٤) تهذيب الأخلاق: (٣٠).

(٥) التعريفات: (١٨٤).

(٦) الإحياء: (٣/٢٤٦).

(٧) التوقيف على مهمات التصاريف: (٢٨١).

(٨) الكليات: (٥٣).

عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَرَّبُكُمْ ﴿ [الحجرات: ١٣]، إنما كان كذلك لأن الكرم الفعال المحمود، وأكرمها ما يقصد به أشرف الوجوه، وأشرف الوجوه ما يقصد به وجه الله، فمن قصد به ذلك فهو التقى. فإن أكرم الناس أتقاهم، وكل شيء يُشْرَفُ في بابه وَصِفَ بالكرم، نحو قوله - تعالى -: ﴿ أَتَلْبَنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٧]، ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ [الواقعة: ٧٧]، ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الاسراء: ٢٣] ^(١).

الفرق بين الكرم والجود:

قال الكفوي: «الكرم يكون مسبوقاً باستحقاق السائل والسؤال منه. والجود: صفة ذاتية للجواد ولا يستحق بالاستحقاق والسؤال، والجواد يطلق على الله - تعالى -، دون السخي». وقال أبو هلال العسكري: «الجود: كثرة العطاء من غير سؤال من قولك: جادت السماء إذا جاءت بمطر غزير، والله - تعالى - جواد لكثرة عطائه فيما تقتضيه الحكمة».

أما الكرم: فيتصرف على وجوه: منها: العزة، ومنها الفضل، ومنها الحُسْنُ، ومنها التفضيل، ومنها طيب النفس قليلاً كان أو كثيراً، والجود سعة العطاء سواء أكان عن طيب نفس أو لا، ويجوز أن يقال: الكرم هو إعطاء من يريد (المُعْطِي) إكرامه وإعزازه، والجود قد يكون كذلك، وقد لا يكون ^(٢).

مكانة الكرم وفضله:

إن الكرم من أفضل خلائق الإسلام وأحسن شمائل المحسن الاجتماعية، فعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تُطْعَمُ الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» ^(٣).

وقال جعفر الصادق - رضي الله عنه -: «لا مال أعون من العقل، ولا مصيبة أعظم من الجهل، ولا مظاهرة كالمشاورة، ألا وإن الله - عز وجل - يقول: «إني جواد كريم، لا يجاورني لئيم». واللؤم من الكفر، وأهل الكفر في النار، والجود والكرم من الإيمان، وأهل الإيمان في الجنة» ^(٤). وقال عبدالله بن الحارث - رحمه الله -: «من لم يكرم ضيفه فليس من

(١) بصائر ذوي التمييز: (٣٤٣/٤ - ٣٤٤).

(٢) انظر الكليات: (٣٥٣)، والفروق اللغوية: (١٦٧، ١٦٨).

(٣) صحيح البخاري: (١٩/١) (٢٨).

(٤) الإحياء: (٢٦١/٣).

محمد ﷺ ولا من إبراهيم - عليه السلام»^(١).

وقال الحسن بن علي - رضي الله عنهما -: «المروءة: حفظ الرجل دينه، وحذرُهُ نَفْسَهُ، وحسن قيامه بضيافته، وحسن المنازعة، والإقدام في الكراهية، والنجدة: الذبُّ عن الجد، والصبر في المَوَانِ. والكرم: التبرع بالمعروف قبل السؤال، والإطعام في المَحَلِّ، والرأفة بالسائل مع بذل النائل»^(٢).

والكرمُ مِنْ شَرَفِ مَكَانِهِ ونَفَاسَةِ شَأْنِهِ اتصف الله - تعالى - به وأحبه. كما روى سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كريم يحب الكرم، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سَفْسَافَهَا»^(٣).

وعن سلمان الفارسي - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «إن الله حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أن يردهما صَفْرًا»^(٤). قال الله - تعالى -: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥].

وقد أمر رسول الله ﷺ بالكرم كما جاء عن أبي شريح العدوي - رضي الله عنه - قال: سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلم النبي ﷺ فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته»، قيل: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»^(٥).

وقد وصف الرسول ﷺ المؤمن بالكرم، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن غرٌّ كريم، والفاجر خبٌّ لئيم»^(٦). والغرُّ: ليس بذئ نكراً^(٧)، والخبُّ: الرجل الخداع^(٨).

(١) مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا: (١١٠).

(٢) الإحياء: (٢٤٦/٣).

(٣) مستدرک الحاكم: (١١١/١) (١٥١). واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد، والطبراني في الكبير: (١٨١/٦)، وقال العراقي في تخريج الإحياء: إسناده صحيح: (٣٤٤/٣)، وعزاه للخرائط في مكارم الأخلاق والبيهقي، وذكره الألباني في الصحيحة: (٣٣٦، ٣٣٧)، وصححه في صحيح الجامع: (٣٧٠/١) (١٨٠١).

(٤) سنن الترمذي: (/) (٣٥٥٦)، وسنن أبي داود: (١٦٥/٢) (١٤٨٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: (٢٧٨/١) (١٣٢٠).

(٥) صحيح البخاري - الفتح -: (٥٢١/١٠) (٦٠١٩).

(٦) سنن أبي داود: (١٤٤/٥) (٤٧٩٠)، وصححه الألباني في الصحيحة: (٦٤٤/٢) (٩٣٥).

(٧) النهاية (٣٥٤/٣).

(٨) النهاية (٤/٢).

وقال عبدالله بن جعفر - رضي الله عنه -: «أمطرُ المعروف مطرًا، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلاً، وإن أصاب اللئام كنت له أهلاً»^(١).

قال ابن تيمية - رحمه الله -: «إن الجميع يتمادحون بالشجاعة والكرم، حتى إن ذلك عامة ما تمدح به الشعراء ومدوحهم في شعرهم، وكذلك يتدأمون بالبخل والجبن، ثم قال: ولما كان صلاح بني آدم لا في دينهم ولا دنياهم إلا بالشجاعة والكرم، يَبَيِّنُ الله - سبحانه - أنه من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك، ومن تولى عنه بإنفاق ماله أبدل الله به من يقوم بذلك، فقال: ﴿هَاتِئْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِنُفْقَائِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

ثم قال - رحمه الله -: وبالشجاعة والكرم في سبيل الله فضل الله السابقين، فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠]. وقد ذكر الجهاد بالنفس والمال في سبيله ومدحه في غير آية من كتابه، وذلك هو الشجاعة والسماحة في طاعته - سبحانه - وطاعة رسوله ﷺ^(٢).

وقال عبدالرحمن بن مهدي - رحمه الله -: «ليتي الرجل دناءة الأخلاق كما يتقي الحرام؛ فإن الكرم دين»^(٣).

وقال مالك بن دينار -: رحمه الله -: «المؤمن كريم في كل حال، لا يحب أن يؤذي جاره، ولا يفتقر أحد من أقربائه، ويبكي وهو يقول: وهو - والله - مع ذلك غني القلب، لا يملك من الدنيا شيئاً، إن أزلته عن دينه لم يزل، وإن خدعته عن ماله انخدع، لا يرى الدنيا من الآخرة عوضاً، ولا يرى البخل من الجود حظاً، منكر القلب، ذو هموم قد تفرَّد بها، مكتئب محزون ليس له في فرح الدنيا نصيب. إن أتاه منها شيء فرقه، وإن زوي عنه كل شيء فيها لم يطلبه، ويبكي ويقول: هذا - والله - الكرم.. هذا والله الكرم»^(٤).

وقد ذم الله - تعالى - البخل وأهله، وجعله من صفات الكافرين، وتوعد الله أهله بالعقوبة، فقال - تعالى -: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧ - ١٨]، وقال - تعالى -: ﴿أَرَأَيْتَ

(١) الإحياء: (٢٤٧/٣).

(٢) انظر الاستقامة: (٢٦٣/٢ - ٢٧٠).

(٣) مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا: (١٢).

(٤) المرجع نفسه.

الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبِّ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ [الماعون: ١ - ٣].

وقال - تعالى - عن المنافقين : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِذَا دُعِيَ إِلَى اللَّهِ فِضْلِهِ فَفَضَّلَهُ لِنُصَدَّقَ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا دُعِيَ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٧].

وقال - تعالى - : ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل: ٨ - ١٠].

وقال - تعالى - : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ﴿١٨﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وقال - تعالى - : ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ ﴿٣٧﴾ [النساء: ٣٧].

الكرم من صفات المحسنين:

المحسن الحق المقتفي تعاليم دينه كريم جواد، يداه مبسوطتان تمطران بالخير على أبناء مجتمعه، وفي جميع وجوه البر، ومن أحسن ما قيل في ذلك ما أنشد سلام بن مطيع - رحمه الله - عن حسن الخلق قال:

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها، فليتيق الله سائله
هو البحر من أي النواحي أتيتَه فلجته المعروف، والجود ساحله

وهكذا كان المحسنون السابقون، ومنهم المضيف الكريم إبراهيم - عليه السلام - كما قال - تعالى - : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِ ﴾ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٧].

وعن المقداد - رضي الله عنه - قال: أقبلت أنا وصاحبان لي، وقد ذهب أسمعنا وأبصارنا من الجهد، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ، فليس أحد منهم يقبلنا، فأتينا النبي ﷺ، فانطلق بنا إلى أهله، فإذا ثلاثة أعنز، فقال النبي ﷺ: «احتلبوا هذا اللبن بيننا». قال: فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه، ويرفع للنبي ﷺ نصيبه. . .» (١)(٢).

وعن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - قال: بينما أسير مع رسول الله

(١) جامع العلوم والحكم: (١/١٨٢).

(٢) صحيح مسلم (٢/١٦٢٥) (٢٠٥٥).

ﷺ ومعه الناس مقفلة من حنين، فعلقت الناس يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة، فخطفت رداءه، فوقف النبي ﷺ فقال: «أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاة نَعَمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلًا ولا كذوبًا ولا جبانًا»^(١).

وقال حكيم بن حزام - رضي الله عنه -: «ما أصبحت صباحًا قط فرأيت بفنائي طالب حاجة قد ضاق بها ذرعًا، فقضيتها إلا كانت من النعم التي أحمد الله عليها، ولا أصبحت صباحًا لم أر بفنائي طالب حاجة، إلا كان ذلك من المصائب التي أسأل الله - عز وجل - الأجر عليها»^(٢).

وقال أبوهريرة - رضي الله عنه -: «ما احتدئ النعال ولا انتعل ولا ركب المطايا، ولا لبس الكور من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - في الجود والكرم»^(٣).

صور من كرم المحسنين:

١ - عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة. فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟ فقال القوم: هي شملة. فقال سهل: هي شملة منسوجة فيها حاشية. فقالت: يا رسول الله: أكسوك هذه. فأخذها النبي ﷺ فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة. فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه، فأكسنيها. فقال: «نعم». فلما قام النبي ﷺ لامه أصحابه، فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجًا إليها، ثم سألته إياها وقد عرفت أنه لا يُسأل شيئًا فيمنعه! فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ لعلِّي أكفن فيها»^(٤).

٢ - وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فلانًا أهدي إلي ناقة، فعوضته منها ست بكرات، فظل ساخطًا، لقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشي، أو أنصاري، أو ثقيفي، أو دوسي»^(٥).

٣ - وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «أهدي لرجل رأس شاة، فقال: إن أخي وعياله أحوج منّا إلى هذا، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحدًا إلى آخر حتى رجعت إلى الأول بعد سبعة»^(٦).

(١) صحيح البخاري - الفتح -: (٣٥/٦) (٢٨٢١).

(٢) مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا: (١٠٧).

(٣) مسند أحمد (١٣٧/٣)، (٩٠٨٩).

(٤) صحيح البخاري، الفتح (٤٥٦/١٠)، (٦٠٣٦).

(٥) سنن الترمذي (٧٣٠/٥)، (٣٩٤٥).

وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢٥/١)، (٢١١٩).

(٦) فتح الباري (١٢٠/٧)، وعزاه لابن مردويه.

٤ - وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء. فقال رسول الله ﷺ: «من يضم أو يضيف هذا؟» فقال رجل من الأنصار: أنا. فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ. فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاءً، فهيات طعامها وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعل يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «ضحك الله الليلة، أو عجب من فعالكما»، فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] (١).

من ثمرات الكرم:

- ١ - أنه من كمال الإيمان.
- ٢ - أن صاحبه محبوب إلى النفوس.
- ٣ - أن الكرم يزيد في المال بركة.
- ٤ - أنه دليل تكافل بين المؤمنين.
- ٥ - عظم أجر الكريم عند الله - تعالى -.

(١) صحيح البخاري، الفتح (١١٩/٧)، (٣٧٩٨).

رابعاً : كظم الغيظ :

الكظيم لغة:

مصدر قولهم: كَظَمَ، يَكْظِمُ، وهو مشتق من مادة (ك ظ م)، التي تدل كما يقول ابن فارس - رحمه الله - على معنى واحد هو الإمساك، والجمع للشيء، ومن ذلك الكظم للغيظ الذي يعني: اجتراح الغيظ والإمساك عن إبدائه، وكأنه يجمعه الكاظم في جوفه، وقوله - تعالى -: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. معناه: الحابسين الغيظ، أي: لا يجازون عليه^(١).

واصطلاحاً:

قال المناوي - رحمه الله -: الكظم: الإمساك على ما في النفس من صفح أو غيظ^(٢).

الغيظ لغة:

مصدر قولهم: غَاظَهُ يَغِيظُهُ، وهو مأخوذ من مادة (غ ي ظ) التي تدل على معنى واحد هو: «كرب يلحق الإنسان من غيره»^(٣).

واصطلاحاً:

قال الكفوي - رحمه الله -: الغيظ تَغَيَّرٌ يلحق المغتاظ، وذلك لا يصح إلا على الأجسام كالضحك والبكاء ونحوهما^(٤).

وقيل: هو أصل الغضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه^(٥).

كظم الغيظ اصطلاحاً:

قال القرطبي - رحمه الله -: كَظَمُ الغيظ: رَدُّهُ في الجوف، والسكوت عليه، وعدم إظهاره مع قدرة الكاظم على الإيقاع بعوده^(٦).

الفرق بين الغيظ والغضب:

قال القرطبي - رحمه الله -: الغيظ أصل الغضب، وكثيراً ما يتلازمان، لكن فرق ما بينهما، أن الغيظ لا يظهر على الجوارح، بخلاف الغضب فإنه يظهر في الجوارح، مع فعل ما، ولا بُدَّ، ولهذا جاء إسناد الغضب إلى الله -

(١) مقاييس اللغة (١٨٤/٥)، وانظر: لسان العرب (١٨٨٦/٧ - ١٨٨٧).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٨٢).

(٣) مقاييس اللغة (٤٠٥/٤).

(٤) الكليات (٦٧١).

(٥) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (٢٨٢)، والمحضر الوجيز (٢٣٣/٣).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٣٣/٤).

تعالى^(١).

مكانة كظم الغيظ وفضله:

كظم الغيظ أحد شقي حسن الخلق، وهما بذل الندى، وكف الأذى، وهو دليل قوة النفس، وعلامة قهر شهوة الغضب ولا يبلغه المؤمن إلا بعد شدة مجاهدة ابتغاء مرضاة الله - تعالى - وكاظم الغيظ من أحب الناس عند الله - تعالى -؛ لأنه انتصر على شيطانه ونفسه الأمارة بالسوء، وصاحبه الذي أغضبه، وشيطانه الذي سؤل له، فاستحق الدرجة العالية في الدنيا والآخرة؛ لما روي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: أي الناس أحب إلى الله - تعالى -؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله - تعالى - أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله - تعالى - سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، رجا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيا له أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام»^(٢).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله - تعالى»^(٣).

وعن معاذ بن أنس، عن أبيه - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله - عز وجل - على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين ما يشاء»^(٤).

كظم الغيظ من صفات المحسنين:

قال الله - تعالى -: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي الشَّرَاءِ وَالْبُرَاءِ وَالْكَفَظِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤]. وقال - تعالى -: ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِّثْقَلَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ

(١) المرجع السابق.

(٢) قضاء الحوائج، لابن أبي الدنيا (٤٠/١)، (٣٦)، وحسن إسناده الألباني في الصحيحة (٦٠٨/٢)، (٩٠٦).

(٣) سنن ابن ماجه (١٤٠١/٢)، (٤١٨٩)، وقال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٤) سنن أبي داود (١٣٧/٥)، (٤٧٧٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٠٧/٣)، (٣٩٩٧).

مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ [المائدة: ١٣].
 وقال - تعالى -: ﴿ قَالُوا أَلَيْسَ لَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَأَلَّهَ لَقَدْ أَشْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ [يوسف: ٩٠ - ٩٢].
 وقال - تعالى -: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ [النحل: ١٢٦ - ١٢٨].

وقال - تعالى -: ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ [الشورى: ٤٣]. ولا يكون العفو والصفح والغفران إلا بعد كظم الغيظ غالباً.
 وسائل يستعان بها على كظم الغيظ:
 إذا كان كظم الغيظ بهذه المنزلة العظيمة عند الله، وأنه من أهم صفات المحسنين، فإن من وسائله الآتي:
 ١ - الدعاء الصادق وحسن اللجوء إلى الله - تعالى - بأن يجعلك من الكاظمين الغيظ.

٢ - الاستعاذة بالله - تعالى - من الشيطان الرجيم عند الغضب؛ لما روي عن سليمان بن صرد - رضي الله عنه - أنه قال: «اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا تَحْمَرُّ عَيْنَاهُ وَتَتَفَخَّحُ أَوْدَاجُهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَهَلْ تَرَى بِي مِنْ جُنُونٍ؟!»^(١)

٣ - الجلوس إن غضب وهو قائم أو الاضطجاع إن غضب وهو جالس. لما روي عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ»^(٢).

٤ - احتساب أجر كظم الغيظ على الله - تعالى -، والطمع في فيما أعده من عظيم الأجر للكاظمين الغيظ في الجنة.

وذكر ابن كثير - رحمه الله - في سيرة عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله -: «أَنَّ رَجُلًا كَلِمَةً يَوْمًا حَتَّى أَغْضَبَهُ، فَهَمَّ بِهِ عَمْرًا، ثُمَّ أَمْسَكَ نَفْسَهُ، ثُمَّ قَالَ

(١) صحيح مسلم (٣/٣٠١٥)، (٢٦١٠).

(٢) سنن أبي داود (٥/١٤١)، (٤٧٨٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٠٨)، (٤٠٠٠).

للرجل: أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان، فأنا لك منك ما تناله مني غداً؟ قم عافاك الله، لا حاجة لنا في مقاولتك»^(١).

٥ - أن يعلم المحسن أن كظم الغيظ من قوة العقل وكمال الرجولة؛ لما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصُّرْعَةِ، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(٢).
علامة كظم الغيظ:

من علامة كظم الغيظ ما ذكره ابن قدامة - رحمه الله - قال: «الكاظم إذا كظم لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن، فاحتقن فيه فصار حِقْدًا، وعلامة ذلك دوام بغض الشخص، واستثقاله والنفور منه»^(٣).
صور من كظم الغيظ:

١ - ما روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: قلت: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبديالليل بن عبدكلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله - عز وجل - قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم». قال: «فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين». فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»^(٤).

٢ - وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «قَدِمَ عيينة بن حصن بن حذيفة، على ابن أخيه، الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدينهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً وشباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي: لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همَّ به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله - تعالى - قال لنبيه ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

(١) البداية والنهاية (٩/٢١٠).

(٢) صحيح مسلم (٣/٣٠١٤)، (٢٦٠٩).

(٣) انظر: مختصر منهاج القاصدين (١٨٥).

(٤) صحيح مسلم (٢/١٤٢٠)، (١٧٩٥).

وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله»^(١).

تحقيق الإحسان في صفة كظم الغيظ:

يتحقق الإحسان في هذه الصفة النبيلة بأن يرد المؤمن غيظه في جوفه، ويكف غضبه الشديد عن الإمضاء مع سكوته عليه، لا يظهره بقول ولا بفعل، فإذا فعل ذلك مع قدرته على إنفاذ غيظه، لم يمنعه من إنفاذه إلا ابتغاء وجه الله - تعالى - كأنه يراه، فإنه محسن في كظم الغيظ. فإن زاد على هذا القدر عفواً أو صفحاً، أو مغفرة أو إصلاحاً فقد زاد إحسانه.

من ثمرات كظم الغيظ:

- ١ - أن كظم الغيظ دليل صلاح العبد ورغبته فيما عند الله - تعالى - .
- ٢ - أنه يعزز الود بين المؤمنين .
- ٣ - أنه انتصار للمؤمن على الشيطان .
- ٤ - عظم أجره وجزيل ثوابه عند الله - تعالى - .

(١) صحيح البخاري، الفتح (٣٠٤/٨)، (٤٦٤٢).

خامساً : العفو والصفح:

العفو لغة:

مصدر قولهم: عَفَا، يَعْفُو، عَفْوًا، وهو مأخوذ من مادة (ع ف و) التي تدل على معنيين أصليين: الأول: ترك الشيء، والآخر: طَلَبُهُ^(١). (أي: طلب العفو).

العفو اصطلاحاً:

قال المناوي - رحمه الله -: العَفْو: القصد لتناول الشيء والتجاوز عن الذنب^(٢).

وقال الكفوي - رحمه الله -: العفو: كف الضرر مع القدرة عليه^(٣).

مكانة العفو والصفح وفضلهما:

لقد اعتنت الشريعة الإسلامية بهذين الخلقين الكريمين عناية تامة أمره بهما وحاضه عليهما ورافعة من شأنهما وشأن أصحابهما. مُرَّتَبَةً على الامتثال بهما الأجر الجزيل في الجنة وجعلتهما من أسمى الأخلاق الإسلامية.

ولسمو مكانة العفو فقد اتصف الله - جل جلاله - به ونسبه إليه كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣]. والآيات في ذلك كثيرة.

وقد رغب الحق - تعالى - في العفو والصفح، فأمر عباده المؤمنين بهما، فقال - تعالى -: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وأمر المحسنين بالعفو في قوله - تعالى - لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ولأهل الفضل من بعده من المحسنين: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

وكما أمر به على وجه الإلزام فقد حض عليه ورغب فيه على سبيل الندب، فقال - تعالى -: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعَفُّوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]. والتعقيب بقوله - تعالى -: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ حض لأصحاب النفوس الزكية على التخلص بخلق العفو الذي من شأنه التجاوز عن المسيء عند المقدرة على المؤاخذه.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ

(١) المقاييس (٥٦/٤).

(٢) التوقيف (٢٤٣).

(٣) الكليات (٥٣)، وانظر: (٥٩٨).

قال: «تعافوا فيما بينكم، فما بلغني من حد فقد وجب»^(١).
وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوَّ
لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾
[التغابن: ١٤].

وفي هذه الآية لما كانت العداوة من الأقرباء بل أشد الأقرباء، حضَّ
الله الأزواج والآباء على العفو والصفح والمغفرة التي تعني ستر الذنب وعدم
إشاعته ونسيانه، وذلك أدعى لدوام العشرة التي أمر بها الإسلام.
ورغب - تعالى - في آخر الآية بمغفرته للذين يغفرون للأزواج
والأولاد.

وهكذا كما أمر الله - تعالى - بهما رفع شأن أصحابهما فقال - تعالى -
واصفًا عباده المؤمنين بالصفات الحميدة التي منها المغفرة: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ
فَمَنَعُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كَثِيرٌ
الْإِثْمُ وَالْفَوَاحِشُ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى: ٣٦ - ٣٧].

وعن الحسن - رحمه الله - قال: «أفضل أخلاق المؤمن العفو»^(٢).
وقد يُشكِّلُ على ذلك وصف الله - تعالى - عباده المؤمنين بقوله
- تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشورى: ٣٩].

والجواب أن يقال: المؤمن يتجاوز ويصفح عمن أساء له من إخوانه
المؤمنين، وأما غيرهم فلا، والأحسن من ذلك ما أورده البخاري - رحمه
الله - قال: «باب الانتصار من الظالم لقوله - جل ذكره -: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ
هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشورى: ٣٩]. قال إبراهيم - يعني النخعي، رحمه الله -:
«كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا عفوا»^(٣).

وقال معاوية - رضي الله عنه -: «عليكم بالحلم والاحتمال حتى
تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال»^(٤).

والحقيقة أن العفو كمال وعز للعافي في الدنيا والآخرة؛ لما روي عن
أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من
مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»^(٥).

(١) سنن أبي داود (٥٤٠/٤)، (٤٣٧٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود
(٨٢٧/٣)، (٣٦٨٠).

(٢) الآداب الشرعية (٧١/١).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٦٣١/٨)، (٤٨٨٨).

(٤) الإحياء (١٩٥/٣).

(٥) صحيح مسلم (٢٠٠١/٣)، (٢٥٨٨).

العفو والإحسان من صفات المحسنين:

إن المحسن الحقيقي يعفو ويصفح ابتغاء مرضاة الله - تعالى - لقوله - تعالى -: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكِبَاطِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

قال - تعالى -: ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣].

وقال - تعالى -: ﴿ وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢].

وقال - تعالى -: ﴿ وَحَزَنُوا سَيِّئَةً سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [٤١] وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ [٤٢] إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [٤٣] وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [٤٤] [الشورى: ٤٠ - ٤٣]. والإحسان من عزم الأمور.

وقال - تعالى -: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [الحجر: ٨٥]. والجميل هو الحسن المرغوب فيه.

وهكذا كان الرسول ﷺ:

فعن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن هذه التي في القرآن: ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥]. قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحزراً للأمين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينا عمياً، وآذاناً صمًا، وقلوباً غلفًا^(١).

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «كل الناس مني في حلٍّ»^(٢).

وعن جرير بن عبدالله - رضي الله عنه - أنه قام يوم مات المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة، حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن، ثم

(١) صحيح البخاري، الفتح (٥٨٥/٨)، (٤٨٣٨).

(٢) الآداب الشرعية (٧١/١).

قال: استغفروا لأمركم فإنه كان يحب العفو...»^(١).

صور من العفو والصفح:

١ - عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - «أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبلَ نجدٍ، فلما قفلَ رسول الله ﷺ قفلَ معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العِصاة، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرَّق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة وَعَلَقَ بها سيفه، ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي. فقال: «إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً». فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: «الله» ثلاثاً، ولم يعاقبه وجلس»^(٢).

٢ - وفي السيرة النبوية، لابن هشام - رحمه الله -: أن الرسول ﷺ يوم فتح مكة قال: «يا معشر قريش: ما ترون أني فاعل فيكم؟» قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٣).

وفي رواية لأبي الشيخ - رحمه الله - أنه ﷺ قال لهم: «مثلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾» [يوسف: ٩٢]^(٤).

قال الجاحظ - رحمه الله -: «ولو لم يكن من كرم عفوهِ ورجاحة حلمه إلا ما كان منه هذا اليوم لكان ذلك من أكمل الكمال وأوضح البرهان على مبلغ حلمة وعظيم عفوهِ وصفحهِ»^(٥).

وعن معاوية بن سويد - رضي الله عنه - قال: «لطمت مولى لنا فهربت، ثم جئت قبيل الظهر وصليت خلف أبي، فدعاه ودعاني، ثم قال: امثل منه، فعفا»^(٦).

٤ - ولما أتى عبدالملك بن مراون - رحمه الله - بأسارى ابن الأشعث، فقال لرجاء بن حيوة: «ماذا ترى؟» قال: «إن الله - تعالى - قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو، فعفا عنهم»^(٧).

تحقيق الإحسان في صفة العفو والصفح:

يمكن للمؤمن أن يحقق الإحسان في صفة العفو والصفح؛ وذلك بأن

(١) صحيح البخاري، الفتح (١٣٩/١)، (٥٨).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٩٦/٦)، (٢٩١٠).

(٣) (٤١/٤).

(٤) الأخلاق (٤٥)، (٨٢).

(٥) البيان والتبيين (٢٩/٢).

(٦) صحيح مسلم (١٢٧٩/٢)، (١٦٥٨).

(٧) الإحياء (١٩٦/٣).

يكف ضرره عمن أساء إليه مع القدرة على إنفاذه، ويتجاوز عن الذنب بالكلية واعتباره كأن لم يكن بإزالته أثر الذنب من النفس ابتغاء مرضاة الله يفعل ذلك كله على حال كأنه يعاين ربه - تعالى - بعيني قلبه .

من ثمرات العفو والصفح:

- ١ - أنه من أرفع خصال الخلق الإسلامي .
- ٢ - أنه وسيلة صالحة لإدامة الأخوة الإسلامية وتماسك المجتمع المسلم .
- ٣ - أنه يزيل من قلوب المعفو والمصفوح عنهم الكراهية والغِلَّ .
- ٤ - عِظْمُ أجر من اتصف بهما .

سادسًا : الحلم :

الحلم لغة:

مصدر حَلُمَ فلان، أي: صار حليمًا، وهو مأخوذ من مادة (ح ل م) التي تدل على ترك العجلة. قال ابن فارس - رحمه الله -: الحِلْمُ: خلاف الطيش، وقال الجوهري - رحمه الله -: الأناة، وقيل: هو الأناة والعقل، وهو نقيض السَّفه، وجمعه أَحْلَامٌ وحُلُومٌ، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الطور].

وَحَلَمَ يَحْلُمُ حِلْمًا: أي صار حليمًا، تأني وسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة وقوة^(١).

الحلم اصطلاحًا:

قال ابن المناوي: الحلم هو احتمال الأعلى الأذى من الأدنى، أو رفع المؤاخذه عن مستحقها بالجناية في حق مستعظم. أو هو رزانة في البدن يقتضيها وفور العقل^(٢).

منزلة الحلم وفضله:

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -: «الكمال عزيز والكمال قليل الوجود، وأول أسباب الكمال تناسب أعضاء البدن وحسن صورة الباطن، فصورة البدن تسمى خُلُقًا، وصورة الباطن تسمى خُلُقًا، ودليل كمال صورة البدن حسن السمات واستعمال الأدب، ودليل كمال صورة الباطن حسن الطباع والأخلاق، فالطباع: العفة والنزاهة والأنفة من الجهل ومباعدة الشر، والأخلاق: الكرم والإيثار وستر العيوب وابتداء المعروف والحلم عن الجاهل. فمن رزق هذه الأشياء رَفَّهَ إلى الكمال، وظهر عنه أشرف الخلال، وإن نقصت خلة أوجبت النقص»^(٣).

ولكمال الحلم اتصف الحق - تبارك وتعالى - به وهو - جل في علاه - لا يتصف إلا بكل صفة حميدة عالية المقام، فقال - تعالى -: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وقال - تعالى -: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ فَذَرُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: ١١].
والله - تعالى - يحب الحلم، وكل محبوب لله - تعالى - مرغوب فيه

(١) لسان العرب (٢/ ٧٩ - ٩٨١)، والصاح (٥/ ١٩٠٣ - ١٩٠٤)، ومقاييس اللغة (٢/ ٩٣).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (١٤٦).

(٣) صيد الخاطر (٢٨٩).

مثاب صاحبه، كما جاء عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: وقال نبي الله ﷺ لأشج عبدالقيس - رضي الله عنه -: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: إن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»^(٢).

والحلم من صفات أنبياء الله - تعالى - التي يجب أن يتصف بها المحسن؛ لما روي عن عبدالله بن سرجس - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «السمت الحسن، والتؤدة والاقتصاد، جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة»^(٣).

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم»^(٤).

وقال معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما -: «لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم»^(٥).

وقال عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما -: «نحن معشر قريش نعدّ الحلم والجود الشؤدد، ونعدّ العفاف وإصلاح المال المروءة»^(٦).

وقال أبو عمرو بن العلاء - رحمه الله تعالى -: «كان أهل الجاهلية لا يُسوّدونَ إلا من كانت فيه ست خصال، وتماها في الإسلام سابعة: السخاء، والنجدة، والصبر، والحلم، والبيان، والحسب، وفي الإسلام زيادة العفاف»^(٧).

وقال الجاحظ: وهذه الحال (أي حال الحلم) محمودة ما لم تؤد إلى ثلمٍ جاء، أو فساد سياسة، وهي بالرؤساء والملوك أحسن؛ لأنهم أقدر على الانتقام من مُغضبهم، ولا يعد فضيلة حلم الصغير عن الكبير، وإن كان قادراً

(١) صحيح مسلم (٤٨)، (١٨).

(٢) صحيح مسلم (١٩٨٢/٣)، (٢٥٥٨).

(٣) سنن الترمذي (٣٦٦/٤)، (٢٠١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٨/١)، (٣٠١٠).

(٤) الإحياء (١٧٨/٣).

(٥) المرجع نفسه.

(٦) الآداب الشرعية (١٥/٢).

(٧) المرجع السابق.

على مقابله في الحال؛ فإنه وإن أمسك فإنما يعد ذلك خوفًا لا حلمًا^(١).
أنواع الحلم:

الحلم نوعان:

أحدهما: ما يرد على النفس من قضاء الله من المصائب التي امتحن الله بها عباده، فيصبر العاقل تحت ورودها، ويحلم عن الخروج إلى ما لا يليق بأهل العقل.

والآخر: ما يرد على النفس بضد ما تشتهيه من المخلوقين، فمن تعود الحلم فليس بمحتاج إلى التصبر لاستواء العدم والوجود عنده^(٢).

موارد الحلم:

قال ابن حبان - رحمه الله تعالى -: الحلم منه ما يكون سجية وطبعًا، ومنه ما يكون تجربة وتكلفًا، ومنه ما يكون مُرْكَبًا منهما معًا. وأول الحلم: المعرفة ثم الثبوت، ثم العزم، ثم التصبر، ثم الصبر، ثم الرضا، ثم الصمت، والإغضاء، وما الفضل إلا للمحسن لمن أساء، فأما من أحسن إلى المحسن، وحلم عمن لم يؤذ به فليس ذلك بحلم ولا إحسان، والناس بالنسبة للمرء ضروب ثلاثة: رجل أعز منك، ورجل أنت أعز منه، ورجل ساواك في العز، فالتجاهل على من أنت أعز منه لؤم، وعلى من هو أعز منك جَنَفٌ، وعلى من هو مثلك هِرَاشٌ كهراش الكلبين، ونقار كنقار الديكين، ولا يفترقان إلا عن الخدش والعقر والهجر، ولا يكاد يوجد التجاهل، وترك التحالم إلا من سفيهين، وقد قيل:

ما تم حلم ولا علم بلا أدب ولا تجَاهَلٍ في قوم حليمان
وما التجاهل إلا ثوب ذي دنس وليس يلبسه إلا سفيهان
فالواجب على العاقل إذا غضب واحتد أن يذكر كثرة حلم الله عنه مع تواتر انتهاكه محارمه وتعديه حرماته ثم يحلم ولا يخرج غيظه إلى الدخول في أسباب المعاصي.

ولذلك قال محمد بن السعدي لابنه عروة لما وُلِّيَ اليمن: إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك، وإلى الأرض تحتك، ثم عظم خالقهما^(٣).

بيان الأسباب الجالبة للحلم:

قال الماوردي - رحمه الله تعالى -: الحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد.

(١) تهذيب الأخلاق (٢٣).

(٢) روضة العقلاء (٢٠٨ - ٢١٤).

(٣) المرجع نفسه.

وأَسباب الحلم الباعثة عليه عشرة وهي :
(١) الرحمة للجهال، وذلك من خير يوافق رقة، وقد قيل في منشور الحكم : من أوكد أسباب الحلم رحمة الجهال.
(٢) القدرة على الانتصار، وذلك من سعة الصدر وحسن الثقة.
(٣) الترفع عن السباب، وذلك من شرف النفس وعلو الهمة. وقد قيل : إن الله - تعالى - سمى نبيه يحيى - عليه السلام - ﴿سَيِّدًا﴾؛ وذلك لحلمه ولذلك قال الشاعر :

لا يبلغ المجد أقوام وإن كرموا حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
ويُشتمُّوا فترى الألوان مُسْفِرَةً لا صفح ذلٍّ ولكن صفح أحلام
(٤) الاستهانة بالمسيء، وذلك عن ضرب من الكبر ومن مستحسنه ما روي أن مصعب بن الزبير لما ولي العراق جلس يوماً لعطاء الجند، وأمر مناديه فنادى : أين عمرو بن جُرْمُوزٍ، وهو الذي قتل أباه، الزبير بن العوام - رضي الله عنه - فقيل له : إنه قد تباعد في الأرض. فقال : أو يظن الجاهل أنني أقيده بأبي عبدالله؟ فليظهر آمناً ليأخذ عطاءً موفوراً.

(٥) الاستحياء من جزاء الجواب، والباعث عليه صيانة النفس وكمال المروءة، ولذلك قيل : ما أفحش حليمٌ، ولا أوحش كريمٌ.

(٦) التفضل على الساب، ويبعث عليه الكرم وحب التآلف، وقد حكى عن الأحنف بن قيس أنه قال : ما عاداني أحد قط إلا أخذت في أمري بإحدى ثلاث خصال : إن كان أعلى مني عرفت له قدره، وإن كان دوني رفعت قدره عنه، وإن كان نظيري تفضلت عليه.

(٧) استنكاف الساب وقطع السباب، والباعث عليه الحزم، وقد قال الشعبي - رحمه الله تعالى - : ما أدركت أمة فأبرها، ولكن لا أسب أحداً فيسبها، ولذلك قيل : في إعراضك صونٌ أعراضك. وقد قال الشاعر :
وفي الحلم ردع للسفيه عن الأذى وفي الخرق إغراء فلا تك أحرقا
وقال آخر :

قل ما بدا لك من زور ومن كذب حلمي أصم وأذني غير صماء
(٨) الخوف من العقوبة على الجواب، ويبعث عليه ضعف النفس وربما أوجبه الرأي واقتضاه الحزم، وقد قيل : الحلم حجاب الآفات. وقال الشاعر في هذا :

ارفق إذا خفت من ذي هفوة خرقاً ليس الحليم كمن في أمره خرق
(٩) الرعاية ليد سالفة وحرمة لازمة، والباعث عليه الوفاء وحسن العهد.

(١٠) المكر وتوقع الفرص الخفية : ويبعث عليه الدهاء، وقد قال

بعض الأدباء:

«غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله. قال إياس بن

قتادة:

تُعاقِبُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأِينَا وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلِمِ
فهذه عشرة أسباب تدعو إلى الحلم، وبعض الأسباب أفضل من
بعض، وإذا كان بعض أسبابه مفضولاً، فإن ذلك لا يقتضي أن ننتجته من
الحلم مذمومة، وإنما الأولى بالإنسان أن يدعو للحلم أفضل أسبابه، وإن
كان الحلم كله فضلاً، وإن عَرِيَ الحلم عن أحد هذه الأسباب كان ذلاً ولم
يكن حلمًا^(١).

الحلم صفة من صفات المحسنين:

قال الله - تعالى -: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤].

وقال - تعالى - عن إسماعيل - عليه السلام -: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾
فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَتَأَتَّى بِآفَافِ
مَا تُوَمَّرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٦﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١١٧﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ
يَتَّيْبَرِهِمْ ﴿١١٨﴾ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٩﴾ [الصافات: ١٠١ - ١٠٥].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: إن رجلاً أتى النبي ﷺ
يتقاضاه فأغلظ، فهِمَّ به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «دعوه فإن لصاحب
الحق مقالاً». ثم قال: «أعطوه سنّاً مثل سنّه». قالوا: يا رسول الله، إلا أمثَلَ
من سنّه، فقال: «أعطوه، فإن من خيركم أحسنكم قضاء»^(٢).

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: «كان أبو بكر - رضي الله
عنه - يوم السَّقِيفَةِ أحلم مني وأوقر، والله ما ترك كلمة أعجبتني في تزويري
إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت»^(٣).

وعن معاوية - رضي الله عنه - وقد أسمع رجل كلاماً شديداً، فقليل
له: لو عاقبته. فقال: «إني أستحيي أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من
رعيّتي»^(٤).

صور من الحلم:

١ - عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: كأني أنظر إلى النبي ﷺ
يُحْكِي: «نبيّاً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، فهو يمسح الدم عن وجهه

(١) انظر: أدب الدنيا والدين (٣٠٣-٣١٠).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٤/٤٨٣)، (٢٣٠٦).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (١٢/١٤٤)، (٦٨٣٠).

(٤) مختصر منهاج القاصدين، للمقدسي (١٨٣).

ويقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»^(١).

٢ - وقال عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - لرجل سبّه: «يا عكرمة هل للرجل حاجة فتعطيها؟ فنكس الرجل رأسه واستحى مما رأى من حلمه عليه»^(٢).

٣ - وعن علي بن الحسين - رضي الله عنهما - أن رجلاً سبّه فرمى إليه بخميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: جمع له خمس خصال محموددة: الحلم، وإسقاط الأذى، وتخليص الرجل مما يبعده عن الله - عز وجل -، وحمله على الندم والتوبة، ورجوعه إلى مدح بعد الذم، اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير»^(٣).

وقال الشافعي - رحمه الله -:

يخاطبني السّفِيه بكل قبّح فأكره أن أكون له مجيباً
يزيد سفاهة فأزيد حلمًا كعود زاده الإحراق طيباً^(٤)

من ثمرات الحلم:

١ - أنه من أحب صفات المحسنين إلى الله - تعالى -.

٢ - أنه دليل كمال العقل وسعة الصدر.

٣ - أنه يزيل البغض عن القلوب ويؤلف بينها على المحبة.

٤ - رفعة درجة الحليم في الدنيا والآخرة.

(١) صحيح البخاري، الفتح (٢٨٢/١٢)، (٦٩٢٩).

(٢) الإحياء (١٧٨/٣).

(٣) المرجع السابق.

(٤) ديوان الشافعي (٥٢).

سابعاً : الرحمة :

الرحمة لغة:

يقول ابن فارس: الراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة. يقال من ذلك: رَحِمَهُ يرحمه إذا رق له وتعطف عليه، والرَّحِمُ والمرحمة والرحمة بمعنى^(١).

ويقول الجوهري: الرحمة: الرقة والتعطف. والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحمت عليه، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضاً... ورجل مرحوم ومَرَحَمٌ، شُدِّدَ للمبالغة، والرَّحِم بالضمّة: الرحمة. قال - تعالى -: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١].

والرحمة المغفرة، وقوله - تعالى - في وصف القرآن: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢]. أي: فصلناه هادياً وذا رحمة. رَحِمَهُ رُحْمًا ورُحْمًا ورَحْمَةً ورَحْمَةً (حكى الأخيرة سيبويه)، ومَرَحَمَةً، وقال الله - عز وجل -: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧]. أي: أوصى بعضهم بعضاً برحمة الضعيف والتعطف عليه، وترحمتُ عليه أي: قلت: رحمة الله عليه^(٢).

واصطلاحاً:

قال الجرجاني: هي إرادة إيصال الخير^(٣).

وقال الجاحظ: الرحمة خلق مركب من الود والجزع، والرحمة لا تكون إلا لمن تظهر منه لراحمه خلة مكروهة، فالرحمة هي محبة للمرحوم مع جزع من الحال التي من أجلها رُحِمَ^(٤).

وقال الكفوي: الرحمة حالة وجدانية تعرض غالباً لمن به رقة القلب وتكون مبدأً للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان^(٥).

حقيقة الرحمة:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: إن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه وشقت عليها. فهذه هي الرحمة الحقيقية. فأرحم الناس مَنْ شق عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار عنك. فمن رحمة الأب بولده: أن يكرهه على التأدب بالعلم

(١) المقاييس (٢/٤٩٨).

(٢) الصحاح (٥/١٩٢٩).

(٣) التعريفات (١١٠).

(٤) تهذيب الأخلاق (٢٤).

(٥) الكليات (٢/٣٧٦).

والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقله رحمته به، وإن ظن أنه يرحمه ويرفقه ويريقه. فهذه رحمة مقرونة بجهل، ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين تسليط أنواع البلاء على العبد، فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته، من رحمته به.

وهذه الرحمة التي تحصل للمهتدين تكون بحسب هداهم، فكلما كان نصيب الواحد من الهدى أتم، كان حظه من الرحمة أوفر، فتجد الصحابة كانوا أرحم الأمة، كما قال - تعالى - : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

والصديق أرحم الأمة بالأمة، فقد جمع الله له بين سعة العلم وسعة الرحمة. وهكذا الرجل كلما اتسع علمه اتسعت رحمته. وقد وسع ربنا كل شيء رحمة وعلماً، فوسعت رحمته كل شيء، وأحاط بكل شيء علماً، فهو أرحم بعباده من الوالدة بوالدها، بل هو أرحم بالعبد من نفسه، كما هو أعلم بمصلحة العبد من نفسه^(١).

مكانة الرحمة في الإسلام وفضيلتها وشموليتها:

الإسلام دين الرحمة؛ إذ أن شرائعه الغراء كلها مبنية عليه أصولها وفروعها، سواء ما يجب لله - تعالى - أو ما يجب لخلقه، فإن الله - تعالى - لم يكلف نفساً إلا وسعها، وإذا تدبر المنصف ما شرعه - عز وجل - في المعاملات والحقوق بين الخلق وجد الرحمة هي السمة البارزة فيه. إنها الرحمة الحقيقية الشاملة التي وسعت العدو والصديق، فدخل فيها المؤمن والكافر والبهائم.

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «... والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا» قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم. قال: «إنه ليس برحمة أحدكم ولكن رحمة العامة رحمة العامة»^(٢).

ولعظم قدر هذا الخلق وسمو مكانته اتصف ربنا - تعالى - به فقال - جل شأنه - : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]. وقال - تعالى - : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ...﴾ [الأعراف: ١٥٦]. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله

(١) انظر: إغاثة اللهفان (١٧٢/٢ - ١٧٥).

(٢) المستدرك (١٨٥/٤) (٧٣١٠)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الهيثمي في المجمع (١٩٠/٨) رجاله رجال الصحيح.

الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي»^(١).
وكما أن الرحمة من صفات الله - تعالى - فإنه - عز وجل - وصف عباده المؤمنين بها وحضهم عليها بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وفي السنة النبوية، عن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»^(٢).
وهذا الوصف فيه حض على التخلق به، وقد جاء التأكيد على ذلك بما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء»^(٣).

وكما أكدت الشريعة وجوب التزام الرحمة، حذرت أشد التحذير من الغضاظة والغلظة والشدة. وجعلت ذلك من صفات الأتقياء. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي»^(٤).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا»^(٥).
وجعلت الشريعة الإسلامية شرط رحمة الله - تعالى - للإنسان المؤمن، رحمته للناس. فقد روى جرير بن عبدالله - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»^(٦).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قبل رسول الله ﷺ الحسن ابن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «مَنْ لَا يَرْحَمْ

(١) صحيح مسلم (٢١٠٧/٣)، (٢٧٥١).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٤٣٨/١٠)، (٦٠١١).

(٣) سنن أبي داود (٢٣١/٥)، (٤٩٤١). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٣٣/٣) (٤١٣٢).

(٤) سنن أبي داود: (٢٣٢/٥)، (٤٩٤٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٣٣/٣)، (٤١٣٣).

(٥) سنن الترمذي (٣٢٢/٤) (١٩٢٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٥٧/٢) (٥٤٤٤).

(٦) صحيح البخاري، الفتح (٣٥٨/١٣)، (٧٣٧٦).

لا يُرْحَمُ»^(١).

وقد رفع الله شأن المتراحمين وأجزل لهم المثوبة في مثل قوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ [البلد: ١٧ - ١٨]. وقد علمت أيها المحسن أن أصحاب اليمين هم أهل السعادة والرضوان والقرب من الرحمن - جل وعلا -.

ومن هذه النصوص القاطعة يتبين لنا مكانة خلق الرحمة وفضلها، وأن المحسن الحقيقي هو أحق الناس بها وأهلاً لها؛ إذ لا يتصور الإحسان إلى الخلق من الجفاة الغلاظ الفدادين الجبابرة، الذين شقوا وشقت بهم مجتمعاتهم.

ميادين الرحمة:

الرحمة مطلب شرعي تدخل في كل تعامل بين الإنسان وغيره، وتتفاوت صورها ودرجاتها تبعاً لما يقتضيه الحال؛ فقد تكون الرحمة في جلب محبوب للغير، أو دفع مكروه عنه، وقد يكون بعض الخلق تستدعي حاله رحمة أكبر من غيره. فمن بُغِيَ عليه حقه الرحمة، ومن عجز عن جلب منفعة له حقه الرحمة، والرحمة بالصغار والضعفاء ينبغي أن تكون أكبر. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن في الناس الضعيف والسقيم وذا الحاجة»^(٢).

وتتعدى الرحمة الإنسان إلى الحيوان، وهذا من محاسن الإسلام الدين الحق الذي لا يسع البشرية دينٌ غيره، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما كلب يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَتَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغَفَرَ لَهَا بِهِ»^(٣). والركية: البئر، والموق: الذي يلبس فوق الخف^(٤).

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حُمْرَةً معها فرخان، فأخذنا فرخيهما، فجاءت الحمرة فجعلت تُفْرِشُ، جاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها». ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: «من حَرَّقَ هَذِهِ؟» قلنا: نحن، قال: «إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار»^(٥).

(١) صحيح البخاري، الفتح (٤٢٦/١٠)، (٥٩٩٧).

(٢) صحيح مسلم (٣٤١/١)، (٤٦٧).

(٣) سنن أبي داود (٤١٩/٥)، (٥٢٦٨)، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود

(٣/٩٨٨)، (٤٣٨٨): صحيح.

(٤) النهاية (٢/٢٦١).

(٥) اللسان (١٠/٣٥٠).

ومما يجب التنبيه عليه هنا أن الرحمة حق لمستحقها، أما من أسقط عن نفسه هذا الحق كالجنة الذين يفسدون، فلا يجوز للمؤمنين عند إقامة الحدود أن تأخذهم الرحمة بهم، فتعطل الحدود، فلا يأمن الفرد والمجتمع من غوائلهم، ولعل من الرحمة بهم إقامة الحدود عليهم؛ لتسقط عنهم المؤاخذه في الآخرة. قال الله - تعالى - : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

الرحمة صفة المحسنين:

قال الله - تعالى - عن الخضر - عليه السلام - : ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤ - ٦٥].

وقال - تعالى - : ﴿ثُمَّ حَمَّذُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال - تعالى - : ﴿وَآخِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: قيل: يا رسول الله ادع الله على المشركين. قال: «إني لم أبعث لعناً، وإنما بعثت رحمة»^(١).

صور من رحمة المحسنين:

الأولى: ما روي عن أبي قتادة - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»^(٢).

والثانية: ما روي عن أبي قتادة - رضي الله عنه - قال: خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه، فصلى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها^(٣).

والثالثة: ما رواه أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: «أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه: إن ابناً لي قبض فأتينا، فأرسل يقري السلام ويقول: «إن الله ما أخذ وله ما أعطى، وكلٌ عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب». فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها. فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال، فرفع إلى رسول الله ﷺ، الصبي ونفسه

(١) صحيح مسلم (٣/٢٠٠٦)، (٢٥٩٩).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٢/٣٠١)، (٧٠٧).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (١٠/٤٢٦)، (٥٩٩٦).

تتققع، قال: حسبته أنه قال: كأنها شَنَّ، ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»^(١).

والرابعة: ما جاء عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «اشتكى سعد بن عبادَةَ شكوى له، فأثاه النبي ﷺ يعوده مع عبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن مسعود - رضي الله عنهم - فلما دخل عليه وجده في غاشية أهله. فقال: قد قضى؟ قالوا: لا يا رسول الله. فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا. فقال: «ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه»...»^(٢).
من ثمرات الرحمة:

- ١ - أنها دليل رقة القلب ولينه.
- ٢ - أنها سبب لرحمة الله - تعالى - للعبد المؤمن.
- ٣ - أنها من علامات صحة المجتمع الإسلامي وقوة أخوته الإيمانية.
- ٤ - عِظْمُ أجر الرحماء عند الله - تعالى -.

(١) صحيح البخاري، الفتح (١٥١/٣)، (١٢٨٤).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (١٧٥/٣)، (١٣٠٤).

ثامناً : الاستئذان :

الاستئذان لغة:

طلب الإذن، وهو مصدر استأذن، وتدل المادة التي أخذ منها على أمرين: الأول: إِذْنُ كل ذي إذن، والآخر: العِلْمُ والإعلام^(١). واصطلاحاً:

قال الجرجاني - رحمه الله -: الإذن: فك الحجر وإطلاق التصرف عما كان ممنوعاً شرعاً^(٢).

قال ابن حجر - رحمه الله -: الاستئذان: طلب الإذن في الدخول لمحل لا يملكه المستأذن^(٣).

قال الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧]. ومعنى تستأنسوا: أي تطلبوا أن يؤذن لكم، وهو كناية لطيفة عن الاستئذان أو هو الاستئذان نفسه^(٤). ومعنى خير: أي أحسن.

قال قتادة - رحمه الله - في معنى قوله - تعالى -: ﴿حتى تستأنسوا﴾: «هو الاستئذان ثلاثاً، فمن لم يؤذن له فليرجع. وأما الأولى: فليُسمع الحي، وأما الثانية: فليأخذوا حذرهم، وأما الثالثة: فإن شاءوا أذنوا، وإن شاءوا ردوا، ولا تقفن على باب قوم ردوك عن بابهم، فإن للناس حاجات ولهم أشغال والله أولى بالعذر»^(٥).

مكانة الاستئذان وأحكامه وحكمه:

الاستئذان من محاسن الشريعة الإسلامية التي أمرت به وشددت عليه وأولت أحكامه عناية كبرى، كما حذرت كل التحذير وتوعدت بالعقوبة أولئك النفر الغوغاء أو أصحاب الشهوات والقلوب المريضة أو المتسلطين على حقوق غيرهم بحيث يلتفت أحدهم على بيوتات الناس وعوراتهم وسلطانهم بغير استئذان وكأنه بغير نأذ عن أهله ضائل لا يرعى حرمة، ولا يحترم المشاعر والحقوق. قال موسى بن طلحة - يعني ابن عبيدالله - رحمه الله -: «دخلت مع أبي علي أُمي، فدخل فاتبعتُهُ، فالتفت فدفع في صدري حتى أقعدني على إستي ثم قال: أتدخل بغير إذن»^(٦)؟! وهذا ليس بمستغرب

(١) لسان العرب (١/٥٤٥١)، وانظر: المقاييس (١/٧٦).

(٢) التعريفات (١٦).

(٣) الفتح (٣/١١).

(٤) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (٣/١٣٥٩).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/٢٨١).

(٦) الأدب المفرد، للبخاري (٣٦٥)، (١٠٦١).

فإن الأمر بالاستئذان يقتضي الوجوب، والنهي عن ضده يقتضي التحريم، وقد قال الله - تعالى -: ﴿لَيْسَتَدْنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ...﴾ [النور: ٥٨]. وغيرهم أولى بالاستئذان منهم، وقال - تعالى -: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

وإنما جعل الاستئذان على البيوت وما في حكمها من أجل حفظ العورات وصيانتها أن تهدر كما أنه رعاية للود بين الناس واحترام لحقوقهم وممتلكاتهم الشخصية. قال الله - تعالى -: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [٣٠] وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّبِيعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣٠ - ٣١]. وقال - تعالى -: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

وفي حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه -: أن رجلاً أطلع من جحر في دار النبي ﷺ والنبي ﷺ يحك رأسه بالمِدرى، فقال له رسول الله ﷺ: «لو علمت أنك تنظر لطعتك به في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر»^(١).

المِدرى: عود تدخله المرأة في رأسها لتضم بعض شعرها إلى بعض، وهو يشبه المسلة^(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حلَّ لهم أن يفقأوا عينه»^(٣).

وقال عمر - رضي الله عنه -: «من ملأ عينه من قاعة بيت قبل أن يؤذن له فقد فسق»^(٤).

وقال عطاء - رحمه الله -: قلت لابن عباس - رضي الله عنهما -: «أستأذن على أختي؟ فقال: نعم. فأعدت فقلت: أختاي في حجري - وأنا

(١) صحيح البخاري (٢٢١٥/٥)، (٥٥٨٠).

(٢) فتح الباري (٣٦٧/١٠).

(٣) صحيح مسلم (٦٧١/٢)، (٢١٥٨).

(٤) الأدب المفرد (٩٢).

أَمُونُهُمَا وَأَنْفَقَ عَلَيْهِمَا - أَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: نَعَمْ. أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهُمَا عُرْيَانَتَيْنِ؟ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ [النور: ٥٨]. قَالَ: فَلَمْ يَأْمُرْ هَؤُلَاءِ بِالْإِذْنِ إِلَّا فِي هَذِهِ الثَّلَاثِ. قَالَ: : ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ﴾ [النور: ٥٩]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَالْإِذْنُ وَاجِبٌ، زَادَ جَرِيحٌ: عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ^(١).

آداب الاستئذان:

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا...﴾ [النور: ٢٧-٢٨]: «هَذِهِ آدَابُ شَرْعِيَّةِ آدَابِ اللَّهِ بِهَا عِبَادَةُ الْمُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ فِي الْاسْتِئْذَانِ، أَمْرُهُمْ أَلَّا يَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِهِمْ حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا أَيْ: يَسْتَأْذِنُوا قَبْلَ الدَّخُولِ، وَيَسَلِّمُوا بَعْدَهُ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَأْذِنَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنْ أَذِنَ لَهُ وَإِلَّا انْصَرَفَ، وَيَنْبَغِي لِلْمُسْتَأْذِنِ عَلَى أَهْلِ الْمَنْزِلِ أَنْ لَا يَقِفَ تَلْقَاءَ الْبَابِ بِوَجْهِهِ، وَلِيَكُنَ الْبَابُ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ يَسَارِهِ، وَلَا يَقُولُ الْمُسْتَأْذِنُ: أَنَا، إِذَا قِيلَ: مَنْ؟ لِأَنَّ هَذَا مَكْرُوهٌ؛ لِأَنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ لَا يَعْرِفُ صَاحِبُهَا حَتَّى يَفْصَحَ بِاسْمِهِ أَوْ كُنْيَتِهِ الَّتِي هُوَ مَشْهُورٌ بِهَا، وَإِلَّا فَكُلُّ أَحَدٍ يُعَبِّرُ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَا، فَلَا يَحْصُلُ بِهَا الْمَقْصُودُ مِنَ الْاسْتِئْذَانِ الَّذِي هُوَ الْاسْتِئْذَانُ الْمَأْمُورُ بِهِ فِي الْآيَةِ»^(٢).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي دِينٍ عَلَى أَبِي، فَدَفَعْتُ الْبَابَ، فَقَالَ: «مَنْ ذَا؟» فَقُلْتُ: أَنَا. فَقَالَ: «أَنَا أَنَا»، كَأَنَّهُ كَرِهَهَا»^(٣).

وَيَنْبَغِي لَهُ أَلَّا يَطْرُقَ الْبَابَ بِشِدَّةٍ حَتَّى لَا يُؤْذِيَ أَصْحَابَ الْبَيْتِ أَوْ يَرُوعَهُمْ، فَإِنْ سَمِعُوهُ أَذِنُوا وَإِلَّا انْصَرَفَ.

قَالَ الشَّنْقِيطِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «اعْلَمْ أَنَّ الْمُسْتَأْذِنَ إِنْ تَحَقَّقَ أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ سَمِعُوهُ لَزِمَهُ الْإِنْصِرَافُ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوهُ، وَلَمْ يَأْذِنُوا لَهُ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى عَدَمِ الْإِذْنِ»^(٤).

صفات الإذن:

يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْإِذْنُ بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْفِعْلِ الْمُتَعَارَفِ عَلَيْهِ أَنَّهُ إِذْنٌ سِوَا مَا كَانَ عَامًّا أَوْ خَاصًّا.

(١) المرجع السابق (٣٦٥)، (١٠٦٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٢٨١)، (بتصرف).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (١١/٢٥)، (٦٢٥٠).

(٤) أضواء البيان (٦/١٧٥ - ١٧٦).

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: «اِئْذَنُوا لَهُ...»^(١).

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ تَرْفَعَ الْحِجَابَ وَأَنْ تَسْمَعَ سَوَادِي حَتَّى أَنْهَاكَ»^(٢).

قال النووي - رحمه الله - في شرحه لهذا الحديث: «وفيه دليل لجواز اعتماد العلامة في الإذن في الدخول...»^(٣).

الاستئذان من صفات عباد الله المحسنين:

عن أبي مسعود - رضي الله عنه - قال: إن رجلاً من الأنصار يقال له: أبو شعيب كان له غلام لَحَامٌ. فقال له أبو شعيب: اصنع لي طعام خمسة لعلِّي أدعو النبي ﷺ خامس خمسة - وأبصر في وجه النبي ﷺ الجوع - فدعاه، فتبعهم رجل لم يُدْعَ، فقال النبي ﷺ: «إِنْ هَذَا قَدْ اتَّبَعَنَا، أَتَأْذِنُ لَهُ؟» قال: نعم»^(٤).

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: إن النبي ﷺ دخل حائطاً وأمرني بحفظ باب الحائط فجاء رجل يستأذن فقال: «اِئْذِنْ لَهُ وبشره بالجنة». فإذا أبوبكر، ثم جاء آخر يستأذن. فقال: «اِئْذِنْ لَهُ وبشره بالجنة». فإذا عمر. ثم جاء يستأذن، فسكت هنيهة ثم قال: «اِئْذِنْ لَهُ وبشره بالجنة، على بلوى ستصيبه». فإذا عثمان بن عفان»^(٥).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: دخلت مع رسول الله ﷺ فوجد لبنًا في قدح فقال: «أَبَاهِرْ، الْحَقَّ أَهْلَ الصُّفَّةِ فَادْعِهِمْ إِلَيَّ». قال: فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا فاستأذنوا، فأذن لهم، فدخلوا»^(٦).

صور من استئذان المحسنين:

الأولى: عن قيس بن سعد - يعني ابن عبادة - رضي الله عنهما - قال: زارنا رسول الله ﷺ في منزلنا فقال: «السلام عليكم ورحمة الله». فردَّ سعد ردًّا خفيًّا. قال قيس: فقلت: ألا تأذن لرسول الله ﷺ؟! فقال: ذره يكثر علينا من السلام، فقال رسول الله ﷺ: «السلام عليكم ورحمة الله». فردَّ سعد ردًّا خفيًّا. ثم قال رسول الله ﷺ: «السلام عليكم ورحمة الله». ثم رجع رسول الله ﷺ، واتبَعَهُ سعد فقال: يا رسول الله إني كنت أسمع تسليمك

(١) صحيح البخاري، الفتح (٤٧١/١٠)، (٦٠٥٤).

(٢) صحيح مسلم (١٦٩٨/٢)، (٢١٦٩).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٥٠/١٤).

(٤) صحيح البخاري، الفتح (١٠٦/٥)، (٢٤٥٦).

(٥) صحيح البخاري، الفتح (٥٣/٧)، (٣٦٩٥).

(٦) صحيح البخاري، الفتح (٤٠٤/١٣)، (٧٤٢٤).

وأرد عليك ردًا خفيًا لتكثر علينا من السلام. قال: فانصرف معه رسول الله ﷺ فأمر له سعد بغسل فاغتسل، ثم ناوله مِلْحَفَةً مصبوغة بزعفران أو ورس، فاشتمل بها، ثم رفع رسول الله ﷺ يديه وهو يقول: «اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة». قال: ثم أصاب رسول الله ﷺ من الطعام، فلما أراد الانصراف قرَّب له سعد حمارًا قد وطأ عليه بقطيفة، فركب رسول الله ﷺ فقال سعد: يا قيس، اصحب رسول الله ﷺ. قال: قيس: فقال لي رسول الله ﷺ: «اركب». فأبيت، ثم قال: «إما أن تركب وإما أن تنصرف». قال: فانصرفت^(١).

والثانية: ما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «جاء عمر إلى النبي ﷺ في مشربة له فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك، أيدخل عمر»^(٢)؟

والثالثة: وقال أبو عبيدة - رحمه الله -: «كان عبدالله - يعني ابن مسعود - رضي الله عنه - إذا دخل الدار استأنس (تكلم ورفع صوته)»^(٣).

من ثمرات الاستئذان: ١ - أنه يسد الذرائع؛ لأن عدمه يستلزم وقوع النظر على ما حرم الله. وذلك يُفْضِي إلى الفتنة.

٢ - أنه سبب في إزالة الحرج للانتفاع بخصوصيات الآخرين.

٣ - أنه من مظاهر سمو المرء وحسن خليقته.

٤ - أنه يُشِيع المودة في المجتمع الإسلامي.

(١) سنن أبي داود (٣٧٢/٥)، (٥١٨٥)، والبخاري (٤٢٠/٢)، كما في كشف الأستار، وقال ابن كثير: قد روي هذا من وجوه أخر، فهو حديث جيد قوي، والله أعلم. تفسير القرآن العظيم (٢٧٩/٣).

(٢) مسند أحمد (٤٩٨/١) (٢٧٥١)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاکر (٢٦٧/٤) (٢٧٥٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٨٠/٣).

تاسعاً : الأمانة :

الأمانة لغة:

مصدر قولهم: أَمِنْ يَأْمَنُ أَمَانَةً أي: صار آميناً. قال ابن فارس - رحمه الله -: «الهمزة والميم والتون أصلان متقاربان، أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر: التصديق»^(١).
والأمانة مأخوذة من الأَمْن وهو ضد الخوف؛ أنها لا يخاف عليها إذ توضع عند أمين، والأمين ثقة لا يخون^(٢).

واصطلاحاً:

الأمانة: ضد الخيانة، وهي صيانة الإنسان كل ما ينبغي صيانته من فروض أو واجبات أو حدود أو حقوق مادية أو معنوية سواء كانت لله - تعالى - أم للناس^(٣).

وقيل: هي خلق ثابت في النفس يَعِفُّ به الإنسان عما ليس به حق، وإن تهيأت له ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس، ويؤدي به ما عليه أو لديه من حق لغيره، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس^(٤).

وهي أحد الفروع الخلقية لحب الحق وإيثاره... وقال الكفوي - رحمه الله -: «الأمانة: كل ما يؤتمن عليه من أموال وحُرْمٍ وأسرار»^(٥).

شروط الأمانة:

- ١ - عفة الأمين عما ليس له به حق.
- ٢ - تأدية الأمين ما يجب عليه من حق لغيره.
- ٣ - اهتمام الأمين بحفظ ما أُسْتُؤْمِنَ عليه، وعدم التفريط أو التهاون بشأن الأمانة.

مكانة الأمانة وفضلها:

الأمانة من أعظم الأخلاق الإسلامية التي لا يكون العبد محسناً من دونها أبداً، وقد اعتنت الشريعة الإسلامية بها عناية فائقة أمراً بها، ونهياً عن ضدها، ورفعةً لشأن أصحابها وَجَعَلَتْهَا مقياس صلاح المجتمع وفساده وشارة واضحة لتحقق قيام الساعة. قال الله - تعالى -: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ

(١) المقاييس (١/١٣٣)، وانظر: الصحاح (٥/٢٠٧١)، ولسان العرب (١٣/٢١، ٢٢)، والمفردات (٢٩).

(٢) انظر: موسوعة أخلاق القرآن للشرباصي (٢/١٥).

(٣) الأخلاق الإسلامية، للميداني (١/٦٤٦، ٦٤٧).

(٤) انظر: الأخلاق الإسلامية، للميداني (١/٦٤٧).

(٥) انظر: الكليات (١٧٦، ١٨٦).

الَّذِي أَوْثَمَنَ أَمْنَتَهُ وَلَيْتَقَ اللَّهُ رَبَّهُ ﴿البقرة: ٢٨٣﴾.

وقال - جل وعلا -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...﴾

[النساء: ٥٨].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنْ اتَّيَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مِنْ خَانَكَ^(١).

هذا في الأمر بها، وأما النهي عن ضدها فيقول - تعالى -: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»^(٢).

وأخبرت النصوص الشرعية عن عاقبة الخيانة الوخيمة وسوء منقلب أصحابها، فقال - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]. وقال - سبحانه -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]. وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧].

وقال - جل ذكره -: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧١].

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي. ثم قال: «يا أباذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدَّى الذي عليه فيها»^(٣).

وعن أبي زرارة، عدي بن عميرة الكندي - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من استعملناه منكم على عمل، فكتمنا مخيطةً فما فوقه، كان غلولاً يأتي به يوم القيامة». قال: فقام إليه رجل أسود من الأنصار كأني أنظر إليه، فقال: يا رسول الله، اقبل عني عملك، قال: «وما لك؟» قال: سمعتك تقول: كذا وكذا، قال: «وأنا أقوله الآن: من استعملناه منكم على عمل، فليجيء بقليله وكثيره، فما أوتي منه أخذ، وما نهي عنه انتهى»^(٤).

(١) سنن أبي داود (٨٠٥/٣) (٣٥٣٥)، وحسنه الألباني - رحمه الله - في صحيح سنن أبي داود (٩٢٢/٣).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٨٩/١)، (٣٣).

(٣) صحيح مسلم (١٤٥٧/٢)، (١٨٢٥).

(٤) صحيح مسلم (١٤٦٥/٢)، (١٨٣٣).

وفي رفع شأن أهلها قال - تعالى - : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١]. وقال - تعالى - : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤].

والأمين مأجور أعظم الأجر على أمانته؛ لما رواه رافع بن خديج - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «العامل على الصدقة بالحق كالغازي في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته»^(١).

وأما ما قررت الشريعة الإسلامية للأمانة من مقاييس صلاح المجتمع وفساده وقرب قيام الساعة من عدمه فعلامات منها: أداء الأمانة، فيدعمه أدلة صريحة منها ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبغيض الفُحْشَ والتَّفَحُّشَ. والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يُخَوَّنَ الأمينُ، ويؤْتَمَنَ الخائنُ، وحتى يظهر الفُحْشُ والتَّفَحُّشُ، وقطعية الأرحام، وسوء الجوار...»^(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاء أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث. فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال: «أين أراه السائل عن الساعة؟» قال: ها أنا يا رسول الله. قال: «فإذا ضيَّعت الأمانة فانتظر الساعة». قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسدَّ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»^(٣).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي، يُغْرِبُكُمُ الناس فيه غربلة، ثم تبقى حثالة من الناس قد مَرَجَتْ عهودهم وأماناتهم، فاختلفوا هكذا - وشبك بين أصابعه -، قالوا: كيف بنا يا رسول الله إذا كان ذلك؟ قال: «تأخذون بما تعرفون، وتَدْعُونَ ما تنكرون، وتقبلون على خاصتكم، وتَدْرُونَ أمر عَوَامِّكُمْ»^(٤).

وأما أنه مقياس صلاح فقد روى أبوهريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لي على قريش حقًا، وإن لقريش عليكم حقًا، ما حكموا

(١) مستدرك الحاكم (٥٦٤/١)، (١٤٧٤)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٥٧/٢) (٤١١٧).

(٢) مسند أحمد (٣٤٦/٢) (٤٦٧٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٢٠/١٠) (٦٥١٤) إسناده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، الفتح (١٤١/١)، (٥٩).

(٤) سنن ابن ماجه (١٣٠٧/٢)، (٣٩٥٨)، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٨١٩/٣)، (٣٦٤٨): حسن صحيح.

فعدلوا، واثمّنوا فأدّوا، واستزحموا فرحموا»^(١).

والأمانة مرتبطة بالإيمان ثبوتاً وعدمًا في غير ما حديث، منها حديث حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها. قال: «ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض، فيبقى منها أثرها مثل أثر المجل، كجمر دحرجته على رجلك فنقِط، فتراه مُنتَبِراً وليس فيه شيء، ويصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل: ما أعقله! وما أظرفه! وما أجلده! وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان». ولقد أتى عليّ زمان ولا أبالي أيكم بايعت. لئن كان مسلماً رده عليّ الإسلام، وإن كان نصرانياً رده عليّ ساعيه، وأما اليوم فما كنت أباع إلا فلاناً وفلاناً»^(٢).

وفي الحديث سمى رسول الله ﷺ ما ينزل على قلوب الرجال والنساء من الإيمان، وعلم الكتاب والسنة أمانة، وهذه الأمانة هي المذكورة في قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وهي عين الإيمان، فإذا استمكنت الأمانة من قلب العبد قام حينئذ بأداء التكاليف واغتتم ما يرد عليه منها، وجدّ في إقامتها.^(٣)

مبادئ الأمانة:

الأمانة في الإسلام لها مفهوم واسع جدّاً، فهي تدخل في كل ما يسأل عنه الإنسان يوم القيامة من سلوكيات في العبادات والمعاملات والآداب والحقوق العامة والخاصة. قال الحسن البصري - رحمه الله - في تأويل قول الله - تعالى -: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال: «هي كل ما يؤتمن عليه المرء من أمر ونهي، وشأن دين ودنيا، والشرع كله أمانة»^(٤).

وقال القرطبي - رحمه الله -: «الأمانة تعمّ جميع وظائف الدين»^(٥). قال البيهقي - رحمه الله -: «ويدخل في هذا الباب ما يقبل المؤمن بإيمانه من العبادات والأحكام، وما عليه في مراعاة حقوق نفسه، وحقوق زوجه وولده ووالده، وحقوق أخيه المسلم، بالعون والنصيحة ابتداءً، وأداء

(١) مسند أحمد (٥٢٨/٢) (٧٥٩٦)، وقال أحمد شاكر (٧٢/١٤) (٧٦٤٠) إسناده صحيح.

(٢) فتح الباري، الفتح (٣٨/١٣) (٧٠٨٦)، وصحيح مسلم (١٢٦/١) (١٤٣).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٦٨/٢).

(٤) البحر المحيط (٢٥٣/٧).

(٥) تفسير القرطبي (٢٥٣/١٤).

النصح إذا استشاره في أموره واستودعه شيئاً، أو نصب والياً في مال يتيم، أو محجور عليه، وحقوق ممالكه أو مَنْ يملكه إن كان هو مملوكاً، وما تقلد الوالي من حقوق الرعايا، وما تقلد الرعايا من حقوق الوالي، وأداء الأمانة في جميع ذلك مشروع»^(١).

ومنها على سبيل المثال:

١ - الأمانة في الولايات أيّاً كان نوعها ومنزلتها. فعن معقل بن يسار - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعيةً، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة»^(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الإمام ضامنٌ، والمؤذن مؤتمنٌ، اللهم أرشد الأئمة، واغفر للمؤذنين»^(٣).

٢ - الأمانة في الأموال والودائع ونحوها؛ لما رواه أبوهريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تحن من خانك»^(٤). وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «لم يرخص الله لمعسر ولا لموسر أن يمسك الأمانة»^(٥).

٣ - الأمانة في العلاقات الإنسانية، وهي أنواع، منها:

أ- الأمانة في الحقوق الزوجية؛ لما روي عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ خطب في حجة الوداع، فكان مما قال: «اتقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ...»^(٦).

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة، الرجل يُفْضِي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم تنشر سرّها». وفي رواية: «من أشر الناس»^(٧).

ب - الأمانة في الاستشارة دينيةً كانت أم دنيوية، فمن أشار عليه مسلم بأمر يرى الرشد في غيره فقد غشّه؛ لما رواه أبوهريرة - رضي الله عنه - قال:

(١) شعب الإيمان (٤/٣٢١ - ٣٢٢).

(٢) صحيح مسلم (١/١٢٤)، (١٤٢).

(٣) سنن الترمذي (١/٤٠٢)، (٢٠٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر (١/٤٠٣ - ٤٠٥): حديث صحيح ثابت.

(٤) سنن أبي داود (٣/٨٠٥)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٢٢).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٦٥).

(٦) صحيح مسلم (١/٨٨٦)، (١٢١٨).

(٧) صحيح مسلم (٢/١٠٦٠)، (١٤٣٧).

قال رسول الله ﷺ: «المستشار مؤتمن»^(١).

ج - الأمانة في المجالس، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال ﷺ: «إذا حدث رجل رجلاً بحديث ثم التفت، فهو أمانة»^(٢).

٤ - الأمانة في المؤثرات والمتأثرات الإنسانية، مثل السمع والبصر والفؤاد؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

٥ - الأمانة في أداء العبادات، مثل الغسل والصلاة وغيرهما؛ فعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس من جاء بهنَّ مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهنَّ وركوعهنَّ وسجودهنَّ ومواقيتهنَّ، وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً، وأعطى الزكاة طيبة بها نفسه، وأدى الأمانة». قالوا: يا أبا الدرداء: وما أداء الأمانة؟ قال: «الغسل من الجنابة»^(٣).

وسائل اكتساب الأمانة:

١ - الدعاء، وأن يُدعى له.

٢ - التأمل في عاقبة الأمانة وعاقبة الخيانة.

٣ - التأمل في سير الأمناء.

الأمانة من صفات المحسنين:

قال الله - تعالى - عن نوح - عليه السلام -: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنْقِذُ ﴿١١٠﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١١﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥ - ١٠٧].

وقال - تعالى - عن هود - عليه السلام -: ﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْقِذُ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣ - ١٢٥].

وقال - جل وعلا - عن موسى - عليه السلام -: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ إِيَّائِي عِبَادَ اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الدخان: ١٧ - ١٨]. وحكى الله عن ابنة شيعب قولها عن موسى - عليه السلام -: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَبَاطِئُ اسْتَفْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٦].

وقال - سبحانه - عن يوسف - عليه السلام -: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْوِي بِهِ؟﴾

(١) سنن أبي داود (٣٤٥/٥)، (٥١٢٨). وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٣٦/٢) (٦٧٠٠).

(٢) سنن أبي داود (١٨٨/٥)، (٤٨٦٨). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٤٦/١) (٤٨٦).

(٣) سنن أبي داود (٢٩٨/١)، (٤٢٩)، وقال الألباني - رحمه الله - في سنن أبي داود (٨٧/١)، (٤١٤): حسن.

أَسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُفِصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [يوسف: ٥٤ - ٥٦].

وقال - تعالى - عن جبريل - عليه السلام - : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١].

وفي حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً؟!»^(١).

وقد كانت قريش في جاهليتها تلقبه ﷺ بالصادق الأمين قبل أن ينزل عليه الوحي^(٢). فعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : «أخبرني أبوسفیان أن هرقل قال له : سألتك ماذا يأمركم، فزعمت أنه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة. قال : وهذه صفة نبي»^(٣).

ومنهم أبوعبيدة، عامر بن الجراح - رضي الله عنه - ؛ فعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال لأهل نجران : «لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين». فاستشرف لها أصحاب النبي ﷺ فبعث أباعبيدة»^(٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أَمَنَهُ الناس على دماءهم وأموالهم»^(٥).

صور من أداء الأمانة:

الأولى: ما رواه أبوهريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «اشترى رجل من رجل عقاراً له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني؛ إنما اشتريت منك الأرض، ولم أبتغ منك الذهب. وقال الذي له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقاً»^(٦).

(١) صحيح البخاري، الفتح (٦٧/٧)، (٤٣٥١).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (١٤٦/١)، وسيرة ابن هشام (٢٨/١).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٧/١)، (٦).

(٤) صحيح البخاري، الفتح (٢٣٢/١٣)، (٧٢٥٤).

(٥) سنن الترمذي (١٧/٥)، (٢٦٢٧). وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٣٧/٢). (٦٧١٠).

(٦) صحيح البخاري (١٢٨١/٣)، (٣٢٨٥).

والثانية: ما رواه نافع - رحمه الله ؛ قال: خرج ابن عمر - رضي الله عنهما - في بعض نواحي المدينة ومعه أصحابٌ له ووضَعُوا سُفْرَةَ له، فمر بهم راعي غنم قال: فسلم، فقال ابن عمر: هَلُمَّ يا راعي هلم فأصب من هذه السفرة، فقال له: إني صائم، فقال ابن عمر: أتصوم في مثل هذا اليوم الحار شديد سمومه وأنت في هذه الجبال؟! فقال له: إي والله، أبادر أيامي الخالية! فقال له ابن عمر - وهو يريد يختبر ورعه -: فهل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها ونعطيك من لحمها فتفطر عليه؟ فقال: إنها ليست لي بغنم، إنها غنم سيدي، فقال له ابن عمر: فما عسى سيدك فاعلاً إذا فقدوها فقلت: أكلها الذئب؟ فوَلَّى الراعي عنه وهو رافع أصبعه إلى السماء وهو يقول: أين الله. قال: فلما قدم المدينة بعث إلى مولاه فاشترى منه الغنم والراعي، فأعتق الراعي ووهب له الغنم^(١).

والثالثة: ما رواه زياد بن الربيع اليمامي، عن أبيه قال: رأيت محمد بن واسع يبيع حماراً له بسوق مرة، فقال له رجل: يا أبا عبد الله: أترضاه لي؟ قال: لو رضيته لم أبعه.^(٢)

من ثمرات الأمانة:

- ١ - أنها من علامات الخير والصلاح للفرد والمجتمع.
- ٢ - أنها من أساسيات قيام الحياة الفاضلة للمجتمع المسلم.
- ٣ - عِظَم أجر الأمين عند الله - تعالى.

(١) شعب الإيمان (٣٢٩/٤)، (٥٢٩١).

(٢) شعب الإيمان (٣٣٠/٤)، (٥٢٩٦).

عاشراً : الحياء :

الحياء لغة:

مصدر قولهم: حَيَّ، وهو مأخوذ من مادة (ح ي ي) التي تدل على الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة.

وقال ابن منظور: الحياء: التوبة والحشمة. يقال: حَيَّ منه حياءٌ، واستحيا، واستحَى، حذفوا الياء الأخيرة كراهية التقاء الياءين^(١).

وقال ابن القيم: الحياء (الذي هو الاستحياء) مشتق من الحياة، ومن ذلك - أيضاً -: الحيا للمطر، لكنه مقصور، وعلى حسب حياة القلب، يكون فيه قوة خلق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح، فكلما كان القلب أحيا كان الحياء أتم^(٢).

واصطلاحاً:

هو تغير وانكسارٌ يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به^(٣). يبعث على فعل الحسن وترك القبيح^(٤). وهذا التغير هو عبارة عن انقباض النفس.

مكانة الحياء في الدين:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلّها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتها الظاهرة كما أنه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق لم يُقَرَّ الضيف، ولم يُوفَ بالوعد، ولم تؤدَّ أمانة، ولم تُقَضَّ لأحد حاجة، ولا تحرَّى الرجل الجميل فآثره، والقبيح فتجنّبه، ولا ستر له عورة، ولا امتنع من فاحشة. وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يؤد شيئاً من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقاً، ولم يصل له رحماً، ولا برّ له والدًا؛ فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني، وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإما دنيوي علوي، وهو حياء فاعلها من الخلق. فقد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق أو من الخلائق لم يفعلها صاحبها. ثم قال - رحمه الله -: إن للإنسان أمرين وزاجرين، أمر وزاجر من جهة الحياء، فإذا أطاعه امتنع من فعل كل ما يشتهي، وله أمر وزاجر من جهة الهوى والطبيعة، فمن لم يطع أمر الحياء وزاجره، أطاع أمر

(١) المفردات (١٤٠)، المقاييس (١٢٢/٢)، اللسان (٢١٧/١٤).

(٢) مدارج السالكين (٢٧٠/٢).

(٣) الفتوح (٥٢/١).

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح (٢٢٧/٢).

الهُوَى والشهوة ولا بد^(١).

وقال إياس بن قرة - رحمه الله -: كنت عند عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - فذَكَرَ عنده الحياء، فقالوا: الحياء من الدين. فقال عمر: «بل هو الدين كُلُّهُ»^(٢).

وعن معبد الجهني - رحمه الله - قال في قوله - تعالى -: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]. قال: «لباس التقوى: الحياء»^(٣).

وهذا الخلق العظيم هو من صفات ربنا - تعالى -: إذ الباري - جل وعلا - متصف بكل صفة كمال ليس فيها نقص من جهة من الجهات، والحياء صفة كمال، فعن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رَبَكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ يَدْعُوهُ أَنْ يَرُدَّهُمَا صَفَرًا»^(٤).

قال ابن القيم - رحمه الله -: «وأما حياء الرب - تعالى - من عبده، فذاك نوع لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول، فإنه حياء كرم وبر وجود وجلال»^(٥).

وقد جاءت النصوص الشرعية آمرةً به، وناهية عن ضده، فعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «استحيوا من الله حقَّ الحياء». قال: قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله، قال: «ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»^(٦).

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - أنه قال: قال النبي ﷺ: «الحياء والعِي شِعتان من الإيمان، والبذاء والبيان شِعتان من النفاق»^(٧).
والعِي: خلاف البيان^(٨)، والبيان: التعمق في النطق والتفصيح وإظهار

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٢٧٧).

(٢) مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا (١٩).

(٣) تفسير الطبري (١٨٥/٨).

(٤) سنن أبي داود (١٦٥/٢) (١٤٨٨)، وصححه الشيخ الألباني - رحمه الله - في صحيح

سنن أبي داود (٢٧٨/١) (٣١٢٠).

(٥) مدارج السالكين (٢٦١/٢).

(٦) سنن الترمذي (٦٣٧/٤) (٢٤٥٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٢/١) (٩٣٥).

(٧) سنن الترمذي (٣٧٥/٤) (٢٠٢٧). وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي

(١٩٩/٢) (١٦٥٠).

(٨) اللسان (١١٣/١٥).

التقدم فيه على النَّاس^(١).

وعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: مرَّ رسول الله ﷺ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء. فقال رسول الله ﷺ: «دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٢).

ومعنى من الإيمان: أي من شعب الإيمان، وعمل من أعماله؛ لما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»^(٣).

وتقرر الشريعة الإسلامية أن الحياء خير كله ولا يأتي إلا بخير، كما روى عمران بن حصين - رضي الله عنهما - قال: قال النبي ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير»، وفي رواية: «الحياء خير كله»^(٤).

وذمت النصوص الشرعية البذاء، فعن أبي مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»^(٥).

وللحديث تفسيران: الأول: أن يقال: إذا لم تستح من العيب وتخش العار مما تفعله، فافعل ما تحدثك نفسك من أغراضها، سواء كان حسناً أو قبيحاً، فهو توبيخ وتهديد بأسلوب الأمر الذي يراد به الخبر، لا أنه إباحة فعل ما يشاء المرء.

والثاني: أن يقال: إن المعنى: إذا كنت في أفعالك جارياً على سنن الصواب فافعل منها ما شِئْتَ^(٦).

وكما امتدحت الشريعة الحياء، جعلت عاقبته الجنة، وكذا ذمت البذاء، وجعلت عاقبة أهله النار.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار»^(٧). أقسام الحياء:

قال ابن القيم: قُسم الحياء إلى عشرة أوجه: حياءٌ جنائية، وحياءٌ

(١) النهاية (١/١٧٤).

(٢) صحيح البخاري - الفتح - (٥٢١/١٠) (٦١١٨).

(٣) صحيح البخاري - الفتح - (٥١/٥١) (٩).

(٤) صحيح البخاري - الفتح - (٥٢١/١٠) (٦١١٧)، وصحيح مسلم (٦٤/١) (٣٧).

(٥) صحيح البخاري - الفتح - (٥٢١/١٠) (٦١٢٠).

(٦) انظر: جامع الأصول، لابن الأثير (٣/٦٣١).

(٧) سنن الترمذي (٤/٣٦٥) (٢٠٠٩). وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي

(٢/١٩٥) (١٦٣٤).

تقصير، وحياء إجلال، وحياء كرم، وحياء حِشْمَةٍ، وحياء استحقار النفس (استصغارها)، وحياء محبة، وحياء عبودية، وحياء شرف وعزة، وحياء المستحي من نفسه^(١).

الحياء المذموم:

ما سبق من الأقسام العشرة هو الحياء المحمود وهو الحياء الحقيقي الذي لا يمنع المؤمن من الخير.

قال صاحب (فضل الله الصمد): «فإن قيل: إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق، فيترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة، فأقول: إن ذلك ليس بحياء حقيقة، بل هو عجز وخور ومهانة، وإنما أطلقوا عليه حياءً تشبيهاً ومجازاً^(٢)، وإنما يكون الحياء حقيقةً حيث يكون قبح المُسْتَحْيِ منه حقيقةً، فلا يدخل فيه الانقباض عما يستقبحه الناس وهو في الحقيقة حسن، ولا الانقباض عما هو في الأصل قبيح ولكن الانقباض عنه يؤدي إلى ما هو أقبح منه، مثال ذلك ما يقع من بعض خَرَعاتِ النساء، يَعْرِضُ لها فاجر في خلوة يحاول استكراهاها، فتتقبض نفسها عن أن تستغيث وتصرخ؛ لأنها تستقبح أن يشيع عنها أن فاجراً تعرض لها، ولو عقلت لعلمت أن شيوع ذلك ليس بقبيح إذا اقترن بإبائها عن الفاحشة، والناس يثنون عليها بالعفة والحزم والثبات إذا سمعوا أنها انتهرته وصرخت بأهلها فجاءوا ودفعوه، وعلى ذلك فالحياء في قوله ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير» هو الحياء الحقيقي.

وقد ثبت أنه ﷺ كان أشد حياءً من العذراء في خدرها، وهو - لنا في ذلك قدوة -، لا يقوم دون غضبه شيء إذا انتهكت حرمة الله^(٣).

الحياء من صفات المحسنين:

يقول الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِي مِنْ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها»^(٤).

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/٢٧٢).

(٢) انظر: فضل الله الصمد (٢/٥٤).

(٣) فضل الله الصمد (٢/٦٩١، ٦٩٢).

(٤) صحيح البخاري - الفتح - (١٠/٥٢١) (٦١١٩).

وعن حياء موسى - عليه السلام - روى أبوهريرة - رضي الله عنه - قال :
قال رسول الله ﷺ : «إن موسى كان حيًّا سِتِيرًا، لا يُرى من جلده شيء؛
استحياء من الله...» (١).

وقال أبوبكر - رضي الله عنه - وهو يخطب الناس : «يامعشر المسلمين :
استحيوا من الله ، فوالذي نفسي بيده إني لأطلُّ حين أذهب الغائط في الفضاء
متقنعا بثوبي استحياء من ربي - عز وجل -» (٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «الحياء من
الإيمان ، وأحيى أمتي عثمان» (٣).

وقال الله - تعالى - عن ابنة شعيب - عليه السلام - : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا
تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ ابْنِي تَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ
عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القصص : ٢٥].

صور من حياء المحسنين:

الأولى : ما رواه أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :
«يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا ، فيأتون آدم
فيقولون : أنت أبو الناس ، خلقتك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك
أسماء كل شيء ، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيقول :
لست هناكم - ويذكر ذنبه فيستحيي - ائتوا نوحا...» (٤).

والثانية : ما روته أمنا عائشة - رضي الله عنها - قالت : إن امرأة من
الأنصار قالت للنبي ﷺ : كيف أغتسل من المحيض ؟ قال : «خذي فِرْصَةً
مُمَسَّكَةً فتوضئي ثلاثا». ثم إن النبي ﷺ استحيا ، فأعرض بوجهه ، أو قال :
«توضئي بها». فأخذتها فجذبتها فأخبرتها بما يريد النبي ﷺ» (٥).

والفِرْصَةُ المُمَسَّكَةُ : هي القطعة من القطن أو الصوف بها طيب (٦).

والثالثة : ما رواه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : «كنت
رجلاً مذاءً فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ ، فأمرت المقداد بن الأسود
- رضي الله عنه - فسأله فقال : «فيه الوضوء» (٧).

(١) صحيح البخاري - الفتح - (٤٣٦/٦) (٣٤٠٤).

(٢) مكارم الأخلاق ، لابن أبي الدنيا (٢٠).

(٣) تاريخ ابن عساكر (٩٢/٣٩) (٧٨٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٩/١) (٣١٩٨).

(٤) صحيح البخاري (١٦٢٤/٤) (٤٢٠٦).

(٥) صحيح البخاري - الفتح - (٤١٦/١) (٣١٥).

(٦) النهاية (٤٣١/٣).

(٧) صحيح البخاري - الفتح - (٢٨٣/١) (١٧٨).

من ثمرات الحياء

- ١ - أن الحياء من أعظم خصال الإيمان، ورأس مكارم الأخلاق.
- ٢ - أنه يمنع العبد من المعاصي.
- ٣ - أنه دليل خير ونفس طيبة للإنسان المسلم.

الحادي عشر : العِفَّة:

العفة لغة: مصدر عَفَّ يَعِفُّ عِفَّةً، مأخوذ من مادة (ع ف ف) التي تدل على الكف عن القبيح^(١).

وقال ابن منظور - رحمه الله -: الكف عما لا يحل ويَجْمَلُ^(٢).
واصطلاحاً:

قال الراغب - رحمه الله -: العفة حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة، والمتعفف هو المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر^(٣).
وقال الجاحظ: هي ضبط النفس عن الشهوات وقصرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسد ويحفظ صحته فقط، واجتناب السرف في جميع الملذات وقصد الاعتدال، وأن يكون ما يقتصر عليه من الشهوات على الوجه المستحب المتفق على ارتضائه وفي أوقات الحاجة التي لا غنى عنها، وعلى القدر الذي لا يحتاج إلى أكثر منه، ولا يحرس النفس والقوة أقل منه، وهذه هي غاية العظة^(٤).

وقال الجرجاني - رحمه الله - العفة: هي هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة والخمود الذي هو تفريطه. فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة^(٥).
أنواع العفة:

العِفَّة نوعان:

أحدهما: العِفَّة عن المحارم.

والثاني: العِفَّة عن المآثم، فأما العِفَّة عن المحارم، فنوعان:

أحدهما: ضبط الفرج عن الحرام.

والثاني: كف اللسان عن الأعراض، فأما ضبط الفرج عن الحرام، فلأنَّ عَدَمَهُ مَعَ وَعِيدِ الشَّرْعِ وَزَاجِرِ الْعَقْلِ مَعَرَّةٌ فَاضِحَةٌ، وَهَتْكَةٌ وَاضِحَةٌ.
وأما كف اللسان عن الأعراض؛ فلأنَّ عَدَمَهُ مَلَاذُ السُّفْهَاءِ وَانْتِقَامُ أَهْلِ الْغَوَغَاءِ، وَهُوَ مُسْتَهْسِلُ الْكَفِّ، وَإِذَا لَمْ يَقْهَرْ نَفْسَهُ عَنْهُ بِرَادَعِ كَافٍّ، وَزَاجِرٍ صَادٍ، تَلَبَّطَ بِمَعَارِهِ، وَتَخَبَّطَ بِمُضَارِهِ، وَأَمَّا الْعِفَّةُ عَنِ الْمَآثِمِ فَنَوْعَانِ أَيْضًا:

(١) المقاييس (٣/٤).

(٢) اللسان (٣٠١٥/٤).

(٣) المفردات (٣٣٩).

(٤) تهذيب الأخلاق (٢١، ٢٢).

(٥) التعريفات (١٥١).

أحدهما: الكف عن المجاهرة بالظلم.

والثاني: زجر النفس عن الإسرار بخيانة.

فأما المجاهرة بالظلم فعتوؤُ مهلك وطغيان متلف، ويؤول إن استمر إلى فتنة تحيط في الغالب بصاحبها فلا تنكشف إلا وهو مصروع، وأما الاستسرار بالخيانة فضعة لأنه بذل الخيانة مهين، ولقلة الثقة به مستكين، وقد قيل: من يخن يهن، هذا ولا يجعل ما يتظاهر به من الأمانة زوراً، ولا ما يديه من العفة غروراً، فينتهك الزور وينكشف الغرور، فيكون مع هتكه للتدليس أقبح، ولمعرة الرياء أفصح^(١).

مكانة العفة وفضلها:

قد أمر الله تعالى بالعفاف وحفظ الفروج إلا فيما يحل وهذا مقصد سام من مقاصد الشريعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَاءَهُنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِيكَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

قال ابن القيم - رحمه الله -: «أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يأمر المؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم، ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الأمر بغضه مقدماً على حفظ الفرج، فإن الحوادث مبدؤها من النظر، فتكون نظرة ثم خطرة ثم خطوة ثم خطيئة، والخطرات واللفظات والخطوات»^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠].

ورتب تعالى الفلاح على حفظ الفروج فقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنْ أَتَعَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧﴾ [المؤمنون: ١-٧].

(١) انظر: أدب الدنيا والدين (٣٨٤، ٣٩٠).

(٢) الداء والدواء (٢٣٢).

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْجَاهِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٢٩] (١).

وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن أبي سفيان - رضي الله عنه - في حديثه الطويل مع هرقل في وصف النبي ﷺ قال: «... ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف...» (٢) وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ [النور: ٣٣].

وجاء عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا أؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم» (٣).

وعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمن له الجنة» (٤).

وعن عبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» (٥).

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... [وذكر منهم]: ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله...» (٦).

وعن العفة في السؤال يقول الله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الَّذِينَ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ [النساء: ٦].

وروى أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه قال: «إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى إِذَا نَفَدَ مَا عِنْدَهُ، قَالَ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أُدْخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٍ وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» (٧).

وقد امتدح الله تعالى الفقراء، المتعففين بقوله سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ

(١) تفسير ابن كثير (٢٤٩/١٨).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (١٠٩/٦) (٢٩٤١).

(٣) مسند أحمد (٤٤١/٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٩/١)، (١٠٢٩).

(٤) صحيح البخاري، الفتح (٣٠٨/١١) (٦٤٧٤).

(٥) مسند أحمد (١٣١/١) (١٦٦٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٤/١) (٦٦٠).

(٦) صحيح البخاري، الفتح (٥١٧/٢) (١٣٧٥).

الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ
يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ
الْحَقَّ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ [البقرة: ٢٧٣].

قال محمد بن الحنفية - رضي الله عنه - الكمال في ثلاثة: العفة في الدين، والصبر على النوائب، وحسن التدبير في المعيشة^(١).

وقال الماوردي - رحمه الله -: «العفة والنزاهة والصيانة من شروط المروءة»^(٢).

وقال ابن الجوزي - رحمه الله -: الكمال عزيز والكمال قليل الوجود، وأول أسباب الكمال تناسب أعضاء البدن وحسن صورة الباطن، فصورة البدن تسمى خلقاً.

وصورة الباطن تسمى خلقاً، ودليل كمال صورة البدن حسن السمات واستعمال الأدب، ودليل كمال صورة الباطن حسن الطباع والأخلاق.

فالطباع: العفة والنزاهة، والأنفة من الجهل، ومباعدة الشره. والأخلاق: الكرم والإيثار وستر العيوب، وابتداء المعروف والحلم عن الجاهل.

فمن رزق هذه الأشياء رفته إلى الكمال، وظهر عنه أشرف الخلال وإن نقصت خلّة أوجبت النقص^(٣).

شروط العفة:

لا يكون المتعفف عفيفاً إلا بشرائط، وهي أن لا يكون تعفّفه عن الشيء انتظاراً لأكثر منه أو لآئته لا يوافق، أو لجُمُود شهوته، أو لاستشعار خوف من عاقبته، أو لآئته ممنوع من تناوله، أو لآئته غير عارف به لقصوره فإن ذلك كله ليس بعفة بل هو إمّا اضطياد، أو تطبّب أو مرض أو خرم أو عجز أو جهل، وترك ضبط النفس عن الشهوة أذم من تركها عن الغضب.

فالشهوة مُغتالة مُخادعة، والغضب مُغالِب والمتحيز عن قتال المُغالِب ولهذا قيل عبد الشهوة أذل من عبد الرزاق، وأيضاً بالشره قد يجهل عيبه فهو شبيه بأهل مدينة لهم سنة رديئة يتعاطونها وهم يعرفون قبحها، وليس من تعاطى قبيحاً يعرفه كمن يتعاطاه وهو يظنه حسناً. لا يكون الإنسان تامّ العفة حتى يكون عفيف اليد واللسان والسمع والبصر فمن عدمها في اللسان السخرية، والتجسس والغيبة والهمز

(١) أدب الدنيا والدين (٣٩٣).

(٢) المراجع السابق.

(٣) صيد الخاطر (٢٨٩).

وَالنَّمِيمَةُ وَالتَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ، وَمَنْ عَدِمَهَا فِي الْبَصَرِ: مَذَّالْعَيْنِ إِلَى الْمَحَارِمِ وَزَيْنَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْمُؤَلَّدَةِ لِلشَّهَوَاتِ الرَّدِيئَةِ، وَمَنْ عَدِمَهَا فِي السَّمْعِ: الْإِصْغَاءُ إِلَى الْمَسْمُوعَاتِ الْقَبِيحَةِ، وَعِمَادُ عَقَّةِ الْجَوَارِحِ كُلِّهَا أَنْ لَا يُطْلَقَهَا صَاحِبُهَا فِي شَيْءٍ مِمَّا يَخْتَصُّ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا، إِلَّا فِيمَا يُسَوِّغُهُ الْعَقْلُ وَالشَّرْعُ دُونَ الشَّهْوَةِ وَالْهَوَىٰ^(١).

وسائل اكتساب العفة:

العفة منها ما هو جِبِلِّيٌّ، ومنها ما هو مكتسب، ومن وسائلها:

أ- وسائل إعفاف الفرج والبصر:

١- الدعاء لما روى عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَىٰ، وَالتَّقَىٰ، وَالْعِفَافَ، وَالْغِنَى»^(٢).

٢- النكاح لمن يقدر عليه: لِمَا رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ حَقُّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُم، الْمَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمَكَاتِبُ الَّذِي يَرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يَرِيدُ الْعِفَافَ»^(٣).

٣- الصيام لمن لم يقدر على الزواج: لِمَا جَاءَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(٤).

والباءة: مؤن النكاح^(٥) والوجاء: ما يذهب شهوة الجماع^(٦).

٤- النظر في عاقبة الفجور وهل يرضاه المرء لمحارمه، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحَسَنُ الْخُلُقِ» وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: «الْفَمُ وَالْفَرْجُ»^(٧).

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - أَنَّ فَتًى مِنْ قُرَيْشٍ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ائْذَنْ لِي فِي الزَّوْنِ. فَأَقْبَلَ الْقَوْمَ عَلَيْهِ وَزَجَرُوهُ فَقَالَ:

(١) انظر: الذريعة (٣١٩).

(٢) صحيح مسلم (٢٠٨٧/٣) (٢٧٢١).

(٣) سنن الترمذي (١٨٤/٤) (١٦٥٥)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٣٠/٢) (١٣٥٢).

(٤) صحيح مسلم (١٠١٨/٢) (١٤٠٠).

(٥) انظر: النهاية (١٦٠/١).

(٦) انظر: النهاية (١٥٢/٥).

(٧) سنن ابن ماجه (١٤١٨/٢) (٤٢٤٦). وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤١٧/٢) (٣٤٢٤).

مه، مه، فقال: «ادنه» فدنا منه قريباً فقال: «أتحبه لأملك؟» قال لا والله! جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: «أفتحبه لخالتك؟» قال لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك.

قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم» قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»^(١).

٥- النظر فيما ينتج عن العلاقات الجنسية غير الشرعية من أمراض وآفات عضال أعيت الطب وباتت تهدد وجود البشرية جميعاً.

٦- النظر في العقوبات الشرعية المترتبة على الزنا وما في حكمه. وسقوط عدالة الزاني وصغر مقامه بين المسلمين.

ب - ومن وسائل العفاف عن سؤال الناس:

١- اليقين التام بأن الغنى غنى النفس، لما رواه أبوهريرة - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»^(٢).

٢- العلم بأنه لا يسد حاجة الإنسان إلا الله تعالى، لما جاء عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تُسد فاقته، ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى، إما بموت عاجل أو غنى عاجل»^(٣).

٣- الخوف من عدم البركة فيما يأخذ ومن الوعيد الشديد في الآخرة لمن يستكثر من سؤال الناس لما روى عن حكيم بن حزام - رضي الله عنه - أنه قال: سألت النبي ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: «إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بطيب نفس بورك له

(١) مسند أحمد (٣٤٢/٦)، وقال الهيثمي في المجمع (١٢٩/١)، رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٢٧١/١١) (٦٤٤٦).

(٣) سنن أبي داود (٢٩٦/٢) (١٦٤٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣١٠/١).

فيه، ومن اخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى^(١).

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: قد كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء، فأقول أعطه أفقر إليه مني، حتى أعطاني مرة مالا، فقلت: أعطه أفقر إليه مني. فقال رسول الله ﷺ: «خُذْهُ وما جاءك من هذا المال وأنت غير مُشْرِفٍ، ولا سائلٍ فخذ، وما لا، فلا تتبعه نفسك»^(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال الرجل يسأل الناس، حتى يأتي يوم القيامة، وليس في وجهه مزعة لحم»^(٣).

العفاف صفة المحسنين:

قال الله تعالى عن العفيف يوسف عليه السلام: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

وقال سفيان الثوري - رحمه الله - لأصحابه وقد خرجوا يوم عيد: «إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا عَقَّةُ أَبْصَارِنَا»^(٤).

صورة من عفاف المحسنين:

الأولى: ما رواه أبوهريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة، فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك، أو جبار، من الجبابرة فقيل: دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء، فأرسل إليه يا إبراهيم مَنْ هَذِهِ الَّتِي مَعَكَ؟ قَالَ: أُخْتِي ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: لَا تُكَذِّبِي حَدِيثِي، فَإِنِّي أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّكَ أُخْتِي، وَاللَّهِ إِنِّي عَلَى الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرِكَ. فَأرسل بها إليه فقام إليها. فقامت تتوضأ وتصلي فقالت: اللَّهُمَّ إِن كُنْتَ آمَنْتَ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَيْتَ فَرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي فَلَا تَسْلُطْ عَلَيَّ الْكَافِرَ، فغَطَّ حَتَّى رَكُضَ بِرَجْلِهِ»^(٥).

الثانية: ماجاء عن رجل من بني أسد - رضي الله عنه - أنه قال: نزلت أنا وأهلي ببقيع الغرقد فقالت لي أهلي: اذهب إلى رسول الله ﷺ فسله لنا شيئا

(١) صحيح مسلم (٧١٧/١) (١٠٣٥).

(٢) صحيح مسلم (٧٢٣/١) (١٠٤٥).

(٣) صحيح البخاري (٥٣٦/٢) (١٤٠٥).

(٤) الورع لابن أبي الدنيا (٦٣).

(٥) صحيح البخاري، الفتح (٧٧٢/٢) (٢١٠٤).

نأكله، فذهبتُ إلى رسول الله ﷺ فوجدتُ عنده رجلاً يسأله ورسول الله ﷺ يقول: «لا أجد ما أعطيك» فولَّى الرجل عنه، وهو مغضب وهو يقول: لعمري إنَّك لتعطي من شئت، قال رسول الله ﷺ: «إنَّه ليغضب عليّ أن لا أجد ما أعطيه، من سأل منكم وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافاً».

قال الأسدي: فقلتُ: للَّقْحَةُ لنا خير من أوقية، والأوقية أربعون درهماً، فرجعت ولم أسأله، فقدم عليّ رسول الله ﷺ بعد ذلك شعير وزبيب فقسم لنا منه حتى أغنانا الله عزَّ وجلَّ^(١). واللقحة: هي الناقة ذات اللبن.

من ثمرات العفة:

- ١- نظافة المجتمع الإسلامي من المفساد.
- ٢- دليل على كمال النفس وطهارتها.
- ٣- صيانة الأنساب، وصحة الأبدان.
- ٤- نشر للأمن وحفظ للأعراض.
- ٥- الفوز بالفلاح في الدنيا والآخرة.

(١) سنن النسائي (٩٨/٥) (٢٥٩٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٥٤٩/٢)، (٥٥٠).

الثاني عشر : السماحة:

السماحة لغة: مصدر سَمَحَ، وتدل مادة (س م ح) كما قال ابن فارس - رحمه الله - على معنى السَّلاَسَةِ والسَّهولة يقال: سَمَحَ (بفتح السين) وتَسَمَّحَ وسَامَحَ، فعل شيئاً فَسَّهَلَ فيه، ويقال أيضاً: سَمَحَ (بضم الميم)، وأسَمَحَ: إذا جاء وأعطى عن كرم وسخاء، وذلك لسهولة ذلك عليه^(١).
والسماحة اصطلاحاً:

بذل ما لا يجب تفضلاً^(٢)، أو الجود عن كرم وسخاء^(٣).
وحقيقة السماحة:

السهولة واليسر في التعامل مع الغير ببذل الفضل وعدم القهر.
فعن عُبَيْسِ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِذَا اشْتَرَى شَيْئاً وَكَانَ فِي ثَمَنِهِ كَسْرٌ جَبْرَةً لِمَالِكِهِ، قَالَ: وَمَرَّ الْحَسَنُ بِقَوْمٍ يَقُولُونَ: نَقْصٌ دَانِقٌ وَزَادَ دَانِقٌ، فَقَالَ: «مَا هَذَا لَا دِينَ إِلَّا بِمَرْوَةٍ»^(٤).

وعن مُحَمَّدِ بْنِ الْمَكْنَدَرِ - رحمه الله - قَالَ: كَانَ يَقَالُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ خَيْرًا أَمَرَ عَلَيْهِمْ خِيَارَهُمْ، وَجَعَلَ أَرْزَاقَهُمْ بِأَيْدِي سُمَحَائِهِمْ^(٥).
قَالَ ابْنُ مُقْبِلٍ - رحمه الله -:
وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي وَفِي الْحَقِّ مَسْمُوحٌ إِذَا جَاءَ بَاغِي الْعُرْفِ، أَنْ أَتَعَذَّرَ^(٦)
مكانة السماحة في الإسلام:

الإسلام دين السماحة مع الخلق عموماً فقد روى أبوهريرة - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يَشَادَ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا وَأَبْشَرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ»^(٧).
والإسلام بهذا المفهوم المميز وسع الناس جميعاً مع حرصه على ارتقاء المرء بنفسه إلى أعلى مراتب الكمال، لعلمه بطبائع النفس البشرية التي قد تتركس في حمئة الخطيئة ووحل الذنب.

ومن شدة سماحة الإسلام لم يقتصر على المسلمين فقط، بل تعداهم إلى أصحاب الديانات الأخرى حيث لم يقسرهم على الدخول فيه كرهاً كما قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾ [البقرة: ٢٥٦] وأمر سبحانه

(١) مقاييس اللغة (٣/٢٩٨)، والمصباح (١/٣٧٦)، واللسان (٢/٤٨٩، ٤٩٠).

(٢) التعريفات للجرجاني (٤٩٠).

(٣) النهاية لابن الأثير (٢/٣٩٨).

(٤) المنتقى من مكارم الأخلاق (١٣٣).

(٥) المرجع السابق (١٢٥).

(٦) لسان العرب (٢/٤٩٠).

(٧) صحيح البخاري، الفتح (١/٩٣) (٣٩).

وتعالى رسوله محمدًا وأُمَّته بأن يقولوا للكافرين: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

بيد أنَّ هذه السماح لا تعني التفلت عن واجبات الإسلام وشرائعه، ومداهنة الكفار بالتنازل عن حقوق الإسلام والمسلمين، وإنما هي رفع الحرج عن النفس والآخرين بما فيه فسحة في الدين، . وملاينة الخلق لقبول الحق وامثاله كما قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفُذُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وعندما قرَّر الإسلام السماح منهجًا أرسى قواعدها في جميع مناشطه، وأمر أتباعه بها، وحضهم على تطبيقها؛ لأنَّ المسلم العاقل لا يملك أن يطوع الناس جميعًا لما يعتقد ويدين به، وذلك لاختلاف طبائعهم، وتنوع إرادتهم، وتبيانهم في تزكية أنفسهم، روى أبو موسى - رضي الله عنه - عن النَّبي ﷺ: «يَسْرُوا، وَلَا تَعْسَرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلَفَا»^(١).

واسمع إلى هذه الأحاديث النبوية في عظم مكانة السماح وحسن عاقبتها فعن عمير الليثي - رضي الله عنه - قَالَ: قلت يا رسول الله: ما الإيمان؟ قال: «السماحة والصبر»^(٢).

وعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ بِسَمَاحَتِهِ قَاضِيًا وَمَتَقَاضِيًا»^(٣).

وعن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»^(٤).

وعن أبي بكر - رضي الله عنه - قَالَ: قال رسول الله ﷺ: وذكر الحديث بطُولٍ، وفيه: يقول الله عزَّ وجل: «انظروا في النَّارِ رَجُلًا، فيقول له: هل عملت خيرًا قط؟ فيقول: لا، غير أنني كنت أسامح الناس في البيع والشراء، فيقول الله عزَّ وجل: «اسمحو لعبي كإسماحه إلى عبيدي...»^(٥).

وهذه السماح في الدين الإسلامي وفي أتباعه الحقيقيين هي من أعظم الأسباب الداعمة للأخوة الإيمانية بين المجتمع من جهة وتعايشه مع

(١) صحيح مسلم (١٣٥٩/٢) (١٧٣٣).

(٢) مستدرک الحاكم (٧٢٥/٣) (٦٦٢٨)، وصححه الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع (٢٤٧/١) (١٠٩٧).

(٣) مسند أحمد (٤٢٥/٢) (٦٩٤٢) وقال الهيثمي في المجمع (٧٤/٤)، رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٤) صحيح البخاري، الفتح (٣٠٦/٤) (٢٠٧٦).

(٥) مسند أحمد (٩/١) (١٦) وصحَّح إسناده الشيخ أحمد شاکر (١/١٦١).

غيره من جهة أخرى، كما هي من الأسباب الرئيسة في انتشار الإسلام في أرجاء المعمورة.

ميادين السماحة:

للسماحة ميادين عديدة مع النفس في تزكيتها الروحية، بأخذها نحو الأرفق فالأعلى، شيئاً فشيئاً حتى يصل بها إلى حد العزيمة، ومع النفس كذلك في مناشط الحياة بعدم تكليفها ما لا قبل لها به، والرضي بما قُسم لها مع الأخذ بالأسباب الممكنة، ومع الناس بالسلاسة والسهولة والرضي منهم بالقليل والتغاضي عن هفواتهم ودفع حقوقهم كاملة من غير تسخط أو استكثار، ومع الحيوان بالرفق وعدم المشقة.

وسائل اكتساب خلق السماحة:

من الوسائل المفيدة لاكتساب السماحة الآتي:

- ١- اليقين التام بأن الله تعالى يحب السماحة ويثيب عليها جزيل الحسنات.
- ٢- النظر في عاقبة السماحة وما تدفعه في الدنيا من الشرو، وفي العاقبة من الرفعة في الجنة.
- ٣- النظر في سير السمحاء، وحسن الثناء عليهم.

السماحة من صفات المحسنين:

الناس على اختلاف مستوياتهم في الذكاء واختلاف نماذجهم الخلقية يوجد فيهم من يتمتعون بخلق سماحة النفس، منهم هينون لينون سمحاء، ويوجد فيهم آخرون نكدون متشدودون يتذمرون من كل شيء لا يوافق هواهم، ويريدون من الدنيا كلها أن تكون على وفق شهواتهم وأهوائهم الآنية المتجددة، أو على وفق ما يرون أنه الأفضل والأصلح والأحسن^(١). والسماحة من الإحسان.

فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنَّ عائشة - رضي الله عنها - في حجة النبي ﷺ أهلت بعمرة، قال: وكان رسول الله ﷺ رجلاً سهلاً، إذا هويت الشيء تابعها عليه، فأرسلها مع عبد الرحمن بن أبي بكر فأهلت بعمرة من التنعيم^(٢).

وعن فرقد السبخي - رحمه الله - قال: لم يكن أصحاب نبي قط فيما خلا من الدنيا أفضل من أصحاب محمد ﷺ لا أشح لقاء ولا أسمع أكفاً^(٣).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما خَيْرُ

(١) الأخلاق الإسلامية (٢/٤٥٧).

(٢) صحيح مسلم (١/٨٨١) (١٢١٣).

(٣) المتقى من مكارم الأخلاق (١٢٥).

عمَّار بين أمرين إلَّا اختار أرشدهما»^(١).

صور من سماحة المحسنين:

الأولى: عن البراء - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ لما أراد أن يعتمر أرسل إلى أهل مكة يستأذنهم ليدخل مكة، فاشتروا عليه أن لا يقيم بها إلَّا ثلاث ليالٍ، ولا يدخلها إلَّا بجُلْبَانِ السلاح، ولا يدعو منهم أحدًا، قال: فأخذ يكتب الشرط بينهم علي بن أبي طالب، فكتب: هَذَا ما قاضى عليه مُحَمَّد رسول الله ﷺ فقالوا: لو علمنا أنَّك رسول الله لم نمنعك ولتابعناك، ولكن اكتب هذا ما قاضى عليه مُحَمَّد بن عبد الله، فقال: أنا والله مُحَمَّد بن عبد الله، وأنا والله رسول الله، قال: وكان لا يكتب، قال: فقال لعلي: امح رسول الله، فقال علي: والله لا أمحوها أبدًا، قال: فأرنيه، قال: فأراه إياه، فمحاه النَّبي ﷺ بيده، فلما دخل ومضت الأيام أتوا عليًّا فقالوا: مُر صاحبك فليرتحل، فذكر ذلك علي - رضي الله عنه - لرسول الله ﷺ فقال: «نعم» فارتحل^(٢).

الثانية: عن عطاء بن فَرُّوخ مولى القرشيين - رحمه الله - أنَّ عثمان - رضي الله عنه - اشترى من رجل أرضًا فأبطأ عليه، فلقيه فقال له: ما منعك من قبض مالك؟ قال: إِنَّكَ غبنتني، فما ألقى من النَّاس أحدًا إلَّا وهو يلومني، قال: أو ذلك يمنعك؟ قال: نعم، قال: فاختر بين أرضك ومالك، ثمَّ قال: قال رسول الله ﷺ: «أدخل الله - عزَّ وجل - الجنة رجلاً كان سهلاً مشترياً وبائعاً، وقاضياً، ومقتضياً»^(٣).

والثالثة: عن حذيفة - رضي الله عنه - قَالَ: «أتى الله بعبد من عباده، آتاه الله مالاً، فقال له: فماذا عملت في الدُّنيا؟ قال: «ولا يكتُمون الله حديثاً» قال: يا رب! آتيتني مالك، فكنتُ أبايع النَّاس، وكان من خلقي الجَوَّازُ، فكنت أتيسر على الموسر وأنظر المعسر، فقال الله: «أنا أحقُّ بذلك منك، تجاوزوا عن عبادي»^(٣).

من ثمرات السماحة:

١- محبة الله تعالى وعظيم أجره للسمحاء من عباده.

٢- كسب ود النَّاس والسلامة من غوائلهم.

٣- الطمأنينة النفسية، والتيسير في كسب الرزق.

٤- التحام المجتمع المسلم وتكافله.

(١) المستدرك (٤٣٨/٣) (٥٦٦٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٨٣/٢) (٥٦١٩).

(٢) مسند أحمد (٩٤/١) (٤١٢/٢) وقال الشيخ أحمد شاكر (٣٣٥/١) إسناده صحيح.

(٣) صحيح مسلم (١١٩٥/٢) (١٥٦٠).

ثانيًا: الإحسان مع الكافر القريب أو البعيد:

التمهيد:

يجد الباحث المدقق أنَّ الكفار في علاقتهم بالأمة الإسلامية جماعات وأفرادًا ليسوا على درجة واحدة سواء أكانوا أقرباء أم لا فمنهم الحربي، والذمي والمستأمن.

والحربي: إما أن يكون باقياً على حاله أو انتقل إلى المصالح، أو المهادن أو المحاييد والمعتزل للحرب، لذلك وجب التعريف بكلٍّ.

فالمراد بالحربي لغة: من نسب إلى الحرب، وهو العدو المحارب^(١).

يقال: «أنا حرب لمن حاربني أي عدو، وفلان حرب فلان: أي محاربه، وفلان حرب لي أي عدو محارب، وإن لم يكن محارباً^(٢)». واصطلاحاً:

من يحارب المسلمين أو ينتسب إلى قوم محاربين للمسلمين سواء أكانت المحاربة فعلية أم كانت متوقعة^(٣). والمراد بالذمي لغة:

هو من نسب إلى الذمة وهي العهد، مأخوذة من الذمام وهو الحرمة والحق، وسمي الذمام بذلك لأنه يلزم بتضييعه المذمة^(٤).

واصطلاحاً: هو الكافر الذي يدخل في ذمة الدولة المسلمة بصفة مؤبدة بعد إعطاء الجزية والتزام أحكام الملة^(٥). والمراد بالمستأمن لغة:

بكسر الميم اسم فاعل، ويصح بالفتح اسم مفعول والسين والتاء للصيرورة، أي من صار مؤمناً^(٦).

واصطلاحاً: هو من دخل دار الإسلام بأمان طلبه^(٧) والأمان عند الفقهاء: «هو رفع استباحة دم الحربي ورقه وماله حين قتاله، أو العزم عليه مع

(١) الاستعانة بغير المسلمين: للطريقي (١٣١).

(٢) اللسان (٣٠٣/١).

(٣) انظر: المطلع على أبواب المقنع: للبعلي (٢٢٦)، والمدخل للفقهاء الإسلاميين، لمحمد سلام (٦٤).

(٤) انظر: القاموس (١١٧/٤)، والمصباح (٢١٠).

(٥) انظر: المغني (٥٧٢/١٠)، والنهاية (١٦٨/٢).

(٦) انظر: حاشية ابن عابدين (١٦٦/٤).

(٧) انظر: المطلع على أبواب المقنع (٢٢١).

استقراره تحت حكم الإسلام مدّة ما»^(١).

والمراد بالمصالح لغة:

اسم فاعل مأخوذ من الصلح: والصلح هو السلم مأخوذ من أصلح الشيء بعد فساد: أي أقامه^(٢).

واصطلاحًا:

هو الكافر الذي تفتح بلاده صلحًا^(٣).

والمصالحة:

قد تكون على إبقاء الكفار في البلد المفتوح مع دفع خراج الأرض على أن الأرض للمسلمين، وإما أن يكون على أن الأرض لهم، ويدفعون الخراج^(٤).

والمراد بالمهادن لغة:

اسم فاعل مأخوذ من الهدنة: وهو السكون^(٥).

واصطلاحًا: واحد أهل الحرب الذين يتم عقد الصلح معهم على ترك القتال مدّة معيّنة^(٦).

والمراد بالمحايد والمعتزل لغة:

المحايد اسم فاعل مأخوذ من حاد عن الشيء حيادًا أي: مال عنه^(٧).

والمعتزل: اسم مفعول مأخوذ من الاعتزال وهو التنحي جانبًا^(٨).

واصطلاحًا: المحايد والمعتزل هو المتّقى مع الدولة المسلمة على البقاء بعيدًا عن الحروب ضد المسلمين لمدّة مؤقتة^(٩).

وجملة هؤلاء الكفار مع اختلاف مواقفهم من الدولة الإسلامية وأفرادها فئات لكل فئة أحكام خاصة في التعامل معها.

الفئة الأولى: المنافقون.

وهم من يكتُم كفره ويعلن الإسلام، ويعمل به ظاهرًا^(١٠) وهؤلاء نقبل

(١) انظر: مواهب الجليل (٣/٣٦٠).

(٢) انظر: تاج العروس (٦/٥٤٧).

(٣) انظر: الاستعانة بغير المسلمين (١٤٤).

(٤) المرجع السابق.

(٥) انظر: لسان العرب (١٣/٤٣٥).

(٦) انظر: جواهر الإكليل: للآبي (١/٢٦٩)، والمغني (١٠/٥١٧).

(٧) انظر: تاج العروس: (٨/٤٧).

(٨) انظر: القاموس المحيط (٤/١٥).

(٩) انظر: الاستعانة بغير المسلمين (١٤٨).

(١٠) انظر: زاد المعاد (٣/١٦١).

ظواهرهم مع أخذ الحيطة والحذر منهم وأمرهم إلى الله تعالى في الآخرة..
والفئة الثانية والثالثة:

هم اليهود والنصارى ويسمون أهل الكتاب وقد أباح الله تعالى للمسلمين ذبائحهم وأن يتزوّجوا من نسائهم قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥] وقد خصّهم الإسلام بإباحة طعامهم والزواج من نسائهم.

والفئة الرابعة:

هم المشركون والملحدون، سواء أكانوا من العرب أم العجم.
الفئة الخامسة:

هم المرتدون إلى أحد الفئات الأربع السابقة.

وهذا التقسيم للكفار مهم جدًا لأمرين:

الأول: أنَّ كثيرًا من الناس يجهلون حقيقة العلاقة مع غير المسلمين وأسلوب المعاملة معهم وطريقتها.

فتجدهم يذهبون مذاهب غير شرعية.

منهم من يقف من الكفار موقفًا سلبيًا طابعه العداء والنفور فلا يفرق بين حربي وذمي ومستأمن.

فيتعامل مع الجميع معاملة قاسية شديدة انطلاقًا من فهمه لبعض النصوص كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

ومنهم من يقف من الكفار جميعًا موقفًا طابعه المحبة والود والولاء بحيث لا يكاد يفرق بين مسلم وغير مسلم، ولا يميز بينهما، ويرى أنَّ على جميع الناس على اختلاف أديانهم أن يعيشوا متوادين متعاونين، وأن يتعدوا عن كل أسباب الخلاف والنزاع فيما بينهم، مع محافظة كل منهم على دينه وعقيدته واضعًا نصوص الرحمة والسماحة في غير مواضعها.
والحقيقة أنَّ الإسلام في هذا وسط بين الأمرين^(١).

مشروعية البر والإحسان إلى المسالمين من الكافرين:

يَسْتَحِبُّ الإسلام البر والإحسان وبذل المعروف والنصح لجميع الناس إلاَّ من حارب الله ورسوله ﷺ وتربص بالمسلمين الدوائر، وهم من يسمون بالحريين.

أما من عداهم فالدين لا يمانع من برهم والعطف عليهم ما داموا

(١) انظر: الاستعانة بغير المسلمين (٦، ٧).

مسالمين موادعين كأهل الذمة وأهل الصلح ونحوهم^(١).

قال الإمام الطبري - رحمه الله - بعد أن ساق أقوال المفسرين في المراد بالذين لا ينهى الله تعالى عن برهم.. قال: وَأَوَّلِي الْأَقْوَال فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْل مَنْ قَالَ: عَنِي بِذَلِكَ: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [المتحنة: ٨] جميع من كان ذلك صفته فلم يخصص به بعضاً دون بعض، ولا معنى لقول من قال ذلك منسوخ^(٢).

وقال الشوكاني - رحمه الله -: ومعنى الآية أَنَّ الله سبحانه لا ينهى عن بر أهل العهد من الكفار الذين عاهدوا المؤمنين على ترك القتال وعلى ألا يظاهروا الكفار عليهم^(٣).

وقال المرتضي - رحمه الله -: «المخالفة والمنافعة وبذل المعروف وكظم الغيظ وحسن الخلق وإكرام الضيف، ونحو ذلك يستحب للجميع إلا ما كان يقتضي مفسدة كالذلة، فلا يبذل للعدو في حال الحرب»^(٤). وهذا إجمال وبيانه معرفة علاقة المسلمين بالكافرين وأقسامها وكيفية الإحسان إليهم.

علاقة المسلمين بالكافرين وكيفية الإحسان إليهم:

تنقسم علاقة المسلمين بالكافرين إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: العلاقة بهم قبل بلوغ الدعوة لهم إلى الإسلام وأثناءها وفي حال تجاوبهم معها وتلك العلاقة ذات صبغة سلمية بلا شك.

القسم الثاني: العلاقة بهم بعد بلوغ الدعوة إليهم إلى الإسلام وصدور العناد والعداء والزهو منهم فإنها ذات صبغة حربية قطعاً.

القسم الثالث: العلاقة بهم بعد بلوغ الدعوة إليهم إلى الإسلام ووقفوا منها موقفاً مسالماً وتركوا من يريد الدخول في الإسلام جملة واحدة وواضح أنها ذات صبغة سلمية^(٥) لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾ [البقرة: ٢٥٦] وَأَنْ قَاتِلْهُمْ لَيْسَ بِوَاجِبٍ^(٦)، كما يجوز للمسلمين أن يطلبوا منهم دفع الجزية ليخضعوا للحكم الإسلامي، فإن رفضوا ذلك جاز للمسلمين قتالهم إن رأوا

(١) انظر: الاستعانة بغير المسلمين (٢١، ٢٢).

(٢) تفسير الطبري (٤٣/٢٨).

(٣) فتح القدير (٢١٣/٥).

(٤) إيثار الحق على الخلق (٤٠٨).

(٥) انظر: الاستعانة بغير المسلمين (١٢٦).

(٦) هداية الحيارى لابن القيم (١٤) وانظر أحكام أهل الذمة (١٧).

في ذلك مصلحة^(١) غير أنه لا بد من الإشارة إلى أن أولئك الكفار المسالمين الذين لم يدخلوا في الدين، ولم يخضعوا للحكم الإسلامي لن يستمروا طويلاً على تلك الحال، بل لا بد أن يكون لهم موقف واضح من الدعوة إما إيجاباً بالدخول في الإسلام، أو معاهدة المسلمين، وإما سلباً بإظهار العداء والحرب لهم، ولا سيما إذا كان للمسلمين قوة وعزة^(٢). ويمكن تفصيل ذلك بالآتي:

أ- العلاقة مع الحربيين:
من المسلم به أن الحربيين ليسوا على درجة واحدة في العداوة والبغضاء للمسلمين، بل منهم صريح العداء، ومنهم غير صريحه.
فأما صريحو العداء فالعلاقة معهم علاقة حرب ومعاداة ومقاطعة كاملة جزماً.

ومن مظاهر ذلك:

- ١- قطع العلاقات القائمة معهم إن وجدت أيّاً كانت سواء على مستوى الدولة الإسلامية، أم على مستوى أفرادها.
- ٢- إظهار الشدة والقوة أمامهم، وعدم الجنوح للمسالمة أو المسامحة والملاينة كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٩﴾ [التحریم: ٩] وقال تعالى: ﴿أَلَا نَقْتُلُوكَ قَوْمًا نَكُثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدْعُوكُمْ أُولَئِكَ أَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝١٣﴾ [التوبة: ١٣].
- ٣- محاربتهم بكل الوسائل الممكنة المباحة شرعاً.
- ٤- عدم السماح لأي فرد من المسلمين بمصادقتهم أو أن يفضي إليهم بشيء من أسرار المسلمين.

ويستثنى من ذلك الرسل «السفراء» ومن طلب الأمان منهم ومن دخل من أجل تجارة فإن معاملتهم تختلف عن ذلك.

وكذا المعاملة الفردية بين أفراد المسلمين والحربيين فإنها قد تجوز في مثل البيع والشراء ومعظم أنواع العقود، ما لم يكن في ذلك تعزيز وإعانة لهم على المسلمين، كما تجوز معاملة الدولة الإسلامية مع أفراد من الحربيين لمصلحة الأمة الإسلامية، كاستعمالهم في التجسس.

ومن الأدلة على ما سبق قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ

(١) انظر: شرح الجليل (١/٧١٤).

(٢) انظر: الاستعانة بغير المسلمين (١٢٩).

تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ﴿١﴾ [الممتحنة: ١] وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [الممتحنة: ٤]

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَنَهُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٩].

وأما الحرييون غير صريحي العداء فَإِنَّ العلاقة بهم ليست قائمة على الحرب ولا على السلم، وإنما علاقة دعوة إلى الإسلام ابتداءً ثم قد تتطور إلى علاقة سلم إن سألوا أو علاقة حرب إن هم حاربوا. ولا مانع أن تقيم الدولة الإسلامية سلماً مع هؤلاء، ولكن لو طلب المسلمون منهم أن يخضعوا للسلطة الإسلامية بدفع الجزية فلم يقبلوا فإنه من حق المسلمين قتالهم بسبب استعلاء هؤلاء الكفار على الإسلام، كما أنه من حق المسلمين أن يقاتلوهم متى صدر منهم فتنة، ويشير إلى ذلك كله قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]. (١).

ب - العلاقة بالذميين والمستأمنين:

يشرع في حق كل ذمي أن يعامل معاملة حسنة لا أذى فيها ولا غلظة، ودون سب وشتم، أو قهر ونهر، أو إذلال وإهانة، لأن كل هذه الأشياء إلحاق أذى بهم، والدين لا يبيح أذيتهم بحال.

فقد روى الإمام مسلم - رحمه الله -: أَنَّ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ - رضي الله عنه - مرَّ على أناسٍ من الأنباط بالشام قد أُقيموا في الشمس، فقال: ما شأنهم؟ قالوا: حبسوا في الجزية، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ يَعَذِّبُ الَّذِينَ يَعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا» (٢).

ومن الواضح أَنَّ إلحاق الأذى بهم يزهدهم في الإسلام ويرغبهم عنه، وتسوء نظرتهم إلى الإسلام سوءاً قد يحجبهم عن الدخول فيه، مع أَنَّ الإسلام لم يحقن دماءهم ويكتفي منهم بأخذ الجزية إلاَّ من أجل أن تكون لهم فسحة وقت للتأمل والنظر في هذا الدين فيدخلوا في دين الله عن رضا واقتناع.

وعليه فَإِنَّ الإسلام يدعو إلى حسن معاملتهم والتأدب معهم والرفق بهم وأدلة ذلك متضافرة منها: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

(١) انظر: الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي (١٣٢، ١٣٦).

(٢) صحيح مسلم (٢٠١٧/٤، ٢٠١٨).

يقول الإمام الطبري - رحمه الله - عند هذه الآية قوله: ﴿إِلَّا بِأَلْقَىٰ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] أي بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بآياته والتنبية على حججه، وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦] أي الذين امتنعوا عن أداء الجزية ونصبوا دونها الحرب^(١).

وروت أمنا عائشة - رضي الله عنها - قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام^(٢) عليكم، قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السام واللّعة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: مهلاً يا عائشة: إنّ الله يحب الرفق من الأمر كله» فقلت: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «قد قلت وعليكم»^(٣).

وذكر ابن سعد - رحمه الله - أنّ وفد نصارى نجران لما وفدوا على النبي ﷺ دخلوا عليه في مسجده بعد صلاة العصر فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ: «دعوه» فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم^(٤).

ويعقب ابن القيم - رحمه الله - على هذه الحادثة مستنبطاً فقها، فيقول: فيها جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين وفيها تمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين أيضاً إذا كان ذلك عارضاً ولا يمكنون من اعتياد ذلك^(٥).

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمي فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإنّ لهم ذمة ورحماً أو قال: ذمة وصهرًا»^(٦).
والذمة: العهد، والأمان والحرمة والحق^(٧).

وأما الرحم: فسببها كون هاجر أم إسماعيل عليهما السلام أبي العرب منهم.

وأما الصهر: فلكون مارية أم إبراهيم ابن النبي ﷺ منهم^(٨).
هذه جملة من النصوص في معاملة أهل الذمة وهي نصوص يعرف

(١) تفسير الطبري (٢١، ٢، ٣).

(٢) السام: الموت. النهاية (٢/٤٠٤).

(٣) صحيح مسلم (٤/١٧٠٦).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى (٣٥٧).

(٥) زاد المعاد (٦٣٨٣)، وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/٨٨).

(٦) صحيح مسلم (٤/١٩٧٠) (٢٥٤٣).

(٧) النهاية (٢/١٦٨).

(٨) شرح صحيح مسلم (١٦/٩٧).

منها التسامح الكبير معهم وقد نصَّ الإمام القرافي - رحمه الله - على جملة من الوصايا بهم فقال: «الرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل التلطف لهم والرحمة، لا على سبيل الخوف والذلة واحتمال أذيتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفًا منابهم، لا خوفًا وتعظيمًا، والدعاء لهم بالهداية، وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وحفظ عيبتهم إذا تعرّض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانون على دفع الظلم عنهم وإيصالهم لجميع حقوقهم»^(١).

وأما المستأمن فإنه يتمتع بكثير منها إلا أنه بصفته أجنبيًا، فإنه ليس كالذمي بل يمنع من بعضها، كالوظائف والحقوق السياسيّة وبعض الحقوق الاقتصادية.

وعلى سبيل الاختصار فإنّ العلاقة بهم أي الذميين تقوم على الآتي:

- ١- العدل معهم، ومثلهم أهل العهد وعدم إهانتهم أو سبهم أو تعمد مضايقتهم، مع عدم تعظيمهم ووضعهم في مصاف المسلمين^(٢).
- ٢- التعاون والتعامل معهم في الأمور الدنيوية، والاستفادة من علومهم وتجاربهم واختراعاتهم وآرائهم الصائبة.
- ٣- عدم موالاتهم مطلقًا، وأخذ الحذر منهم.
- ٤- جواز توليتهم بعض الوظائف الخاصة.

وأما ما ورد من النصوص الأخرى التي قد يفهم من ظاهرها خلاف ما ذكر فإنّها لا تعارض ذلك، ومن تلك النصوص التي يتوهم معارضتها قوله تعالى: ﴿فَنِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

والشاهد هنا قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

حيث ورد في تفسيرها أقوال... منها^(٣):

(١) الفروق (١٥/٣)، وانظر الخراج لأبي يوسف (١٢٤، ١٢٥)، وغرائب القرآن للنيسابوري (١٦٦/٣).

(٢) انظر: الخراج لأبي يوسف (١٢٤، ١٢٥)، والفروق للقرافي (١٥/٣)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (٢٣، ٣٤).

(٣) راجع أحكام القرآن لابن العربي (٩١٠/٢، ٩١١).

- ١- أنَّ الذمي يدفع الجزية وهو قائم والآخر جالسًا.
 - ٢- أن يأتي بها ماشيًا لا راكبًا، ويطال وقوفه عند إتيانه بها، ويجربها إلى الموضع الذي تؤخذ منه بالعنف ثم تجريده ويمتنه.
 - ٣- بمعنى توجأ عنقه.
- والحقيقة: أنَّ كل ذلك مما لا دليل عليه كما يقول ابن القيم - رحمه الله - ولا هو مقتضى الآية، ولا نُقِلَ عن رسول الله ﷺ ولا عن الصحابة - رضي الله عنهم - أنَّهم فعلوا ذلك، والصواب في الآية: أنَّ الصَّغار هو التزامهم بجريان أحكام الملة عليهم وإعطاء الجزية فإنَّ التزام ذلك هو الصغار^(١).

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - «إذا أخذ الإمام منهم الجزية أخذها بإجمال ولم يضرب منهم أحدًا ولم ينله بقول قبيح، والصغار أن يجري الحكم عليهم لا أن يضربوا ولا أن يؤذوا»^(٢).

ومن الأدلة التي يتوهم منها المعارضة: ما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه»^(٣).

ففي الحديث نهي عن بدء اليهود والنصارى بالسلام، وأمر بأن يضطر الواحد منهم إلى أضيق الطريق عند اللقاء، فهنا مسألتان: الأولى: وهي عدم البداءة بالسلام، وهذه المسألة فيها خلاف على نحو أربعة أقوال:

أحدها: التحريم وثانيها: الكراهة: وثالثها الإباحة، ورابعها: أنَّه لا يجوز السلام إلَّا في حالة ضرورة أو حاجة، أو سبب حكى هذه الأقوال الإمام النووي وغيره رحمهم الله تعالى واختار التحريم وقال: إنَّه قول أكثر العلماء^(٤).

وإذا كان هذا هو الراجح فإنَّه ليس فيه إخلال بالوصايا السابقة، فعدم البداءة بالسلام لا يعني سبًا ولا سخرية ولا نحوه منهما، ولكن الذي قد يعطي نوعا من هذا هو عدم رد السلام، والإسلام يأمر برده على كل أحد، لكن صيغته تختلف بحسب الأحوال، فإذا شكَّ المسلم بصيغة السلام من

(١) أحكام أهل الذمة (١/٢٣، ٢٤).

(٢) اختلاف الفقهاء للإمام الطبري (٢٣١).

(٣) صحيح مسلم (١٧٠٧/٤) (٢١٦٧).

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٤٤/١٤، ١٤٥)، وفتح الباري (٣٩١١).

قَبْلِ الْكَافِر فليقل: وعليكم، فحسب، وإن علم أنَّه سلم تسليمًا صحيحًا فلا مانع أن يرد ردًّا كاملاً فيقول: وعليكم السلام^(١).

أما المسألة الثانية: وهي اضطراره إلى أضيق الطريق:

فيقول القرطبي - رحمه الله - فيما حكاه عنه ابن حجر - رحمه الله - حول هذا الحديث: «معناه لا تنتحوا لهم عن الطريق الضيق إكرامًا لهم واحترامًا، وعلى هذا فتكون هذه الجملة مناسبة للجملة الأولى في المعنى، وليس المعنى إذا لقيتموهم في طريق واسع فألجئوهم إلى حرفة حتى يضيق عليهم لأنَّ ذلك أذى وقد نهينا عن أذاهم بغير سبب»^(٢).
والحكمة من ذلك إظهار عزة الإسلام وذلة الكفر^(٣).

ج العلاقة بأهل الهدنة والصلح:

الأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

[الأنفال: ٦١].

وقد اختلف الفقهاء في حكم الهدنة، فقليل: لا تجوز إلا عند الضرورة، وقيل: تجوز للمصلحة، وقيل: تجوز مطلقًا متى جنح لها العدو^(٤).

وعلى قول من قال بالجواز فهل العقد لازم أم جائز يجيب على ذلك ابن تيمية وابن القيم - رحمهما الله تعالى - فيقولان: إن كان العقد مؤقتًا فهو لا زم لقوله تعالى: ﴿... فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: ٤] إلا أن يشترط الطرفان أنَّ لكلٍ منهما الفسخ متى شاء أحدهما فيكون جائزًا، وإن كان مطلقًا فهو عقد جائز وليس بلازم فيجوز نبذه إليهم ثم مقاتلتهم لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ نبذ إلى المشركين عهودهم المطلقة^(٥).

وعلى هذا ما دام التعاقد موجودًا فيتقرر ترك الحرب وألا يمس أحدٌ أحدًا بسوء، قال الكاساني - رحمه الله - : «لها حكم الأمان فيأمن المودعون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وذرائعهم لأنَّها عقد أمان»^(٦).

وعلى الإمام أن يحميهم من المسلمين والذميين سواء في دار الإسلام

(١) انظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم (١٩٧/١، ٢٠٠)، وفتح الباري (٤١/١١، ٤٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١١/١١).

(٢) فتح الباري (٤٠/١١)، وانظر: الفروق للقرافي (١٥/٣).

(٣) انظر: فيما سبق الاستعانة بغير المسلمين (٢٨، ٣٠، ١٣٨، ١٤١).

(٤) انظر: بدائع الصنائع (١٠٨/٧)، المغني (٥١٧/١٠).

(٥) انظر: الاختيارات الفقهية (٣١٥)، وأحكام أهل الذمة (٤٧٦)، وما بعدها.

(٦) بدائع الصنائع (١٠٩/٧).

أم في دار الصلح^(١).

ومتى تم الصلح فالأبواب مفتوحة أمام الطرفين، فالمسلمون لهم أن يدخلوا دار الصلح، وأهل الصلح لهم أن يدخلوا دار الإسلام، سواء في تجارة أم غيرها^(٢).

ولا بأس بذلك ما لم ينص على خلافه، فإنه من مقاصد الصلح أن يتعرف الكفار على دين الإسلام ممثلاً بأهله.

ولذلك كان صلح الحديبية من أعظم الفتوح: «لأنَّ الناس آمن بعضهم بعضاً، واختلط المسلمون بالكفار وبأدوهم بالدعوة وأسمعهم القرآن وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين وظهر من كان مختفياً بالإسلام ودخل فيه في مدة الهدنة من شاء الله أن يدخل، ولهذا سماه الله فتحاً مبيناً»^(٣).

وقد قدم أبوسفیان بن حرب المدينة وقت الصلح فدخل على ابنته أم حبيبة - رضي الله عنهما - ولم يتعرض له أحد بأذى^(٤).

د - العلاقة بأهل الحياد والاعتزال:

الأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^(٥٩) إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوكُمْ قَوْمُهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَنَلُوكُمْ فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ وَالْقَوَاءُ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا^(٦٠) سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوْا إِلَىٰ الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا^(٦١) [النساء: ٨٩ - ٩١].

قال ابن سعدي - رحمه الله - «ثم إنَّ الله استثنى من قتال هؤلاء ثلاث فرق: إحداها: من يصل إلى قوم بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق فيكون له حكمهم.

والثانية: قوم حصرت صدورهم أن يقاتلوا المسلمين أو قومهم فهؤلاء أمر بتركهم أيضاً.

والثالثة: قوم يريدون مصلحة أنفسهم بقطع النظر عن احترامكم، وهم

(١) انظر: المغني (٥٢٢/١٠).

(٢) انظر: المبسوط (٨٩/١٠).

(٣) زاد المعاد (٣٠٩/٣).

(٤) المرجع السابق.

الذين قال الله عنهم: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ﴾ [النساء: ٩١] ^(١) على أنه قد ذهب جماعة من المفسرين إلى القول بنسخ الآيتين الأوليين ^(٢).

وروى أصحاب السير والمغازي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غزا غزوة «الأبواء» ^(٣) ووادع مخسي بن عمرو الضمري وكان سيد بني ضمرة في زمانه على ألا يغزو بني ضمرة، ولا يغزوه ولا أن يُكثروا عليه جمعاً، ولا يعينوا عليه عدواً، وكتب بينه وبينهم كتاباً ^(٤).

ولا يخلو الحياد من حالتين:

الأولى: أن يكون قد حصل عن اتفاق بين المسلمين وبين دولة أو أفراد كفرة.

والثانية: أن يكون مجرد موقف تتخذه دولة أو أفراد كفرة.

فأما أصحاب الحالة الأولى: فيجب الوفاء بالشروط، وتبقى الدولة أو أفرادها معزولة عن حرب المسلمين، ولا يجوز للمسلمين أن يقحموها أو أفرادها في الحرب ويكون حكم هؤلاء حكم أهل الصلح، والعلاقة بهم كالعلاقة بأهل الصلح، بدليل ما فعله النبي ﷺ مع بني ضمرة في غزوة الأبواء: على أنه لا يجوز الحياد الدائم بل المؤقت ومن بعده يتميز المحايدين إما حربي أو ذمي أو مستأمن.

وأما أصحاب الحالة الثانية: فإنهم دولة أو أفراد من جملة الحربيين، باعتبار أنه ليس بينهم وبين المسلمين عهد ولا ذمة، فيكون لهم حكم الحربيين غير المحاربين ومثل هؤلاء لا يجب قتالهم بمجرد كفرهم، ولكنه مباح ويجوز للمسلمين أن يقيموا علاقات سلام معهم ما رأوا في ذلك مصلحة راجحة لهم ^(٥).

الإحسان إلى الكافر القريب:

إنَّ الإسلام ليسمو في سماحته وإنسانيته، إذ يوصي بصلة الرحم ولو كانت الأرحام من غير المسلمين، ففي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي ﷺ جهاًراً غير سرٍّ يقول: «إنَّ آل أبي فلان ليسوا بأوليائي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحم أبُلُّها

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢/ ١٢٠) وما بعدها بتصرف.

(٢) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي (٢٨٥).

(٣) الأبواء: جبل بين مكة والمدينة وعنده بلد ينسب إليه، النهاية في غريب الحديث (٢٠/ ١).

(٤) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٢/ ٣٥٢)، وزاد المعاد (٣/ ١٦٤).

(٥) انظر: الاستعانة بغير المسلمين (١٤٩، ١٥٥).

ببلاؤها»^(١).

أي أصلها بالمعروف.

ولما نزل قول الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا، فعمّ وخصّ، وقال: «يا بني عبدشمس، يا بني عبد كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبُلُّها ببلاؤها»^(٢).

ولهذا لم يجد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حرجاً من أن يهدى حُلَّةً بعث بها إليه الرسول ﷺ إلى أخ له من أمه مشرك^(٣)

قال ابن العربي - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] قال: اتفقت الملة أن صلة ذوي الأرحام واجبة وأن قطيعتها محرمة، ولتأكيد دخول الفضل في صلة الرحم الكافرة^(٤)، غير أنه لا بد من الإشارة إلى أن ذا الرحم إذا كان محارباً معانداً محاداً لله ورسوله والمؤمنين فإنه لا يلزم بره ولا صلته بل لو قتله المسلم القريب فلا بأس^(٥).

وأهم الذين يتعيّن برهم والإحسان إليهم من غير المسلمين هم الوالدان، ثم الأقربون على حسب درجات قربهم، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

وعن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - أنها قالت لرسول الله ﷺ: «قدمت أُمِّي عليّ راغبة وهي مشركة، أفأصلها؟ قال نعم صلي أملك»^(٦).

وقولها راغبة: أي راغبة صلتي، أو ترغب أن تسألني شيئاً^(٧).

ميادين بر الوالدين الكافرين:

يشمل البر بهما كل معروف مقدور عليه ومنه إطعامهما إذا جاعا، وكسوتهما إذا عريا، وخدمتهما إذا احتاجا أو إحداهما إلى الخدمة، وإجابة

(١) صحيح البخاري (٢٢٣٣/٥) (٥٦٤٤).

(٢) صحيح مسلم (١٩٢/١) (٢٠٤).

(٣) صحيح مسلم (١٦٣٨/٢) (٢٠٦٨).

(٤) أحكام القرآن (٣٠٧/١).

(٥) انظر: كتاب السير الكبير للشيخاني (١٠٦/١، ١٠٧).

(٦) صحيح مسلم (٦٩٦/٢) (١٠٠٣).

(٧) انظر: فتح الباري (٢٣٤/٥).

دعوتهما، وامثال أمرهما ما لم يكن في معصية الله تعالى، والتكلم معهما باللين، وأن لا يدعوهما باسمهما، وأن يمشي خلفهما، وأن يدعوهما إلى الإسلام برفق ويدعو لهما بالهداية والصلاح، ويتجب إليهما بالهدية، كل ذلك وغيره جائز مما هو مباح شرعاً مع انتفاء الموالاة والمودة القلبية، لقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، كما يحرم الاستغفار لهما في حياتهما وبعد موتهما وغيرهما من الأقارب الكافرين من باب أولى لقوله تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّاسِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْحَرَمِ﴾ [١١٣] وما كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٣، ١١٤] كما لا تجب طاعتها في معصية الله تعالى لقوله جلّ وعلا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَتْهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [١٤] وإن جهداك على أن تشرك في ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً وتابع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

الإحسان إلى الوالدين الكافرين غير الحربيين من صفات المحسنين:

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكروا الموت» (١).

صورة من بر الوالدين غير المسلمين:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يوماً، فأسمعتني في رسول الله ما أكره فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اهد أم أبي هريرة» فخرجت مستبشرة بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال فرجعت إلى رسول الله فأتيته وأنا أبكي من الفرح. قال: قلت يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة فحمد الله وأثنى عليه

(١) صحيح مسلم (٦٧١/١) (٩٧٦).

وقال: خيرًا، قال: قلت يا رسول الله، أدع الله أن يُحَبِّبني أنا وأمي إلى عبادة المؤمنين ويحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا يعني أبا هريرة، وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين» فما خُلِقَ مؤمن يسمع بي ولا يراني إلاَّ أُجِبَّي»^(١)

من ثمرات الإحسان إلى الوالدين غير المسلمين:

١- امتثال أمر الله تعالى ببرهما.

٢- عِظَم أجر البار بهما.

٣- رد معروفهما وجميلهما السابق عليه.

٤- سبب قوى في سرعة إسلامهما.

هذا أنموذج من إحسان المسلم إلى قريبه الكافر والكلام ينسحب على بقية الأقارب المسلمين فبمثله يحسن إلى القريب الكافر من غير الموالاة القلبية وما فيه مفسدة دينية

الإحسان إلى الكافر البعيد:

بما أنه من المقرر شرعًا استحباب الإحسان إلى الناس عمومًا برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم غير المحارب، فإنَّ المحسن الواعي لا يقصر بره وإحسانه على المسلمين فقط، بل يتعداهم إلى غير المسلمين، ما دام أنَّ الله تعالى أباح له ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٦٠] وكل ذلك من سماحة الإسلام التي تمتد وتتسع، حتى تشمل الناس جميعًا، على اختلاف دياناتهم ونحلهم.

وقد تقدم في الأسس العامة في علاقة المسلمين بغيرهم، ومشروعية البر والإحسان إلى المسالمين من الكافرين، وعلاقة المسلمين بالكافرين وكيفية الإحسان إليهم إضافة إلى ما كتب في مبحث الإحسان إلى غير الأقارب من المسلمين ما يمكن أن يقال هنا^(٢).

إلاَّ أنَّه يتعيَّن هنا التأكيد على أهمية بر الجار الكافر بما هو فرض لازم، وذلك بعدم أذيته، أو الإضرار به جملة، ويحسن إليه بما يقدر، ودعوته إلى الإسلام برفق ولين، وينبئه إلى ما ينفعه، وإن كان محسنًا إليك، فاقبل إحسانه، وكافئه عليه بما تقدر، أو الدعاء له بالهداية والصلاح، وإن كان مؤذيًا لزم الصبر عليه، حتى يجعل الله له فرجًا.

قال عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - لغلामه، وقد ذبح شاة: أهديت

(١) صحيح مسلم (١٩٣٨/٢) (٢٤٩١).

(٢) راجع الفهرس العام.

لجارنا اليهودي؟ أهديت لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه»^(١).

والتأكيد الثاني: أن كلمة البر بالكافرين المسالمين ومن في حكمهم جامعة لكل وجوه الإحسان شرعاً وعقلاً، إلا ما عارض مصلحة إسلامية للفرد أو الجماعة، مع انتفاء الميل القلبي إليهم بالحب والمودة والموالة والإكبار.

(١) الأدب المفرد للبخاري (٤٤) (١٠٥)، وأصل الحديث في صحيح مسلم (٢٠٢٥/٣) (٢٦٢٤)، عن ابن عمر وعائشة وغيرهما - رضي الله عنهم -.

المطلب الثاني الإحسان إلى غير الإنسان

أ- الإحسان إلى الملائكة الكرام عليهم السلام :
وقد تقدم الحديث عن الملائكة عليهم السلام مفصلاً في ركن الإيمان بهم، وبقي هنا أن نشير إلى الإحسان إليهم، إذ الإحسان إليهم ملمح يغفل عنه كثير من المؤمنين، وذلك لأمر أهمها:

١- استئذانهم عتاً، حيث إنهم غيب لم يطلع على حقيقتهم إلا النزر اليسير من البشر كالأنبياء والرسل وقليل من صالحى بني آدم اطلع على بعضهم في غير صورته التي خلقه الله عليها، قال الله تعالى عن نزول جبريل عليه السلام على محمد ﷺ: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] وقال تعالى عن نزوله على مريم عليها السلام: ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ آهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾ [مريم: ١٦، ١٧].
وهذا الاستئذان جعل المؤمن أحياناً يسرح ويروح في هذه الحياة وكأنه يعيش بمفرده فلا يراعى حقوقهم وحرمتهم ولا يعمل بالإحسان إلى هذه المخلوقات الطاهرة المكرمة.

٢- الجهل بمنزلتهم السامية عند ربنا تبارك وتعالى، حيث قال عنهم جلّ ذكره: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٦]. وقد قرّبهم الله تعالى إليه وجعل لكل مقاماً يقف عنده، قال تعالى: ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ... ﴾ [النساء: ١٧٢] وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الصفافات: ١٦٥، ١٦٦].

٣- عدم استشعار آثارهم الحميدة تجاهنا معاشر أهل الإسلام محبةً، ونصحاء، ونصرةً، واستغفاراً وحفظاً وغير ذلك فهم يلزمون الإنسان في حياته كلها، وجميع صحبتهم للإنسان لإسعاده وهدايته يلهمونه الحق والخير، ويحثونه عليهما، كما أخبر عزّ وجلّ أنّه سخرهم للدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم فقال سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ يَجْلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُمْ وَذَلِكَ هُوَ أَفْوَزٌ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [غافر: ٧-٩] وقال تعالى: ﴿ وَإِن عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا

كُنِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ [الأنفطار: ١٠-١٢]

وهم يشبتون العبد على العمل الصالح ويتولونه وخاصة في الجهاد في سبيل الله تعالى كما قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِيَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال ابن القيم - رحمه الله -: «والملائكة الموكلة بالإنسان من حين كونه نطفة إلى آخر أمره، لهم وله شأن آخر، فإنهم موكلون بتخليقه ونقله من طور إلى طور، وتصويره، وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث، وكتابة رزقه، وعمله وأجله، وشقاوته، وسعادته، وملازمته في جميع أحواله، وإحصاء أقواله وأفعاله، وحفظه في حياته، وقبض روحه عند وفاته وعرضها على خالقه وفاطره، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ، وبعد البعث، وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب، وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله، والمعلمون له ما ينفعه، والمقاتلون الذابون عنه، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة، وهم الذين يَعِدُونَهُ بالخير ويدعونهم إليه، وينهونه عن الشر، ويحذرونه منه، فهم أولياؤه وأنصاره، وحفظته ومعلموه، وناصحوه، والداعون له، والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربه، ويصلون عليه ما دام يعلم الناس الخير. ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه، وعند موته، ويوم بعثه، وهم الذين يزهدونه في الدنيا، ويرغبونه في الآخرة، وهم الذين يذكرونه إذا نسي وينشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع، وهم الذين يسعون في مصالح دنياء وآخرته، منهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراءه بينه وبين عباده، تنتزل بالأمر من عنده في أقطار العالم، وتصعد إليه بالأمر»^(١).

ضروب الإحسان إلى الملائكة الكرام:

إذا تقرر ما سبق فإنه من اللازم على المحسنين الإحسان إلى الملائكة عليهم السلام بشتى ضروب الإحسان المقدور عليها مما له قابلية عند هذه المخلوقات الكريمة ومنها:

١- تعظيم قدرهم: وموجب ذلك تعظيم مَنْ أَعْلَى الله تعالى مقامه وَرَفَعَ قدره، والقيام بحقوق الأخوة الإيمانية لأنا وإياهم وإن اختلف أصل خلقتنا معهم فإننا نشترك وهم في الإيمان بالله تعالى وعبادته وهم في الجملة اتقى الله تعالى وأشد عبادة له منا، قال الله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَاسِ ﴿١٥﴾ الْبُحَارِ الْكُنْسِ ﴿١٦﴾ وَالْأَيْلِ إِذَا عَسَّسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢/ ١٢٥، ١٢٦).

الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ [التكوير: ١٥ - ٢١]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ عَلَىٰكُمْ لِحَافُونَ مِمَّا كُنْتُمْ كَارِهُينَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١١].

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أُطِّبَ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَبَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ...»^(١). والأطيط: صوت الاقتاب على الدواب.

ومن تعظيم قدرهم شدة الحياء منهم، وألاً يجدوا مناً ريحاً خبيثة وألاً يسمعوا مناً كلاماً يكرهون، ونحفظ عوارتنا إلّا ما اضطررنا إلى إبدائه منها، وألاً يطول الوقت علينا ونحن جنب، ونمنع بيوتنا من الصور والتماثيل والكلاب، والأجراس وجلود النمر، لما روى جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»^(٢).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: سمعت أبا طلحة - رضي الله عنه - يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة تماثيل»^(٣).

وعن علي - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا جنب»^(٤).

وعن أم حبيبة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ قال: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس»^(٥).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها جلد نمر»^(٦).

٢- شدة محبتهم:

وأما محبتهم فإنها من الفیصل بین الموحدين والكافرين حيث قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ

(١) سنن الترمذي (٥٥٦/٤) (٢٣١٢). وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٨/٢) (١٨٨٢).

(٢) صحيح مسلم (٣٩٤/١٠) (٥٦٤).

(٣) صحيح البخاري (١١٧٩/٣) (٣٠٥٣).

(٤) سنن النسائي (١٤١/١) (٢٦١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٥/١) (١٩٦٣).

(٥) مسند أحمد (٥٧٨/٧) (٢٦٨٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٢٦/٢) (٧٣٤٢).

(٦) سنن أبي داود (٣٧٢/٤) (٤١٣٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٢٦/٢) (٧٣٤٥).

وَمِیْکُنْ لِّفَیْئَةِ اللَّهِ عَدُوٌّ لِّلْکَافِرِیْنَ ﴿٩٨﴾ [البقرة: ٩٧، ٩٧].

ومن لوازم محبتهم الثناء الجمیل علیهم، والدعاء بحسن الجزاء لهم، وكثرة السلام علیهم عند ذکرهم.

٣- شدة الحياء منهم علیهم الصلاة والسلام:

وذلك من دقائق ما يتفرّد به المحسنون، فهم يستحيون من الملائكة الكرام أعظم من استحيائهم من صالح قومهم أن يراهم غافلين عن ذكر الله تعالى أو مقصرين في كمال عبادته فضلاً أن يراهم يتخطون في قاذورات المعاصي ووحل الذنب.

ب - الإحسان إلى الحيوان:

اقتضت حكمة الله تعالى أن يعيش الإنسان والحيوان على هذه الأرض، ويشتركا في بعض المنافع، إلا أن الحيوانات جملة اتخذت من الإنسان ثلاثة مواقف حدد كل موقف منها طريقة تعامل الإنسان معه، ونقصد بالحيوان، كل ما فيه حياة سواء أكان برياً أم بحرياً طائراً أم لا مما استأنسه الإنسان أم لا. وهذه المواقف هي:

الموقف الأول: موقف الإنسان من الحيوانات النافعة له سواء أكانت مما يؤكل أم لا. كالإبل والبقر والغنم والخيول والبغال والحمير، وهذه محل إحسان الإنسان، وتحرم أذيتها أو قتلها لغير سبب مباح.

فعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «عُذِّبَت امرأة في هرة سجنها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»^(١). وهذا يقال في كل من عذب حيواناً حتى قتله بغير حق.

ميادين الإحسان إلى الحيوانات النافعة:

ميادين الإحسان إلى الحيوان كثيرة وتتلخص في بذل الندى لها ودفع الأذى عنها وأهم هذه الميادين:

١- الحرص على كفايته من الطعام والشراب إن كان مما نملك وألاً نكلفها من العمل إلا ما تطيق.

فعن عبدالله بن جعفر - رضي الله عنه ؛ قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسرَّ إليَّ حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس، وكان أحب ما أستتر به رسول الله ﷺ لحاجته، هدفاً أو حائط نخل، قال: فدخل حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا جمل فلما رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفرأه فسكت، فقال: «من رب هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟» فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكى إليَّ أنك تجيعه وتُدبِّيه»^(٢). وذفرأه: أصل أذني البعير. وتدبِّيه: يعني تتعبه.

وعن سهل بن الحنظلية - رضي الله عنه - قال: مرَّ رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: «اتَّقُوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها

(١) صحيح مسلم (٢/١٧٦٠) (٢٢٤٢).

(٢) سنن أبي داود (٣/٥٠) (٢٥٤٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٤٨٤)، (٢٢٢٢).

صالحة، وكُلُّوها صالحة»^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سافرتُم في الخُصْب، فأعطوا الإبل حظها من الأرض، وإذا سافرتُم في السَّنة فأسرعوا عليها السير...»^(٢).

وهذا التوجيه النبوي الكريم في إطعام البهائم وسقيها عامًّا في كل حيوان مملوك فإنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: دخل النبي ﷺ على أمِّ معبد حائطًا فقال: «يأُم معبد من غرس هذا النخل؟ أمسلم أم كافر؟» فقالت: بل مسلم، قال: «فلا يغرس المسلم غرسًا يأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلَّا كان له صدقة إلى يوم القيامة»^(٣).

٢- الرفق بالحيوان النافع أو المسالم:

لما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «بينما رجلٌ يمشي بطريق، اشتدَّ عليه العطش، فوجد بئرًا، فنزل فشرب، ثم خرج، فإذا كلبٌ يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملاً خُفَّةً، ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له»، قالوا: يا رسول الله، وإنَّ لنا في البهائم أجرًا؟ فقال: «نعم في كل ذات كبد رطبة أجر»^(٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «أنَّ امرأةً بغياً رأت كلبًا في يومٍ حارٍ يُطيف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له بموقها فغفر لها»^(٥).

البغي: الزانية^(٦).

والموق: شبيه بالخف^(٧).

وعن كبشة بنت كعب بن مالك - رضي الله عنها - أنَّ أبا قتادة - رضي الله عنه - دخل عليها ثم ذكرت كلمة معناها فسكبت له وضوءًا فجاءت هرةً فشربت منه فأصغى لها الإناء حتى شربت، قالت كبشة: فرآني أنظر إليه

(١) سنن أبي داود (٤٩/٣) (٢٥٤٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٨٤/٢) (٢٢٢١).

(٢) صحيح مسلم (١٥٢٥/٢) (١٩٢٦).

(٣) صحيح مسلم (١١٨٩/٢) (١٥٥٢).

(٤) صحيح البخاري (٢٢٣٨/٥) (٥٦٦٣).

(٥) صحيح مسلم (١٧٦١/٢) (٢٢٤٥).

(٦) انظر: النهاية (٧٧/١٤).

(٧) انظر: النهاية (٣٥٠/١٠).

فقال: أتعجبين يا ابنة أخي، فقلت: نعم، قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّها ليست بنجس، إنما هي من الطوائف عليكم والطوائف»^(١)

وعن ربيعة بن أبي عبدالله الهذلي - رحمه الله - «: أنَّه رأى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يُقرِّد بعيراً له في طين بالسُّقيا وهو محرم»^(٢).
أي يزيل عنه القراد، والقراد من الحشرات التي تعض الإبل^(٣).

وعن أبي وهب الجشمي - رضي الله عنه - وكانت له صحبة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ارتبطوا الخيل، وامسحوا بنواصيها وأعجازها» أو قال: «أكفأها». وقلِّدوها، ولا تقلِّدوها الأوتار»^(٤).

ومن الرفق بالحيوان النافع تطييبه والحيلولة بينه وبين ما يمرضه.

٣- كف الأذى عنه بجميع صورته وأشكاله ومنه:

أ- عدم قتله لغير حاجة.

لما روى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً»^(٥).

وعن هشام بن زيد بن أنس قال: دخلت مع جدي أنس بن مالك - رضي الله عنه - دار الحَكَم بن أيوب، فإذا قوم قد نصبوا دجاجة يرمونها، قال: فقال أنس: نهى رسول الله ﷺ: «أن تُصَبَّر البهائم»^(٦).
وتصبير البهائم: أن تحبس وهي حيَّة لتقتل بالرمي ونحوه^(٧).

ب - عدم ضربها في وجهها مطلقاً وفي سائر جسدها لغير ضرورة، لما روى عن جابر - رضي الله عنه - أنَّ النَّبيَّ ﷺ، مرَّ عليه بحمار قد وُسم في وجهه فقال: «أما بلغكم أنَّي لعنتُ من وسم البهيمة في وجهها، أو ضربها في وجهها»^(٨).

والوسم في الوجه: وضع العلامة بالكي^(٩).

(١) سنن النسائي (٥٥/١) (٦٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٥/١) (٦٦).

(٢) موطأ مالك (٣٥٧/١) (٩٢).

(٣) انظر: لسان العرب (٣/٣٤٨).

(٤) سنن أبي داود (٥٣/١) (٢٥٥٣) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٨٦/٢) (٢٢٢٦).

(٥) صحيح مسلم (١٥٤٩/٢) (١٩٥٧).

(٦) صحيح مسلم (١٥٤٩/٣) (٥٧).

(٧) انظر: النهاية (٨/٣).

(٨) سنن أبي داود (٥٧/٣) (٢٥٦٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٨٧/٢) (٢٢٣٥).

(٩) انظر: النهاية (٥/١٨٦).

ج - عدم ترويعها في نفسها أو بأولادها.

لما روى عبدالله - رضي الله عنه - قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمرةً معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردّوها ولدها إليها».

ورأى قرية نملٍ قد حرقناها فقال: «من حرق هذه؟» قلنا: نحن، قال: «إنه لا ينبغي أن يُعذب بالنار إلا رب النار»^(١).

د - عدم سبها:

لما روي عن زيد بن خالد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة»^(٢).

هـ - ومن عدم أذيتها مداومة حلبها عند حاجتها إلى ذلك والترفق فيه. الموقف الثاني: موقف الإنسان من الحيوانات النافعة أو المسالمة الخارجة عن طبيعتها إلى الضرر أو العدوان، فهذه يباح قتلها.

لما روى عن رافع بن خديج - رضي الله عنه - قال: إن بعيراً نذّ وليس في القوم إلا خيل يسيرة، فرماه رجل بسهم فقات رسول الله ﷺ: «إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش، فما أغلبكم منها فاصنعوا به هكذا»^(٣). ومعنى نذّ: شرد وذهب على وجهه^(٤)، وأوابد: نافرة متوحشة^(٥).

الموقف الثالث: موقف الإنسان من الحيوانات الضارة المؤذية، كالغراب الأبقع، والفأرة، والكلب العقور، والحديا والوزغ. فهذه يستحب قتلها في الحل والحرم.

لما روي عن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ أنه قال: «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم، الحية والغراب الأبقع والفأرة، والكلب العقور والحديا»^(٦).

والعلة في ذلك خروجها عن طبيعة المسالمة إلى الإيذاء وهذا يقال

(١) سنن أبي داود (١٢٥/٣) (٢٦٧٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥٠٨/٢) (٢٣٢٩).

(٢) سنن أبي داود (٣٣١/٥) (٥١٠١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٢٢/٢) (٧٣١٤).

(٣) صحيح البخاري (٨٨٦/٢) (٢٣٧٢).

(٤) النهاية (٣٥/٥).

(٥) انظر: النهاية (١٣/١).

(٦) صحيح مسلم (٨٥٦/١) (١١٩٨).

في كل حيوان مؤذ حتى أصبح الإيذاء طبيعته.
الموقف الرابع: موقف الإنسان من الحيوانات الضارّة والمعادية مما يتلف حياته، أو حياة ما فيه روح، كالحَيَّات والعقارب وذوات السموم والمفترسة للإنسان أو الحيوانات النافعة.

فهذه يجب قتلها لمن ظفر بها وقدر على قتلها.

لما روي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ: «اقتلوا الحَيَّات، وذا الطفيتين، والأبتر، فإنَّهما يستسقطان الحَبْل، ويلتزمان البصر، قال: فكان ابن عمر يقتل كل حَيَّة وجدها، فأبصره أبولبابة بن عبدالمنذر أو زيد بن الخطاب وهو يطارد حَيَّة، فقال: إنَّه قد نهى عن ذوات البيوت»^(١).
وذو الطفيتين: هو ثعبان على ظهره خطان أبيضان^(٢).

والأبتر: هو ثعبان ذو ذنب قصير أو مقطوع^(٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتلوا الأسودين في الصلاة، الحَيَّة والعقرب»^(٤).

الموقف الخامس: موقف الإنسان من الحيوانات الضارّة المسالمة، مما قد تكون طبيعته عدوانية أحيانًا كالحيوانات المفترسة، فهذه يباح قتلها.

الموقف السادس: موقف الإنسان من الحيوانات غير النافعة وليست بضارة كالقروود وما في طبائعها فهذه لا يجوز قتلها ما لم تؤذ، وكل حيوان يجب قتله، أو يستحب، أو يباح، فإنَّه يحرم تعذيبه، أو قتله حرًا بالنار.

لما روي عن شداد بن أوس - رضي الله عنه - قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا اقتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته»^(٥).

قال ابن عبد البر - رحمه الله -: الإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب، إزهاق نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها وأوحاها من غير زيادة في التعذيب.

وهذا يدل على وجوب الإسراع في إزهاق النفوس التي يباح إزهاقها على أسهل الوجوه، وقد حكى ابن حزم الإجماع على وجوب الإحسان في الذبيحة، وأسهل وجوه قتل آدمي ضربه بالسيف على عنقه»^(٦).

(١) صحيح مسلم (١٧٥٢/٢) (٢٢٣٣).

(٢) انظر: النهاية (١٣٠/٣).

(٣) انظر: اللسان (٣٨/٤).

(٤) سنن أبي داود (٥٦٦/١) (٩٢١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٥/١) (١١٤٧).

(٥) صحيح مسلم (١٥٥٨/٢) (١٩٥٥).

(٦) جامع العلوم والحكم (٣٨٢/١).

الفصل الثاني وسائل الإحسان

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: العلم بالتكليفات الشريعة ودرجاتها

المبحث الثاني: استشعار إحسان الله تعالى إلى العبد ومراقبته له
والتوبة إليه

المبحث الثالث: المنافسة والمجاهدة والصبر والدعاء

المبحث الرابع: الكيفية التي يُعرف بها مَنْ وصل إلى مرتبة الإحسان

تمهيد

عندما يطلب الله تعالى من عباده الإحسان، ويحبه إلى قلوبهم فقد جعله تحت وسعهم، وطاقاتهم، إذ من المحال قطعاً أن يطالبهم بما لا طاقة لهم به، حيث قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وهذا على العموم، وأما على الخصوص، فإن من الناس من لا طاقة له بالتكليف بالكلية، كالمجنون، ومن في حكمه، ومنه من لا طاقة له بالتكليف في وقت دون وقت، كالصغير حتى يكبر، والنائم حتى يستيقظ.

عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «رفع القلم عن ثلاث: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم»^(١).

ومنهم من لا طاقة له ببعض التكليف دون بعضه، كالأعرج والأعمى في الجهاد قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ [النور: ٦١] وهؤلاء معذرون وعليه فما دام أن الإحسان مطلب شرعي مقدور للإنسان عموماً فهو غاية لا بد لها من وسائل موصلة إليه، مقدورة للإنسان وهذه الوسائل لا بد أن تكون مشروعة، لأن الوسائل في الإسلام لها حكم الغايات، والإحسان غاية سامية شرعاً، ولا بد أن تكون الوسائل كذلك، فلا يصح أن يتصدق المسلم من المال الحرام، فإنه وإن كانت الصدقة إحساناً إلا أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

والوسيلة: هي ما يتقرب به إلى الغير^(٢).

أي العمل الذي يقرب الإنسان من الإحسان.

وهذه الوسائل متعددة نجملها في أربعة مباحث:

(١) سنن أبي داود (٥٥٩/٤) (٤٤٠١)، وصححه الألباني كما في الإرواء (٤/٢)، (٢٩٧).

(٢) لسان العرب (٧٢٥/١١) «وسل».

المبحث الأول العلم بالتكليفات الشرعية ودرجاتها

فيه تمهيد ومطلبان :
المطلب الأول : حقيقة العلم وأقسامه وشروطه وغير ذلك
المطلب الثاني : التكليفات الشرعية ودرجاتها

تمهيد

إنَّ العلم هو أول درجة في طريق الوصول إلى مرتبة الإحسان؛ لأنَّه هو الوسيلة الأولى التي يعرف بها حسن العمل من قبحه، وحكم الشارع فيه، إذ أنَّه من المحال قطعاً وجزماً أن يستقل العقل بكل ما حسنه الشرع وإن عرف بعضه؛ لأنَّ الأعمال الحسنة منها ما هو حسن في كل وقت من كل أحد، مثل: حسن الظن بالله تعالى، ومنها ما هو حسن في وقت دون وقت، مثل: الحلم فإنَّه حسن إلا ساعة لقاء العدو، فإنَّه جبن مستقبح من كل أحد. ومن الأعمال ما هو قبيح في وقت حسن في وقت آخر مثل: الغضب فإنَّه قبيح إذا كان الغضب لانتصار الذات، أما إذا كان الغضب لله تعالى عندما تنتهك حرماته فإنَّه حسن.

وهذه الأعمال الحسنة تختلف أحكامها، من حيث الوجوب والندب من وقت إلى وقت، ومن شخص إلى شخص، فالإحسان إلى الوالدين واجب، والإحسان إلى الضيف فوق ثلاثة أيام مندوب، من هنا كان لا بد من العلم بالتكليفات الشرعية وبكل درجاتها حتى نصل إلى منزلة الإحسان المنشودة.

المطلب الأول حقيقة العلم، وأقسامه، وشروطه، وغير ذلك

أولاً: حقيقة العلم: العلم لغة: «مصدر قولهم: عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْمًا وهو مأخوذ من مادة (ع ل م) التي تدل على أثرٍ بالشيء يتميز به عن غيره^(١). قال ابن منظور: العلم نقيض الجهل، وعلمت الشيء أعلمه علمًا: عرفت^(٢).

واصطلاحًا:

قال الجرجاني - رحمه الله - : العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع^(٣).
ثانيًا: أقسام العلم:

أ- من حيث الفرض والمباح:

تنقسم العلوم إلى قسمين:

القسم الأول المفروض: وهو علم معاملة العبد لربه ويدخل هذا العلم في الاعتقاد والأفعال.

وهذا العلم المفروض ينقسم إلى قسمين:

١- فرض عين: وهو ما يتعين وجوبه على الشخص من توحيد الله تعالى ومعرفة أوامره وحدوده في العبادات والمعاملات التي يحتاج إليها.

٢- فرض كفاية: وهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام الدنيا، كالطب، والحساب، وأصول الصناعات فلو خلت البلد عمن يقوم بهذه العلوم والصناعات أثم أهل البلد جميعًا، وإذا قام بها واحد فقط وكفاهم سقط الإثم عن الباقيين.

القسم الثاني المباح: وهو ما يكون تعلمه مباحًا كالعلم بالأشعار التي لا سخر فيها.

ب - من حيث المدح والذم:

من العلوم ما يكون محمودًا، مثل: علوم الشريعة وهي أصول وفروع ومقدمات ومتممات^(٤).

وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مقام المدح وهو العلم النافع قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا﴾ [الزمر: ٩] وقوله تعالى:

(١) مقاييس اللغة (٤/١٠٩).

(٢) لسان العرب (٥/٣٠٨٣، ٣٠٨٤).

(٣) التعريفات للجرجاني (١٩١).

(٤) انظر: مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة، بتصرف واختصار (٧/١٥).

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨]
 وقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

وغير ذلك من الآيات، وقد يكون العلم في نفسه نافعا لكن صاحبه لم ينتفع به، كما قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة: ٥] وقال تعالى: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [١٧٥] وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَشَبَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦] وقال تعالى: ﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ [الجاثية: ٢٣] (١).

ومنها ما يكون مذموماً، كعلم السحر والطلسمات، والتلبيات (٢) وهو الذي ذكره الله تعالى في مقام الذم وهو العلم الذي لا ينفع قال تعالى: ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوْا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنٌ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانِ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوْتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ [البقرة: ١٠٢]

شروط العلم النافع ثلاثة وهي:

- ١- أن يدور هذا العلم في فلك الكتاب والسنة، وتميز الصحيح من السقيم منها، وفهم معانيهما.
- ٢- الاعتماد في فهم معانيهما على فهم الصحابة - رضي الله عنهم - وتابعيهم بإحسان لها.
- ٣- أن يترتب على هذا العلم عمل: كمعرفة الله تعالى وما يستحقه ومعرفة ما يحبه ويرضاه، وما يكره ويسخطه.

أقسام العلوم من حيث العلم بها:

العلوم من حيث العلم بها ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يشترك عموم المسلمين في العلم به، وهو الحلال المحض مثل: أكل الطيبات من الزروع والثمار، والحرام المحض: مثل أكل الميتة والدم ونكاح المحارم.

القسم الثاني: ما لا يعمل به إلا العلماء، وهو المتشابه النسبي الذي يشبهه في

(١) انظر: فضل علم السلف على علم الخلف بتصرف واختصار (١٢٥، ١٢٦).

(٢) انظر: مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة، بتصرف (١٧٠).

حله وحرمته لغير العلماء الراسخين في العلم مثل: بيع العينة والتورق، وأكل لحم الخيل وغيرها.

القسم الثالث: ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وهو المتشابه المطلق مثل: كيفية أسماء الله تعالى وصفاته، وحقيقة الصراط والميزان، والحروف المقطعة من أوائل السور.

فالأول: دليله قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩] بدأ بالعلم قبل القول والعمل وقوله ﷺ كما في حديث أنس - رضي الله عنه - : «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(١). وقوله ﷺ كما في حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - : «الحلال بين والحرام بين...»^(٢).

والثاني: دليله قوله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وقوله ﷺ كما في حديث النعمان البشر - رضي الله عنه - : «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس»^(٣).

والثالث: دليله قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدَ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

طرق تحصيل العلم:

هناك طريقتان لتحصيل العلم لا غير، الأولى خير وأمن من الثانية وهي: أن يأخذه من العلماء الراسخين في العلم المشهود لهم بالعدالة. الثانية: أن يأخذه من بطون الكتب وهو عرضة للخطأ والزلل.

رابعاً: شروط تحصيل العلم:

أجملها الإمام الشافعي - رحمه الله - في بيتين وهي ستة شروط قال: أخي لن تنال العلم إلا بستة
سأنبئك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة
وصحبة أستاذ وطول زمان^(٤)

خامساً: فضل العلم:

قال ابن القيم - رحمه الله -: العلم هادٍ وهو تركة الأنبياء وتراثهم،

(١) سنن ابن ماجه (٨١/١) (٢٢٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤٤/١) (١٨٣).

(٢) صحيح البخاري (٢٨/١) (٥٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) ديوان الشافعي (٥٣).

وأهله عصبتهم ووراثتهم، وهو حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول، ولذة الأرواح، وأنس المستوحش، ودليل المتحيرين، وهو الميزان الذي توزن به الأقوال والأعمال والأحوال، وهو الحاكم المفرق بين الشك واليقين، والغى والرشاد، والهدى والضلال، به يعرف الله ويعبد، ويذكر ويوحّد، ويحمد ويمجد، وبه اهتدى إليه السالكون، ومن طريقة وصل إليه الواصلون، ومنه دخل عليه القاصدون، وبه تعرف الشرائع والأحكام، ويتميّز الحلال والحرام، وبه توصل الأرحام وبه تعرف مرضي الحبيب، وبمعرفته ومتابعته يوصل إليه من قريب، وهو إمام، والعمل مأموم، وهو قائد والعمل تابع، وهو صاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والأنيس في الوحشة، والكاشف عن الشبهة، والغنى الذي لا فقر على من ظفر بكنزه، والكتف الذي لا ضيعة على من أوى إلى حرزه، مذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه قربة، وبذله صدقة، ومدارسته تعدل بالصيام والقيام، والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام^(١).

سادساً: أشرف العلوم:

إنَّ أشرف العلوم علوم الشريعة لأنَّ شرف العلم بشرف متعلقه وما يبحث فيه.

قال الشاعر:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين^(٢)
سابعاً: عناية القرآن الكريم بالعلم.

أ- أنَّ العلم المطلق لله وحده عز وجل قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وفي هذه الآيات الثلاث فوائد:

الأولى: أنَّ الله تعالى وسع كل شيء علماً وأحاط به من كل جهة.

الثانية: أنَّ الله تعالى أعلم بدقائق العلوم جميعاً.

الثالثة: أنَّ الله أعلم ببواطن العلوم جميعاً، فلا شيء من العلوم يخفى عليه سبحانه وتعالى.

وأما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُغْكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَآلَهُ أَيَدِيكُمْ

(١) مدارج السالكين (٢/٤٦٩، ٤٧٠).

(٢) ديوان الشافعي (٥٣).

وَرِمَا حُكْمٌ لِّعَلَّمِ اللَّهِ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ [المائدة: ٩٤]، وما شابهها من الآيات، فإنه ليس المقصود منها هنا أن الله تعالى علم بها بعد أن لم يكن عالمًا تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وإنما إسناد العلم هنا لله تعالى المقصود به إظهاره للخلائق.

قال الطبري: كي يعلم أهل طاعة الله والإيمان به والمنتهمون إلى حدوده وأمره ونهيه من الذي يخاف الله فيتقى ما نهاه عنه ويجتنبه خوف عقابه بالغيب في الدنيا بحيث لا يراه^(١).

ب - الأمر بالعلم وبيان فضله:

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩] وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

ج - أن العلم من صفات الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

وقال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٥] وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٥، ١٦].

د - العلم من صفات المؤمنين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَظِرُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَحْكُدُ بِأَيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

هـ - اختصاص بعض الخلق بأنواع من العلوم:

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا

(١) جامع البيان (٢٦/٥).

عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ [الكهف: ٦٥، ٦٦].

ز- تعليم الله تعالى وتعليم رسوله ﷺ للناس: قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ [البقرة: ٣١، ٣٢].

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١٦٩﴾ [آل عمران: ١٦٩].

ح - مسؤولية العالم:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ [الأفقال: ٢٧].

ط - انكشاف عطاء العلم في الآخرة:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ [النور: ٢٤، ٢٥]، وهكذا يتحدث القرآن عن العلم في حوالي (٣٧٩) آية وفي ذلك بيان شافٍ لما يوليه القرآن من أهمية بالغة للعلم والعلماء.

تاسعاً: عناية السنة النبوية بالعلم:

أ- أمر الله تعالى لنبيه ﷺ أن يعلم أمته.

عن عياض بن حماد المٌجاشعي - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا .. الحديث»^(١).

ب - بيان أن العلم منه نافع ومنه ضار:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال كان دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع»^(٢).

ج - الإخلاص في العلم:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله - عز وجل -، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من

(١) صحيح مسلم (٢١٩٧/٣) (٢٨٦٥).

(٢) سنن النسائي (٢٨٤/٨)، (٥٥٣٧)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١١١٣/٣) (٥٠٥٣).

الدنيا لم يجد عرف الجنة^(١) يوم القيامة^(٢).

د- تحريم كتمان العلم الضروري:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من سئل عن علم ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»^(٣).
هـ فضل العلم:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الدُّنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، و عالمًا أو متعلمًا»^(٤).

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: إنَّه قدم عليه رجل من المدينة وهو بدمشق فقال: ما أقدمك يا أخي؟ فقال: حديث بلغني أنَّك تحدثه عن رسول الله ﷺ قال: أما جئتَ لحاجة؟ قال: لا قال: ما قدمت لتجارة؟ قال: لا قال: ما جئتَ إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا، سلك به الله طريقًا من طرق الجنة، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإنَّ العالم ليستغفر له من في السماوات، ومن في الأرض، حتى الحيتان في جوف الماء، وإنَّ فضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب.

إنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بخط وافر»^(٥).

و - مسؤولية العلماء:

عن أبي برزة الأسلمي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعلمه فيم فعل، وماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفق؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟»^(٦).

(١) عرف الجنة: يعني ريحها الطيبة. النهاية (٢١٧/٣).

(٢) سنن أبي داود (٧١/٣) (٣٦٦٤)، والترمذي (٢٦٥٥) وقال: حسن غريب، وأحمد (٣٣٨/٢) (٨٢٣٨) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (١٩٣/١٦)، وصححه الألباني في اقتضاء العلم العلم للخطيب البغدادي (١٠٢).

(٣) سنن الترمذي (٢٩/٥) (٢٦٤٩)، وقال حديث حسن، والحاكم (٣٤٤/٢)، (٣٥٣)، وقال صحيح، وصححه الألباني في المشكاة (٧٧١).

(٤) سنن الترمذي (٥٦١/٤) (٢٣٢٢)، وقال حسن غريب وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٤١/١) (٣٤١٤).

(٥) سنن أبي داود (٥٧/٤) (٣٦٤١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٦٩٤/٢) (٣٠٩٦).

(٦) سنن الترمذي (٦١٢/٤) (٢٤١٧). وقال: حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٢١/٢) (٧٣٠٠).

ز - فضل حفظ العلم ونشره:

عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «نضر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فربّ حامل إلىّ من هو أفقه منه...»^(١).

ح - التحذير من علماء السوء:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالِمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»^(٢).

ط - ثمرة العلم:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلّا من ثلاثة: إلّا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٣).

وبعد هذا العرض السريع عن العلم ألّفت نظر القاريء الكريم أنّه ليس المراد منه التعريف بكل عمل حسن أو قبيح، لتعذر ذلك، وإنّما المراد العلم بأنّ هناك ميزانًا للأعمال يبين حسنها من قبيحها، وهو العلم الشرعي، وأنّه ضرورة ملحة حتى لا نحسن ما ليس بالحسن ونقبح ما ليس بالقبيح، كما أنّه يتعيّن علينا معرفة أحكام هذه الأعمال الحسنة، حتى لا نخلط بين ما طلبه الشارع من الإحسان على جهة الوجوب، وما طلبه على جهة الندب.

(١) سنن الترمذي (٣٤/٥) (٢٦٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٦٦).

(٢) صحيح البخاري (٥٠/١) (١٠٠).

(٣) صحيح مسلم (١٢٥٥/٢) (١٦٣١).

العلم صفة المحسنين:

قد لا يكون المحسن من الراسخين في العلم إلا أن لديه من العلم ما يمكنه من عبادة ربه على الوجهة الصحيحة، وطائفة أخرى من المحسنين علماء وأولهم الأنبياء والمرسلون - عليهم السلام - كما قال الله تعالى عن موسى - عليه السلام -: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص، الآية: ١٤].

وعن عثمان بن عفان - رضي الله عنه -: قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١) أي أحسنكم.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: «تجدون الناس معادن، فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا...»^(٢).

وفي الحديث الآتي مثل رائع فيه دلالة واضحة على أن العلم صفة المحسنين عن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية، قبلت الماء فأنبتت الكلا والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به...»^(٣).

تحقيق مرتبة الإحسان في العلم:

يمكن للمؤمن أن يحقق مرتبة الإحسان في العلم وذلك بأن يستشعر حالة كونه طالباً للعلم النافع ومعلماً له كأنه ينظر إلى ربه تعالى يتعبده به لا يتغنى به غيره على وجه الإتقان والإخلاص والأمانة التامة، ومثلها في التعليم مع الرفق والرحمة والنصيحة للمتعلمين. صور من الإحسان في العلم:

عن معاوية بن الحكم السلمي - رضي الله عنه - قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه! ما شأنكم؟ تنظرون إليّ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني، لكنني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي! ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً

(١) صحيح البخاري، الفتح (٧٤/٩) (٥٠٢٧).

(٢) صحيح مسلم (١٩٥٨/٢) (٢٥٢٦).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (١٧٥/١) (٧٩).

منه، فوالله ما كهرني، ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةُ لَا يَصْلَحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي حَدِيثٌ عَهْدٌ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رَجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَانَ، قَالَ: «فَلَا تَأْتِهِمْ» قَالَ: وَمِنَّا رَجُلٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: «ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدُّهُمْ» قَالَ ابْنُ الصَّبَاحِ: فَلَا يَصُدُّكُمْ قَالَ: قُلْتُ: وَمِنَّا رَجُلٌ يَخْطُونَ، قَالَ: كَانَ نَبِيٌّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ يَخْطُ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ» قَالَ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرَعَى غَنَمًا لِي قَبْلَ أَحَدٍ وَالْجَوَانِيَّةِ، فَاطْلَعَتْ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفٌ، كَمَا يَأْسِفُونَ، لَكِنِّي صَكَّكْتُهَا صَكَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «اِئْتِنِي بِهَا» فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ: لَهَا: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: «أُعْتِقُهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»^(١).

ثمرات العلم:

١- أَنْ تَعْلِمَهُ وَتَعْلِمَهُ عِبَادَةَ عَظِيمَةٍ.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا، لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لَخَيْرٍ يَتَعْلَمُهُ أَوْ يَعْلَمُهُ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ جَاءَ لْغَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَنْظُرُ إِلَى مَتَاعٍ غَيْرِهِ»^(٢).

٢- أَنَّهُ يَوْرَثُ لِمُصَاحِبِهِ الْخَشْيَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

٣- أَنَّهُ طَرِيقٌ يُوَصِّلُ إِلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ.

(١) صحيح مسلم (٣٨١/١) (٥٣٧).

(٢) سنن ابن ماجه: (٨٢/١) (٢٢٧)، وذكره الألباني في صحيح الجامع (٢٧٨/٢)

(٦٠٦٩) وقال: صحيح.

المطلب الثاني التكليفات الشرعية ودرجاتها

التكليفات جمع تكليف: والتكليف هو إلزام الكلفة على المخاطب^(١) والكلفة المشقة، ويعبر عنه الأصوليون بالحكم الشرعي: وهو الخطاب المتعلق بأفعال الملكتين طلباً أو تخييراً..
والمقصود بالطلب طلب الفعل أو الترك:

وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: طلب الفعل على جهة الجزم أو اللزوم فهذا هو الواجب، فإن صرفه صارف فيه إشعار بعدم العقاب على الترك فهو المندوب.

القسم الثاني: طلب الترك على جهة الجزم أو اللزوم فهذا هو الحرام ويسمى المحذور والممنوع.

فإن صرفه صارف فيه إشعار بعدم العقاب على الفعل فهو المكروه.
والمقصود بالتخيير:

هذه خمسة أحكام هي المقصودة بدرجات التكليف التي يجري الحديث عنها على التفصيل.

فالأول الواجب:

تعريفه في اللغة: هو سقوط الشيء لازماً محله كسقوط الشخص ميتاً فإنه يسقط لازماً محله لانقطاع حركته بالموت، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [الحج: ٣٦] أي سقطت فيه لازمة محلها.

ويطلق الوجوب على اللزوم.

وفي الاصطلاح: ما أمر الله أو رسوله به أمراً جازماً أو قل. هو ما توعده بالعقاب على تركه، لكن الوعيد بالعقاب على تركه لا ينافي المغفرة كما بينه تعالى بقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

مثل: الإحسان إلى الوالدين، وصلة الأرحام فإنهما واجبان.

ومن العلماء من يجعل الفرض والواجب شيئاً واحداً، وهو قول الإمام الشافعي وأحمد.

ومن فرق بينهما جعل الفرض أكد من الواجب.

فالفرض ما ثبت بدليل قطعي كالصلاة، والواجب ما ثبت بدليل ظني كالعمرة عند من يوجبها، وقيل: الفرض ما لا يسامح بتركه عمداً ولا سهواً

(١) التعريفات للجرجاني (٦٥).

كأركان الصلاة، والواجب ما يسامح فيه إن وقع من غير عمد كالصلاة بالنجاسة عند من يقول بالمسامحة في ذلك.

والصواب أن من صلى بنجاسة لا يعلمها فإنه لا إثم عليه وتلزمه الإعادة إن علم ذلك.

أقسام الواجب:

لِلوَاجِبِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

القسم الأول: من حيث اليقين والإبهام المحصور وهو نوعان:

الأول: الواجب المعين، وهو ما لا يقوم غيره مكانه، كالصلاة والصوم.

أي لا تقوم الصلاة مقام الصيام ولا الصيام مقام الصلاة.

الثاني: الواجب المبهم: وهو الواجب لا بعينه مشروطاً بالحصر، كال كفارة التي على التخيير، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُمْهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرتُمْ أَيْمَانَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة: ٨٩].

وهنا الواجب واحد منها لا بعينه، فأى واحد فعله الحائث أجزأه إلا الصيام فلا يعدل إليه إلا إذا لم يجد.

القسم الثاني: الواجب من حيث وقته.

وهو نوعان:

النوع الأول: الواجب المضيق: وهو ما وقته بحيث لا يسع أكثر من فعله، كصيام رمضان فإنه واجب في وقت لا يمكن أن يسع غيره.

النوع الثاني: الواجب الموسع: وهو ما يسع وقته أكثر من فعله كالصلوات الخمس.

فإن وقت الصلاة موسع له أول وأوسط وآخر، فأى وقت أدى الفرض فيه أجزأه، مع أن الأفضل أدائه في أول الوقت.

القسم الثالث: الواجب من حيث فاعله، وهو نوعان.

النوع الأول: ما يكون فعله فرض عين على كل واحد، وهو ما ينظر الشارع فيه إلى نفس الفاعل.

مثل: الصلاة والصيام.

النوع الثاني: ما يكون فعله فرض كفاية.

وهو الذي إذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقي إن كفوا وهو ما ينظر الشارع فيه إلى نفس الفعل.

مثال: دفن الميت، وإنقاذ الغريق.

المندوب:

تعريفه: الندب في اللغة: الدعاء إلى الفعل.

وفي الاصطلاح: هو ما في فعله الثواب وليس في تركه عقاب، أو ما أمر به غير جازم.

وقد يعبر عنه بأنه مرغّب فيه، ومستحب، ونفل، وتطوع، وإحسان، وسنة، ومثاله قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنَتْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكْتُوبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فقوله تعالى: ﴿فَآكْتُوبُهُ﴾ أمر، والأمر للوجوب، إلا أنّ هذا الأمر خرج عن الوجوب إلى الندب لقوله تعالى في آخر الآية: ﴿فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَمِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِّنَ الْإِيمَانِ لَمَنَ بِهِ فَجُزَاءُ مِّمَّا كَسَبَ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

المباح:

وهو المعبر عنه في تعريف الحكم بالتخيير.

التعريف: لغة: هو ما ليس دونه مانع يمنع.

واصطلاحاً: هو ما أذن الله تعالى في فعله وتركه، غير مقترن بدم فاعله أو تاركه.

أو هو ما يُخَيَّرُ فيه الشارع بين أن يفعل أو ألا يفعل.

ويسمى الحلال، والجائز والمطلق.

أقسام الإباحة:

الإباحة عند الأصوليين قسمان:

الأولى: إباحة شرعية.

وهي ما عرفت من قبل الشرع.

المثال: إباحة الجماع في ليالي رمضان قال الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

الثانية: إباحة عقلية.

وهي ما تسمى في الاصطلاح: (البراءة الأصلية)، ومعناها: استصحاب العدم الأصلي حتى يرد دليل ناقل عنه.

ومعنى ذلك أنّ ما لم يرد فيه دليل شرعي فإنّ حكمه الإباحة.

المثال: إباحة الربا في أول الإسلام.

فلما نزلت آية تحريم الربا خافوا من أكل الأموال الحاصلة بأيديهم قبل تحريم الربا، فأنزل الله في ذلك: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَىٰ﴾ [البقرة: ٢٧٥] فقوله تعالى: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ يدل على أنّ ما تعاملوا به من الربا على حكم البراءة الأصلية، قبل نزول التحريم، لا مؤاخذه عليهم به، والمباح ليس من أحكام التكليف، إذ لا تكليف فيه وإنما

يذكر من أجل إتمام القسمة .

الرابع الحرام:

وهو ضد الواجب .

التعريف لغة: الحرام هو الممنوع، وهو صفة مشبهة باسم الفاعل، لأنه الوصف من حرم الشيء فهو حرام .

واصطلاحاً: ما في تركه الثواب وفي فعله العقاب، أو ما نهى الله أو رسوله عنه نهياً جازماً، ويسمى المحرم، والمعصية، والذنب والمزجور عنه، والمتوعد عليه، والقبيح .

المثال: قوله تعالى عن الوالدين: ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا ﴾ [الإسراء: ٢٣] .

وجه التمثيل: أن الله نهى عن التأفف منهما أو نههما والنهي للتحريم .

الخامس: المكروه: وضده المندوب .

التعريف لغة: اسم مفعول من كرهه إذا أبغضه ولم يحبه، فكل بغض إلى النفوس فهو مكروه، ومنه قوله تعالى: ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [الإسراء: ٣٨] .

واصطلاحاً: هو ما تركه خير من فعله، أو قل هو ما نهى الله أو رسوله عنه نهياً غير جازم، ويستفاد غير الجزم من القرائن التي تحف بالنهي .

المثال: قوله تعالى: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ سُؤَالٌ ﴾ [المائدة: ١٠١] فالنهي عنا للتحريم إلا أنه صرفه صارف يستفاد من قوله تعالى آخر الآية: ﴿ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ بُدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ١٠١] .^(١)

ومن المبحث يتبين لنا أنه ما من طريق إلى الوصول إلى درجة الإحسان إلا بعد معرفة بيان الشريعة عن حسن الفعل أو قبحه، ثم إفصاحها عن درجة ذلك الحسن، وهل هو من باب الوجوب أم الندب، أفرض عين أم فرض كفاية، واسع الوقت أم مضيق، فإن لم يحصل العلم بذلك فقد يخلط العابد بين ما هو حسن وما هو قبيح، وما طلب على الفور وما طلب على التراخي، وما هو فرض عين على كل واحد، وما هو فرض كفاية والنتيجة العناء والتعب مع عدم البلوغ إلى مرتبة الإحسان .

(١) راجع إرشاد الفحول للشوكاني (٧، ٦) ومذكرة في أصول الفقه للشنقيطي (٢٧/١١) وأصول الفقه لمحمد الخضري بك (٥٥/٢٠) باختصار وتصرف شديد .

المبحث الثاني استشعار إحسان الله تعالى إلى العبد، ومراقبته له، والتوبة إليه

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: استشعار إحسان الله تعالى إلى العبد

المطلب الثاني: استشعار مراقبة الله تعالى لعبده

المطلب الثالث: التوبة إلى الله تعالى

المطلب الأول استشعار إحسان الله تعالى إلى العبد

التعريف مفردًا:

استشعار: الاستشعار مأخوذ من مادة (شَعَرَ) الشين والعين والراء، أصلان... يدل أحدهما على نبات، والآخر على علم وعلم.

والثاني: هو المناسب من قولهم شَعَرْتُ بالشيء، إذا علمته وفطنت له^(١).

إحسان: الإحسان: مصدر أحسن يحسن إحسانًا، الحاء والسين والنون، أصل واحد، فالْحُسْن ضد القبح، وأحسن أفعل تفضيل من الحسن، وأحسن إحسانًا، أتى بالفعل الحسن على وجه الإتيان والإحكام وصنع به الجميل، ومنه أحسن إلى فلان وأحسن به أنعم عليه وأكرمه وصنع به الجميل، قال الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠] أي: قد أحسن إليّ^(٢).

الله أعرف المعارف علم على الذات المقدسة سبحانه وتعالى وهو المألوه محبة ورغبة وإجلالًا.

العبد: هو الإنسان حرًا كان أو رقيقًا^(٣).

ثانيًا: التعريف مركبًا: مما سبق نستطيع أن نعرفه بأنه تفتن الإنسان وعلمه بكرم الله وإنعامه عليه وما صنع به من الجميل.

أولًا: الإحسان الظاهر:

لـ استشعار إحسان الله على خلقه بالإيجاد:

- ١- أن يتصور الإنسان اختيار الله تعالى له دون غيره من المعدومات.
- ٢- أن يتصور الإنسان اختيار الله تعالى له أن يكون من بني آدم دون غيرهم من المخلوقات.
- ٣- أن يتصور الإنسان اختيار الله تعالى له الزمان والمكان، والوالدة والوالد، والنوع إن كان ذكرًا أم أنثى، والصورة، والطول والوزن، والقوة والقدرات الأخرى.
- ٤- أن يتصور الإنسان أطوار خلقه، وماذا كان يجري له فيها، وكيف يمكن أن يكون تفكيره ساعتها وحجم عناية الله به.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥٢٨).

(٢) فضلًا: راجع تعريف الإحسان في اللغة عن طريق الفهرس العام.

(٣) القاموس للفيروز أبادي (٣٧٨).

٥- أن ينظر إلى من دونه في تمام الخلقة ليعرف قدر إحسان الله إليه.

٦- أن يتصور إحسان الله إليه بتمام خلقه.

ب - استشعار الإحسان الإلهي على العبد بعطف الأبوين عليه صغيراً:

١- أن يتصور العبد كيف بعث الله تعالى الشهوة في الأبوين للجماع ليحصل الحمل.

٢- أن يتصور العبد كيف اختاره الله تعالى من بين ملايين الحيوانات المنوية ليكون هو الفائز بالحياة.

٣- أن يتصور العبد كيف هيأ الله تعالى له رحم الأم ليكون له قراراً، ملائماً لمدة إقامته سواء من ناحية الحجم أم غير ذلك.

٤- أن يتصور العبد كيف أمكنه الله تعالى من البقاء في رحم الأم، إلى حين الولادة ولم يمت سقطاً.

٥- أن يتصور العبد كيف أمدَّ الله تعالى أمه بالحياة حتى يتمَّ حملهُ ووضعه.

٦- أن يتصور العبد كيف أمدّه الله بالغذاء وأغناه عن الإخراج وهو في رحم أمه.

٧- أن يتصور العبد كيف أنجاه الله ساعة الولادة من الهلاك برغم ما مرَّ به من المخاطر.

٨- أن يتصور العبد كيف لو حُرِّم حنان الأبوين، إذن لألقياه في إحدى الطرقات ولأصبح وجبة سائغة لبعض الحيوانات.

٩- أن يتصور العبد كيف لو كلَّ أحد الأبوين عن خدمته، إذن لمات جوعاً، أو عطشاً، أو برداً، أو حرّاً، أو غير ذلك.

١٠- أن يتصور العبد كيف لو كان الأبوان على غير الإسلام، إذن لكانا سبباً في شقاوته في الدنيا والآخرة.

١١- أن يتصور العبد كم فتح الله تعالى له من أبواب الخير، وعظيم الدرجات بسبب بر والديه.

ج - إحسان الله على العبد بما سخر له من أسباب الحياة: كملاءمة تضاريس الأرض والغلاف الجوي والمناخ وحركة الكواكب والموارد المائية، والنباتية والحيوانية له.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ٦٧]

وسخر الله للعبد الموارد الحيوانية والنباتية قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [٥] وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَىٰ

اللَّهُ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايَزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَنْفَكُرُونَ ﴿١١﴾ [النحل: ٥-١١]

وقال: ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٢﴾ [النحل: ١٣]

واستشعار إحسان الله على العبد بتسخير ما في السماوات والأرض له:
١- أن يتصور العبد حاله، لو كانت الأرض مخلوقاً غير ملائم لطبعه كيف يمكن له العيش فيها: كأن تكون من الصلابة بحيث لا يمكن المشي على ظهرها، أو الوعورة بحيث لا يمكن السير في أطرافها، أو التشقق بحيث لا يمكن أن تمسك الماء في جوفها أو الاستواء بحيث لا يمكن إحاطتها بالبحار والأنهار، أو الضيق بحيث لا يمكن أن تستوعب مَنْ على ظهرها.

٢- أن يتصور العبد حاله لو كان الغلاف الجوي الملامس للأرض غير ملائم لطبعه بحيث يتركب من غازات قاتلة أو كثافة لا يمكن تحملها أو كانت أوزان هذه الغازات ثقيلة بحيث يعجز الإنسان عن السير تحتها أو كانت خفيفة بحيث لا تحيط به بقوة كافية، أو كان هذا الغلاف مشبعاً بالعناصر الصلبة كالغبار والدخان وغيرهما بكمية يصعب أو ينعدم العيش معها.

٣- أن يتصور العبد حاله لو كانت الأرض قطعة ثلجية أو تبلغ درجة حرارتها فوق طاقته، أو كانت حركه الرياح أضعاف أضعاف ما هي عليه أو كان منسوب الأمطار أكثر، أو أقل بكثير مما هي عليه، إذن لتجمد بالبرودة، أو احترق بالحرارة، أو ألقته الريح في مكان سحيق، أو هلك من العطش، أو غمره الماء.

٤- أن يتصور كيف لو جعل الله عليه الليل أو النهار سرمداً إلى يوم القيامة، أو لم تكن هناك نجوم إذن يختل نظام حياته.

٥- أن يتصور العبد حاله لو جفت الموارد المائية أو انعدمت الموارد الحيوانية والنباتية، بالطبع لا يستطيع العيش على وجه الأرض بضعة أيام.

د - إحسان الله تعالى على الإنسان بالصحة:

لقد ركب الله تعالى في جسد الإنسان القدرة على مقاومة الآفات والأمراض، وأمدّه بالحواس اللازمة للتعامل مع الحياة. قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]. وإن اعترى الإنسان شيء من الخلل عافاه كما قال تعالى: وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

يَشْفِيَنَّ ﴿٨٥﴾ [الشعراء]، فكأنَّ الصِّحَّةَ هي الأصل، والمرض هو الطارىء، وإذا حصل ذلك المرض فإنَّ المحسن الحق وهو الله تعالى ينعم على عبده بالشفاء.

واستشعار هذا الإنسان الرباني أن يتصور الإنسان حاله لو انعدم عنده الجهاز المناعي أو أصيب بالضعف الشديد، أو فقد الحواس الخمس أو إحداها، إذا أصبح عرضة لأول مرض يقتله أو يطرحه على الفراش حتى الموت، ولما استطاع القيام بتكاليف الحياة والقيام بالطاعات، وأما فقد الحواس فإنه يجعله بمعزل تمامًا عن الحياة.

إنَّ نعمة البصر وحدها لا يساويها شيء، فكيف إذا انضم إليها غيرها، إنَّها المنافذ التي يعبر الإنسان من خلالها إلى الحياة بمفهومها الشامل. هـ إحصان الله تعالى على العبد بفعل الطاعات، وكسب الحسنات في هذه الدنيا:

لقد أمكن الله الإنسان من فعل الطاعات، التي بها زكاة نفسه وجسده وإرضاء ربه، ورثب على ذلك منح الحسنات وضاعفها له، حتى يتمكن من بلوغ أقصى الدرجات، وهذه النعمة هي أعظم النعم وأجلها، ومن أجلها خلق الإنسان، وأنزل القرآن، وأرسل الرسل والأنبياء، ونصب الميزان، وقام سوق الجنة والنيران.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. واستشعار هذا الإحسان كما يأتي:

- ١- أن يتصور العبد كم تشقى الروح بفقد الطاعة، حتى إنَّ من الناس من يصل به الحال إلى قتل نفسه، كما هو مشاهد الآن في الأمم الكافرة.
- ٢- أن يتصور العبد كم تشقى الإنسانية بفقد الطاعات، من ضياع الأمن، والاعتداء على الأنفس والمحامرم، والممتلكات وغير ذلك.
- ٣- أن يتصور العبد كم أفرزت المعصية من دمار شامل، وهلاك قاتل للحرث والنسل، كما هو مشاهد بما توصل إليه الإنسان من تقنيات لم يسخرها في طاعة الله فكانت سببًا في هلاكه.

- ٤- أن يتصور العبد لو لم يضاعف الله الحسنات وضاعف السيئات، أو جعلهما سواء، إذن لهلك الإنسان أو لما فاز بأعلى الجنان.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

والأعجب من ذلك تبديل السيئات إلى حسنات، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن

تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ [الفرقان: ٧٠].

ثانيًا: الإحسان الباطن:

إنَّ ما لم يدركه الإنسان وما يخفى عليه من إحسان الله أعظم مما أدركه ولم يستطع عده وبما أنَّ حصر إحسان الله الباطن على العبد أشد استحالة من سابقه لذا نكتفي بإيراد بعض الأمثلة عليه:

أ- إحسان الله على العبد بالعقل:

إنَّ العقل من أعظم إحسان الله على العبد، فإذا أحسن العبد استعماله وصرفه في طاعة ربه كان الطريق إلى مرتبة الإحسان، وإن أساء استعماله وصرفه في طاعة شيطانه وهواه وشهوته، كان نقمة وسائقًا إلى النار لذا وجب على الإنسان استشعار إحسان الله على العبد بالعقل:

١- أن يعتبر العبد بمن فقد نعمة العقل بالكلية كيف أصبح كلاً على أهله وذويه ومجتمعه لا يؤمن له جانب حتى لكأنه سبع ضار، ثم يتخيل لو أنَّ الله سلبه العقل فأصبح مثله كيف تكون حاله وما هو مآله.

٢- أن يعتبر بمن فقد كمال العقل فأصبح معتوهاً لا يحسن حتى إزالة الأذى عن نفسه ثم ليتخيل لو سلب نعمة العقل كيف تكون حاله.

٣- أن يعتبر بمن فقد كمال العقل فأصبح أحمق يضر نفسه من حيث يحسب أنَّه ينفعها ثم ليتخيل لو سلب كمال العقل كيف تكون حاله.

٤- أن يعتبر بمن ضلَّت عقولهم وفسدت باتباع الهوى والشهوات كيف دنسوا أنفسهم وعصوا ربهم واستحقوا العقوبة في الدنيا والآخرة.

واستشعار هذا الإحسان كما يأتي:

١- أن يتصور العبد حال أولئك الكفرة وما آل أمرهم إليه من الشقاء الروحي والأمراض النفسية الفتاكة ثم يستشعر ما هو فيه من راحة وسكون نفسي.

٢- أن يتصور العبد حال أولئك الأذكياء من المسلمين الذين لم ينعم الله عليهم بهذه النعمة كيف حاروا وكانت عاقبتهم التضرع إلى الله أن يمنحهم هذه النعمة، ثم يتخيل حاله مع قلة حيلته لو ابتلاه الله بالشك والاضطراب وأوكله الله إلى عقله كيف يكون حاله ومآله.

استشعار إحسان الله تعالى على الإنسان بما يدفعه عنه من الآفات والشرور:

١- أن يتصور العبد حاله إذا أصيب بآفة أو شر فكيف لو خلي بينه وبين ما يحيط به من الآفات والشرور.

٢- أن يتصور العبد أحوال المنكوبين وما يتجرعون من مرارة الكرب، ثم يتصور إحسان الله إليه بالسلامة.

٣- أن يتذكر أنَّ كل يوم له مفاجآت وآفاته وأنَّ النجاة من ذلك لن تكون إلا

بعون الله وإحسانه .

استشعار إحسان الله على عبده بما ستر عليه من الأعمال السيئة :

١- أن يتصور العبد ذنوبه الخافية على المخلوقين، وقبحها، ومن كان يسترها عنه لو اطلع عليها.

٢- أن يتصور حال المفضوحين في الدنيا كيف أظهر الله تعالى عوارهم، وأسقط ذكرهم، وسلط عليهم، وحال بينهم وبين ما يشتهون من الستر.

٣- أن يتذكر ما يبذله أهل القبائح من الجهد والمال حتى يسترُوا، وكيف أن الله ستره بلا ثمن وكان حقه العقوبة.

٤- أن يعلم العبد أن الله تعالى ستر ذنوبه على علم منه سبحانه وتعالى.

٥- أن يتصور العبد يوم الفضائح يوم الحساب بين يدي الله تعالى على رؤوس الأشهاد من النبيين والملائكة والصالحين وسائر الناس، وذلك عند ما يقال هذا فلان ابن فلان فعل كذا وكذا.

استشعار إحسان الله على العبد المحسن بما أعد له في الجنة من النعيم :

١- أن يتصور العبد كم من نعمة في الدنيا رآها في يد غيره ولم يستطيع تحصيلها، ثم ليتخيّل أن الله تعالى أعد له في الجنة إن كان من أهلها أعظم من ذلك.

٢- أن يتخيّل العبد إن كان من أهل الإيمان أن له حورًا حسناء، ومملكة عامرة بكل أنواع اللذائذ والنعيم كلها تنتظر مجيئه الآن.

٣- أن يتخيّل العبد إن كان من أهل الإيمان، لذّة النظر إلى وجه الرحمن، الذي كان يعبد في الدنيا ولم يره قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فالحسنى: الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الرحيم المنان، وهذا أعظم النعيم لذوي الإحسان.

٤- أن يتخيّل العبد أهل النار وما هم فيه من النكال والبوار وما يتجرعون من الكروب والغصص كأنه يسمع شهيقهم والزفير وهم يتنادون بالويل والثبور، ويجأرون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإن ظالمون ثم يتصور إذا كان من أهل الإيمان كيف سروره بإحسان الله إليه بالنجاة من النيران.

والخلاصة: أن من استشعر إحسان الله إليه لزمه الإحسان في عبادته جزاء ما أحسن الله إليه وجب عليه شكره. وقد سبق الحديث عن الشكر. (١)

(١) راجع الفهرس العام.

المطلب الثاني استشعار مراقبة الله تعالى لعبيده

إذا علم العبد علم اليقين أنَّ الله سبحانه وتعالى مطلع على حركته وسكونه، وما يختلج في نفسه، من السر وأخفى لا يعزب عنه شيء من ذلك، في زمان أو مكان، وأَنَّه سبحانه وتعالى أحصى كل ذلك على عبده يلقيه أمامه منشورًا، يوم التناد، على رؤوس الأشهاد، كان ذلك اليقين وسيلة فعالة، يلم بها العبد شعثه، ويتوب إلى بارئه، توبة نصوحًا، تدنيه من المنافسة في فعل الخيرات وترك المنكرات، وها هنا يبرز دور المجاهدة للنفس، مع الاستعانة على تمردها وتقلبها وغفلتها بالصبر والدعاء حتى تتأهل لبلوغ مرتبة الإحسان.

تعريف المراقبة:

المراقبة لغة: مصدر قولهم: راقب مراقبةً وهو مأخوذ من مادة رَقَبَ التي تدل على «انتصاب» لمراعاة شيء وفي أسماء الله تعالى: «الرقيب» وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، فعيلٌ بمعنى فاعل^(١).

المراقبة اصطلاحًا:

قال ابن القيم - رحمه الله - المراقبة دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه^(٢).

وقربه منه، وقدرته على إحصاء عمله، ومحاسبته له.

بيان حقيقة المراقبة:

حقيقة المراقبة: هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهمم إليه، فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره، يقال إنه يراقب فلانًا ويراعي جانبه، ويعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة، وتثمر تلك الحالة أعمالاً في الجوارح وفي القلب.

أما الحالة: فهي مراعاة القلب للرقيب، واشتغاله به، والتفاتة إليه، وملاحظته إيّاه، وانصرافه إليه.

وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة، فهي العلم بأنَّ الله مطلع على الضمائر، عالم بالسرائر، رقيب على أعمال العباد، قائم على كل نفس بما كسبت، وأنَّ سر القلب في حقه مكشوف كما أنَّ ظاهر البشرة للخلق

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٤٢٧)، ولسان العرب (١/٤٢٤، ٤٢٦).

(٢) مدارج السالكين (٢/٦٨).

مكشوف بل أشد من ذلك .

فهذه المعرفة إذا صارت يقيناً، أعني أنّها خلت من الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب قهرته، فزُبَّ علم لا شك فيه لا يَغْلِبُ على القلب كالعلم بالموت، فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه، والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون إلى الصديقين وأصحاب اليمين^(١).

درجات المراقبة :

للمراقبة ثلاث درجات وهي على النحو الآتي :

الدرجة الأولى : مراقبة العبد لله تعالى باستشعار معاني أسمائه وصفاته بأنّه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء والدائم الذي يفني كل شيء، ولا يفنى، والحفيظ على كل شيء، العليم بكل شيء، السميع لكل شيء، البصير بكل شيء، القوي القاهر فوق عباده، الغني المالك خزائن كل شيء، وأنّ ما دونه فقراء ضعفاء موتى لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً، فإذا حصلت هذه الدرجة أثمرت مخافة الله ومحبة ورجاء ما عنده وتلمس محابه في كل شيء.

الدرجة الثانية : مراقبة العبد لله تعالى برفض المعارضة لأخباره عن ذاته وأسمائه وصفاته وسائر شرعه وأمره وأفعاله وقضائه وقدره، فإذا حصلت هذه الدرجة أثمرت معرفة الله ومعرفة شرعه.

الدرجة الثالثة : مراقبة العبد لله تعالى حال العبادة له على الدوام بحضور القلب وشدة اليقظة والعزيمة له وعدم الالتفات إلى غيره، وخشيته باستشعار معيته، والقرب منه، وحبه والسرور بطاعته والتلذذ بها، والاستزادة منها^(٢). وهذا معنى قول النبي ﷺ : «إِنْ لَمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(٣). وتأويل قوله تعالى :

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] وقال : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢] وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤]، وقوله تعالى : ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] وقوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٤/٤٩٨).

(٢) راجع مدارج السالكين (٦٩٢، ٧٠٠) بتصرف شديد واختصار.

(٣) صحيح البخاري (٢٧/١) (٥٠).

وعلى هذا فمن استدّام العلم واليقين بأنّ الله سبحانه، رقيب عليه، ناظر إليه سامع لقوله، وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نفس، وكل طرفة عين فقد حاز مرتبة المراقبة التي تؤهله لمنزلة الإحسان لأنّ من راقب الله أحسن عمله.

قال سفيان الثوري - رحمه الله -: «عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء فيمن يملك الوفاء»^(١).

صور من المراقبة:

١- حديث ثلاثة نفر الذين آووا إلى الغار وقد سبق في الحديث عن الإخلاص^(٢).

٢- ما رواه أبوهريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلاّ ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»^(٣).

٣- قال عبدالله بن دينار - رحمه الله - خرجت مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى مكة فعرسنا^(٤) في بعض الطرق فانحدر عليه راع من الجبل، فقال له: يا راعي، بعني شاة من هذه الغنم؟ فقال: إني مملوك، فقال: قل لسيدك: أكلها الذئب؟ قال: فأين الله؟! قال: فبكى عمر - رضي الله عنه - ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه، وقال: أَعْتَقْتُكَ في الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تُعْتَقَكَ في الآخرة^(٥).

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٣٩٧/٤).

(٢) فضلاً: انظر الفهرس العام للموضوعات.

(٣) صحيح مسلم (٧١٥/٢) (١٠٣١).

(٤) التّعريس: نزول المسافر آخر الليل نزلةً للنوم والاستراحة، النهاية (٢٠٦/٣).

(٥) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي (٣٩٦/٤).

المطلب الثالث التوبة إلى الله تعالى

عندما تتراكم على العبد أثقال المعصية وأوزار الذنب، ويحيط بقلبه جند الشيطان، من كل مكان يسكن الظلام سويداء قلبه، ويتسلل إلى شغاف أركانه، فلا يبصر النور ولا يسمع الدعاء، عندها يتردى من شواهد الإيمان إلى قعر الرذيلة، على أم رأسه، فيخوض في وحلها ويتغذى من رجسها، فتستمرىء نفسه المريضة ذلك، وتألفه، وتأبى أن تتركه، فيصبح أبعد شيء عن مرتبة الإحسان، فلا تخطر بباله إلا لماماً، وإن خطرت! شرد ذهنه وبدده في صحراء أو هامة، وأحلامه لما آلت إليه قواه من الخور، والضعف والاستكانة، فتهيئات هيهات له العودة إلى الرفعة والسمو وهو سادر في غيه، مقيم على باطله، لم يأخذ بسبب قوي يرده إلى سواء الصراط، ويهديه سبيل المحسنين، ولست أرى ذلك السبب الذي يمد به إلى الله غير التوبة الصادقة النصوح، فإنها وإن كانت دواء ناجعاً وبلسمًا شافيًا وقوة كبرى تعصف بجند الشيطان، وتشرد بهم من خلفهم، وتقتلع جذور الظلام من القلب، فيعود أبيض أجرد كأثما تعاقبت عليه المزن بوابل صباح مساء تغسل درنه، وتطيب أردانه وهذه التوبة النصوح، ليست وعرة المسلك بعيدة المنال، بل هي أقرب إلى مبتغيها من شراك نعله أو عنق راحلته، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] وقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

فيا باغي الإحسان أقبل من ها هنا الطريق.

التوبة لغة:

التَّوْبَةُ، بفتح التاء وسكون الواو، مأخوذة من «تَوَبَّ» التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع، يقال: تاب وأناب إذا رجع عن ذنبه^(١). والتَّوْبُ: ترك الذنب على أجمل الوجوه وهو أبلغ وجوه الاعتذار^(٢).

التوبة في الاصطلاح:

قال الراغب: التوبة في الشرع: ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١/٣٥٧).

(٢) المفردات للراغب (٧٢).

الأعمال بالإعادة^(١).
حقيقة التوبة:

شعور وجداني تستجيب له الجوارح بالفعل أو الترك.
مثل : التوبة والتائب:

إنما مثل التوبة والتائب، كمثل استفاقة نائم مذكور، فار من وحش كاسر باطش بيده، ونابه كاد يصيب منه مقتلاً، أو نار مضرمة بلغت ثيابه إثر صحة ناصح له، فرأى أمناً وقوة ورحمة تناديه، فأوى إليها، فأمنت ونصرته ورحمته، فما هي إلا برهات من الزمن حتى سكن قلبه، واندمل جرحه، وعاد على ذاته، يزجرها ويهذبها، بما أراد صاحب الأمن والقوة والرحمة.
التوبة النصوح:

قال الجرجاني: التوبة النصوح: هي توثيق العزم على ألا يعود بمثله، وقيل: هي ألا يبقى «التائب» على عمله أثراً من المعصية سرّاً وجهراً، وهذه هي التي تورث صاحبها الفلاح عاجلاً وآجلاً^(٢).

وقال التهانوي: التوبة النصوح هي من أعمال القلب تعني تنزيه القلب عن الذنوب، وعلاقتها أن يكره العبد المعصية ويستقبحها فلا تخطر له على بال ولا ترد في خاطره أصلاً^(٣).

الفرق بين التوبة والإنابة والأوبة:

يقال لمن خاف العقاب هو صاحب توبة، ولمن يتوب بمطعم الثواب هو صاحب إنابة، ولمن يتوب لمحض مراعاة أمر الله فهو صاحب أوبة، وقيل: التوبة صفة عامة المؤمنين قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١].

والإنابة صفة الأولياء والمقربين قال تعالى: ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣] والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين. قال تعالى: ﴿نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٤) [ص: ٣٠].

حكم التوبة:

قال النووي - رحمه الله تعالى -: «التوبة واجبة من كل ذنب»^(٥) على الفور على كل عين. قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

(١) المرجع السابق.

(٢) التعريفات للجرجاني (٧٤).

(٣) كشف اصطلاحات الفنون (١/٢٣١).

(٤) راجع لسان العرب، مادة أوب، وتوب.

(٥) رياض الصالحين (١١).

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ [النور: ٣١].

ولا يجوز تأخيرها لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٧]، [١٨].

شروط التوبة:

المعاصي التي تجب منها التوبة نوعان:

النوع الأول: معصية بين العبد وبين الله تعالى، لاتتعلق بحقوق الآدميين، وهذا النوع قسمان:

الأول: أن يكون الذنب بترك واجب يمكن استدراكه فلا بد فيه من القضاء إن لم يكن الذنب مكفراً.

الثاني: أن يكون الذنب يوجب الكفر فلا بد من الإتيان بالشهادتين وإثبات ما أنكره أو إنكار ما كان يقصد مما يوجب الكفر.

النوع الثاني: معصية بين العبد وبين الله تعالى، لكنها تتعلق بحقوق الآدميين، وهذا النوع قسمان:

الأول: أن ينجر الحق بمثله من الأموال، والجراحات، وقيم المتلفات والسرقات والعقوبات وغيرها، فلا بد من رد كل مظلمة لأهلها، ورد كل مستحق من مال ونحوه، إن كان موجوداً أورد مثله إن كان معدوماً أو مستهلكاً. فإن اقتصر على التوبة ولم يرد المظالم قبلت توبته ويطالب بها يوم القيامة، إلا أن يكون مُعْسِراً.

الثاني: أن لا ينجر الحق بمثله بل جزاؤه من غير جنسه كالقذف والزنا فلا بد من استحلال صاحبها إلا أن يكون واره ذلك مفسدة كبرى فيستغفر الله ويندم ويدعو لصاحب الحق، ويكثر الثناء عليه^(١).

وهذان النوعان يشتركان في بعض الشروط وينفرد الثاني عن الأول بشرط زائد، وهي على النحو الآتي:

١- أن تكون هذه التوبة خالصة لوجه الله تعالى، لأنها عبادة ولا بد لها من نية لقوله كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...»^(٢) عند ذلك يصح أن يقال إنَّ الباعث

(١) انظر: التوبة إلى الله، للدكتور صالح السدلان (٣٢، ٣٤)، بتصرف.

(٢) صحيح البخاري (٣/١) (١).

للتوبة حب الله وتعظيمه ورجاؤه، والطمع في ثوابه، والخوف من عقابه، لا تزلًا إلى مخلوق، ولا قصدًا في عرض من أعراض الدنيا الزائلة.

٢- الاعتقاد الجازم أنَّ قابل التوبة وغافر الذنب هو الله لا غيره خلافاً لأهل الملل الأخرى وبعض الطوائف المنتسبة للإسلام الذين يطلبون التوبة من القساوسة أو مشائخ الطرق.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٤].

٣- الإقلاع عن المعصية فوراً وعدم الإصرار على الذنب.

قال الراغب: الإصرار: التعقُّد في الذنب والتشدد فيه والامتناع عن الإقلاع عنه^(١) لأنَّ التوبة مع الإصرار توبة الكذابين قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، فإن كانت المعصية بترك واجب أداه على الحال، وإن كانت بفعل ذنب تركه على الفور، وإن كانت مما يمكن قضاؤه مما للخلق أداه إليهم أو استحلبهم منه، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠]، وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١١٧، ١١٨].

وهنا كل من عصي الله فهو جاهل وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب.

٤- الندم على ما فات من الذنوب في الماضي، ندمًا يوجب الانكسار بين يدي الله تعالى.

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الندم توبة»^(٢) يخرج بهذا الشرط من يتحدث بما اقترف من الذنوب والمعاصي السابقة يفخر بذلك ويتباهى به، لأنَّ ذلك من المجاهرة المنهي عنها.

كما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل أمتي مُعافى إلا المجاهرين، وإنَّ من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان، عملت

(١) مفردات الراغب (٢٨٦).

(٢) سنن ابن ماجه (١٤٢٠/٢) (٤٢٥٢) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤١٨/٢) (٣٤٢٩).

البارحة كذا وكذا، بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»^(١).

٥- العزم الأكيد على عدم العودة إلى الذنب مرة ثانية، أبداً، والمصارعة في فعل المأمور حالاً، كما جاء عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال: سئل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن التوبة النصوح، قال: «التوبة النصوح أن يتوب الرجل من العمل السيء، ثم لا يعود إليه أبداً»^(٢)، فإذا وصل العبد إلى هذه الدرجة من العزم الجازم والتصميم الأكيد ثم واقعَ الذنب مرة ثانية، وهو نادم آسف على ما فرط منه فجاهد نفسه على التخلص منه لا يضر ذلك توبته الأولى ويجب عليه إحداث توبة ثانية روى أبوهريرة - رضي الله عنه -: عن النبي ﷺ فيما يحكيه عن ربه عز وجل قال: «أذن عبد ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى، أذن عبد عدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، ثم عاد فأذن، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عدي أذن ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذن، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذن عبد عدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك»^(٣).

قال النووي - رحمه الله - لو تكرر الذنب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته وسقطت ذنوبه ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جميعها صححت توبته، وقوله عز وجل للذي تكرر ذنبه: «اعمل ما شئت فقد غفرت لك» معناه ما دمت تذنّب ثم تتوب غفرت لك»^(٤).

وفي هذا نوع من التربية الربانية فريد يمنح العبد الفرصة الكافية لمجاهدة الباطل.

٦- أن تصدر التوبة من العبد في زمن قبولها وزمن قبول التوبة على النحو الآتي:

أ- أن تكون قبل حضور الموت.

ب - أن تكون قبل طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ودابة الأرض.

قال الله تعالى ناعياً على فرعون تأخير توبته إلى حين فوات قبولها:

(١) صحيح البخاري (٢٢٥٤/٥) (٥٧٢١).

(٢) تفسير الطبري (١٠٧/٢٨).

(٣) صحيح مسلم (٢١١٢/٣) (٢٧٥٨).

(٤) شرح صحيح مسلم (٧٥/١٧).

﴿ وَجَنُوزَنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٩١) ءَاكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩٢﴾ [يونس: ٩٠، ٩١] قال رسول الله ﷺ كما روى أبوهريرة - رضي الله عنه - : «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض» (١).

وعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ» (٢). والغرغرة: تردُّد الروح في الحلق (٣).

والمراد: ألا يؤخر العبد التوبة إلى آخر لحظات حياته عندما تبلغ الروح الحلق، وفيه وجوب المبادرة بالتوبة.

وأما ما يدل على عدم قبول التوبة إذا طلعت الشمس من مغربها فهو ما رواه أبوهريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» (٤).

وهذه الشروط الستة السابقة هي في كل معصية بين العبد وربه. فإن كانت بين العبد وربه مما يتعلق بحقوق المخلوقين فلها شرط سابع وهو:

٧- البراءة من صاحبه، فإن كان مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كان حدّاً قذف مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كان غيبة استحله منها، هذا إذا لم يترتب على ذلك مفسدة أعظم (٥) فإن ترتب عليه مفسدة أكثر له الدعاء والاستغفار وذكره بالخير دائماً وشاهد ذلك حديث أبي بكرة - رضي الله عنه - قال: قال ﷺ: «... فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيَبْلُغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ...» (٦).

وما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

- (١) صحيح مسلم (١٣٨/١) (١٥٨).
- (٢) سنن الترمذي (٥٤٧/٥) (٣٥٣٧) وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (١٤٢٠/٢) (٤٢٥٣)، وأحمد (٢٩١/٢) (٦١٢٥)، والحاكم (٢٥٧/٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال أحمد شاكر في المسند (١٧/٩) (٦١٦٠) إسناده صحيح.
- (٣) لسان العرب (٢١/٥) غرر.
- (٤) صحيح مسلم (٢٠٧٦/٣) (٢٧٠٣) كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار.
- (٥) انظر: رياض الصالحين (١١، ١٢) بتصرف، وانظر مدارج السالكين (٣٠٥/١).
- (٦) صحيح البخاري (٣٧١) (٦٧).

«من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»^(١).

بهذا يتضح أنَّ التوبة شيء واحد لا يمكن أن يتجزأ، فمن أتى بالشروط صحَّت توبته ومن أغفل بعضها لا يُعتدُّ بتوبته حتى يحققها جميعاً، وأنه يجب على العبد أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحَّت توبته من ذلك الذنب^(٢).

إمكانية التوبة من جميع الذنوب:

إنَّ بين العبد وبين الذنب حرب وهذه الحرب سجال مرّة يصرع الذنب العبد ومرّة يصرع العبد الذنب وهذا في حق كل أحد إلا مَنْ عصم الله، مصداق ذلك حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»^(٣).

وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطأ، والقلب يهوي ويتمنى، يصدق ذلك الفرج ويكذِّبه»^(٤).

إلا أنَّ هذا لا يعني الاستسلام للقضاء والقدر بل مدافعتة بالمجاهدة وهي من باب القضاء والقدر أيضاً فإنَّ الله خلقنا، وخلق أفعالنا، وأفعالنا من كسبنا نحاسب عليها، والقدر سابق في علم الله لا سائق للعبد إلى المعصية، فإنَّ الله لا يأمر بالسوء والفحشاء، وقد جعل للإنسان فطرة قابلة للخير وحبب له الإيمان وزينته وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠] وقطع الحجة عليه بإرسال الرسل كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. إذا تبين هذا فإنَّ الله جلَّ وعلا فتح باب التوبة على مصراعيه من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها حتى من الكفر قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] أي: يعودوا

(١) صحيح البخاري (٨٦٥/٢) (٢٣١٧).

(٢) انظر: رياض الصالحين، للنووي (١١، ١٢) بتصرف.

(٣) سنن الترمذي (٥٦٩/٤) (٢٤٩٩).

(٤) صحيح مسلم (٢٠٤٧/٣) (٢٦٥٧).

إلى الله بالتوحيد ويصرفوا الطاعة والعبادة له يغفر لهم أعمالهم الكفرية السابقة لأنَّ الإسلام يجب ما قبله.

فإذا كان هذا الحال مع الشرك وإمكانية التوبة منه فإنَّ التوبة من الذنوب ما دون الشرك ممكنة من باب أولى والتوبة تجب ما قبلها.

فعن أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنَّه قال: «يا عبادي! إني حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّمًا فلا تظالموا، يا عبادي! كلِّم جائع إلاَّ من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا أهدكم، يا عبادي! كلِّم عار إلاَّ من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي! إنَّكم تخطئون بالليل والنَّهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي! إنَّكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي! لو أنَّ أولَّكم وآخركم، وإنسكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي! لو أنَّ أولَّكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي! لو أنَّ أولَّكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلاَّ كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادي! إنَّما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إيَّاه فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلاَّ نفسه»^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو لم تذنَّبوا، لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم»^(٢).

فإذا كان الذنب ملازمًا فإنَّ الواجب عليه التوبة منه.

أولويات التوبة:
إنَّ أولى ما يجب فيه التوبة ترك المأمور ثم يليه بعد ذلك التوبة من فعل المحذور.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «من تاب توبة عامة كانت هذه التوبة مقتضية لغفران الذنوب، وإن لم يستحضر أعيان الذنوب، إلاَّ أن يعارض هذا العام معارض يوجب التخصيص مثل أن يكون بعض الذنوب لو استحضره لم يتب منه، لقوَّة حبه إيَّاه، أو لاعتقاده أنَّه حسن ليس بقبیح، فما

(١) صحيح مسلم (٣/١٩٩٤، ١٩٩٥) (٢٥٧٧).

(٢) صحيح مسلم (٣/٢١٠٦) (٢٧٤٩).

كان من ذنب لو استحضره لم يتب منه لم يدخل في التوبة، وأما ما كان لو استحضره بعينه لكان ممّا يتوب منه، فإن التوبة العامة شاملة له، وأمّا التوبة المطلقة: وهي أن يتوب توبة مجملة، فإنّها لا تستلزم التوبة من كل ذنب فهذه لا توجب دخول كل فرد من أفراد الذنوب فيها ولا تمنع دخوله كاللفظ المطلق، لكن هذه تصلح أن تكون سبباً لغفران المعيّن، كما تصلح سبباً لغفران الجميع بخلاف التوبة العامة فإنّها مقتضية للغفران العام.

وكثير من الناس لا يستحضر عند التوبة إلا بعض المعاصي المتّصّفات بالفاحشة، أو مقدماتها أو بعض الظلم باللسان أو اليد، وقد يكون ما تركه من المأمور الذي يجب عليه في باطنه وظاهره من شعب الإيمان وحقائقه أعظم ضرراً عليه مما فعله من بعض الفواحش، فإنّ ما أمر الله به من حقائق الإيمان التي بها يصير العبد مؤمناً حقاً أعظم نفعاً من نفع ترك الذنوب الظاهرة، كحب الله ورسوله، فإنّ هذا أعظم الحسنات الفعلية، والناس في غالب أحوالهم لا يتوبون توبة عامّة مع حاجتهم إلى ذلك؛ فإنّ التوبة واجبة على كل عبد في كل حال، لأنّه دائماً يظهر له ما فرط فيه من ترك مأمور أو ما اعتدّى فيه من فعل محظور فعليه أن يتوب دائماً^(١).

وقال في موطن آخر: وليست التوبة من فعل السيئات فقط، كما يظن كثير من الجهّال، الذين لا يتصورون التوبة إلاّ عما يفعله العبد من القبائح كالفواحش والمظالم، بل التوبة من ترك الحسنات المأمور بها، أهم من التوبة من فعل السيئات المنهي عنها^(٢).

شمول التوبة لكل مراتب الدين الإسلام والإيمان والإحسان: .
قال ابن القيم - رحمه الله -: التوبة هي حقيقة دين الإسلام، والدين كله داخل في مسمى التوبة وبهذا استحقّ التائب أن يكون حبيب الله، فإنّ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وإنما يحب الله مَنْ فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، فإذا التوبة هي الرجوع عما يكرهه الله ظاهراً وباطناً إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً، ويدخل في مدلولها الإسلام، والإيمان، والإحسان^(٣).

منزلة التوبة:
قال ابن القيم - رحمه الله - أكثر الناس لا يعرفون قدر التوبة ولا حقيقتها، فضلاً عن القيام بها علماً وعملاً وحالاً، ولم يجعل الله تعالى محبته

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٢٨/١٠، ٣٣٠)، بتصرف.

(٢) التوبة (٤٢).

(٣) مدارج السالكين (٣٠٦/١، ٣٠٧).

للتوايين إلاّ وهم خواص الخلق لديه، ولولا أن التوبة اسم جامع لشرائع الإسلام وحقائق الإيمان لم يكن الرب تعالى يفرح بتوبة عبده ذلك الفرح العظيم^(١).

صوارف العبد عن التوبة:

يصرف العبد عن التوبة أمران لا ثالث لهما:

الأول: تعلق القلب بالشّهوات حتى يؤول أمره إلى حياة البهائم يطارد كل شهوة في مظانها لا يضره ما أنفق عليها من الجهد والوقت والمال، وغيره، وهذه الشهوات كثيرة متنوعة وأهمها:

١- شهوة جمع المال من الحلال والإفراط في تحصيله أو استغلاله بحيث يتعدى إلى الحرام ولربما تناسى حرمة إذا علا الران على قلبه والعياذ بالله.

٢- شهوة الفرج فلا يزال يستكثر من ذلك إن قدر عليه حلالاً وإلاّ تعدى إلى الحرام ولربما استخبت الحلال الطيب.

٣- شهوة الجاه وحب الشرف: ومعنى ذلك أنّه لا يألوا جهداً أن يتبوأ مكاناً مرموقاً بين الناس حتى ولو أدى ذلك إلى ترك المأمور وإرتكاب المحذور فالغاية عند هذا الصنف من الناس تبرر الوسيلة.

وكل هذه الثلاث صوارف قوية عن التوبة الصادقة النصوح.

الثانية: تعلق القلب بالشبهات:

والشبهات: هي ما تشبه حرمة بحله عند من لا علم لديه وهذه الثانية أخطر من الأولى إذ مآل الأولى إلى الحياة الحيوانية من البطش والظلم وغيرهما، ومآل الثانية إلى منازعة الله تعالى في الألوهية كما حصل لأهل الزندقة والإلحاد.

وقد اشتد غضب النبي ﷺ على مرتكب الشبهات أكثر من مرتكب الشّهوات.

فعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يخوضون في القدر فكأثماً يفتأ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال: «بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعرضه ببعض بهذا هلك الأمم قبلكم»^(٢).

وحذر النبي ﷺ من أهل الشبهات لعظم خطرهم إذ أنّ الشبهات لها

(١) المرجع السابق.

(٢) سنن ابن ماجه (٣٣/١) (٨٥). قال البوصيري (٥٨/١) (٢٩) هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وقال الألباني، حسن صحيح كما في صحيح سنن ابن ماجه (٢١/١) (٦٩).

بريق يخطف من في قلبه هوى.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧] قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ، مَا حَذَرُوهُمْ».

من هذه الشبهات:

١- الاعتماد على سعة رحمة الله تعالى.

وهذا باب اغتربه كثير من الخلق ولا ريب أنَّ الله واسع الرحمة والمغفرة كتبها لمن آمن به، واتَّقاه وعمل بما أمر به واجتنب ما نهاه الله تعالى عنه قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

٢- القنوط من رحمة الله تعالى.

إنَّ القنوط من رحمة الله تعالى جرم كبير، وصارف قوي عن التوبة وهو من أعظم الشبه في طريق التائبين، وإن كان أهله أقل من أهل الإرجاء الذين تركوا العمل، واتَّكلوا على رحمة الله تعالى، لذا نجد القانطين أفرطوا في الخوف من الله حتى بلغ بهم إلى هذه الشبهة التي مفادها كيف يغفر الله لي، وقد أذنبت ذنباً عظيماً، هنا يناديهم الله بوصف العبودية له اضطراراً أو اختياراً ألا يدب اليأس إلى قلوبهم المنكسرة مبيناً لهم أنَّه قابل التوبة من الذنوب جميعاً، فكأنَّ فيه إجابة سائل وإنَّ كبر ذنبي؟ والجواب: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٥٣: الزمر] صغيرها وكبيرها قليلها وكثيرها من كل عبد تاب إلى الله قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٣٥: الزمر] وقد تألَّى رجل على الله أن لا يغفر لفلان فغفر له وأحبط عمل المتألِّي.

عن جندب أنَّ رسول الله ﷺ حدث: «أَنَّ رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان وإنَّ الله تعالى قال: من ذا الذي يتألَّى عليَّ أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عمله...» (١).

وهذا الرجل من بني إسرائيل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً فدلَّ على أهل أعلم الأرض راهب فقفطه من التوبة فقتله أتم به المائة ثم سأل

(١) صحيح مسلم (٢٠٢٣/٣) (٢٦٢١).

عن أعلم أهل الأرض فسأله فقال: نعم ومن يحول بينك وبين التوبة، وهذا الحديث بتمامه لأخذ العبرة والعظة منه.

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم، رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدلَّ على راهب فأتاه فقال: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ فَكَمَلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدَلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أَنَاً يَعْبُدُونَ اللَّهَ، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة، جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتَهُمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقبضته ملائكة الرحمة قال قتادة فقال الحسن: ذكر لنا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ»^(١).

والصواب أن لا يغلب جانب الرحمة على جانب الخوف ولا جانب الخوف على جانب الرحمة بل يصيران متساويين كجناح الطائر.

٣- الاغترار بكثرة النعم:

من الناس من أسبغ الله عليه النعم كجناح وهو مقيم على معاصية فظنَّ أَنَّ ذَلِكَ حَبًّا فِيهِ وَدَلِيلًا عَلَى حَسَنِ طَرِيقَتِهِ. وما علم أَنَّهُ مستدرج بالنعم وأنها زيادة في وباله كالذي يجمع الحطب ليحرق به المغترين إلا أن يشاء الله قال الله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(١٨٧) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ^(١٨٨) [الأعراف].

قال ابن القيم - رحمه الله -: وربما اتكل بعض المغترين على ما يرى من نعم الله عليه في الدنيا وأَنَّهُ لا يغير ما به، ويظنُّ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ لَهُ، وَأَنَّهُ يعطيه في الآخرة أفضل من ذلك وهذا من الغرور.

ثم قال: قال بعض السلف: إذا رأيت الله يتابع عليك نعمه وأنت مقيم على معاصيه فاحذره، فإنما هو استدراج منه يستدرجك به، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ ^(٢٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ^(٢٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ^(٢٥) [الزخرف، الآية:

(١) صحيح مسلم (٢١١٨/٣) (٢٧٦٦).

[٣٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤] وقد ردَّ سبحانه على من يظن هذا الظن بقوله: ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ [الفجر: ١٥-١٧] ثم قال: قال بعض أهلنا ﴿ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾ [الفجر: ١٧] ثم قال: قال بعض السلف: رُبَّ مستدرج بنعم الله عليه وهو لا يعلم، ورُبَّ مغرور بستر الله عليه وهو لا يعمل، ورُبَّ مفتون بثناء الناس عليه وهو لا يعلم^(١).

٤- استصغار الذنب:

إذا استهان العبد بالمعصية دلَّ ذلك على جهله وفجوره وعدم معرفته بالله والخوف منه فإنه ينبغي للعبد ألا ينظر إلى صغر معصية، ولكن ينظر إلى من عصاه فالمؤمن وجلَّ خائف من ذنبه والمنافق لا يحسب لذلك حساباً.

عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «إِنَّ المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإنَّ الفاجر ليرى ذنوبه كذباب مرٍّ على أنفه قال له: هكذَا»^(٢).

٥- طول الأمل والتسويق، وهؤلاء قوم إن حدثتهم أنفسهم أو غيرها بالتوبة أخروها رجاء طول العمر وعللوها بالتسويق مرّة بعد مرّة وهم على خطر عظيم إن وافتهم المنية وهم مقيمون على المعصية.

الوسائل المعينة على التوبة:

أولاً الدعاء:

وهو من أنفع الأسباب المعينة على التوبة، وينبغي للداعي أن يستجمع قلبه وأن يلح في دعائه وأن لا يستعجل بل يكرر ذلك ويداوم عليه، وهو دأب الأنبياء والصالحين، قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم وإسماعيل عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨] وقد كان يُعد للنبي ﷺ في المجلس الواحد مائة مرّة يدعو الله أن يتوب عليه.

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «إِنْ كُنَّا لِنَعْدُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ

(١) انظر: الجواب الكافي (٣٧، ٣٨)، بتصرف واختصار.

(٢) صحيح البخاري (٢٣٢٤/٥) (٥٩٤٩).

أنت التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(١). وهكذا النبي ﷺ يحث المؤمنين على الدعاء بالتوبة كما ورد عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ، فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ الثَّمَانِي، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»^(٢).

وإذا كان هذا حال الأنبياء وهم التائبون لله حقًا فَمَنْ دُونَهُمْ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي أُولَىٰ بِالْدُعَاءِ وَالْإِكْثَارِ مِنْهُ قَبْلَ التَّوْبَةِ وَبَعْدَهَا.

ثانيًا: ترك كل ما له صلة بالمعصية وهو أنواع:

- ١- أن يترك رفقة السوء الذين اعتاد مباشرة المعصية معهم.
 - ٢- أن يترك المكان الذي اعتاد فيه المعصية.
 - ٣- أن يصرف الخواطر النفسية التي تحدثه بالمعصية.
- وفي حديث الرجل من بني إسرائيل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا دليل النوعين السابقين.

وأما الثالث: فلا يحصل للعبد إلا بالاعتصام بالله تعالى من الشيطان ومن وساوسه.

ثالثًا: الإشتغال بالعلم ومدارسة العلماء والإكثار من مجالسة الصالحين، لأن كل من عصى الله فهو جاهل به، وشفاء الجهل السؤال، والمسئولون هم العلماء، والصالحون عون على استقامة القلب والجوارح. ألم تر أن القاتل في الحديث المشار إليه سابقًا أول ما استفاق سأل العلماء، فوجد عند الثاني الدواء وأنه هجر بلده التي بها قوم أشقياء، والخروج إلى قرية أهل الهدى.

رابعًا: مجاهدة النفس مرّة بعد مرّة، حتى تلين وتستكين لأمر الله، وتقوى على ترك المعاصي، وفعل الطاعات، وقد تقدم حديث العبد الذي كلّمَا أذنب سأل الله التوبة فيتوب عليه ثم يعود في الذنب فيسأل الله التوبة ثم يتوب عليه، وهكذا مرارًا.

وفيه دليل على المجاهدة.

خامسًا: النظر في الحدود والتعزيرات المترتبة على المعاصي في الدنيا، وكيف أن الله أمر بها، وألزم الحكّام بتطبيقها دونما هوادة أولين، هذا

(١) سنن أبي داود (١٧٨/٢) (١٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود

(٢٨٣/٢) (١٣٤٢).

(٢) سنن الترمذي (٧٧/١) (٥٥)، وصححه الشيخ أحمد شاكر (٧٩/١).

هذا والناس في المهلة فكيف بالعقاب على المعاصي والذنوب في دار الجزاء والحساب.

سادسًا: أن يتأمل الإنسان حسن عاقبة التوبة في الدنيا، وأنها سبب السلامة والسعادة في الدنيا والآخرة وأن فيها رضا الله عن التائب والفوز بالنعيم الدائم في الجنة.

مراتب التائبين:

للتائبين أربع مراتب وهي على النحو الآتي:

المرتبة الأولى: هم التائبون الذين استقاموا على التوبة إلى آخر حياتهم، ولم تحدثهم أنفسهم بالعودة إلى الذنب، أو مقارفة الإثم، وهؤلاء هم أصحاب النفوس المطمئنة الذين اتصفوا بأعلى رتب التوبة، لأنهم سلكوا الطريق المستقيم، فلزموا طاعة الله، والإتيان بما به أمر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وتخلوا عن كل معصية وخلق لا يرضى عنه رب العزة والجلال، وهذه أعلى رتب التائبين.

المرتبة الثانية: هم التائبون الذين سلكوا طريق الاستقامة ولازموا التوبة طيلة حياتهم، إلا أنهم لا ينفكون عن ذنوب تعترتهم، أو سيئات تزينها لهم أنفسهم، لا عن قصد وعمد، بل كلما أقدموا على الذنوب لاموا أنفسهم، وجددوا عزمهم وندموا على الشر، لم فعلوه! وندموا على الخير، لم تركوه أو لم يستكثروا منه! وهذه رتبة عالية، وإن كانت دون الأولى، وهي أغلب أحوال التائبين.

المرتبة الثالثة: وهم التائبون الذين يستمرون على التوبة مدة من الزمن ثم ينزعون إلى المعاصي وتغلبهم الشهوات، فيخلطون عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ومع ذلك تؤنبهم أنفسهم على ما فرطوا، ويندمون على ما فعلوا، ويجدّون في قهر أنفسهم، لكنهم يغريهم التسويف في التوبة وطول الأمل، وهؤلاء على جانب عظيم من الخطورة لاحتمال أن يوافيهم الأجل فيموتوا قبل أن يتوبوا فيندموا ساعة لا ينفع الندم.

المرتبة الرابعة: وهم التائبون الذين استقاموا على التوبة مدة ثم مالت أنفسهم الأمانة بالسوء إلى الطبيعة البدنية، وأغوتهم بالشهوات الحسية، فواقعوا الذنب دون أن يحدثوا أنفسهم بالتوبة، وهؤلاء يخشى عليهم سوء الخاتمة، إن هم تبعوا هوى أنفسهم وانقادوا لها غافلين عن المصير المحتوم^(١).

(١) انظر: التوبة إلى الله للدكتور صالح السدلان (٧٠، ٧١).

عناية القرآن الكريم بالتوبة وأمثلة على ذلك:

لقد أولى القرآن الكريم موضوع التوبة أهمية كبرى حيث ورد ذكرها في سبعة وأربعين موضعاً منه، وفي ذلك دلالة بينة على منزلة التوبة من الدين. ومن الأمثلة على ذلك:

١- أَنْ يَقْبَلَ التَّوْبَةَ مِنْ صِفَاتِ الرَّحْمَنِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

٢- التوبة من صفة الأنبياء وصالحى المؤمنين قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَنِي وَلَٰكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتِ لِيْلِكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُكْسِبُونَ الزَّكِيَّاتُ الْمُنِطُّونَ الْحَدِيدُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْخَافِضُونَ لِحُذُودِ اللَّهِ وَشَرُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [التوبة: ١١٦].

٣- التوبة من الكفر أو النفاق لا تكون إلا بالإيمان الصادق: قال تعالى:

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨].

٤- جزاء التوبة حب الله تعالى ومغفرته والفلاح وتبديل السيئات إلى حسنات والفوز بالجنات، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [٢٢٢] [البقرة: ٢٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [٧٠] [الفرقان: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: ٨].

٥- أَنَّ التَّوْبَةَ مِنْ مَظَاهِرِ رَحْمَتِهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَ كُلَّهَا وَيُنَظِّقَ لَكُمْ كَلِمَتَ التَّوْبَةِ وَأَنَّهُ يُغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦].

٦- دعوة الأنبياء السابقين عليهم السلام لقومه: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا

عناية السنة النبوية بالتوبة:

إِنَّ من أسماء الرسول ﷺ نبي التوبة، كما في حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يسمي نفسه أسماء فقال: «أنا محمد وأحمد، والمقفى، والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة»^(١). ومعنى ذلك أنه جاء بالتوبة. فلا عجب إذن إذا كان قد أولى النبي ﷺ موضوع التوبة اهتمامًا خاصًا ومن ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر:

١- حرص النبي ﷺ على توبة الناس:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قالت قريش للنبي ﷺ: «ادع ربك يصبح لنا الصفا ذهباً فإن أصبحت ذهباً اتبعناك، وعرفنا أن ما قلت كما قلت فسأل ربه عز وجل، فأتاه جبريل فقال: إن شئت أصبحت لهم الصفا ذهباً، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبتهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحننا لهم أبواب التوبة، قال: يا رب لا بل افتح لهم أبواب التوبة»^(٢).

٢- فرح الله تعالى بتوبة عبده:

عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، حتى اشتد عليه الحر والعطش، أو ما شاء الله، قال: أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ»^(٣).

٣- فضل التوبة:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء، ثم تبتم لتاب عليكم»^(٤).

(١) صحيح مسلم (١٨٢٨/٢) (٢٣٥٥).

(٢) مسند أحمد (٥٦٨/١) (٣٢١٣)، وصحح أحمد شاكر، إسناده (٧٨/٥) (٣٢٢٣)، والحاكم (٢٤٠/٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في المجمع (١٩٦/١٠) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٣) صحيح البخاري (٢٣٢٤/٥) (٥٩٤٩).

(٤) سنن ابن ماجه (١٤١٩/٢) (٤٢٤٨)، وقال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد حسن، وشيخ ابن ماجه مختلف فيه وباقي رجاله ثقات، وقال العراقي في تخريج الإحياء =

٤- خطر من مات على غير التوبة:

عن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - حدث أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»^(١).
٥- المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في التوبة.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»^(٢).
التوبة صفة المحسنين من الأنبياء والمرسلين وغيرهم:

ومن أولئك المحسنين الموصوفين بالتوبة نبي الله موسى - عليه السلام - قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [القصص، الآية: ١٦] وهذا نبينا محمد ﷺ يكثر التوبة وهو إمام المحسنين كما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»^(٣).

وقد أمر الله عباد المتقين بالاستغفار لتحقيق فيهم مرتبة الإحسان فقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنعام، الآية: ١٢٧] والذين يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران، الآية: ١٣٣، ١٣٤].

تحقيق مرتبة الإحسان في صفة التوبة:

كل من رجع إلى الله تعالى مقلعاً عن الذنوب صغيرها وكبيرها نادماً على ترك المأمور وارتكاب المحذور عازماً على عدم العود مرة ثانية ورد الحقوق إلى أهلها خوف العقاب، وطمعاً في الثواب، ومراعاة لأمر رب الأرباب حتى لم تعد تلك الذنوب تخطر على قلبه ولا ترد بباله أصلاً ثم استقبل عملاً صالحاً وكان حال توبته قولاً وعملاً وكأنه شاهد ربه والرب فرح بتوبة عبده والعبد مغمور بالحياء، يطلبه الغفران، والعفو والسداد فإنه المحسن في توبته إلى ربه.

= (١٣/٤) إسناده حسن وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٩٠/٤) وقال: رواه ابن ماجه بإسناد جيد.

(١) صحيح مسلم (٦٤٤١) (٩٣٤).

(٢) صحيح البخاري (٣٢٤/٥) (٥٩٤٨).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (١٠١/١١) (٦٣٠٧).

المبحث الثالث المنافسة، والمجاهدة، والصبر، والدعاء

وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: المنافسة
المطلب الثاني: المجاهدة
المطلب الثالث: الصبر
المطلب الرابع: الدعاء

المطلب الأول المنافسة

إنَّ للحق رجلاً أوفياءً أقوىاء بررة، جعلهم الله ذخراً للمسلمين، وعدة للدين استرخصوا كل غال ونفيس في الذب عنه، والذود عن حياضه، لأنَّهم عرفوا أنَّه غاية وجودهم، وسبب سعادتهم، فأخذوه جملة واحدة، لم تشغلهم طاعة عن طاعة ولا جهاد عن جهاد يراوون بين أقدامهم إلا أنَّ التَّاهين منهم أبصروا شرفات عالية، وقممًا سامقة، هي أعلى مراتب الدين، فاعتركوا من أجلها يتغالبون، وانفلتوا سراعًا يتسابقون، وهي تتلأل لهم كأحسن كوكب دري غابر في الأفق، وناداهم الشرع وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، إنَّها معركة الشرفاء، أهل الهمم العليَّة، والعزائم القويَّة، والنفوس الأبيَّة، إنَّهم الرجال الصُّبر، لله درهم كأنِّي بهم في المضمار يتسابقون، والعجيب أنَّهم إخوة متحابون، كلما حال بينهم حائل استبقوا السلام كأنهم الساعة يتقابلون، حتى إذا فاز السابقون طفقوا جميعاً له مهنتون. فما هي المنافسة وما مفرداتها؟

التعريف:

تعريف المنافسة لغة:

أصل التنافس التغالب في الشيء النفيس، وأصله من النفس لعزتها، قال الواحدي: نفست الشيء أنفسه نفاسة، والتنافس تفاعل منه كأنَّ كل واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به، وقال البغوي: أصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه، ويقال نفست عليه، بالشيء أنفس نفاسة إذا بخلت به عليه^(١).

وقال الجوهري: ونافستُ في الشيء مُنافسةً ونفاساً، إذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم وتنافسوا فيه، أي رغبوا^(٢).
وقال ابن فارس: التنافس أن يبرز كل واحد من المبارزين قوَّة نفسه^(٣).

قال الراغب: والمنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل والالحوق بهم من غير ادخال ضرر على غيره^(٤).

(١) روح المعاني، للألوسي (٧٦/٣٠).

(٢) الصحاح (٩٨٥/٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة (١٠٤١).

(٤) المفردات (٥٢٣).

وقال ابن منظور: «تنافسنا ذلك الأمر وتنافسنا فيه: تحاسدنا وتسبقنا... والمنافسة: الرغبة في الشيء والانفراد به»^(١).

اصطلاحاً:

إظهار قوة النفس، ومجاهدتها، ورغبتها في المشاركة في الفضائل أو المغالبة للاستئثار بها، من غير إدخال ضرر على الغير.

أقسام الفضائل:

الفضائل بالنسبة لعاملها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: موسع بحيث يسع أكثر من عامل في زمن واحد أو مكان واحد.

ومثاله: فضيلة الدعاء.

فهذه الفضيلة لو اجتمع لها مَنْ بأقطار الأرض جميعاً من الإنس والجن في زمن واحد، أو مكان واحد لو سعتهم.

دلَّ على ذلك حديث أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ فيمارون عن ربه تبارك وتعالى أنّه قال: «... يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، مانقص ذلك مما عندي إلّا كما ينقض المحيط»^(٢) إذا أدخل البحر...»^(٣).

والمنافسة في هذه الفضيلة تكون بإظهار قوة النفس ومجاهدتها، ورغبتها في المشاركة.

القسم الثاني: مضيق بحيث لا يتسع لأكثر من عامل في زمن واحد أو مكان واحد.

ومثاله: فضيلة الأذان، أو الصلاة في الصف الأول، فإنّ الأذان لا يمكن أن يؤديه أكثر من واحد لصلاة واحدة في مكان واحد، وكذا الصلاة في الصف الأول إذا لم يكن إلّا فرجة لا تتسع لأكثر من واحد.

دلَّ على ذلك حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: أنّ رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلّا أن يستهموا عليه لاستهموا»^(٤)، ولو يعلمون ما في التهجير لا سبقوا ولو يعلمون ما في العتمة»^(٥) والصبح، لأتوهما ولو حبوا»^(٦).

(١) اللسان (٢٣٨/٦).

(٢) المحيط، بالكسر الإبرة، النهاية (٩٢/٢).

(٣) صحيح مسلم (١٩٩٥/٣)، (٢٥٧٧).

(٤) الاستهمام: الاقتراع، انظر: النهاية (٤٢٩/٢).

(٥) العتمة: المراد بها هنا صلاة العشاء، انظر: النهاية (١٨٠/٣٦).

(٦) صحيح البخاري (٢٢/١) (٥٩٠).

ووجه المنافسة هنا: إظهار قوّة النفس، ومجاهدتها ورغبتها في المغالبة للاستئثار بهذه الفضيلة، من غير إدخال ضرر على الغير.

والمنافسة وإن كانت وسيلة لغايات حميدة إلا أنّها عمل يؤجر عليه الإنسان وإن لم تحصل له تلك الغايات أو بعضها لأنّها نوعاً من صدق النية.

الفرق بين المنافسة وبعض المصطلحات المشابهة لها:

١- المسارعة في الخيرات، وهي المبادرة إلى الطاعات والسبق إليها والاستعجال في أدائها وعدم الإبطاء فيها أو تأخيرها^(١).

والفرق بينهما، أنّ المنافسة فيها أكثر من طرف كأنّ كل واحد يريد أن يشارك في فضيلة أو يغلب عليها.

وأما المسارعة فليس فيها إلا طرف واحد يريد أن يبادر إلى الفضيلة ويستعجل في أدائها، إلا أنّ هناك وجه اتفاق وهو أنّ كلا من المصطلحين فيه السبق والمبادرة والاستعجال.

٢- المجاهدة:

محاربة النفس الأمّارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع^(٢).

والفرق بينهما: أنّ المنافسة مغالبة أهل الحق على المشاركة في الفضائل أو الاستئثار بها من غير إلحاق ضرر بالغير، أما المجاهدة فهي مغالبة أهل الباطل لدفع ضررهم عمّا هو مطلوب شرعاً، سواء كان أهل الباطل العدو الظاهر أم العدو الباطن وهو الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء، إلا أنّ هناك وجه اتفاق وهو أنّ كلا من المصطلحين فيه معنى المغالبة. ٣- الحسد: وهو قسمان.

أحدهما: الحسد المذموم، وهو تمنّي زوال نعمة من مستحق لها وربما كان مع ذلك سعيّ في إزالتها^(٣). وهذا الحسد صفة المنافق، وقد أمرنا أن نستعيذ بالله من شر الحاسد، قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥].

الثاني: حسد الغبطة: وهو تمنّي الإنسان أن يكون له مثل الذي لغيره من غير إرادة إذهاب ما لغيره، أما الحسد المذموم فهو إرادة زوال نعمة

(١) نضرة النعيم (٣٣٨٨/٧).

(٢) التعريفات للجرجاني (٢٠٤).

(٣) المفردات، للراغب (١١٦).

الغير^(١).

والفرق بين المنافسة والحسد: أنَّ المنافسة ليس فيها إلحاق ضرر بالغير، والحسد المذموم: مصروف إلى الضرر، لأنَّ غايته أن يعدم الأفاضل فضلهم، سواء عاد الفضل له أم لا، فالمنافسة إذا فضيلة لأنَّها داعية إلى اكتساب الفضائل والاقتداء بأخيار الأفاضل.

وأما حسد الغبطة، فإنَّه يتفق مع المنافسة في رغبة المشاركة في الفضائل، ويفترقان في الاستئثار بالفضيلة فمن خصائص المنافسة الشريفة ألا يلحق الغير ضرر فإن لحقه ضرر عاد إلى الحسد المذموم، وقد غلط أقوام من المسلمين فظنوا أنَّ المنافسة في الطاعات هي عين الحسد المذموم فتركوا مشاركة أهل الفضائل أو مسابقتهم إلى ما لا يسع إلاَّ واحدًا منهم^(٢).
مشروعية المنافسة:

المنافسة في الطاعات والقربات مشروعة بالكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿خَتَمْتُ مِسْكَ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].
قال البغوي: أي فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله عزَّ وجل. وقال مجاهد: فليعمل العاملون نظيره قوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصفات: ٦١] وقال مقاتل ابن سليمان: فليتنازع المتنازعون، وقال عطاء فليستبق المستبقون^(٣).

وأما من السنة:

فدليله حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - السابق في الاستسهام على النداء والصف الأول.

والثاني: حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلاَّ في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً، فسلَّطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها»^(٤).
والمقصود بالحسد هنا حسد الغبطة.

صفات المنافس:

للمنافس صفات عدة أهمها:

١- الإخلاص: وهو أن يقصد بعمله هذا وجه الله تعالى، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ

(١) انظر: الكليات للكفوي (٢٤٢).

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (٢٦١)، بتصرف شديد.

(٣) انظر: تفسير البغوي (٣٤٠/٤).

(٤) صحيح مسلم (٥٥٩/١) (٨١٦).

دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ [البينة: ٥] فمن لم يخلص فلا أجر له فلا يتعب.

٢- العلم بشرعية المتنافس فيه لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩] وبوب البخاري - رحمه الله - على هذه الآية فقال: باب: العلم قبل القول والعمل.

بقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فبدأ بالعلم^(١).

٣- رجاحة العقل.

لأنَّ خفيف العقل إن نafs طاشت نفسه، وأصابه الكبر والعجب برأيه وقدرته، ينظر لغيره بعين التحقير والازدراء فكان كمن توضأ ثم تلتطخ بالنجاسة.

٤- شرف النفس:

فإنَّ به يكون قبول المنافسة في الإحسان ، لأنَّ النفس ربما جمحت عن الأفضل وهي به عارفة، ونفرت عن التأديب وهي له مستحسنة، لأنَّها عليه غير مطبوعة، وله غير ملائمة، فتصير منه أنفر، ولضده الملائم آثر، وقد قيل: ما أكثر من يعرف الحق ولا يطيعه! وإذا شرفت النفس كانت للمحاسن طالبة، وفي الفضائل راغبة، فإذا مازجها صارت طبعًا ملائمًا^(٢).

٥- علو الهمة: وهو استصغار ما دون مرتبة الإحسان من معالي الأمور^(٣).

لأنَّه باعث التقدم وداع إلى المغالبة، أنفة من خمول الضعة، واستنكاراً لمهانة النقص^(٢).

فعن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، وَيُحِبُّ مُعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»^(٤).

والسَفْسَافُ: جمع سَفْسَافٍ، وهو الرديء من كل شيء، والأمر الحقير^(٥). قال بعض الحكماء: الهمة راية الجدِّ، وقال بعض البلغاء علو الهمم، ما بذر النعم^(٦).

(١) صحيح البخاري (٣٧/١).

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (٣٠٧).

(٣) انظر: وسائل الإصلاح للخضر حسين (٥٧).

(٤) مستدرک الحاكم (١/١١١) (١٥١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال المناوي في فيض القدير (٢/٢٥١)، قال الحافظ العراقي إسناده صحيح.

(٥) الصحاح للجوهري (٤/١٣٧٥).

(٦) أدب الدنيا والدين للماوردي (٣٠٧).

ومما جُبِلَ عليه الحُرُّ الكريم، أن لا يقنع من شرف الدنيا والآخرة بشيء مما انبسط له، أملاً فيما هو أسنى منه وأرفع منزلة، ولذلك قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - لذكين الراجز، إنَّ لي نفساً تواقّة، فإذا بلغك أني صرت إلى أشرف من منزلتي هذه، فبعين ما أريتك قال له ذلك وهو عامل المدينة لسليمان بن عبد الملك فلما صارت إليه الخلافة قدّم عليه ذكّين، فقال له: أنا كما أعلمتك أنَّ لي نفساً تواقّة، وأنَّ نفسي تاقّت إلى أشرف منازل الدنيا، فلما بلغتها وجدتها تتوق لأشرف منازل الآخرة^(١)

وقد لحظ المتنبي ذلك فقال:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مُرادها الأجسام^(٢)

ولله در القائل:

همتي كبرى ونفسي حرّة تتسامى فوق كل الهمم
يارعاني الله حقاً إنني لم أعش وغداً دسيس الأجم
فأما من مُني بعدم علو الهمة، وسُلب شرف النفس، فقد صار عرضة لأمر أعوزته آله، وأفسدته جهالته، فصار كأخرس يريد الخطبة، فلا يزيده الاجتهاد إلّا عجزاً، والطلب إلّا عوزاً، وصاحبها بمثابة الفارس الشجاع على الفرس السقيم، يريد التقدم ويأبى الفرس.

وأما شرف النفس إذا تجرّد عن علو الهمة، فإنَّ صاحبها يكون من الإحسان عارياً، وفي القدر ساقطاً، وهو كالقوّة في الجلد الكسل، والجبان الفشل، تضعيف قوّته بكسله، وجلده بفشله، أو كالفرس الكميت عند الفارس الجبان يريد الفرس التقدم ويأبى الفارس^(٣).

وكان النبي ﷺ يستعيز بالله من العجز والكسل.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كنتُ أخدم رسول الله ﷺ إذا نزل فكنْتُ أسمعُه كثيراً يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال»^(٤).

ولكنَّ شرف النفس مع صغر الهمة أولى، من علو الهمة مع دناءة النفس، لأنَّ من علت همته مع دناءة نفسه كان متعدياً إلى طلب ما لا يستحقه، ومتخطياً إلى التماس ما لا يستوجه، ومن شرف نفسه مع صغر همته، فهو تارك لما يستحق، ومقصر عما يجب له، وفضل ما بين الأمرين

(١) وسائل الإصلاح للخضر حسين (٨٥، ٩٥) باختصار.

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي (٣٠٧).

(٣) أدب الدنيا والدين (٣٠٧) بتصرف شديد.

(٤) صحيح البخاري (١٠٥٩/٣) (٢٧٣٦)، كتاب الجهاد، باب من غزا بصبي للخدمة.

ظاهر وإن كان لكل واحد منهما من الذم نصيب^(١).

٦- الصبر:

والمراد بها هنا تصبير النفس على ما تقتضيه المنافسة إذ أنَّ معالي الأمور وعرة المسالك، محفوفة بالمكاره، والإحسان أرفع مقام تطمح إليه الهمم، وأشرف غاية يتسابق إليها المشمرون، فلا يخلص إليه الطالب دون أن يقاسي الشدائد، ويتحمّل المتاعب^(٢)، من التكلف والمجاهدة حتى تنال معالي الأمور، لأنَّ من لم يتصبر انقطع في وسط الطريق وعاد خائبًا خاليًا من الفضائل قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] وسيأتي الحديث مفصلاً عن الصبر قريباً إن شاء الله.

صفة المنافس فيه:

وهي واحدة: أن يكون الأمر المتنافس عليه من معالي الأمور، فأما من بارى الناس في المكروه أو المحرم فإنَّ ذلك دليل على خسة نفسه وسقوط همته، وما مثل من بارى لبطنه وفرجه إلّا كمثّل الخنزير من الحيوانات يمر على الطيبات فلا يلوي عليها ثم يذهب إلى الجيف يتقممها.

وسائل المنافسة الموصلة لها:

١- القدوة الحسنة.

٢- النظر في عواقب المنافسة من نباهة الذكر والسؤدد، والكمال والتلذذ بالنعيم.

٣- قراءة التأريخ والنظر في سير أعظم الرجال من الأنبياء والصحابة ومشاهير التابعين ومن سار على سنتهم^(٣).

آداب المنافسة:

آداب المنافسة عديدة أهمها:

١- حسن المعاشرة.

٢- الحلم والعفو.

٣- التواضع ولين الجانب.

ثمرات المنافسة:

١- تحقيق الرجولة وكمال البطولة.

(١) انظر: نضرة النعيم (٧/ ٢٩٨٤)، بتصرف.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: نضرة النعيم (٧/ ٢٩٨٦)، بتصرف.

- ٢- الوصول إلى محبة الله ومحبة أهل الصلاح.
- ٣- الفوز بأعلى مراتب الدين.
- ٤- حماية جانب الدين.
- ٥- السعادة في الدنيا والآخرة^(١).

(١) انظر: المرجع السابق (٣٠٠٩/٧) بتصرف.

المطلب الثاني المجاهدة

إنَّ العاقل ليرى المحسنين وما هم فيه من رفعة الإحسان، وما حازوه، من قصب السبق، وشرف العبادة والقرب من الله تعالى، فيتألم لحاله أشد الألم، متمنياً أن يكون معهم مستوياً في الصف، القدم بالقدم، والمنكب بالمنكب، والساق بالساق، فلا يسعه السكون والراحة، وفيه عين تطرف، فيفتل يُضَمِّر خيله، ويُبْرِي نبله، ثم يلبس لأمته، ينادي نفسه المطمئنة يا خيل الله اركبي، هذا مكان المجاهدة، فيبلى بلاء من تيقن أنَّ الفلاح مع كوكبة الإحسان الطاهرة، إلاَّ أنَّ وعورة الطريق، وطول الزمن، وما يعرض له فيهما من الصور الخاطفة للبصر، وتخويف الشيطان له وما ناله من رماح النفس الأمّارة بالسوء، فتّ من عضده، وفلّ قوّته، وأخره عن الركب، فما يلبث أن يستجيب لداعي الراحة والسكون، ويولي الدبر، ويرضى من الغنيمة بالإياب، وهي الهلكة، فإن وفقه الله وفاء للمجاهدة مرّة ثانية وانحاز إلى فئة المؤمنين المجاهدين وعاود الكرّة مرّة بعد مرّة، فما هي إلاّ ساعة وإذ ببيارق النصر تلوح بالظفر، وسرعان ما تنهزم فلول نفسه الأمّارة بالسوء، والشيطان وتستقبله نفسه المطمئنة بالبشر والسرور، تضمد جراحه، وتريحه ساعة، ثم تأخذ بيده حتى يقف على سده الإحسان مع المحسنين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُم وَيُخْلِفْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

تعريف مجاهدة النفس:

أولاً: التعريف مفرداً:

المجاهدة لغة: مصدر جاهد يجاهد جهاداً ومجاهدةً، وهو مأخوذ من مادة (ج ه د) التي تدل على «المشقة»^(١).

قال ابن منظور: الجَهْدُ والجُهدُ: الطاقة والمشقة وبذل الوسع، مصدرٌ مِنْ جَهَدَ، والمُجاهدة مصدر جَاهَدَ^(٢).

المجاهدة اصطلاحاً: الجهاد يقصد به في الشريعة الإسلامية ثلاثة أمور:

الأول: جهاد النفس: قال علي - رضي الله عنه -: «أول ما تنكرون من

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/١٣٣، ١٣٥)، والصحاح للجوهري (٢/٤٦٠).

(٢) لسان العرب (١/٤٨٦).

جهادكم أنفسكم»^(١).

الثاني: جهاد الشيطان: قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

الثالث: جهاد الأعداء، قال تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ [التوبة: ٤١].

والأول والثاني: هو المقصود هنا، فالنفس بطبيعتها تميل إلى الدعة والراحة والسكون وحب الشهوات قال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣] والشيطان وقف للإنسان بكل مرصد اتخذ النفس الأمانة بالسوء مركبًا وسلاحًا يقاتل به، فيها يغلب وبفقدتها ينهزم فجهادها جهاد له، ولها، فكل باطل دخل على العبد فإنه من بابها وبأسبابها، وقبل التعريف بمجاهدة النفس تعريفًا مركبًا لا بد من تعريف النفس مفردة.

تعريف النفس لغة: تأتي النفس في اللغة على عدة معانٍ.

منها: الروح، والجسد والعين، وواحد الأنفاس، والسعة، والدم، والأخ، والغيث، والعظمة، والكبر، والعزة، والهمة، وعين الشيء وكنهه وجوهره، والأنفة، إلى غير ذلك^(٢).

النفس اصطلاحًا:

هي شيء لطيف حامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية^(٣). وأما حقيقة الروح، وكيفيتها فلا يعلمها إلا الله تعالى، كما قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

أنواع الأنفس:

١- النفس الأمانة: وهي التي تميل إلى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية، وتجذب القلب إلى الجهة السفلية، فهي مأوى الشر، ومنبع الأخلاق الذميمة وهي النفس التي يجب مجاهدتها، قال تعالى حكاية على لسان امرأة العزيز: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣].

٢- النفس اللوامة: وهي التي تنوّرت بنور القلب قدر ما تنبّهت به عن سنة الغفلة، وكلّما صدرت عنها سيئة بحكم جبلتها أخذت تلوم نفسها قال

(١) جامع العلوم والحكم (١٧١).

(٢) انظر: الصحاح (٩٨٤/٣)، ومقاييس اللغة (٤٦٠/٥)، ولسان العرب (٢٣٢/٦)، (٢٣٧).

(٣) التعريفات للجرجاني (٢٤٢) بتصرف.

تعالى: ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢].

٣- النفس المطمئنة: وهي التي تمّ تنويرها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالأخلاق الحميدة^(١) قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨].

ثانيًا: التعريف مركبًا «مجاهدة النفس».

هي محاربة النفس الأمانة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع^(٢).

قال المناوي - رحمه الله -: وقيل: «المجاهدة» هي حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى، وقيل: هي بذل المستطاع في أمر المطاع «أي المولى عز وجل»^(٣).

منزلة مجاهدة النفس

قال ابن بطال - رحمه الله -: جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

وعن فضالة بن عبيد - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المجاهد من جاهد نفسه»^(٤) ويخطيء كثير من الناس عندما يظن أنّ جهاد الأعداء أعظم منزلة من جهاد النفس، وسبب خطئه ما رتب على جهاد الأعداء من الأجر وما يلحق بعدمه، من الخراب في الديار والمال والأنفس وهذا صحيح. إلا أنّ هذه منزلة لا تقتضي الأفضلية إذ أنّ جهاد الأعداء مترتب على جهاد النفس فكيف يجاهد العدو الظاهر من لم يجاهد العدو الباطن.

قال إبراهيم بن علقمة: لقوم جاءوا من الغزو: قد جئتم من الجهاد الأصغر فما فعلتم في الجهاد الأكبر؟ قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد القلب^(٥).

قال عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - وقد سأله رجل عن الجهاد فقال له: «ابدأ نفسك فجاهدها، وابدأ بنفسك فاغزها»^(٦).

(١) التعريفات للجرجاني (٢٤٣)، بإجاز وتصرف يسير.

(٢) التعريفات للجرجاني (٢٠٤).

(٣) التوقيف (٢٩٧).

(٤) سنن الترمذي (١٦٥/٤) (١٦٢١)، وقال حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في

صحيح سنن الترمذي (١٣٢/٢) (١٣٢٢).

(٥) تهذيب الكمال للمزي (١٤٤/٢)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٢٥/٦).

(٦) المرجع السابق.

قال الشاعر:

يامن يجاهد غازيًا أعداء ديه - من الله يرجو أن يعان وينصرا
هلا غشيت النفس غزوا إنَّها أعدى عدوك كي تفوز وتظفر
مهما عنيت جهادها وعنادها فلقد تعاطيت الجهاد الأكبر^(١)
وهذا لا يعني ترك جهاد الأعداء أو الزهد فيه وإنما المقصود أنَّ جهاد
النفس سابق على جهاد الأعداء ومقدم عليه.
مواطن مجاهدة النفس:

تقع المجاهدة للنفس بمنعها عن المعاصي، والشبهات، وعدم الإكثار
من الشهوات لئلا تعتاد الإكثار فتألفه فيجرَّه إلى الشُّبهات فلا يأمن أن يقع في
الحرام، وبإلزامها بالطاعات فالمجاهدة تقع بحسب هذين النوعين، فإن
كانت مرتكبة للمحذورات تجاهد بتركها، وإن كانت تاركة للمأمورات تجاهد
بفعلها.

مراتب مجاهدة النفس:

قال ابن القيم - رحمه الله -: جهاد النفس على أربع مراتب:
الأولى: مجاهدتها على تعلم الهدى ودين الحق،
الثانية: مجاهدتها على العمل به بعد علمه.
الثالثة: مجاهدتها على الدعوة إلى الحق.
الرابعة: مجاهدتها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى
الخلق، ويتحمل ذلك كله الله.

فإذا استكمل «المسلم» هذه المراتب الأربع صار من الربانيين فإنَّ السلف
مجمعون على أنَّ العالم لا يستحق أن يسمى ربانيًا حتى يعرف الحق ويعمل
به، ويعلمه، فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيمًا في ملكوت
السموات^(٢).

أساليب الشيطان في إغواء الإنسان:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ
السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

عن سبرة بن أبي فاكه - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي ﷺ يقول:
إنَّ الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، قعد في طريق الإسلام فقال: تُسَلِّمُ وتذر
دينك ودين آبائك وآباء آبائك؟ فعصاه وأسلم، وقعد له بطريق الهجرة،
فقال: تُهاجر وتذر أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر كمثله الغرس في

(١) بصائر ذوي التمييز (٢/٤٠٢).

(٢) زاد المعاد (٣/١٠-١١) بتصرف.

الطَّوَلِ^(١) فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد؟ فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتُقتل، فتُنكح المرأة ويقسم المال؟ فعصاه فجاهد، قال رسول الله ﷺ: «فمن فعل ذلك كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة»^(٢).

أ- الأساليب الشيطانية الخاصة بإغواء العوام:

أولاً: إلقاء الشبه والشك الموصلة للكفر والشرك.

ثانياً: تحسين المحرمات وفتح باب الشهوات.

ثالثاً: يرتع به في المشتبهات في الحل والحرمة.

رابعاً: الإغراق في المباحات.

ومعنى هذا أنه قبحه الله، يبدأ الإنسان بالأولى، فإن أجاب دخلت غيرها تبعاً، فإن لم يستجب الإنسان واستعصم، حسن له المحرمات وفتح له باب الشهوات شيئاً فشيئاً، حتى يسهل عليه نقله إلى المرتبة الأولى، فإن أبى واستعصم رتبع به في المشتبهات في الحل والحرمة، فإن أجاب سهل عليه نقله إلى المرتبة الثانية، فإن استعصم أغرقه في بحر المباحات التي بدورها تأكل الوقت وتذهب بالجهد الذي كان الأولى استغلاله في فعل الطاعات فإن أجابه سهل عليه نقله للمرتبة الثالثة، وهكذا يتدرج به في غير يأس مثابراً ليلاً نهار حتى يظفر منه بمرتبة أعلى في الإغواء. فإن لم ينجح ورأى أنَّ الإنسان مستعصم بدينه خرج بأساليب آخر أكثر مكرًا ودهاءً.

ب الأساليب الشيطانية الخاصة بإغواء العباد:

١- إن كان العبد نشطاً في الطاعة كسله إن استطاع كسله.

٢- فإن لم يستطع أدخل عليه العجب ورؤية العمل.

٣- فإن لم يستطع فتح عليه باب التشدد والتقطع والغلو في الدين.

فإن لم يستطع أيقن أنَّ هذا العبد من المخلصين لرب العالمين، مع عدم اليأس من المحاولة مرّة ثانية.

أساليب النفس البشرية في الإغواء:

١- محاولة التمرد من النجاح وعلى الأمور بتركها.

٢- محاولة التمرد على المنهيات بفعلها.

٣- محاولة الإكثار من الشهوات.

(١) الطَّوَل: الحبل، النهاية (٣/١٤٥).

(٢) سنن النسائي (٦/٢١، ٢٢) (٣١٣٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٣٣٩) (١٦٥٢).

٤- محاولة الانهماك في المباحات .

والفرق بين أساليب الشيطان وأساليب النفس الأمارة بالسوء في الإغواء:

أولاً: موطن الاتفاق:

١- أنَّ النفس لها ميل إلى الشهوات والإكثار من المباحات، والشيطان معين لها على ذلك.

٢- أنَّ النفس تغفل عن ما يراد بها والشيطان يصرفها عن اليقظة والانتباه ويسكرها بالشهوات.

ثانياً: موطن الاختلاف:

١- أنَّ الشيطان يستقل بالشبهات ويجتهد في إلقائها.

٢- أنَّ النفس ليست هي الباعث للشبهات وإنما مستجيبة لها في حال جهلها. كيفية مجاهدة النفس:

قال عمر بن بجيد - رحمه الله - من كرم عليه دينه هانت عليه نفسه^(١)
قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠]
ولا شك أنَّ كلاً من النفس المطمئنة واللوامة، لا يصدر عنهما إلا الأخلاق الحميدة.

فعن النفس الأولى يكون اليقين والطمأنينة والخشوع والإخبات ونحو ذلك من الصفات الحميدة، وأما النفس اللوامة فإنَّها مبعث التوبة والاستغفار والإنابة ونحوها، ولا يبقى سوى النفس الأمارة بالسوء، وهي منبع الشرور وأساس الأخلاق الذميمة، من الحسد، والكبر، والغضب، والعدوان، ونحو ذلك.

وهذه النفس قوية جداً متى لم يقهرها الإنسان ويؤدبها ملكته واستولت عليه وانقاد لها فكان بالبهايم أشبه منه بالإنسان ومتى كان كذلك اتَّصف بالفجور وغلب عليه اللُّهو واللعب وارتكب الفواحش^(٢) أو اتَّصف بصفات السباع من الغضب والطيش والحقد والانتقام والبطش، وغيرها أو انقاد لها واتَّصف بصفات الشيطان مثل الحسد والحيلة والخبث والمكر، ونحو ذلك. أو انقاد لها حتى أصبح ينازع الله تعالى في صفاته مثل: الكبر، والعظمة وغيرهما.

وتمام المجاهدة أن يكون متيقظاً لنفسه في جميع أحواله، فإنَّه متى

(١) انظر: فتح الباري (١١/٣٣٨).

(٢) انظر تهذيب الأخلاق للجاحظ (١٥ - ٢٠) بتصرف واختصار.

غفل عن ذلك استهواه شيطانه ونفسه إلى الوقوع في المنهيات^(١).

قال الغزالي - رحمه الله - قد اتفق العلماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخر إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات، فالإيمان بهذا واجب، وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فلا يدرك إلا بطريق الشرع، وطريق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله، والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحة من أسباب الدنيا، فالذي يفرح بالمال، أو الجاه، أو بالقبول في الوعظ، أو بالعز في القضاء والولاية، أو بكثرة الاتباع في التدريس والإفادة، فينبغي أن يترك أولاً ما به فرحه، فإنه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له: ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع، ففكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها، وذلك مهلك في حقه، ثم إذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس، ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه، حتى لا يشتغل إلا بذكر الله تعالى والفكر فيه، وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس، حتى يقمع مادته مهما ظهر، فإن لكل وسوسة سبباً، ولا تزول إلا بقطع ذلك السبب، والعلاقة، وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهد آخر إلا بالموت^(٢).

هنا ينبغي أن يعلم المجاهد لنفسه أنه متى أخذ بأسباب المجاهدة وشرع في فعلها وباشر أوائل الطاعات وبادر يترك أوائل المنكرات، أخذ الله بيده وأعانه ونصره إلا أنه يجب عليه أن يتفطن لأمر مهم جداً وهو مسايسة النفس شيئاً فشيئاً، إذا لم يستطع فطامها بالكلية عما هي متعلقة به، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] وقال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ تَقَوُّهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

ويمكن أن نلخص طرق المجاهدة على النحو الآتي:

أولاً: يجب عليه الاعتزال عن المنكر وأهله ومكانه والتفكير فيه، قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

ثانياً: الإقبال على فعل الطاعات مع ملازمة الذكر بتدبر قال الله تعالى في الحديث القدسي: كما روى أنس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ يرويه عن ربه قال: «إذا تقرب العبد إلي شبراً، تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني مشياً أتيت به هرولة»^(٣).

(١) فتح الباري (١١/٣٣٨).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٦٥، ٦٦).

(٣) صحيح البخاري (٦/٢٧٤١) (٧٠٩٨).

ثالثاً: تصبر النفس على جلوسها مع الصالحين، قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ [الكهف: ٢٨] قال أبو بكر الصديق: - رضي الله عنه - في وصية لعمر حين استخلفه: «إِنَّ أَوَّلَ مَا أَحْذَرُكَ: نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ»^(١)

وقال يحيى بن معاذ الرازي: أعداء الإنسان ثلاثة: دنياه، وشيطانه، ونفسه، فاحترس من الدنيا بالزهد فيها، ومن الشيطان بمخالفته، ومن النفس بترك الشهوات^(٢).

وقال أيضاً: جاهد نفسك بأسيايف الرياضة، والرياضة على أربعة أوجه:

القوت من الطعام، والغمض في المنام، والحاجة من الكلام، وحمل الأذى من جميع الأنام، فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات، ومن قلة المنام صفو الإرادات، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات، ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات، وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفاء، والصبر على الأذى، وإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام، وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جرّدت سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام، وضربتها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام، فتأمن من بوائقها من بين سائر الأنام، وتصفيها من ظلمة شهواتها فتتنجو من غوائل آفاتهما، فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الخيرات، وتسير في مسالك الطاعات كالفرس في الميدان وكالملك المتنزه في البستان^(٣).

ثمرات مجاهدة النفس:

قال الراغب - رحمه الله -: طهارة النفس تتحقق بإصلاح الفكر بالتعلم حتى يميز بين الحق والباطل، في الاعتقاد، وبين الصدق والكذب في المقال، وبين الجميل والقبيح في الفعال، وإصلاح الشهوة بالعفة حتى تسلس بالجود، والمواساة المحمودة بقدر الطاقة، وإصلاح الحمية: بإسلاسيها حتى يحصل التحكم، وهو كف النفس عن قضاء وطر الخوف وعن الحرص المذمومين، وبإصلاح هذه القوى الثلاث، يحصل للنفس

(١) جامع العلوم والحكم (١٧٢).

(٢) إحياء علوم الدين (٧١/٣).

(٣) إحياء علوم الدين (٦٦/٣).

العدل والإحسان^(١).

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

صور من المجاهدة للنفس:

عن الرسول ﷺ عن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَكْلَفُ هَذَا؟ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدِمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ، فَقَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(٢).

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - وَخَرَجْتُ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ حَائِطًا فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ: وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ جِدَارٌ وَهُوَ فِي جَوْفِ الْحَائِطِ: «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَخٍ بَخٍ، وَاللَّهُ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ لَتَتَّقِينَ اللَّهَ، أَوْ لِيُعَذِّبَنَّكَ»^(٣).

وفي السنن لسعيد بن منصور بسنده إلى سعيد ابن أبي هلال: أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ ابْنَ رَوَاحَةَ تَذَكَّرَ شَعْرًا لَهُ قَالَ: فَلَمَّا اتَّقَوْا أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ ابْنِ حَارِثَةَ. فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ فَحَادَ حَيْدَةً فَقَالَ:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ كَارِهَةً أَوْ لَتَطَاوَعَنَّهُ
مَالِي أَرَاكَ تَكْرِهِينَ الْجَنَّةَ ثُمَّ نَزَلَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ^(٤)
وَقَالَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ: - رَحِمَهُ اللَّهُ - «مَا عَالَجْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ
نَفْسِي، مَرَّةً لِي وَمَرَّةً عَلَيَّ»^(٥) وَلَكِنْ يَا تَرَى هَلْ يَحْصِلُ الظَّفَرُ دُونَ الصَّبْرِ.
الْحَقُّ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ.

قال ابن المبارك - رحمه الله - فَقَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ». يشمل النصر في الجهادين جهاد العدو الظاهر، وجهاد العدو الباطن، فمن صبر فيهما نصر وظفر بعدوه، ومن لم يصبر فيهما وجزع قُهر وصار أسيرًا لعدو وقتيلًا له^(٦)، إذن غذاء المجاهد وشرابه، ونفسه الذي يعيش به هو الصبر.

(١) الذريعة (٣٨، ٤٨).

(٢) صحيح مسلم (٣/٢١٧١) (٢٨١٩).

(٣) الموطأ (٢/٩٩٢)، وإسناده صحيح.

(٤) فتح الباري (٧/٥٨٤).

(٥) إحياء علوم الدين (٣/٧١).

(٦) جامع العلوم والحكم (١٧٢).

المطلب الثالث الصبر

إنَّ للصبر مرارةً كالصَّبر عند تناوله، سواء بسواء، لا يطيقها إلاَّ الصابرون، لكنه محمود العاقبة، حليف العافية، يطرد الشبهات والشهوات عن القلب، كما يطرد الصَّبر السُّمومَ عن الجسم، فهو مفتاح الفرج، وعنوان النصر، ومن صبر ساعة، استراح إلى قيام الساعة، ومن يتصبر يصبره الله، أما من استجمع معه المصابرة والمرابطة، فقد أوتي قوَّة تفل الحديد، يستقيم معها القلب، وتنقاد له الجوارح، فإن صبر على كل طاعة وإن شقت، وعن كل معصية وإن دقت وعلى أقدار الله المؤلمة وإن جلَّت، صَبَرَ مَنْ كَأَنَّهُ واقف بين يدي الله تعالى ينظر إليه، فقد أحسن الصبر، وتأهَّل لمرتبة الإحسان.

تعريف الصبر:

الصبر لغة: مصدر صَبَرَ يَصْبِرُ وهو مأخوذ من مادة (ص ب ر) التي تدل بحسب وضع اللغة على معان ثلاثة:

الأول: الحبس، والثاني: أعالي الشيء، والثالث: جنس من الحجارة.

وقد اشتق الصبر المراد هنا من المعنى الأول، وهو الحبس، يقال صبرت نفسي على ذلك الأمر أي حبستها.

وقيل أصل الكلمة من الشدَّة والقوَّة، ومنه الصَّبر للدواء المعروف بشدَّة مرارته وكراهيته^(١).

وقيل: مأخوذ من الجمع والضم، فالصابر يجمع نفسه ويضمها عن الهلع.

والتَّصَبُّرُ: تكلف الصَّبر^(٢).

الصبر اصطلاحاً:

قال الراغب: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه^(٣).

وقيل: هو خُلُق فاضل من أخلاق النفس، يمتنع به من فعل ما لا

(١) لسان العرب (٤/٤٣٨).

(٢) الصحاح للجوهري (٢/٧٠٦، ٧٠٧)، ولسان العرب (٤/٤٣٨)، والمقاييس (٥٨٤)، «صبر».

(٣) المفردات (٢٨١).

يحسن ولا يَجْمَل، وهو قوَّة من قوَى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها.

وقيل: هو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجواح عن التشويش^(١).
حقيقة الصبر:

تسخير قوَّة الإقدام والإحجام وتوجيهها إلى النافع.
قال ابن القيم - رحمه الله -: والنفس فيها قوتان قوَّة الإقدام وقوَّة الإحجام، فحقيقة الصبر أن يجعل قوَّة الإقدام مصروفة إلى ما ينفعه، وقوَّة الإحجام إمساكًا عما يضره، ومن الناس من تكون قوَّة صبره على فعل ما ينتفع به وثباته عليه أقوى من صبره عما يضره فيصبر على مشقة الطاعة، ولا صبر له عن داعي هواه إلى ارتكاب ما نهى الله عنه، ومنهم من تكون قوَّة صبره عن المخالفات أقوى من صبره على مشقة الطاعات، ومنهم من لا صبر له على هذا ولا على ذاك، وأفضل الناس أصبرهم على النوعين فكثير من الناس من يصبر على مكابدة قيام الليل في الحر والبرد وعلى مشقة الصيام ولا يصبر عن نظرة محرمة، وكثير من الناس يصبر عن النظر وعن الالتفات إلى الصور ولا صبر له على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين، بل هو أضعف شيء عن هذا وأعجزه، وأكثرهم لا صبر له على واحد من الأمرين، وأقلهم أصبرهم في الموضعين^(٢).
من معاني الصبر:

قال الفيروز أبادي: وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سُمي صبرًا، وإن كان في محاربة سُمي شجاعة، وإن كان في إمساك الكلام سُمي كتمانًا، وإن كان عن شهوة الفرج سُمي عفة، وإن كان عن شهوة الطعام سُمي شرف نفس، وإن كان عن إجابة داعي الغضب سُمي حلمًا^(٣).

قال ابن القيم - رحمه الله - والاسم الجامع لذلك كله «الصَّبْرُ» وهذا يدل على ارتباط مقامات الدين كلها بالصبر^(٤).

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (٢١٢)، ومدارج السالكين (١٦٢/١، ١٦٣)، وعدة الصابرين (٩).

(٢) عدة الصابرين (١٠).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٣٨٣/٣)، والمفردات للراغب (٢٨١) وعدة الصابرين (١١) والتعريفات للجرجاني (١٣١).

(٤) مدارج السالكين (١٦٥/٣)، وعدة الصابرين (١١).

مراتب الصبر:

قال الفيروز أبادي: مراتب الصبر خمسة: صابر، ومُصْطَبِرٌ، ومُتَصَبِّرٌ، وَصَبُورٌ، وَصَبَّارٌ، فَالصَّابِرُ أَعْمُهَا، وَالْمُصْطَبِرُ: الْمُكْتَسِبُ لِلصَّبْرِ، الْمُبْتَلَى بِهِ.

وَالْمُتَصَبِّرُ: مُتَكَلِّفُ الصَّبْرِ حَامِلُ نَفْسِهِ عَلَيْهِ، وَالصَّبُور: الْعَظِيمُ الصَّبْرِ الَّذِي صَبْرُهُ أَشَدُّ مِنْ صَبْرِ غَيْرِهِ، وَالصَّبَّارُ، الشَّدِيدُ الصَّبْرِ فَهَذَا فِي الْقَدْرِ وَالْكَمِّ، وَالَّذِي قَبْلَهُ فِي الْوَصْفِ وَالْكِيفِ^(١).
وجعله ابن القيم ثلاث مراتب:

الأولى: صبر بالله، وهو الاستعانة به، ورؤيته أَنَّهُ هُوَ الْمُصَبِّرُ، وَأَنَّ صَبْرَ الْعَبْدِ بَرَبِهِ لَا بِنَفْسِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧].

الثانية: الصبر لله: وهو أَنْ يَكُونَ الْبَاعْثُ لَهُ عَلَى الصَّبْرِ مَحَبَّةُ اللَّهِ، وَإِرَادَةُ وَجْهِهِ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ لَا لِإِظْهَارِ قُوَّةِ النَّفْسِ، وَالِاسْتِحْمَادِ إِلَى الْخَلْقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْرَاضِ.

الثالثة: الصبر مع الله: وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية.

صابراً نفسه معها، سائراً بسيرها، مقيماً بإقامتها يتوجه أين توجهت ركائبها، وينزل معها أين استقلت مضاربها.

فهذا معنى كونه صابراً مع الله، أي قد جعل نفسه واقفاً على أوامره ومحابه، وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها، وهو صبر الصديقين^(٢).

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «وجدنا خير عيشنا الصبر»^(٣).

أقسام الصبر

الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام:

- ١- صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها.
- ٢- وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها.
- ٣- وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يسخطها.

أحكام الصبر

- ١- الصبر الواجب ثلاثة أنواع:

(١) بصائر ذوي التمييز (٣/٣٧٨)، وانظر: عدة الصابرين لابن القيم (٨، ١٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/١٦٤).

(٣) الدرر المنثور (١/١٦٣).

أحدها: الصبر عن المحرّمات.
والثاني: الصبر على أداء الواجبات.
والثالث: الصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها كالأمراض والفقر وغيرها.

٢- الصبر المندوب:

وهو الصبر عن المكروهات، والصبر على المستحبات والصبر على مقابلة الجاني بمثل فعله.

٣- الصبر المحظور: وهو أنواع:

الأول: الصبر عن الطعام والشراب حتى يموت.
الثاني: الصبر على [أكل] الميتة والدم ولحم الخنزير عند المخصصة حرام إذا خاف بتركه الموت.

قال طاووس وبعده الإمام أحمد: «من اضطر إلى أكل الميتة والدم فلم يأكل فمات دخل النار»

الثالث: صبر الإنسان على ما يقصد هلاكه من سبع، أو حيّات أو حريق، أو ماء، أو كافر يريد قتله.

الرابع: الصبر على من قصده أو حرمه بالفاحشة.

٤- الصبر المكروه: وله أمثلة منها:

الأول: أن يصبر عن الطعام والشراب واللبس وجماع أهله حتى يتضرر بذلك بدنه.

الثاني: صبره عن جماع زوجته، إذا احتاجت إلى ذلك ولم يتضرر به.

الثالث: صبره على المكروه.

الرابع: صبره عن فعل المستحب.

٥- الصبر المباح:

وهو الصبر على فعل مستوي الطرفين فيما خُير بين فعله وتركه والصبر عليه.

وبالجملة: فالصبر على الواجب واجب، وعن الواجب حرام، والصبر عن الحرام واجب وعليه حرام، والصبر على المستحب مستحب وعنه مكروه، والصبر عن المكروه مستحب وعليه مكروه، والصبر عن المباح مباح^(١).

تفاوت درجات الصبر:

الصبر نوعان اختياري واضطراري.

والاختياري أكمل من الاضطراري، فإنّ الاضطراري يشترك فيه الناس

(١) انظر عدة الصابرين (١٤-١٥).

ويتأتى ممن لا يتأتى منه الصبر الاختياري، فإن قيل أي أنواع الصبر الثلاثة أكمل: الصبر على المأمور، أم الصبر على المحذور، أم الصبر على المقدور؟

قيل: الصبر المتعلق بالتكليف وهو الأمر والنهي، أفضل من الصبر على مجرد المقدور، فإنَّ هذا الصبر يأتي به البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فلا بد لكل واحد من الصبر على القدر اختياراً أو اضطراراً وأما الصبر على الأوامر والنواهي فصبر أتباع الرسل، وأعظمهم اتباعاً أصبرهم في ذلك، وكل صبر في محله وموضعه، أفضل، وعلى الطاعة في محلها أفضل^(١).

وعموم الصبر على المأمورات أفضل من عموم الصبر عن المحذورات.

الفرق بين الصبر، والمصابرة والمرابطة:

قد عرفت معنى الصبر: أما المصابرة فهي مفاعلة من الصبر، ويكثر استعمال هذه الصيغة، كما قال الصرفيون في أحد أمرين، المشاركة في الأمر كما في نحو: قاتل فلان فلاناً، أي أنَّهما اشتركا معاً في القتال، الآخر: الموالاة والمتابعة في الأمر كما في قول الله تعالى: ﴿وَقَاسَمُهُمَا إِنْى لَكُمَْا لَمِنَ النَّصِيحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] أي والى في القسم وعلى ذلك فإنَّ المصابرة قد تعني:

١- المشاركة في الصبر، كأن يصبر الإنسان عن المعاصي، ويصبر الشيطان على الإغواء، وحينئذ تكون الغلبة لأكثرهما صبراً.

٢- موالاة الصبر ومتابعته، سواء كان صبراً عن المعاصي أو صبراً على الطاعات، وكما أمرنا المولى عز وجل بالصبر فقد أمرنا أيضاً بالمصابرة في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢) [آل عمران: ٢٠٠].

قال ابن القيم - رحمه الله - في معنى المصابرة: إنَّه انتقال من الأدنى إلى الأعلى، و«الصبر» دون المصابرة و«المصابرة» دون «المرابطة» و«المرابطة» مفاعلة من الربط والشد، وسمى الم رابطاً، لأنَّ الم رابطين يربطون خيولهم ينتظرون الفزع، ثم قيل لكل منتظر ربط نفسه لطاعة ينتظرها رابط...

فالصبر مع نفسك، والمصابرة بينك وبين عدوك و«المرابطة» الثبات وإعداد العدة، وكما أنَّ الرباط لزوم الشغل لئلا يهجم منه العدو، فكذلك

(١) انظر: عدة الصابرين (١٥-١٦).

(٢) نضرة النعيم (٦/٢٤٤٣، ٢٤٤٤).

الرباط أيضاً لزوم ثغر القلب، لئلا يهجم عليه الشيطان، فيملكه أو يخذله أو يشعته^(١)

وقال في موضع آخر: أمرهم بالصبر، وهو حال الصابر في نفسه، والمصابرة مقاومة الخصم في ميدان الصبر، فإنها مفاعلة تستدعي وقوعها بين اثنين كالمشاتمة والمضاربة، وهي إذن حال المؤمن في الصبر مع خصمه، أما المراقبة فهي الثبات واللزوم والإقامة على الصبر والمصابرة، فقد يصبر العبد ولا يصابر، وقد يصابر ولا يربط، وقد يصبر ويصابر ويرابط من غير تعبد بالتقوى، فأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله: التقوى، وأنّ الفلاح موقوف عليها فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩]^(٢).

ومن الصبر: الصبر على الأقدار المؤلمة أو «الابتلاء»
الأسباب التي تعين على الصبر:

لما كان الصبر مأموراً به جعل الله سبحانه له أسباباً، تعين عليه وتوصل إليه، وكذلك ما أمر الله سبحانه بالأمر إلاّ أعان عليه ونصب له أسباباً تمده وتعين عليه، كما أنّه ما قدر داء إلاّ وقدر له دواء وضمن الشفاء باستعماله، فالصبر وإن كان شاقاً كريهاً على النفوس فتحصيله ممكن، وله صورتان:

الأولى: صورة نظرية وتتركب من مفردين جزء علمي وجزء عملي، ومنهما تتركب جميع الأدوية للقلب والبدن.

الجزء العلمي: هو إدراك ما في المأمور من الخير والنفع واللذة والكمال، وإدراك ما في المحذور من الشر والضر والنقص.

الجزء العملي: العزيمة الصادقة والهمة العالية، والنخوة والمروءة، فإذا ضما إلى بعض حصل بمجموعها الصبر، وهانت عليه مشاقه وحلت له مرارته وانقلب ألمه لذة.

الثانية: الصورة التطبيقية: وتتمثل في تقوية باعث الدين وإضعاف باعث الهوى والنفس.

أولاً: تقوية باعث الدين:

ويكون بأمور منها:

١- إجلال الله تبارك وتعالى: أن يعصي وهو يسمع ويرى.

٢- استشعار محبة الله تعالى، فيترك معصيته محبة له.

(١) مدارج السالكين (١٦٦/٢).

(٢) التفسير القيم (٢١٧، ٢١٨).

٣- استشعار النعمة والإحسان منه سبحانه وتعالى، فإنَّ الكريم لا يقابل الإحسان بالإساءة.

٤- استشعار غضب الله وانتقامه.

٥- تذكر ما يفوته بسبب المعصية من خير الدنيا والآخرة.

٦- استشعار حلاوة النصر والظفر على الشهوة والشيطان.

٧- أن يتذكر ما أعدّه الله للعبد عوضاً عن المحارم.

٨- استشعار معية الله للصابرين قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:

١٥٣]

٩- أن يخاف معاجلة الأجل.

١٠- أن يخاف عاقبة الذنوب، وأعظمها الغفلة عنه.

١١- أن يُعوّدَ باعث الدين ودواعيه، مصارعة داعي الهوى والشيطان، ومقاومته على التدرج قليلاً قليلاً.

١٢- رفع الخواطر وحديث النفس الباطلة، حتى لا تتمكن من القوة، فتصير أمني، ثم تقوى فتصير همومًا، ثم تقوى فتصير إردات، ثم تقوى فتصير عزماً.

١٣- قطع العلائق التي تدعوّه إلى موافقة الهوى، وصرفها إلى ما ينفع.

١٤- إشغال الفكر بعجائب مخلوقات الله التي ندب عباده إلى التفكير فيها، وهي آياته المتلوة وآياته المجلوة.

١٥- التفكير في سرعة زوال الدنيا، فيؤثر العزيز الباقي على الخسيس الفاني.

١٦- تعرضه لأوقات الإجابة، ويجتهد بالدعاء فيها على الدوام.

١٧- أن يعلم العبد أنَّ له جاذبين علوى وسفلي فالنفوس العلوية تنجذب بذاتها وهمها وأعمالها إلى أعلى، والنفوس السفلية إلى أسفل.

١٨- أن يفرغ القلب من إرادة السوء وخواطره، ويودع فيها بذور الذكر والفكر والمحبة والإخلاص، ويتعرض لرحمة الله ومعونته.

١٩- أن يعلم العبد أنَّ الله سبحانه خلقه لبقاء لا فناء له، ولعز لاذل معه وأمن لا خوف فيه، وامتحنه بالدنيا دار الفناء والذل والخوف.

٢٠- أن يضيف العبد إلى ما سبق بذل الجهد، واستفراغ الوسع والطاقة في الخروج عن العوائد، بالهرب عن مظان الفتنة والبعد عنها ما أمكنه، وألا يغتر بما يظهر الشيطان في مظان الشر من بعض الخير، فإنَّه إنما يصطاده به إذا قرب منه ألقاه في الشبكة.

ثانيًا: إضعاف باعث الهوى والنفس: فإن كل متصارعين أراد أحدهما أن يغلب الآخر طريقه تقوية نفسه وإضعاف خصمه.

وذلك بأمور منها:

١- حسم مادة تقوية الشهوة بتقليلها وهي: الأعذية إما بنوعها أو بكمها وكثرتها، فإن لم تنحسم، فليبادر إلى الصوم المعتدل، فإنه يضعف مجارى الشهوة ويكسر حدتها.

٢- أن يجتنب محرك الطلب سواء أكان النظر أم السمع أم غير ذلك.

٣- تسلية النفس بالمباح المعوض عن الحرام، وهذا هو الدواء النافع في حق أكثر الناس.

٤- التفكير في المفاسد الدنيوية المتوقعة من قضاء هذا الوطر.

٥- الفكرة في مقابح صورة الذنب الذي يشاركه فيه أراذل الناس، فيعز على نفسه أن يشرب من حوض ترده الكلاب والذئاب^(١).

إمكانية الصبر:

إنَّ الصبر خلق إنساني كغيره من الأخلاق، مثل الحلم والصدق وهكذا، ومنه ما هو جبلي فطر الإنسان عليه، ومنه ما هو مكتسب يأتي بالممارسة والرياضة النفسية لكل أحد، وهذه الحقيقة مقررة في السنة النبوية كما يروى ذلك أبوسعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «من يتصبر يصبره الله»^(٢) والمقصود أنَّ من جاهد نفسه لاكتساب هذا الخلق الحميد وأخلص قصده لله، فإنَّ الله تعالى يصبره أي يمنحه الصبر، ومثله الحلم فإنه يأتي بالممارسة والرياضة النفسية كما روى عن النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: «الحلم بالتحلم»^(٣)، ومثل الصدق كما في حديث ابن مسعود في قوله ﷺ: «وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً»^(٤). وفي قوله «يتحرى» دلالة على المجاهدة والممارسة الجادة في اكتسابه، فإذا تقرر هذا علِم أنَّ الله لم يأمر عباده إلا بما هو ممكن لهم وأنَّ حجة من قال إنَّ الصبر فطري وليس مكتسباً داحضة من وجوه:

الأول: مصادمة الأدلة الشرعية كما سبق.

الثاني: أنَّ معنى هذا أنَّ الله يأمر عباده بما لا يقدرُونَ عليه، وهذا باطل لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وغيرها من

(١) انظر: عدة الصابرين، لابن القيم (٣٩، ٤٥) بتصرف.

(٢) صحيح البخاري (٥٣٤/٢) (١٤٠٠).

(٣) الحلية (١٧٤/٥)، وذكره الألباني في الصحيحة (٦٧٠/١)، (٣٤٢).

(٤) صحيح البخاري (الفتح) (٥٠٧/١٠) (٦٠٩٤).

الأدلة.

الثالث: أنَّ الحس يشهد على إمكانية الصبر، فمن كان بالأمس جزوعاً أصبح اليوم صبوراً عندما راقب نفسه وجاهدها، وحاسبها وذكرها بعود الله تعالى للصابرين، من ذلك حادثة الخنساء مع أخيها صخر ورثاؤها له وجزعها عليه في الجاهلية، ثم صبرها على فقد بنيتها الأربعة في معركة واحدة في الإسلام.

الرابع: أنَّ العقل يحكم بإمكانية اكتساب الإنسان للأخلاق ومنها الصبر وبقياس الأولى على الحيوان، مثال ذلك، تعليم الكلب الصبر عن أكل الفريسة بعد صيدها، ورعي الغنم والوفاء لأهلها، وهكذا الحال مع غيره من الحيوانات التي علمها الإنسان فإذا كان هذا التعليم أكسب الكلب فالإنسان من باب أولى^(١).

عناية القرآن الكريم بالصبر:

ذكر الله عز وجل الصبر في مائة وثلاث آيات من كتابه العزيز وهذا دليل على أهمية الصبر ومنزلته في الدين، وقد ذكر في سياقات عديدة منها:

١- الأمر به: قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الطور: ٤٨].

٢- النهي عن ضده قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاق: ٣٥] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران: ١٣٩].

٣- تعليق الفلاح به قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

٤- الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على غيره قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٥- تعليق الإمامة في الدين به وباليقين قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

٦- أنَّ الصبر سمة النبيين والصالحين، قال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

٧- الظفر بمعية الله تعالى قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

٨- أنه جمع للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم وهي الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ

(١) انظر: عدة الصابرين (٥٣، ٥٦) بتصرف.

مُصِيبَةً قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

٩- أن الصبر عدة وعون قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة:

[٤٥].

١٠- أنه سبحانه علق النصر بالصبر وجعله جنة من كيد العدو قال تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

١١- تسليم الملائكة على الصابرين في الجنة، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

١٢- أن الله تعالى أباح لهم أن يعاقبوا بمثل بما عوقبوا إلا أن الصبر خير لهم قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل: ١٢٦].

١٣- أن الله سبحانه رتب المغفرة والأجر الكبير على الصبر والعمل الصالح قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [هود: ١١].

١٤- أن الصبر على المصائب من عزم الأمور: قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣].

١٥- أن الصابرين بأنفسهم على طاعة الله والتكاليف المنوطة بهم والتقوى ومجاهدة النفس ونهيها عن الهوى وتركيتها ومحاسبتها ومراقبتها عند الابتلاءات جزاؤهم أن يوفي لهم أجورهم بغير حساب.

لقوله تعالى: ﴿أَمَنْ هُوَ قَتَلْتُمْ عَادًا إِثْلَ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ قُلْ يَعْبادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ٩، ١٠].

١٦ محبة الله للصابرين.

قال الله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦].

١٧- أن خصال الخير لا يلقاها إلا الصابرون، قال تعالى: ﴿وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص: ٨٠].

١٨- أنه لا يتنفع بآيات الله ويتعظ بها إلا الصبار الشكور، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيْتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ [إبراهيم: ٥].

١٩- ثناء الله على عبده أيوب عليه السلام بأحسن الثناء على صبره قال تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤٤]

٢٠- أنه بالتقوى والصبر تنال درجة الإحسان قال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [هود: ١١٥].
وقال تعالى: ﴿ ... إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠].

٢١- أن الله سبحانه وتعالى حكم بالخسران حكماً عاماً على كل من لم يؤمن، ولم يكن من أهل الحق والصبر، وهذا يدل على أنه لا رابح سواهم فقال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر].

٢٢- أن أهل الميمنة هم أهل الصبر والرحمة، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ۝١٧ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝١٨ ﴾ [البلد: ١٧، ١٨].

٢٣- أنه سبحانه قرن الصبر بأركان الإسلام ومقامات الإيمان كلها، فقرنه بالصلاة فقال: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [البقرة: ٤٥] وقرنه بالأعمال الصالحة عموماً فقال: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [هود: ١١]. وقرنه بالتقوى فقال: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ﴾ [يوسف: ٩٠] وقرنه بالشكر فقال: ﴿ إِنَّكَ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم: ١٥]. وجعله قرين الحق فقال: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ٣] إلى غير ذلك^(١).

٢٤- أن الصبر الجميل في قوله تعالى: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف: ١٨] المراد به الذي لا جزع فيه ولا شكوى^(٢).
عناية السنة النبوية بالصبر:

لقد تمثلت عناية السنة النبوية بالصبر أعظم تمثُّل في شخص النبي ﷺ وكيف صبر على تزكية نفسه الشريفة الظاهرة حتى قبل أن ينزل عليه الوحي، ثم صبر عن الدنيا وزينتها حتى لقي الله تعالى، وصبره ﷺ على بلاغ الدعوة والأذى في سبيلها وكل هذا واضح بين لمن طالع سيرته ﷺ وهناك عناية أخرى بالصبر ربَّى أصحابه عليها ومن ذلك:

١- أن من شرف الصبر أن الله تسمي بالصبور.
عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) انظر: عدة الصابرين (٥٣-٥٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٨٩/٢).

«ليس أحدٌ أو ليس شيءٌ أصبر على أذى من الله إنَّهم ليدعون له ولدًا وإنَّه ليعافيههم ويرزقهم»^(١).

قال ابن القيم - رحمه الله -: وفي أسمائه الصبور وهو من أمثلة المبالغة أبلغ من الصبار والصبار، وصبره تعالى يفارق صبر المخلوقين ولا يماثله من وجوه متعددة، منها أنَّه عن قدرة تامة^(٢).

٢- الأمر بالصبر وأنَّ موطنه عند الصدمة الأولى:

عن أنس - رضي الله عنه - قال: مرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: «أتقي الله واصبري» قالت: إليك عني فإنَّك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه فقيل لها: إنه النبي ﷺ فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك فقال: «إنَّما الصبر عند الصدمة الأولى»^(٣).

٣- أنَّ الصبر صفة الأشداء:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة» قالوا: فمن الشديد يا رسول الله قال: «الذي يملك نفسه عند الغضب»^(٤).

٤- إمكانية الصبر للإنسان:

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنَّ ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى إذا نفذ ما عنده قال: «وما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يُعفه الله، ومن يستغن يُغنه الله، ومن يَصْبِرْ يصبره الله، وما أعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر»^(٥).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّه قال لعطاء: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ قالت: إني أُصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك» قالت: أصبر قالت فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها^(٦).

٥- الصبر مفتاح النصر:

عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - أنَّه قال: كنت رديف النبي

(١) صحيح البخاري (٢٢٦٢/٥) (٥٧٤٨).

(٢) عدة الصابرين (٢٠).

(٣) صحيح البخاري (٤٣١٢/١) (١٢٢٣).

(٤) صحيح مسلم (٢٠١٤/٣) (٢٦٠٨).

(٥) صحيح مسلم (٧٢٩/١) (١٠٥٣).

(٦) صحيح مسلم (١٩٩٤/٣) (٢٥٧٦).

ﷺ فقال: يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ فقلت: بلى فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً^(١).

وهذا يشمل النصر في الجهادين: جهاد العدو الظاهر، وجهاد العدو الباطن.

٦- أن الصبر ضياء العبد في سيره إلى الله.

عن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها»^(٢).

٧- ضرورة الابتلاء:

عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسن دينه فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه خطيئة»^(٣).

٨- جزاء الصابرين:

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب^(٤) ولا وصب^(٥) ولا هم ولا حزن ولا أذى

(١) مسند أحمد (٥٠٥/١) (٢٨٠٠) قال أحمد شاكر، هذا حديث رواه أحمد عن شيخه عبدالله بن يزيد المقرئ بثلاثة أسانيد. أحدها صحيح (٢٨٦/٤) (٢٨٠٤) وأخرجه الترمذي (٦٦٧/٤) (٢٥١٦)، وقال حسن صحيح، وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٤٥٠/١) وأصح الطرق كلها طريق حنش الصنعاني التي أخرجها الترمذي كذا قال ابن منده وغيره.

(٢) صحيح مسلم (٢٠٣/١) (٢٢٣).

(٣) سنن الترمذي (٦٠١/٤) (٢٣٩٨)، وقال حديث حسن، وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٨٦/٢) (١٩٥٧) حسن صحيح.

(٤) النَّصَبُ: التعب. النهاية (٦٢/٥).

(٥) الوَصْبُ: دوام الوجد ولزومه، ويطلق على التعب والفتور في البدن، النهاية (١٩٠/٥).

ولا غمٌ حتّى الشّوكة يشاكها إلّا كفر الله بها من خطاياها^(١).
عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنّ رسول الله ﷺ قال لنسوة من
الأنصار: «لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه إلّا دخلت الجنة فقالت
امرأة منهن، أو اثنتين؟ يا رسول الله! قال: «أو اثنتين»^(٢).

(١) صحيح البخاري (٢١٣٧/٥) (٥٣١٨).

(٢) صحيح مسلم (٢٠٢٨/٣) (٢٦٣٢).

المطلب الرابع الدعاء

تعريف الدعاء :

الدعاء لغة: مأخوذ من مادة (د ع و) التي تدل في الأصل على إمالة الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، ومن هذا الأصل الدعاء في معنى الرّغبة إلى الله عزّوجل، واحد الأدعية، والفعل من ذلك دعا يدعو، والمصدر الدعاء^(١).

الدعاء اصطلاحاً :

قال الخطابي - رحمه الله -: «معنى الدعاء: استدعاء العبد ربه عزّوجل العناية، واستمداده إيّاه المعونة»^(٢).

قال ابن القيم - رحمه الله -: هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره أو دفعه^(٣).

حقيقة الدعاء :

قال الخطابي: وحقيقة إظهار الإفتقار إليه، والتبرؤ من الحول، والقوّة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلّة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عزّوجل، وإضافة الجود والكرم إليه^(٤).

وقال الطيبي - رحمه الله -: هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له^(٥).

أقسام الدعاء :

لفظ الدعاء والدعوة في القرآن الكريم يتناول معنيين :

الأول: دعاء العبادة: وهو الذي يتضمن الثناء على الله بما هو أهله ويكون مصحوباً بالخوف والرجاء، وهو شامل لجميع القربات الظاهرة والباطنة، لأنّ المتبعد لله طالب وداع بلسان الحال ولسان المقال ربه قبول تلك العبادة، والإثابة عليها^(٦).

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/٢٨٠)، ولسان العرب (١٤/٢٥٨)، والصحاح للجوهري (٦/٢٣٣٧).

(٢) شأن الدعاء ص (٤).

(٣) بدائع الفوائد (٣/٢).

(٤) شأن الدعاء ص (٤).

(٥) فتح الباري (١١/٩٥).

(٦) نضرة النعيم (٥/١٩٠٢)، والقواعد الحسان للسعدي (١٥٥).

الثاني: دعاء المسألة: وهو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره، ودفعه وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود (بحق)^(١). والدعاء في القرآن يراد به هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما وهما متلازمان، فالعبد يدعو للنفع أو دفع الضر، دعاء المسألة، ويدعو خوفاً ورجاء دعاء العبادة، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، وقد ورد المعنيان جميعاً في قوله سبحانه: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦].

حكم الدعاء:

يجب على المسلم أن يدعو الله تعالى ويستحب له الإكثار منه قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وقال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه»^(٢)، ولا يجوز صرف شيء من دعاء العبادة لغير الله قطعاً ومن صرف شيئاً منه لغير الله تعالى فقد أشرك شركاً أكبر مخرجاً من الملة، وكذلك دعاء المسألة فيما لا يقدر عليه إلا الله، أما إذا دعا مخلوقاً حياً حاضراً فيما يندرج تحت قدرة المخلوقين فإنه ليس من هذه المسألة. وينبغي للداعي دعاء المسألة أن يسأل الله تعالى في كل مطلوب باسم يناسب ذلك المطلوب ويقتضيه.

الأمثلة:

- ١- من سأل الله الرحمة والمغفرة دعاه باسم الغفور الرحيم.
 - ٢- ومن سأل الله الرزق، سأل به باسم الرزاق وهكذا.
- كما ينبغي للداعي دعاء العبادة، أن يتعبد لله تعالى بأسمائه الحسنی، وطريق ذلك أن يفهم معنى ذلك الاسم الكريم، ثم يديم استحضاره بقلبه حتى يمتليء قلبه منه.

الأمثلة:

- ١- الأسماء الدالة على الرحمة، والفضل، والإحسان تملأ القلب طمعاً في فضل الله، ورجاء رَوْحِهِ ورحمته.

(١) الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٧/١٠).
(٢) سنن الترمذي (٤٥٦/٥) (٣٣٧٣)، والحاكم (٤٩١١)، وصححه، ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥١٢).

٢- والأسماء الدالة على الود، والحب، والكمال تملأ القلب محبة، ووُودًا وتألُّهاً، وإنابة إلى الله تعالى.

٣- والأسماء الدالة على سعة علمه، ولطيف خبره توجب مراقبة الله، والحياء منه، وهكذا... وهذه الأحوال التي تتصف بها القلوب هي أكمل الأحوال، وأجل الأوصاف ولا يزال العبد يجاهد نفسه عليها حتى تنجذب نفسه وروحه بدواعيه منقاداً رغبة، وبهذه الأعمال القلبية تكمل الأعمال البدنية^(١) وهي مرتبة الإحسان في عبادة الدعاء.

شروط الدعاء:

حتى يستجاب الدعاء لا بد من توافر الشروط وانتفاء الموانع:

١- اليقين بأن الله وحده هو القادر على إجابة الدعاء، فهو سبحانه جالب النفع وكاشف الضر قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

والمعنى: أعبادة ما تعبدون من أوثانكم خيرٌ أم عبادة مَنْ تفرد بإجابة المكروب، إذا دعاه ليكشف عنه الضرّ والجور^(٢).

٢- الإخلاص في الدعاء:

فلا يُسأل غيرُ الله، أو يُدعى معه غيره، لأنَّ من سأل غير الله أو دعا معه غيره فقد أشرك بالله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [البجن: ١٨].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «... وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله...»^(٣).

٣- ألا يتوسل إلا بالله تعالى فلا يتوسل بتوسل غير مشروع، سواء أكان توسلاً شركياً أم بدعياً.

مثال الأول: التوسل بالأموات، أو الأحجار، أو الأشجار، أو الجن، أو الملائكة، وهذا كله شرك في توحيد الألوهية.

ومثال الثاني: التوسل بذات النبي ﷺ، أو بجاهه^(٤) أو بحق فلان من

(١) الدعاء: للحمد (١٥) بتصرف.

(٢) انظر: فتح القدير (٤/١٤٦، ١٤٧) بتصرف.

(٣) سنن الترمذي (٥/٦٦٧) (٢٥١٦)، وقال: هذا حديث صحيح قال ابن عبد البر في جامع العلوم الحكم (١/٤٦٠، ٤٦١)، وقد روي هذا الحديث من طرق كثيرة، وأصح الطرق كلها طريق حنش الصنعاني التي خرجها الترمذي، كذا قال ابن منده وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٤) وللمزيد انظر: قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص (١٦٠، ١٧٠).

الأحياء^(١).

٤- أن يتوسل إليه سبحانه وتعالى بأحد أنواع التوسل المشروع.
مثال ذلك :

أ- التوسل باسم أو صفة من صفاته سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وعن أنس - رضي الله عنه - : أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً ورجل يصلي، ثم دعا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحمد، لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: «لقد دعاء الله باسمه العظيم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى»^(٢).

وعن بريدة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئِلَ به أعطى وإذا دُعِيَ به أجاب»^(٣).

ب - التوسل بالأعمال الصالحة :

مثال ذلك: قول الداعي اللهم إني أسألك بإيماني بك، ومحبتي لك، واتباعي لرسولك ثم يذكر حاجته، دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَكْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦].

ومن السنة :

حديث الثلاثة نفر الذين آووا إلى الغار فانطبقت عليهم الصخرة فسدت الباب فتوسل كل واحد بأصلح عمله عند الله وأرجاه.

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون، إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فَرَقٍ من أرز فذهب وتركه، وإني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أني اشتريت منه بقراً وأنه أتاني يطلب

(١) المرجع نفسه ص(٨٣).

(٢) سنن أبي داود (١٦٧/٢) (١٤٩٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٧٩/١) (١٣٢٦).

(٣) سنن أبي داود (١٦٦/٢) (١٤٩٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٧٩/١)، (١٣٢٤).

أجره، فقلت: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرز، فقلت له: عمد إلى تلك البقر، فإنها من ذلك الفرق، فساقها، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساحت عنهم الصخرة، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم: كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا، وأهلي عيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء.

فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم، من أحب الناس إلي، وأناي راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيها بها فدفعتها إليها فأمكننتني من نفسها، فلما قعدت بين رجلها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقامت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا^(١).

ج - التوسل إلى الله بدعاء رجل صالح حي حاضر قادر:
الأمثلة:

١- توسل الصحابة بدعاء النبي ﷺ وذلك في حياته دون مماته.
ما رواه أنس - رضي الله عنه - قال: أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ فبينما النبي ﷺ يخطب الجمعة، قام أعرابي فقال: يا رسول الله، هلك المال وجاع العيال، فادع الله لنا فرفع يديه، وما نرى في السماء قرعة، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل من منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ فمطرنا يومنا ذلك، ومن الغد وبعد الغد، والذي يليه، حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي، أو قال غيره، فقال: يا رسول الله، تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه، فقال: «اللهم حوّلنا ولا علينا» فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت، وصارت المدينة مثل الجوبة^(٢)، وسال الوادي قناة شهراً، ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجد^(٣).

(١) صحيح البخاري (١٢٧٨/٣) (٣٢٧٨) كتاب الأنبياء، باب: ﴿أَمَرَ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ [الكهف: ٩].

(٢) الجوبة: الحفرة المستديرة الواسعة. النهاية (٣١٠/١).

(٣) صحيح البخاري (٣١٥/١) (٨٩١).

٢- توسل الصحابة - رضي الله عنهم - بدعاء العباس - رضي الله عنه - وذلك بعد وفاة الرسول ﷺ وفيه لو كان التوسل بالأموات جائزاً لتوسل الصحابة بالنبي ﷺ بعد موته ولعدم الجواز عدلوا إلى التوسل بدعاء عمه الحي الحاضر القادر على الدعاء^(١)

كما روى ذلك أنس - رضي الله عنه - : أَنَّ عمر بن الخطاب : كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال : «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نتوسل إليك بنينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال : فيسقون»^(٢) .

٣- توسل الصحابة بدعاء التابعين :

عن سليم بن عامر الخبائري أَنَّ السماء قحطت فخرج معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - وأهل دمشق يستسقون، فلما قعد معاوية على المنبر قال : أين يزيد بن الأسود الجُرشي؟ قال : فناده الناس فأقبل يتخطى فأمره معاوية فصعد المنبر فقعده عند رجله؟ فقال معاوية : اللهم إِنَّا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا : «اللَّهُمَّ إِنَّا نستشفع إليك بيزيد بن الأسود الجرشي، يا يزيد ارفع يديك إلى الله، فرفع يزيد يديه ورفع الناس أيديهم فما كان أوشك أن ثارت سحابة في المغرب وهبت لها ريح فسقينا حتى كاد الناس لا يصلون إلى منازلهم»^(٣) .

٤- أن يسأل العبد الله تعالى وهو مُظْهِرُ الذل له والافتقار إليه سواء بلسان المقال أم الحال .

مثال ذلك بلسان المقال : أن يقول الداعي : اللهم أنت المحسن، وأنا المسيء، أسألك الإحسان في الأمر كله، وهكذا .

وأما بلسان الحال وهي درجة أرفع من الدعاء بلسان المقال : فقد قال الله تعالى عن موسى عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٤] .

والشاهد : أنه لم ينص على الطلب وإنما أظهر حاجته وفقره إلى الله تعالى .

وقوله تعالى عن أيوب - عليه السلام - ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

(١) انظر : قاعدة في التوسل والوسيلة (٨٢) .

(٢) صحيح البخاري (١٣٦٠/٣) (٣٥٠٧) .

(٣) المعرفة والتأريخ للبسوي (٣٨١/٢) والطبقات لابن سعد (٤٤٤/٧) وقال ابن حجر - رحمه الله - في الإصابة (٦٧٣/٣) (٩٣٩٣) في ترجمة يزيد بن الأسود أخرجه أي حديثه مع معاوية - رضي الله عنه - أبوزرعة الدمشقي ويعقوب بن سفيان في تأريخهما بسند صحيح عن سليم بن عامر .

والشاهد أنه لم ينص على طلب العافية وإنما شكا حاله إلى الله تعالى وعرض برحمته سبحانه وتعالى وقوله تعالى عن يونس عليه السلام: ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

والشاهد: أنه لم ينص على طلب النجاة وإنما أظهر ذله وافتقاره وتوبته عليه السلام، إذ لا يتصور أن يدعو العبد الله تعالى وهو متكبر مظهر حالة الاستغناء عنه سبحانه وتعالى.

٥- حضور القلب:

والمقصود أن يستجمع الداعي قلبه مستشعراً عظمة الله تعالى وهو يناجيه ويدعوه، وما مثل من يدعو الله وقلبه غافل، وذنه شارد إلا كمثل رجل يسأل آخر، وهو مُلْتَهٍ بغيره، وهذا قلة أدب مع الخلق الفقراء المحاويج فكيف مع الخالق الغني القادر سبحانه وتعالى.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»^(١).

٦- حسن الظن بالله تعالى:

والمقصود أن الداعي يدعو الله تعالى وهو موقن بالإجابة وفي الحديث السابق: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»^(٢).

قال الشوكاني - رحمه الله - في قوله تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي» (فيه ترغيب من الله لعباده بتحسين ظنونهم، وأنه يعاملهم على حسبها، فمن ظن به خيراً أفاض عليه جزيل خيراته، وأسبل عليه جميل تفضلاته، ونثر عليه محاسن كراماته، وسوابغ عطياته، ومن لم يكن في ظنه هكذا لم يكن الله تعالى معه هكذا).

وهذا هو معنى كونه سبحانه وتعالى عند ظن عبده، فعلى العبد أن يكون حسن الظن بربه في جميع حالاته، ويستعين على تحصيل ذلك باستحضار ما ورد من الأدلة على سعة رحمة الله سبحانه وتعالى^(٣)، فإذا وصل الداعي إلى حالة يتيقن بها أن ما يسأل الله حصوله أو دفعه أصبح أقرب

(١) سنن الترمذي (٥١٧/٥) (٣٤٧٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٨/١) (٢٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من رواية أبي هريرة - رضي الله عنه - (٢٦٩٤/٦) (٦٩٧٠).

(٣) تحفة الذاكرين (١٢).

إليه مما بين يديه فكأنَّ المأمول مستقر عنده وإن لم يحسه وكأنه حال دعائه واقف بين يدي الله ينظر إليه بعيني بصيرته لا بصره فقد أحسن الدعاء وأحسن الظن بالله تعالى.

قال يحيى بن معاذ - رحمه الله -: «من جمع الله عليه قلبه في الدعاء لم يردّه»^(١).

٧- أن لا يدعو بإثم أو قطيعة رحم: لأنَّ الدعاء بالإثم أو قطيعة الرحم إفساد والله تعالى لا يصلح عمل المفسدين.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل» قيل يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: «يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء»^(٢).

٨- ألا يستعجل الإجابة.

لأنَّ الله تعالى يحب العبد اللحوح في الدعاء، ولا ريب أنَّ الله يستجيب الدعاء إذا توافرت الشروط وانتفت الموانع قال تعالى: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وليس المقصود حصول المطلوب إذ أنَّ الله تعالى ربما أبدل السائل بما هو خير له في الدنيا أو الآخرة، أو فيهما معاً أو ادخر له من الأجر أعظم من ذلك أو يدفع عنه من المكروه أعظم من ذلك، أو يحصل له مراده بعد أن يرزق الإكثار من الدعاء وانتظار الفرج، فيرفعه الله به درجة إذ أنَّ الدعاء من أفضل القربات وهو العبادة كما سيأتي في فضل الدعاء.

قال ابن حجر - رحمه الله -: معنى يستحسر: ينقطع، وفي الحديث أدب من آداب الدعاء، وهو أن يلازم الطلب، ولا ييأس من الإجابة، لما في ذلك من الانقياد، والاستسلام وإظهار الافتقار^(٣).

قال سفيان الثوري - رحمه الله -: «منعه عطاء، وذلك أنه لم يمنع عن بخل ولا عدم، وإنما نظر في خير العبد فمنعه اختباراً وحسن نظر»^(٤).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: ومن الآفات التي تمنع أثر الدعاء عليه أن يستعجل العبد، ويستبطيء الإجابة، فيستحسر ويدع الدعاء، وهو بمنزلة من بذر بذراً، أو غرس غرساً فجعل يتعاهده، ويسقيه، فلما استبطأ كماله

(١) الفوائد لابن القيم (٧٣).

(٢) صحيح مسلم (٢٠٩٦/٣) (٢٧٣٥).

(٣) فتح الباري (١٤١/١١).

(٤) مدارج السالكين (٢/٢١٥).

وإدراكه تركه وأهمله^(١).

٩- إطابة المطعم والمشرب، والملبس، لأنَّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّها الناس إنَّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإنَّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَتَأَيَّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب له»^(٢).

١٠- أن لا يعتدي في الدعاء:

قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

قال ابن القيم - رحمه الله -: «فكل سؤال يناقض حكمة الله، أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر به فهو اعتداء لا يحبه الله، ولا يُجيب سائله»^(٣).

مثال: من يدعو أن يخلد في الدنيا، أو يكون في الجنة في درجة فوق الأنبياء عليهم السلام، أو أن يرد عليه ميتاً.. وهكذا.

١١- الجزم في الدعاء بعدم الاستثناء:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإنَّ الله لا مُسْتَكْرِهَ له»^(٤).

آداب الدعاء:

إذا توافرت الشروط في الدعاء وانتفت الموانع وتمم الداعي بالآداب الحسنة التي يرجى بها القبول كانت الإجابة أسرع.

ومن آداب الدعاء:

١- الوضوء قبل الدعاء:

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - وفيه فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر.

(١) الجواب الكافي ص (٨).

(٢) صحيح مسلم (٧٠٣/١) (١٠١٥).

(٣) بدائع الفوائد (١٣/٣).

(٤) صحيح مسلم (٢٠٦٣/٣) (٢٦٧٩).

قال: قل له: يستغفر لي، فدعا رسول الله ﷺ بماء، فتوضأ منه، ثم رفع يديه، ثم قال: «اللَّهُمَّ اغفر لعبيد، أبي عامر...»^(١).

٢- استقبال القبلة:

روى عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «استقبل النبي ﷺ الكعبة فدعا على نفر من قريش»^(٢).

٣- رفع الأيدي في الدعاء:

عن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّ هُمَا خَائِبَتَيْنِ»^(٣).

٤- أن يبدأ الدعاء بالثناء على الله ثم الصلاة على النبي ﷺ مصداق ذلك.

ما رواه فضالة بن عبيد - رضي الله عنه - قال: بينا رسول الله ﷺ قاعداً إذ دخل رجل، فصلّى فقال: اللَّهُمَّ اغفر لي، وارحمني، فقال رسول الله ﷺ: «عجلت أيها المصلي، إذا صليت فقعدي فاحمد الله بما هو أهله، وصلّ عليّ ثم، ادعه» قال: ثم صلى رجلاً آخر بعد ذلك فحمد الله وصلّى على النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «أَيُّهَا الْمَصْلِيُّ ادع تُجَبَّ»^(٤).

٥- الإقرار بالذنب والاعتراف بالخطيئة:

ومنه دعاء يونس عليه السلام، وسيد الاستغفار، قال الله تعالى: ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وعن شداد بن أوس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «سيد الاستغفار أن تقول: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتَ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قَالَ وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مَوْقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَصْبَحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٥).

٦- أن يتخير جوامع الدعاء ومحاسن الكلام، ولا يتكلف السجع.

قال الخطابي - رحمه الله -: (وليتخير لدعائه، والثناء على ربه أحسن

(١) صحيح مسلم (١٩٤٣/٢) (٢٤٩٨).

(٢) صحيح البخاري (١٤٥٧/٤) (٣٧٤٣).

(٣) سنن الترمذي (٥٥٦/٥) (٣٥٥٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٧٠).

(٤) سنن الترمذي (٥١٦/٥) (٣٤٧٦)، وقال هذا حديث حسن وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٨٨).

(٥) صحيح البخاري (٢٣٢٣/٥) (٥٩٤٧).

الألفاظ، وأنبئها، وأجملها للمعاني، لأنه مناجاة العبد سيد السادات، الذي ليس له مثل ولا نظير^(١)، وقال: (ويكره في الدعاء السجع، وتكلف صفة الكلام له)^(٢). وفي وصية ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك يعني: لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب^(٣).

٧- التضرع^(٤) والرغبة والرغبة والخشوع.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ...﴾ [الأنعام:

[٤٣].

٨- الدعاء ثلاثاً:

كما جاء في حديث طويل لابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ وفيه: «... فلما قضى صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا، دعا ثلاثاً، وإذا سأل، سأل ثلاثاً، ثم قال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات...»^(٥).

٩- خفض الصوت، والإسرار بالدعاء.

قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمَعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال النبي ﷺ: «أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، ولكن تدعون سميعاً بصيراً...»^(٦)، فإن رفع صوت قليلاً فلا بأس إذا كان متيقناً معية الله وقربه منه، دلّ على ذلك رفع النبي ﷺ صوته بالدعاء لعبيد بن أبي عامر كما سبق في حديث أبي موسى الأشعري قريباً في الوضوء قبل الدعاء، وإخفاء الدعاء فوائدها:

أنه أعظم إيماناً، وأبلغ في الأدب مع الله، والإخلاص له، وأدعى لدوام الطلب والسؤال، وجمع القلب، والتضرع والخشوع، وآمن من شر

(١) شأن الدعاء (١٥).

(٢) شأن الدعاء (١٧).

(٣) صحيح البخاري (٢٣٣٤/٥) (٥٩٧٨).

(٤) التضرع: التدلل والمبالغة في السؤال والرغبة، النهاية (٣/٨٥).

(٥) صحيح مسلم (٤١٨٢) (١٧٩٤).

(٦) صحيح البخاري (٢٣٤٦/٥) (٦٠٢١).

الحاسدين^(١).

١٠- البكاء حال الدعاء:

إن استطاع الداعي أن يقدم بين يدي دعائه شيئاً من الدموع تكون عربوناً لصدق الطلب وإظهاراً للفقر والمسكنة كان ذلك أرجى للإجابة، ولكن رفع الصوت بالبكاء لم يكن معهوداً عن سلف هذه الأمة.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنِّهْنِ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقال عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿إِن تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفع يديه وقال: «اللَّهُمَّ أمتي أمتي» وبكى فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبيئك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال: وهو أعلم فقال: الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك^(٢).

١١- تحرى أوقات الإجابة: وهي كثيرة جداً.

موانع استجابة الدعاء:

قال ابن القيم - رحمه الله -: إِنَّ الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف أثره عنه، إما لضعفه في نفسه، بأن يكون دعاء لا يحبه الله، لما فيه من العدوان وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه، وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الرخو جداً فإن السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً، وإما لحصول المانع من الإجابة، من أكل الحرام، ورين الذنوب على القلب، واستيلاء الغفلة والشهوة واللهو وغلبتها عليه، وله [أي للدعاء] مع البلاء ثلاث مقامات.

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه.^(٣)

ثمرات الدعاء:

للدعاء ثمرات جليلة، في الدنيا والآخرة ومنها:

١- أن فيه تحقيق معنى العبادة:

(١) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٦/٣، ١٠) والفتاوى لشيخ الإسلام (١٥/١٥، ٢٠).

(٢) صحيح مسلم (١٩١/١) (٢٠٢).

(٣) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/٢٢٩).

إذ أنَّ الداعي يحصل له من التذلل والخضوع، والإخبات والإنابة، والانكسار بين يدي الله، والتوكل ولذة المناجاة، ما يتمنى معه دوام تلك الحالة ولو لم يحصل مقصوده من الدعاء.

قال بعض العباد: إنَّه لتكون لي حاجة إلى الله، فأسأله إيَّاه، فيفتح عليَّ من مناجاته، ومعرفته، والتذلل له، والتملق بين يديه ما أحب معه أن يؤخر عني قضاءها وتدوم لي تلك الحال^(١).

وهذا ما قرَّره النبي ﷺ كما جاء عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة»^(٢).

٢- فيه امتثال لأمر الله تعالى والسلامة من الكبر، حيث قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

٣- أنَّ فيه دليلاً على الكياسة وعلو الهمة:
عن أبي هريرة - رضي الله عنه - موقوفاً عليه قال: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام»^(٣).

٤- الدعاء سبب لدفع البلاء قبل نزوله:
عن ثوبان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإنَّ الرجل ليحرم الرزق بخطيئته يعملها»^(٤).

٥- أنَّ الدعاء صفة عباد الله المتقين، قال الله تعالى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].
١٠- أنَّ الدعاء نوع من الذكر والذكر يخفى^(٥).

الأوقات، والأماكن، والأحوال التي يستجاب فيها الدعاء منها: ^(٦)
ليلة القدر، ووقت السحر، ودبر الصلوات المكتوبات، وعند النداء

(١) المصدر السابق.

(٢) سنن الترمذي (٢١١/٥) (٢٩٦٩)، وقال هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٧).

(٣) صحيح ابن حبان «الإحسان» (٣٥٠/١٠) (٤٤٩٨)، قال الحافظ في الفتح (٥٦٥/٩) (٥٤٤١)، هذا موقوف صحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٤) سنن ابن ماجه (٣٥/١) (٩٠) وقال البوصيري سألت شيخنا أبا الفضل العراقي عن هذا الحديث فقال: حسن، الزوائد (٦٠/١) (٣٤).

(٥) انظر: الفتاوى (١٧/١٥، ٢٠) بتصرف واختصار.

(٦) انظر: تحفة الذاكرين للشوكاني (٥٥، ٦٣)، والدعاء للحمد (٥٣، ٦٨).

للصلاة، وبين الأذان والإقامة، وساعة خطبة وصلاة الجمعة، وعند الزحف، وعند نزول الغيث، وعند شرب زمزم، وفي السجود، ويوم عرفة، وعقب الوضوء، وعند قراءة الفاتحة، وعند الرفع في الركوع وعند التأمين، وقبل التسليم من الصلاة، وفي شهر رمضان، وعند صياح الديك، وعند الكرب، وعند المصيبة، والدعاء للأخ المسلم بظهر الغيب، والدعاء للميت، ودعوة المظلوم، والوالد لولده، والمسافر حتى يعود، ودعاء المعتمر، وعند التَّعَارُّ من الليل، وغير ذلك ولولا خشية الإطالة لذكرت الأدلة للجميع.

وبالجملة فقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - أنَّ من «جمع مع الدعاء حضور القلب، وجمعيته بكليته على المطلوب، وصادف وقتاً من أوقات الإجابة الستة: وهو الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان، والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة من ذلك اليوم، وآخر ساعة بعد العصر، وصادف خشوعاً في القلب، وانكساراً بين يدي الرب، وذلاً له وتضرعاً ورقة، واستقبل الداعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ، ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله، وألح عليه في المسألة، وتملقه ودعاه رغبة ورهبة، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوحيده وقدم بين يدي دعائه صدقة، فإنَّ هذا الدعاء لا يكاد يرد أبداً ولا سيَّما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنَّها مظنة الإجابة، أو أنَّها متضمنة للاسم الأعظم^(١).

الدعاء من صفات المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ٥٥ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ٥٦ ﴿

تحقيق مرتبة الإحسان في الدعاء:

يمكن للمرء المسلم أن يحقق ذلك بأن يثني على الله بما هو أهله خوفاً منه ورجاء فيما عنده، ويسأله ما ينفعه أو يدفع ضرره من غير اعتداء مخلصاً لله تعالى بقلب حاضر وهو على وجه الافتقار والتذلل والمسكنة وهو على حالة كأنه ينظر إلى مولاه جل وعلا ويشاهده بقلبه

(١) الجواب الكافي (٩).

المبحث الرابع

الكيفية التي يعرف بها من وصل إلى مرتبة الإحسان

يمكن معرفة الوصول إلى مرتبة الإحسان التي هي أعلى وأشرف مراتب الدين بأمرين: الأول بدقة المحاسبة للنفس، والثاني: بشهادة العدول من أهل الإسلام العالمين بأحكام الشريعة الإسلامية وآدابها وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

أولاً: دقة المحاسبة للنفس الإنسانية والمحاسبة لغة: مصدر حاسب يحاسب، وهو مأخوذ من مادة (ح س ب) التي تدل على العد^(١).

واصطلاحاً: قال الماوردي - رحمه الله -: محاسبة النفس: أن يتصفح الإنسان في ليله ما صدر من أفعال نهاره، فإن كان محموداً أمضاه وأتبعه بما شاكره وضاهاه، وإن كان مذموماً استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل^(٢).
أهمية المحاسبة:

قال ابن القيم - رحمه الله - قد دلَّ على وجوب محاسبة النفس قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] يقول تعالى: لينظر أحدكم ما قدم ليوم القيامة من الأعمال: أمن الصالحات التي تنجيهِ، أم من السيئات التي توبقه؟^(٣).

وعن ميمون بن مهران - رحمه الله - قال: «لا يكون الرجل تقيّاً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه»^(٤).

أنواع المحاسبة للنفس:

المحاسبة للنفس نوعان:

النوع الأول: محاسبة النفس قبل العمل، ومعنى ذلك إيقافها قبل العمل للنظر في شرعيته ومقصده منه.

والنوع الثاني: محاسبة النفس بعد العمل على طاعة قصر فيها، أو خير تركه، أو مباح عمله لم يصلح نيته فيه^(٥).

(١) المقاييس (٢/٥٩)، واللسان (١/٣١٣، ٣١٤).

(٢) أدب الدنيا والدين (٣٤٢).

(٣) إغاثة اللهفان (١/١٠١).

(٤) محاسبة النفس، لابن أبي الدنيا (٢٥).

(٥) انظر: إحياء علوم الدين (٤/٣٩٤، ٣٩٥).

شروط صحة المحاسبة :

يُشترط لصحة محاسبة النفس شروطٌ قبليةٌ وبعدية :

الشروط القبلية : وأهمها :

١- أن يحاسب نفسه على دقائق أعمالها القلبية والبدنية والمالية بدقة تامة .
لما روي عن أنس - رضي الله عنه - قال : «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنّا لنعدها على عهد النبي ﷺ الموبقات»^(١) .

٢- أن يعرض المحاسب نفسه أعماله وأقواله واعتقاداته على الكتاب العزيز وصحيح السنة النبوية، وهذا يقتضي أن يكون عالماً بأحكام ما يحاسب نفسه عليه، فإن تعذر عليه ذلك سأل أهل العلم والصلاح .

٣- أن يكون عالماً بمقاييس أنواع الإحسان فمقياس الإحسان في الواجبات الظاهرة والباطنية، الإتيان بها على وجه كمال واجباتها، فهذا القدر من الإحسان فيها واجب .

وأما الإحسان فيها بإكمال مستحباتها فليس بواجب، بل هو مستحب .
والإحسان في ترك المحرمات، الانتهاء عنها، وترك ظاهرها وباطنها، كما قال تعالى : ﴿وَذَرُوا ظِلَهِرَ الْاِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام : ١٢٠]
فهذا القدر من الإحسان فيها واجب .

وأما الإحسان في المكروهات، فيكون بالانتهاء عنها، وترك ظاهرها وباطنها، وهذا القدر من الإحسان فيها مستحب .

وأما الإحسان في الأمور المتشابهة على العبد في الحل أو الحرمة، فيكون بتركها ظاهراً وباطناً وهذا القدر من الإحسان واجب، فإن كان من المشتبه عليه أمن الحلال أم من المكروه فإن الإحسان فيه بتركه ظاهراً وباطناً وهذا القدر من الإحسان فيه مستحب .

وكل ما سبق فإنه يعد من الإحسان الذي هو بمعنى الإتيان .
وأما الإحسان الذي هو بمعنى الإنعام على الغير أو على النفس، فالواجب فيه القيام بما أوجب الله من حقوق ذلك كله، وأما القدر الزائد على الواجب في ذلك كله فإنه إحسان مستحب^(٢) .
وذلك بأن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له .

وأما الإحسان الذي هو بمعنى مشاهدة الحق تبارك وتعالى : فإنه يكون بأداء العبادة على وجه من الإتيان والإخلاص وهو على حال وكأته

(١) صحيح البخاري (٢٣٨١/٥) (٦١٢٧) .

(٢) انظر : جامع العلوم والحكم (٣٨١، ٣٨٢) .

ينظر إلى الله بعيني قلبه بحيث لا يدع شيئاً مما يقدر عليه من كمال العبادة إلا أتى به .

فإذا جمع العبد بين الإحسان في الاتيان بالواجبات والمستحبات، والإحسان في ترك المحرمات والمكروهات، وترك كثيراً من المباحات خشية الوقوع في المحرمات أو المكروهات مع القيام بما أوجب الله عليه من حقوق نفسه والخلق وزاد على ذلك وهو على حال من الإتيان والإخلاص وكأنه ينظر إلى الله تعالى بقلبه فإنه قد استجمع خصال الإحسان قاطبة، وهو محسن حقاً، وإلاً فإنه محسن بحسب ما أحسن فيه .

٤- أن يكون صادقاً في كل إجاباته التي تصدر منه حتى لا يجعل من نفسه إنساناً آخر .

ب - الشروط البعدية لمحاسبة النفس :

إذا وجد العبد المسلم من نفسه أنه ارتقى إلى مرتبة الإحسان، فإن هناك شروطاً دقيقة يجب عليه مراعاتها حتى لا يحبط عمله ويرتكس في السفلى :

١- أن يتهم نفسه أبداً بالتقصير، حتى لا يجره ذلك للكسل والخمول .
٢- أن يحذر أشد الحذر من الإعجاب بعمله، بل الواجب عليه إسناد الفضل والتوفيق إلى الله تعالى والإكثار من حمده وشكره والدعاء بالثبات على الإحسان .

٣- أن يتوقى أعظم التوقي من كل ما من شأنه تزكية نفسه من بعيد أو من قريب تصريحاً أو تلميحاً .

الثاني من طرائق معرفة الوصول إلى مرتبة الإحسان : الشهادة للمحسن .
شهادة العدول من أهل الإسلام، ولا سيما العالمين بأحكام الشريعة الإسلامية وآدابها حقاً، وذلك أنهم شهداء الله في أرضه، فمن أثنوا عليه خيراً فهو كذلك ظاهراً، ومن أثنوا عليه شراً، فهو كذلك ظاهراً .

لما روي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : مرؤوا بجنابة فأثنوا عليها خيراً فقال النبي ﷺ : «وجب» ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال : «وجب» فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ما وجبت؟ قال : «هذا أثنيتم عليه خيراً فوجب له الجنة وهذا أثنيتم عليه شراً، فوجب له النار، أنتم شهداء في الأرض»^(١) .

وعن عبدالله - رضي الله عنه - قال : قال رجل لرسول الله ﷺ كيف لي

(١) صحيح البخاري (٤٦٠/١) (١٣٠١) .

أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت؟ قال النبي ﷺ: «إذا سمعت جيرانك يقولون: أن قد أحسنت، فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت، فقد أسأت»^(١).

وهذا يدخل في باب الإحسان بمعنى الإتيان والإنعام.

(١) سنن ابن ماجه (١٤١٢/٢) (٤٢٢٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤١٢/٢)، (٣٤٠٢).

الفصل الثالث صور الإحسان

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: صور الإحسان عن الأنبياء والرسل عليهم السلام
- المبحث الثاني: صور الإحسان عن الصحابة رضي الله عنهم
- المبحث الثالث: صور الإحسان الأخرى

المبحث الأول

صور الإحسان عن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

أكمل صور الإحسان الغراء، ما صدر عن أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، إذ هم أعلم الخلق بالله تعالى وما يجب له، وأشد الناس خشية وتعظيمًا له، وأرحم الخلق بالخلق، ومن صور إحسانهم يستطيع العبد المسلم أن يسير في طرق الإحسان ومساريه على بصيرة حتى يستوي فوق سدة الإحسان السماء، وليس مهمتنا هنا سرد قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام جميعًا، وإن كانت ولا شك من الشرف بمكان رفيع، وإنما تتحدد المهمة هنا في عرض صور من إحسان بعضهم عليهم السلام.

ومن الأنبياء والرسل الذين حفلت النصوص الشرعية بذكر صور إحسانهم:

أولاً: نوح عليه الصلاة والسلام:

أ- نسبه: هو نوح بن لامك بن متو شلخ بن خنوخ، وخنوخ هذا هو إدريس بن يرد بن مهلايل بن قنن بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر - عليه السلام -^(١).
مولده:

كان مولده بعد وفاة آدم - عليه الصلاة والسلام - بعشرة قرون^(٢).

ج - مكانته بين الأنبياء والرسل - عليه الصلاة والسلام -:

نوح - عليه السلام - أحد أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام، وهو من أولى العزم من رسل الله تعالى كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وهو من المصطفين كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، مكث في دعوة قومه إلى التوحيد وعبادة الله وحده تسعمائة وخمسين عامًا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

ج - صورة من إحسان نوح عليه الصلاة والسلام:

لاريب أن نبي الله نوحًا عليه الصلاة والسلام من أكمل المحسنين إحسانًا الذي ضربوا في كل قسم منه بسهم وافر، غير أن الصورة الأوضح

(١) البداية والنهاية لابن كثير، (١/١٠٠ - ١٠١).

(٢) المرجع السابق.

لإحسانه - عليه السلام - تتركز في القرآن الكريم على إحسانه في دعوة قومه إلى الله تعالى .

ولم ترد قصة دعوته لقومه كاملة في سورة واحدة في القرآن الكريم، بل، ورد مقاطع منها متفرقة حسب الحاجة وموضوع السورة في ثمان وعشرين سورة، تكررت آياتها في ثلاثة وأربعين موضعاً من كتاب الله تعالى . ومفادها أنَّ الله تعالى بعثه إلى قومه، الذين زين لهم الشيطان عبادة الأصنام؛ لينذرهم عذاب الله ومقته إذا ما استمروا في طغيانهم وضلالتهم فكذبوه، وأذوه أشد الإيذاء، وهلكذا ما برحوا عاكفين على شركهم وهو يدعوهم إلى عبادة الله حده دون سواه، فلم ييأس نوح - عليه السلام - من صلاحهم فأخذ ينوع لهم أساليب دعوته بالحسنى، فيتحين لهم الأوقات المناسبة ليلاً ونهاراً، ويتحرى لهم الهيئات الملائمة سرّاً وجهراً، جماعات وفرداً، وينوع لهم الخطاب، فيرغبهم تارة في الثواب، وأخرى ينذرهم العذاب، وثالثة يبرهن لهم على صدق دعوته، وأحقية الله تعالى في التوحيد، مستدلاً بالأدلة الحسية والعقلية، فأبان لهم سفاهة ما يعبدون من دون الله وأنها لا تغني عنهم شيئاً، وأنه يحيي ويميت، وأن ما هم فيه من النعيم، وما يمكن أن يزدادوا من الخير، إنما هو من عند الله تعالى، وأن من هذا شأنه هو الإله الحق المستحق لعبادة الخلق، وأوضح لهم صراحة أنَّ دعوته إليهم إلى التوحيد لا لعوض مادي أو معنوي يطلبه منهم، وإنما يبتغي أجره على الله تعالى .

لكنهم وبرغم روعة هذه الأساليب الفذة، التي اتخذها نوح عليه السلام وما أحاط به دعوته من شدة المصابرة، وطول الاستمرار مئات السنين، وبرغم الحرص الشديد على هدايتهم عموا وصموا، وأعرضوا واستكبروا، واستقبلوه بالسفاهة والتواصي ألا يدعوا أصنامهم التي سموها بأسماء رجال صالحين من سابق قومهم، بل لم يكتفوا بذلك وإنما أخذوا يمحرون بنوح عليه السلام قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١ ﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ٢ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ٣ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤْخَرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ٨ ثُمَّ إِنِّي أَغْلَيْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ١٠ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ١٢ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ١٤ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ١٦ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ١٧ ثُمَّ

يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ سَاطِعًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا
فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْم عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدَّهُ مَالُهُ وَلَوْلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُوا مَكْرًا
كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا
كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ [نوح: ١-٢٤].

وفي سورة هود عليه السلام تكتمل أكثر فصول القصة بروعة القرآن
البيانية كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِتِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا
تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيُسْرِ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا
نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَلَكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ
عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ رَبِّي وَءَالَنِي
رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْ مُكْثَمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كِرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا أَتْلُوكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا
إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنْ أَنْتُمْ قَوْمًا
تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي
خِزَايْنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ
خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ
بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَى إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا
تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَوْحَى إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾
وَيَصْنَعِ الْفُلَكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ
مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾
حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ
عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَعَلْنَا
وَمُرْسَلَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي
مَعْزِلٍ يَبْنَئِي أَرِكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأْتِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ
الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ
الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَتَّارِضْ أَبْلَى مَاءُكَ وَنَسَمَاءُ أَقْلَى وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ
عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ
وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا
تَسْنَنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ
أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْتُوخُ
أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمِّهِ وَمَنْ مَعَكَ وَأُمُّهُمْ سَمِعَتْهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ [هود: ٢٥-٤٨].

هكذا انتهت عنجهية قوم نوح عليه السلام وهكذا كانت عاقبتهم
وهكذا كانت عاقبة نوح عليه السلام وعاقبة قومه كما قال الله تعالى:
﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَبَخَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ
هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ٧٥ - ٨٢] ^(١).

مرشحات الإحسان لنوح - عليه الصلاة والسلام -:

إنَّ مرشحات الإحسان وسبب الجزاء الحسن لنوح - عليه السلام - هي:

- ١- إيمانه القوي بالله تعالى.
- ٢- حسن دعوته لقومه وصبره على أذاهم.
- ٣- عظم شكره لربه تعالى على القليل والكثير. كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ
كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣].

(١) راجع: البداية والنهاية لابن كثير (١/ ١٠٠ وما بعدها).

ثانيًا: إبراهيم - عليه السلام:

أ- نسبه:

هو إبراهيم بن آزر بن ناحور بن شاروخ بن راغو بن فالخ بن عابر ابن شامخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وكنيته أبو الضيفان^(١).

ب - نشأته وصفاته ووفاته:

ولد إبراهيم - عليه السلام - ببابل، وهي أرض الكلدانيين زمن النمرود بن كنعان بن كوش^(٢).

وقد نشأ في بلدة يعبد أهلها الأصنام من دون الله تعالى، ولكن الله آتاه رشده فحفظه من الصغر كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٨]، ولم يكن على وجه الأرض مؤمن سواه وامرأته سارة وابن أخيه لوط - عليه السلام -^(٣).

وأما صفاته - عليه السلام - : فقد كان أشبه الناس به نبينا محمد ﷺ وصفاته معلومة ومظانها مشهورة^(٤).

وقيل إنه عاش مائتي سنة وقُبر في المربعة التي بناها سليمان بن داود - عليه السلام - ببلدة حبرون وهو البلد المعروف بالخليل اليوم^(٥).

ج - مكانته بين الأنبياء والرسل - عليهم السلام - :

وردت الإشارة إلى اسم إبراهيم - عليه السلام - في خمس وعشرين سورة من القرآن الكريم وهو أحد الرسل الخمسة أولي العزم، و خليل الرحمن كما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، والخلّة خالص المحبة.

وقد جعله الله إمامًا يقتدى به وسماه أمة بمفرده كما قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

ووصفه الله بالرحمة والحلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

وهو أبو الأنبياء منه تفرعت شجرتهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٦]، وامتحده الله

(١) انظر: البداية والنهاية: (١/١٣٩)، وقصص الأنبياء لابن كثير (١/١٦٧).

(٢) البداية والنهاية (١/١٤٠، ١٧٣).

(٣) قصص الأنبياء لابن كثير (١/١٦٩).

(٤) البداية والنهاية (١/١٧٣).

(٥) البداية والنهاية: (١/٧٤ - ١٧٥).

تعالى وأثنى عليه بأنه وفى وقام بجميع ما أمره به فقال تعالى: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧].

د - صور من إحسان إبراهيم - عليه السلام -

يأتي إبراهيم - عليه السلام - في أعلى مراتب المحسنين وصور إحسانه كثيرة جدًا ومنها:

١ - صبره على الابتلاء في طريق الدعوة إلى الله تعالى.

لقد بعث الله تعالى إبراهيم - عليه السلام - في قوم يعبدون الأصنام من دون الله تعالى ويعتقدون في الكواكب أنها تنفع وتضر من دون العزيز العليم، كما قال تعالى: ﴿وَابْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [١٦] إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦، ١٧].

ومن هنا بدأ إبراهيم - عليه السلام - مجاهدة قومه بالحجج الباهرة والأدلة الدافعة والمناظرات الظاهرة يدحض بها بطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام والاعتقاد في الكواكب، فاتخذ أولاً أسلوب الحوار والمناقشة كما قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [٦٩] إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [٧٠] قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عِزِّينَ﴾ [٧١] قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ﴾ [٧٢] أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [٧٣] قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [٧٤] قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [٧٥] أَنْتُمْ وَعِبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ [٧٦] فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [٧٧] الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [٧٨] وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [٧٩] وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِيَنِي﴾ [٨٠] وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [٨١] وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [٨٢] [الشعراء: ٦٩ - ٨٢].

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [٥١] إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عِزِّونَ﴾ [٥٢] قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ﴾ [٥٣] لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَعِبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [٥٤] قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ [٥٥] قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [٥٦] وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُواْ مُدْرِينَ﴾ [٥٧] فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [٥٨] قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٥٩] قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [٦٠] قَالُوا فَاتُواْ بِهِ عَلَى عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [٦١] قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [٦٢] قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَأْذَنُواْ مِنْهُمْ إِنْ كَانُواْ يَنْطِقُونَ﴾ [٦٣] فَرَجَعُواْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [٦٤] ثُمَّ تُكْسُواْ عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ [٦٥] قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [٦٦] أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [٦٧] قَالُوا حَرِّقُوْهُ وَانصُرُواْ آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [٦٨] فَلَمَّا يَنْتَرُ كُونِيْ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [٦٩] وَأَرَادُواْ بِهِ كَيْدًا

فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ [الأنبياء: ١٥-٧٠]،

ولم تكن لهم إجابة إلا أنهم وجدوا آباءهم لها عابدين كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء: ٧٤]، وبقوله تعالى: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنبياء: ٥٣].

وأخذ إبراهيم - عليه السلام - يبين لهم خطر الشرك بالله تعالى وعاقبة المشركين كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوِيكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرٍ ﴿٧٥﴾﴾ [العنكبوت: ٢٥]. عند ذلك لم يجد إبراهيم - عليه السلام - بداً من الإغلاط عليهم وإحكام خطة تجتث مصادر الشرك من قلوبهم بعد أن علم أنهم مقلدون وأن شبهة النفع والضرر من دون الله بحاجة إلى برهان محسوس يستأصلها من قلوبهم ويكون دليلاً واضحاً على أنها لا تدفع عن أنفسها الضرر فكيف بغيرها، ومن هذا حاله لا يصلح أن يكون إلهاً يعبد ومضى الخليل - عليه السلام - يتحين الفرصة المؤاتية للقيام بعمل جريء يجتمع عليه قومه يكون درساً في التوحيد عملياً مهما كانت النتائج، ووجد الفرصة الفريدة حينما دعاه القوم إلى الخروج معهم إلى خارج البلد لحضور عيدهم، عندها تظاهر بالسقم واعتذر عن الخروج فعدروه كما حكى الله عنه بقوله: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٨-٩٢]. وغاب عنهم ما وعد به من تحطيم أصنامهم حينما قال: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدِيرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنبياء: ٥٧].

فلما خلا المكان لإبراهيم عليه السلام حمل فأسه واتجه صوب الأصنام وأخذ يحاورها حوار المستهزي بها، فقال: ﴿فَرَأَى إِلَآءَ الْهِنَمِ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الصافات: ٩١-٩٣]. عند ذلك استشاط عليها غضباً ومال عليها مسرعاً يضربها بساعد قوى وفأس متين فلم يبق لها قامة إلا كبيرهم اقتضت الخطة بقاءه ليكون موضع الحوار مع قومه كما قال الله تعالى: ﴿فَرَأَى إِلَآءَ الْهِنَمِ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الصافات: ٩١-٩٣]. وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ جُذَاآءَ الْكَبِيرِ لَّهُمْ لَعَلُهُمْ إِلَآءَ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنبياء: ٥٨].

وبهذا انتهى الفصل الأول من المهمة وعاد إبراهيم عليه السلام وعاد القوم من عيدهم، وآثاره باقية على وجوههم وكان من تعلقهم بأصنامهم أنهم لم يبادروا شيئاً دونها، غير أن المفاجأة العظيمة تنتظرهم إنها أصنامهم المحطمة، عندها ثارت ثائرة الكفر والحمية على معبوداتهم فنادوا في غضب شديد: ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنبياء: ٥٩] فتذكر بعضهم

ما أوعد به إبراهيم بقوله: ﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [٥٧] [الأنبياء: ٥٧]. فقالوا كما حكى الله عنهم: ﴿سَمِعْنَا فَقَيِّدْهُمْ يَوْمَ يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠].

وهنا وجد القوم ضالتهم وصاحوا قائلين: ﴿قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٦١]، وكان إبراهيم - عليه السلام - ينتظر هذا الموقف الذي يجتمع فيه الناس لدعوتهم إلى الله وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام وإقامة الحجة عليهم.

وبدأت المحاكمة قالوا: ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢] قال: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

وهنا أحرز إبراهيم عليه السلام أول بوادر النصر إذ الإجابة معلومة لكنهم كابروا ولا موا أنفسهم أنهم لم يبقوا حرساً شديداً يمنع آلهتهم من العدوان عليها، كما حكى الله عنهم بقوله تعالى: ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٤]. لكن إبراهيم ينتظر الإجابة فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥].

هنا اغتنم إبراهيم - عليه السلام - الفرصة وجعلها خاتمة الحوار وأعلن نتيجة خسارتهم فقال على رأس الملاء كلمة الحق الخالدة: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٦، ٦٧].

وهكذا أيد الله رسوله بالحجة الباهرة كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣].

لكن أهل السلطنة الظلمة إذا خسروا قوة الدليل عمدوا إلى قوة الحديد والنار فتنادوا قائلين: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]. فانفلت كل شقي يجمع الحطب، حتى جمعوا ما يوقد ناراً عظيمة، وأضرمت النار واشتد لهيبها، وارتفعت ألسنتها واكتمل أوارها، وأخذت تقذف بالشر عندئذ ساقوا نبي الله وخليله إليها، فلما لم يقدروا القرب منها قدح الشيطان في أذهانهم أن ارموه بالمنجنيق، وهي آلة يرمي بها من بعد ولما ارتفع في السماء ورآه كل أحد وهو يهوي إلى النار أيقنوا لا محالة هلكته وتحوله فحماً رماداً عندها نادى إبراهيم الركن الشديد ومن بيده تحويل الحال من سوء إلى أحسن حال فقال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ

الْوَكِيل ﴿١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣] ^(١)، كما جاء في صحيح البخاري .
وما هي إلا غمضة بصر أو أقل وإذا بالرَّوْح والفرج قال الله الودود
كلمته الرحيمة: ﴿يَنَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩]، فبطل
مفعول النار وانقلبت كالأم الرؤوم تحتضن جنينها، قال ابن عباس - رضي
الله عنهما - «لولا أنَّ الله عزَّ وجل قال: ﴿وَسَلَامًا﴾ لأذى إبراهيم بردها» ^(٢).
فسبحان الله: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء:
٧٠] ^(٣).

٢- صبره على أقدار الله المؤلمة:

ما مرَّ على إبراهيم عليه السَّلام من قومه ابتلاء عظيم ولكن الأعظم أن
يبتلى الرجل فيمن يحب، إنَّ إبراهيم عليه السلام بلغ سن الكهولة ولم يرزقه
الله الولد، فلما رآته زوجته سارة التي لا يولد لها قد شاخ أشفقت عليه
ووهبته جاريتها هاجر عساه يرزق منها الولد فقبل وأنعم الله عليه بإسماعيل
- عليه السلام - حليماً كما قال الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١١﴾﴾
[الصافات: ١٠١]، لكنه سرعان ما دبَّت الغيرة في قلب سارة عليها السلام
وهم جميعاً في أرض الشام عندها تصرف إبراهيم تصرف الحكيم ففرق بين
الزوجتين وأخذ هاجر وابنها الوليد إلى مكة في وادٍ لا أنيس به ولا زرع
يظلمهم ولا ضرع يغذيهم ولا ماء يرويههم فلما انتهى إليه وضعها به حيث أمره
الله وقفل راجعاً.

ولك أن تتخيل كم هو ابتلاء أن يترك الرجل زوجته وفلذة كبده
ووحيده بأرض قفر هكذا لكن حكمة الله اقتضت ذلك، والإجابة حاصلة،
واليقين بمن أنجاه من النيران أنَّه سوف ينجيهم من الهلكة إلى حين الأجل .
وكان إبراهيم - عليه السلام - يتردد عليهم بين الحين والآخر، وبلغ
الابن مع أبيه السَّعي وتعلق بأبيه ورأى إبراهيم في المنام أنَّه يذبحه ورؤيا
الأنبياء عليهم السلام حق يا إلهي كم هو ابتلاء وأي صعوبة على النفس
البشرية أن تستجيب لذلك، وأن تباشر الذبح بيدها لكن أمر الله أعظم
والتسليم لحكمه ألزم والشروع في تنفيذ أوامره لا يقبل التأخير أو التردد،
فأقبل إبراهيم الأب الحاني على ابنه يعرض عليه الأمر الرباني الذي لا مناص
منه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ
يَتَأَبَّى أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الصافات: ١٠٢] .

(١) صحيح البخاري، الفتح (٢٢٩/٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٣٤٦/٥).

(٣) راجع: قصص الأنبياء، لابن كثير (١٦٧/١) وما بعدها.

هنا انتهى الحوار وجاء التنفيذ وأخذ إبراهيم يسوق ابنه إلى مرقدہ الأخير ليذبحه كما تذبح الشاة، فأضجعه على جبينه وسلمهما إلى الله تعالى واستل إبراهيم السكين ولم يبق إلا الذبح وتفجر الدماء وإبراهيم - عليه السلام - قد أخذ السكين بقوة، وألقى الصبي على قفاه كي لا يرى وجهه فتزداد لوعته.

وفي هذه اللحظة الحاسمة والنسمة الأخيرة لإسماعيل والسكين مقبلة عليه بالموت المحقق عندها تجلت عناية الله ورحمته بعباده المحسنين منادياً عبده الطائع كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّى لِلْجَبِينِ ﴿١٠٦﴾ وَنَدَيْتُهُ أَنْ يَتَابِعْهُ ﴿١٠٧﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٦]، وفدى الله إسماعيل - عليه السلام - من فوق السماوات بذبح عظيم إنه كبشٌ وجده إبراهيم قد أعده له بأمر الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٧]، وهكذا يكون الصبر على الابتلاء وعلى الأقدار المؤلمة من مرشحات الإحسان العظيمة كما قال تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٨-١١٠]^(١).

٣- إحسان إبراهيم - عليه السلام - بإكرامه الضيفان.

إنَّ إبراهيم - عليه السلام - قدوة عظيمة في صبره وجهاده وهو قدوة كذلك بما ضربه من أروع المثل في إكرامه ضيفه حتى أنه كان يكنى بأبي الضيفان لكثرة غشيانهم بيته وعظم إكرامه لهم، وقد نوه الله بذكر كرمه في كتابه العزيز حيث قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَىٰ إِلَيْكَ أَهْلَهُ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٧]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَسِيدٍ ﴿٦٩﴾ ﴾ [هود: ٦٩].

ووجه الدلالة على كرمه الآتي:

أولاً: أنَّ إبراهيم - عليه السلام - لم يوكل بأضيافه أحداً يخدمهم، وإن كان ذلك مقبولا إلا أنه من غاية كرمه وحبه وتفانيه لأضيافه يخدمهم بنفسه مع سمو مكانته ورفعة درجته عند الله تعالى وعند المؤمنين، فسمى الله ضيوفه مكرمين^(٢).

ثانياً: أنَّ إبراهيم رد السلام بعبارة أحسن من عبارة الرسل عليهم السلام زيادة في الإكرام، قال ابن عطية - رحمه الله - حيا الخليل بأحسن مما

(١) راجع: قصص الأنبياء، لابن كثير (١/١٦٩ وما بعدها).

(٢) انظر تفسير القرطبي (١٧/٣١).

حُبِّي بِهِ (١).

ثالثًا: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بعد أن رَحِبَ بِضَيْفَانِهِ وَحِيَاهُمْ أَحْسَنَ تَحِيَّةَ مَالٍ مُسْرِعًا إِلَى أَهْلِهِ يَبَاشِرُ قَرِيءَ أَضْيَافِهِ، وَهَنًا انْطَلَقَ إِلَى مَنْزِلِهِ كَالْمُسْتَخْفِي مِنَ ضَيْفِهِ، لئَلَّا يَظْهَرُوا عَلَى مَا يَرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذَ لَهُمُ مِنَ الطَّعَامِ (٢).

وَفِي هَذَا الْمَشْهَدِ مِنْ رَوْعَةِ الْكَرَمِ مَا يَعْرِفُهُ الْكِرْمَاءُ وَمَنْ نَزَلَ ضَيْفًا عَلَى الْكَرِيمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦].

رابعًا: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اخْتَارَ أَسْرَعَ الْوَسَائِلِ لَطَهْيِ الطَّعَامِ وَهُوَ الشَّوَاءُ، ثُمَّ إِنَّ الشَّوَاءَ مِنَ الْأَذَى الطَّعَامِ، لَا سِيَّمَا لِمَنْ كَانَ بِعِيدٍ عَهْدَ بِهِ، وَفِي نَظَرِهِ أَنَّ هَؤُلَاءَ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ.

خامسًا: أَنَّ مِنْ شِدَّةِ كَرَمِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّهُ اتَّخَذَ نَعْمًا احْتِسَابًا لِلضَيْفَانِ، وَاخْتَارَ أَحْسَنَهَا سَنًا وَأَكْثَرَهَا شَحْمًا وَلَحْمًا طَيِّبًا، وَهُوَ الْعَجَلُ، وَالْعَجَلُ وَلَدُ الْبَقَرَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩].

سادسًا: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ يَرْغِبُ أَضْيَافَهُ وَيُحَثِّهِمْ عَلَى الْأَكْلِ، وَفِي ذَلِكَ مُؤَانَسَةُ الضَّيْفِ وَرَفْعُ كَلْفَةِ عَدَمِ الْأَكْلِ عَنْهُ.

هَذَا وَلَعَلَّ فِي الْآيَاتِ الطَّافًا تَدُلُّ عَلَى كَرَمِ إِبْرَاهِيمَ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا، وَلَا شَكَّ أَنَّ بَذْلَ النَّدَى، وَإِكْرَامَ الضَّيْفِ مِنْ مَرَشَحَاتِ الْإِحْسَانِ، لِذَلِكَ ذَكَرَ اللَّهُ صِفَاتَ الْمُحْسِنِينَ، وَعَقِبَ بِإِكْرَامِ إِبْرَاهِيمَ أَضْيَافَهُ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ وَاضِحَةٌ إِلَى أَنَّ الْكَرَمَ صِفَةٌ لَازِمَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمُحْسِنِينَ، وَلَعَلَّ ذَكَرَ قِصَّةَ إِكْرَامِ إِبْرَاهِيمَ أَضْيَافَهُ أَعْظَمَ مِنْ ذَكَرِ الْكَرَمِ مُصَفِّوًّا مَعَ صِفَاتِ الْمُحْسِنِينَ فِي الْآيَاتِ مُجَرَّدًا، إِذِ الْقِصَّةُ أَوْقَعَ فِي النَّفْسِ وَلَيْسَ ذِكْرُهَا مُجَرَّدُ سَرْدٍ فَقَطْ بَلْ لَأَخَذَ الْقُدُوءَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [١٥] أَخَذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ [١٦] كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ [١٧] وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [١٨] وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ [١٩] وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ [٢٠] وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ [٢١] وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ [٢٢] فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ [٢٣] هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ [٢٤] إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ [٢٥] فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ [٢٦] فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ [٢٧] فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِنِعْمَةٍ عَلِيمٍ [٢٨] [الذاريات: ١٥ - ٢٨].

(١) تفسير التحرير والتنوير (١٢/١١٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٧/٣١).

ثالثاً: يوسف - عليه السلام - .

أ - نسبه

هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام - .

ب - مولده:

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - إنَّ أم يوسف - عليه السلام - لم يكن يولد لها .

واسمها - راجيل - فدعت الله تعالى، وسألته أن يهب لها غلاماً من يعقوب، فسمع الله نداءها وأجاب دعاءها، فحملت من نبي الله يعقوب - عليه السلام - فولدت له غلاماً عظيماً شريفاً حسناً جميلاً سمته يوسف . . . وهم مقيمون بأرض حران^(١) .

ج - نشأته - عليه السلام -

نشأ يوسف - عليه السلام - في حجر والده المحب له وقد كان يرعاه أشد الرعاية ويؤثره على إخوته لما رأى من علامات النبوة عليه، إلا أنَّ ذلك الحب والإيثار كان سبباً في معاناة يوسف - عليه السلام - مع إخوته حيث كادوا له وأزمعوا التخلص منه وهو صبي صغير لا يملك أن يدفع عن نفسه تلك المؤامرة الخطيرة: ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۖ اقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهٌ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۖ ﴾ [يوسف: ٨ - ١٠] .

د - مكانة يوسف بين الأنبياء والرسل - عليهم السلام -:

يوسف عليه السلام كريم وابن كرام لما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قيل يا رسول الله مَنْ أكرم الناس؟ قال: «أكرمهم أتقاهم» فقالوا: ليس عن هذا نسألك قال: «فأكرم الناس يوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله» قالوا نعم قال: «فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، إذا فقهوا»^(٢) .

هـ: صور من إحسان يوسف - عليه السلام -

الصورة الأولى: عظم عفوه وصفحه وغفرانه .

إنَّ العفو والصفح والمغفرة للمسيئين إذا قدر عليهم المرء من أعظم خصال الإحسان، ويوسف - عليه السلام - ضرب مثلاً رائعاً لمن جاء بعده في هذا الخلق الكريم إذ أنَّ إخوانه، كانوا عشرة لما رأو ميل أبيهم إلى

(١) البداية والنهاية (١/ ١٩٥) .

(٢) صحيح مسلم (٢/ ١٨٤٦) (٢٣٧٨) .

يوسف - عليه السلام - غاظهم ذلك، وأجج الشيطان نار الحقد والعداوة في قلوبهم، وبدأوا يفكرون في وسيلة يتخلصون بها من يوسف، ليخلو لهم وجه أبيهم، وانتهوا إلى حيلة هي أن يتظاهرون أمام أبيهم بمحبة أخيه، والشوق إلى رفقته في رحلة برية يرتع فيها ويلعب: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ﴾ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ﴾ (١٤) [يوسف: ١١ - ١٤]. وأذن الأب مع تخوفه على يوسف - عليه السلام - حتى إذا ابتعدوا به انهالوا عليه ضربًا واحدًا تلو الآخر، وكلما ضربه واحد استغاث بالآخر، ولكن هيهات لا رحمة^(١) ولما قارب الهلكة نادى أعقلهم: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (١٥) [يوسف: ١٥]

فامتثلوا الرأي وعلقوه بحبل ثم ألقوه في قعر البئر، ثم ولوا مدبرين معتقدين أَنَّ البئر أمست مقبرة له، إِلَّا أَنَّ رحمة الله ولطفه الخفي أحاط بيوسف، فأرسل إليه جماعة من الناس مسافرين، وفي تلك البقعة احتاجوا إلى الماء، فأبصروا البئر وعليها الدلاء، فأدلوها في البئر وظنوا ثقل الدلاء طالعا أَنَّهُ الماء، ولم يفجأهم إِلَّا الغلام متعلقًا به، فلما رأوه استبشروا به أيما استبشار، إذ هو سلعة مرغوبة، وأمَّا إخوته فعادوا إلى أبيهم وكان ما أرادوا، عندها جاءوا بقميص يوسف - عليه السلام - ملطخًا بالدم زاعمين أَنَّ الذئب على حين غفلته منهم أكله، وَأَنَّ هذا ما كان كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمَا عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذُهِبْنَا سَتِيقًا وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (١٧) وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (١٨) [يوسف: ١٦، ١٨].

لقد وقع يوسف - عليه السلام - في ظلم جديد فبدل أن يحسن إليه هؤلاء الرفقة ويعيدونه إلى والده لتقر عينه به وهذا واجب أهل المروءات إِلَّا أَنَّهُمْ وبالسوء الصنيع أضمرُوا في أنفسهم أن يكون رقيقًا يباع ويشترى، ولما لم يكن بحسبانهم مكانة هذا الصبي باعوه بثمان بخس، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩) وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (٢٠) [يوسف: ١٩، ٢٠]، وكان السوق الذي يباع فيه يوسف عليه السلام مصر، وسخر الله تعالى عزيز مصر وهو أحد وزراء الملك أن يشتريه

(١) انظر: تاريخ الطبري (١/٣٣٢).

وزهب به إلى زوجته وطلب إكرام مثواه رجاء منفعته أو اتخاذه ولداً كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [يوسف: ٢١].

وفي بيت عزيز مصر دارت أحداث دامية، هي أشد ابتلاء على يوسف من الجب، وسيأتي الحديث عنها في عفة يوسف - عليه السلام - ومن هذا البيت الذي تديره امرأة شهوانية إلى السجن ويمكث العبد الصالح فيه سنين من دون ذنب اقترفه إلا أنه استعصم من الفاحشة، وشاءت إرادة الله أن يرى الملك رؤيا أرقته وجمع لها رجال دولته، ولم يجد تأويلاً لها شفي غليله، وهنا تذكر أحد السجناء مع يوسف - عليه السلام - بعد خروجه براءة يوسف في تأويل الرؤى فأرشد الملك إلى علم يوسف - عليه السلام - وقدرته الدقيقة في تأويل رؤياه وسرعان ما طلب الملك يوسف - عليه السلام - ، إن يوسف - عليه السلام - عالم بتأويل الرؤى، كما قال: ﴿ ذَلِكُمَا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ [يوسف: ٣٧].

وقد جرب قدرته الصادقة على ذلك فقد فسر لكل واحد رؤيا وكانت كما فسر فالسجين الأول: الذي قال: ﴿ إِنِّي أَرَبْتُيَ أَغْصُرُ خَمْرًا ﴾ [يوسف: ٣٦]، قال له يوسف - عليه السلام -: «ستكون من حاشية الملك، وتقدم إليه ما يشرب من خمر».

وللسجين الثاني: الذي قال: ﴿ إِنِّي أَرَبْتُيَ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا ﴾ [يوسف: ٣٦]. قال له يوسف - عليه السلام - سيحكم عليك بالموت، ثم تصلب، وتترك في العراء حتى تأكل الطير من لحم رأسك، ولذا كان نداء الناجي: ﴿ يَٰيُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٦].

وفسر الصديق هذه الرؤيا أحسن تفسير: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ ﴾ [٤٧] ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصِنُونَ ﴾ [٤٨] ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴾ [٤٩] [يوسف: ٤٧، ٤٩].

وهنا لم يكتف يوسف - عليه السلام - بتأويل الرؤيا، بل حرص على دفع الخطر والمهلكة المرتقبة للناس، فوضع الحلول المناسبة الناجحة فأمرهم أن يقسموا الحصاد قسمين:

الأول: يدخر في سنبله حتى لا يأكله السوس، أو الآفات، وفي ذلك من براعة حفظ الأغذية ما لم يكن يعرف من قبل.

والثاني: يؤكل باقتصاد مخافة الجفاف والمجاعة، حتى تنتهي سبع السنوات الشداد وتأتي الثامنة وقد أغاث الله فيها الناس وهنا أثار هذا التأويل العجيب

نفس الملك، وطلبه على الفور ومنحه عفواً من السجن، لكن الصديق الذي سجن ظلماً وعدواً أراد إظهار براءته على رؤوس الأشهاد من تهمة امرأة العزيز له، وجيء بامرأة العزيز والنسوة معها ودارالسؤال والجواب وأعلن: ما علمنا عليه من سوء، : ﴿قَالَتْ أَمَرْتُ الْعَزِيزَ أَنْ حَصْحَصَ الْحَقَّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١].

وكان جزاء هذا الإتيان والعفة: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤]، ولقد كان الملك حكيماً عندما قرب يوسف - عليه السلام - فإنه الرجل القادر بإذن الله لإدارة دفة الاقتصاد في البلد، وإخراج الناس من مجاعة محدقة.

ولما لم يكن الملك عالماً بجميع قدرات يوسف - عليه السلام - أبدى صفاته: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

ولله تعالى في ذلك حكمة تتسق معها قصة يوسف - عليه السلام - مع إخوته.

ولما باشر يوسف - عليه السلام - الوزارة بمصر، ومضت سبع السنين المخصية، ثم تلتها سبع السنين المجدة كما فسر رؤيا الملك. عم القحط بلاد مصر بأكملها، ووصل إلى بلاد الشام، وهي التي فيها يعقوب - عليه السلام -، وأولاده قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦].

كان الناس يردون على يوسف - عليه السلام - من كل الأقاليم المجاورة يطلبون القوت.

وممن جاء إخوته - عليه السلام - من أرض الشام إلى مصر طلباً للطعام فدخلوا عليه فعرفهم ولم يعرفوه فرحب بهم أيما ترحيب، وكان خير المنزلين لهم ضيافة وحسن لقاء، وأكرمهم بوفاء الكيل، وقبل أن تحمل الإبل كان شرط يوسف - عليه السلام -.

أنه لن يعطيهم ما جهّزهم به إلا إذا رجعوا وأتوا بأخ لهم من أبيهم، وإلا فلا كيل ولا وزن ولا إقامة لهم هنا، ولا ترحيب، قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [٥٨] وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُؤْنِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [٥٩] فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ [٦٠] قَالُوا سَتَرُوهُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ [٦١] وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ أَجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٦٢] فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَنَعَ مِنَّا الْكَيْلَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [٦٣] قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَأَلَّه خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [٦٤] وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ

بِضَعْنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ [يوسف: ٥٨-٦٦].

فلما جاءوا بأخيهم قرّبه يوسف - عليه السلام - إليه وأعلمه بأنّه أخوه وعليه ألاّ يخبر بذلك، وأخذ يوسف - عليه السلام - في تنفيذ خطة محكمة لإبقاء أخيه عنده، فجذبهم بالطعام وأمر بالصواع أن توضع في رحل أخيه الصغير، وتحركت القافلة نحو الشام وهم بأحسن حال وأخوهم برفقتهم، ولما قطعوا مسيرةً وإذ بصوت يناديهم نفقد صواع الملك، ولمن جاء به البراءة وحمل بعير من الطعام.

ولما كانوا على يقين أنّهم لم يسرقوا الصواع أقسموا على براءتهم من السرقة، وهنا انتهزها المنادي فرصة، قال فما حكم من فعل ذلك قالوا حكمه في شريعتهم أن يُسْتَرَقَّ وهنا تمكن يوسف من إبقاء أخيه بحوزته، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتَنَا لِنُغِثَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: ٦٩-٧٦].

وأخذ الإخوة يلحون على العزيز في العفو عن أخيهم أو أخذ أحدهم مكانه وأخذوا ينادونه بصفة الإحسان عليه يخلصهم من هذه المحنة قالوا: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦].

وأبى يوسف - عليه السلام - أن يأخذ أحدهم مكانه: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا ظَلَمْنَا لَنَا وَلِزِيَادَةِ نَكْبَتِهِمْ لَمْ يَكْتَفُوا بِمَا فَعَلُوا بِيُوسُفَ مِنْ قَبْلَ، بَلْ كَالُوا لَهُ تَهْمَةً أُخْرَى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾﴾ [يوسف: ٧٧].

وانتهى الموقف بإبقاء يوسف لأخيه، وضاق الأمر على الإخوة بعد أن أخفقت محاولاتهم في إنقاذه وعقدوا اجتماعاً لمواجهة هذه المشكلة وكان أرشدهم ألزم نفسه البقاء بمصر حتى يأذن له أبوه أو يحكم الله حكمه وهو خير الحاكمين، وأمرهم بالرجوع إلى أبيهم وإخباره وقائع الحادثة كما هي:

﴿ أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيْبَكُمْ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّ أَبْنَاكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ ﴿٨١﴾ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ [يوسف: ٨١-٨٢]. وزادت المصيبة على الأب الحاني بفقد ابنه الآخر قال: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَّاسَفُنِي عَلَى يَوْسُفَ وَأَبِیْضَتَ عَيْنَاهُ مِنْ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ ﴿٨٤﴾ [يوسف: ٨٤].

ومع مرارة المواقف للأب المكلم لم يستطع الإخوة الصمت نحو اشتياق يعقوب ليوسف عليهما السلام وقد ظنوا أنَّ الأب أخذ ينسأه لبعد الزمن فلم يتمالكوا حيث قالوا: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ ﴿٨٥﴾ [يوسف: ٨٥]، لكن الأب يعلم من الله ما لا يعلمون فلم تزل رؤيا يوسف ماثلة أمام بصره وما يجده في قلبه من إمكانية اللقاء متجددة فأمر بنيه: ﴿ يَبْنِيْ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿٨٧﴾ [يوسف: ٨٧]. وعقد الإخوة العزم على البحث، واتخذوا من طلب الإحسان من يوسف بالكيل مرة أخرى ذريعة إلى الوصول إليه، وكانت المفاجأة الكبرى حين أفصح يوسف - عليه السلام - عن نفسه: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَتَيْتَكَ لِأَنْتَ يُّوسُفُ قَالَ أَنَا يُّوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيَصِيرَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٩٠﴾ [يوسف: ٨٨-٩٠].

وما كان من الإخوة إلا أن سلموا للحق: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَشْرَكْنَا اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ ﴿٩١﴾ [يوسف: ٩١]. وعند هذا المشهد المثير والقدرة على الانتقام تحركت مشاعر الإحسان عند يوسف - عليه السلام - فقال: ﴿ قَالَ لَا تَعْرِيبُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ﴿٩٢﴾ [يوسف: ٩٢].

فيا سبحان الله كَظُمٌ للغیظ، وصفح جميل، وعفو كريم، ثم يدعو الله لهم بالمغفرة، وعدم المؤاخذه، ويرفع مشاعر الطمع في رحمة الله في قلوبهم بأنه أرحم الراحمين، وهكذا يمتد إحسان يوسف - عليه السلام - ليجمع أسرة يعقوب جميعاً ويُنْزِلُ أبويه مقاماً كريماً فأرسلهم على التو إلى يعقوب - عليه السلام - وجعل لهم أمانة صدق ودواء لعيني يعقوب التي ذهب البكاء على يوسف بضوئها تلك الأمانة والدواء قميصه الذي نزع من على جنبه: ﴿ أَدْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٩٣﴾ [يوسف: ٩٣]. هنا لم يستطع الإخوة الصبر على هذا الشوق

والمحبة ليوسف: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥].
وبدا مشهد مثير آخر مع يعقوب - عليه السلام - وبقية أبنائه: ﴿قَالُوا
يَتَابَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩٧].

وتحركت قافلة آل يعقوب إلى مصر إلى يوسف وأخيه ليجتمع الشمل ويفرح الجميع بفضل الله ورحمته. ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا
مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [٩٩] وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَابَتَ هَذَا تَوَإِيلُ
رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ
بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [١٠٠-٩٩ يوسف: ١٠٠]

وتوج يوسف إحسانه بهذا الاعتراف لله تعالى بالفضل والدعاء الحسن:
﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ
وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].
إنها صور رائعة من إحسان هذا النبي الكريم عليه السلام، حريّة بأن
تكون نبراساً لكل من أراد السمو والرفعة إلى مرتبة الإحسان الكريمة^(١).

(١) انظر قصته كاملة في: البداية والنهاية (١/ ١٩٥ وما بعدها).

رابعاً: موسى عليه السلام.

أ - نسبه:

هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليه السلام - .
مولده:

ولد موسى عليه السلام في أرض مصر في عهد فرعون ويقال إن فرعون اسمه: «الوليد بن مصعب»^(١)، وفرعون يطلق على كل من ملك مصر من العمالقة^(٢)، وفرعون هذا لم يحكم مصر أسوأ منه^(٣).
ج - صفاته الخلقية:

جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «رأيت ليلة أُسري بي موسى، رجلاً آدم طوالاً، جعداً، كأنه رجال شنوءة...»^(٤).
د - مكانته بين الأنبياء والرسل عليهم السلام:

موسى - عليه السلام - أحد أنبياء الله تعالى ورسله عليهم السلام، وهو من أولي العزم الخمسة المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَصَّيْنَاهُ نُوْحًا وَأَلْزَمْنَا الْوَحْيَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]

وقد اختص الله تعالى موسى - عليه السلام - من دون الرسل والأنبياء بأن كلمه من دون ترجمان أو واسطة حيث قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿قَالَ يَمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].
وموسى محسن أيما إحسان كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤].

هـ - صور من إحسان موسى - عليه السلام -

الصورة الأولى: ثقة موسى بالله تعالى ونصرته للمؤمنين.

عندما علا فرعون وتجبر في الأرض بغير الحق، وصادر الحرية الشخصية للناس، وأذل بني إسرائيل ووصل به الحال إلى ادعاء الربوبية والألوهية، شاءت إرادة الله تعالى أن يرسل رسولا يدفع الباطل عن الخلق ويرد بإذن ربه الحق إلى نصابه، ويجرد الناس من العبودية لفرعون، وكانت

(١) تاريخ الطبري (٣٨٧/١).

(٢) روح المعاني: (١٧/٧).

(٣) البداية والنهاية (٢٥٧/١).

(٤) صحيح البخاري (١١٨٢/٣) (٣٠٦٧).

خيرة الله تعالى واصطفاه لهذه المهمة الكبرى أن انتدب لها موسى - عليه السلام - : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّخُّ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [٤] ونريد أن نؤمن على الذبك استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ﴿ ٥ ﴾ ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهلمن وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴿ ٦ ﴾ [القصص: ٤-٦].

وقد حكى تعالى عن هذا الطاغية الجبار دعواه الربوبية والألوهية حيث قال: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨].

ولم يكتف المجرم الأفاك بهذا بل أخذ يسخر من موسى - عليه السلام - فقال: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزخرف: ٥٢]. وطالت مدة المواجهة بين موسى - عليه السلام - وفرعون، وتعددت فصولها، ومنها أن موسى - عليه السلام - اتخذ أسلوب اللين والدعوة بالتي هي أحسن، وأراه من الآيات والمعجزات الباهرة ما جاء ذكره في القرآن، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ [٤٣] فقولاً لهما لعلنا نذكر أو يخشى ﴿ ٤٤ ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]، لكن ذلك لم يجد وخشي موسى على نفسه من بطش فرعون: ﴿ إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُقْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ [٤٥] [طه: ٤٥]. وهذا الذي حصل، فقد توعد فرعون، وأرعد وأزبد، أن يأتي أحد رعيته بما لا يرضاه: ﴿ قَالَ لَنْ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٦-٢٩].

واتخذ فرعون احتياطاته لدفع هذه الدعوة فاستعان برجال دولته ورعيته لمواجهة موسى ومن معه من العصابة المؤمنة: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤].

وهكذا أصر فرعون وقومه على الكفر ورفض الدعوة فأنزل الله عليهم العذاب لعلهم يؤمنون ولكنهم أبوا كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا تَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [١٣٦] فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿ ١٣٧ ﴾ [الأعراف: ١٣٢، ١٣٣].

ومع هذا العذاب شعر فرعون وقومه باشتداد الوطأة عليهم فاتجهوا إلى موسى - عليه السلام - كاذبين أنه إذا دعا ربه وكشف عنهم العذاب فسيؤمنون، ويرسلون معه بني إسرائيل قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيَن كُشِفَتْ عَنَّْا الرِّجْزُ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ [١٣٨] فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿ ١٣٩ ﴾ [الأعراف: ١٣٤، ١٣٥].

فلما نكثوا ما عاهدوا عليه موسى دعا عليهم فقال: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا

إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ [يونس: ٨٨ - ٨٩].

عند ذلك لما أيقن موسى - عليه السلام - بهلاك القوم الظالمين عزم على الخروج من مصر بمن معه من بني إسرائيل، حتى لا يصيبهم ما يصيب القوم الظالمين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ [طه: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ [الدخان: ٢٣].

وأخذ موسى - عليه السلام - بني إسرائيل وتحرك بهم في جنح الظلام، ولكنه لم يكن بخافٍ عن جواسيس فرعون الذين أبلغوه تحرك بني إسرائيل، فنادى فرعون في أركان دولته وجمع جنده والكبراء من رعيته، وشاءت إرادة الله تعالى أن يكون مسير موسى - عليه السلام - صوب البحر وهذا ما أطمع فرعون في إدراكهم إذ أنه لا مفر من المواجهة بعد أن يردهم البحر إليه، وموسى - عليه السلام - يتولى قيادة هذا الرهط المؤمن الفار بدينه وعقيدته من الطغيان والاضطهاد، وسارت الجموع، وانتهى الليل بعد طول مسير، وبزغت الشمس ورأى كل فريق صاحبه، ولم يفاجيء بني إسرائيل إلا البحر أمامهم، فأثى لهم عبوره بغير وسيلة وهم يقربون منه، وجند الباطل يقتربون منهم، واشتد الكرب، وقربت ساعة الصفر، فصاحوا في موسى - عليه السلام - هذا فرعون وجنده إنه يقترب إنا لمدركون: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ [الشعراء: ٦٠ - ٦١]، غير أن الواثق بربه الموقن بنصره العالم أن الله معه يسمع ويرى، وأنه تعالى الركن الشديد، والقوة التي لا تقهر، وأن بطشه شديد، نادى في بني إسرائيل وقد بلغت القلوب منهم الحناجر ويظنون بالله الظنونا: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ﴿٦٢﴾ [الشعراء: ٦٢] وعلى التو وبدون تأخير يأتي الفرج والروح من الله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

وانفلق البحر ووقفت المياه كالجبال العظيمة، وسارت الجموع المؤمنة وكأنما يسيرون على اليبس، وعاد الأمن إلى قلوبهم، إن من أنجاهم من فرعون قادر على إنجائهم من الغرق: ﴿فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ ﴿٧٧﴾ [طه: ٧٧].

غير أن فرعون لم توقفه هذه الآية العظيمة، ويثوب إلى رشده ويترك موسى والثلة المؤمنة في شأنها، بل تناسى ذلك كله وأخذته كبرياؤه وصلفه إلى ولوج البحر، غير عابىء بما قد يحصل، شأنه شأن الطغاة الذين يفسرون هذه المعجزات العظيمة بأنها من حتميات الطبيعة، أو من قبيل الصدفة وأنه

لا دخل للقدرة الإلهية في ذلك، قال تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ [يونس: ٩٠]، وكانت النتيجة: ﴿وَأَزَلَقْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ وَأَفْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الشعراء: ٦٤-٦٦].

ووقف قوم موسى على الشاطيء الآخر، يشاهدون هذه الخارقة الإلهية، وكان يوماً عظيماً تعظمه الأمم المسلمة إلى يومنا هذا قال الله تعالى: ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِآثَمِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ [الشعراء: ٦٧، ٦٨].

وأما فرعون فشاءت القدرة الإلهية أن يكون له مواقف هي شدة في النكاية وعبرة لكل جبار عنيد. قال تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

ولكن هيهات أن يُقْبَلَ منه ذلك وقد أصبح لا حول له ولا قوة وهو في الغرغرة قال تعالى: ﴿ءَأَكْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ [يونس: ٩١، ٩٢].

الصورة الثانية: إحسان موسى عليه السلام في الوفاء بالعهود.

والقصة أنَّ موسى - عليه السلام - لما خرج من مصر الخروج الأول إلى أرض مدين، بعد أن استغاثه الذي من شيعته على الذي هو من عدوه للمرة الثانية، وكان قد ظنَّ الإسرائيلي عندما أقبل موسى عليه السلام لنصرته أنَّه يريد ضربه والانتقام منه دون الفرعوني فصاح في موسى عليه السلام: ﴿قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [يونس: ١٩]. فطار بها الفرعوني وأخبر أنَّ موسى هو قاتل الفرعوني الأول. عندها بعث فرعون جنده لقتل موسى، لكن الله تعالى أرسل لموسى من أعلمه الطلب له ونصحه بالخروج كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ أَلَمَّا يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنَّ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ [القصص: ٢٠، ٢١].

واختار موسى - عليه السلام - أرض مدين مهاجراً له يفر بنفسه إليه من فرعون وجنوده: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

وكانت رحلة شاقة بما تعنيه كلمة شاقة، إذ لا زاد ولا راحلة ولا يدرى موسى - عليه السلام - نهاية هذه الرحلة الزمانية والمكانية.

وفي الطريق أبصر - موسى عليه السلام - بئراً والناس يزدحمون عليها كلهم يريد الماء قبل الآخر، ووجد امرأتين منحازتين عن الناس لم يتركوا لهما مجالاً للسقي، وهنا تحركت شهامة موسى - عليه السلام - ورحمته لنجدتهن قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]. وعلى الفور قام موسى - عليه السلام - بعمل الإغاثة، ونافس الرجال ونزع لهما الماء، فلما قفلن راجعات تنحى موسى - عليه السلام - إلى الظل ودعا ربه بلسان الحال والمقال، وشكا إليه الحاجة: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]. وفي هذه اللحظة التي يترقب موسى فيها العناية الربانية، والمدد الإلهي، والرزق من لدن رب الأرباب ومسبب الأسباب، وإذ بإحدى المرأتين اللتين سقا لهما مقبلة إليه، في حشمة ووقار، شان العفيفات من المؤمنات تدعوه بصوت حبسه الحياء إنَّ له موعداً مع أبيها يجزيه أجر عمله الكريم لهن: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَبِي دَعَاكَ لِجَبْرِيلَ أَجَرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥]، والآية تطوى الأحداث والحوارات التي دارت بين موسى - عليه السلام - وأبي البنتين، ومن الحوارات التي يمكن أن تدار أنَّ شعيباً استخبر موسى - عليه السلام - عن ذاته وسبب مجيئه، وأنَّ موسى عرفه بنفسه وقصة خروجه، وأنَّ شعيباً بشره بالأمن والنجاة من فرعون، وجنده، وكانت إحدى البنتين قد أعجبها ما رأت من قوَّة موسى - عليه السلام - وشدته عندما سقى لهما، وأعجبها أكثر من ذلك أمانته حيث حفظ بصره من النظر إليها في مجيئها إليه وعودتها معه إلى أبيها، وأمام هذه التزكية والشهادة الصادقة لموسى عليه السلام، رأى شعيب أنَّ من الصَّالح له ولأهل بيته أن يزوج هذا الرجل الكريم بشمائله الطاهرة إحدى ابنتيه: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأَبَتِ اسْتَعْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَعَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [٢٦] قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [القصص: ٢٦]، وهنا انتقالٌ سريعٌ من وعشاء السفر، وعناء الطريق، وترقب موسى - عليه السلام - لأعين فرعون، إلى مفاوضة جادَّة من أجل النكاح وإبرام شروطه، إنَّه لا شيء يفسر به إلا أنَّ الله استجاب لموسى دعوته لما تولى إلى الظل، فسبحان من يجيب الداعي إذا دعاه وأركان هذا الزواج الآتي: موسى

عليه السلام العبد الصالح النبي الكريم زوج وتلك المرأة الوقورة الطاهرة، صادقة الحدس التي تربت في بيت استقامة وصيانة زوجة، والأب الفاضل الحريص على زواج ابنته من زوج رآه خيرة الأزواج، والمهر عقد إيجارة على رعي الغنم ثماني سنين فإن زاد عليها موسى اثنتين فذلك إحسان منه وما على علي المحسنين من سبيل: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨]. إِنَّ اللَّهَ تعالى حكمة عظيمة في بُعد موسى عن وطنه وانفراده برعي الغنم هذه المدة لتكون درساً عظيماً لموسى في القدرة مستقبلاً على رعاية مصالح بني إسرائيل والصبر على مشاق الدعوة، وهكذا قضى موسى عليه السلام الأجل ووفى بالعهد الذي أبرمه مع أبي البنت وانتهت ثماني السنوات وموسى يقوم بالمهمة خير قيام وزاد السنتين اللتين هما إحسان منه وقفل راجعاً إلى أهله بعد طول غيبة: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩].

خامساً: عيسى بن مريم - عليه الصلاة والسلام -

أ- نسبه :

هو عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن العازر ينتهي نسبه - عليه السلام - إلى داود عليه السلام^(١).
مولده :

ولد عيسى - عليه السلام - لغير أب معجزة كبرى وقدره إلهية عظيمة وأمه عليها السلام مريم كانت فضلى العابدات في زمانها طاهرة عفيفة فشاءت إرادة الله أن يهب لها ولداً وأن يجعلها وابنها آية وفتنة للعالمين : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [٤٥] وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [٤٦] [آل عمران : ٤٥ - ٤٦] أرسل الله جبريل ينفخ في طرف كمها فتحمل بإذن الله تعالى بعيسى - عليه السلام - قال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنْ الْقَنِينِ ﴾ [١٢] [التحریم : ١٢]. وهكذا أمر الله إذا أراد شيئاً : ﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا فَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٤٧] [آل عمران : ٤٧].

صفاته الخلقية :

كان عيسى - عليه السلام - ربعة ليس بالطويل ولا القصير، جميل البشرة إلى الحمرة له لمة بين منكبيه عريض الصدر. واللمة : شعر الرأس إذا قارب المنكبين.

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : «رأيت ليلة أُسري بي... ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً مربوع الخلق، إلى الحمرة والبياض...»^(٢). وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال النبي ﷺ «رأيت عيسى، وموسى، وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد، عريض الصدر...»^(٣).
مكانته عليه السلام بين الأنبياء والرسل :

عيسى - عليه السلام - عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وأحد أولي العزم الخمسة من الرسل كما قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣].

(١) البداية والنهاية (٥٦/١).

(٢) صحيح البخاري (١١٨٢/٣) (٣٠٦٧).

(٣) صحيح البخاري (١٢٦٩/٣) (٣٢٥٥).

د - صورة من إحسان عيسى - عليه السلام - في أدبه مع ربه تبارك وتعالى . .
كان مجتمع عيسى عليه السلام الذي بعث فيه مجتمعاً يهودياً منحرفاً
غيّروا وبدلوا وحرّفوا في شريعة موسى عليه السلام وكان على عيسى عليه
السلام أن يسعى جاهداً في ردهم إلى الصواب، وحيال عيسى - عليه
السلام - ودعوته المباركة انقسم اليهود إلى ثلاث فرق .

الفرقة الأولى: المؤمنة التي آمنت به وصدقته واتبعت أمره، وقالوا فيه
قول الحق، أنّه بشر خلقه الله كما خلق آدم من قبل من غير أب ولا أم،
وكما خلق حواء من غير أم وأنّ الله اصطفاه بالرسالة وأيّده بالمعجزات وهم
قلة استأصلت اليهود شأفتهم بعد عيسى - عليه السلام - .

الفرقة الثانية: فريق كفروا بعيسى وناصبوه العداوة ووشوا به، ووصفوا
ما جاء به من المعجزات أنّ ذلك لا يعدوا أن يكون سحراً لا حقيقة له .

والفريق الثالث: فتن به عليه السلام، ولم تستطع عقولهم التصديق بأنّه
عبد الله ورسوله، فجعلوه ابناً لله تعالى وإلهاً يعبد معه، وقد أخبر الله تعالى
عن تبرئة عيسى - عليه السلام - يوم القيامة ممّا قالوا بما فيه توبيخهم
وتقريعهم حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ۖ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأُمَّيَّي الْهَيْتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ
عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلٰمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا
أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ
الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٩] .

وفي هذه الآيات من إحسان عيسى - عليه السلام - في أدبه مع ربه ما
يعجز عنه القلم، ومن ذلك:

١- أنّ عيسى - عليه السلام - لم يبادر إلى نفي هذه السيئة العظيمة أولاً بل
نزه الله عن ذلك وقده أن يكون معه إله ﴿قَالَ سُبْحٰنَكَ﴾ .

٢- أنّ عيسى - عليه السلام - نفى عن نفسه القول على الله بلا علم: ﴿مَا
يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦] .

٣- أنّه عليه السلام أثبت علم الله بما تكنه النفوس فضلاً عن ما تفصح به
الأسن: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ [المائدة: ١١٦] .

٤- أنّه عليه السلام نفى علمه بما في نفسه تعالى: ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾
[المائدة: ١١٦] .

٥- أنه عليه السلام أثبت سعة علم الله بالمغيبات: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلٰمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] .

٦- أنه عليه السلام أثبت طاعته لله تعالى وعدم الافتراء عليه: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ [المائدة: ١١٧].

٧- أنه عليه السلام لخص دعوته في عبارة وجيزة وهي أمر النصارى بعبادة الله وحده دون سواه وعلل ذلك بأنه تعالى ربه وربهم الذي خلقهم ورباهم بنعمه! : ﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة: ١١٧].

٨- إقراره - عليه السلام - بأنه كان معهم مشاهداً لهم ورقيباً يمنعهم من أن يقولوا مثل هذه المقالة الشنعاء: ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧].

٩- أنه عليه السلام اعتذر لنفسه عن عدم قدرته على إنكار ذلك بعد أن رفعه الله إليه؛ لأنها سارت حائلاً بينه وبين ذلك: ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧].

١١- أنه فوض أمرهم إلى الله ومجازاتهم بأعمالهم إليه وأن ذلك جار على عدله وحكمته تعالى: ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨].

وفي ذلك أسوة حسنة للمحسنين بأن يتأدبوا مع ربهم أعظم الأدب حتى ينظموا في سلك المحسنين من الأنبياء والرسل عليهم السلام.

سادساً: محمد ﷺ:

أ- نسبه:

هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن حكيم بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام^(١).

ويسمى محمد، وأحمد، والمتوكل، والمحي، والحاشر، والعاقب والمقفي...^(٢).

ب - مولده - عليه السلام -

ولد محمد ﷺ عام الفيل، قيل يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان، وقيل في ليلة الاثنين من ربيع الأول^(٣).

ج - صفاته الخلقية:

عن البراء - رضي الله عنه - يقول: كان رسول الله ﷺ رجلاً مربوعاً، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه، عليه حلة حمراء، ما رأيت شيئاً قط أحسن منه ﷺ^(٤).

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ: ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، وليس بالأبيض الأمهق، ولا بالجعد القطط ولا بالسبط، بعثه الله على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين، وتوفاه الله على رأس ستين سنة، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء^(٥).

وعن جابر بن سمرة - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ ضليع الفم، أشكل العين، منهوس العقبين، قال قلت لسماك: ما ضليع الفم؟ قال عظيم الفم قال قلت: ما أشكل العين؟ قال: طويل شق العين قال: قلت ما منهوس العقبين؟ قال: قليل لحم العقب^(٦).

صور من إحسانه ﷺ:

إنَّ صور إحسان محمد ﷺ كثيرة جداً وقلماً أذكر عنواناً في هذا البحث إلاَّ أوردت فيه صوراً من إحسانه ﷺ سواء من الصور القولية أو

(١) تأريخ الإسلام [السيرة النبوية] للذهبي (١٧).

(٢) انظر: زاد المعاد (١/٨٦، ٨٧).

(٣) المرجع نفسه (٢٢-٢٧).

(٤) انظر: صحيح مسلم (٢/١٨١٨) (٢٣٣٧).

(٥) صحيح مسلم (٢/١٨٢٤) (٢٣٤٧).

(٦) صحيح مسلم (٢/١٨٢٠) (٢٣٣٩).

العملية أو الاعتقادية وحتى لا نقع في الإعادة والتكرار سأكتفي بإيراد بعض الصور من سيرته الحسنة ﷺ.

الصورة الأولى: تعظيم حرمة الله تعالى.

عن أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - قالت: لما توفي ابن رسول الله ﷺ إبراهيم، بكى رسول الله ﷺ فقال المَعَزِّي: «إما أبوبكر وإما عمر» أنت أحق من عظم الله حقه، قال رسول الله ﷺ: «تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، ولولا أنه وعد صادق وموعود جامع، وأن الآخر تابع للآول لوجدنا عليك يا إبراهيم أفضل مما وجدنا وإنا بك لمحزونون»^(١).

عن المسوار بن مخرمة - رضي الله عنه - في حديث صلح الحديبية وفيه قال: فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها»^(٢) أي خطة لا تجر إلى القتال تعظيماً للبلد الحرام.

الصورة الثانية: إحسانه ﷺ في حبه للطاعة.

وعن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ أنه قال في شأن الركعتين عند طلوع الفجر: «لهما أحب إلي من الدنيا جميعاً»^(٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يُعرض عملي وأنا صائم»^(٤).
الصورة الثالثة: إحسانه ﷺ في الوضوء.

عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين - رضي الله عنهما -، وهي خالته، قال: فاضطجعت على عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فجلس فمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر آيات من خواتيم سورة آل عمران، ثم قام إلى شئ معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه، ثم قام يُصلي قال عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - فقمْتُ فصنعتُ مثل ما صنع، ثم ذهبت فقمْتُ إلى جنبه، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي وأخذ

(١) سنن ابن ماجه (٥٠٦/١) (١٥٨٩) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٦٥/١) (١٥٨٩) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٦٥/١) (١٢٩٢).

(٢) صحيح البخاري (٩٧٤/٢) (٢٥٨١).

(٣) صحيح مسلم (٥٠٢/١) (٧٢٥).

(٤) سنن الترمذي (١١٣/٣) (٧٤٧) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٢٧/١) (٥٩٦).

بأذني اليمنى يفتلها بيده، فصلَّى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر ثم اضطجع حتَّى جاءه المؤذن فقام فصلَّى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلَّى الصُّبح^(١).

الصورة الرابعة: إحسانه ﷺ في الصلاة.

وعن أبي سلمة بن عبدالرحمن أنَّه سأل عائشة - رضي الله عنها - كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان فقالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهنَّ وطولهنَّ، ثم يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهنَّ وطولهنَّ، ثم يصلي ثلاثاً. قالت عائشة: فقلتُ يا رسول الله أتنام قبل أن توتر فقال: «يا عائشة إنَّ عيني تنامان ولا ينام قلبي»^(٢).

الصورة الخامسة: إحسانه ﷺ في قراءة القرآن.

عن البراء - رضي الله عنه - قال: سمعت النَّبيَّ ﷺ يقرأ والتَّين والزَّيتون في العشاء، وما سمعتُ أحداً أحسن صوتاً منه أو قراءة^(٣).
الصورة السادسة: شدَّة خشيته ﷺ لربه تعالى:

وعن عمر بن أبي سلمة - رضي الله عنه - وذكر الحديث بطوله قال: قال ﷺ: «أما والله إنني لأتقاكم لله وأخشاكم له»^(٤).
الصورة السابعة: حرصه الشديد ﷺ وإكباره لذكر الله تعالى.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس»^(٥).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة «رب اغفر لي وتب عليَّ، إنَّك أنت التواب الرحيم»^(٦).

الصورة الثامنة: إحسانه ﷺ في قيام الليل.

عن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - قال: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قام حتَّى انتفخت قدماه، فقيل له: أتكلف هذا، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك

(١) صحيح البخاري (٤٠١/١) (١١٤٠).

(٢) صحيح البخاري (٣٨٥/١) (١٠٩٦).

(٣) صحيح البخاري (٢٦٦/١) (٧٣٥).

(٤) صحيح مسلم (٧٧٩/١) (١١٠٨).

(٥) صحيح مسلم (٢٠٧٢/٣) (٢٦٩٥).

(٦) سنن أبي داود (١٧٨/٢) (١٥١٦). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود

(٢٨٣/١) (١٣٤٢).

وما تأخر، فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»^(١).

الصورة التاسعة: حسن الظن بالله تعالى والثقة به.

وعن جابر - رضي الله عنه - أنه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة، في وادٍ كثير العِضاهِ فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل تحت شجرة وعلق بها سيفه، ونمنا نومةً، فإذا رسول الله ﷺ يدعوننا، وإذا عنده أعرابيٌّ فقال: «إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلُتاً، فقال: من يمنعك مني؟ فقلتُ: «الله» (ثلاثاً)، ولم يعاقبه وجلس»^(٢).

الصورة العاشرة: شدة رحمته ﷺ.

عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: «أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه: إنَّ ابناً لي قبض، فأتينا، فأرسل يقرى السلام ويقول: «إنَّ لله ما أخذ وله ما أعطى، وكلُّ عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب». فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عباد، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تتقعقع، قال: حسبته أنه قال: كأنها شئ، ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»^(٣).

الصورة الحادية عشر: حسن معاملته ﷺ.

عن جابر بن عبد الله قال: فقدت جملي ليلة فمررتُ على رسول الله ﷺ وهو يشدُّ لعائشة قال فقال لي مالك يا جابر، قال: قلتُ فقدتُ جملي أو ذهب جملي في ليلة ظلماء قال: فقال لي هذا جملك اذهب فخذ، قال فذهبتُ نحواً مما قال لي فلم أجده، قال: فرجعتُ إليه فقلتُ يا نبيَّ الله ما وجدته قال فقال لي هذا جملك اذهب فخذ، قال: فذهبتُ نحواً مما قال لي فلم أجده، قال: فرجعتُ إليه فقلتُ بأبي وأمي يا نبيَّ الله لا والله ما وجدته قال: فقال لي على رسلِك حتَّى إذا فرغ أخذ بيدي فانطلق بي حتَّى أتينا الجمل، فدفعه إليَّ قال هذا جملك قال: وقد سار الناس قال فبينما أنا أسير على جملي في عقبي قال: وكان جملاً فيه قطافٌ قال: قلتُ يا لهفَ أُمِّي أن يكون لي إلّا جملٌ قطوفٌ قال: وكان رسول الله ﷺ بعدي يسيرٌ قال: فسمع ما قلتُ قال: فلحق بي فقال: ما قلتُ يا جابر قبل قال فنسيْتُ ما قلتُ

(١) صحيح مسلم (٢١٧١/٣) (٢٨١٩).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٩٦/٦) (٢٩١٠).

(٣) صحيح البخاري (٤٣١/١) (١٢٢٤).

قال: قلت ما قلت شيئاً يا نبي الله قال: فذكرت ما قلت قال: قلت يا نبي الله يا لهفاه أن يكون لي إلا جمل قطوف قال: فضرب النبي ﷺ عجز الجمل بسوط أو بسوطي قال: فانطلق أوضع أو أسرع جمل ركبت قط وهو ينازعني خطامه قال فقال لي رسول الله ﷺ أنت بائعي جملك هذا قال: قلت نعم قال: بكم قال: قلت بأوقية قال: قال لي بخ بخ، كم في أوقية من ناضح وناضح، قال: قلت يا نبي الله ما بالمدينة ناضح أحب أنه لنا مكانه قال: فقال النبي ﷺ قد أخذته بأوقية، قال: فنزلت عن الرحل إلى الأرض، قال: ما شأنك؟، قال: قلت جملك قال: قال لي اركب جملك قال: قلت ما هو بجملي، ولكنه جملك، كنّا نراجع مرّتين في الأمر إذا أمرنا به، فإذا أمرنا الثالثة لم نراجع، قال: فركبت الجمل، حتّى أتيت عمّتي بالمدينة، قال: وقلت لها: ألم تري أنّي بعث ناضحاً رسول الله ﷺ بأوقية، قال: فما رأيته أعجبها ذلك قال: وكان ناضحاً فارهاً، قال ثم أخذت شيئاً من خبط أو جرته إيّاه ثم أخذت بخطامه فقدته إلى رسول الله ﷺ، فوجدت رسول الله ﷺ مقاوماً رجلاً يكلمه، قال: قلت: دونك يا نبي الله جملك، قال: فأخذ بخطامه ثم نادى بلالاً فقال زن لجابر أوقية وأوفه، فانطلقت مع بلال فوزن لي أوقية وأوفى من الوزن، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يحدث ذلك الرجل، قال: قلت له قد وزن لي أوقية وأوفاني قال: فبينما هو كذلك إذ ذهب إلى بيتي ولا أشعر، قال: فنادى أين جابر قالوا ذهب إلى أهله، قال: أدرك ائتنني به، قال: فأتاني رسوله يسعى، قال: يا جابر يدعوك رسول الله ﷺ قال: فأتيته فقال: فخذ جملك، قلت: ما هو جملي وإنما هو جملك يا رسول الله، قال: خذ جملك، قلت: ما هو جملي إنّما هو جملك يا رسول الله، قال: خذ جملك، قال فأخذه، قال: فقال لعمري ما نفعناك لنزلك عنه قال: فجئت إلى عمّتي بالناضح معي وبالأوقية قال: فقلت لها ما ترين رسول الله ﷺ أعطاني أوقية وردّ عليّ جملي^(١).

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنّ رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ، فهمّ به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «دعوه فإنّ لصاحب الحقّ مقالاً، ثم قال: أعطوه سنّاً مثل سنّه قالوا: يا رسول الله إلا أمثل من سنّه فقال: أعطوه فإنّ من خيركم أحسنكم قضاء»^(٢).

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد

(١) مسند أحمد (٣٢٩/٤) (١٤٤٥٠). قال الهيثمي في المجمع (١٥/٩) هو في الصحيح باختصار، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير نوح العنزي وثقه ابن حبان.

(٢) صحيح البخاري (٨٠٩/٢) (٢١٨٣).

فجاءت برجلٍ من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «ما عندك يا ثمامة» فقال: عندي خيرٌ يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تُنعم تُنعم على شاكِر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد، ثم قال له: «ما عندك يا ثمامة» قال: ما قلتُ لك إن تُنعم تُنعم على شاكِر فتركه حتى كان بعد الغد فقال: «ما عندك يا ثمامة» فقال: عندي ما قلتُ لك فقال: «أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخلٍ قريبٍ من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه إليَّ، والله ما كان من دينٍ أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحبَّ الدين إليَّ، والله ما كان من بلدٍ أبغض إليَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحبَّ البلاد إليَّ، وإنَّ خيلك أخذتني وأنا أريدُ العُمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتَمِرَ، فلمَّا قدِم مكة قال له قائلٌ: صَبَوْتُ، قال لا ولكن أسلمتُ معَ محمدٍ رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتِيكم من الإمامة حبةٌ حنطةٍ حتى يأذنَ فيها النَّبيُّ ﷺ»^(١).

عن أبي أمامة بن سهل - رضي الله عنه - قال: مرضتُ امرأةً من أهل العوالي و كان النَّبيُّ ﷺ أحسنَ شيءٍ عيادةً للمريض فقال: «إذا ماتت فأذِنُونِي» فماتت ليلًا فدفنوها، ولم يُعلموا النَّبيُّ ﷺ، فلمَّا أصبح سأل عنها، فقالوا: كرهنا أن نُوقِظَكَ يا رسول الله، فأتى قبرها فصلَّى عليها وكبَّرَ أربعًا^(٢).

الصورة الثانية عشر: سعة كرمه وجوده ﷺ.

عن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - أنه بينما هو يسيرُ مع رسول الله ﷺ ومعه النَّاسُ مقفلُهُ من حُنين، فعَلِقَهُ النَّاسُ يسألونهُ، حتى اضْطَرُّوهُ إلى سَمرة، فَخَطِفَتْ رداءَهُ، فوقف النَّبيُّ ﷺ فقال: «أعطوني رداي، لو كان لي عددُ هذه العِصاهِ نعمًا لقسمتهُ بَيْنَكُمْ، ثم لا تَجِدُونِي بخيلاً، ولا كذوبًا ولا جَبَانًا»^(٣).

عن أمِّ خالدٍ بنت خالدٍ - رضي الله عنها - قالت: «قدمتُ من أرض الحبشة، وأنا جُويريةٌ فكساني رسول الله ﷺ خميصَةً لها أعلامٌ، فجعل

(١) صحيح البخاري (٤/١٥٨٩) (٤١١٤).

(٢) سنن النسائي (٤/٧٢) (١٩٨١) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢/٤٢٧) (١٨٧١).

(٣) صحيح البخاري (٣/١٠٣٨) (٢٦٦٦).

رسول الله ﷺ يَمْسَحُ الأعلام بيده، ويقول سنأه قال: الحميدي يعني حسن^(١) حسن.

عن المسوار بن مخزمة - رضي الله عنهما - قال: قدمت على النبي ﷺ أقبية، فقال لي أبي مخزمة: انطلق بنا إليه عسى أن يعطينا منها شيئاً، فقام أبي على الباب، فتكلم فعرف النبي ﷺ صوته، فخرج النبي ﷺ ومعه قباء وهو يريه محاسنه وهو يقول: «خبأت لهذا لك خبأت لهذا لك»^(٢).
الصورة الثالثة عشر: عظم تواضعه ﷺ.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «ما رأيت رجلاً التقم أذن رسول الله ﷺ فينحني رأسه، حتى يكون الرجل هو الذي ينحني رأسه، وما رأيت رجلاً أخذ بيده فترك يده، حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده»^(٣).
الصورة الرابعة عشرة: سعة حلمه ﷺ.

عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: قلت يا رسول الله هل أتى عليك يومٌ كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبدكلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابه قد أظلنتني فنظرت، فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله - عز وجل - قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين»، فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»^(٤).

الصورة الخامسة عشرة: تمام عدله ﷺ.
وعن عائشة - رضي الله عنها - أن قريشاً أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا: ومن يجتريء عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، فقال: أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم

(١) صحيح البخاري (١٤٠٧/٣) (٣٦٦١).

(٢) صحيح البخاري (٩٤٠/٢) (٢٥١٤).

(٣) سنن أبي داود (١٤٦/٥) (٤٧٩٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩١٠/٣) (٤٠٠٩).

(٤) صحيح مسلم (١٤٢٠/٢) (١٧٩٥).

أَنَّهُمْ إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ
الْحَدَّ، وَابْتِغَاءُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتَ يَدَهَا...»^(١).

الصورة السادسة عشرة: حسن عشرته ﷺ.

عن عائشة قالت: جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا
يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً وفيه: قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع
وما أبو زرع أناس من حُلِيِّ أَذْنِيٍّ وَمَلَا من شحم عضدي وبَجَحَنِي فَبَجَحْتُ
إِلَيَّ نَفْسِي وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشَقٍّ فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسَ
وَمُنَقٍّ فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ أُمُّ أَبِي زَرَعٍ فَمَا أُمُّ
أَبِي زَرَعٍ عُكُومًا رِدَاخٌ وَبَيْتُهَا فَسَاخٌ ابْنُ أَبِي زَرَعٍ فَمَا ابْنُ أَبِي زَرَعٍ مَضْجَعُهُ
كَمَسَلٍ شَطْبَةٍ وَيُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفَرَةِ بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ طَوْعَ أَبِيهَا
وَطَوْعَ أُمِّهَا وَمَلَأُ كَسَائِهَا وَغِيظَ جَارَتِهَا جَارِيَةُ أَبِي زَرَعٍ فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرَعٍ لَا
تَبُتُّ حَدِيثَنَا تَبِيثًا وَلَا تُنْقِثُ مِيرَتَنَا تَنْقِثًا وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا قَالَتْ: خَرَجَ
أَبُو زَرَعٍ وَالْأَوَطَابُ تَمْخَضُ فَلَقِي أَمْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ
تَحْتِ خَضْرَاهَا بَرَمَانَتَيْنِ فَطَلَقَنِي وَنَكَحَهَا فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا رَكِبَ سَرِيًّا
وَأَخَذَ خَطِيئًا وَأَرَاخَ عَلَيَّ نَعْمًا ثَرِيًّا وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا وَقَالَ: كُلِّي أُمَّ
زَرَعٍ وَمِيرَى أَهْلِكَ قَالَتْ فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي
زَرَعٍ قَالَتْ: عَائِشَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرَعٍ لَأُمُّ زَرَعٍ قَالَ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ هِشَامٍ وَلَا تُعَشِّشْ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا قَالَ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ فَأَتَقَمَّحُ بِالْمِيمِ وَهَذَا أَصَحُّ^(٢).

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين
فَمَا قَالَ لِي أَفٍ، وَلَا لِمَ صَنَعْتَ وَلَا صَنَعْتُ»^(٣).

الصورة السابعة عشر: وفرة سماحته ﷺ.

عن البراء - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَعْتَمِرَ أَرْسَلَ إِلَى
أَهْلِ مَكَّةَ يَسْتَأْذِنُهُمْ لِيَدْخُلَ مَكَّةَ، فَاشْتَرَطُوا عَلَيْهِ أَنْ لَا يَقِيمَ بِهَا إِلَّا ثَلَاثَ
لَيَالٍ، وَلَا يَدْخُلَهَا إِلَّا بِجُلْبَانِ السِّلَاحِ، وَلَا يَدْعُو مِنْهُمْ أَحَدًا، قَالَ: فَأَخَذَ
يَكْتُبُ الشَّرْطَ بَيْنَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَكَتَبَ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ نَمْنَعَكَ وَلِبَايَعْنَاكَ، وَلَكِنْ
اكَتَبَ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: أَنَا وَاللَّهُ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ،
وَأَنَا وَاللَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَكَانَ لَا يَكْتُبُ، قَالَ: فَقَالَ لِعَلِيٍّ: امْحُ رَسُولُ

(١) صحيح مسلم (١٣١٥/٢) (١٦٨٨).

(٢) صحيح البخاري (١٩٨٨/٥) (٤٨٩٣).

(٣) صحيح البخاري (٢٢٤٥/٥) (٥٦٩١).

الله فقال عليّ، والله لا أمحوه أبداً، قال: فأرنيه قال: فأراه إياه، فمحاها النبي ﷺ بيده، فلما دخل ومضت الأيام أتوا عليّاً، فقالوا مُر صاحبك فليرتحل، فذكر ذلك علي - رضي الله عنه - لرسول الله ﷺ فقال: «نعم» فارتحل^(١).

الصورة الثامنة عشرة: رفقهُ ﷺ بالمتعلمين.

عن معاوية بن الحكم السلمي قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجلٌ من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني النَّاسُ بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إليّ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُصمّتونني لكّني سكت، فلما صلّى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيتُ معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً، منه فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةُ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ كهرني ولا ضربني ولا شتمني»، قال: يا رسول الله إني حديث عهدٍ بجاهليّة، وقد جاء الله بالإسلام ﷺ، قلتُ: يا رسول الله إني حديث عهدٍ بجاهليّة، وقد جاء الله بالإسلام ﷺ، وإنّ منّا رجالاً يأتون الكهّان، قال: فلا تأتهم قال: ومنّا رجالٌ يتطيّرون قال: وإنّ منّا رجالاً يصدّونهم فلا يصدّونهم قال ابن الصّبّاح: فلا يصدّونكم، ذاك شيءٌ يجدونه في صدورهم فلا يصدّونهم قال: كان نبيّ من الأنبياء يخطُّ فمّن وافق خطه فذاك، قال: وكانت لي جاريةٌ ترعى غنماً لي قبلَ أحدٍ والجوانيّة فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجلٌ من بني آدم آسفٌ كما يأسفون لكّني صككتها صكّة، فأتيْتُ رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليّ قلتُ: يا رسول الله أفلا أعتقها، قال: ائتني بها، فأتيته، فقال لها: أين الله؟ قالت: في السّماء، قال من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها، فإنّها مؤمنة^(٢).

الصورة التاسعة عشرة: إحسانه ﷺ إلى نفسه باللباس والمركب الحسن.

عن أبي زميل حدثني عبد الله بن عباس قال: لما خرجت الحرورية أتيتُ عليّاً - رضي الله عنه - فقال ائت هؤلاء القوم فلبستُ أحسن ما يكون من حُللِ اليمن قال أبو زميل وكان ابن عباس رجلاً جميلاً جهيراً، قال ابن عباس: فأتيتهم فقالوا: مرحباً بك يا ابن عبّاس، ما هذه الحُلّة، قال ما تعيبون عليّ لقد رأيتُ عليّ رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحُلل^(٣). وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: رأيتُ النبي ﷺ يخطُبُ عليّ

(١) صحيح البخاري (١١٦٢/٣) (٣٠١٣).

(٢) صحيح مسلم (٣٨١/١) (٥٣٧).

(٣) سنن أبي داود (٣١٧/٤) (٤٠٣٧). وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود

(٧٦٢/٢) (٣٤٠٦).

ناقة حسناء وحبشي آخذ بخطامها»^(١).

الصورة العشرون: إحسانه ﷺ إلى الحيوان.

عن عبدالله بن جعفر - رضي الله عنهما - قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم فأسرَّ إليَّ حديثًا لا أُحدِّثُ به أحدًا من النَّاسِ، وكان أحبُّ ما استرَّ به رسولُ الله ﷺ لحاجته هدفًا، أو حائط نخل، قال: فدخل حائطًا لرجلٍ من الأنصار فإذا جملٌ، فلمَّا رأى النَّبيُّ ﷺ حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النَّبيُّ ﷺ فمسح ذفره، فقال: «من ربُّ هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال لي: يا رسول الله، فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكَ اللهُ إياها، فإنَّه شكا إليَّ أنَّك تُجيِّعُه وتُدثِّئُه»^(٢).

(١) سنن ابن ماجه (٤٠٨/١) (١٢٨٥). وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه

(٢١٦/١) (١٠٦٣).

(٢) سنن أبي داود (٥٠/٣) (٢٥٤٩). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٨٤/٢)

(٢٢٢٢).

المبحث الثاني صور الإحسان عن الصحابة - رضي الله عنهم -

المقصود بالصحابة هم أولئك الأخيار الذي صحبوا النبي ﷺ أو رآوه مؤمنين به وبما جاء به وماتوا على ذلك^(١).

وهم قوم بررة، أصفياء أوفياء، اختارهم الله تعالى على علم من دون العالمين، تأهلوا لحمل الرسالة، ونشرها والذود عن حياضها، فالنَّاطِر في سيرهم - رضي الله عنهم - يدرك بعد تأمل ونظر أنَّهم جملة تميَّزوا عن غيرهم من القرون باليقين والعلم والجهد والزهد في الدنيا.

والصحابة - رضي الله عنهم - كثير لا يمكن الإحاطة هنا بجميع إحسانهم العقائدي والعملية والقولي.

وحسبنا إيراد نماذج لإحسان أئمتهم الخلفاء الراشدين، أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، - رضي الله عنهم - .

أولاً: خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -

أ- نسبه:

هو خليفة رسول الله ﷺ اسمه عبدالله ، ويقال عتيق بن أبي قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي رضي الله عنه^(٢).

ب - صفاته الخلقية:

كان - رضي الله عنه - أبيض أصفر لطيفاً نحيقاً خفيف العارضين، جعداً معروق الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، يخضب شيبه بالحناء والكتم، مُسْتَرْق الوركين، لا يثبت إزاره على وركيه^(٣).

ج - فضله - رضي الله عنه -

إنَّه - رضي الله عنه - أفضل هذه الأمة بعد رسولنا محمد ﷺ ويكفي في علو مكانته وعظم قدره.

ما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «لو كنتُ متَّخذاً من أمتي خليلاً، لا تتَّخذُ أبابكر، ولكن أخي وصاحبي»^(٤).

(١) انظر: صحيح البخاري (٣/١٣٣٥).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي: عهد الخلفاء الراشدين (١٠٥).

(٣) المصدر السابق (١٠٦).

(٤) صحيح البخاري (٣/١٣٣٨)، (٣٤٥٦).

د - صور من إحسانه - رضي الله عنه -

الصورة الأولى: صدق إيمانه ومواساته ونصرته للرسول ﷺ.

عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: كنتُ جالسًا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكرٍ أخذًا بطرف ثوبه، حتَّى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي ﷺ «أما صاحبكم فقد غامر» فسلم وقال: إنِّي كان بيني وبين ابن الخطَّاب شيءٌ، فأسرعتُ إليه ثم ندمتُ، فسألتُهُ أن يغفر لي فأبى عليَّ، فأقبلتُ إليك، فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر» ثلاثًا، ثم إنَّ عمر ندم فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثمَّ أبو بكر، فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فسلم، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر، حتَّى أشفقَ أبو بكر، فجثا على ركبتيه فقال: يار سول الله، والله أنا كنتُ أظلم، مرتين، فقال النبي ﷺ: «إنَّ الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي» مرتين فما أودى بعدها^(١).

وعن عروة بن الزبير قال: سألتُ عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر حتَّى دفعه عنه، فقال: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم»^(٢).

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه -؛ أنَّ أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - حدَّته قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله! لو أنَّ أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(٣).

وعن ابن عباس قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبيهم إن الله وإنا إليه راجعون ليهلكن فتزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩] فعرفتُ أنَّه سيكون قتالٌ قال ابن عباس فهي أوَّل آية نزلت في القتال^(٤).

(١) صحيح البخاري (١٣٣٨/٣) (٣٤٦١).

(٢) صحيح البخاري (١٣٤٥/٣) (١٣٤٥)، (٣٤٧٥).

(٣) صحيح مسلم (١٨٥٤/٢) (٢٣٨١).

(٤) سنن النسائي (٢/٦) (٣٠٨٥) وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن النسائي

(٢/٦٤٦)، (٢٨٩٠).

الصورة الثانية: حلم أبي بكر - رضي الله عنه - ووقاره وحرصه على اجتماع كلمة المسلمين.

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: كان أبو بكر - رضي الله عنه - يوم السقيفة أحلم مني وأوقر، والله ما ترك كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت»^(١).

الصورة الثالثة: كثرة إنفاقه - رضي الله عنه -.

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً، فقلت: اليوم أسبقُ أبا بكر إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: يا أبا بكر: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبداً»^(٢).

وعن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه احتمل أبو بكر معه خمسة آلاف درهم، أو ستة آلاف درهم فانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدي أبوقحافة وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: قلت عليها ثوب ثم أخذت بيده، فقلت: ضع أنت يدك على هذا المال قالت: فوضع يده، وقال: لا بأس إذا كان ترك لكم هذا المال ثم رفع يده فقال: إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا لكم بلاغ قالت: فلا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك»^(٣).

الصورة الرابعة: مسابقة أبي بكر - رضي الله عنه - بالخيرات.

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: مرَّ رسول الله ﷺ وأنا معه وأبو بكر، على عبد الله بن مسعود وهو يقرأ، فقام فسمع قراءته، ثم ركع عبد الله وسجد، قال: فقال رسول الله ﷺ: «سل تُعطه» قال: ثم مضى رسول الله ﷺ وقال: «من سره أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل فليقرأه من ابن أمّ عبد» قال: فأدلجت إلى عبد الله بن مسعود لأبشره بما قال رسول الله ﷺ، قال: فلما ضربت الباب، أو قال: لما سمع صوتي قال: ماجاء بك هذه الساعة؟ قلت: جئت لأبشرك بما قال رسول الله ﷺ، قال: قد سبقك أبو بكر، قلت:

(١) صحيح البخاري، الفتح (١٤٤/١٢) (٦٨٣٠).

(٢) سنن الترمذي (٦١٤/٥) (٣٦٧٥). وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٢/٣) (٢٩٠٢).

(٣) معجم الطبراني الكبير (٨٨/٢٤) (٢٣٥).

إن يفعل فإنه سباق بالخيرات، ما استبقنا خيراً قط إلا سبقنا إليه أبوبكر»^(١).
 الصورة الخامسة: حرص أبي بكر - رضي الله عنه - على نوافل الطاعات.
 عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟» قال أبوبكر: أنا قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبوبكر أنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟» قال أبوبكر: أنا قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟» قال أبوبكر: أنا فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»^(٢)..

الصورة السادسة: إنعام أبي بكر - رضي الله عنه - إلى قرابته وعفوه وصفحه.
 قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، هذه الآية نزلت في شأن أبي بكر - رضي الله عنه - عندما كان ينفق على مسطح بن أثاثة المطلبي - رضي الله عنه - إذ كان ابن خالته، وكان من فقراء المهاجرين، فلما علم أبوبكر بخوضه في قصة الإفك، أقسم أن لا ينفق عليه، ولما تاب مسطح وتاب الله عليه لم يزل أبوبكر - رضي الله عنه - واجداً في نفسه عليه، فعاتبه الله تعالى في ذلك وكفر أبوبكر عن يمينه وأعاد النفقة على مسطح - رضي الله عنه -^(٣).

(١) مسند أحمد (٦٣/١) (٢٦٧)، وصحيح أحمد شاكر إسناده (٢٦٥/١) (٢٦٥) (١٧٥).

(٢) صحيح مسلم (١٨٥٧/٢) (١٠٢٨).

(٣) انظر: تفسير التحرير والتنوير (١٨/٨٨ - ١٨٩).

ثانيًا: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -

أ - نسبه :

هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزى بن رباح بن قُوط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي . . أبوحفص العدوي، الفاروق^(١) .

ب - صفاته الخلقية :

كان طويلًا جسيمًا شديد الصلح، شديد الحمرة في عارضه خفة، وسبلته كبيرة وفي أطرافها صهبة، إذا حزبه أمرٌ فتلها، أعسرَ يسر^(٢) .

ج - فضله ومكانته :

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : صعد النبي ﷺ أحدًا ومعه أبوبكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فضربه برجله وقال : «اثبت أحد، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان»^(٣) .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : وُضع عمر على سريرته، فتكثفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعني إلا رجلٌ أخذ منكبي، فإذا علي بن أبي طالب، فترحم علي عمر وقال : ما خلّفت أحدًا أحب إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وإيم الله، إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبك، وحسبتُ أنني كنت كثيرًا أسمع النبي ﷺ يقول : «ذهبُ أنا وأبوبكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبوبكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبوبكر وعمر»^(٤) .

وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «إيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا قط إلا سلك فجًا غير فجك»^(٥) .

د - صورة من إحسان عمر - رضي الله عنه -

الصورة الأولى : إحسان عمر - رضي الله عنه - في صحبته للرسول ﷺ .

عن المسوار بن مخزومة قال : لما طعن عمر جعل يألّم، فقال له ابن عباس، وكأنّه يجزعه، يا أمير المؤمنين، ولئن كان ذاك، لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته، ثم فارقتهُ وهو عنك راضٍ، ثم صحبت أبابكر فأحسنت صحبته، ثم فارقتهُ وهو عنك راضٍ، ثم صحبتهم فأحسنت

(١) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين للذهبي (٢٥٣).

(٢) المرجع السابق (٢٥٤).

(٣) صحيح البخاري (١٣٤٨/٣) (٣٤٨٣).

(٤) صحيح البخاري (١٣٤٨/٢) (٣٤٨٢).

(٥) صحيح البخاري (١٣٤٧/٣) (٣٤٨٠).

صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقتهن وهم عنك راضون، قال: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ورضاه، فإنما ذاك من الله تعالى منَّ به عليّ، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه، فإنما ذاك من الله جلَّ ذكره منَّ به عليّ، وأما ما ترى من جزعي، فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو أنَّ لي طلاع الأرض ذهبًا، لافتديتُ به من عذاب الله عزَّ وجل قبل أن أراه^(١).

الصورة الثانية: زهد عمر - رضي الله عنه -.

عن طارق بن شهاب - رحمه الله - قال: لما قدم عمر - رضي الله عنه - الشام تلقاه الجنود، وعليه إزار وخفَّان وعمامة، وهو آخذ برأس راحلته يخوض الماء فقالوا: يا أمير المؤمنين، يلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على حالتك هذه، فقال: إنَّا أعزنا الله بالإسلام، فلن يُلتمس العِزُّ بغيره^(٢).

الصورة الثالثة: عدل عمر - رضي الله عنه -.

عن عطاء، قال: كان عمر - رضي الله عنه - يكتب إلى عمَّاله أن يوافوه بالموسم فوافوه، فقام فقال: أيها الناس، إني استعملت عليكم عمالي هؤلاء، ولم أستعملهم ليصيبوا من أبشاركم، ولا من أموالكم ولا من أعراضكم، ولكن استعملتهم ليحجزوا بينكم، أو يردوا عليكم فيكم، فمن كانت له مظلمة عند أحدٍ منهم فليقم، فما قام من النَّاسِ أحدٌ يومئذٍ إلا «فلان» قام فقال يا أمير المؤمنين إنَّ عاملك فلانًا «ضربني» مائة سوط فقال: يضرب مائة!! فاستقد منه، فقام عمرو بن العاص - رضي الله عنه - فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّك متى تفتح هذا على عمالك تكثر عليهم، وتكون سنَّة يأخذ بها من بعدك، فقال: أنا لا أقيد منه، وقد رأيتُ النبي ﷺ يُقَيِّد من نفسه، فقال: دعنا إذن نرضيه، قال: أرضوه، قال: فافتديت منه بمائتي دينار، فكان كل سوط بدينارين^(٣).

الصورة الرابعة: كثرة صدقات عمر - رضي الله عنه -.

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنَّ عمر - رضي الله عنه - تصدق بمال له على عهد رسول الله ﷺ وكان يقال له: ثَمْعٌ وكان نخلًا فقال: عمر: يا رسول الله إني استفدت مالا وهو عندي أنفس مالٍ فأردت أن أتصدق به فقال النبي ﷺ: «تصدق بأصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث، ولكن ينفق ثمره فتصدق به عمر فصدقته تلك في سبيل الله والرقاب والمساكين والضياف وابن السبيل ولذي القربى ولا جناح على من وليه أن يأكل منه بالمعروف أو يؤكل

(١) صحيح البخاري (٣/١٣٥٠) (٣٤٨٩).

(٢) المنهاج في شعب الإيمان: للحليمي (٣/٣٨٧).

(٣) تاريخ المدينة لابن شعبة (٣/٨٠٦، ٨٠٧).

صديقه غير متمول به»^(١).

الصورة الخامسة: إنعام عمر - رضي الله عنه - إلى إخوانه في الله تعالى.

عن أبي حيان التيمي - رحمه الله - قال: رُوي علي بن أبي طالب ثوبٌ كأنه كان يكثر لبسه، فقليل له فيه، فقال: «هذا كسانيه خليلي وصفيي عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - إنَّ عمر ناصح لله فنصحه الله»^(٢).

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه أخذ أربعماية دينارٍ فجعلها في صُرَّةٍ فقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تَلَّ ساعةً في البيت حتَّى تنظر ما يصنع، فذهب بها الغلام إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين، اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال تعالى يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتَّى أنفذها، فرجع الغلام وأخبره، فوجده قد أعدَّ مثلها إلى معاذ بن جبل فقال: اذهب بهذا إلى معاذ بن جبل ثم تَلَّ في البيت حتَّى تنظر ما يصنع، فذهب إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذا في بعض حاجتك، فقال: - رحمه الله - ووصله، تعالى يا جارية: اذهبي إلى بيت فلان بكذا واذهبي إلى بيت فلان بكذا فاطَّلعت امرأة معاذ فقالت: نحنُ والله مساكين فأعطنا ولم يبق في الخِرقة إلَّا ديناران، فنحا بهما إليها ورجع الغلام إلى عمر فأخبره، وسُرَّ بذلك، وقال: إنَّهم إخوة بعضهم من بعض»^(٣).

الصورة السادسة: حمد عمر - رضي الله عنه - لربه تعالى على القليل والكثير.

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بعد أن لبس ثوبًا جديدًا، فلمَّا بلغ ترقوته قال: «الحمد لله الَّذي كساني ما أوارى به عورتى وأتجمل به في حياتي»^(٤).

(١) صحيح البخاري (١٠١٧/٣) (٢٦١٣).

(٢) كتاب الإخوان لا بن أبي الدنيا (٢٣٨).

(٣) معجم الطبراني الكبير (٣٣/٢، ٣٤) والزهد، لابن المبارك (٥١١) والحلية: لأبي نعيم (٢٧/١).

(٤) عدة الصابرين (١٢٥).

ثالثاً: ذو النورين عثمان بن عفان - رضي الله عنه -

أ - نسبه :

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس أبوعمر، وأبوعبدالله، القرشي الأموي^(١).

ب - صفاته الخلقية :

كان - رضي الله عنه - لا بالطويل ولا بالقصير، حسن الوجه، كبير اللحية، أسمر اللون، بوجهه نكتات جدري، عظيم الكراديس، خفيف اللحم بعيد ما بين المنكبين، يخضب بالصفرة، وكان يشد أسنانه بالذهب^(٢).

ج - فضله ومكانته :

هو ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد المبشرين بالجنة، وزوج لاثنتين من بنات الرسول الله ﷺ بعد أن ماتت الأولى تزوج الثانية، وقد كان النبي ﷺ يستحي من عثمان - رضي الله عنه -.

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسو الله ﷺ مضطجعاً في بيتي، كاشفاً عن فخذه، أو ساقه فاستأذن أبوبكر، فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له، وهو كذلك، فتحدث ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبوبكر فلم تهتش له، ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك! فقال: «ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة»^(٣).

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: «بينما رسول الله ﷺ في حائط من حيطان المدينة، وهو متكئ يركز بعود معه بين الماء والطين، إذا استفتح رجل، فقال: «افتح وبشره بالجنة» قال: فإذا أبوبكر، ففتحت له وبشرته بالجنة، قال، ثم استفتح رجل آخر، فقال: «افتح وبشره بالجنة»، قال فذهبت فإذا هو عمر، ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر قال: فجلس النبي ﷺ فقال: «افتح وبشره بالجنة على بلوى تكون». قال فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان، قال ففتحت وبشرته بالجنة، قال: وقلت الذي قال، فقال: اللهم صبراً، أو الله المستعان»^(٤).

(١) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين: للذهبي (٤٦٧).

(٢) المرجع نفسه (٤٦٨).

(٣) صحيح مسلم (١٨٦٦/٣) (٢٤٠١).

(٤) صحيح مسلم (١٨٦٧/٣) (٢٤٠٣).

د - صور من إحسان عثمان بن عفان - رضي الله عنه - .

الصورة الأولى: كثرة صدقات عثمان ومبرّاته - رضي الله عنه - .

عن أبي عبد الرحمن السلمي - رحمه الله - قال: لما حُصر عثمان - رضي الله عنه - أشرف عليهم فوق داره ثم قال: «أذكركم بالله هل تعلمون أنّ حراء حين انتفض قال: رسول الله ﷺ: «اثبت حراء فليس عليك إلاّ نبي أو صديق أو شهيد»، قالوا: نعم، قال: أذكركم بالله هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال في جيش العُسرة من ينفق نفقة متقبلة والناس مُجهدون معسرون فجهزت ذلك الجيش، قالوا: نعم، ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أنّ بئر رومة لم يكن يشرب منها أحد إلاّ بثمن فابتعتها فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل، قالوا: نعم وأشياء عدها»^(١).

الصورة الثانية: حسن صحبة عثمان - رضي الله عنه - لرسول الله ﷺ، وطاعته له وللخلفاء من بعده، وتواضعه للنصيحة والناصح، وقيامه بحدود الله تعالى.

عن عروة أنّ عبيد الله بن عدي بن الخيار أخبره: أنّ المسوار بن مخزومة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا: ما يمنعك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد، فقد أكثر الناس فيه، فقصدت لعثمان حين خرج إلى الصلاة، قلت: إنّ لي إليك حاجة، وهي نصيحة لك، قال: يا أيها المرء أعوذ بالله منك، فانصرفت، فرجعت إليهم إذ جاء رسول عثمان فأتيته، فقال: ما نصيحتك؟ فقلت: إنّ الله سبحانه بعث محمدًا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ، فهاجرت الهجرتين، وصحبت رسول الله ﷺ، ورأيت هديه، وقد أكثر الناس في شأن الوليد، قال: أدركت رسول الله ﷺ قلت: لا، ولكن خلّص إليّ من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها، قال: أما بعد، فإنّ الله بعث محمدًا ﷺ بالحق، فكنتُ ممن استجاب لله ولرسوله، وآمنت بما بُعث به، وهاجرت الهجرتين كما قلت، وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله عزّ وجل، ثم أبوبكر مثله، ثم عمر مثله، ثم استخلفت، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟ قلتُ: بلى، قال: «فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم؟ أمّا ما ذكرت من شأن الوليد، فسأخذ منه بالحق إن شاء الله، ثم دعا عليًا، فأمره أن يجلد، فجلده ثمانين»^(٢).

(١) سنن الترمذي (٦٢٥/٥) (٣٦٩٩). وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٨/٣) (٢٩١٩).

(٢) صحيح البخاري (١٣٥١/٣) (٣٤٩٣).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ «ادعوا لي بعض أصحابي» قلت أبوبكر؟ قال: «لا» قلت: عمر؟ قال: «لا». قلت: ابن عمي علي؟ قال: «لا»، قلت: عثمان؟ قال: «نعم». فلما جاء قال: تنحي، فجعل يساره، ولون عثمان يتغير، فلما كان يوم الدار وحصر قلنا: يا أمير المؤمنين ألا تقاتل، قال: لا، إنَّ رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهدًا وإنِّي صابر نفسي عليه^(١).

الصورة الثالثة: إحسان عثمان - رضي الله عنه - إلى رعيته.

عن المبارك بن فضالة قال: سمعتُ الحسن يقول: أدركت عثمان - رضي الله عنه - وأنا يومئذٍ قد راهقت الحلم فسمعتُه يخطب، وشهدته يقول: يا أيها النَّاس ما تنقمون علي؟ قال: وما من يوم إلَّا وهم يقتسمون فيه خيرًا، يقول: يا معشر الناس: اغدوا علي عطياتكم فيغدون فيأخذونها وافرة، ثمَّ يقال: يا معشر المسلمين اغدوا على كسوتكم فيجاء بالحلل فتقسم بينهم، قال الحسن: والعدو منفي والعطيات دارة وذات البين حسن، والخير كثير ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمنًا، من لقي من أي الأحياء كان، فهو أخوه ومودته ونصرته والفتنة أن يسئل عليه سيفًا^(٢).

الصورة الرابعة: عظم سماحة عثمان - رضي الله عنه -.

عن عطاء بن فرُّوخ مولى القرشيين - رحمه الله - أنَّ عثمان - رضي الله عنه - اشترى من رجل أرضًا فأبطأ عليه، فلقيه فقال له: ما منعك من قبض مالك؟ قال: إنَّك غبتي، فما ألقى من الناس أحدًا إلَّا وهو يلومني، قال: أو ذلك يمنعك؟ قال: نعم، قال: فاختر بين أرضك، ومالك، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «أدخل الله - عزَّ وجل - الجنة رجلًا كان سهلًا مشتريًا وبائعًا، وقاضيًا ومقتضيًا»^(٣).

الصورة الخامسة: مداومته الحسنة وتعاهده لقراءة القرآن.

عن القاسم أبي عبدالرحمن قال: «كان عثمان بن عفان يفتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة وبالأنعام إلى هود ويوسف إلى مريم وبطه إلى طسم فرعون وبالعنكبوت إلى ص، وتنزيل إلى الرحمن ثم يختتم فيفتح ليلة الجمعة ويختتم ليلة الخميس»^(٤).

(١) فضائل الصحابة (٤٩٥/١) (٨٠٤) وقال محققه إسناده صحيح.

(٢) المعجم الكبير، للطبراني (٨٧/١) (١٣١) وحسن إسناده الهيثمي في المجمع (٩٤/٩).

(٣) مسند أحمد (٥٨/١) (٤١٦) وقال الشيخ أحمد شاكر، إسناده صحيح (٤١٠/١).

(٤) فضائل الصحابة، للإمام أحمد (٥١٧/١) (٨٥٠).

الصورة السادسة: تواضعه - رضي الله عنه - .
عن الحسن قال: «رأيتُ عثمان نائمًا في المسجد، ورداؤه تحت رأسه
فيجيء الرجل فيجلس إليه، ويجيء الرجل فيجلس إليه، كأنه
أحدهم...»^(١).

(١) سير أعلام النبلاء، سيرة الخلفاء الراشدين للذهبي (١٥٦).

رابعاً: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -
أ - نسبه :

هو علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف،
أبو الحسن القرشي الهاشمي^(١).
ب - صفاته الخلقية :

كان علي - رضي الله عنه - شديد الأدمة، ضخم البطن، إلى القصر
أقرب، ثقل العينين، عظيمهما عظيم اللحية^(٢).
ج - فضله ومكانته :

عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: خلف رسول الله ﷺ
علي بن أبي طالب، في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله! تخلفني في النساء
والصبيان؟ فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه
لا نبي بعدي»^(٣).

وعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر:
«لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ﷺ ويحبه
الله ورسوله»، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح
الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: أين علي بن
أبي طالب؟ «فأعطاه الراية»^(٤).

د - صور من إحسانه - رضي الله عنه - .
الصورة الأولى: سبق إسلامه - رضي الله عنه - .
عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - قال: «أول من صلى مع رسول الله
ﷺ علي - رضي الله عنه -»^(٥).
الصورة الثانية: شدة اتباعه لسنة النبي ﷺ.

عن جابر - رضي الله عنه - في حديث طويل في صفة حج النبي ﷺ
وفيه: أن علياً قديم من اليمن يبدن رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «ما
ذا قلت حين فرضت الحج؟» قال: قلت: اللهم إني أهلٌ بما أهل به رسول
الله ﷺ...^(٦).

(١) تأريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين للذهبي (٦٢١).

(٢) المرجع السابق (٦٢٤).

(٣) صحيح مسلم (١٨٧١/٢) (٢٤٠٤).

(٤) صحيح مسلم (١٨٧٢/٢) (٢٤٠٦).

(٥) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - للنسائي (٢٢) (٢) وقال
محققه صحيح الإسناد.

(٦) صحيح مسلم (٨٨٦/٢) (١٢١٨).

الصورة الثالثة: تشدده في الرواية عن الرسول ﷺ.

عن سويد بن غفلة قال: قال علي - رضي الله عنه - «إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أحرَّ من السماء أحبُّ إليَّ من أن أقول عليه ما لم يقل...»^(١).

الصورة الرابعة: عظم زهده - رضي الله عنه -.

عن الحسن بن جُرْمُوز، عن أبيه قال: «رأيتُ علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يخرج من مسجد الكوفة وعليه قِطْرَتَانِ مُؤْتَرَّزًا، بواحدة مرتديًا بالأخرى وإزاره إلى نصف السَّاق، وهو يطوف بالأسواق ومعه درَّة، يأمر بتقوى الله عزَّ وجل، وصدق الحديث، وحسن البيع، والوفاء بالكيل والميزان»^(٢).

الصورة الخامسة: حسن ورعه - رضي الله عنه -.

عن عبدالله بن زُوَيْر قال: «دخلت علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يوم الأضحى، فقرَّب إلينا خَزِيرَةً^(٣)، فقلنا أصلحك الله! لو قرَّبت إلينا من هذا البط يعني الإوز فإنَّ الله قد أكثر الخير، فقال: يا ابن زوير! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل لخليفة من مال الله إلَّا قصعتان: قصعة يأكلها هو وأهله، وقصعة يضعها بين أيدي الناس»^(٤).

الصورة السادسة: حسن معاملته حتى لعدوه.

عن جعفر بن محمَّد عن أبيه أنَّ عليًا - رضي الله تعالى عنه - قال في ابن ملجم بعدما ضربه: «أطعموه واسقوه وأحسنوا إيساره، فإن عشت فأنا ولي دمي أعفو إن شئت وإن شئت استقدت، وإن مت فقتلتموه فلا تمثلوا»^(٥).

(١) صحيح مسلم (٧٤٦/٢) (١٠٦٦).

(٢) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، لأبي العباس أحمد بن محمَّد الطبري المكي (١٨٠).

(٣) الخَزِيرَةُ: لحم يقطع صغارًا ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذر عليه الدقيق النهاية (٢٨/٢).

(٤) مسند أحمد (١٢٥/١) (٥٧٩) وقال أحمد شاکر في تعليقه على المسند (٥٧٧/١) (٥٧٧): إسناده صحيح.

(٥) سنن البيهقي الكبرى (١٨٣/٨) (١٦٥٣٦).

المبحث الثالث

صور الإحسان الأخرى

عن غير الأنبياء عليهم السلام

والصحابة - رضي الله عنهم -

أولاً: إحسان ذي القرنين (رحمه الله):

أ- نسبه:

اختلف في اسمه قيل هو عبدالله بن الضحاك بن معد، وقيل مصعب بن عبدالله بن قنان بن منصور بن عبدالله بن الأزد بن عون بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن قحطان^(١). وقد جاء أنه من حمير^(٢).

واختلفوا في السبب الذي سمي به ذا القرنين والأشبه بالصواب أن سبب ذلك؛ لأنه بلغ قرني الشمس غرباً وشرقاً، وملك ما بينهما من الأرض^(٣).

ب - مكانته:

كان رحمه الله ملكاً من الملوك العادلين أعطاه الله ملكاً عظيماً ممكناً فيه، ناصحاً لله تعالى مكث دهرًا طويلاً يجوب الأرض يدعو أهلها إلى عبادة الله وحده لا شريك له. أسلم على يدي إبراهيم عليه السلام، وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل عليه السلام^(٣).

ج - صور إحسانه - رحمه الله -:

الصورة الأولى: ما ذكر الله تعالى عن جهاده ابتغاء مرضاة الله جلّ وعلا، وعدله في رعيته. قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٢﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْفَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف].

في هذه الآيات المباركات يخبر جلّ ذكره أنه أعطى عبده الصالح ذا القرنين ملكاً عظيماً ممكناً فيه من جميع ما يؤتى الملوك من العلم والتمكين والجنود وآلات الحرب والحصارات، مما جعله يملك مشارق الأرض

(١) البداية والنهاية (٢/١٠٤).

(٢) المصدر السابق (١٠٣).

(٣) المصدر السابق (١٠٣ - ١٠٧).

ومغاربها وتدين له البلاد وتخضع له الأمم من العرب والعجم، وأنه في مسيره في الأرض يدعو إلى الله تعالى ويجاهد في سبيله، وحينما وصل إلى أقصاها من ناحية المغرب وجد أمة من الأمم عمية، فدعاهم إلى الله تعالى فأمن قومٌ وكفر آخرون، وقد خير ذو القرنين بين تعذيبهم أو الإحسان إليهم، وكان من إحسانه وعدله أن يعذب من استمر على كفره بالله تعالى وعناده له، وزجره بما ينتظره من العقاب والنكال في الآخرة. وأمّا من آمن وعمل صالحًا فقد بشره ذو القرنين بالنجاة من العذاب في الدنيا والآخرة وأحسن له القول ووعدته بالتفضل والعطية بما يصلح حاله في الدنيا^(١).

الصورة الثانية: نصرته للمظلومين، وإعانتة للعاجزين، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجْدهَا تَطَلَّعَ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سَبِيلًا ۚ﴾ ٨٩ ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۚ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۚ قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِن يَاجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يَجْعَلْ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۚ قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۚ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۚ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ۚ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۚ﴾ [الكهف].

يقول الله تعالى مخبرًا عن ذي القرنين: ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا، أي سلك طريقًا من مشارق الأرض حتى إذا بلغ بين السدين، وهما جبلان مرتفعان بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك، فيعيشون فيها فسادًا ويهلكون الحرث والنسل، ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام، فلما رأى هؤلاء المستضعفون ذا القرنين وما هو فيه من قوّة وغلبة وصلاح سيرة أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالا يعطونه إياه حتى يجعل بينهم وبين قوم يأجوج ومأجوج سدًا، فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير ﴿ما مكني فيه ربي خير﴾ أي إنّ الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خيرٌ لي من الذي تجمعون، ولكن ساعدوني بقوة «أجعل بينكم وبينهم ردمًا..» وهكذا أخذ العبد الصالح في وضع خطة البناء فحال بينهما بسدٍّ منيع لبناته من حديد حتى إذا ساوى بين الجبلين أجج على البناء الحديدي نارًا فلما احمرّ أفرغ عليها النحاس المذاب، فكان أعجوبة في القوّة والمنعة ممّا جعل قوم يأجوج ومأجوج يقفون عاجزين عن اختراقه أو الصعود عليه، وكان من أمر هذا العبد الصالح أن نسب الفضل في بنائه إلى الله تعالى، وأنّ ذلك

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٣ - ١٦٦).

رحمةً منه بعباده^(١).

ومن هذا نأخذ أنَّ أهل الإحسان هم أرحم الخلق بالخلق والأكثر
معاونةً للعاجزين والأعظم نُصرةً للمستضعفين.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/١٦٧ - ١٧٠).

ثانيًا : صور من الإحسان عن مجهولين من الأمم الماضية :

الصورة الأولى : الاعتراف بالفضل ، والصدقة إلى المسكين وابن السبيل .
عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن ثلاثة في بني إسرائيل : أبرص وأقرع ، وأعمى ، بدا الله أن يتليهم ، فبعث إليهم ملكًا ، فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لونٌ حسنٌ ، وجلدٌ حسنٌ ، قد قدرني الناسُ ، قال : فمسحه فذهب عنه ، فأعطي لونًا حسنًا ، وجلدًا حسنًا ، فقال : أي المال أحب إليك ؟ قال : الإبل ، أو قال : البقر ، هو شك في ذلك : أن الأبرص والأقرع قال أحدهما للإبل . وقال الآخر البقر ، فأعطي ناقةً عُشراء ، فقال : يبارك لك فيها ، وأتى الأقرع فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعرٌ حسنٌ ، ويذهب عني هذا ، قد قدرني الناس ، قال : فمسحه فذهب . وأعطي شعرًا حسنًا ، قال : فأني المال أحب إليك ؟ قال : البقر ، قال : فأعطاه بقرةً حاملًا ، وقال : يبارك لك فيها ، وأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : يرد الله إليّ بصري ، فأبصر به الناس ، قال : فمسحه فردَّ الله إليه بصره ، قال : فأني المال أحب إليك ؟ قال : الغنم ، فأعطاه شاةً والدًا فأنجَحَ هذان وولد هذا ، فكان لهذا وادٍ من إبل ، ولهذا وادٍ من بقر ولهذا وادٍ من غنم ، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته ، فقال : رجلٌ مسكين ، تقطعت بي الجبال في سفري ، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال ، بغيراً أتبلغ عليه في سفري ، فقال له : إن الحقوق كثيرة ، فقال له : كأنني أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرَك الناس فقيرًا فأعطاك الله ؟ فقال : لقد ورثت لكابر عن كابر ، فقال إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأقرع في صورته وهيئته ، فقال له مثل ما قال لهذا ، فردَّ عليه مثل ما ردَّ عليه هذا ، فقال : إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأعمى في صورته ، فقال : رجلٌ مسكين وابن سبيل ، وتقطعت بي الجبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري ، فقال : قد كنت أعمى فردَّ الله بصري ، وفقيرًا فقد أغنانني ، فخذ ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذتهُ الله ، فقال : أمسك مالك ، فإنما ابتليتم ، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك »^(١) .

الصورة الثانية : الصدقة الكثيرة :

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « بينما رجلٌ بفلاة من الأرض فسمع صوتًا في سحابة : اسق حديقة فلان ! ففتح عن ذلك

(١) صحيح البخاري (١٢٧٦/٣) (٣٢٧٧) .

السحاب فأفرغ ماءه في حرّة فإذا شرجة من تلك الشّراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته، يحول الماء بمسحاته! فقال له: يا عبدالله ما اسمك؟ قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبدالله لمّ تسألني عن اسمي؟ فقال: إنّي سمعتُ صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان، لا سمك: فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا، فإنّي أنظر إلى ما يخرج منها، فأصدق بثلثه، وأكل أنا وعيالي ثلثاً، وأرد فيها ثلثه»^(١).

الصورة الثالثة: حسن الورع.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله: «اشترى رجل من رجل عقاراً له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني، إنّما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الذهب، وقال الذي له الأرض: إنّما بعثك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه، ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقا»^(٢).

الصورة الرابعة: بر الوالدين، والعفة، وحسن معاملة الأجير.

عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنّهُ لا ينجيكم من هذه الصخرة إلّا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهمّ كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدرح على يديّ أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا، اللهمّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنّا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج، قال النبي ﷺ: وقال الآخر: اللهمّ كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إليّ، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى أَلَمْتُ بها سنةً من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرْتُ عليها قالت: لا أُحلُّ لك أن تفض الخاتم إلّا بحقه، فتخرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي

(١) صحيح مسلم (٣/٢٢٨٨) (٢٩٨٤).

(٢) صحيح البخاري (٣/١٢٨١) (٣٢٨٥).

أحب الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال النبي ﷺ: وقال الثالث: اللهم إنني استأجرت أجراً فأعطيتهم أجراً غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبدالله أدد إليّ أجري، فقلت له، كل ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال يا عبدالله لا تستهزيء بي، فقلت: إني لا أستهزيء بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»^(١).

الصورة الخامسة: الإحسان إلى الحيوان.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «بيننا رجل يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئراً فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له» قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال: في كل كبد رطبة أجر»^(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «أنَّ امرأةً بغياً رأت كلباً في يوم حار، يُطيف ببئر قد أدلج لسانه من العطش، فنزعت له بموقها، فغفر لها»^(٣).

(١) صحيح البخاري (٧٩٣/٢) (٢١٥٢).

(٢) صحيح البخاري (٨٣٣/٢) (٢٢٣٤).

الفصل الرابع ثمرات الإحسان

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الثمرات الدنيوية

المبحث الثاني: الثمرات الأخروية

الثمرات الدنيوية

أصبح من نافلة القول التأكيد على أنَّ الإحسان قيمة دينية عظيمة، بعد أن تبين لنا فيما سبق سمو مكانته ورفعة شأنه، وأنه لا يرتقى إلى مرتبته إلاَّ أهل الهمم العلية، والعزائم الأبية، والنفوس المتوثبة، الذين تلمسوا محاب الله تعالى في كل قول أو عمل أو اعتقاد، فقاموا به على خير وجه من الإتقان والإخلاص والمتابعة الصادقة لرسول الله محمد ﷺ، وتنزهوا عن كل ما يبغضه الله تعالى من الأقوال والأعمال والاعتقادات الفاسدة تركًا كليًا ابتغاء مرضاة الله تعالى، حتى كأنهم جبلوا على فعل الخيرات وترك المنكرات من غير فكر ولا روية، وقاموا على أنفسهم وغيرهم من الخلق بما لا نظير له من كف الأذى وبذل الندى، وهم على حال وكأنهم يرون ربهم تعالى يرجون رحمته ويخافون عذابه قد امتلأت قلوبهم بمحبته، كل ذلك لعلمهم الوافر بكرم مَنْ يعاملون وأنه تعالى يجزئ المحسنين خير الجزاء في الدنيا والآخرة، وأنَّ هذا الجزاء ثمراتٌ يانعاتٌ للإحسان، كما قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] وكما قال تعالى: ﴿ جَزَاءُ مَنْ رَزَاكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴾ [النبا: ٣٦]، ولا يخفى أنَّ أهل الإحسان شاركوا أهل الإسلام والإيمان في حسن الجزاء والثواب في الدنيا والآخرة، وزادوا عليهم كما وكيفًا، ومن تلك الثمرات الدنيوية.

الأولى: محبة الله تعالى للمحسنين ورضاه عنهم: وهذا لا يعني أَنَّ الله تعالى لا يحب غيرهم من أهل الإسلام، والإيمان وإنما فيه زيادة محبة لهم جزاء ما زاودا به من الإحسان عن غيرهم يقول الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ويقول الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

ويقول تعالى: ﴿فَعَالَمُهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨]. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣].

وعن رضاه عنهم يقول تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

آثار محبة الله تعالى للمحسنين:

هذه المحبة الإلهية للعبد عظيمة وشريفة ولها آثار حميدة في حياة المحسن، إذ يجعل الله له بها نوراً وبصيرةً وحفظاً وتأيداً ودعاءً مستجاباً وإعازةً به من كل ذي شر. كما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتَهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تُقَرِّبُ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ»^(١).

يقول ابن رجب - رحمه الله - المراد بهذا الكلام: أَنَّ مَنْ اجْتَهِدَ بِالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ بِالْفَرَائِضِ، ثُمَّ بِالنَّوَافِلِ، قَرَّبَهُ رَبُّهُ، وَرَفَّاهُ مِنْ دَرَجَةِ الْإِيمَانِ إِلَى دَرَجَةِ الْإِحْسَانِ، فَيَصِيرُ عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْحُضُورِ وَالْمِرَاقِبَةِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَيَمْتَلِيءُ قَلْبُهُ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَحَبَّتِهِ، وَعَظَمَتِهِ، وَخَوْفِهِ، وَإِجْلَالِهِ وَالْأَنْسَ بِهِ، وَالشُّوقَ إِلَيْهِ، حَتَّى يَصِيرَ هَذَا الَّذِي فِي قَلْبِهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ مَشَاهِدًا بَعِينِ الْبَصِيرَةِ»^(٢).

ثم قال: «فَمَتَى امْتَلَأَ الْقَلْبُ بِعَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، مَحَا ذَلِكَ الْقَلْبُ كُلَّ مَا سِوَاهُ، وَلَمْ يَبْقَ لِلْعَبْدِ شَيْءٌ مِنْ نَفْسِهِ وَهَوَاهُ وَلَا إِرَادَةً إِلَّا لِمَا يَرِيدُهُ مَوْلَاهُ، فَحَيْثُ لَا يَنْطِقُ الْعَبْدُ إِلَّا بِذِكْرِهِ وَلَا يَتَحَرَّكُ إِلَّا بِأَمْرِهِ، فَإِنْ نَطَقَ، نَطَقَ بِاللَّهِ، وَإِنْ سَمِعَ، سَمِعَ بِهِ، وَإِنْ نَظَرَ نَظَرَ بِهِ، وَإِنْ بَطَشَ بَطَشَ بِهِ».

ومن آثار محبة الله تعالى لعبده: محبة أهل السماء له وما يضعه من القبول له في أهل الأرض، كما روى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جَبْرِيلُ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ فَلَانًا فَأَحْبُوهُ فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يَوْضَعُ لَهُ الْقَبُولَ فِي الْأَرْضِ»^(٣).

الثانية: استمرار الهداية التي منحهم الله والزيادة فيها:

هداية الله لعبده المحسن ثمرة عظيمة إذ بغيرها يتغير مسيره إلى الله تعالى وتتجاذبه الشهوات والشبهات التي يزينها العدو اللدود الشيطان الرجيم في قلوب العباد فالحاجة ماسة للهداية من أول المسير إلى الله إلى حين القدوم عليه جلّ وعلا، وليس لأحد غنى عن الهداية، حتى رسل الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ

(١) صحيح البخاري (٢٣٨٤/٥) (٦١٣٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (٣٤٥/٢) (٣٤٦).

(٣) صحيح البخاري (٢٢٤٦/٥) (٥٦٩٣).

قَبْلَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنعام: ٨٤].

من أسباب الهداية:

١- الدعاء الخالص والإلحاح في طلبها من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

٢- المجاهد الدائبة في تحصلها من طرقها الشرعية وهي الكتاب والسنة، وذلك بتعلمها وأخذ النفس على العمل بأحكامهما، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وهذا المصدران للهداية حق لا مزية فيهما ومن ابتغى الهدى في غيرهما أضله الله يقول الله تعالى عن القرآن الكريم: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [٢] هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ [لقمان: ٢-٥].

٣- الثبات على أول الهداية مع الاستمرار في الرغبة الصادقة في الزيادة منها كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا رَادَّهُمْ هُدًى وَآثَرَهُمْ تَفَوُّهُمُ﴾ [محمد: ١٧].

٤- ترك عوائد الآباء والأجداد وأهوائهم المنحرفة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أُتْبِعُ أَهْوَاءَ كُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦].

٥- الاستعصام بالله تعالى من الوقوع فيما يضل من الذنوب والمعاصي كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

الثالثة: استجابة الدعاء:

وذلك أنَّ المحسنين بفضل الله ورحمته تحققت فيهم الولاية لله تعالى، فهم خُلص أوليائه هو وليهم ولاية أعظم من ولايته لغيرهم تبارك وتعالى، ثم إنهم يجدون في قلوبهم من الثقة بموعد الله وما في يده ما لا يجده غيرهم، مع ما تحصل لديهم من تحقيق أسباب إجابة الدعاء وصرف موانعه عنهم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنعَمَ الْمَجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الصافات: ٧٥-٨٠]. وكما قال تعالى عن دعوة إبراهيم - عليه السلام - ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴿١٠٣﴾ قَالَ يَتَابِعُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٤﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٥﴾ وَتَدَيَّنَاهُ أَنَّ يَتَابِرْهُمُ ﴿١٠٦﴾ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: ١٠٥].

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - السابق: «ولئن سألني

لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه...»^(١).

قال ابن رجب - رحمه الله - «يعني أنَّ هذا المحبوب المقرب، له عند الله منزلة خاصة تقتضي أنَّه إذا سأل الله شيئاً أعطاه إياه وإن استعاذ به من شيء أعاده منه، وإن دعاه أجابه، فيصير مجاب الدعوة لكرامته على ربه عز وجل، وقد كان كثير من السلف الصالح معروفاً بإجابة الدعوة... وكان سعد ابن أبي وقاص - رضي الله عنه - مجاب الدعوة، فكذب عليه رجل، فقال: «اللَّهِمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا، فَأَعْمِ بَصْرَهُ، وَأَطْلِ عَمْرَهُ، وَعَرِضْهُ لِلْفِتَنِ، فَأَصَابَ الرَّجُلُ ذَلِكَ كُلَّهُ، فَكَانَ يَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي السَّكَكِ، ويقول: شيخ كبير مفتون أصابتنني دعوة سعد»^(٢).

الرابعة: معية الله تعالى الخاصة للمحسنين:

وهذه المعية على ما يليق بجلال الله تعالى مما لا نعلم كيفيته والتي من لوازمها الحفظ والتأييد والنصرة والتمكين والمجبة والتثبيت وغيرها من المنح الربانية، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال ابن كثير - رحمه الله - «أي معهم بتأييده ونصره ومعونته وهديه وسعيه وهذه معية خاصة»^(٣).

أيها المحسن: هنيئاً لك رعاية الله وعنايته تكلؤك في الليل والنهار لا تخاف حين يخاف الناس ولا تكل حين يكلُّ العامل، وأنت في هداية من الله تعالى، موعود بالنصر والظفر حين اللقاء.

الخامسة: صرف السوء والفحشاء عن المحسنين:

إنَّ المحسن بشر معرض لغوائل أهل السوء وما تشتهيه أنفسهم من الإثم والمنكر فالواجب عليه ألا يركن إلى نفسه فيرد على السوء والفحشاء مطمئناً إلى قدراته في الحفظ والصون ولا سيما فتنة النساء، أما إذا ابتلي بما لا طاقة له على الفرار منه فإنَّ الله تعالى بقدرته على كل شيء يخمد نار الشهوات الفطرية في نفس المحسن، ويصرفه عنها ويصرفها عنه. كما أبان الله تعالى عن حفظه لنبیه يوسف عليه السلام وصونه عن المؤامرة الخبيثة التي دبرتها له امرأة العزيز ليقع بها فقال جلَّ وعلا: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا

(١) صحيح البخاري (٢٣٨٤/٥) (٦١٣٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (٣٤٨/٢، ٣٥٠)، وحديث دعوة سعد في صحيح البخاري (٢٦٣/١) (٧٢٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٩١٩/٢).

عَنْ نَفْسِهِ، وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ [يوسف: ٢٣ - ٢٤].

وفي قصة جريج العابد مثال قوي لحفظ الله لعبده المحسن. وصرف السوء والفحشاء عنه، وفيها أنَّ أمه دعت عليه: فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات، فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته، وكانت امرأة بغية يَمْتَثِلُ بِحُسْنِهَا، فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم، قال: فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها... الحديث^(١).

وهذا الحفظ الإلهي لعبده المحسن جزاء لحفظه لحدود الله تعالى والقيام بما يجب له جلّ ذكره كما جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك...»^(٢).

قال ابن رجب - رحمه الله - «يعني احفظ حدوده، وحقوقه، وأوامره، ونواهيه، وحفظ ذلك: هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده، فلا يتجاوز ما أمر به، وأذن فيه إلى ما نهى عنه، فمن فعل ذلك، فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه، وقال عز وجل: ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٍ﴾^(٣) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٢﴾ [ق: ٣٢، ٣٣]. وفسر الحفيظ ها هنا بالحافظ لأوامر الله، وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها... وقوله: «يحفظك» يعني: أنَّ من حفظ حدود الله وراعى حقوقه حفظه الله، فإنَّ الجزاء من جنس العمل... وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله...

والنوع الثاني: من الحفظ وهو أشرف النوعين:

حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان^(٣).

(١) صحيح مسلم (٣/١٩٧٦) (٢٥٥٠). من رواية أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٢) سنن الترمذي (٤/٦٦٧) (٢٥١٦). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/١٣١٧) (٧٩٥٧).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/٤٦٢، ٤٦٥، ٤٦٨).

السادسة: النجاة من المكائد والهلكة المتوقعة:

بما أنَّ المحسن إنسان عزَّ عليه دينه، وسمت عنده نفسه فلم يرتع مع الفاسقين في وحل الخطيئة ونجس الذنب إذن فهو مستهدف في نفسه ودعوته من أهل الباطل وربما من الحساد ممن فيه نوع صلاح غير أن الله تعالى منجيه من غوائلهم ومكائدهم المتوقعة. هذا نوع، والآخر أنَّ الله تعالى إذا أراد بقوم سوءًا جعل لعبده المحسن مخرجًا حسنًا ينجو به، قال الله تعالى عن نجاة عبده وخليله إبراهيم - عليه السلام - من النار التي أوقدها له قومه: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٠].

وهكذا نجى الله يوسف عليه السلام من كيد إخوته وما أرادوا به كما قال: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّىٰ وَيَصِيرَ فَاكِتَ اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف: ٨٩-٩٠].

وهكذا نجى الله تعالى نوحًا عليه السلام مما أصاب قومه من العذاب كما قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الصافات: ٧٦]. إلى أن قال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الصافات: ٨٠].

ونجى جل وعلا موسى وهارون عليهما السلام ومن معهما من المؤمنين من العذاب والغرق الذي لحق فرعون وجنوده فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٨﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [الصافات: ١١٨-١١٩].

والحقيقة أنَّ هذا باب يطول ذكره وفي سيرة الرسول ﷺ وما نجاه الله تعالى من كيد أعدائه عبرة قوية.

السابعة: أنَّ الله تعالى يمنح المحسنين رغداً في العيش، وزيادة في الرزق، وحياة طيبة.

قال الله تعالى لبني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [البقرة: ٥٨].

قال القرطبي - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿رَغَدًا﴾ أي كثيراً واسعاً، وفي قوله: ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي نزيدهم إحساناً على الإحسان المتقدم عندهم^(١).

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيَوَةً

(١) جامع لأحكام القرآن (١/٢٨٢).

طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل: ٩٧] وأي حياة أطيب من حياة المحسنين وقد امتلأت قلوبهم سكينة ورضا بأقدار الله تعالى فلا خوف مما هو آتٍ ولا حزن على ما فات من الدنيا.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].
قال الشوكاني - رحمه الله -: «للذين أحسنوا في العمل حسنة في الدنيا بالصحة والعافية والظفر والغنيمة»^(١).

ويقول تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠].

قال ابن عاشور - رحمه الله -: «وحسنة الدنيا هي الحياة الطيبة وما فتح الله عليهم من زهرة الدنيا مع نعمة الإيمان وخير الآخرة هو النعيم الدائم»^(٢)، فليت الذين اطمأنوا بالدنيا ورضوا بها الذين ينفقون القدرات المادية الهائلة لتحصل لهم مثل هذه الحياة ولمّا يحصلوا عليها، ليتهم يعلمون أنّ ضالتهم المنشودة لا تتحقق إلا من طريق الدين والبلوغ فيه مرتبة المحسنين.

الثامنة: الإحسان يزرع المودة للمحسنين في قلوب الخلق

ما من شيء يسيل سخيمة الصدر عن المحسن ويردم هوة العداوة ضده ويؤلف القلوب عليه ويزرع المودة له أعظم من الإحسان إلى الخلق ومقابلة إساءتهم بالانعام والتفضل والبر بهم: يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

قال الطاهر بن عاشور - رحمه الله -: «وهذا تركيب من أعلى طرف البلاغة لأنّه يجمع أحوال العداوات فيعلم أنّ الإحسان ناجع في اقتلاع عداوة المحسن إليه للمحسن على تفاوت مراتب العداوة قوة وضعفاً، وتمكناً وبعداً، ويعلم أنّه ينبغي أن يكون الإحسان للعدو قوياً بقدر تمكن عداواته ليكون أنجع في اقتلاعها، ومن الأقوال المشهورة: النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها»^(٣).

التاسعة: أنّ الله تعالى يبارك على المحسن وبهبه زوجة وذرية صالحة مباركة

يقول الله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا

(١) فتح القدير (٤/٤٥٣).

(٢) التحرير والتنوير (١٤٢/١٤).

(٣) التحرير والتنوير (٢٤/٢٩٣).

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ [الصفات: ١٠٩ - ١١٣]. ومعنى ﴿باركنا﴾ أي جعلناه ذا بركة، والبركة زيادة الخير في مختلف وجوهه^(١)

وأما ما يهبه الكريم جلّ وعلاً من زوجة وذرية صالحة مباركة للمحسن، فإنه الغالب وهو المشاهد في أهل الإحسان وهبهم الله تعالى تلك الزوجات والذرية منحة منه، يستظلون بظلال برّهم، ينعمون بصلاحهم وحسن سيرتهم، وإن جاء خلاف ذلك للمحسن فإنه من باب الابتلاء الذي إذا صبر عليه كان خيراً من الولد الصالح والزوجة البارة، وفيه دلالة على أن الله تعالى هو الذي يهب الصلاح والبركة لمن يشاء سبحانه وتعالى لا غيره، يقول تعالى عما أنعم به على إبراهيم - عليه السلام - من الذرية الصالحة المباركة: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام: ٨٤].

ويقول تعالى عن زكريا - عليه السلام - وما أنعم الله جلّ وعلا به عليه من الذرية والزوجة الصالحة: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ إِنَّهُم كَانُوا يُسَكَّرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

العاشرة: أن الله يتفضل على عبده المحسن بالسيرة الحسنة، والذكر الحسن بين الناس ويرزقه الظفر على أعدائه.

أجل: إنَّ المطلع على تواريخ الناس وأخبارهم والمهتم بأحديثهم وما يتناقلون عن بعضهم، يرى أن المحسنين شريحة حسنة سيرتهم، فقيض الله لهم من يحمدهم فعالهم، فلم نزل نسمع الخطب والمحاضرات والندوات تعقد في نشر فضائلهم، والثناء عليهم صباح مساء، كما أنه لا يخفى على كل بصير ما تزخر به المكتبة من هذا النوع من التأليف.

وهذا للحي عاجل بشرائه وللميت شهادة تنفعه عند ربه غداً، يقول الله تعالى عن نوح وإبراهيم، وموسى وهارون وإلياس عليهم السلام: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الصفات: ٧٨].

فعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً وإنه كان يقول: إنَّ خياركم أحاسنكم أخلاقاً^(٢). وهكذا كما رفع ذكرهم في العالمين فإنه جعل لهم العاقبة والظفر

(١) انظر: تفسير التحرير والتنوير (١٦٢/٢٣).

(٢) صحيح البخاري (٢٢٤٥/٥) (٥٦٨٨).

على أعدائهم يقول تعالى عن موسى وهارون عليهما السلام: ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ [الصافات: ١١٦].

وهذا جزاء ما كانوا يرفعون من ذكر الله في الدنيا وما نصرُوا به شرعه كما قال تعالى: ﴿إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

الحادية عشر: أن الله تعالى مكن المحسنين في هذه الدنيا:

يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦].

ويقول تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْتَنِي بِهَذَا أَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمُوهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].

وهذا التمكين كما حصل لهذا النبي الكريم فإنه يحصل لغيره من المحسنين بحسب ما تقتضيه حكمة الله وإرادته.

قال ابن عاشور - رحمه الله - المكين: صفة مشبهة من مكن - بضم الكاف - إذا صار ذا مكانة، وهي المرتبة العظيمة، وهي مشتقة من المكان^(١).

الثانية عشر: أن الله تعالى أنار عقول المحسنين بالعلم.

من الملاحظ أن الله تبارك وتعالى أنار عقول المحسنين وجعلها صالحة للعلم والمعرفة والتفكير والتأمل والنظر كما قال تعالى ممتنًا على يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

وقال تعالى ممتنًا على موسى - عليه السلام - ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤]، وفي قوله: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لفظ عام^(٢).

والفرق بين ما أتى الله تعالى الأنبياء من العلم والحكم وبين ما أتى غيرهم من الأنبياء والرسل عليهم السلام أن علم الأنبياء مباشرة من الله تعالى عن طريق الوحي الإلهي لهم أو من طريق جبريل - عليه السلام - الذي كان ينزل عليهم بأوامر الله ونواهي، ثم إن علوم الأنبياء وحكمهم زائدة كمًا وكيفًا عن غيرهم، وهذا العلم لا يمكن أن يكتسب بل هو محض منة واصطفاء من الله تعالى، وأما ما أتى المحسنين فإنه من باب تهيئتهم لتلقي تلك العلوم عن الرسل - عليهم السلام - أو أتباعهم، وأنه جعل لهم بصائر يميزون بها وقدرة على فهم الدين والفقه فيه.

(١) التحرير والتنوير (٧/١٣).

(٢) انظر: فتح القدير (١٤/٣).

الثالثة عشر: أن الله تعالى رفع عنهم الحرج لعلمه بصدق نواياهم وحسن قصدهم.
يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

قال القرطبي - رحمه الله - وهذه الآية أصل في رفع العقاب عن كل محسن (١).

وشرط الإحسان هنا تمام النصيح لله تعالى ولرسوله ﷺ في اتباع الأوامر واجتناب النواهي.

ومعنى الآية: ليس على الضعفاء ولا على من عطف عليهم حرج، وهو الضيق، إذا نصحوا لله ورسوله لأنهم محسنون غير مسيئين، وما على المحسنين من سبيل، أي مؤاخذه أو معاقبة، والمحسنون هم الذين فعلوا الإحسان وهو ما فيه النفع التام (٢).

الرابعة عشرة: أن الله تعالى يمنح المحسن الثبات على الدين والقوة فيه
كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢]. أي فقد ثبت في أمره، واستقام على الطريق المثلى، والصراط المستقيم، وتمسك من الدين بأقوى سبب، فهو ثابت اليقين سالم من اضطراب القلب في الدنيا ناج من مهاوي السقوط في الآخرة كحال من تمسك بحلقة حبل وثيق متين لا ينفصم (٣).

الخامسة عشرة: ما يجده المحسن في القرآن الكريم من البشري الحسنة وقبول عمله والوعد الحق بالخير بعد وفاته بانتفاء الخوف والحزن.

يقول الله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].
قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - ، والمعنى سيق لتحقيق القبول من الله لمن أخلص في عمله (٤).

والمخاطب هو النبي ﷺ.

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاق: ١٢].

يقول الطبري - رحمه الله - وهو بشري يعني القرآن العظيم للذين أطاعوا الله فأحسنوا في إيمانهم وطاعتهم إياه في الدنيا، فحس الجزاء من الله

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٤٥).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/٢٩٤).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/٤٦٦)، والتحرير والتنوير (٣/٣٥٩).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٣/٣٥٩).

لهم في الآخرة على طاعتهم إياه^(١).

قال الألوسي - رحمه الله - في قوله: ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ ليكون ذريعة إلى البشارة بنفي الخوف والحزن كمن قالوا: ﴿رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَغْنُوا﴾^(٢) يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١١٥) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١١٦) [البقرة: ١١١، ١١٢].

السادسة عشرة: أن الله تعالى يتقبل من المحسنين أحسن أعمالهم ويجزيهم عليها أعظم الأجر ويضاعف ثوابها لهم أكثر من غيرهم ويتجاوز عن سيئاتهم، بل يبدلها حسنات يقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوْعَدُونَ﴾^(١١٦) [الأحقاق: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١١٧) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١١٨) [التوبة: ١٢٠، ١٢١].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١١٧) [آل عمران: ١٧٢].

وقال تعالى: ﴿عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٩٠) [يوسف: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٩٦) [النحل: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢٤٥) [البقرة: ٢٤٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢٩) [الأحزاب: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ^(٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣٥) [الزمر: ٣٣-٣٥].
والآيات في هذه المعنى كثيرة، ومن السنة النبوية.

(١) تفسير الطبري من كتابه جامع البيان، للدكتور بشار عواد معروف ومن معه (١٣/٧).

(٢) روح المعاني (١٦/٢٦).

ما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، وكل شيء تكتب له بمثلها»^(١).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «العبد إذا نصح سيده وأحسن عبادة ربه له أجره مرتين»^(٢).

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رجل يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: «من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر»^(٣).

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لهم أجران، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران»^(٤).

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين، فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء»^(٥).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «صلاة الجميع تزيد على صلاته في بيته، وصلاته في سوقه خمسا وعشرين درجة، فإن أحدكم إذا توضأ فأحسن وأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه خطيئة حتى يدخل المسجد، وإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه، وتصلي عليه الملائكة ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يحدث فيه»^(٦).

وعن حمران بن أبان قال: أتيت عثمان - رضي الله عنه - بطهور وهو جالس على المقاعد فتوضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: رأيت النبي ﷺ توضأ وهو في هذا المجلس، فأحسن الوضوء ثم قال: «من توضأ مثل هذا الوضوء، ثم أتى المسجد فركع ركعتين، ثم جلس، غُفر له ما تقدم من ذنبه

(١) صحيح البخاري (٢٤/١) (٤٢).

(٢) صحيح البخاري (٨٩٩/٢) (٢٤٠٨).

(٣) صحيح البخاري (٢٥٣٦/٦) (٦٥٢٣).

(٤) صحيح البخاري (٤٨/١) (٩٧).

(٥) سنن الترمذي (٧٧/١) (٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٦١/٢) (٦١٦٧).

(٦) صحيح البخاري (١٨١/١) (٤٦٥).

قال: وقال النبي ﷺ: «لا تغتروا»^(١).

قال ابن حجر - رحمه الله - في الفتح: حاصله لا تحملوا الغفران على عمومته في جميع الذنوب فتسترسلوا في الذنوب، اتكالا على غفرانها بالصلاة، فإن الصلاة التي تكفر الذنوب هي المقبولة ولا اطلاع لأحد عليه^(٢).

وعن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره»^(٣).

وعن عثمان - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله»^(٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت، عُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، ومن مسَّ الحصى فقد لغا»^(٥).

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»^(٦).

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن خلق وإنَّ الله ليبغض الفاحش البذيء»^(٧).

السابعة عشرة: أنَّ المحسن من أقرب الناس محبة ومنزلة يوم القيامة من الرسول ﷺ:

فعن جابر - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً..»^(٨).

(١) صحيح البخاري (٢٣٦٣/٥) (٦٠٦٩).

(٢) فتح الباري (١٠/١٦٥).

(٣) صحيح مسلم (٢١٦/١) (٢٤٥).

(٤) صحيح مسلم (٢٠٦/١) (٢٢٨).

(٥) صحيح مسلم (٥٨٧/١) (٨٥٧).

(٦) سنن الترمذي (٣٥٥/٤) (١٩٨٧). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨١/١) (٩٧).

(٧) سنن الترمذي (٣٦٢/٤) (٢٠٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٨٤/٢) (٥٦٣٢).

(٨) سنن الترمذي (٣٧٠/٤) (٢٠١٨). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٩/١) (٢٢٠١).

المبحث الثاني الثمرات الأخروية

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَمَا أَحْسَنَ إِلَى عِبَادِهِ الْمُحْسِنِينَ فِي الدُّنْيَا فَقَدْ أَدَّخَرَ لَهُمْ أَكْثَرَ الْإِحْسَانِ وَأَجَلَهُ فِي الْآخِرَةِ مِمَّا لَا يُمْكِنُ وَصْفُهُ، وَذَلِكَ لِيَنْعَمُوا بِهِ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ عَطَاءً غَيْرَ مُجْدُودٍ.

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يَعْطِي بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيَجْزِي بِهَا فِي الْآخِرَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا اللَّهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةً يَجْزِي بِهَا»^(١).

وهذا الإحسان الرباني ثمراته يانعة منها:

الأولى: سعة رحمة الله تعالى ومغفرته لعباده المحسنين قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿مَّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النمل: ١١].

الثانية: الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة

يقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ دَاخِرِينَ﴾ [٨٧] وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُ جَامِدَةً وَهِيَ تَمُوتُ مَرَّةً السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ [٨٨] مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ [٨٩] [النمل: ٨٧-٨٩].

يخبر الله تعالى عن هول يوم الفزع يوم النفخ في الصور، والصور قرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام بأمر ربه فينفخ فيه نفختان:

الأولى: نفخة الفزع ويطولها، وذلك في آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء، فيفزع من في السماوات ومن في الأرض، وفي الفزع قولان:

أحدهما: أنه الإسراع والإجابة إلى النداء.

الثاني: أنه الفزع المعهود من الخوف والحزن، لأنهم أزعجوا من

(١) صحيح مسلم (٣/٢١٦٢) (٢٨٠٨).

قبورهم ففزعوا وخافوا، وهذا القول الثاني هو الأقوى.

واستثنى الله في نفخة الفزع من شاء ومنهم المحسنون كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١ - ١٠٣] (١).

وقد وصف الله تعالى أحوال الناس عند النفخ فقال تعالى: ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴿٦﴾ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر: ٦ - ٨].

الثالثة: أن الله تعالى بفضله وجوده وكرمه ينجي عباده المحسنين من عذاب النار:

فإن النار أعظم النكال، وأسوء الداء، هي دارالبوار، جمع الله فيها من أنواع العذاب وأصنافه، لمن استحقها من الكفار والفاسقين ما لو وقع جزء منه على الأرض ومن فيها لأفسد عليهم معاشهم، وأهلكهم أجمعين غير أن المحسنين في نجاة من الله تعالى، كما قال جل ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢] وحتى يطالع المحسنون مقدار هذا الفضل الرباني عليهم أن ينظروا في صفة جهنم وأهوالها وأنكالها.

الرابعة: أن الله تعالى بإحسانه العليم أحل عباده المحسنين دار الرضوان والنعيم المقيم جنات النعيم:

يقول الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيكَ ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا ءامنّا فاكْتُبْنا مع الشّاهدين ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَبَهُمُ اللّٰهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة: ٨٢ - ٨٥].

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْتَمَرُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ ويقول تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتًى أَعَدَّ اللَّهُ عَنَّهُمْ وِزْرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]. ويقول تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتًى أَعَدَّ اللَّهُ عَنَّهُمْ وِزْرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]. ويقول تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتًى أَعَدَّ اللَّهُ عَنَّهُمْ وِزْرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]. ويقول تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتًى أَعَدَّ اللَّهُ عَنَّهُمْ وِزْرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦٠٢/٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٦١/١٣ - ١٦٢).

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف: ١٥-١٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ خَالِدِينَ مَا أَرَادَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الذاريات: ١٥-١٦].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١].

زيادة المحسنين النظر إلى وجه رب العالمين:

قال الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].
وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦]. وهذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله عز وجل والحسنى هي الجنة.

عن صهيب - رضي الله عنه - قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦] قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، قالوا: ما هذا الموعد؟ ألم يثقل موازيننا؟ ويبيض وجوهنا؟ ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل فما أُعْطُوا شيئاً أحب إليهم من النظر إليه^(١).

وهذا النظر إلى وجه الله عز وجل هو ألد النعيم وأقصى درجات السعادة التي يُمنحها المحسنون من رب العالمين.

(١) صحيح مسلم (٢١٧٨/٣) (٢٨٣٤).

الفصل الخامس صفات المحسنين

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الصفات الباطنة

المبحث الثاني : الصفات الظاهرة

المبحث الأول الصفات الباطنة

إنَّ الله تعالى بعلمه وحكمته وقدرته البالغة رسم لعباده المحسنين أوصافاً عزيزة حميدة في الكتاب الكريم والسنة النبوية، يتميزون بها عن غيرهم، مع مشاركتهم غيرهم من المسلمين والمؤمنين في صفاتهم وزيادتهم التطبيقية فيها أوضح سبحانه تلك الصفات لمن أراد الارتقاء بنفسه إلى مرتبة الإحسان السامقة، وهذه الصفات نوعان: صفات باطنة وصفات ظاهرة.

الصفات الباطنة:

والمراد بها تلك الصفات المعنوية:

الصفة الأولى: الإيمان بالأركان الستة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ [١٠٩] كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [١١١] إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٩-١١١]، وقال تعالى عن موسى وهارون عليهم السلام: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [٧٩] إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [٨١] إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ٧٩-٨١]، وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ [١٠٩] كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [١١١] إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٩-١١١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

الصفة الثانية: الإخلاص.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١].

وقريء في السبع بفتح اللام وكسرهما من «مخلصاً»^(١) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

قال ابن القيم - رحمه الله - فإسلام الوجه: إخلاص القصد والعمل

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٢٣٩/٥).

الله . . (١) .

الثالثة: اتباع الكتاب والسنة الصحيحة:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٥٦] [الأنعام: ١٥٣].
ويقول تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٣٩].
وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِّبُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَتَمِثُّوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [١٥٨] [الأعراف: ١٥٨].
وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقال
تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [١٢٥] [النساء: ١٢٥].

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ إذا
خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول:
صبحكم ومساكم ويقول: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي
هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» (٢).

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - أنه قال: أتى النبي ﷺ
بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النبي ﷺ فغضب فقال: «أمتهوكون
فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا
تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي
نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني» (٣).

الرابعة: العلم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [١٩] [محمد: ١٩].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا
وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى
الْكَاذِبِينَ﴾ [٦١] [آل عمران: ٦١].

وقال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾ [يوسف: ٥٥].

[٥٥]

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا . . .﴾ [النمل: ١٥].

(١) مدارج السالكين (٢/ ٩٠).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٥٩٢) (٨٦٧).

(٣) سنن النسائي (٣/ ١٨٨) (١٥٧٨).

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦].

وقال تعالى عن موسى - عليه السلام - ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَانَيْتَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤].

وجاء عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١) أي أحسنكم.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «تجدون الناس معادن، فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا..»^(٢) الخامسة: المراقبة لله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].
وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله...»^(٣).

السادسة: الصبر بجميع أنواعه:

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].
وقال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].
السابعة: التأمل والتفكير والتدبر:

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [٤٥].
﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [٤٦] ﴿وَلَهُمْ عِنْدَنَا لِمَنْ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [٤٧] [ص: ٤٥-٤٧].

يعني بالبصر بصر القلب، وبه تنال معرفة الأشياء،^(٤) والمقصود بالبصر هو النظر الذي يعني التأمل،^(٥) يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَرْنَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨].

(١) مسند أحمد (٣٧٦/٤) (١٤٧٣٦)، وحسنه الألباني في المشكاة (٦٣/١).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (٧٤/٩) (٥٠٢٧).

(٣) صحيح مسلم (٧١٥/٢) (١٠٣١).

(٤) تفسير الطبري (١٧٠/٢٣).

(٥) انظر بصائر ذوي التمييز (٨٢/٥).

الثامنة: الخوف من عذاب الله تعالى:

قال الله تعالى عن إمام المحسنين محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر: ١٣]. وقال تعالى: ﴿أَمَنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَانَاءَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ [٩] قُلْ يَعْبادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ٩، ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالْأَلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَحْدٌ فَلَهُ اسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [٣٤] الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥]، إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

والمخبتون: هم الخائفون كما قال الأخفش^(١)، وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦]، ثم ألحق تعالى بعد آيات بقوله جل ذكره: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [٥٧] وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [٥٨] وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [٥٩] وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧، ٦١].

وعن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات^(٣).

التاسعة: الخشية:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [٧] جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٧، ٨]. وخير هنا أصلها أخير: أفعل تفضيل بمعنى أحسن.

عن عمر بن أبي سلمة - رضي الله عنه - وذكر الحديث بطوله قال: قال

(١) مدارج السالكين (٦/٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) سنن الترمذي (٣٢٧/٥) (٣١٧٥)، وصحه الألباني في صحيح الترمذي (٧٩/٣) (٢٥٣٧).

ﷺ: «... أما والله إنني لأتقاكم لله وأخشاكم له»^(١).

العاشرة: علو الهمة:

عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل كريم، يحب الكرم، ومعالي الأخلاق، ويبغض سفاسفها»^(٢).
الحادية عشر: العزم في امضاء الخير:

قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاق: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿لَتَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

الثانية عشر: التوكل:

أخبر الله تعالى في كتابه العزيز عن جملة الأنبياء عليهم السلام وأبان عن إحسانهم ومنه التوكل الحق على ربهم ومن أولئك الرسل الكرام:

١- نوح - عليه السلام - قال الله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [٧٩] إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ [الصفات: ٧٩، ٨٠]. وعن توكله يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ بَنَاءَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كَانُ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيَّانَتِ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١].

٢- إبراهيم - عليه السلام - قال تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [١١٠] كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١١﴾ [الصفات: ١٠٩، ١١٠]، وعن توكله يقول تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَفْرَنْ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

٣- موسى - عليه السلام - قال الله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [١٢٠] كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ [الصفات: ١٢٠، ١٢١]. وقال عن توكله: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤]. وكان يأمر قومه بالتوكل كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [٨٤] فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا

(١) صحيح مسلم (٧٧٩/١) (١١٠٨).

(٢) مستدرک الحاکم (١١١/١) (١٥١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٦٦/٣) (١٣٧٨).

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ [يونس: ٨٤، ٨٥].

٤- محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿[الزمر: ٣٣، ٣٤]﴾.

وعن توكله ﷺ يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ﴿[الشورى: ١٠]﴾.

الثالث عشر: التواضع:

يقول الله تعالى: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿[الحجر: ٨٨]﴾. وقال تعالى: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿[الشعراء: ٢١٥]﴾.

الرابعة عشر: الزهد:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رُؤْيَا لَهَا إِن كُنتَ تُدْرِكُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْكَ أُمِّيْعُكُنَّ وَأُسْرِحُكُنَّ سَرَلًا جَمِيلًا﴾ ﴿[٢٨]﴾ وَإِن كُنتَ تُدْرِكُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿[الأحزاب: ٢٨، ٢٩]﴾.

وعن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، ذلني على عمل إذا عملته أحبني الله، وأحبني الناس، فقال رسول الله ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس»^(١).

الخامسة عشر: محبة الله تعالى ومحبة ما يحبه جل وعلا:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ ﴿[البقرة: ١٦٥]﴾.

عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب الله، وأبغض الله، وأعطى الله، ومنع الله، فقد استكمل الإيمان»^(٢).

السادسة عشر: الرجاء فيما عند الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ عَائِاتِ الْأَلْبَابِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِ الْأَلْبَابِ﴾ ﴿[٩]﴾ قُلْ يَعْبادُ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿[الزمر: ٩، ١٠]﴾.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة»^(٣).

(١) سنن ابن ماجه (١٣٧٣/٢) (٤١٠٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٣١٠).

(٢) سنن أبي داود (٦٠/٥) (٤٦٨١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٨٨٦/٣) (٤٦٨١).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (٣/٩) (٤٩٨١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَرْضَيْنَ عَنْهُمْ أَتْبَعَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨].

السابعة عشر: التقوى:

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيُصِيرُ فَإِنَّكَ اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].
وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١، ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ بِنَالِهِ النَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِؤِ اللَّهِ عَلَى مَا هَدَتْكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].
وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ﴾ [٤١] وَفَوْكَه مِمَّا يَشْتَهُونَ [٤٢] كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [٤٣] إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ [٤٤] [المرسلات: ٤١ - ٤٤].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قيل للنبي ﷺ: من أكرم الناس؟ قال: «أكرمهم اتقاهم»^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا المحارم تكن أعبد الناس»^(٢).

الثامنة عشر: الخشوع:

قال الله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [٨٩] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ لِمُزَوَّجَةٍ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَكْرَتٍ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ [٩٠] [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ

(١) صحيح البخاري (٣/١٢٣٤) (٣١٩٤).

(٢) سنن الترمذي (٥/٥٥١) (٢٣٠٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٢/١) (١٠٠).

رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، اصرف عني سيئها لا يصرِف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك، أنا بك وإليك تباركت وتعاليت، استغفرك وأتوب إليك»، وإذا ركع قال: «اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خَشَع لك سمعي وبصري، ومخي وعظمي وعصبي» وإذا رفع قال: «اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد» وإذا سجد قال: «اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين» ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»^(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خَسْفًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

التاسعة عشر: تعظيم الله تعالى وتعظيم شعائره:

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۚ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنَعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج: ٣٠].

عن أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - قالت: لما توفي ابن رسول الله ﷺ، بكى رسول الله ﷺ ثم قال: «تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يخطئ الرب، ولولا أنه وعد صادق وموعود جامع، وأن الآخر تابع للأول لوجدنا عليك يا إبراهيم أفضل مما وجدنا وإنا بك لمحزونون»^(٢).

عن المسوار بن مخرمة - رضي الله عنه -: في حديث صلح الحديبية وفيه قال: فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها»^(٣).

(١) صحيح مسلم (٥٣٤/١) (٧٧١).

(٢) سنن ابن ماجه (٥٠٦/١) (١٥٨٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه: (٢٦٥/١) (١٢٩٢).

(٣) سنن أبي داود (١٩٤/٣) (٢٧٦٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٨٨١/٣) (٣٨٩١).

العشرون: حسن الظن بالله تعالى:

يقول الله تعالى عن كلمه ورسوله موسى عليه السلام: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اسْرِبْ بِعِبَادِي بِخَفَاةٍ فَتَكُونَ مِنَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دَارِهِمْ وَهُمْ أَفْئِدَةٌ لِّغَيْبٍ مُّنتَبِعُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ فَأَرْسَلْنَا فِي الْمَدْيَنَ حَاشِرِينَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَايَطُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٦٠﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّتِ وَعُيُونٍ ﴿٦١﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٦٣﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ ﴿٦٤﴾ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٧﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَ الْآخِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٧٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٧١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٢﴾ [الشعراء: ٥٢ - ٦٨].

وهذا إمام المحسنين نبينا محمد ﷺ، وهو في طريق الهجرة إلى المدينة أوى إلى الغار هو وصاحبه الصديق أبوبكر - رضي الله عنه -، تخفياً من قريش وقد خرجت بقضها وقضيضها في طلبه، وجعلوا ألف ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً، فلم يتركوا سهلاً ولا جبلاً، إلا والتمسوا فيه الرسول ﷺ وصاحبه، وبينما هما في الغار وإذا بكوكبة من الفرسان واقفة في فم الغار، إلا أن الله أخذ أبصارهم.

قال أبوبكر - رضي الله عنه - متعجباً من قدرة الله تعالى على حفظهما قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(١).

الواحد والعشرون: الفرح بفضل الله تعالى وبرحمته:

عن كعب بن مالك - رضي الله عنه - قال: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك، غير أنني قد تخلفت في غزوة بدر، ولم يُعَاتَب أحدًا تخلف عنه إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم، على غير ميعاد، [الحديث وفيه]: فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل عنا، قد ضاقت علي نفسي وضائق علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول: بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج، قال: فأذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا، حين صلى صلاة الفجر. فذهب الناس يبشروننا، فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إليّ فرساً، وسعى ساع من أسلم قبلي، وأوفى الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنني فنزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته، والله، ما أملك غيرهما يومئذ،

(١) صحيح البخاري، الفتح (٨/٧) (٣٦٥٣).

واستعرت ثوبين فلبستهما فانطلقت أتأمم رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئونني بالتوبة ويقولون: لتهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد وحوله الناس فقام طلحة بن عبيدالله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله، ما قام رجل من المهاجرين غيره، قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال: وهو يبرق وجهه من السرور ويقول: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك» قال: فقلت: أمن عندك؟ يا رسول الله، أم من عند الله؟ فقال: «لا بل من عند الله» وكان رسول الله ﷺ إذا سرّ استنار وجهه، كأن وجهه قطعة قمر قال: وكنا نعرف ذلك... الحديث» (١).

الثانية والعشرون: موالاة أولياء الله تعالى ومعاداة أعدائه:

يقول الله تعالى عن إبراهيم - عليه السلام - ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلْعَاذُ وَالْبَعْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿[النحل: ١٢٧، ١٢٨].

الثالثة والعشرون: اليقين بالله تعالى وبما أخبر وما وعد به.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (١٥) أَخْذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ قُرْبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ [الذاريات: ١٥-٢٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٣، ٢٤].

وموسى - عليه السلام - من أئمة المحسنين.

الرابعة والعشرون: الإحسان إلى النفس، ودواخل الإنسان:

يقول الله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦].

(١) صحيح مسلم (٣/ ٢١٢٠) (٢٧٦٩).

المبحث الثاني الصفات الظاهرة

الأولى: كثرة تلاوة القرآن الكريم وذكر الله تعالى

لقد كان إمام المحسنين محمد ﷺ تالياً للقرآن الكريم آناء الليل والنهار، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ [النحل: ٩٨، ٩٩]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَازَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَجَعَلْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ بُحْلًا كَثِيرًا وَتَنْتَعِبُونَ ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (٤٧) [الإسراء: ٤٥ - ٤٧].

وقال تعالى: ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ [الإسراء: ٧٨ - ٧٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى فَأَتِمَّا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلْ لِحَمْدِ اللَّهِ سُبْحَانَ ءَازِينِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ [النمل: ٩١ - ٩٣]. وقال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ [البينة: ١ - ٣]. وممن أسلم من أهل الكتاب واطمأن قلبه للإيمان محسن يتلو آيات الله، قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِمَّنْ أَهْلُ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٤) [آل عمران: ١١٣، ١١٤].

وبالجملة فإن أحسن خلق الله من تعلّم القرآن وعلمه.

وعن عثمان - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلّم القرآن وعلمه» (١).

وأما كثرة الذكر والمداومة عليه

فمن عباد الله المحسنين الذاكرين الله كثيراً، موسى وهارون - عليهما السلام - قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ (٢٩) هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كُنْ سَمِيعًا كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذِّركَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَاصِرًا ﴿٣٥﴾ [طه: ٢٩ - ٣٥].

(١) صحيح البخاري، الفتح (٧٤/٩) (٥٠٢٧).

وقد كان نبينا محمد ﷺ يذكر الله على كل أحيائه فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيائه»^(١).

وقد وصف الله عباده المحسنين بذكره كما قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾^(٣٦) رَجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾^(٣٧) لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٣٨) [النور: ٣٦-٣٨].

الثانية: حمد الله تعالى وشكره والاعتراف بالفضل لأهله.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١٥) [النمل: ١٥]. وقال تعالى عن إبراهيم - عليه السلام - ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾^(٣٩) [إبراهيم: ٣٩].

وعن عبدالله بن أبي أوفى - رضي الله عنهما - قال: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ لك الحمد، ملء السماء وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، اللَّهُمَّ طهرني بالثلج والبرد والماء البارد، اللَّهُمَّ طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ»^(٢).

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بعد أن لبس ثوباً جديداً فلماً بلغ ترقوته، قال: «الحمد لله الذي كساني ما أوارني به عورتني وأتجمل به في حياتي»^(٣).

قال الله تعالى عن الشكر: ﴿ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾^(٢) [الإسراء: ٣]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾^(١٢١) [النحل: ١٢٠، ١٢١].

وقال تعالى عن سليمان - عليه السلام -: ﴿ فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾^(١٩) [النمل: ١٩].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: مرَّ النبي ﷺ بأُناسٍ من اليهود قد صاموا يوم عاشوراء فقال: «ما هذا من الصوم؟» قالوا: هذا اليوم الذي

(١) صحيح مسلم (٢٨٢/١) (٣٧٣).

(٢) صحيح مسلم (٣٤٦/١) (٤٧٦).

(٣) عدة الصابرين (١٢٥).

نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من الغرق، وغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي، فصامه نوح وموسى شكراً لله تعالى، فقال النبي ﷺ: «إننا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم» فأمر أصحابه بالصوم^(١).

وقال تعالى عن اعتراف يوسف - عليه السلام - بالفضل: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣].

وقال تعالى عن سليمان - عليه السلام -: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

الثالثة: كثرة الدعاء:

قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦].
الرابعة: الصدق:

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ [الزمر: ٣٣-٣٤].
وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ﴿٥٦﴾ [مريم: ٥٦].
الخامسة: الاستقامة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿١١٧﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٨﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٩﴾ [هود: ١١٧-١١٩].

السادسة: الطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿٦٩﴾ [النساء: ٦٩].
السابعة: عمل الصالحات.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ﴿٧﴾ [البينة: ٧].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنِثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

(١) مسند أحمد (٤٤/٣) (٨٥٠٠). وأصله في البخاري (٧٠٤/٢) (١٩٠٠).

الثامنة: المسارعة والمسابقة والمنافسة في الخيرات:

قال الله تعالى عن نبي الله المحسن زكريا - عليه السلام -: ﴿ وَزَكَرْنَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء].

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس، ولقد فزع أهل المدينة، فكان النبي ﷺ

أسبقهم، على فرس وقال: وجدناه بحرًا»^(١).

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: مرّ رسول الله ﷺ وأنا معه وأبوبكر، على عبدالله بن مسعود وهو يقرأ، فقام فسمع قراءته، ثم ركع عبدالله وسجد، قال: فقال رسول الله ﷺ: «سل تعطه» قال: ثم مضى رسول الله ﷺ وقال: «من سرّه أن يقرأ القرآن غصًا كما أنزل فليقرأه من ابن أم عبد» قال: فأدلجتُ إلى عبدالله بن مسعود لأبشره بما قال رسول الله ﷺ: فلما ضربتُ الباب، أو قال: لمّا سمع صوتي قال: ما جاء بك هذه الساعة؟ قلتُ: جئتُ لأبشرك بما قال رسول الله ﷺ قال: قد سبقك أبوبكر، قلتُ: إن يفعل فإنه سبق بالخيرات، ما استبقنا خيرًا قطُّ إلا سبقنا إليه أبوبكر»^(٢).

التاسعة: الطهارة الحسية:

عن سفينة صاحب رسول الله ﷺ - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يغتسل بالصّاع ويتطهر بالمد»^(٣).

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: كان النبي ﷺ يتوضأ كل صلاة، قلتُ: كيف كنتم تصنعون؟ قال: يجزيء أحدنا الوضوء ما لم يحدث»^(٤).

العاشرة: إقامة الصلاة والمحافظة عليها:

قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [هود: ١١٤، ١١٥]. وقال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ

(١) صحيح البخاري (١٠٣٨/٣) (٢٦٦٥).

(٢) مسند أحمد (٦٣/١) (٢٦٧)، وصحح أحمد شاكر إسناده (٢٦٥/١) (٢٦٥).

(٣) صحيح مسلم (٣٩١).

(٤) صحيح البخاري (٨٧/١) (٢١١).

يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ [النور: ٣٦ - ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ ﴿٧٣﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿الْم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [لقمان: ١ - ٤]

وقال تعالى على لسان لقمان في وصيته لابنه: ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ﴿٧﴾ [لقمان: ١٧].

الحادية عشر: طول القنوت:

قال الله تعالى عن إبراهيم - عليه السلام - ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْبَلَهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّمَا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النحل: ١٢٠ - ١٢٢].

قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - إنَّ معاذ بن جبل - رضي الله عنه - كان أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا فقال: ما نسيت، هل تدري ما الأمة وما القانت؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، فقال: الأمة الذي يعلم الخير، والقانت المطيع لله وللرسول.

وكان معاذ يعلم الناس الخير ومطيعاً لله ولرسوله ﷺ (١).

وقال تعالى عن مريم - عليها السلام - ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنِينِ﴾ ﴿١٢٧﴾ [التحريم: ١٢].

الثانية عشر: إيتاء الزكاة والإنفاق والتصدق: قال الله تعالى عن إبراهيم - عليه السلام - ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً كُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء: ٧٢، ٧٣]. وقال تعالى: ﴿الْم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [لقمان: ١ - ٥]. وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿٣٨﴾ [النور: ٣٦ - ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣﴾ الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّرَّاءِ

(١) حلية الأولياء (١/ ٢٣٠).

وَالضَّرَاءَ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٤﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

الثالثة عشر: صيام الفرض والإكثار من نافلة الصيام:

قال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة: ١٨٤].
وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفَظِينَ وَالْحَفَظَاتِ فَرُوجَهُمْ وَالْحَافِظِينَ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - أنه سأل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «عليك بالصوم فإنه لا عدل له»^(١)، أي لا مثيل له.
عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: أخبر رسول الله ﷺ أنه يقول: لأقومن الليل ولأصومن النهار، ماعشت، فقال رسول الله ﷺ: أنت الذي تقول ذلك؟ فقلت: له: قد قلته يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، ونم، وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر» قال: قلت: فإني أطيع أفضل من ذلك قال: «صم يوماً وأفطر يومين»، قال: قلت: فإني أطيع أفضل من ذلك يا رسول الله! قال: «صم يوماً وأفطر يوماً، وذلك صيام داود - عليه السلام -، وهو أعدل الصيام» قال: قلت: فإني أطيع أفضل من ذلك قال رسول الله ﷺ: «لا أفضل من ذلك»^(٢).

الرابعة عشر: أداء الحج والعمرة واتقانها:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادُ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِظِ يُطْلَمُ نَذْرُهُ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَن لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْبَاسِ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا

(١) سنن النسائي (١٦٥/٤) (٢٢٢٢). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤٧/٢) (٤٠٤٤).

(٢) صحيح مسلم (٨١٢/١) (١١٥٩).

يُتَلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ خُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبَرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَرِهُوا لَكُمْ وَإِنْ جِدُّ فَلَهُمْ أَسْلِمُوا وَيُشِرُّ الْمُخِيبِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْبَرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَوِيُّ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَيُبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ [الحج: ٢٥ - ٣٧].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ بوادي الأزرق فقال: أي وادٍ هذا؟ فقالوا: هذا وادي الأزرق قال: كأني أنظر إلى موسى - عليه السلام - هابطاً من الثنية وله جوار إلى الله بالتلبية؟ ثم أتى على ثنية هرش، فقال: «أي ثنية هذه؟» قالوا: ثنية هرشي، قال: «كأني أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف خطام ناقته خلته وهو يلبي»^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - يحدث عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ليهلنَّ ابن مريم بفتح الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ليشنيهما»^(٢).
الخامسة عشر: الجهاد

المحسنون هم الثلة الذين تحققت فيهم صفة الجهاد بجميع أنواعه كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٩﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ [التوبة]

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: «رجلٌ جاهدٌ بنفسه وماله،

(١) صحيح مسلم (١٥٢/١) (١٦٦).

(٢) صحيح مسلم (٩١٥/١)، (١٢٥٢).

ورجل في شُعب من الشعاب، يعبد الله ويدع الناس من شره»^(١).
عن بريدة عن أبيه - رضي الله عنه - قال: «غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة قاتل في ثمان منهن»^(٢).

السادسة عشر: الهجرة عند الحاجة إليها:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. وقال الله تعالى عن موسى - عليه السلام - ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ الْأَمَلَاءُ يَاتِمُونَ بِكَ لَيَقْتُلُونَكَ فَأَخْرِجْ إِلَى لَكَ مِنَ النَّصِيحِينَ﴾ [٢١] ﴿فَرَجَّ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [٢٢] وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ [٢٣] وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ [٢٤] فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ [٢٥] فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ ابْنَةُ كَافِرٍ أَتِيكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [٢٥] [القصص: ٢٠-٢٥].

السابعة عشر: الإحسان إلى النفس ظاهراً بالمأكل والمشرب والمنكح والمركب والمسكن وغيرها: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إِنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال: «إِنَّ الله جميل يحب الجمال، الكبر بطرٌ الحق وغمط الناس»^(٣).

عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «حب إلي النساء والطيب، وجعلت قرّة عيني في الصلاة»^(٤).
وقد سبق الحديث مفصلاً عن الإحسان إلى النفس ظاهراً وأنه من صفات المحسنين بما أغنى عن التكرار هنا^(٥).
الثامنة عشر: الشجاعة في الحق.

عن أنس - رضي الله عنه - قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع

(١) صحيح البخاري (١٠٢٦/٣) (٢٦٣٤).

(٢) صحيح مسلم (١٤٤٨/٢) (١٨١٤).

(٣) صحيح مسلم (٣/١) (٩١).

(٤) سنن النسائي (٦١/٧) (٣٩٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤).

(٥) يراجع في الإحسان إلى النفس ظاهراً، انظر: الفهرس العام.

الناس وأجود الناس، ولقد فزع أهل المدينة فكان النبي ﷺ سبقهم على فرس وقال: وحدناه بحرًا»^(١).

التاسعة عشر: العدل:

فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال بينا النبي ﷺ يقسم ذات يوم، فقال ذوالخويصرة رجل من بني تميم يا رسول الله اعدل قال: «ويلك من يعدل إذا لم أعدل» فقال عمر: ائذن لي فلاضرب عنقه، قال: «لا» إنَّ له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية...»^(٢).

وعن عائشة - رضي الله عنها - أنَّ قريشًا أهتمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا: ومن يجتريء عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، فقال: أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنَّهُم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها...»^(٣).

العشرون: الدعوة إلى الله تعالى:

هكذا إبراهيم - عليه السلام - محسن وداعية قال الله تعالى: ﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعْهُ يَرَبُّهُ﴾ قَدْ صَدَقَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَحْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥].
وقد دعا أباه وقومه إلى التوحيد ونبت عبادة الأصنام كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْعَةٍ لَّابْرَاهِيمَ لِابْتَرَاهِيمَ﴾ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَكَاةً إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ [الصافات: ٨٣-٨٧].

الحادية والعشرون: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى عن لقمان: ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

(١) صحيح البخاري (١٠٣٨/٣) (٢٦٦٥).

(٢) صحيح البخاري (٢٢٨١/٥) (٥٨١١).

(٣) صحيح مسلم (١٣١٥/٢) (١٦٨٨).

الثانية والعشرون: النصيحة والتواصي بالخير:

قال الله تعالى عن نوح - عليه السلام - ﴿ قَالَ يَتَقَوِّمُ لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١١] أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦١، ٦٢].

وقال تعالى عن هود - عليه السلام -: ﴿ قَالَ يَتَقَوِّمُ لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢٧] أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف: ٦٨، ٦٧].

وقال تعالى عن إبراهيم ويعقوب - عليهما السلام -: ﴿ وَوَصَّي بِهَآ إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَدْبِئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

الثالثة والعشرون: الإصلاح بين الناس:

قال الله تعالى: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجَوْنَهُمْ إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [النساء: ١١٤].

وعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - «أن أناساً من بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء فخرج إليهم النبي ﷺ في أناس من أصحابه يصلح بينهم، فحضرت الصلاة، ولم يأت النبي ﷺ فأذن بلالٌ بالصلاة، ولم يأت النبي ﷺ فجاء إلى أبي بكر، فقال: إن النبي ﷺ حُبِسَ، وقد حضرت الصلاة فهل لك أن تؤمَّ الناس؟ فقال: نعم، إن شئت فأقام الصلاة فتقدم أبو بكر...» الحديث (١).

الرابعة والعشرون: الإحسان إلى الوالدين والزوجة والقرابة والضعفة.

قال الله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَعَايِشُواهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ١٩].

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي...» (٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل، الصائم

(١) صحيح البخاري (٤٠٢/١) (١١٤٣).

(٢) سنن الترمذي (٧٠٩/٥) (٣٨٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٦/١) (٣٣١٤).

النهار»^(١).

قال ابن حجر - رحمه الله -: الساعي هو الذي يذهب ويجيء في
تحصيل ما ينفع الأرملة والمساكين^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى الْهَلَكَةِ وَأَخْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

الخامسة والعشرون: حسن الخلق:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

فعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا
كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالف الناس بخلق حسن»^(٣).

السادسة والعشرون: حسن المعاملة للإنسان والحيوان:

عن عائشة - رضي الله عنها - وذكرت قصة، قالت: قال رسول الله
ﷺ: «مهلاً يا عائشة، إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»^(٤).

وفي رواية عنها - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا
يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يَنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٥).

وفي رواية ثالثة لها - رضي الله عنها - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «يا عائشة
إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ، وَمَا لَا
يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»^(٦).

وعن أبي يعلى، شداد بن أوس - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ
قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا
ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِيُحَدِّثْ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلِيُرِحَ ذَبِيحَتَهُ»^(٧).

السابعة والعشرون: حسن المعاشرة لكل أحد ومنهم الزوجات:

يقول الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

الثامنة والعشرون: الكرم:

قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [٢٤] إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا
قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ [٢٥] فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ [٢٦] فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا
تَأْكُلُونَ [٢٧] [الذاريات: ٢٤-٢٧].

(١) صحيح البخاري (٢٠٤٧/٥) (٥٠٣٨).

(٢) فتح الباري (٤٩٩/٩).

(٣) سنن الترمذي (٣٥٥/٤) (١٩٨٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨١/١) (٩٧).

(٤) صحيح البخاري (٢٢٤٢/٥)، (٥٦٧٨).

(٥) صحيح مسلم (٢٠٠٤/٣) (٢٥٩٤).

(٦) صحيح مسلم (٢٠٠٣/٣) (٢٥٩٢).

(٧) صحيح مسلم (١٥٤٨/٢) (١٩٥٥).

وعن المقداد - رضي الله عنه - قال: أقبلت أنا وصاحبان لي، وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهد، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ، فليس أحد منهم يقبلنا، فأتينا النبي ﷺ، فانطلق بنا إلى أهله، فإذا ثلاثة أعز، فقال النبي ﷺ: «احتلبوا هذا اللين بيننا» قال: فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان مئتا نصيبه، ويرفع للنبي ﷺ نصيبه...»^(١).

وعن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - قال: بينما أسيرُ مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفلة من حنين، فعلمت الناس يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة، فخطفت رداءه، فوقف النبي ﷺ فقال: «أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاة نعمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلًا ولا كذوبًا ولا جبانًا»^(٢).

التاسعة والعشرون: كظم الغيظ:

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

الثلاثون: العفو والصفح:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤].

قال تعالى: ﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ مِّمَّنْ قَضَيْتُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَتَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [المائدة: ١٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٢﴾﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٣﴾﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٤﴾﴾ [الشورى: ٤٠، ٤٣]. والإحسان من عزم الأمور. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الْصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر: ٨٥].

الواحدة والثلاثون: الحلم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤].

(١) صحيح مسلم (١٦٢٥/٢) (٢٠٥٥).

(٢) صحيح البخاري (١٠٣٨/٣) (٢٦٦٦).

وقال تعالى عن إسماعيل - عليه السلام - ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِعِلْمٍ حَلِيمٍ﴾ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَتَأَتَّى أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ [الصافات: ١٠١ - ١٠٥].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: إِنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ فَأَغْلَظَ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهُ فَإِنَّ لِرَّسَالَةِ الْحَقِّ مَقَالًا» ثُمَّ قَالَ: «أَعْطُوهُ سِنًا مِثْلَ سِنِّهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا أَمِثْلَ مَنْ سَنَهُ، فَقَالَ: «أَعْطُوهُ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً»^(١).

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: «كَانَ أَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه - يَوْمَ السَّقِيفَةِ أَحْلَمَ مِنِّي وَأَوْقَرَ، وَاللَّهِ مَا تَرَكَ كَلِمَةً أَعْجَبْتَنِي فِي تَرْوِيرِي إِلَّا قَالَ فِي بَدِيهِتِهِ مِثْلَهَا أَوْ أَفْضَلَ مِنْهَا حَتَّى سَكَتُ»^(٢).

الثانية والثلاثون: الرحمة:

قال الله تعالى عن الخضر - عليه السلام - ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ﴿٦٥﴾ [الكهف: ٦٤، ٦٥].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ ﴿٢٤﴾ [الإسراء: ٢٤].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ لِعَانًا، وَإِنَّمَا بَعَثْتُ رَحْمَةً»^(٣).
الثالثة والثلاثون: الأمانة:

قال الله تعالى عن نوح - عليه السلام -: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ [الشعراء: ١٠٥ - ١٠٧].

وقال تعالى عن هود - عليه السلام - ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٢٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿١٢٤﴾ [الشعراء: ١٢٣، ١٢٥].

وقال جلّ وعلا عن موسى - عليه السلام - ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذْوَا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿١٨﴾ [الدخان: ١٧ - ١٨]. وحكى الله عن ابنة شعيب قولها عن موسى - عليه السلام - ﴿قَالَتْ

(١) صحيح البخاري (٨٠٩/٢) (٢١٨٣).

(٢) صحيح البخاري، الفتح (١٤٤/١٢) (٦٨٣٠).

(٣) صحيح البخاري، الفتح (١٣٠/١٢) (٦٨٣٠).

إِحْدَاهُمَا يَتَّابِتِ اسْتَعِجْرُهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَعَجَرَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٥٦﴾ [القصص: ٢٦].

وقال سبحانه عن يوسف - عليه السلام - ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِدِيٍّ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٥﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف: ٥٤، ٥٦].

الرابعة والثلاثون: الحياء:

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُنَّ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها»^(١).

وعن حياء موسى - عليه السلام - روى أبوهريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا سِتِيرًا، لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ؛ اسْتَحْيَاءً»^(٢).

الخامسة والثلاثون: الاستئذان:

عن أبي مسعود - رضي الله عنه - قال: «إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو شَعِيبٍ كَانَ لَهُ غُلَامٌ لَحَامٌ فَقَالَ لَهُ أَبُو شَعِيبٍ: اصْنَعْ لِي طَعَامَ خَمْسَةِ لَعْلِي أَدْعُو النَّبِيَّ ﷺ خَامِسَ خَمْسَةِ، وَأَبْصُرْ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ الْجُوعَ، فَدَعَاهُ، فَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ لَمْ يُدْعَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ هَذَا قَدْ أَتَبَعَنَا أَتَأْذِنُ لَهُ؟» قَالَ: نَعَمْ»^(٣).

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ حَائِطًا وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الْحَائِطِ فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «أَتَذْنُ لَهُ وَبِشْرِهِ بِالْجَنَّةِ» فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ. فَقَالَ: «أَتَذْنُ لَهُ وَبِشْرِهِ بِالْجَنَّةِ»، فَإِذَا عُمَرُ. ثُمَّ جَاءَ يَسْتَأْذِنُ، فَسَكَتَ هَنِيئَةً ثُمَّ قَالَ: «أَتَذْنُ لَهُ وَبِشْرِهِ بِالْجَنَّةِ، عَلَى بَلَوِي سِتْصِيهِ» فَإِذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ»^(٤).

(١) صحيح البخاري (٢٢٦٣/٥) (٥٧٥١).

(٢) صحيح البخاري (١٢٤٩/٣) (٣٢٢٣).

(٣) صحيح البخاري (٨٦٧/٢) (٢٣٢٤).

(٤) صحيح البخاري (١٣٥١/٣) (٣٤٩٢).

السادسة والثلاثون: العفة:

قال الله تعالى عن العفيف يوسف - عليه السلام - ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

وقال سفيان الثوري - رحمه الله - لأصحابه وقد خرجوا يوم عيد: «إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا عِفَّةُ أَبْصَارِنَا»^(١).

وعن العفة في السؤال يقول الله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا الْيَنْتَمَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

وروى أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى إِذَا نَفَدَ مَا عِنْدَهُ قَالَ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أُدْخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يَعْفِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يَصْبِرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٍ وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(٢).

السابعة والثلاثون: السماحة.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنهما - أَنَّ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - فِي حِجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ أَهَلَّتْ بِعُمْرَةَ، قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا سَهْلًا، إِذَا هَوَيْتَ الشَّيْءَ تَابِعَهَا عَلَيْهِ، فَأَرْسَلَهَا مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَأَهَلَّتْ بِعُمْرَةَ مِنَ التَّنْعِيمِ^(٣).

وعن فرقد السبخي - رحمه الله - قَالَ: «لَمْ يَكُنْ أَصْحَابُ نَبِيِّ قَطَ فِيمَا خِلا مِنْ الدُّنْيَا أَفْضَلَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا أَشَحَّ لِقَاءً وَلَا أَسْمَحَ أَكْفًا»^(٤).

(١) الورع لابن أبي الدنيا (٦٣).

(٢) صحيح البخاري (١٤٠٠).

(٣) صحيح مسلم (١/٨٨١) (١٢١٣).

(٤) المنتقى من مكارم الأخلاق (١٣٢).

الخاتمة

أولاً: أهم النتائج:

بعد هذه الرحلة الطويلة الممتعة مع الإحسان التي أزكت النفوس وهذبت الطباع، ونادت بأعلى صوت، كله حنو ومودة، يا عبدالله، يا باغي الإحسان، مِنْ هاهنا الطريق إلى الحياة الجميلة الفاضلة، من هاهنا السبق والتفرد، مِنْ هاهنا طريق الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وحتى لا يخفت هذا النداء أو يعز المنادي كان من المناسب وضع إشارات موجزة، تذكر بالعبارات المطولة، هي نتائج مهمة لجهد أحسب أنه حريٌّ بالمذاكرة والتطبيق.

الأولى: أَنَّ معنى لفظة الإحسان في اللغة يدور حول الجمال والزينة معنى أو حساً.

الثانية: أَنَّ تعريف الإحسان الاصطلاحي يتوقف على ما تقتضيه القرائن والسياق في النصوص الشرعية التي ورد فيها، فإذا ورد لفظ الإحسان في نص وكانت هناك قرينة مما يجب لله تعالى من العبادة فإنه يفسر بما فسر به الرسول ﷺ بقوله: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» فإن لم يقترن بشيء من ذلك فيكون المراد به فعل ما يقتضيه فعله من المعروف سواء أكان للغير أم للنفس.

الثالثة: أَنَّ هناك ألفاظاً ذات صلة بلفظة الإحسان تشاركه في بعض معانيه، مثل: «فَضْلٌ، وَنِعَمٌ، وَخَيْرٌ، وَجَمْلٌ، وَتَقَنٌ، وَصَلَحٌ، والمعروف، وَكَمَلٌ، وَطَابٌ، وَالْبِرُّ، وَزَيْنٌ، وَالتَّحْيِيرُ، وما يتصرف منها».

الرابعة: أَنَّ مصادر الإحسان تنحصر أولاً في صحيح المنقول والمقصود به كتاب الله العزيز القرآن العظيم، وما صحَّ أو حسن من السنة النبوية المطهرة، وثانياً: صحيح المعقول: والمقصود به الإجماع، والقياس بشروطهما المعتمدة.

الخامسة: أَنَّ الإحسان أعلى مراتب الدين الثلاث وهو له وروحه وكماله، ومن شرفه وكماله أَنَّ الله تعالى محسن يحب الإحسان، وأَنَّه صفة الأنبياء والرسل وصالحى بني آدم، وَأَنَّ المتصفين به قلة في جنب المؤمنين والمسلمين، وَأَنَّ الله تعالى أنزل أهله أعظم المنازل في الآخرة، ولهذا اعتنت النصوص الشرعية به أشد عناية.

السادسة: أَنَّ الإحسان من حيث هو مرتبة واحدة، وهي أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، حتى يغلب عليه مشاهدة الله

تعالى بقلبه كأنه يراه بعينه، وأما قوله ﷺ: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فليس بداخل في تعريف الإحسان، بل هو بيان لمنزلة المراقبة الموصلة إلى مرتبة الإحسان.

السابعة: أنَّ الإحسان يزيد وينقص بحسب إحسان أهله وبموجبه فإنَّ المحسنين درجات وكل درجة متفاوتة في القدر وأعلى درجات المحسنين الأنبياء، والرسل عليهم السلام وهذه الدرجة محض منة من الله تعالى لا يصل إليها أحد، إلا من اصطفاه الله تعالى، وقد ختمت برسولنا محمد ﷺ يلي هذه الدرجة درجة الصديقين ثم الشهداء ثم الصالحين.

الثامنة: أنَّ الإحسان كغيره من الأعمال الشرعية يشترط لصحته وتحقق وقوعه وقبوله شروط: بحسب جهته:

فإذا كان الإحسان في عبادة الله تعالى: فله ثلاثة شروط.

الأول: الإخلاص لله تعالى بها.

الثاني: تجريد المتابعة فيها للرسول محمد ﷺ.

الثالث: إجراؤها على حالة وكأن العبد يرى ربه تعالى.

وأما إذا كان الإحسان إلى النفس أو الغير فإنه يكتفي فيه بالشرطين السابقين دون الثالث.

التاسعة: أنَّ الله تعالى هو المحسن الحقيقي للخلق كلهم وهو القادر وحده دون سواه على إيصال النفع ودفع الضرر عنهم، وأنهم جميعاً مفتقرون إليه ظاهراً وباطناً عاجلاً وآجلاً.

العاشرة: أنَّ العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، ويمكن إحسانها وذلك بأن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة والإتقان والإخلاص حتى يغلب عليه مشاهدة الله تعالى بقلبه كأنه يراه بعينه، وذلك يقتضي أن لا يترك العبد المؤمن شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمات والإتقان ظاهراً وباطناً إلا أتى به.

الحادية عشر: الحذر الشديد عند عبادة الله تعالى على وجه المشاهدة له تعالى بالقلب من أن يظن أحد أنه يمكنه أن يرى ربه تعالى ببصره لأنَّ ذلك منفي عنا في هذه الحياة الدنيا. وكذلك التحذير الشديد من أن يزل الفؤاد عند مشاهدة الله تعالى بالقلب إلى التشبيه أو التمثيل له تعالى بخلقه، فالله جلَّ وعزَّ ليس له شبيه ولا مثيل.

الثانية عشر: أنه لا يمكن حصر أعمال الإحسان العقائدية والقولية والفعلية فيما ذكر في هذه الرسالة بل كل ما يندرج تحت مسمى الدين بمراتبه الثلاث وهي الإسلام والإيمان، والإحسان، يمكن الإحسان فيه إذا

تحققت شروطه، وسبب الاختصار على ما ذكر من أعمال الإحسان هنا، أنه هو الذي وردت به النصوص الشرعية في الكتاب والسنة النبوية.

الثالثة عشر: أنه يجب مراعاة تحقيق مرتبة الإحسان أولاً في أركان الإسلام والإيمان ثم التعقيب بغيرها من الأعمال الأهم ثم الذي يليه.

الرابعة عشر: أن من أنواع الإحسان: الإحسان إلى النفس باطنًا متمثلة في مسمى النفس والروح، والصدر، والقلب، والفؤاد، والفكر، واللب، والعقل، والحجا، والنهي، مجتمعة أو متفرقة. وذلك بالمؤثرات الخيرية المتمثلة في الاستجابة للدعوة الإلهية لها بالبر والتقوى، وصرف المؤثرات الشريرة عنها المتمثلة في اتباع الشيطان والهوى.

وأن من أنواع الإحسان كذلك: الإحسان إلى النفس ظاهرًا بتحقيق الضروريات التي لا تقوم الحياة إلا بها، والحاجيات التي يفقدها تصعب الحياة، والتحسينات التي تجعل الحياة جميلة مع الاعتدال والتوسط وتحريّ الحلال الطيب.

الخامسة عشر: أن المحسن الحقيقي شخصية اجتماعية راقية كونتها مجموعة كبيرة جدًا من مكارم الأخلاق، فهو لا يكتفي بالعموميات عند تخلقه بالأخلاق الاجتماعية، بل يقف عند كل جزئية من الجزئيات الخلقية و هي تدور بين العدل والإحسان وهو في كل ذلك يسير وفق محددات شرعية ترتب أولويات الإحسان وبمن يبدأ به.

السادسة عشر: أن الدين لا يمنع من الإحسان إلى غير المسلمين ما لم يكونوا حربيين.

السابعة عشر: أن الإحسان لغير الإنسان مطلب شرعي كالإحسان إلى الملائكة الكرام، والإحسان إلى الحيوانات النافعة أو غير الضارة، والإحسان إلى البيئة بعمارتها وعدم الفساد فيها.

الثامنة عشر: أن للإحسان وسائل نبيلة موصلة إليه أهمها العلم بالتكليفات الشرعية، واستشعار إحسان الله إلى العبد، واستشعار مراقبة الله لعبده، والتوبة النصوح، والمنافسة في فعل الطاعات والقرب، ودوام المجاهدة للشيطان والهوى، والصبر بأنواعه، وكثرة الدعاء مع توفر شروطه، وأن يضع العبد لنفسه ميزانًا شرعيًا يقيس به أعماله وهل هي أعمال إحسان أم لا.

التاسعة عشر: أن في الكتاب العزيز والسنة النبوية صورًا مشرقة من إحسان المحسنين كثيرة جدًا تعد قدوة لمبتغي الإحسان وتؤكد أن الإحسان عمل مقدور عليه.

العشرون: أن الإحسان يثمر ثمرات يانعات، ينعم بها المحسن في

الدنيا والآخرة، وأنَّ هذه الثمرات تعد حوافز حقيقة للعباد بأن يسعوا جاهدين في ابتغاء مرتبة الإحسان السامية.

الحادية والعشرون: أنَّ الكتاب العزيز والسنة المطهرة عندما حددت مفهوم الإحسان بأنواعه، ودعت إليه ورتبت عليه الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة، رسمت للمحسنين صفات باطنة وظاهرة يُعرَفُونَ بها يمكن رصدها والتخلق بها.

ثانيًا: أهم التوصيات: وهي:

الأولى: يوصي الباحث طلاب الدراسات العليا في الأقسام التربوية ذات العلاقة بالتخصصات الشرعية أن تكون هذه الرسالة موضوع دراسة للإفادة منها وصياغتها في مواد تربوية إسلامية.

الثانية: أنَّ في مضامين هذه الرسالة مواضيع عدة يمكن أن تكون نواة لرسائل علمية سواء في مرحلة الماجستير أم الدكتوراه.

الثالثة: يوصي الباحث بأن يكون موضوع الإحسان بمفهومه الشامل من مفردات المناهج التعليمية في شتى المراحل.

الرابعة: يوصي الباحث المؤسسات الدعوية والإصلاحية في المجتمعات الإسلامية بأن تتبنى موضوع الإحسان بمفهومه الشامل بقوة وتضع أهدافها وخططها انطلاقًا من مفاهيمه.

وبهذا تمت الرسالة بحمد الله تعالى، فله الحمد في الأولى

والآخرة

وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

- أولاً: فهرس الآيات
- ثانياً: فهرس الأحاديث
- ثالثاً: فهرس الآثار
- رابعاً: المصادر والمراجع
- خامساً: فهرس الموضوعات

أولاً : فهرس الآيات

سورة الفاتحة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾	٢-١	٣٣٢
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٣٣٧
﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	٨٤٠
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	٧	١٠٦

﴿سورة البقرة﴾

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾	٤٤	٤٦٨ ، ٧٧
﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الْبَيْتِ الْغَيْمِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾	١٨٧	٧٠٠
﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾	١٦٠	٦١
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾	٢١٨	٤٢٨ ، ٢٦٦
﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا يُخَدِّعُونَ﴾	٩	٨٩٤
﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾	١٥٨	٤٤٥
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾	٢٦	٦٩٢
﴿قُلْ بَلْ مِثْلَ بَعْضِ الْبَشَرِ خَلَقْنَا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	١٣٥	٧٥٦ ، ٧٥٤
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	٢٢	٢٦٣ ، ٢٢٠
		٧٢٧ ، ٤٠٦
﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾	٢٧١	٥٦٩ ، ٤٣٣
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١٦٤	١٧٠
﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾	١١٢	٨٨ ، ٢٤ ، ١٥
		٢٠٠ ، ١١٣ ، ١٠٨
﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾	٨١	٢١٦
﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾	٢٥٣	١٢٨
﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالْزَكَاةِ وَالْوُسْطَى﴾	٢٣٨	٤١٦ ، ٤١٠
﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾	١٥٦	٢١٩
﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتِلِ وَالْإِهْكَارِ﴾	٢٧٤	٤٣١ ، ٤٢٦
﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ﴾	٢٦٢	٤٣١
﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾	١٢٨	٧٢٤
﴿زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٢١٢	٧٩
﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ﴾	١٣٨	١٩٥ ، ٢٤
﴿الطَّلُوقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾	٢٢٩	٥٣٦ ، ١٠٧ ، ٥٧ ، ٢٠

٣١٩	٢٠٠	﴿ فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ ﴾ -
٨٥٧، ٢١٠	٢٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا ﴾ -
٧٠٠، ٦٣٤	٢٨٣	﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ ﴾ -
٥١١	٢٨٢	﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا ﴾ -
٢٢٥	٢٦٥	﴿ فَإِنْ لَمْ يُمْسِكْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ ﴾ -
٣١٨	١٥٢	﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ -
٢٨٥، ٢٩١	٢٤٩	﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ﴾ -
٥١٠	١٩٤	﴿ فَمَنْ أَعَدَّتْكُمْ عَلَيْهِمْ فَاغْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ -
٧٠٠	٢٧٥	﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ -
٦٤	١٣٠	﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ -
٥٦٠	٢٢٠	﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى ﴾ -
٤٧٥	١٠	﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ -
٣٤٨	٢٨٤	﴿ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ -
٢٨٥	٢٤٩	﴿ قَالَ الَّذِينَ يَطْنُونَ أَنْهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ ﴾ -
٣٧٨	١١	﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ -
١٣٨	١٣٩	﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ ﴾ -
٥٦٩، ٥٧٤، ٥١	٢١٥	﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ ﴾ -
٦٧٨	٩٧	﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ -
٤٣٢	٢٦٣	﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ ﴾ -
٢٠٦	٢١٣	﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ -
٤١٦	١١٦	﴿ كُلُّ لَهٍ قَنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ -
٧٣	١٦٨	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ -
٦٥٥، ٦٦٢	٢٥٦	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ -
٦٥٠	٢٧٣	﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ -
٢٠١	٢٥٥	﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ -
٥٦١، ٢١٠، ١٩١	١٧٧	﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ ﴾ -
٥٧٤		
١٠٥	٢٣٦	﴿ مَتَنَعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ -
٤٢٥، ٧٠٦، ٦٩٥	٢٦١	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ -
٨٤٨، ٤٢٨	٢٤٥	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ -
٢٠٤	٩٨	﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾ -

٢٢٣	٤٦٩	- ﴿يَسْأَلُكُمْ خَرْتُ لَكُمْ﴾
١٩٦	٤٤٢	- ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾
١٩٥	١١٠، ١١٣، ١٨٢	- ﴿وَاحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
٢٦٣، ٢٨٧، ٥٨٩، ٨٣٨		
٥٨	٣٤٩، ٨٤٣	- ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾
٨٣	٥٢٢، ٥٨٩	- ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾
٢٣١	٦٩	- ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ أَجْلِهِنَّ﴾
٤٣	٤٢١	- ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾
٢٧١	٤٨	- ﴿وَتُؤْتُوهُمَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾
١٩٥	١٨، ٣٤، ٨٨	- ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾
١٠٤، ١٠٧، ٨٧٤		
١٠٢	٦٨٩	- ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَزَّلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَنَ﴾
١٨٩	٧٥٣	- ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
٢٠٣	٤٤٥	- ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾
٤٥	٢٨٥، ٧٥٧، ٧٥٨	- ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾
١٧٢	٣٥٤	- ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِتْيَاهُ تَعْبُدُونَ﴾
١٦٥	٢٦١، ٨٦٠	- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾
٥، ٤	٣٠٥	- ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾
٢٢٨	٦٢	- ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْصِدْنَ بَأْنَفْسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾
٢٥	٦٤	- ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
١٥٥ - ١٥٧، ٧٥٧		- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ﴾
١٥٩	٥٧١	- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أُنزِلْنَا﴾
١٩٧	٢٧٢	- ﴿وَتَكَرَّوْا فَاثْبَاتِ خَيْرَ الزَّادِ الْقَوَى﴾
٢١٩، ٢٢٠، ٤٢٦		- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾
٥٨	١١٣	- ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾
٢١٦	٥٣٢	- ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾
٣١	١٥٧	- ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾
١٨	١٠٨	- ﴿وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرٌ﴾
١٩٠	٤٥٠	- ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ﴾
١٩٣	٤٥٠، ٦٦٤	- ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾
٨٣	٢٠، ٣٣، ١٠٧	- ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾
٢٣٨	٤١٦	- ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾

٦١١	١٠٩	﴿ وَذَكَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ -
١٣٢	١٤٣	﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ﴾ -
٤٠٥	٢٢٢	﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ -
٣٥١	٢٣٧	﴿ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ -
٧١٠، ٦١٦، ٣٤٧، ٦٩	٢٣٥	﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ ﴾ -
٣٢٦	١٨٥	﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ -
٤٠٠، ٥٢	١٤٨	﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيَا ﴾ -
٥٣٤	٢٢٨	﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ -
٥١١	٢٨٢	﴿ وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كِتَابًا بِالْمَعْدِلِ ﴾ -
٤٢٤	١٩٥	﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ -
٤٣٠	١٠٢	﴿ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ -
٢٦٠، ١٨٥، ١٥١	١٦٦، ١٦٥	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا ﴾ -

٣٠٠

١٩٧	١٠٨	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا ﴾ -
٥١	١٥٨	﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ -
٦٤	١٣٠	﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفِهَةٍ ﴾ -
٦٩١	٢٩	﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ -
٨٧٤، ٣٧٦	١٣٢	﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ -
٧٤٠	٢٢٠	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾ -
٧٠٠	٢٨٢	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ ﴾ -
٤٤٠	١٨٣	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ -
١٠٧، ٦٩، ٢٠	١٧٨	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴾ -
٧٧٠	١٧٢	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ -
٤٢٤	٢٥٤	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ -
٤٣٠	٢٦٧	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ -
١٥٠	٢٠٨	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ -
٣٤٤	١٥٧-١٥٣	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ -
١١٦	١٦٩، ١٦٨	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ -
٧٥٥	١٨٥	﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ -
٥٦٠، ٥٤٥، ٥٢٩	٢١٥	﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴾ -

سورة آل عمران

٨٠٥	٤٦، ٤٥	﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ بِبَشَرِكَ ﴾ -
٥٧٥	٧٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ -

٧٨١	٣٣	﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا ﴾ -
٣٤١	١٧٣	﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ -
٣٤	١٢٠	﴿ إِنَّ مِمَّا تَسْتَكْبِرُ بِهِ سِنَّةُ نَسْوِهِمْ ﴾ -
٣١٩، ٢٢٥	١٩٠	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ -
٧٥٧	١٢٥	﴿ بَلِّغْ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ﴾ -
٤٧١	١٥٤	﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ -
٧٨٩	١٧٣	﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ﴿٧٧﴾ -
٢٩	١٤	﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ -
١٧٥-١٧٢	١٥، ١١٣، ٣٤٠	﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ -
٨٤٨، ٤٥٧، ٣٤٢		
٧٦٥	١٦	﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ -
٧٧٣، ٤٠٢	١٣٤	﴿ الَّذِينَ يُتِفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ -
٤٦١، ٧٦	١٩٥-١٩٣	﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا ﴾ -
٤٧٦	٨	﴿ رَبَّنَا لَا تُغِثْ قُلُوبَنَا ﴾ -
٥٠٣	١٤	﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ -
٦٨٩، ١٩٦، ١٣٢	١٨	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ -
٨٣٨	١٤٨	﴿ فَقَالَتْ لَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ -
٢٦٣	٧٦	﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٧٦﴾ -
١٤٩	٢٠	﴿ فَإِنْ حَاجَّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُكُمْ ﴾ -
٨٥٩، ٦٥٦، ٣٦٨، ٢٣٩	١٥٩	﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ﴾ -
٨٥٦، ٦٩٢	٦١	﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ ﴾ -
٣٦٤	١٥٤	﴿ قُلْ إِنْ أَلَا مَرُكٌ لِّلَّهِ ﴾ -
١٨٥، ١٥١، ١٥٠	٣١	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ -
٢٦٤، ٢٦٣، ٢٥١		
٨٠٥	٤٧	﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ -
٣٦٣، ٣٦٩، ٩٤	١١٠	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ -
٨٧٣		
٣٠٠	٨٢	﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ -
٢٣٩، ٨٥٩	١٨٦	﴿ لَتَبْلُوَكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ -
٦٩٣، ١٦٦	١٦٤	﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ -
٧٢٩، ٤٣٦، ٤٢٨	٩٢	﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ -
٤٤٦، ٤٠٢، ٣١٤	١١٣	﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَابِئَةٌ ﴾ -
٨٦٥		

٧٢٢	٧	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾
٤١٧	٤٣، ٤٢	﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ ﴾
٧٥٧	١٢٠	﴿ وَإِنْ نَصَبُوا وَتَتَقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾
٢٤٧، ١٥٠	١٠٣	﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾
٣٨، ٣٥، ٦١٣	١٣٤	﴿ الَّذِينَ يُفَقُونَ فِي النَّسَاءِ وَالْأَرْءَاءِ ﴾
٨٣٨، ٦٠٦، ٥٥٤		
٣٠	١٩٥	﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾
٢٢٩	١٧٥	﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
٤٠٢، ٤٠٠، ٢٦١	١٣٣	﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾
٨٧٦، ٤٣٤، ٣٤٩، ٤٢٤، ٦٠٧، ٧٢٩، ٨٧٠		
٣٥٤	١٤٥	﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾
٣٥٤	١٤٤	﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾
٣٤٩، ٢٦٤	١٤٦	﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَجِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِيثُونَ ﴾
٧٥٧، ٤٥٧		
٤٥١	١٩٦	﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾
٧٥٦	١٣٩	﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾
٤٠١	١٧٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ﴾
٦٠٣	١٨٠	﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ ﴾
٣٧٠، ٣٦٢	١٠٤	﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾
٤٤٣	٩٧	﴿ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَكِيمٌ ﴾
٥٢	١١٠	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ ﴾
٢٥٦	١٨٥	﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ الْفُرُورِ ﴾
٤٥١	١٦٩	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
٢٠٩، ٢٠٠، ١٢١	٨٥	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾
٨٤٠، ٨٤٠	١٠١	﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
٤٨	١٣٦	﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾
٤٠٠، ٣٩٩	١١٤	﴿ وَلَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾
٧٥٦، ٧٣٧	٢٠٠	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾

سورة النساء

٤٦٩	٩٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ ﴾
-----	----	--

٥٦٠	١٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهَتِهِمْ ظُلْمًا ﴾ -
٦١١، ٣٤٧	٤٣	﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا ﴾ ﴿٤٣﴾ -
٦٣٤	١٠٧	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ ﴿١٠٧﴾ -
١٩٩، ١٩٥، ٣٤٨	١١٦، ٤٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ -
٦٣٤	٥٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ -
١٣٧ ١٤٦ -	١٤٥	﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ -
٤٠١	١٤٢	﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ ﴾ -
٦١١	١٤٩	﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوه ﴾ -
٥١٢	١٠٥	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ -
٧١٥، ٧١٤	١٨١٧	﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ﴾ -
٣٨٠	١١٤	﴿ أَوْ إِصْلَاحُ بَيِّنَاتِ النَّاسِ ﴾ -
٣٠٠	١٣٩-١٣٨	﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ﴿١٣٩﴾ -
٤٥٦	٧٦	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ -
٦٠٣	٣٧	﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ -
٥٣٥	٣٤	﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ -
٧١٨، ٢٠٨	١٦٥	﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ -
٤١٠، ٣١٩	١٠٣	﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ ﴾ -
٢٤٨	١٧٥	﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصِمُوا بِهِ ﴾ -
٥٤٢	٦	﴿ وَابْتَلُوا الَّذِينَ ﴾ -
٧٢	٤	﴿ فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ﴾ -
٥٣٦، ٥١٢، ٧٢	٣	﴿ فَإِنْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَ مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ -
٧٣	١٦٠	﴿ فَيُظَاهِرُ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا ﴾ -
٧٣	٤٣	﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ -
٢٢٥	٤١	﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ -
١٥٠	١٣٥	﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ -
١٩٧، ٨٩	٦٥	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ -
٥٣١، ٤٦٨		
٢٩٩	٨٩	﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً ﴾ -
٣٥٠، ٣٤٨، ٣٤٧	١٣٥	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ -
٧١٥، ٤٦٨		
٤٦٩	١٣٥	﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ -
٢١٩	١٦٥	﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ﴾ -

٨٧٤	١١٤	﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ ﴾ -
١١٦	١٤٨	﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَى مِنَ الْقَوْلِ ﴾ -
٦٧٥	١٧٢	﴿ لَن يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ﴾ -
٤٩٨	٢٢	﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ -
٣٥٣	١٤٧	﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ إِن شِئْتُمْ ﴾ -
٢٠٩، ١٩١، ٨٩	٨٠	﴿ مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ -
٥٦٠	٣	﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمْنِ ﴾ -
١٠٧، ٢٤، ٢٠	٣٦	﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ -
٨٧٤، ١٨٣، ١٠٨		
٥٤٢، ٥٨٣، ٥٧٤، ٥٥٨، ٥٤٧، ٥٢٤، ٥٢٣		
٣٧٨، ٦٥	١٢٨	﴿ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾ -
٢٢	٧٨	﴿ وَإِنْ نَضَبْتُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ -
١٢٧	١٢٧	﴿ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَمْنِ بِالْقِسْطِ ﴾ -
٥٦١	٣	﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمْنِ ﴾ -
٤١٤	١٥٩	﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ -
٦٤٩، ٥٦١، ٥٦٠	٦	﴿ وَابْتَلُوا الْيَمْنِ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾ -
٨٧٩		
٧٨٥	١٢٥	﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ -
٨٥٧، ٦٧١	١٨	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ -
١٢٣	٥٧	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ ﴾ -
٥٥٤	٣٣	﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ ﴾ -
٦٠	١٦	﴿ وَالَّذِينَ يَأْتِيْنَهَا مِنْكُمْ فَنَادَوْهُمَا ﴾ -
١٦	١٢٨	﴿ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾ -
٥٦٩، ٥٢٦	٣٦	﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ -
٢٣	٩٦	﴿ وَحَسَنَ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا ﴿١٩﴾ ﴾ -
٦٦٩ ٩١	٨٩	﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا ﴾ -
٥٩٥، ٢٨٥	١٩	﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ -
٥٣١، ٨٧٤		
٥٦٠	٨	﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ -
٧٩٩	١٦٤	﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ -
٥٠٣	٥	﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾ -
٥٦٠	٢	﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ﴾ -

٤٧٠	٢٩	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ -
٢٦٦	١٠٤	﴿ وَلَا تَهْتَفُوا فِي آتِغَاءِ الْقَوْمِ ﴾ -
٣٧٥	١٣١	﴿ وَلِلَّهِ مَكَافِي السَّمَوَاتِ ﴾ -
٦٥	١٢٩	﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ ﴾ -
٦٨٧	١٤١	﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (١٤) -
٣٨٨، ٣٨٥	٧٠-٦٦	﴿ وَلَوْ أَنَّا كَذَّبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ -
٥٦٠، ٥٥٩	٩	﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ -
٧٢٧، ٤١	١٨	﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ -
٥٦٠	٩	﴿ وَلِقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (١٥) -
٢٠٩	٦٤	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ ﴾ -
١٠٨، ٨٨، ٢٤، ١٥	١٢٥	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ -
٨٥٦، ٨٥٥، ١٣٨، ٢٥٠، ٢٤٩، ٢٠٠		
٥٧٦	٩٢	﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ -
١٥١، ٩٤	١١٥	﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ﴾ -
٢٤٨، ٢٠٩، ١٢٨	٧٠، ٦٩	﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ -
٨٦٧، ٣٩٧، ٣٨٣		
٤٦٥	١٠٠	﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ -
١٩	١٧٣	﴿ وَيَزِيدْهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ -
٦٩٨	٤٨	﴿ وَيَغْفِرْ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ -
٤٥٦	٩٤	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ -
٣٩٦، ٩٤	٥٩	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ -
٥١٦	١٣٥	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ ﴾ -
٤٦٧، ٢٩٥، ١٦٨	١	﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُورُوا رَيْبَكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ ﴾ -
٥٧٢		
٣٨٥	١٧٥، ١٧٤	﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ -
٧٢٧	٢٦	﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ ﴾ -

سورة المائدة

٢٠٧، ٨٧	٥٠	﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا ﴾ -
٢٦٣	٤٢	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (١٦) -
٧٧٣	١١٨	﴿ إِنْ تَعْلَمْتُمْ أَنَّكُمْ عِبَادُ اللَّهِ ﴾ -
٢٠٦	٤٤	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ -
٢٩٩	٥٦-٥٥	﴿ إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ -

٢٧	٧٧٠	- ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٧)
٧٢	١٩٩، ١٩٦	- ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ﴾
١٣	٥٢٣	- ﴿ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾
٥٢	٤٠١	- ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾
٤٤	٢٢٩	- ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ وَآخِشُونَ ﴾
٣٩	٦٠	- ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ ﴾
٤٥	٤٢٧	- ﴿ وَكَبَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾
١٣	٨٧٦، ٦٠٨	- ﴿ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾
٧٧	٢٨٢	- ﴿ قُلْ يَتَىٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾
٨٩	٥٧٦، ٦٩٩	- ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾
٨٥-٨٢	٨٥٢	- ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾
٧٨	٣٦٢	- ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾
٩٣	٨٣٨، ٢٧٣، ١٦	- ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾
٧٥	٣٨٣	- ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ﴾
١١٧	٨٠٧	- ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾
١١٩-١١٦	٨٠٦	- ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾
١٠١	٧٠١	- ﴿ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ ﴾
٤٨	٢٠٧، ٢٠٦	- ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا ﴾
٢	٥٧١، ٥٣٣	- ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾
٩٦	٧٧	- ﴿ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ ﴾
٤٧	١٦٦، ١٥٧، ١٢١	- ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾
٢٣	٢٢٠	- ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ﴾
٤٦	٢٠٦	- ﴿ وَفَقَيْنَا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾
١٣	٦١٣	- ﴿ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾
٨٩	١٩٠	- ﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾
٥٠	٢٤	- ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾
٥٦	٣٠٤	- ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾
١٦، ١٥	٤٩٨، ٢٠٧، ٢٠٠	- ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾
١	٥٩٥، ٣٤٧، ١٩٠	- ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾
٨	١١٦، ٥١١	- ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحُلُوا شَعَبِيْرَ ﴾

٧٠١	١٠١	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾ -
٥١٢، ٩٥	٩٥	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْنَلُوا الصَّيْدَ ﴾ -
٦١٣، ٤٨٢	٥٠، ٤	﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾ -
٥٥٤، ٢٦٤، ٣٦٣، ٢٥٢	٥٤	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ ﴾ -
٦٦١	٥	﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾ -
١٨٩، ١٤٨، ٧١	٣	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ -

سورة الأنعام

٤٧٥	١٢٢	﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا ﴾ -
٢٣٢	٩٠	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْدِيدُ ﴾ -
٤٨٢، ١٨	١٥٤	﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا ﴾ -
٧٢٤، ٢٩٣	٤٤	﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ﴾ -
١١٣	٨٥	﴿ وَرَكَرَبْنَا وَنَحْنُ وَعِيسَىٰ وَآلِيَّاسَ ﴾ -
٧٧٢	٤٣	﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا ﴾ -
١٦٩	١٢٥	﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَمْشِرْ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ -
١٧٢	٤٦	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ ﴾ -
١٨٩، ١٤٨، ١٤٠	١٦٢	﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾ -
١٩٤		
٣٠١	١٩	﴿ قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ﴾ -
٨٤٠	٥٦	﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ -
٣٠١	١٩	﴿ قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ﴾ -
١٠٨	١٥١	﴿ قُلْ تَكَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ﴾ -
١٧٥	٦٤، ٦٣	﴿ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ ﴾ -
٤٧٨	٥٠	﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي ﴾ -
٦٢٣	٥٤	﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ -
٣٨، ٣٥	١٦٠	﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ -
٥١٢	١٢٥	﴿ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ ﴾ -
٢٥٠، ٢٤٩، ١٥٠	١٥٣	﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ -
٧٨٨، ٣٨٨	٣٨	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي ﴾ -
٧٧٧، ١١٠	١٢٠	﴿ وَذُرُّوا ظَاهِرَ الْأَيْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ -
٢١٨	٥٩	﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ -
٧٨	١٠٨	﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ -

٣٥٣	٥٣	﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ -
٥٦٨	٥٤-٥٢	﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَقَةِ ﴾ -
٥٦٠، ٤٧١، ٢٥، ٢٠	١٥٢	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ ﴾ -
٣٩٢، ١٨١، ١٢٨	١٣٢	﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾ -
٤٧٨	٣٢	﴿ وَلِلذَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ -
٤٩	١٤٢	﴿ وَمِنْ آلَائِكُمْ حُمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ ﴾ -
١٥٠	١٥٥	﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ -
٨٤٥، ٨٤٠	٨٤	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾ -

سورة الأعراف

٧٧٠	٥٥	﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ -
٣٦٤، ٢١٩	٤٥	﴿ إِنَّا بِرَبِّكُمْ اللَّهُ ﴾ -
١٥٠	٣	﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ -
٨٦٧، ٧٧٤، ٧٦٣	٥٦-٥٥	﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ -
٣٦٤، ٦٠٩، ٦٩	١٩٩	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ -
٨٧٣، ٥٩١، ٣٦٩		
٧٢٣	١٨٣، ١٨٢	﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ -
٨٠٢	١٣٦	﴿ فَأَنزَعْنَا مِنْهُمْ فَآغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ -
٣٧٥	٩٣	﴿ فَتَنَّا عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتٍ ﴾ -
٦٣	٧٨-٧٧	﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ -
١٨٦	٩٩	﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ -
٣٦٣	١٦٥	﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ -
٤٧٥	١٧، ١٦	﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٦﴾ ﴾ -
٨٧٤، ٣٧٥	٦٢، ٦١	﴿ قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَالَّةٌ ﴾ -
٨٧٤، ٣٧٥	٦٨، ٦٧	﴿ قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ ﴾ -
٧٩٩	١٤٤	﴿ قَالَ يَمْسُحُنِي إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ﴾ -
١٣٧	٢٩	﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ -
٢٣٠	٥٦	﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ ﴾ -
٢٠٩	١٨٨	﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا ﴾ -
٤٩٤، ٤٨٧، ٤٨١	٣٢	﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ -
٤٩٣		
٨٥٦	١٥٨	﴿ قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ -

١٨٣	٥٩	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾
١٩٤	١٧٨	﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ ﴾
٦٢٢	٥٢	﴿ هُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾
٥٩٥	١٧٢	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ﴾
٦٨٩	١٧٦، ١٧٥	﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا ﴾
٥١	١٥٥	﴿ وَأَخْنَارُ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾
٧٦٣	٢٩	﴿ وَأَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾
٣٦٩، ٧٢٢، ٦٢٣، ١٥٧، ١٥٦		﴿ وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾
٦٥	١٧٠	﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ ﴾
١٩٤، ١٧٠	٥٤	﴿ إِبْنُ رَبِّكُمْ اللَّهُ ﴾
٤١	١٦٨	﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾
٧٥٧، ٢٢٣	١٩٨	﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾
٣٦	١٣٧	﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ ﴾
١٠٧، ٢٩	١٤٥	﴿ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ ﴾
٦١، ٣٧٨	١٤٢	﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا ﴾
٤٤	٣٩	﴿ وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأَخْرَجْنَاهُمْ ﴾
٨٠٠	١٢٣	﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمْنْتُ بِكُمْ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾
١٨٧، ٦٢، ٦٠	٥٦	﴿ وَلَا تَنْفِسُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾
٨٥١، ٥٢٣، ٤٣٠، ٣٩٠، ٣٧٨، ٢٣٠		
٣١٨	٢٠٥	﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾
٦٤٢	٢٦	﴿ الْتَقَوْا ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ ﴾
٢٠٢، ٢٠٠، ٣٦	١٨٠	﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾
٧٦٥		
٧٢٧	١٤٣	﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا ﴾
٨٠٠	١٣٨، ١٣٤	﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ ﴾
٤٧١	٤٣	﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ ﴾
٣٥٤	١٤٤	﴿ قَالَ يَمْوَسِيٰٓ إِلَىٰ أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ ﴾
سورة الأنفال		
٤٧٤	٤٩	﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾
٦٧٦	١٢	﴿ وَإِنْ تَكُونُوا آيَمَنُّهُمْ مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا ﴾
٦٣٤	٥٨	﴿ وَإِنْ لَّمْ يُعْطُوا مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾
١٩٣، ١٢٢	٤٢	﴿ فَسَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾
٧١٨، ٣٤٨	٣٨	﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ﴾

٣٠٠	٤٨	﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ ﴾ -
٢٢٠	٦٠	﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ -
٦٦٨	٦١	﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ -
٦٣٤	٧١	﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ ﴾ -
٥٧٤ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠	٤١	﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ -
٤٦١	٧٤	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا ﴾ -

سورة التوبة

٤٤٩	٤١	﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ ﴾ -
٦٦٣	١٣	﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾ -
٤٦٣	٤٠	﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾ -
٧٢٧ ، ٧١٥	١٠٤	﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ ﴾ -
٨٧٦ ، ٧٨٥ ، ٦٢٠	١١٤	﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾ -
٤٦٩	١١١	﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ -
٢٧٤	٧	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾ -
٥٧٦ ، ٥٧٤ ، ٤٢٧	٦٠	﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ -
٤٤٢ ، ٤٢١	١٨	﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ -
٣٤٨	٨٠	﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ -
٧٤٠	٤١	﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ -
٧٢٧	١١٢	﴿ الَّذِينَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَحِبُّونَ الذِّكْرَ ﴾ -
٥٦٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٠	١٠٣	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾ -
٦٣ ، ٦٠	١٠٢	﴿ خَاطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا ﴾ -
٤٦١	٢٢-٢٠	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا ﴾ -
٤٢١	٥	﴿ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ ﴾ -
٤٢١	١١	﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ -
٤٠٦	١٠٨	﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾ -
٦٦٨	٤	﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ ﴾ -
٦٦٦	٢٩	﴿ فَذَلِكُمُ الَّذِي لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ -
١٩٩	٦٦ ، ٦٥	﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ -
٣٤	٥٢	﴿ قُلْ هَلْ تَرَى صُورَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ -
٣٦٥ ، ٣٧٥ ، ٨٤٧	٩١	﴿ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى ﴾ -
٨٥١		
٤٣٤ ، ٣٩٤ ، ٦٢	١٢٠	﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ -
٨٧١ ، ٨٤٨ ، ٦٧٢ ، ٥٢٧ ، ٤٥٢		

٣٦٤	٦٧	﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾
٤٤٢	١٨	﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ ﴾
٣٩٠	١٠٢	﴿ وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا ﴾
٣٤١ ، ٢٩٣	١٢٤	﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ﴾
٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ١٤٩	١٠٠	﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يُلَاحِظُونَ ﴾
٨٥٢ ، ٨٣٨ ، ٤٦٢ ، ٤٠٢		
٣٦	١٠٧	﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا ﴾
٤٠٦	١٠٨	﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴾
٣٦٣ ، ٢٩٩ ، ٢٩٨	٧١	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾
٤٢١ ، ٣٦٤		

سورة يونس

٢٩٩	٦٣ ، ٦٢	﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
٢٥٧	٨٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾
٨٠٢	٩٢-٩١	﴿ ءَاكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾
٣٣٢	١٠	﴿ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ ﴾
٩٣	٧١	﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾
٦١	٨١	﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ ﴾
٢٩٤ ، ٢٩٣	٥٨	﴿ قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وِزْرَتِيهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾
١٩٥	٣١	﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ﴾
٢٤٩	٣٥	﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ ﴾
١١٤ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ١٩	٢٦	﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾
٨٥٢ ، ٧٠٨ ، ٢١٦ ، ١٨١		
١٣٨	٢٢	﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾
٨٥٩ ، ٢٤٤	٧١	﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ ﴾
٤١	٢٧	﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ ﴾
٨٠٢ ، ٧١٧	٩٠	﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ ﴾
٨٠١	٨٨	﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ ﴾
٢٤٤ ، ٨٦٠	٨٤	﴿ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُ بِاللَّهِ ﴾
٦١٦	١١	﴿ وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْبَجَالَهُمْ ﴾
٨٠٢	١٩	﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾
٢٨٨ ، ٢٨٧	٣٦	﴿ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ﴾

سورة هود

٧٥٨، ٧٥٧	١١	﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
٢٩٣	١٠	﴿إِنَّهُ لَفُوحٌ فَوْحُورٌ﴾
١١٢ - ١١٥ ٣٠٢ ٣٨٦ ، ٣٨٧		﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾
٣٨٨		
٥٦٨	٢٧	﴿فَقَالَ الْمَلَأُ﴾
٣٧٨، ٦٢	٨٨	﴿قَالَ يَنْفَقِرُ آدَمُ يَشْعُرُ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾
٦٢	٤٦	﴿قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾
١٧	٧	﴿لِيَسْبُلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾
١٧٧	١٨	﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾
٢٣١	١٠٢	﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ﴾
٨٦٨ ، ٤١٤	١١٤	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾
٣٤٧ ، ٤٣	٣	﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾
٧٥٨	١١٥	﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾
٢٣١	١٠٢	﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ﴾
٨٦٧ ١١٥-١١٣		﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُ النَّارُ﴾
٧٨٣	٤٨-٢٥	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾
٧٩٠	٦٩	﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾
٣٧٨ ، ٦٥	١١٧	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾
١٦٥	٦	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾
٤١	٧٨	﴿وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾
٧٢٨ ، ٣٤٧	٥٢	﴿وَيَنْفَقِرُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾

سورة يوسف

٧٠٣ ، ١٣	١٠٠	﴿أَحْسَنَ بَيٍّ إِذَا أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ﴾
٧٩٢	١٢-٨	﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا﴾
٧٩٧	٨٢، ٨١	﴿أَرْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ﴾
٥١١ ، ١١٧	٥٣	﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾
٣٨٣	٥١	﴿الْفَنِّ حَصَصَ الْحَقُّ﴾
٣٦٠	٣٦	﴿إِنَّا نُرِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾
٨٦٧	٢٣	﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾
٧٥٨ ، ٢٢٠ ، ١٨٦	٩٠	﴿إِنَّهُ مِنْ يَتَّىٰ وَيَصْبِرُ﴾
٧٩٥	٥٥	﴿أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾
٧٩٧	٩٣	﴿أَذْهَبُوا بِمِصْرِي هَذَا فَاقْوَهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي﴾

٦٤	٩	﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ ﴾ -
٤٦٧	١٨	﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ -
٧٩٨	١٠١	﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ ﴾ -
٧٥٨	١٨	﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ -
٧٩٦	٩٧-٩٦	﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾ -
٧٩٨	١٠٠-٩٩	﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ ﴾ -
٧٩٧	٩٠-٨٨	﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ ﴾ -
٨٥٦ ، ٦٩٢	٥٥	﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ -
٥٦ ، ٧٩٧	١٨	﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ ﴾ -
٧٩٤	٤٩-٤٧	﴿ قَالَ نَزْعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا ﴾ -
٧٩٧ ، ٦١٤	٩٢	﴿ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ ﴾ -
٢٤٦	٤٣-٣٢	﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ ﴾ -
٧٩٤	٣٧	﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ ﴾ -
٧٩٦	٧٩	﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجْدِنَا مَتَعْنَا ﴾ -
٧٩٥	٥١	﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رُودَتْهُنَّ يُوسُفَ ﴾ -
٣٥١ ، ٢٧٣	٩٠	﴿ قَالُوا أَهَئَذَا نَتْلُو لَكَ ﴾ -
٦٠٨ ، ٧٩٦		
٧٩٦	٧٧	﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ ﴾ -
٧٩٨	٩٥	﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾ -
٧٩٧	٨٥	﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يُوسُفَ ﴾ -
٧٩٧	٩١	﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ -
٧٩٨	٩٧	﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ -
٧٩٣	١٤-١١	﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا ﴾ -
٢٤٩ ، ٣٦١	١٠٨	﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ -
٨٤٣	٩٠ ، ٨٩	﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ -
٣٦١ ، ٣٦٠ ، ٢٤٩	١٠٨	﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ ﴾ -
٨٤٣	٩٨	﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ ﴾ -
٧٩٣	١٠	﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ ﴾ -
١٣٨	٢٤	﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ -
٦٣٤	١٢	﴿ وَإِنَّا لَنَحْفِظُونَ ﴾ -
٧٩٦ ، ٧٩٥	٦٦-٥٨	﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ﴾ -
٧٩٣	٢٠ ، ١٩	﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾ -
٧٩٣	١٨-١٦	﴿ وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ -

٣٦	٧٩٤، ١٠٨، ١٠٥	- ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ﴾
١٠٠	٦٥١	- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾
٢١	٧٩٤	- ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِرَآةَ﴾
٥٦-٥٤	١٨٤٦، ٧٩٥، ٦٣٩	- ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ﴾
٨٧٨		
٥٦	٩٧٥، ٨٤٦، ٣٨٣	- ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾
٢٢	٨٤٦، ٢٤٦	- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾
٥٣	٧٤٠	- ﴿وَمَا أَتَيْنِي نَفْسٌ﴾
١٧	١٩٢، ١٢٢	- ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾
١٠٦	١٩٥	- ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾
٨٧	١٨٦	- ﴿لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾
٧٨	٧٩٧	- ﴿يَبْقَى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ﴾
٤٠-٣٩	٣٦١	- ﴿يَصْصَحِي السِّجْنَ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ﴾
٤٦	٧٩٤	- ﴿يُوسُفَ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾

سورة الرعد

٢٢-١٩	٤٧٩	- ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾
٢٨	٤٧٦	- ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾
٢٩	٧٣	- ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ﴾
٣١	٣٦٤	- ﴿بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾
٢٣	٦٠	- ﴿جَنَّةٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ﴾
٢٩	٣٠	- ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَثَابٍ ﴿٢٩﴾﴾
٣٠	٣٢٢	- ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا﴾
١٨	٣٦	- ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى﴾
١١	١٧٥	- ﴿لَهُمْ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾
٣٥	١٧٧	- ﴿مِثْلَ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾
٣٦	٢٩٤	- ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ﴾
٢٤، ٢٣	٧٥٧	- ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾
٦	٤١، ٣٤	- ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾
٢٧	٢٨٠	- ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾
٢١	٢٣٤	- ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾

سورة ابراهيم

٧٥٨	٥	﴿ اِنِّى فِىْ ذٰلِكَ لَاۤ اِبْتِ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُوْرٍ ﴿٥﴾
٣٣٤ ، ٣٣٢	٣٩	﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِىْ وَهَبَ لِىْ اَلْكَبْرَ اِسْمَعِيْلَ ﴿٦﴾
٧٧٣	٣٦	﴿ رَبِّ اِنِّهٖنَّ اَضَلَلَنْ كَثِيْرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿٧﴾
٥٣٨ ، ٥٠١	٤٠	﴿ رَبِّ اَجْعَلْنِىْ مُقِيْمَ الصَّلٰوةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِىْ ﴿٨﴾
٥٣٩	٣٧	﴿ رَبَّنَا اِنِّىْ اَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِىْ بُوَادِ ﴿٩﴾
١٧٠	٣٢	﴿ اَللّٰهُ الَّذِىْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ ﴿١٠﴾
٣٥٧ ، ٣٥٤	٧	﴿ وَاِذْ تَاَذَنَ رَبُّكُمْ لِنِ شِكْرَتِكُمْ لَاۤ زِيْدُنَّكُمْ ﴿١١﴾
١٦٥	٣٤	﴿ وَاِنْ تَعٰذُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ لَا تَحْصُوْهَا ﴿١٢﴾
٧٥٧	٥	﴿ وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوْسٰى بِآيٰتِنَا ﴿١٣﴾
٢٢٨	١٤	﴿ وَلَنُكِنِّيْكُمْ اَلْاَرْضَ مِنْۢ بَعْدِهِمْ ﴿١٤﴾

سورة الحجر

٤٢		﴿ اِنَّ عِبَادِىْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ ﴿١﴾
٢٠٦	١٥	﴿ لَقَالُوْا اِنَّمَا شَكَّرْتَ اَنْصُرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُوْرُونَ ﴿١٥﴾
٥٧	٨٥	﴿ فَاَصْفَحْ اَصْفَحْ اَلْحَمِيْلَ ﴿٨٥﴾
١٨٣ ، ٧٩	٣٩	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَاۤ اَغْوَيْتَنِىْ ﴿١٦﴾
١٣٩	٤٠-٣٦	﴿ قَالَ رَبِّ فَاَنْظِرْنِىْ اِلٰى يَوْمٍ يُبْعَثُوْنَ ﴿٣٦﴾
٢٥٢	٨٨	﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ اِلٰى مَا مَتَعْنَا ۖ ذٰلِكَ زُوْجًا ﴿١٧﴾
١٧٠	٢٢	﴿ وَاَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَوَفِّحْ ﴿١٨﴾
١٨٣	٩٩	﴿ وَاَعْبُدْ رَبَّكَ حَتّٰى يَاۤئِكَ اَلْيَقِيْنَ ﴿٩٩﴾
٧٨	١٦	﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى السَّمٰوٰتِ بُرُوْجًا ﴿٢٠﴾
٦١٣ ، ٨٧٦	٨٥	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿٢١﴾

سورة النحل

٣٦٠ ، ٣٥٨	١٢٥	﴿ اَدْعُ اِلٰى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ﴿١﴾
٥٤٩ ، ٢١٩ ، ١٠٧ ، ٣٥ ، ٢٦		
٢٠٠ ، ١٩٢	١٠٦	﴿ اِلَّا مَنۢ اُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْاِيْمٰنِ ﴿٢﴾
٧٤	٣٢	﴿ اَلَّذِيْنَ نُوَفِّيْهِمُ اَلْمَلٰٓئِكَةَ طَيِّبِيْنَ ﴿٣﴾
٣٥٦ ، ٣٥٤	١٢٠	﴿ اِنَّ اِنْرٰهِيْمَ كَاَنۢ اُمَّةً قَانِتًا لِلّٰهِ ﴿٤﴾
٨٦٩ ، ٨٦٦ ، ٤١٨		
١١٠ ، ١٠٨	٩٠	﴿ اِنَّ اللّٰهَ يٰۤاْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْاِحْسٰنِ ﴿٥﴾
٧١٨ ، ٥٢٢ ، ٥١٠		
٥٠١	٥٩	﴿ يَتَوَرَّىۤ مِنْ اَلْقَوْرِ مِنْ سُوْءِ مَاۤ بُشِّرَ ﴿٦﴾
٢٩٩	٦٣	﴿ فَرَزْنَ لَهُمُ الشَّيْطٰنُ اَعْمٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ اَلْيَوْمِ ﴿٧﴾

٨٦٥ ، ٣١٣	٩٩ ، ٩٨	- ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾
٦٩٠	٤٣	- ﴿ فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾
١٤٨	١٠٢	- ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ ﴾
٨٤٨ ، ٣٩٣ ، ٢٥٠ ، ١٧	٩٧ ، ٩٦	- ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ﴾
٨٤٤ ، ٨٤٣ ، ٢٦	٩٧	- ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَى ﴾
٨٦٧		
٣٠٠	١٠٦	- ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ ﴾
٧٥٧ ، ٦٠٨	١٢٨ ، ١٢٦	- ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾
٣٠٢ ، ٧٥٦ ، ٧٥٠	١٢٧	- ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾
٨٦٤		
٧٠٥ ، ٤٩٩ ، ١٧٠	١١٠	- ﴿ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ ﴾
٤٦١	٤٢ ، ٤١	- ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴾
٧٠٥ ، ٣٥٤ ، ١٧١	٧٨	- ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾
٤٨٧	٨١	- ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظُلُمًا ﴾
٤٩٤	١٤	- ﴿ وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾
٣٧٠	٧٦	- ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبَى كُفْرًا ﴾
٨٦١ ، ٢٧٣ ، ١٧	٣٠	- ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ﴾
٢٠٨ ، ١٩٥ ، ١٨٣	٣٦	- ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾
٥٦	٦	- ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْيَهُنَّ ﴾
٢٠٢	٦٠	- ﴿ وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾
١٦٤	٥٣	- ﴿ وَمَا يَكُم مِّنْ نَّعْمَةٍ ﴾
١٧١ ، ٧٠٥	١٣	- ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْلِيفًا ﴾
٢٨٠ ، ٢١٩	١١٨	- ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾
١٧٠	١٤	- ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَنَا كُلَّوْا مِنْهُ لَحْمًا ﴾
٢٢٩ ، ٢٠٣	٥٠	- ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾
٣٥١	٨٣	- ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾

سورة الإسراء

٨٦٥ ، ٣١٣	٧٩ ، ٧٨	- ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾
١١٦ ، ٢٥٠ ، ٩	٧	- ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ﴾
٨٦٤ ، ٤٦٨		
١٩٠	٩	- ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾

٧٨٤	٣	﴿ إِنَّكُمْ كَانْتُمْ عَبْدًا شَكُورًا ﴾
٢٦٧، ١٨٥	٥٧	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾
٣٦	١١٠	﴿ أَيَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾
٣٣١، ٣٣٠	٤٤	﴿ نَسِجَ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ ﴾
٥٠١	٦	﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَلْفًا ﴾
٦٦٨، ٣٥٦، ٦٥٤	٣	﴿ ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ ﴾
١٨٤	١	﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾
٧٠١	٢٣	﴿ فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُفٍّ ﴾
٢٧٨، ٨٦٢، ١٠٩، ١٠٧	١٠٩-١٠٧	﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ﴾
٤٧١	٥٠	﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾
٢٠٧	٨٨	﴿ قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ ﴾
٧٠١	٣٨	﴿ كُلِّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾
٢١٩	١٥	﴿ مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِىٰ لِنَفْسِهِ ﴾
٥٤٥، ٥٤٣	٢٦	﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾
٢٠٦	٥٥	﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾
٨٧٧	٢٤	﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾
٤٨	٨٣	﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ ﴾
٨٦٥، ٣١٣	٤٧-٤٥	﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا ﴾
٨٦١، ٢٦٨	٢٨	﴿ وَإِنَّمَا تَعْرِضُ عَنْهُمْ أِنْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ ﴾
٢٦	٣٥	﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾
٢٥٢، ٥٢٢	٢٣	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾
٣٣٢، ٣٢٥	١١١	﴿ وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾
٥٢٧	٢٤	﴿ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾
١٠٧، ٢٦، ٢٠	٥٣	﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا ﴾
٥٨٩		
٦٠٠	٢٣	﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾
٢١٥	١٤، ١٣	﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَ يَوْمٍ عَنْقِيهِ ﴾
٢٢٠	٣٢	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ﴾
٥٦١، ٢٥	٣٤	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ ﴾
٦٣٨، ٣٦٨، ٢٤٧	٣٦	﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾
٤٣	٢١	﴿ وَلَا لِآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾
٧٤٦، ٣١١	٨٢	﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾
١٨٦	٥٧	﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾

- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾

٨٥ ٧٤٠

سورة الكهف

٧	١٨٦، ٧٩، ٢٥	- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾
٨٩-٩٠	٨٣٢	- ﴿ثُمَّ أَنبَعِ سَبْعًا﴾ ﴿٨٩﴾
١١٠	٣٩١، ١٩٥، ١٣٧	- ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾
٦٥	٦٩٣	- ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾
٦٤، ٦٥	٨٧٧، ٦٢٦	- ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْعُ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا﴾
١١٠	٢٦٦	- ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾
١٠٣	١٩	- ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ ﴿١٠٣﴾
٤٦	٥٠٣، ٥٠١	- ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾
٣١	٢٣	- ﴿مُتَكِبِينَ فِيهَا عَلَى الْأَارَائِكِ﴾
١٨	٦٢٢	- ﴿وَأَقْرَبُ رُحَمَاءَ﴾ ﴿١٨﴾
٨٢	٥٦٢	- ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ﴾
٨٨	١٨١، ١٩١، ٣٦	- ﴿وَأَمَّا مَنْ أَمِنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾
٨٥٥		
٢٨	٧٤٦، ٥٦٨، ٤٦٩	- ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ﴾
٤٨	٢١٤	- ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾
٩١	٤٨٣	- ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾
٣٩	٣٣٧	- ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾
٨٨-٨٣	٨٣١	- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾

سورة مريم

٩٦	٣٩٣	- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
٢٦	٤٣٨	- ﴿فَأِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾
٦٥	٢٠١، ٣٦	- ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُمْ سَمِيًّا﴾ ﴿٦٥﴾
٧٤، ٧٣	٢٦	- ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ أَيْنَتُنَا يَتَنَتَوْنَ﴾
٥٦	٨٦٧	- ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾
٥١	٨٥٥	- ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾
٧١	٢١٥	- ﴿وَلِنْ يَنْكُرُ إِلَّا وَارِدُهَا﴾
٦٥	٥٠١	- ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾
٤١	٣٨٣	- ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ﴿٤١﴾
٥٥، ٥٤	٤٢١	- ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾
١٧، ١٦	٦٧٥، ٢٠٣	- ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾
٥١	١٣٨	- ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾

- ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ ١٤ ٧٦
- ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالْصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ ١٣ ٤٢١

سورة طه

- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ٨ ٣٦
- ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾ ١٠٠ ١٥٩
- ﴿وَجَعَلَنِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ ٢٩-٣٥ ٨٦٥
- ﴿وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ ١٢ ٥١
- ﴿وَلِيَّيْ لَغَفَّارٍ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ٨٢ ٧٢٧ ، ٧١٢ ، ٤٨٣
- ﴿وَلَا تَمْدَنْ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾ ١٣١ ٢٥٦
- ﴿وَلَقَدْ آوَحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ ٧٧ ٨٠١

سورة الأنبياء

- ﴿أَنِّي مَسْنِيَ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ٨٣ ٧٦٧
- ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ ٢٦ ٦٧٥
- ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكُمُ﴾ ٦٨ ٧٨٨
- ﴿سَمِعْنَا فَقِيَ يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ ٦٠ ٧٨٨
- ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾ ٩٠ ٥٣٣ ، ٤٠٢ ، ٦١
- ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كِبِيرًا لَهُمْ﴾ ٥٨ ٧٨٧
- ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ ٧٨ ٧٧١
- ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ ٦٦ ٧٨٨
- ﴿فَسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ٦٣ ٧٨٨
- ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِ الْهَيْتَانِ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥٩ ٧٨٧
- ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكُمُ﴾ ٧٠-٦٨ ٧٤٣
- ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ مِثْلِ هَذَا﴾ ٥٣ ٧٨٧
- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ٣٥ ٤٦٧
- ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ﴾ ٣ ٤٧٤
- ﴿لَا يَسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ ٢٣ ٢١٩ ، ٢٠٣ ، ١٤٩

٨٧٩ ، ٨٤٢ ، ٣٥١ ، ٢٤٦ ، ٦٥٣ ، ٢٨٠

- ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ ٦٥ ٧٨٨
- ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ﴾ ٧٠ ٧٨٩
- ﴿وَلِإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ٨٥ ٧٥٦
- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يُحْيِي﴾ ٩٠ ٧٧٤
- ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ ٧٥ ٧٨٨ ، ٧٨٧

٨٦٩ ، ٤١٤	٧٣	﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ يَا أَمْرِنَا ﴾ -
٥٠١ ، ٤٠٢ ، ٢٧٧	٨٩	﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ﴾ -
٨٦٧ ، ٨٦١		
٧٨٨	٤٦	﴿ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ ﴾ -
٧٨٧ ، ٧٨٦ ، ٧٨٥	٥١	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ﴾ -
٦٤	١٠٥	﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ﴾ -
١٨٣	٢٠ ، ١٩	﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ -
٢١٤	٤٧	﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ -
٥٠١ ، ٤٣٤ ، ٤٣٤	٧٣ ، ٧٢	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ -
٨٦٩		
٧٨٩	٦٩	﴿ يَنَارُ كُوْفٍ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ ﴾ -

سورة الحج

٨١٩	٣٩	﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ -
٤٧٨ ، ٤٧٧ ، ١٧٢	٤٦	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ ﴾ -
٢١٨	٧٠	﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ -
٨٧١ ، ٤٤٦	٣٧-٢٥	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ -
٦٣٤	٣٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ -
٢١٨	١٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ -
٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٣	٣٠	﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ ﴾ -
٨٦٢ ، ٤٧٧ ، ٤٤٥ ، ٢٨٤		
٣٦٤	٤١	﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ -
٦٩٨	٣٦	﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾ -
٢٧٣ ، ٢٣١ ، ١٨٧	٣٧	﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا ﴾ -
٨٤٧ ، ٨٦١		
١٤٨ ، ١٣٠	٧٥	﴿ اللَّهُ يُصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾ -
٤٤٩ ، ٢٤٦ ، ٢١٤	٧٨	﴿ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا ﴾ -
٢٨٨ ، ٢٨٥	١٥	﴿ مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ﴾ -
٢٣٢	٣٣-٢٦	﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ ﴾ -
٣٢٦	٣٧ ، ٣٦	﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ ﴾ -

٣٥، ٣٤	٨٥٨ ، ٤٤٥ ، ٢٣١	- ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا ﴾
٤٠	٤٥٧	- ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ﴾
٧٨	٧٥٥	- ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

سورة المؤمنون

٦١-٥٧	٨٥٨ ، ٤٠٢ ، ٢٣١	- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ ﴾ (٥٧)
٩٦	٢٧	- ﴿ أَدْفَعْ بِأَلْفِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ﴾
١٠٨	٢١٦	- ﴿ قَالَ أَخْشَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (١٠٨)
٧-١	٦٤٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٦	- ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١)
١٠٠	٣٩٢	- ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾
٧-٥	٣٥٥	- ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ (٥)
٦٠	٨٥٨	- ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوًا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ ﴾
١٤-١٢	٢٦	- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ ﴾
٢٣	٤٨٢	- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾
٥١	٨٧٢ ، ٧٧٠	- ﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾

سورة النور

٣٥	١٢٧	- ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
٣٧	١٨	- ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾
٣٠	٦٢٩ ، ٣٤٨	- ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾
٦٣	٣٢٠ ، ١٥١ ، ٢٧	- ﴿ لَا يَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ ﴾
٣٣١ ، ٤١٤ ، ٤٣٤ ، ٨٦٦ ، ٨٦٩		
١٢	٢٨٧	- ﴿ أَوَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾
٦١	٤٧٨ ، ٦٨٥	- ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾
٥٨	٦٢٩	- ﴿ لَيْسَتْنِيذْنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ ﴾
٥٣	٧٠	- ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ ﴾
٥٦	٤٢١ ، ٨٩	- ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾
٢٦	٧٤	- ﴿ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾
٦٠	٦٤٨	- ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ ﴾
٣١	٧٢٧ ، ٧١٣	- ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ﴾
٢٢	٨٧٦ ، ٨٢١ ، ٢٧	- ﴿ وَلَا يَأْتِلْ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ ﴾
٤٣٤ ، ٥٤٥ ، ٦١٣		
٢٧	٦٢٨	- ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾
٥٨	٦٣٠	- ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيْسَتْنِيذْنَكُمْ الَّذِينَ ﴾
٢٥ ، ٢٤	٦٩٣	- ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ ﴾

سورة الفرقان

٢٧	٢٤	﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ ذَلِكَ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا ﴾
٧٢٧ ، ٧٠٧	٧٠	﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا ﴾
٢٣	٧٦	﴿ خَلَّدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾
٤٤٩	٥٢	﴿ فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾
٥٣٣	٧٤	﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا ﴾
٤٢٦ ، ٥٠٣	٦٧	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ﴾
٥٣٩ ، ٥٠١	٧٤	﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ﴾
٢٥٤ ، ١٨٣	٦٣	﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾
٣١٠	٣٠	﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا ﴾
١٨٦	٢٣	﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ﴾
٢٧	٣٣	﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾
٥٩٠	٧٢-٦٢	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾

سورة الشعراء

٨٠٢	٦٧	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾
٦٠٠	٧	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾
٨٠١	٦٠	﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾
٨٠١	٦٣	﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾
٨٠٠	٢٩	﴿ قَالَ لَنْ اتَّخَذَتِ الْنَهَارُ غَيْرِي ﴾
٧٨٧ ، ٧٨٧	٧٤	﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا ﴾
٨٠١	٢٦	﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٢٦﴾ ﴾
٨٧٧ ، ٦٣٨	١٣٢	﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾
٤٩٨ ، ٤٦٩	٣	﴿ لَعَلَّكَ بِنِعْمَةِ فَسَّكَ الْآلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾
٦٧٥	١٩٤ ، ١٩٣	﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾
٧٠٥ ، ١٧١	٨٠	﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾
٨٠٢	٦٦-٦٤	﴿ وَأَزَلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾
٦٧١	٢١٤	﴿ وَأَنْذَرْتُ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾
٢٩٠	٦٨-٥٢	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ﴾
٧٨٦	٨٢-٦٩	﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾
٤٩	٢٢	﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّا عَلَيْكَ ﴾
٤٧٣	٨٧	﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

سورة النمل

٨٥١	١١	- ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا﴾
٧٦٤	٦٢	- ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾
٨٦٦ ، ٣٥٦	١٩	- ﴿فَنَبِّئْهُمْ صَاحِبَكَا مِنْ قَوْلِهَا﴾
٨٦٧ ، ٣٥١	٤٠	- ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾
٤١	٤٦	- ﴿تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ﴾
١٧٥	٨٩	- ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾
٥٩	٨٨	- ﴿وَرَأَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾
١٦٦	١٤	- ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْأَلْنَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلْمًا﴾
٨٦٦ ، ٨٥٦ ، ٦٩٢	١٥	- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾
٣٣٣		
٤٠	٩٠	- ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ﴾
٨٥١	٨٩-٨٧	- ﴿وَيَوْمَ يُفْخَعُ فِي الصُّورِ﴾

سورة القصص

٨٠٠	٦٤	- ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾
٢٣٧	٨٣	- ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾
٧٦٧	٢٤	- ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾
١٥١ ، ١٠٠	٥٠	- ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾
٨٠٣ ، ٦٤٥	٢٥	- ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾
٨٠٣	٢٤	- ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾
٨٠٤	٢٩	- ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾
٧٩٧	٤٨	- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا﴾
٨٠٤	٢٨	- ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ﴾
٧٢٩ ، ٤٦٨	١٦	- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾
٨٧٨ ، ٨٠٣ ، ٦٣٨	٢٦	- ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْبَأُ بِاسْتِجْرَاءِ﴾
٢٩٣	٧٦	- ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾
٨٠٠	٣٨	- ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾
١٠٧ ، ١٠٤ ، ٣٤	٧٧	- ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾
٤٣٢		
٨٠٢ ، ٤٦٣ ، ٣٧٦	٢٠	- ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾
٨٧٢		
٥٢ ، ٥١	٦٨	- ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾

سورة العنكبوت

٣١٨	٤٥	﴿ أَتُلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ -
٦٩٢ ، ٤٧١	٤٩	﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ -
١٣٩	٦٥	﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ﴾ -
٧٨٧	٢٥	﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا ﴾ -
١٩٥	٦٣	﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ ﴾ -
٥٨٩ ، ١٠٧ ، ٢٨	٤٦	﴿ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ -
٦٦٤		
٣١٦	٤٥	﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ -
٧٨١	١٤	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ -
٤٦٩	٦	﴿ وَمَن جَاهَد فَإِنَّمَا يَجَاهِد لِنَفْسِهِ ﴾ -

سورة الروم

١١٧	١٠	﴿ ثُمَّ كَانَ عِاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا السُّوءِ ﴾ -
٥٧٤ ، ٥٦٩	٣٨	﴿ فَآتَاكَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ ﴾ -
٥٣٣	٢١	﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةَ ﴾ -
٧٤٥	٤٧	﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ -
١٢٧	٢٧	﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ﴾ -
٤٩٨	٢١	﴿ وَمِنَ الْيَتِيمِ أَن يَكُفَّ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ -
٥٣١	٢١	﴿ وَمِنَ الْيَتِيمِ أَن يَكُفَّ لَكُمْ مِّنْ ﴾ -

سورة لقمان

٨٦٩ ، ١٦٧ ، ١٣٩	٤-١	﴿ الْقَمَرِ ﴾ -
٤٣٤ ، ٤١٤		
٨٤٠ ، ١٠٩	٢	﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ -
١٧٦ ، ١٦٥ ، ٢٦٢	٢٠	﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ -
٥٢٦ ، ٦٧١	١٥	﴿ وَإِن جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي ﴾ -
٢٥٣	١٩ ، ١٨	﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ -
٨٤٧ ، ١٥	٢٢	﴿ وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ -
٤٦٩	١٢	﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ -
٦٧٢ ، ٣٥٤ ، ١٦٩	١٥ ، ١٤	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ﴾ -
٥٢٦		
٢٣٤	٣٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا ﴾ -
٣٧٠ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩	١٧	﴿ يَبْنِي أَقْصِرَ الصَّلَاةِ وَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ -
٨٧٣ ، ٨٦٩ ، ٥٩٠ ، ٤١٤		

سورة السجدة

٢٤	٣٠٥، ٧٥٦	- ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾
٢٤، ٢٣	٣٠٧، ٨٦٤	- ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾
٢٢	٢٠٠	- ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ﴾
سورة الأحزاب		
١٢-١٠	٢٨٧	- ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾
٥٦	٢١٠	- ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾
٣٥	٣١٨، ٧٨	- ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾
٨٧٠، ٤٣٨، ٤١٩		
٧٢	٦٣٦	- ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
٥١	٤٧٤	- ﴿ تَرْجَى مِنْ نَشَاءٍ مِنْهُمْ ﴾
٢٩	٨٤٨	- ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾
١٧	٦٠	- ﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا ﴾
٢١	٥٤١	- ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾
٢١	٨٥٦، ١٨٦، ٣٥	- ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾
٨	١٣٠	- ﴿ لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴾
٤٠	٢٠٩، ١٣٠	- ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾
٢٣	١٣١	- ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا ﴾
٢٣	١٣١	- ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ ﴾
٣٧	٤٩	- ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾
٣٣	٤٠٥	- ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾
٥٢	٧١٠	- ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾
٢٢	٢٨٨	- ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ ﴾
٣١	٤١٩	- ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾
٥٠	٢٢٩	- ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ ﴾
٤٢، ٤١	٣٩٨، ٣١٨	- ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾
٤٩	٥٦	- ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾
٧١، ٧٠	٣٩٨، ٦١	- ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا ﴾
٥٣	٨٧٨، ٦٤٤	- ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﴾
٤٥	٦١٣	- ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا ﴾
٢٩، ٢٨	٨٦٠، ٢٥٧، ٥٦	- ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ ﴾
٣٢	٤٧٤	- ﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسَنُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴾

- ﴿يُؤْذَنُ لَكُمْ﴾

٥٣ ٧٥٦

سورة سبأ

- ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ﴾

١٥ ٧٤

- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾

٢٨ ٢٠٩

سورة فاطر

- ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾

٣٥ ٧٤٠، ٤٧٥، ٤٤٩

٧٤٢

- ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾

٣٢ ٤٠٠، ١٠٥

- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

١ ٣٣٢، ٢٠٣

- ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾

١٠ ٣٩١، ٧٣، ٦٣

- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾

٣٧، ٣٦ ٣٩٢

- ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا﴾

٣٤ ٢٢٨

- ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾

٤٣ ١١٦

- ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَآبِّ وَالْأَنْعَامِ﴾

٢٨ ٦٩٢

- ﴿وَلَا تَنْزُرُوا زُرَّةً وَزَرَ أُخْرَى﴾

١٨ ٤٦٩

- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾

١٥ ١٦٤

سورة يس

- ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

٨١ ٢١٣

- ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١١﴾﴾

٦١ ٣٨٥

- ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾

٢٠ ٢٤٩

- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسَى خَلْقَهُ﴾

٨٢-٧٨ ٢١٣

سورة الصافات

- ﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا وَّنَدْرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

١٢٥ ٢٨

- ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٩﴾﴾

٨٠ ٨٤٣

- ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾

٤٣-٣٨ ١٤٠

- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

٣٦، ٣٥ ١٩٧

- ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾

١٠٥-١٠٠ ٨٤٠، ٥٠١

- ﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾

٨٠، ٧٩ ٣٦٠، ٢٤٤، ١٩١

٨٥٥

١٠٥-١٠١ ٣٩٦، ٦٢٠، ٧٨٩

٨٧٧

٧٨٧ ٩٣-٩١

٧٩٠ ١٠٦-١٠٣

٧٨٩ ١٠٢

٧٨٧ ٩٢-٨٨

٧٣٤ ٦١

٣٦٠ ٨٧-٨٣

٣٦١، ١٣٩ ١٣١-١٢٣

٨٧٣، ٤٧٣ ٨٧-٨٣

٣٣١ ١٤٤-١٣٩

٦٧٥، ٢٠٣ ١٦٥

٧١٨، ٢١٨، ١٣٩ ٩٦

١٠٥، ٨٨ ١١٣

٤٧٨ ١٣٨

٨٤٥، ٣٦٠، ٢٤٤ ١٢٠، ١١٩

٨٥٩

٧٩٠ ١١٠-١٠٨

٧٩٠ ١٠٧

٨٤٣ ١١٥، ١١٤

٨٤٠، ٧٨٤ ٨٠-٧٥

٨٧٣، ٣٦٠ ١٠٥، ١٠٤

٨٤٣ ٧٦

٨٤٦ ١١٦

سورة غافر

٤٧١ ٥٦

٦٧٥، ٢٠٤، ١٥١ ٩-٧

٢١١ ٤٦

١٦٨، ٢٣ ٦٤

١٦٨ ٦٢

٢٢٠، ٢١٩ ٥٥

٢٤٤ ٤٤

- ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِعَالَمٍ خَالٍ﴾

- ﴿فَرَاغَ إِلَاءَ إِلَهُهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾

- ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْجَبِينِ﴾

- ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى﴾

- ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾

- ﴿لِيُمِثِلَ هَذَا فَيَلْعَمَ الْعَمَلُونَ﴾

- ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِنِهِ لَابْرَهِيمَ﴾

- ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾

- ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِنِهِ لَابْرَهِيمَ﴾

- ﴿وَإِنَّ يُوشَعَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾

- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾

- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾

- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾

- ﴿وَبِإِسْرَافٍ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾

- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾

- ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾

- ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا عَلَىٰ مَوَاقِفٍ مُّهِمَّةٍ﴾

- ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾

- ﴿وَلَقَدْ يَتْلَىٰ تِلْكَ الْآيَاتِ الْكُبْرَىٰ﴾

- ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾

- ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾

- ﴿إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا﴾

- ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾

- ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾

- ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾

- ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾

- ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾

- ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾

٤١	٤٥	﴿ فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مِمَّا مَكُرُوا ﴾ -
٢١٣	٥٧	﴿ لَخَلْقُ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ -
٣٩٢	٤٠	﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ -
٢٤٤	٤٤	﴿ وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾ -
٧٧٤، ٧٦٩، ٧٦٣	٦٠	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ -
١٦٨	٦٧	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ -
١٣٧	٦٥	﴿ هُوَ الْحَيُّ ﴾ -
١١٧	٦٨	﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ -
٨٥٧، ٧١٠، ٦٢٩	١٩	﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ ﴿١١﴾ -

سورة فصلت

٣٨٦، ١٩٢	٣٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾ -
٣٨٨، ٣٨٧		
٢٦٠، ٢٠٦	٤٢-٤١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ -
٣٨٦	٦	﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ -
٣٨٧، ١٤٨	٦	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ -
٨٦٤، ٤٦٨	٤٦	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴾ -
٧٨	٢٥	﴿ وَفِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ ﴾ -
٨٤٤	٣٤	﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ -
٢٨٠، ٢١٩	٤١	﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ ﴿٤١﴾ -
٢٧٥	٣٩	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ﴾ -
٣٩٣، ١٩٢، ٢٩	٣٥-٣٣	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾ -
٥٩٠، ٣٥٨		
٢١٤	١٧	﴿ وَمَا نُمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَى عَلَى ﴾ -

سورة الشورى

٨٠٥، ٧٩٩، ٧٨١، ١٢٩	١٣	﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ﴾ -
٥١٥	١٥	﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ ﴾ -
٦١٢	٣٧، ٣٦	﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ ﴾ -
١٥٩	١١	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ﴿١١﴾ -
٢٥٧	٢٠	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ ﴾ -
٨٧٦، ٦١٣، ٥١٠	٤٠	﴿ وَحَرَزُوا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِثْلَهَا ﴾ -
٣٦٤	٢٦	﴿ وَاسْتَجِيبِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ -
٨٥٧، ٧٥٧، ٢٤٠	٤٣	﴿ وَلَكِنْ صَبِرْ وَعَفِّرْ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ ﴿٤٣﴾ -

- ﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾

سورة الزخرف

١٩٦	٨٦	- ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٨٦)
٨٠٠	٥٢	- ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (٥٢)
١٨٤	٥٩	- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾
٢٩٨	٢٦	- ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٢٦)
٤٩٤	١٨	- ﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيقَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (١٨)
٨٠٠	٤٣	- ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ (٤٣)
٤٨٩	٤٣	- ﴿فَاسْتَمْسِكَ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾
٥٥٥	٥٨	- ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾
٥٩٤	٣٢	- ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ﴾
٥٦٨	٣١	- ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ﴾
٧٢٣	٣٥-٣٣	- ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

سورة الدخان

٢٧٤	٥١	- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ (٥١)
٨٠١	٢٣	- ﴿فَأَنزِلْ بَعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ (٢٣)
٥١	٣٢	- ﴿وَلَقَدْ آخَرْنَا نُهُمْ عَلَى عِلْمٍ﴾
٨٧٧ ، ٦٣٨	١٨ ، ١٧	- ﴿وَلَقَدْ قَتَلْنَا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾

سورة الجاثية

١٠٠	٢٣	- ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾
٣٩٢	٢١	- ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾
٢٧٤	١٩	- ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾
١٧٠	١٢	- ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾
٣٩٢	١٥	- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾
٣٩٢	٢٩	- ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾
٣٠٥	٣٢	- ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾
٦٨٩	٢٣	- ﴿وَأُضْلِلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾
٢٢٦	١٣	- ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾

سورة الأحقاف

٣٨٧	١٣	- ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾
٨٤٨ ، ٢٧ ، ١٨	١٦	- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾
٨٥٩ ، ٢٤١ ، ٢٣٩	٣٥	- ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾
٦٠	١٥	- ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾

٥٢٥	١٧	﴿ وَالَّذِي قَالَ لِيَوْلَدَيْهِ أُفٍّ لَكُمْ ﴾ -
٤٠١	١١	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ -
٧٥٦	٣٥	﴿ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾ -
٣٩٢	١٩	﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ ﴾ -
٨٤٧	١٢	﴿ وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ ﴾ -
٧٣	٢٠	﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾ -
٢٠٩	٣١	﴿ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾ -

سورة محمد

٢٦٣، ٤٧٣	٢٩	﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾ -
١٩٩	٩	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ -
٢٤٠	٢١	﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾ -
١١١	٤	﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ -
٣٦٨، ١٩٦، ٨٥٦	١٩	﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ -

٧٣٥، ٦٩٢

٥٤٤	٢٣، ٢٢	﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا ﴾ -
٦٠٢	٣٨	﴿ هَئِذَا هُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُوكَ لِيُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ ﴾ -
٦٠	٢	﴿ وَأَصْلَحَ بِاللَّهِ ﴾ -
٧٤٥، ٤٧٥، ٨٤٠	١٧	﴿ وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ -
٨٤٦، ٧٤٥، ٧٣٩	٧	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾ -

سورة الفتح

٢٨٨	١٢	﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ ﴾ -
٣٩٨	١٧	﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ -
٨٧٧، ٦٢٦، ٦٢٣	٤٨	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ -
١٢٣	٤	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ -
٤٥٢	٢٤	﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ -
١١٧	٦	﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُتَفَقِّهِينَ وَالْمُتَفَقِّدِينَ ﴾ -

سورة الحجرات

٥٦٦، ٥٠٠، ٢٧٢	١٢	﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ -
٦٠٠		
٣٨٤، ١٩٧، ١٩٢	١٥	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ -
٥٥٠	١٠	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ -

١٢٢	١٤	﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ﴾ -
٣٧٨ ، ٥١٦ ، ٦٠	٩	﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ -
٤٩٣ ، ٧٨	٧	﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ ﴾ -
٥١٢	٩	﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ -
٥٥٥	١٢	﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ -

سورة ق

٧١٣	٣٣	﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ -
٢٢٤	٣٦	﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾ -
٨٤٢	٣٢	﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴾ -

سورة الذاريات

٢٨-١٥	٢٧٢ ، ٢٦٢ ، ٣٥	﴿ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ -
٨٦٤ ، ٨٥٣ ، ٧٩١ ، ٥٧١ ، ٤٣٥ ، ٤٢٨ ، ٣٤٩ ، ٣٠٧		
٢٦	٧٩١	﴿ فَرَأَى إِلَهُه فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ -
٥٠	٧٤٥	﴿ فَقُرُوا إِلَى اللَّهِ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ -
٣٧-٢٤	٨٧٥ ، ٧٩٠ ، ٦٠٣	﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيفٍ إِبْرَاهِيمَ ﴾ -
٢١	٣٧٠ ، ٣٠٥	﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ -
٥٦	١٧٥ ، ١٤٨	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ -
١٨٣ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ، ٥١١ ، ٧٠٦		

سورة الطور

٢٦	٢٢٩	﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ -
٢٨	٧٦	﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ -
١٦	٣٩٢	﴿ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ﴾ -
٤٨	٧١٠	﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ -
٤٨	٧٥٦	﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ -
٢٣	٦١٦	﴿ يَنْشُرُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا ﴾ -

سورة النجم

٣٦	٢٠٦	﴿ أَمْ لَمْ يَلْبَسْنَا بِمَا فِي صُحُفٍ مُوسَى ﴾ -
٣٢	٤٦٩	﴿ الَّذِينَ يَحْتَبِرُونَ كَثِيرَ الْإِنْمِ ﴾ -
٣٧	٧٨٦	﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ -
٣٢ ، ٣١	٢٤٧ ، ٨٦١ ، ١٨	﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ -
	٢٧٣	

- ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ﴿١﴾

٤٠٣ ٨٩

سورة القمر

- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿١٩﴾

٥١-٤٩ ٢١٧، ١٩١

- ﴿فَقَوْلٌ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُكْرٍ﴾ ﴿٦﴾

٨٠٢ ٨٦

سورة الرحمن

- ﴿فِيهِ خَيْرٌ حَسَانٌ﴾ ﴿٧١﴾

٧٠ ٥٢، ٣٤

- ﴿مُتَكِبِينَ عَلَىٰ رُفْرَفٍ خُضِرَ وَعْبَقَرِيُّ حَسَانٍ﴾ ﴿٧٦﴾

٧٦ ٣٤

- ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ ﴿٦٠﴾

٦٠ ١٠٩، ١٨١، ٢٣١

٨٥٨، ٨٣٨

- ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ ﴿٤٦﴾

٤٦ ٨٥٨، ٢٣١

سورة الواقعة

- ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿٨٨﴾

٩٤-٨٨ ٣٠٦، ٢١١

- ﴿وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ﴾ ﴿١٠﴾

١٠ ٣٩٩

سورة الحديد

- ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾

١٦ ٤٧٤، ٢٧٦، ٢٢٥

- ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَخِّلِينَ فِيهِ﴾

٧ ٤٢٨

- ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾

٢١ ٤٠٢، ٤٠٠

- ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ﴾

٢٠ ٢٥٦

- ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾

٢٣ ٢٥٨

- ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾

٢٥ ٥١١

- ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾

٢٢ ٢١٨

- ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾

١٩ ٣٨٤، ١٣٠

- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا﴾

٢٦ ٧٨٥

- ﴿وَلِكَيْتُمْ فَتَنَّا أَنْتُسَكِّمُكُمْ وَتَرْتَضَوْا﴾

١٤ ١٠٠

- ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

١٠ ٦٠٢

- ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾

٤ ٧١٠

- ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ﴾

١٤، ١٣ ٢٦٦

سورة المجادلة

- ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنِي أَنَا وَرُسُلِي﴾

٢١ ١١٠

- ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

٢٢ ٣٠١، ٦٧٢

- ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾

٣ ٥٧٦

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا ﴾ - ١١ ٦٩٢

سورة الحشر

﴿ اُنْفُوا اللَّهَ وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ - ١٨ ٢٩٥
 ﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ ﴾ - ١٣ ٤٧١
 ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ - ٨ ٤٦١ ، ٥٦٨ ، ٣٨٤
 ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﴾ - ٧ ٥٧٤ ، ٥٧٠ ، ٥٦٠
 ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ - ٢٤ ٣٦
 ﴿ وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ - ١٨ ٥٧٢
 ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ - ٩ ٥٥٣
 ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ - ١٠ ٤٧٦
 ﴿ وَمَا ءَانَتْكُمْ الرُّسُلُ فَخُذُوهُ ﴾ - ٧ ١٩٠
 ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ - ٩ ٦٠٥ ، ١٥٣
 ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اُنْفُوا اللَّهَ وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ ﴾ - ١٨ ٧٧٦ ، ١٥٣

سورة الممتحنة

﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ - ٩ ٦٦٤
 ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ ﴾ - ٤ ٣٥ ، ٣٠١ ، ٢٤٤
 ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ ﴾ - ٨ ، ٩ ٦٧٣ ، ٦٦٢ ، ٥٢٣
 ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ - ٦ ٣٥
 ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي ﴾ - ١ ٦٦٣ ، ٢٩٨

سورة الصف

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِمِ لَمْ تُوْذُونَنِي وَقَدْ ﴾ - ٥ ٤٧٥

سورة الجمعة

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ - ١٠ ٣١٩
 ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي ﴾ - ١٠ ٣١٨
 ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ﴾ - ٥ ٦٨٩

سورة المنافقون

﴿ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا ﴾ - ٨ ٢٩٦
 ﴿ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ - ٧ ٢٩٦
 ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ - ١ ٣٨٢
 ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ - ١٠ ٤٢٨ ، ٤٢٧
 ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ ﴾ - ٩ ٣١٨

سورة التغابن

٥٦٩	١٧	- ﴿إِنْ تُقِرُّوْا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾
٢١٣	٧	- ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ فَأَنِفُوا أَلَا هُمُ الْكَافِرُونَ﴾
٤٦٨، ٣٦٧	١٦	- ﴿فَأَنفِقُوا أَلَا هُمْ أَسْطَغُمُوا وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا﴾
١٠٤	١١	- ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾
٦١٢	١٤	- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ هُمْ عَدُوٌّ لِّكُمْ﴾

سورة الطلاق

٥٧	٢	- ﴿أَوْفَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾
٥١١	٢	- ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾
٦٩١	١٢	- ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾
٤٧٥	١١	- ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾
٥١١	١	- ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾

سورة التحريم

٦٤	٤	- ﴿إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾
٤٦٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٣	٦	- ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾
٣٨٣	١٢	- ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾
٨٦٩ ، ٨٠٥ ، ٤١٨	١	- ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ﴾
٧٢٧	٨	- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبًا إِلَى اللَّهِ﴾
٥٣٥ ، ٥٣٧	٦	- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾
٦٦٣ ، ٦٦١	٩	- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾
٧٢٧	٨	- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبًا إِلَى اللَّهِ﴾
٥٣٥ ، ٥٣٧	٦	- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾
٦٦٣ ، ٦٦١	٩	- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾

سورة الملك

٦٩١	١٤	- ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾
٣٩٠ ، ١٣٦ ، ٢٥	٢	- ﴿يَسْأَلُكُمْ أَتُكْرَمُونَ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾
١٦٩ ، ٥٠٣	١٥	- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾
٧٠٤ ، ٤٧٩	١٠	- ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

سورة القلم

٥١	٣٨	- ﴿إِنْ لَكُ فِيهِ لَمَّا تَخْتَرُونَ﴾ (٣٨)
٥٧٠	٢٠-١٧	- ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾
٨٧٥ ، ٥٩٠	٤	- ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤)

سورة الحاقة

٢٨٦	٢٠	- ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ (٢٠)
٢١١	٤٦	- ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (٤٦)
٢١٥، ٢٩١	٢٠، ١٩	- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَتَبُو بِسْمِ اللَّهِ﴾
٢١٥	٢٩-٢٥	- ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَتَبُو بِشَمَالِهِ فَيَقُولُ﴾
٢٠٤	١٧	- ﴿وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾

سورة المعارج

٥٧	٥	- ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ (٥)
٦٤٩	٢٩	- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْلِهِمْ يَدْعُونَ﴾ (٢٩)

سورة نوح

٧٨٣، ٧٨٢	٢٤-١	- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾
٥٢٧، ٣٤٧	٢٨	- ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ﴾
٣٦٠	٧-٥	- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ (٥)
٢٧٩	٧١	- ﴿مَالِكُمْ لَا تَرْحَمُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (١١)

سورة الجن

١٦٥	٢٨	- ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (٢٨)
٧٦٥	١٨	- ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨)
٢٨٦	١٢	- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن﴾
٦٤	٧٢	- ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ (١١)

سورة المزمل

٣١٠	٤	- ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (٤)
٥٧	١٠	- ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (١٠)

سورة المدثر

٣٢٤	٢	- ﴿فَرَأَيْنَاهُ فَطَهَّرَ﴾ (٢)
٤٠٦	٤	- ﴿وَتَبَايَكَ فَطَهَّرَ﴾ (٤)
٢١٩	٣٨	- ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨)

سورة القيامة

٧٤١، ٤٦٧	٢	- ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (٢)
----------	---	--

٢٤، ٢٣	٨٥٣	- ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾
سورة الإنسان		
٣	٣٥٣	- ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴿٣٥﴾﴾
سورة المرسلات		
٤٤-٤١	٨٦١، ٢٧٣	- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾﴾
سورة النبا		
٣٦-٣١	٢١٥	- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾
٣٦	٨٣٨	- ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾
سورة النازعات		
٧٩	٨٠٠	- ﴿قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٧٩﴾﴾
٤١، ٤٠	٤٦٩، ٢٣٣، ١٠١	- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾
	٧٤١	
٤٠	٥١١	- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾
سورة عبس		
١٦-١٥	٢٠٥، ٧٧	- ﴿يَأْيُدَىٰ سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كَرِيمٍ ﴿١٦﴾﴾
سورة التكويد		
٢١-١٩	٦٣٩، ٦٣٥	- ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾
٢١-١٥	٦٧٧	- ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ﴿١٥﴾﴾
٢٩	٢١٨	- ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾
سورة الانفطار		
١٢-١٠	٦٧٥	- ﴿وَأَن عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴿١٠﴾﴾
٨٦	١٦٨	- ﴿يَأْتِيهَا الْإِنسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿١٦﴾﴾
سورة المطففين		
٢٦	٤٠٠، ٧٣٤	- ﴿خَتَمُهُمْ مِّسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَافِسٍ أَلْمُنَّافِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾
سورة البروج		
١٤	٣٤٧	- ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾﴾
سورة الغاشية		
٢٦، ٢٥	٢١٤	- ﴿إِنَّا إِنَّمَا إِنَّا بَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّا عَلَيْهِمْ حِسَابًا ﴿٢٦﴾﴾
سورة الفجر		
١٧-١٥	٧٢٤، ٦٠١، ٤٨	- ﴿فَأَمَّا الْإِنسُنُ إِذَا مَا ابْلَغَتْ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾
٢٢، ٢١	٢١٤	- ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾
١٧	٦٠٢، ٥٦١	- ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَشْكُرُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾

٥٦٢	١٨	١٦ -	﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ ﴿١٦﴾
٥٠٣		٢٠	﴿وَيُخَوِّتُ الْمَالَ جُبًا جَمًّا﴾ ﴿٢٠﴾
٢١٥		٢٣	﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ﴾
٧٤١ ، ٤٦٧	٢٨	٢٧ ،	﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ ﴿٢٨﴾

٢١٤

سورة البلد

٦٢٢ ، ٧٥٨ ، ٦٢٥	١٨ - ١٧		﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
-----------------	---------	--	--

سورة الشمس

٧٤٤ ، ١٧٥	١٠ ، ٩		﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّهَا﴾ ﴿٩﴾
-----------	--------	--	-----------------------------------

سورة الضحى

٥٦١	٩		﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ ﴿٩﴾
-----	---	--	--

سورة التين

٢٣	٤		﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ﴿٤﴾
----	---	--	--

سورة العلق

٧١٠	١٤		﴿الرَّيْلَمُ بِأَنَ اللَّهُ يَرَى﴾ ﴿١٤﴾
-----	----	--	---

سورة البينة

٨٦٧ ، ٨٥٨ ، ٣٩٣	٨ ، ٧		﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ﴿٧﴾
٨٦٥ ، ٣١٤	١		﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾
١٩٨ ، ١٨٦ ، ١٣٧	٥		﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾
٧٣٥			

سورة الزلزلة

٣٩٢	٨ ، ٧		﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾
-----	-------	--	--

سورة التكاثر

٣٠٦	٧ - ٥		﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ ﴿٥﴾
-----	-------	--	---

سورة العصر

٧٥٨	٣		﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾
٧٥٨ ، ٣٧٤	٣ - ١		﴿وَالْعَصْرِ﴾ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾

سورة الماعون

٥٧٠ ، ٥٦١ ، ٥٥٨	٣ - ١		﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبِّ﴾ ﴿١﴾
٦٠٣			

سورة الكوثر

٤١٠	٢		﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ ﴿٢﴾
-----	---	--	-----------------------------------

سورة الكافرون

- ﴿فَسَيَحْجَمِدُ رَبُّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُمْ كَانُوا آبَاءًا﴾ ٦ ٦٥٦

سورة الإخلاص

- ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝﴾ ٤-١ ٢٠٠ ، ١٣٧

سورة الفلق

- ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾ ٥ ٧٣٣

سورة الناس

- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝﴾ ٦-١ ٤٧١

فهرس الأحاديث

الصفحة	الراوي	الحديث
	حرف الألف	
٥٣١	عمرو بن الأحوص	- ألا واستوصوا بالنساء خيرا
٢٩٤	كعب بن مالك	- أبشر بخير يوم
٤٩١	جابر بن عبدالله	- أتانا رسول الله فرأى رجلاً
٤٦	أنس	- أتانا رسول الله ﷺ في دارنا
١٧٧، ١٢٠	سمرة بن جندب	- أتاني الليلة أتيان
٨١٤	عائشة	- أتشفع في حد من حدود الله
٢٧٢، ٣٧٥	معاذ، أبوذر	- أتق الله حيثما كنت
٨٧٥، ٨٥٠		
٢٧٣	أبوهريرة	- أتق المحارم تكن أعبد الناس
٦٣٧	جابر بن عبدالله	- اتقوا الله في النساء
٤٢٨	عدي بن حاتم	- اتقوا النار ولو بشق تمر
٦٥٨	حذيفة	- أتى الله بعبده من عباده آتاه الله مالاً
٨٥٦، ٢٥٠	عمر بن الخطاب	- أتى النبي ﷺ بكتاب
٨٦٠	سهل بن سعد	- أتى رسول الله ﷺ رجل فقال:
٤٥٢	عمر بن عتبة	- أتيت رسول الله ﷺ فقلت:
٨٤٩	حمران بن أبيان	- أتيت عثمان - رضي الله عنه - بطهور
٣٨٤	مروان بن الحكم	- أحب الحديث إلى أصدق
٣٣٣، ٣٢٣	سمرة بن جندب	- أحب الكلام إلى الله أربع
١١٢	عمران بن حصين	- أحسن إليها فإذا وضعت
٢٩	جابر	- أحسن الكلام كلام الله
٨٧٠، ٤٤٠	عبدالله بن عمر	- أخبر رسول الله ﷺ أنه يقول
٦٣٩	عبدالله بن عباس	- أخبرنا أبوسفيان أن هرقل قال له
٥٥٣	معاذ	- أخذ رسول الله ﷺ بيد معاذ فقال:
٥٤١	عمران بن حصين	- أخوف ما أخاف عليكم جدال المنافق
٦٣٧، ٦٣٤	أبوهريرة	- أذ الأمانة إلى من ائتمنك
٨٢٧	عطاء بن فروخ	- أدخل الله الجنة رجلاً كان سهلاً مشترياً
٨٢٧	عائشة	- ادعوا لي بعض أصحابي
٧٦٨، ٣٠٦	أبوهريرة	- ادعوا الله وأنتم موقنون
٥٧٨	أبوهريرة	- إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه

٥٥٢	المقداد بن معدي	- إذا أحب الرَّجُل أخاه
٨٣٩	أبوهريرة	- إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل
٨٤٩	أبوهريرة	- إذا أحسن أحدكم إسلامه
٥٧٩	أبوموسى الأشعري	- إذا أدب الرَّجُل أمتَه فأحسن
١٨٧ ، ١١٢	أبوسعيد الخدري	- إذا أسلم العبد فحسن
١٤٤	أبو بكر	- إذا التقى المسلمان بسيفيهما
٥٥٣	أبو أمامة	- إذا تصافح المسلمان
٧٤٧	أنس	- إذا تقرب العبد إلى شبرًا
٤٧٥	أبوهريرة	- إذا نودي الصلاة أدبر
٦٣٨	جابر بن عبد الله	- إذا حدث رجل رجلاً
٥١٦	أنس	- إذا حكمتكم فاعدلوا
٣٣٨	أنس	- إذا خرج الرَّجُل من بيته
٣٧	صهيب	- إذا دخل أهل الجنة الجنة
٤٩٥	سلمة	- إذا دخل العشرون عنده أضحية
٣٤٠	أنس بن مالك	- إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة
٦٨٠ ، ٥٨١	أبوهريرة	- إذا سافرت في الخصب
٧٧٩ ، ١١٤ ، ٩١	عبد الله بن مسعود	- إذا سمعت جيرانك يقولون
٦٢٤	أبوهريرة	- إذا صلى أحدكم بالناس
٦٤٩	عبد الرَّحْمَن بن عوف	- إذا صلت المرأة خمسها
١٤٠	أبوهريرة	- إذا صليت على الميت
١١١	أبوذر	- إذا طبخت مرقًا
٦٦	أبوهريرة	- إذا عطس أحدكم
٦٠٨	أبوذر	- إذا غضب أحدكم وهو قائم
٣٣٨	عمر بن الخطاب	- إذا قال المؤذن الله أكبر
٦٩٥	أبوهريرة	- إذا مات الإنسان انقطع عنه
٣٤٤	أبوسنان	- إذا مات ولد العبد
٣٤٦ ، ٣٦٩	أبوهريرة	- أذنب عبد ذنبًا فقال:
٦٣١	عبد الله بن مسعود	- إذنك على ترفع الحجاب
٣٠٨	أبوهريرة	- اذهب بنعلي هاتين
٤٨٣	عائشة	- أرادت أمي أن تسمني لدخولي
٧٢٩	أبومالك الأشعري	- أربع من أمتي
٢٦٩	عبد الله بن عمرو	- أربعون خصلة
٣٣٧	أبوموسى الأشعري	- أربعوا على أنفسكم، فإنكم

٤٠٨ ، ١١١	عمر بن الخطاب	- ارجع فأحسن وضوءك
٦٧٩	عبدالله بن جعفر	- أردفني رسول الله ﷺ خلفه
٦٢٦	أسامة بن زيد	- أرسلت ابنه النَّبِيَّ ﷺ إليه
٦٦	عائشة	- أرق النَّبِيَّ ذات ليلة
٢٥٧	سهل بن سعد	- ازهد في الدنيا يحبك الله
١٩٨٣	أبوهريرة	- أسعد النَّاس بشفاعتي
٦٠٨	سليمان بن صرد	- استبَّ رجلان عند النَّبِيَّ ﷺ فجعل
٣٢٤	زينب بنت جحش	- استيقظ النَّبِيَّ ﷺ من النوم
١٩٧	أبوهريرة	- أشهد أن لا إله إلا الله
٧٦٦	أنس	- أصابت النَّاس سنة على عهد النبي ﷺ
٦٤٩	عبادة بن صامت	- اضمنولي ستًا من أنفسكم
٦٧٧	أبوذر	- أطت السماء وحق لها أن تئط
٥٦٩	عمران بن حصين	- اطلعت في الجنة فرأيت
٤٩٢	أبوسعيدالخدري	- أطيّب الطيب
١١١	ابن عمر	- اعبدالله كأنك تراه
١١١	عبدالله بن عمرو بن العاص	- اعبدالله ولا تشرك به شيئًا
٧٧٤	أبوهريرة	- أعجز النَّاس من عجز عن الدعاء
٥٤٠	النعمان بن بشير	- أعطاني أبي عطية فقالت عمرة
٣٧٦	سليمان بن بريدة	- أغزرا باسم الله، في سبيل الله
٤٣٢	جابر بن عبدالله	- أفضل الذكر لا إله إلا الله
٤٣٢	حكيم بن حزام	- أفضل الصدقة عن ظهر
٥٠٣	أبوهريرة	- أفضل الصدقة ما ترك غني
٤١٧	جابر	- أفضل الصلاة طول القنوت
٤١٢	ابن عمر	- أفضل الصلوات عندالله
٤٤٦	أبوذر	- أفضل العمل الإيمان بالله
٣٢٨	أبوسعيد	- أفضل الكلام أربع
٤٣٤	ثوبان	- أفضل دينار ينفقه
٣٥٥	المغيرة بن شعبة	- أفلا أكون عبدًا شكورًا
٤٦٤	أنس	- أقبل النَّبِيَّ ﷺ إلى المدينة
٥٢٥	عبدالله بن عمرو	- أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال:
٨٧٦ ، ٦٠٣	المقداد	- أقبلنا أنا وصاحبان لي
٧٤	أبوحميد	- أقبلنا مع النَّبِيَّ ﷺ من تبوك
٥٢٥	أنس بن مالك	- أكبر الكبائر الإشراك بالله

٢٧٣، ٢٧٢	أبوهريرة	- أكرمكم أتقاكم
٥٩١، ٥٣١، ٧١	أبوهريرة	- أكمل المؤمنين إيمانًا
٤٥٠	معاذ بن جبل	- ألا أخبرك برأس الأمر كله
٣٧٨	أبوالدرداء	- ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام
٣٢٩، ٥٣	علي	- ألا أدلكما على خير مما سألتماه
٦٩٣، ٥١٧	عياض بن حماد	- ألا إنَّ ربِّي أمرني أن أعلمكم
٣١٧	أبوالدرداء	- ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها
١١٤	أبوهريرة	- ألا إنِّي أنبئكم بخيركم؟
٩٩٧	أبوسعيد الخدري	- ألا تأمنوني وأنا أمين السماء
١٩١، ٩٠	المقدام بن معد	- ألا إنني أوتيت الكتاب ومثله معه
٦٣٩	أبوسعيد الخدري	- ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء
٥٣٧، ٥٣٥	ابن عمر	- ألا كلكم راع وكلكم مسؤول
١٤٨	أبوهريرة	- ألا هل بلغت، اللهم اشهد
٣٧٦	جابر	- ألك مال غيره
٥٣٤، ٤٨١	عبدالله بن عمرو بن العاص	- ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار
٥٦٢	أم سلمة	- ألي أجر أن أنفق على بني أبي سلمه
٤٠٧	ابن عباس	- أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير
١٥٥	جابر	- أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله
٦٨١	جابر	- أما بلغكم أني لعنت من وسم البهيمة
١١٤	عبدالله بن مسعود	- أما من أحسن منكم في الإسلام
٨١٠	عمر بن أبي سلمة	- أما والله إنني لأتقاكم
١١٨	سهل بن سعد	- الإمام ضامن فإن أحسن فله
٣٧٠، ٤٢٢	عبدالله بن عمر	- أمرت أن أقاتل الناس
٨٢١، ٨٢٠	عمر بن الخطاب	- أمرنا رسول الله ﷺ وأنا معه وأبوبكر
٤٠٣	عكر بن الخطاب	- أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق
٤٣٥	أبوهريرة	- أمسك بعض مالك فهو خير لك
٨١٩	أنس بن مالك	- أن أبا بكر رضي الله عنه حدثه
٦٨١	كبشة بنت كعب بن مالك	- أن أباقتادة دخل عليها ثم ذكرت كلمة
٧٧	عبدالله بن عمرو بن العاص	- إنَّ أبر البر صلة الولد أهل ودأبيه
٤٤	زيد بن ثابت	- إنَّ أفضل الصلاة صلاة المرء
٤٦	أنس	- إنَّ أفضل ما تداويتم به الحجامة
٢٩٩	عمرو بن العاص	- إنَّ آل أبي ليسوا بأوليائي
٨٤٢	أبوهريرة	- إنَّ أم جريح دعت عليه

٤٩٥	عائشة	- إنَّ امرأةً مدت يديها إلى النَّبي ﷺ
٦٤٥	عائشة	- إنَّ امرأةً من الأنصار قالت للنَّبي ﷺ
٨٧٤	سهل بن سعد	- أن أناس من بني عمرو
٥٤١ ، ٧٥٩	أبوسعيد	- أنَّ أناسًا من الأنصار سألوا
١٧١	أنس بن مالك	- إنَّ أيوب نبي الله ﷺ
٦٥٥	أبوهريرة	- إنَّ الدين يسر ولن يشاد
٨٢ ، ٥٤٢ ، ٥٩٧	عائشة	- إنَّ الرفق لا يكون في شيء
٧٤٢	سيرين بن أبي فاكه	- إنَّ الشيطان قعد لابن آدم
٧٧ ، ٣٨٤	عبدالله بن مسعود	- إنَّ الصدق يهدي إلى البر
٥٤٥	سليمان بن عامر	- إنَّ الصدقة على المسكين
٢١٢	أنس بن مالك	- إنَّ العبد إذا وضع في قبره
٦٣٥	عبدالله بن عمرو بن العاص	- إنَّ الله يبغض الفحش
١٤٦	أبوهريرة	- إنَّ الله تجاوز عن أمتي
٤٠٨ ، ٢١	عبدالله بن مسعود	- إنَّ الله جميل يحب الجمال
٥٢٦	المغيرة بن شعبة	- إنَّ الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات
٧٧١ ، ٦٠١	سلمان الفارسي	- إنَّ الله حي كريم
٩٣٧	عائشة	- إنَّ الله رفيق يحب الرِّفق
١٧٦	عطاء	- إنَّ الله عزَّ وجل حلیم
٢٨٦	أبوهريرة	- إنَّ الله عزَّ وجل قال: أنا عند ظن عبدي
٣٣٦	سهل بن سعد	- إنَّ الله عز وجل كريم يحب
٨٣٩ ، ٢٩٨ ، ٢٦١	أبوهريرة	- إنَّ الله قال: من عاد لي وليًا
٥٩٦ ، ٦٨٣ ، ٢١	شداد بن أوس	- إنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء
١٠٩ ، ٩١		
١٤٥	ابن عباس	- إنَّ الله كتب الحسنات والسيئات
٨٥١	أنس بن مالك	- إنَّ الله لا يظلم مؤمنًا حسنة
٦٩٥	عبدالله بن عمر	- إنَّ الله لا يقبض العلم
١٤١	أبوأمامة	- إنَّ الله لا يقبل العمل إلَّا ما كان
٣٥٥	أنس	- إنَّ الله ليرضى عن العبد
٤٨٧	عمر بن شعيب	- إنَّ يحب أن يرى أثر نعمته
٢٦٤	عامر بن سعد	- إنَّ الله يحب العبد التقي
١٧٦	ابن عمر	- إنَّ الله يدني المؤمن، فيضع عليه
٧١٧	عبدالله بن عمر	- إنَّ الله يقبل توبة
٢٦٠	أبوهريرة	- إنَّ الله يقول يوم القيامة أين المتحابون

٥٩٢	عائشة	- إنَّ المؤمن ليدرك بحسن خلقه
٥٣١	أبوهريرة	- إنَّ المرأة خلقت من ضلع
٥٤٠	أبومسعودالبدرى	- إنَّ المسلم إذا أنفق على أهله نفقة
٤١٨ ، ٣٨٧	عبدالله بن عمرو	- إنَّ المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام
٥١٥	عبدالله بن عمر	- أنَّ المقسطين عندالله على منابر
٥٤١	أسامة بن شريك	- إنَّ النَّاس لم يعطوا شيئاً
٥٣٩	أسامة بن زيد	- أنَّ النَّبِيَّ ﷺ أنه كان يأخذ الحسن
٧٧٣	عبدالله بن عمر	- إنَّ النَّبِيَّ ﷺ بلا قول الله عزَّوجل
٤١٨ ، ٨٧٨	أبوموسى	- إنَّ النَّبِيَّ ﷺ دخل حائطاً
٧٤٧	المغيرة بن شعبة	- أنَّ النَّبِيَّ ﷺ صلى حتى انتفخت
٤١٨	حذيفة	- أنَّ النَّبِيَّ ﷺ صلى فكان إذا مرَّ بآية
٦٧٠	أصحاب السيرةوالمغازي	- أنَّ النَّبِيَّ ﷺ غزا غزوة
٨١٠	المغيرة بن شعبة	- أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قام حتى انتفخت
٧٤٧	ابن المبارك	- أنَّ النصر مع الصبر
٤٦٠	معاوية وعبدالرحمن	- أنَّ الهجرة خصلتان:
١٥٥	أسماء بنت أبي بكر	- إنَّ امرأة أتت النَّبِيَّ ﷺ فقالت: إني
٦٨٠ ، ١٠٥ ، ٨٣٦	أبوهريرة	- إنَّ امرأة بغيا رأت
٦٨٢	رافع بن خديج	- إنَّ بغيراً ند وليس في القوم
١٩١	عمر بن الخطاب	- أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه
٣٣٤ ، ١٨٠	أبوهريرة	- أن تخشى الله كأنك تراه
٤٣٢	أبوهريرة	- أن تصدق وأنت صحيح
١٨٠ ، ١٢٦	عمر بن الخطاب	- أن تعبدالله كأنك تراه
١٨٠	ابن عباس	- أن تعمل لله كأنك تراه
٥٧٥	أبوهريرة	- أنَّ ثلاثة من بني إسرائيل
٢٨٦	أبوهريرة	- إنَّ حسن الظن بالله تعالى
٦٤٢	سلمان الفارسي	- أنَّ ربكم حي كريم
٦٠٥	أبوهريرة	- أنَّ رجلاً أتى النَّبِيَّ ﷺ فبعث إلى نسائه
٥٢٩	عمر بن شعيب	- أنَّ رجلاً أتى النَّبِيَّ ﷺ فقال:
٥٩٨ ، ٨٧٧	أبوهريرة	- أنَّ رجلاً أتى النَّبِيَّ ﷺ يتفاضاه
٦٢٠	عبدالله بن مسعود	- أنَّ رجلاً أتى النَّبِيَّ ﷺ يحكي
٦٠٧	ابن عمر	- أنَّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال:
٥٥٢	أبوهريرة	- إنَّ رجلاً زار أخاه في قرية
٦٠٠	عبدالله بن عمر	- أنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ

٤٥٢	البراء بن عازب	- أنَّ رجلاً سأله أكنتم وليتم
٥٥٩	أبوهريرة	- أنَّ رجلاً شكّا إلى النَّبي ﷺ قسوة قلبه
٦٢٩	سهل بن سعد	- أنَّ رجلاً طلع من حجر
٧٢٢	جندب	- أنَّ رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان
٦١٧ ، ٥٤٥	أبوهريرة	- أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله إنَّ لي قرابة
٦٧	أبوسعيدالخدري	- إنَّ رجلاً قتل تسعة وتسعين
٥٢٨	عبدالله بن دينار	- إنَّ رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة
٨٧٨ ، ٣٦١	أبومسعود	- إنَّ رجلاً من الأنصار
٧٦٥	بريده	- إنَّ رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول
٨٢٩	سهل بن سعد	- أنَّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر
٣٢٤	ابن عباس	- أنَّ رسول الله ﷺ كان يدعوبهنَّ
٦٥٨	البراء	- أنَّ رسول الله ﷺ لما أراد أن يعتمر
٨٧١ ، ٤٤٦	ابن عباس	- إنَّ رسول الله ﷺ مرَّ بوادي الأزرق
٥٤٣	عائشة	- إنَّ رسول الله ﷺ قال يا عائشة
٥١٩	ابن عباس	- أنَّ زوج بريرة كان عبدًا
٥٩٠	عائشة	- أنَّ سعد بن هشام سألهما
٤٥	عمران بن حصين	- إنَّ صلَّى قائمًا فهو أفضل
٨٧٩ ، ٦٥٧	جابر بن عبدالله	- أنَّ عائشة في حجة النَّبي أهلت بعمرة
٦٥٨	عطاء بن فرق	- أنَّ عثمان اشترى من رجل
٨٢٩	جابر	- أنَّ عليًا قدم من اليمن بيدن
٦٥١	أبوأمامة	- أنَّ فتى من قريش أتى النَّبي ﷺ فقال:
٥٦٨	مصعب بن سعد	- أنَّ فقراء المهاجرين أتوا الرسول ﷺ
٥٦٩	عبدالله بن عمرو	- إنَّ فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء
٦٠٤	أبوهريرة	- أنَّ فلانًا أهدى
٤٣٩	سهل بن سعد	- إنَّ في الجنة بابًا
٥٨	أنس ابن مالك	- إنَّ في الجنة لسوقًا
٤٥١	أبوهريرة	- إنَّ في الجنة مائة درجة
٥٨٦	أشج عبد القيس	- إنَّ فيك خلتي يحبهما الله
٧٢٤ ، ٥١٩	عائشة	- إنَّ قريشًا أهمها شأن
٧٢ ، ٤٧	ابن عمر	- إنَّ كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس
٣١١	أنس	- إنَّ لله أهلين من النَّاس
٨١١	أسامة بن زيد	- إنَّ لله ما أخذ وله
٦٣٥	أبوهريرة	- إنَّ لي قريش حقًا

٢١	أبو طلحة	- إنَّ لي قرابة أصلهم
٥٧	أبو هريرة	- إنَّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي
٣٣٣	أبو شريح	- إنَّ مكة حرمها الله
٣٢٢	النعمان بن بشير	- إنَّ مما تذكرون من جلال الله
٥٨٣	أبو هريرة	- إنَّ مما يلحق المؤمن من عمله
٨٥٠ ، ٥٩٢	جابر بن عبد الله	- إنَّ مم أحبكم إلي وأقربكم مني
٦٣٧	أبو سعيد الخدري	- إنَّ من أعظم الأمانة
٤٩٦	ابن عباس	- إنَّ من خير أحوالكم الأثمد
٦٤٥	أبو هريرة	- إنَّ موسى كان حيًّا ستيرًا
٨٧٩ ، ٦٤٩	أبو سعيد الخدري	- إنَّ أناسًا من الأنصار سألوا
٣٨٠	سهل بن سعد	- إنَّ من بين عمرو بن عوف
٥٧٦	أنس	- إنَّ ناسًا من عربته احثوا
٨٦٧	جابر	- إنَّ هذا اخترط عليَّ
٣١٠	ابن مسعود	- إنَّ هذا القرآن مأدبة الله
٦٦	أبو سعيد الخدري	- إنَّ وفد عبد القيس لما أتوا نبي الله ﷺ
١٣٧ ، ١٤١	أبو هريرة	- أنا أغنى الشركاء
٥٥٥	أبو أمامة	- أنا زعيم بيت
١٣٠	أبو هريرة	- أنا سيد ولد آدم
٧٦٨	أبو هريرة	- أنا عند ظن عبدي
٢٩٤	أبو سعيد الخدري	- إنا كذلك يضعف لنا البلاء
٥٥٩	سهل بن سعد	- أنا وكافل اليتيم
٤٠٨	أبو هريرة	- أنتم الغر المحجلون
٥٥٤	أنس	- انصر أخاك ظالمًا
٥٢٨	عبد الله بن عمر	- انطلق ثلاثة رهط ممن كان
١٤٣	سعد بن وقاص	- إنَّك لن تنفق نفقة
٥٣٥	سعد بن أبي وقاص	- إنَّك مهما انفقت على أهلك
٣٧٧	أبو ذر الغفاري	- إنَّكم ستفتحون أرضًا
٥٤٦	عقبة بن عامر	- إنَّكم ستفتحون مصر
٢٦٠	عقبة بن عامر	- إنَّكم لن ترجعوا إلى الله
٣٦٣	عبد الله بن مسعود	- إنَّكم مصيئون ومنصورون
٥٤١	ثوبان	- إنَّما أخاف على أمتي الأئمة المضلين
٧١٤ ، ١٤١	عمر بن الخطاب	- إنَّما الأعمال بالنيات
٤٦	عبد الله بن عمر	- إنما بقاؤكم فيما سلف

٤٤٥	عائشة	- إنما جعل الطواف بالبيت
٥٤٢	أبوموسى	- إنما مثل الجليس الصالح
٤٣٠	أنس بن مالك	- أنه أقبل هو أبوظلحة
٤٣٠	عائشة	- إنه خلق كل إنسان
٤٤٧	ابن عباس	- أنه دفع مع النبي ﷺ
٨٧٠	أبوأمامة	- أنه سأل رسول الله ﷺ
٥٦١	عروة	- أنه سأل عائشة عن قوله تعالى:
٢٩١	جابر	- أنه غزا مع رسول الله
٧٥٩	ابن عباس	- أنه قال لعطاء: ألا أريك
٦٥٣	رجل من بني أسد	- إنه قال: نزلت أنا وأهلي
٦٩٤	أبوالدرداء	- إنه قدم عليه رجل
٥٢٨	الفضل بن عباس	- أنه كان رحيق رسول الله ﷺ
٧٦٥	أنس	- أنه كان مع رسول الله ﷺ جالسًا
٤٤٧	ابن عمر	- أنه كان يرمي الجمرة
٣٥٠	الأعزالمزني	- إنه ليغان على قلبي
٤٤٤	عائشة	- أنها قالت يا رسول الله
٥٣٣	عائشة	- أنها كانت مع النبي ﷺ
٢٥١	ابن عمر	- أني أتخذ خاتمًا من ذهب
١١٠	عائشة	- اني خشيت أن يكتب
١٥٤	عيسى بن حفص	- اني صحبت رسول الله ﷺ
١٧٧	أبوذر	- اني لأعلم آخر أهل الجنة
٦٢٦	أبوقتادة	- اني لأقوم في الصلاة
٦٢٦	أبوقتادة	- اني لأقوم في الصلاة
٨٢	أبوسعيد	- اني مما أخاف عليكم من بعدي
٢٤١	زيد بن ثابت	- اني والله ما آمن يهود
٣٠٢	ابن عباس	- أوثق عرى الإيمان
٣٧٧	أبوهريرة	- أوصاني خليلي بثلاث
١٥٢	العرباض	- أوصيكم بتقوى الله
٣٢٨	أبوهريرة	- أول زمرة تلج الجنة
٢٧٦	شداد بن أوس	- أول ما يرفع من الناس
٨٢٩	زيد بن أرقم	- أول من صلى مع رسول الله ﷺ
٥٤	أنس	- أولم النبي ﷺ بزینب
٤٢٩	أبوذر	- أوليس قد جعل الله لكم

٤٤	أبوموسى الأشعري	- أي الإسلام أفضل
٤٥	أبوهريرة	- أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟
٤٤	أبوهريرة	- أي الناس أفضل؟
٤٤	أبوسعيد	- أي الناس أفضل؟
٥٨١	أبوسعيد	- إياكم والجلوس على الطرقات
٥٥١، ٢٨٩	أبوهريرة	- إياكم والظن
٦٣٤، ٥٥٥	أبوهريرة	- آية المنافق ثلاث
٣٢٩	مصعب بن سعد	- أيعجز أحدكم
٥٧٨	أبوهريرة	- أيما امرئ مسلم
٤٣٣	أبوذر	- الإيمان بالله والجهاد في سبيله
١٩٣، ١٢٣	أبوهريرة	- الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون
٣٨٠، ١١١	عائشة	- أين المتألي على الله
٤٤٣	أبوهريرة	- أيها الناس قد فرض الله عليكم
٧٧٠	أبوهريرة	- أيها الناس إن الله طيب
٨٢٢	سعد بن أبي وقاص	- إيهنَّ يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده
٥٩٢	أبوذر	- اتق الله حيثما كنت
٥٨١	أبوهريرة	- اتقوا لعانين
٤٩٤	ابن عمر	- احفوا الشوارب
٦٨١	أبووهب	- ارتبطوا الخيل
١١٨	أبوهريرة	- ارجع فصل
٥٩١	عبدالله بن الزبير	- استجابة من الرسول ﷺ
٦٤٢	عبدالله بن مسعود	- استحيوا من الله
٧٧١	عبدالله بن مسعود	- استقبل النبي ﷺ
٣٢٤	زينب بنت جحش	- استيقظ النبي ﷺ
٨٣٥، ٦٣٩، ٣٨١	أبوهريرة	- اشترى رجل من رجل عقارًا
٥٢٠	أبوهريرة	- اشترى رجلاً عقارًا فوجد الرجل
٦٢٧	عبدالله بن عمر	- اشتكى سعد بن عيادة
٣٣٠	عبدالله	- اطلبوا فضلة من ماء
١٥٨	ابن عمر	- اعبد الله كأنك تراه
٨١٣	جبير بن مطعم	- اعطوني ردائي لو كان لي عدد
٤٠١	ابن عباس	- اغتسلوا يوم الجمعة
٢٥٠	حذيفة بن اليمان	- اقتدوا بالذين من بعدي
٦٨٣	أبوهريرة	- اقتلوا الأسودين في الصلاة

٦٨٣	ابن عمر	- اقتلوا الحيات وذا
٥٧٨	زاذان	- أنَّ ابن عمر دعا بغيلا له
٣٦٦	طلحة بن عبيدالله	- انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً
١٤٢ ، ٨٣٥	عبدالله بن عمر	- انطلق ثلاثة رهط
٤٥٣	سلمة	- إنَّك كالذي قال الأول
٦٦٥	أبوذر	- إنَّكم ستفتحون معد وهي
حرف الباء		
٤٠١ ، ٣٩١	أبوهريرة	- بادروا بالأعمال ستاً
٤٠٠ ، ٣٩١	أبوهريرة	- بادروا بالأعمال فتناً
٦٥٦ ، ٤٢٢ ، ٤٦٧	جرير بن عبدالله، جابر بن عبدالله	- بايعت رسول الله ﷺ
٥١٦ ، ٣٩٦	عبادة بن الصامت	- بايعنا رسول الله ﷺ
٢٥٥	ابن عباس	- بت عند خالتي ميمونة
٤٣٦	أنس بن مالك	- بخ، ذلك مال رابح
٥٩١	النواس بن سمعان	- البر حسن الخلق
٨١٣ ، ٥٠	أبوهريرة	- بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد
٥٦٣	عبدالله بن جعفر	- بعث رسول الله ﷺ جيشاً
٣٠٣	عبدالله بن عبدالله	- بل تترفق به ونحسن
٤٤٣ ، ٤١٠	ابن عمر	- بني الإسلام على خمس
٤٢٢	عبدالله بن عمر	- بني الإسلام على خمسة:
٨٧٦ ، ٦٠٣	جبير بن مطعم	- بينما أسير مع رسول الله
٦٩٦	معاوية بن الحكم	- بينا أنا أصلي
٦٣٥	أبوهريرة	- بينما النبي ﷺ في مجلس
٨٧٣	أبوسعيد الخدري	- بينما النبي ﷺ يقسم ذات يوم
٧٦٥	ابن عمر	- بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم
٣٩٥	ابن عمر	- بينما ثلاثة نفر يمشون أخذهم المطر
٥٨٢	أبوهريرة	- بينما رجل بفلاة من الأرض
٨٣٦ ، ٦٨٠ ، ٤٣١	أبوهريرة	- بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش
٤٨٩	أبوهريرة	- بينما رجل يمشي في حلة تعجبه
٨٢٥	أبوموسى الأشعري	- بينما رسول الله ﷺ في حائط
٧٧١	فضالة بن عبيد	- بينما رسول الله ﷺ قاعداً
٦٢٥	أبوهريرة	- بينما كلب يطيف بركبه
١٢٩	أبوهريرة	- بينما يهودي يعرض سلعة له

حرف التاء

٤٤٤	عمر بن الخطاب	- تابعوا بين الحج والعمرة
٨٥٧ ، ٦٩٦	أبوهريرة	- تجدون الناس معادن
٦١٥	ابن مسعود	- التحيات لله والصلوات والطيبات
٨٦٢ ، ٢٨٣	أسماء بنت يزيد، أسامة بن زيد	- تدمع العين ويحزن القلب
١٥٢	العرباض بن سارية	- تركت فيكم أمرين
٢٤٨	جابر	- تركت فيكم مالن تضلوا
٩٠	أبوهريرة	- تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يطير
٦٢٤	النعمان بن بشير	- ترى المؤمنين في تراحمهم
٤٥١	أبوهريرة	- تضمن الله لمن خرج في سبيله
٥٢	عبدالله بن عمرو	- تطعم الطعام وتقرأ السلام
٦٠٩	عبدالله بن عمرو	- تعافوا فيما بينكم
٨٠٩	أبوهريرة	- تعرض الأعمال يوم الاثنين
٤٧٤	خديجة	- تعرض الفتن على القلوب
٤٨٨ ، ٧٥	أبوهريرة	- تعس عبدالدينار
١٥٨	عمرو بن ثابت الأنصاري	- تعلموا أنه لن يرى أحد
٥٥١ ، ٦٨	أبوهريرة	- تفتح أبواب الجنة
٥٣	سفيان بن أبي زهير	- تفتح اليمن فيأتي
٧٢٢	عائشة	- تلا رسول الله ﷺ: «هو الذي أنزل
٥٥	حذيفة	- تلفت الملائكة روح رجل
٤٩٩	أبوهريرة	- تنكح المرأة لأربع

حرف الثاء

٥٢٢ ، ٢٦٠ ، ١٩٨	أنس	- ثلاث من كن فيه
٦٥١	أبوهريرة	- ثلاثة حق على الله عونهم
١٤٠	زيد بن ثابت	- ثلاثة لا يغل عليهن قلب امريء
١١٧	أبوهريرة	- ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة
٥٧٥	أبوهريرة	- ثلاثة لا ينظر الله إليهم
٨٤٩	أبوموسى الأشعري	- ثلاثة لهم أجران
٤٩٨	سعد بن أبي وقاص	- ثلاثة من السعادة
١١٤	أبوموسى الأشعري	- ثلاثة يؤتون أجرهم
٥٤٨	أبوذر	- ثلاثة يحبهم الله
١١٤	أبوموسى الأشعري	- ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين

حرف الجيم

- جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يسأله
- جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال
- جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال:
- جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببرده
- جاءت أُمِّي إلى رسول الله ﷺ فقالت:
- جلس إحدى عشر امرأة
- جهد المقل
- سهل بن سعد
- أنس
- عائشة
- أبوهريرة
- أبوموسى الأشعري
- ٦٠٤
- ٥٧٩
- ٨١٥
- ٤٣٣

حرف الحاء

- حُبِّ إليَّ النساء والطيب
- الحج عرفة
- حدثنا رسول الله ﷺ حديثين
- الحسب المال، والكرم التقوى
- حفت الجنة بالمكاره
- حق المسلم على المسلم ست
- الحلال بيّن
- الحلم بالتحلم
- الحمد لله كثيرًا طيبًا
- حوسب رجل
- الحياء لا يأتي إلا بخير
- الحياء من الإيمان
- الحياء والعي شعبتان من الإيمان
- أنس
- عبدالرحمن بن يعمر
- حذيفة بن اليمان
- سمرة
- أنس بن مالك
- أبوهريرة
- النعمان بن بشير
- أبوهريرة
- أبوأمامة
- ابن مسعود
- عمران بن حصين
- أبوهريرة
- أبوأمامة
- ٤٩٢
- ١٨١
- ٦٣٦
- ٢٧٢
- ١٠٠
- ٥٥٦
- ٦٩٠ ، ١٣٥
- ٧٥٥
- ٧٥
- ٥٩٧
- ٦٤٣
- ١٦٤٥
- ٦٤٢

حرف الخاء

- خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين
- خرج رسول الله ﷺ على أصحابه
- خرج رسول الله ﷺ من عند جويرة
- خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى
- خرج علينا النبي ﷺ وأمامة
- خرجني فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ
- خلف رسول الله ﷺ علي
- خلق الله الخلق، فلمَّا فرغ منه
- خلقت الملائكة من نور
- أنس
- عمر بن شعيب
- ابن عباس
- شداد
- أبوقتادة
- سلمة
- سعد بن أبي وقاص
- أبوهريرة
- عائشة
- ٥٨٣
- ٧٢١
- ٣٣٨
- ٦٢٦ ، ٥٣٩
- ٦٢٦
- ٤٥٦
- ٦١٨
- ٥٤٤
- ٢٠٣

٦٨٢	عائشة	- خمس فواسق يقتلن في الحل
٦٣٨ ، ٤٢٣	أبو الدرداء	- خمس من جاء بهنَّ مع إيمان
٤١٢	ابن عباس	- خياركم أليكنم مناكب
١٣٢	ابن مسعود	- خير أمتي القرن الذين يلوني
٥٤٧	عبدالله بن عمرو	- خير الأصحاب خيرهم لصاحبه
٤١٢ ، ٥٢	أبو هريرة	- خير صفوف الرجال أولها
٥٩١	أسامة بن شريك	- خير ما أعطى الناس
٤٩٨	أبي أذينة الصدفي	- خير نسائكم الولود المواسية
٨٧٤ ، ٥٣٢	عائشة	- خيركم خيركم لأهله
٦٩٦ ، ٣١٤	عثمان بن عفان	- خيركم من تعلَّم القرآن

حرف الدال

٤٤٠	أنس بن مالك	- دخل النبي ﷺ على أم سليم فأتته
٦٨٠	جابر بن عبدالله	- دخل النبي ﷺ على أم معبد
٦٥٦	عبدالله بن عمرو	- دخل رجل الجنة بسماحته
٦٦٥	عائشة	- دخل رهط من اليهود على رسول الله
٤٨٨	أبو الأخوص	- دخلت على رسول الله ﷺ
٦٨١	هشام بن زيد	- دخلت مع جدي أنس بن مالك دار
٦٣١	أبو هريرة	- دخلت مع رسول الله ﷺ فوجد
٣٨٣	أبي محمد الحسن	- دع ما يريبك
٦٧١		- دعا رسول الله ﷺ قريشاً
٧٧٤	النعمان بن بشير	- الدعاء هو العبادة
٣٦٥	عائشة	- دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد
٣٢٣	سعد بن أبي وقاص	- دعوة ذي النون
٨١٢	أبو هريرة	- دعوه فإنَّ لصاحب الحق مقالاً
٤٩٨	إياس بن سلمة	- دعوهم يكن لهم لك الفجور
٦٩٤	أبو هريرة	- الدنيا ملعونة
٥٥٥	تميم الداري	- الدين النصيحة
٥٣٣ ، ٤٣٤	أبو هريرة	- دينار أنفقته في سبيل الله

حرف الذال

٥٤٢	عائشة	- ذكرت قصة قالت قال رسول الله: مهلاً
-----	-------	--------------------------------------

حرف الزاء

٤١١	معاذ بن جبل	- رأس الأمر الإسلام
٥٦٨	مصعب بن سعد	- رأى سعد أنَّ له فضلاً

٦٧	أم أبي قتادة	- الرأي الصالحة من الله
١١٨	ابن عباس	- رأيت النار فإذا أكثر أهلها
٨١٧	عبدالله بن جعفر	- رأيت النبي ﷺ ذات يوم فأسر
٣٣٣	رفاعة بن رافع	- رأيت بضعة وثلاثين ملكا
٣٢٦	أبورافع	- رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن
٤١٩	عبدالله بن الشخير	- رأيت رسول الله ﷺ وفي صدره
٢٣٧	سعد بن أبي وقاص	- رأيت عمير بن أبي وقاص
٨٠٥	ابن عمر	- رأيت عيسى وموسى وإبراهيم
٨٠٥ ، ٧٩٩	ابن عباس	- رأيت ليلة أسري بي موسى
٦٢٤	عبدالله بن عمرو	- الرَّاحمون يرحمهم الرَّحمن
٨١٠	ابن عمر	- رب اغفر لي وتب عليّ
٤٥١	سهل بن سعد	- رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا
٥٥٢	أبوهريرة	- رجлан تحابا في الله
٦٥٦	جابر	- رحم الله رجلاً سمحاً
١١٩	أبوهريرة	- الرحم شعبة من الرحمن
٥٢٦	أبوهريرة	- رغم أنفه، ثم رغم
٦٨٥ ، ٣٦٧	علي بن أبي طالب	- رفع القلم عن ثلاث
٥٢	عائشة	- ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها

حرف الزاي

٦٧٢	أبوهريرة	- زار النبي ﷺ قبر أمه
٦٣٤	قيس بن سعد	- زارنا رسول الله ﷺ في منزلنا
٤٨٥	أبوذر	- زمزم طعام طعم
٣١١	البراء بن عازب	- زينوا القرآن بأصواتكم

حرف السين

٤٤٤	أبوهريرة	- سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل
٤٥٠	أبوذر	- سئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضلكم
٦٥٢	حكيم بن حزام	- سألت النبي ﷺ فأعطاني
٨٥٨ ، ٢٣١	عائشة	- سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية
٨١٩	عروة بن الزبير	- سألت عبدالله بن عمرو عن أشد
٥٧٢ ، ٥٥٨ ، ٤١٨	أبوهريرة	- الساعي على الأرملة والمسكين
٣٤٩ ، ٣٣١	عائشة	- سبحانه اللهم ربنا وبحمدك
٢٣٣ ، ١٤٣	أبوهريرة	- سبعة يظلهم الله في ظله

٧١١ ، ٦٤٩ ، ٥١٦ ، ٤٣١ ، ٢٦٢

٣٥٦	ابن عباس	- سجد النبي ﷺ
٣٨٧	أبوهريرة	- سدّدوا وقاربوا
٣٢٢	عبدالله بن عمرو	- سف الحق وغمط الناس
٤٣٣	سعد بن عبادة	- سقي الماء
٢٦١	عائشة	- سلوه لأي شيء يصنع ذلك
٦١٧ ، ٤٨٧	عبدالله بن سرجس	- السمّ والحسن والتؤدّة
٣٩٧	ابن عمر	- السمع والطاعة على المرء
٦٠١	أبوشريح	- سمعت أذناي وأبصرت عينا
٨١٠ ، ٣١٤	البراء بن عازب	- سمعت النبي ﷺ يقرأ التين والزيتون
٦٦	عمرو بن العاص	- سمعت رسول الله ﷺ جهارا
١٥٦	عبدالله بن نوفل	- سمعت عام حج معاوية يسأل
٣٣	جابر	- سموا باسمي ولا تكنوا بكنيت
٧٧١ ، ٣٤٩ ، ٣٠٨	شداد بن أوس	- سيد الاستغفار أن تقول:
٣٢٠	أبوهريرة	- سيروا هذا جمدان
	حرف الشين	
٥٧١	أبوهريرة	- شر الطعام الوليمة يدعى لها الأغنياء
	حرف الصاد	
٨٢٢	أبوهريرة	- صعد النبي ﷺ أحداً معه
٤١٢	ابن عمر	- صلاة الجماعة أفضل من
٨٤٩	أبوهريرة	- صلاة الجميع تزيد على صلاته
٤١١	أبوهريرة	- الصلاة الخمس والجمعة
٤١١	ابن مسعود	- الصلاة على ميقاتها
٤١٢ ، ٤١١ ، ٧٧	عبدالله بن مسعود	- الصلاة في وقتها
٦٩١ ، ٦١٠	أبوهريرة	- الصلاة الخمس إلا أن
٤١٨ ، ٣٩٤	ابن مسعود	- صليت مع النبي ﷺ فلم يزل
	حرف الطاء	
٣٥٣	أبوهريرة	- الطعام الشاكر بمنزلة
٦٩٠	أنس	- طلب العلم فريضة
١٥٥	سعد بن هشام	- طلق امرأتي فأتييت
٤٠٨	سعد	- طهروا أفئتيكم
٣٣٢	أبومالك الأشعري	- الطهور شرط الإيمان
٧٦٠ ، ٤٢٢ ، ٤٠٧		
٤٩٢	أبوهريرة	- طيب الرجال ما ظهر

حرف العين

٦٣٥	رافع بن خديج	- العامل على الصدقة بالحق كالغازي
٨٤٩	ابن عمر	- العبد إذا نصح سيده وأحسن
٥٤	صهيب	- عجباً لأمر المؤمن
٦٧٩	عبدالله بن عمر	- عذبت امرأة في هرة
٣٩٤	أبوهريرة	- عرض الأعمال يوم الإثنين
٥٨١	أبوذر	- عرضت عليّ أعمال أمي
٤٠٣	ابن عباس	- عرضت عليّ الأمم فأخذ
٤٩١ ، ٤٠٧	عائشة	- عشر من الفطرة
٣٩٧	أبوهريرة	- عليك السمع والطاعة
١٢٠	صفية بنت حيي	- على رسلكما إنها صفية
٤٣٠	أبوبردي	- على كل مسلم صدقة
٤٣٨	أبوأمامة الباهلي	- عليك بالصوم فإنه
٣٢٥	أبوهريرة	- عليك بتقوى الله والتكبير
١٣١	عبدالله بن مسعود	- عليكم بالصدق فإنه مع البر
٤٤٤	أبوهريرة	- العمرة إلى العمرة كفارة
٧١٦	أبوهريرة	- عن النبي ﷺ فيما يحكيه

حرف الغين

٤٤٧	عبدالله بن عمر	- غدونا مع رسول الله ﷺ
٨٧٢ ، ٤٥٢	بريدة	- غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة
٢٩٦	زيد بن أرقم	- غزونا مع رسول الله ﷺ وكان معنا
٥٨	ابن عمر	- غير اسم عاصية وقال أنت جميلة

حرف الفاء

٦٧	عمرو بن عوف	- فأبشروا وأملوا ما يسركم
٥٨	ابن عباس	- فأما الركوع فعظموا فيه
١٤٢	عتبان بن مالك الأنصاري	- فإن الله قد حرّم على النار
٧١٧	أبي بكرة	- فإنّ دماءكم وأموالكم
٧١٠	عمر بن الخطاب	- فإن لم تكن تراه
٤٥	عبدالله بن عمرو	- فإنك لا تستطيع ذلك فصم
٧٧٢	ابن عباس	- فانظر السبع من الدعاء
٤٢٢ ، ٣٧١	حذيفة	- فتنة الرجل في أهله
٤٩٨	جابر بن عبدالله	- فراش للرجل وفراش لامرأته
٢٠٣	مالك بن صعصعة	- فرفع لي البيت المعمور

٤٨٣	أنس	- فضل عائشة على النساء
٨١١ ، ٨١٢	جابر بن عبد الله	- فقدت جملي ليلة فمرت على رسول
٧٧٢	ابن مسعود	- فلما قضى صلاته رفع صوته
١٥٢	أنس بن مالك	- فمن رغب عن سنتي
٨٠٩	عبد الله بن عباس	- فنام ﷺ حتى انتصف
٩١ ، ١١	عبد الله بن عمرو	- فهل من والديك أحدٌ حي
٣٧٦	جابر	- فهلا جارية تلاعبها
٢٦٠	أبو هريرة	- فوالذي نفسي بيده
٢٨٧	عائشة	- فوالله ما علمت على أهلي
٩٥	أبوذر	- في بضع أحدكم صدقة
٤٥١	عبد الله بن مسعود	- في هذه الآية: ﴿ولا تحسبن...﴾
٢١٥	أبوسعيد الخدري	- فيمر المؤمن كطرف العين
٢١٥	المغيرة بن شعبة	- فيه غرة، عبد أو أمة

حرف القاف

٣٤٦	أنس بن مالك	- قال الله يا ابن آدم، إنك ما دعوتني
١٧٨	أبو هريرة	- قال الله تعالى، أعددت لعبادي
٥٧٩	أبو هريرة	- قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم
٥٥٣	أنس	- قال المهاجرون
٨٤٩	ابن مسعود	- قال رجل أتواخذ بما عملنا
٥٤٨	أبو هريرة	- قال رجل يا رسول الله إن فلانة
٥٤٨	المقداد بن الأسود	- قال رسول الله ﷺ لأصحابه
٤٨٥	أبو هريرة	- قال رسول الله ﷺ ليلة أسري بي
٥٤٣	عمرو بن شعيب	- قال رسول الله ﷺ مروا أولادكم
٨٨٠	معاذ بن جبل	- قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي
٤٥٥	إياس بن سلمة	- قال رسول الله ﷺ من هذا:
٨٥٧	عثمان بن عفان	- قال ﷺ خيركم من تعلم القرآن
٦٥١	عبد الله بن مسعود	- قال لنا رسول الله ﷺ يا معشر
٥٤٤	أبوسفيان	- قال هرقل لأبي سفيان
٧٢٨	ابن عباس	- قالت قريش للنبي ﷺ: «ادع ربك...»
٥٣٩ ، ٦٢٤	أبو هريرة	- قبل رسول الله ﷺ الحسن
٢٨٣	بريدة	- قتل المؤمن أعظم عند الله
١٥٤	نافع	- قد خرج رسول الله ﷺ فحال
٦٥٣	عمر بن الخطاب	- قد كان رسول الله ﷺ يعطيني

- قدم رسول الله ﷺ المدينة ليس له خادم أنس ٥٧٧
- قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت ابن عمر ١٥٤
- قدم رسول الله ﷺ وأصحابه ابن عباس ٤٤٧
- قدمت أمي على راغبة أسماء ٦٧١
- قدمت على النبي ﷺ فقال لي المسوار بن مخرمة ٨١٤
- قدمت من أرض الحبشة وأنا وجويرة أم خالد بنت خالد ٨١٣
- قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ إياس بن سلمة ٤٥٦ ، ٤٥٣
- قرأ النبي ﷺ فيما أمر ابن عباس ١٥٤
- قرأ رسول الله ﷺ إذا خطب جابر بن عبدالله ٥٨٦
- قرصت نملة نبياً أبوهريرة ٣٣٠
- القضية ثلاثة واحدة في الجنة بريدة بن الحصيب ٥١٧
- قضى النبي ﷺ إذا تشاجروا أبوهريرة ٥٨٠
- قل آمنت بالله سفيان بن عبدالله ١٩٢
- قل لا إله إلا الله سعد بن أبي وقاص ٣٣٧
- قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار أبوبكر ٨٦٣
- قلت يا رسول الله، ما لإيمان عمير الليثي ٦٥٦
- قلت يا رسول الله ألا تستعملني أبوذر ٦٣٤
- قلت يا رسول الله أي الناس أشد سعد بن أبي وقاص ٧٦٠
- قلت يا رسول الله ﷺ هل أتى عليك عائشة ٦٠٩
- قم إن أدري لعله خير منك أبو الطفيل عامر بن واثلة ١١٩
- قم فاقضه كعب بن مالك ٣٨١
- قوموا إلى جنة عرضها أنس ٢٦٨
- قيل يا رسول الله ادع الله أبوهريرة ٨٧٧ ، ٦٢٦
- قيل يا رسول الله من أكرم الناس أبوهريرة ٦٤٤

حرف الكاف

- كان أبوظلحة أكثر أنصارى بالمدينة أنس ٤٨٥
- كان أحب الثياب إلى النبي ﷺ الحبرة أنس ٨٣
- كان أحب العراق إلى رسول الله ﷺ ابن مسعود ٤٨٣
- كان أكثر دعائه ﷺ يا مقلب أم سلمة ٤٧٦
- كان النبي ﷺ أحسن الناس أنس ٨٦٨ ، ٢٤١ ، ٤٠٢
- كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر حذيفة ٤١١
- كان النبي ﷺ إذا دخل العشر عائشة ٤١٨
- كان النبي ﷺ إذا قام من الليل ابن عباس ٤١٨

٩٠	أبوهريرة	- كان النبي ﷺ بارز يومًا للناس
٤٨٨	البراء	- كان النبي ﷺ مربوعًا
٨٦٨ ، ٤٠٨	أنس	- كان النبي ﷺ يتوضأ كل صلاة
٥٩٣	ابن مسعود	- كان النبي ﷺ يحيي نبيًا من الأنبياء
٨٦٦ ، ٣١٩	عائشة	- كان النبي ﷺ يذكر الله على كلة
٤٨٣	عبدالله بن مسعود	- كان النبي ﷺ يعجبه الذراع
٣٩٧	عبدالله بن عمر	- كان النبي ﷺ يلبس خاتمًا
٣٩٤	البراء	- كان النبي ﷺ ينقل التراب
٤٥٥	إياس بن سلمة	- كان خير فوساننا اليوم أبوقتادة
٦٩٣	أبوهريرة	- كان دعاء النبي ﷺ اللهم إني أعوذ بك
٤٦٢	ابن عمر	- كان رسول الله إذا دخل ملة
٤٣٦	ابن عباس	- كان رسول الله ﷺ أجود الناس
٤٩٠	أبوسعيد	- كان رسول الله ﷺ إذا استجد
١٥١	جابر	- كان رسول الله ﷺ إذا خطب
٦٤٤	أبوسعيد الخدري	- كان رسول الله ﷺ أشد حياء
٨٠٨	جابر بن سمرة	- كان رسول الله ﷺ ضليع الفم
٤٩٢	أنس	- كان رسول الله ﷺ لا يرد الطيب
٨٠٨	أنس بن مالك	- كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن
٨٠٨	البراء	- كان رسول الله ﷺ مربوعًا
٨٢٥	عائشة	- كان رسول الله ﷺ مضطجعًا
٧٢٨	أبوموسى	- كان رسول الله ﷺ يسمى نفسه
٨٦٨	سفينة	- كان رسول الله ﷺ يغتسل بالصاع
٥٥٤	عائشة	- كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية
٦٦	أبوهريرة	- كان رسول الله ﷺ يقول اللهم أصلح
٤٨٣	عائشة	- كان ﷺ يحب الحلواء
٧٢٣	أبوسعيد	- كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة
٥٢٠	أبوهريرة	- كانت امرأتان معهما
٢١٨	عبدالله بن عمرو	- كتب الله مقادير الخلائق
٧١٨	أبوهريرة	- كتب على ابن آدم نصيبه
٥٤٠ ، ٤٢٦	عبدالله بن عمرو	- كفى بالمرء إثما
٧١٥	أبوهريرة	- كل أمتي معافى إلا
٧١٨ ، ١٢٧	أنس بن مالك	- كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين
٥٨٠ ، ٤٣٠	أبوهريرة	- كل سلامى من الناس

٤٣٩	أبوهريرة	- كل عمل ابن آدم له إلا الصيام
٤٢٩ ، ٧٠	جابر بن عبدالله، حذيفة	- كل معروف صدقة
٢٤	ابن مسعود	- كلاكما محسن ولا تختلفوا
٢٦١، ٣٢٨	أبوهريرة	- كلمتان خفيفتان على اللسان
٤٨٧	عمرو بن شعيب	- كلوا وتصدقوا وألبسوا في غير إسراف
٧١	أبوموسى	- كمل من الرجال ولم يكمل من النساء
٥٧٧	خيشمة	- كنا جلوسًا مع عبدالله بن عمر إذ جاءه
٥٧١ ، ١٥٣	جرير بن عبدالله	- كنا عند رسول الله ﷺ في صدر
٤٦١	عبدالله بن عمرو	- كنا عند رسول الله ﷺ يومًا حين
٧٧٢، ٦٨٢، ٦٢٥	أبو موسى	- كنا مع النبي ﷺ في سفر
٣٩٧	ابن عمر	- كنا نبأيع رسول الله ﷺ على السمع
٦٧٢	أبوهريرة	- كنت أدعو أُمي إلى الإسلام
٣٣٠	عبدالرحمن بن سمرة	- كنت أرتمي بأسهم لي بالمدينة
٤٩٤	عائشة	- كنت أرجل رأس رسول الله ﷺ وأنا
٤٩٣ ، ٧٥	عائشة	- كنت أطيب النبي ﷺ بأطيب
٥٩٨ ، ٤٣٥	أنس بن مالك	- كنت أمشي مع النبي ﷺ
٨١٩	أبوالدرداء	- كنت جالسًا عند النبي ﷺ
٤٨٥ ، ٥٧	أبوبكر بن عبدالله	- كنت جالسًا مع ابن عباس عند الكعبة
٤٧٥	سليمان بن صرد	- كنت جالسًا مع النبي ﷺ ورجلان
٦٤٥	علي بن أبي طالب	- كنت رجلًا مذاءً فاستحيت
٧٥٩	عبدالله بن عباس	- كنت رديف النبي ﷺ فقال:
٥٦٢	زينب امرأة عبدالله	- كنت في المسجد فرأيت النبي ﷺ
٥٦٢	عمران بن حصبي	- كنت مع نبي الله في مسير له
٣٤٢	أبوسعيد	- كيف أنعم وصاحب القرن
٦٣٥	عبدالله بن عمر بن العاص	- كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي
٢٣	أبوهريرة	- كيف تقول في الصلاة
٦٣٩	حذيفة بن اليمان	- لأبعثنَّ إليكم رجلًا أمينًا
٦٣٧	أبوهريرة	- الإمام ضامن، والمؤذن
٨١٠ ، ٣٣٤	أبوهريرة	- لأن أقول سبحان الله
٥٧١	الزبير بن العوام	- لأن يأخذ أحدكم أحبلًا
٢٢٩	أبوهريرة	- لأننا أعلمهم بالله، وأشدهم
١٤٠ ، ٨٩	أبوارفع	- لا ألفين أحدكم
١٤٠	عبدالله بن الزبير	- لا إله إلا الله وحده

٦٦٧	أبوهريرة	- لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام
٢٧١	ابن عباس	- لا تتخذوا شيئاً فيه
٥٥١ ، ٢٧١	أبوهريرة	- لا تحاسدوا ولا تناجشوا
٥٥٣	أبوذر	- لا تحقرن من المعروف شيئاً
٦٧٧	علي بن أبي طالب	- لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة
٦٧٧	ابن عباس	- لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب
٥٥٠ ، ٢٦٠	أبوهريرة	- لا تدخلو الجنة حتى تؤمنوا
٦٩٤	أبوهريرة الأسلمي	- لا تزول قدما عبد
١٣٢	أبوسعيد الخدري	- لا تسبوا أصحابي
٦٨٢	زيد بن خالد	- لا تسبوا الديك فإنه يوقظ
٦٧٧	أم حبيب	- لا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس
٦٧٧	أبوهريرة	- لا تصحب الملائكة رفقة فيها جلد نمر
٢٥٣	ابن عباس	- لا تطروني كما
٤٣٢	ابن عمر	- لا تعد في صدقتك
٣٧٦	أبوهريرة	- لا تغضب
٥٥١	أبوهريرة	- لا تقاطعوا ولا تدابروا
٤٠٧	ابن عمر	- لا تقبل صلاة
٤١٢	ابن عمر	- لا تمنعوا نساءكم المساجد
٦٢٤	أبوهريرة	- لا تنزع الرحمة إلا من شفي
٤٦٠	عبدالله بن السعدي	- لا تقطع ما دام العدو يقاتل
٤٢٩	أسماء	- لا تؤكلي فيؤكلي
٧٣٤ ، ٤٢٨	ابن مسعود	- لا حسد إلا في اثنتين
٤٩٧ ، ٧٤	أبوهريرة	- لا عدوى ولا طيرة
٤٦٠	ابن عباس	- لا هجرة ولكن جهاد وثبة
٥٩٧ ، ٥٥٥ ، ٣٦٧	أنس بن مالك	- لا يؤمن أحدكم
٤٠٨	عثمان بن عفان	- لا يتوضأ رجل مسلم
٢٦٩	أنس	- لا يجتمعان في قلب عبد في مثل
٨٣٠	عبدالله بن الزبير	- لا يحل لخليفة من مال الله
٥٥١	أبوايوب الأنصاري	- لا يحل لرجل أن يفرق
٥٣٥	أبوهريرة	- لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها
٤٤٧	ابن عباس	- لا يخلون رجل بامرأة
١٢٥٣	أبوهريرة	- لا يدخل الجنة إلا من رأى مقعده
٥٤٤	جبير بن مطعم	- لا يدخل الجنة قاطع

٢٠، ٥٨، ٤٨٧،

٨٧٢

عبدالله بن مسعود

- لا يدخل الجنة من كان في قلبه

٥٤٧

أبوهريرة

- لا يدخل الجنة من لا يأمن

٦٢٤

جرير بن عبدالله

- لا يرحم الله من لا يرحم الناس

٩٤

المغيرة

- لا يزال طائفة من أمتي

٣١٧

عبدالله بن بشر

- لا يزال لسانك رطبا

٧٦٨

أبوهريرة

- لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع

٧٧٤

ثوبان

- لا يزيد في العمر إلا البر

٣٥٥

أبوهريرة

- لا يشكر الله من لا يشكر الناس

٣٩٧

ابن عمر

- لا يصلين أحد العصر

٥٣٢

أبوهريرة

- لا يضرك مؤمن مؤمنة

٥٧٧

أبوهريرة

- لا يقل أحدكم أطعم ربك

٥٤٨

أبوهريرة

- لا يمنع جار جاره أن يعزز خشبه

٧٦١

أبوهريرة

- لا يموت لاحداكن ثلاث

١٨٧، ١١١،

جابر

- لا يموتون أحدكم إلا وهو

٢٨٦، ١٩٣

٨٠٩

أسماء بنت يزيد

- لامع العين ويحزن القلب

٥٤

أنس

- لروحة في سبيل الله

٣٠

ابن مسعود

- لعن الله الواشمات

١٥٢

العرباض بن سارية

- لقد تركتم على مثل البيضاء

٩٠

حذيفة

- لقد خطبنا النبي ﷺ

٣٢٣

أبوهريرة

- لقد ظننت يا أباهريرة

٣٢٠

جويرية

- لقد قلت بعد أربع كلمات

٢٥٧

عائشة

- لقد مات رسول الله وما شبع

٥٧٤

المعروور

- لقيت أباذر بالربذه وعليه حله

٥٧

المعروور بن سويد

- لكن أحسن الجهاد وأجمله

٥٧٧

أبوهريرة

- للملوك طعامه وكسوته

٧٢٨

عبدالله بن مسعود

- لله أفرح بتوبه عبده

٨٦٤

كعب بن مالك

- لم أتخلف عن رسول الله ﷺ

٥٢٨

أبوهريرة

- لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة

٦٧١

عمر بن الخطاب

- لم يجد عمر بن الخطاب حرجا

٨٤٥

عبدالله بن عمر

- لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا

١٥٤

ابن عباس

- لم يكن رسول الله ﷺ يستلمهما

٨١٩	ابن عباس	- لما أخرج النبي الله من مكة
٥٩٢	ابن عباس	- لما بلغ أباذر مبعث النبي ﷺ
٨٢٥	أبو عبد الرحمن	- لما حصر عثمان أشرف
٨١٦	أبوزميل	- لما خرجت الحرورية أثبت عليًا
٦٢٣	أبو هريرة	- لما خلق الله الخلق
٥٤٤	عبد الله بن سلام	- لما قدم النبي ﷺ المدينة أتجعل
١٢٤٦	طارق بن شهاب	- لما قدم عمر الشام تلقاه الجنود
١٣٨	سعد بن أبي وقاص	- لما كان يوم الفتح
٣٢٥	أنس	- الله أكبر خربت خيبر
٤٦٢	سعد بن أبي وقاص	- اللهم أعني لأصحابي
٣٤٨	ثوبان	- اللهم أنت السلام
٥٥٩	أبو هريرة	- اللهم إني أخرج حق
٢٤٠	شداد بن أوس	- اللهم إني أسألك الثبات
٦٥١	عبيد الله بن مسعود	- اللهم إني أسألك الهدى
٢٠١	عبد الله بن مسعود	- اللهم إني أسألك بكل اسم
٤٧٦	عائشة	- اللهم إني أعوذ بك من الكسل
٧٣٦	أنس بن مالك	- اللهم إني أعوذ بك من الهم
١٧٤	أنس بن مالك	- اللهم رب جبرائيل وميكائيل
٥٩١	عبد الله بن مسعود	- اللهم كما أحسنت خلقي فأحسن
٨٦٦، ٤٠٦، ٣٣٤	عبد الله بن أبي أوفى	- اللهم لك الحمد ملء السماوات
٨٠٩	عائشة	- لهما أحب إلي من الدنيا
٧٢٨	أبو هريرة	- لو أخطأتم حتى تبلغ
٥٣٥	أبو هريرة	- لو كنت أمرًا أحدًا أن يسجد لأحد
٨١٨	ابن عباس	- لو كنت متخذًا خليلاً
٢٦٧	أبو هريرة	- لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة
٧٣٢	أبو هريرة	- لو يعلم الناس ما في النداء
٤٩١	أبو هريرة	- لولا أن أشق على أمتي
٧٥٨	أبو موسى الأشعري	- ليس أحد أو ليس شيء آخر
٦٠٩، ٥٨٩	أبو هريرة	- ليس الشديد بالصرعة
٦٥٢	أبو هريرة	- ليس الغني عن كثرة العرض
٣٧٩، ٦٧	أم كلثوم بنت عقبة	- ليس الكذاب الذي يصلح
٥٣٦	عبد الله بن عمرو	- ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل
٢٩٦	أبو موسى الأشعري	- ليس بأحق بي منكم

١١٨	ابن عباس	- ليس مثل السوء الذي يعود في هبته
٥٣٩ ، ٦٢٤	عمر بن شعيب	- ليس منّا من لم يرحم صغيرنا
٥٤٢	أبوهريرة	- ليلة أسري بي رأيت موسى
حرف الميم		
٥٥٠	أبوموسى	- المؤمن للمؤمن كالبنيان
٢٧٢	أبوسعيد	- مؤمن يجاهد في سبيل الله
٦٠١	أبوهريرة	- المؤمن يمر كريم، والفاخر
٥٤٠	المقداد	- ما أطعمت نفسك فهو
٥٠٣	المقداد	- ما أكل أحد طعامًا قط
٤٩٧	أبي هريرة	- ما أنزل الله داءً
٣٣٣	أنس	- ما أنعم الله على عبد نعمة
٤٥	ابن عباس	- ما العمل في أيام
٤٢٧	عبدالله بن عمرو	- ما تأكله العافية
٥٧٥	عمرو بن الحارث	- ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا
٢٥٧	عمرو بن الحارث	- ما ترك رسول الله عند
٧٥	أبوهريرة	- ما تصدق أحد بصدقة
٥٥٣	جرير	- ما حجنى النبي ﷺ منذ
٦٥٧	عائشة	- ما خيرَ عمار بني أمّرين
٨١٤ ، ٥٩٣	أنس بن مالك	- ما رأيت رجلًا اتقم أذن الرسول
٥٤٧	عائشة	- ما زال جبريل
٤٣٥	أنس	- ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام
٤٩٢	أنس	- ما شمتُ عنبرًا قط
٨٥٠	أبوالدرداء	- ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن
٥٩٣	عائشة	- ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده
٢٩٠	أبو بكر	- ما ظنك يا أبا بكر باثنين
٨٥٣٤	أبوهريرة	- ما عاب رسول الله
٤٩٢	يوسف بن عبدالله	- ما على أحدكم إن وجد
٥٣٥	عائشة	- ما غرت على نساء النبي
٥٥٥	أبوأمامة	- ما ضلّ قوم بعد هدي
٥٣٣	عائشة	- ما كان النبي ﷺ يصنع
٨١٠	عائشة	- ما كان النبي ﷺ يزيد في رمضان
٢١	أبوطلحة	- ما لكم ولمجالس الصعدات
٤٨٤	مقدام بن معديكرب	- ما ملأ آدم وعاء شراً

١٩٨	أنس	- ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله
٨٥٠	عثمان	- ما من امرئ مسلم تضره صلاة
٨٦٠ ، ٦٢٨	أبوهريرة	- ما من الأنبياء نبي إلا
١٨٧ ، ١١٣	عثمان بن عفان	- ما من امرئ مسلم تحضره
٦٠٧	ابن عمر	- ما من جرعة أجرًا عند الله
٥٤٥	أبي بكر	- ما من ذنب أجدر أن يعجل
٥١٧	أبوأمامة الباهلي	- ما من رجل يلي أمر عشرة
٣٠٧	أسماء بنت أبي بكر	- ما من شيء لم أره
٥٩٢	أبوالدرداء	- ما من شيء يوضع في الميزان
١٩٦	أبوذر	- ما من عبد قال
٥٥٥	أبوالدرداء	- ما من عبد مسلم يدعو لأخيه
٤٢٦	أبوذر	- ما من عبد مسلم ينفق
٦٣٧	معقل بن يسار	- ما من عبد يسترعيه الله رغبة
٤٣٩	أبوسعيد الخدري	- ما من عبد يصوم يومًا
٤٦	أنس	- ما من عبد يموت
٤٦٢ ، ٣٤٤	أم سلمة	- ما من مسلم تصيبه مصيبة
٤٠٧	معاذ بن جبل	- ما من مسلم يبيت
٤٦	أنس	- ما من مسلم يتوفر له
٤٤٤	عائشة	- ما من يوم أكثر من أن يعتق
٤٢٩	أبوهريرة	- ما من يوم يصبح العباد فيه
٦١٢	أبوهريرة	- ما نقصت صدقة من مال
٦٥٣	أبوهريرة	- ما يزال الرجل يسأل
٧٦٠	أبوسعيد وأبوهريرة	- ما يصيب المسلم نصب
٤٨٥	جابر	- ماء زمزم لما شرب له
٣١١	عائشة	- الماهر بالقرآن مع السفرة
٥٥٢	معاذ بن جبل	- المتحابون في جلالي لهم منابر
١٢٠ ، ٦٦	أبوموسى الأشعري	- مثل المجلس الصالح والجليس
٣١٧	أبوموسى الأشعري	- مثل الذي يذكر ربه
٥٥٠	النعمان بن بشير	- مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم
٤٥١ ، ٤١٧	أبوهريرة	- مثل المجاهد في سبيل الله
٤٥١	أبي هريرة	- مثل المداهي في حدود الله
٦٩٦	أبوموسى الأشعري	- مثل ما بعثني الله من الهدى
٣٧١	حذيفة	- مثل هذه الأمة كمثل

٦١٤	أبو الشيخ	- مثلي ومثلكم كما قال يوسف
٧٤١	فضالة بن عبيد	- المجاهد من جاهد
٨٦٦	أبوهريرة	- مرَّ النَّبي ﷺ بأناس من اليهود
٧٥٩	أنس	- مرَّ النَّبي ﷺ بامرأة تبكي
٦٧٩	سهل بن الحنظلة	- مرَّ النَّبي ﷺ ببعير
٨٦٨	عبدالله بن الخطاب	- مرَّ رسول الله ﷺ على رجل
٨٦٨	عمر بن الخطاب	- مرَّ رسول الله ﷺ وأنا معه وأبوبكر
٦٦٤	هشام ابن حكيم	- مرَّ على أناس من الأنباط
٨١٣	أبوأمامة بن سهل	- مرضت امرأة من أهل العوالي
٧٧٨	أنس بن مالك	- مرو بجنازة فأتنوا عليها خيرًا
٦٣٨، ٦٣٧، ٥٤٩	أبوهريرة	- المستشار مؤتمن
٦٣٩، ٦٣٩	أبوهريرة	- المسلم من سلم المسلمون من لسانه
	أبوهريرة	- ملائكة سيارة فضلاً
٤٤٤	أبوهريرة	- من أتى هذا البيت فلم يرفث
٥٤٤	أنس بن مالك	- من أحب أن يسط له
٨٦٠، ٢٥٩	أبوأمامة الباهلي	- من أحب في الله
١٥٥، ١٥٢	عائشة	- من أحدث في أمرنا هذا
٩١	عبدالله بن مسعود	- من أحسن في الإسلام
٢١	أبوهريرة	- من أحق الناس بحسن الصحبة
٦٥٢	ابن مسعود	- من أصابته فاقدر فأثر لها بالناس
٨٢١، ٤٤٠	أبوهريرة	- من أصبح منكم اليوم صائمًا
٣٥٥	جابر	- من أعطى عطاء فوجد
٦٧٧	جابر	- من أكل البصل والثوم
٤٨٤	جابر	- من أكل ثومًا أو بصلاً
١٢٩٠	أبوهريرة	- من أنفق زوجين من ماله
٤٢٥	خريم بن فاتك	- من أنفق نفقة
١١٢، ٢١	عائشة	- من ابتلى من البنات
٦٣٤	أبوزرارة	- من استعملناه منكم
١٣١	عمرو بن مرة	- من الصديقين والشهداء
٤٩٥	ابن عمر	- من الفطرة حق العانة
٧١٧	أبوهريرة	- من تاب قبل
٣٣٨	عبادة بن الصامت	- من تعار من الليل فقال
٦٩٣	أبوهريرة	- من تعلّم علمًا

٧٢٥، ٤٠٩	عثمان بن عفان،	- من توضأ فأحسن
٨٥٠، ٨٤٩	أبوهريرة، عمر بن الخطاب	- من توضأ فأحسن الوضوء
٦٢٣	أبوهريرة	- من توضأ هكذا ثم خرج
٤٠٩	عثمان بن عفان	- من جاء مسجدي هذا
٦٩٧	أبوهريرة	- من جلس في مجلس فكثر فيه لفظه أبوهريرة
٣٥٠	أبوهريرة	- من حفر رومة فله الجنة
٤٣٥	عثمان بن عفان	- من خاف أدلج
٢٢٨	أبوهريرة	- من رأى منكم رؤيا
٣٦٢، ١٣١	أبوبكرة، ابن عباس،	- من سئل عن علم
٣٦٦، ٤٤٩، ٣٦٣	أبوسعيد الخدري	- من سرّه أن يقرأ القرآن غضاً
٦٩٣	أبوهريرة	- من سعادة المرء الجار الصالح
٤٠٣	عمر بن الخطاب	- من سلم المسلمون من لسانه
٥٥٠، ٤٩٨	نافع بن الحارث	- من سنّ سنة حسنة فله
١٢١	أبوموسى	- من سنّ في الإسلام حسنة
١٥٢	جرير بن عبدالله	- من صلّى صلاة لم يقرأ
٢٩٥	جرير بن عبدالله	- من صنع إليه معروفًا
٤٩	أبوهريرة	- من عادى لي وليا
٣٥٦	أسامة بن زيد	- من عاد مريضاً أو زار أخاً له
٤١١	أبوهريرة	- من عل جاريتين حتى تبلغا
٥٥٤، ٥٤٩	أبوهريرة	- من عرض عليه طيب فلا
٥٠١	أنس	- من قال استغفر الله
٤٩٣	أبوهريرة	- من قال حين يصبح
٣٥٠	بلال بن يسار	- من قال سبحان الله وبحمده
٣٢٩	أبوهريرة	- من قال: لا إله إلا الله
٣٣٠	أبوهريرة	- من قتل دون ماله
٣٠١	طارق بن حثيم	- من قرأ حرفاً من كتاب الله
٥٣٤	سعيد بن زيد	- من قطع صدره
٣١٠	ابن مسعود	- من كان له ثلاث بنات فصبر
٥٨١	عبدالله بن جحش	- من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
٥٤٠	عقبة بن عامر	- من كانت له مظلمة
١٤٧، ٥٣١	أبوهريرة	- من كظم غيظاً
٧١٨، ٧١٧	أبوهريرة	
٦٠٧	معاذ بن بن أنس	

٧٦٣	أبوهريرة	- من لم يسأل الله
٣٥٢	أبوهريرة	- من لم يشكر الناس
١٩٧	عثمان	- من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله
٧٤٧	أبوسعيد الخدري	- من يتصبر يصبره الله
٥٧٨ ، ٥٥	جرير	- من يحرم الرفق
٦٤٩	سهل بن سعد	- من يضمن لي ما بين لحييه
٥٤	أبوهريرة	- من يرد الله به خيراً
٨٧٥ ، ٥٩٧	عائشة	- مهلاً يا عائشة
٣٢٩	أبوهريرة	- النبي ﷺ قال: إن الله تبارك وتعالى
٣٥٦	ابن عباس	- نحن أحق وأولى بموسى
٧١٥	ابن مسعود	- الندم توبة
٦٩٥	عبدالله بن مسعود	- نصر الله أمراً سمع مقالتي
٩٥	ابن عباس	- نعم حجي عنها
٩٠	سلمان الفارس	- نهانا أنستقبل القبلة
٦٥٣ ، ٤٦٣	أبوهريرة	- هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة
١٠٤	عمر بن الخطاب	- هلذا جبريل جاء يعلم الناس
٨١١	أسامة بن زيد	- هذه رحمة جعلها الله في قلوب
١١٨	عمرو بن شعيب	- هنكذا الوضوء فمن زاد
١٦٦	زيد بن خالد الجهني	- هل تدرون ما ذا قال ربكم
٣٥٢	زيد بن خالد	- هل تدرون ماذا قال ربكم؟
٨٣	أبوهريرة	- هل تضارون في القمر
٢٨٢	عبدالله بن مسعود	- هلك المتنطعون
٧٦٤	ابن عباس	- وإذا سألت فاسأل الله
٥٨٢ ، ٥٠٣	أبوسعيد	- وإن هذا المال خضرة
٦٢٣	أبوموسى	- والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة
٥٤٨	أنس	- والذي نفسي بيده لا يؤمن
٨٦٢ ، ٢٨٣	المسوار بن مخزومة	- والذي نفسي بيده لا يسألونني
٧١٩ ، ٣٤٦	أبوهريرة	- والذي نفسي بيده لو لم تذبوا
٤٤٧ ، ٨٧١	أبوهريرة	- والذي نفسي بيده ليمهلن
٥١٩ ، ٥٢	أبوهريرة	- والذي نفسي بيده ليوشكن
٤١١	أبومالك	- والصلاة نور
٤٦٠	عبدالله بن عدي	- والله إنك لخير أرض وأحب
٤٦٠	عبدالله بن عدي	- والله إنك لخير أرض وأحب أرض

٢٣٥	أنس بن مالك	- والله إني لأخشاكم
٧٢٩	أبوهرير	- والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه
٥٣٣	عروة	- والله قدرأيت رسول الله ﷺ على باب
٥٤٩	أبوهريرة	- والله لا يؤمن والله لا يؤمن
١٤٠ ، ٢٧٧	علي بن أبي طالب	- وجهت وجهي للذي فطر السماوات
٨٦٢ ، ٨٦١		
٦٨٢	عبدالله	- ورأى قرية نمل قد حرقناها
٧٧١	أبوموسى	- وفيه فأخبرته بخبرنا
٥٧٩	ابن عمر	- وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت
٤٩٥	أنس بن مالك	- وقت لنا في قص الشارب
٦٦٥	ابن سعد	- وفد نصارى نجران لما وفدوا
٦٧٣	عبدالله بن عمر	- وقد ذبح شاة، أهديت لنا لجاننا
٨٤٠	أبوهريرة	- ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذني
٥٥٤	ابن عباس	- ولكل جعلنا موالى، قال:
٧٥٥	ابن مسعود	- وما يزال الرجل يصدق
٥٣٦	أبوذر	- ومن يضع أحدكم صدقة
٦٤٩	ابن عباس	- ويأمرنا بالصلاة والصدقة
٤٦٢	أبومسعود	- يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله
٥٤٩	أبوذر	- يا أباذر إذا طبخت مرقة
٣١١	أبوموسى	- يا أباموسى لو رأيته وأنا أستمع
١١٢	أبوهريرة	- يا أباهريرة كن ورعاً
٣٦٨	أبومسعود الأنصاري	- يا أيها الناس إن منكم
٦١٣	عبدالله بن عمر	- يا أيها النبي إنا أرسلناك
٤١١	رجل من أسلم	- يا بلال أرحنا بالصلاة
٥٨٢	عمر بن الخطاب	- يا رسول الله: إني استفدت مالا
١٢١	معاوية بن حيدة	- يا رسول الله، بالذي بعثك بالحق
٤٦١	أبوفاطمة	- يا رسول الله حدثني بعمل
٥٥٠	عائشة	- يا رسول الله إن لي جارين
١٢٢	سعد بن وقاص	- يا سعد إني لأعطي الرجل
٨٧٥	عائشة	- يا عائشة إن الله رفيق يحب
٧٣٢ ، ٧١٩	أبوذر	- يا عبادي إني حرمت الظلم
٦٢١	عبدالله بن عباس	- يا عكرمة هل للرجل حاجة
٨٤٢	ابن عباس	- يا غلام إني أعلمك كلمات

٢٦٤	معاذ بن جبل	- يامعاذ والله إنني لأحبك
٦١٤	أبو الشيخ	- يا معشر قريش، ما ترون
٥٤٩	أبو هريرة	- يا نساء المسلمين لا تحقرن
٦٤٥	أنس بن مالك	- يجتمع المؤمنون يوم القيامة
١٢٩	أبو هريرة	- يجمع الله تبارك وتعالى الناس
٦٥٦	أبو موسى	- يسروا ولا تعسروا
٣٣٠	أبوذر	- يصبح علي كل سلامي
٢١١	ابن عباس	- يعذبان وما يعذبان
٧٤	أبو هريرة	- يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم
٣٧٠	عبد الله بن عباس	- يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها
٤٤٧	أبو هريرة	- يعني أبوبكر في الحجة
٣١١	عبد الله بن عمرو	- يقال لصاحب القرآن يوم القيامة
٦٥٦	أبوبكر	- يقول الله: انظروا في النار رجلاً
٥٣	أبو هريرة	- يقول الله تعالى أنا عند ظن عبد بي
٥٠	أبو سعيد الخدري	- ينادى مناد إن لكم أن تصحوا

فهرس الآثار

الصفحة	الراوي	الأثر
	حرف الألف	
٤٢٢	عبدالرحمن بن أسلم	- أبى الله أن يقبل الصلاة إلاّ
٢٣٧	دكين الراجز	- أتيت عمر بن عبدالعزيز بعدما
٢٨٧	سفيان الثوري	- أحسنوا الظن بالله
٨٢٧	المبارك بن فضالة	- أدركت عثمان وأنا يومئذ
٣٧٩	الفضيل بن عياض	- إذا أتاك رجل يشكوا
١٠١	العباس بن عبدالمطلب	- إذا اشتبه عليك أمران
٢٧٨	علي بن الحسين	- إذا توضأ أصفر
٥٩٣	الماوردي	- إذا أحسنت أخلاق الإنسان
٣٢٠	إبراهيم بن سفيان	- إذا سكن الخوف القلب
٤٤١	أبوذر	- إذا صمت فتحفظ ما استطعت
٤٤١	جابر بن عبدالله	- إذا صمت فليصم سمعك
٦١٨	محمد بن السعدي	- إذا عقب فتانظر
٢٣٧	قباي	- إذا لا يكون له غاية دون الجنة
٥٦٦	أبو صالح	- أرسلني العباس إلى عثمان أدعوه
٦٢٩	عطاء	- أستاذن على أختي؟
٧٤٦	يحيى بن معاذ الرّازي	- أعداء الإنسان ثلاثة
٢٣٦	الماوردي	- أعلم أنّ من شواهد الفضل
٦١٢	الحسن	- أفضل أخلاق المؤمن
٥١٨	ابن حزم	- أفضل نعم الله تعالى على المرء
٢٣٣	أبوهريرة	- أما إني لا أبكي على دنياكم
٦٥٣	سفيان الثوري	- أما أول ما تبدأ به في يومنا
٦٠٢	عبدالله بن جعفر	- أمطر المعروف مطراً
٣٠٧	أبوهريرة	- إنّ أخا لكم لا يقول
٤٤١	ميمون	- إنّ أهون الصوم ترك الطعام
٧٤٦	أبو بكر الصديق	- إنّ أول ما أحذر
٨٧٩	سفيان الثوري	- إنّ أول ما نبدأ به في يومنا
٧٦٧	سليم بن عامر	- إنّ السماء قحطت فخرج
٣٩١	الفضيل	- إنّ العمل إذا كان خالصاً
٥١٤	عمر بن الخطاب	- إنّ القضاء فريضة محكمة

- إِنَّ للقلوب شهوة ابن مسعود ٤٠١
- إِنَّ الله قد أعطاك ما تحب من الظفر رجاء بن حيوة ٦١٤
- إِنَّ الله ليمتع بالنعمة ما شاء الحسن البصري ٣٥٤
- إِنَّ المؤمن يرى ذنبه كأنه جالس عبدالله بن مسعود ٧٢٤
- إِنَّ المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد عبدالله بن مسعود ٧٢٤
- إِنَّ المسوار بن مخرمة وعبدالرحمن عروة ٨٢٦
- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غزا غزوة أصحاب السير ٦٧٠
- إن رأيت بهما خيراً أعلنته أبو حازم ٣٥٥
- أَنَّ رجلاً كلمه يوماً حتى أغضبه عمر بن عبدالعزيز ٦٠٨
- إِنَّ زوج بريرة كان عبداً ابن عباس ٥١٩
- إِنَّ ضياء الإيمان أو نور الإيمان عامر بن قيس ٢٢٢
- أَنَّ عثمان كان إذا سمع المؤذن يقول قتادة ٣٣٧
- أَنَّ عثمان اشترى من رجل أرضاً عطاء بن فروخ ٨٢٧
- أَنَّ عثمان كان إذا سمع المؤذن قتادة ٣٣٧
- أَنَّ علياً قال في ابن ملجم بعدما جعفر بن محمد ٨٣٠
- أَنَّ عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا ابن عمر ٥٨٢
- أَنَّ عمر تصدق بمال له ابن عمر ٥٨٢، ٨٢٣
- إِنَّ لي نفساً تواقفة فإذا بلغك عمر بن عبدالعزيز ٧٣٦
- إِنَّ معاذ بن جبل رضي الله عنه كان أمة عبدالله بن مسعود ٤١٨
- أَنَّ نفراً وردوا على عجوز في بعض ابن عباس ٥٨٤
- أن يذكره ويتحدث سفيان الثوري ٤٣١
- أَنَّ أعزنا الله بالإسلام طارق بن شهاب ٢٥٧
- إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ٢٥٣
- إنيكم لتعملون أعمالاً أنس بن مالك ٢٨٣
- إِنَّمَا أخاف أن يكون أول ما يسألني أبو الدرداء ٣٩١
- أَنَّهُ أخذ أربعمئة دينار عمر بن الخطاب ٨٢٤، ٤٣٦
- أَنَّهُ بلغه أَنَّ ابن رواحة تذكر شعراً سعيد بن منصور ٧٤٧
- أَنَّهُ رأى عمر بن الخطاب يقرء بغيراً سعيد بن منصور ٧٤٧
- أَنَّهُ غزا مع رسول الله ﷺ جابر بن عبدالله ٦١٤
- أَنَّهُ قام يوم مات المغيرة جرير بن عبدالله ٦١٣
- أَنَّهُ كان يثلم حائطه أيام الرطب عروة بن الزبير ٣٣٧
- أَنَّهُ كان يقول في دبر كل صلاة عبدالله بن الزبير ٣٥٢
- أهدي لرجل رأس شاة ابن عمر ٦٠٤

- أوصيك بتقوى الله فإنه ٢٧١ أبو سعيد الخدري
- أول ما تنكرون من جهادكم أنفسكم ٧٣٩ علي بن أبي طالب
- إيمان لا شك فيه وجهاد لا غلول فيه ٣٠٥ عبدالله بن حبشي
- ابدأ نفسك فجاهدها ٧٤١ عبدالله بن عمر
- اتبع طريق الهدى ولا يضرك ١٥٧ الفضيل بن عياض
- اتبعوا آثارنا ١٥٦ ابن مسعود
- استعينوا على الكلام بالصمت ٢٢٧ الشافعي
- اشترى ابن عباس ثوبًا بألف ٤٨٨ ابن عباس
- اعبدوا الله كأنكم ترونه ١٥٨ أبو الدرداء

حرف الباء

- باع بغلة له بأربعمائة ٥٩٨ الحسن البصري
- بقدر ما يصغر الذنب ٢٨٣ الفضيل بن عياض
- بلى يا رب! بلى يا رب ٢٧٦ ، ٢٢٥ عمر

حرف التاء

- تعلموا العلم، وتعلموا للعلم ٦١٧ عمر بن الخطاب
- تعلموا النية فإئها ١٤٣ يحيى بن أبي كثير
- تعلموا فمن علم فليعمل ٣٩١ ابن مسعود
- تفعلون أفضل العبادة ٢٥٤ عائشة
- تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء ٣١٧ الحسن البصري
- التفكير والاعتبار ٢٢٢ عبدالله بن عتبة
- تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله ٢٢٢ ابن عباس
- تمام التقوى أن يتقي الله ٢٧٣ أبو الدرداء
- التوبة واجبة من كل ذنب ٧١٣ النووي

حرف الجيم

- جاء ثلاثة نفر إلى عبدالله بن عمرو أبو عبد الرحمن ٥٧١
- جاء فتح الموصلي إلى منزل صديق له ٥٨٤ رباح بن جراح
- جميع المناهي في الحج ٤٤٥ ابن عباس

حرف الحاء

- حدثني أبي الذي أَرْضَعَنِي وكان ٢٣٧ عبادة بن عبدالله
- حقيقة الخوف ألا تخاف مع الله أحدًا ٢٢٨ أبو عمر الدمشقي
- الحمد لله الذي كساني ما أوارى به ٨٦٦ ، ٨٢٤ ، ٣٣٤ عمر بن الخطاب
- الحمد لله الذي هدانا وأطعنا ٣٣٤ عروة بن الزبير
- حيا الخيل بأحسن مما حيي به ٧٩٠ ابن عطية

حرف الخاء

- خرج ابن عمر في بعض نواحي المدينة نافع ٦٤٠
- خرجت مع عمر بن الخطاب إلى مكعبد الله بن دينار ٧١١
- خرجنا مع الحسن إلى السوق بكار بن منقذ ٥٦٥
- الخشوع في القلب أن تلين علي بن أبي طالب ٢٧٦
- الخوف سراج في القلب أبو حفص ٢٣٠
- الخوف سوط الله أبو حفص ٣٢٠
- الخوف والرجاء كجناحي طير أبو علي الروذباري ٢٣٠
- الخير الذي لا شر فيه الحسن البصري ٣٥٤

حرف الدال

- دخلت على علي بن أبي طالب عبدالله بن زبير ٨٣٠
- دخلت مع أبي علي أمي موسى بن طلحة ٦٢٨
- دعا أعرابي بمكة، فقال الأصمعي ٤٤٨

حرف الراء

- رأى علي بن أبي طالب ثوب كأنه أبو حيان ٨٢٤ ، ٥٥٦
- رأيت عثمان نائمًا في المسجد ورداء الحسن ٨٢٨
- رأيت علي بن أبي طالب يخرج من الحسن بن حرموز ٨٣٠
- رأيت محمد بن واسع يبيع زياد بن الربيع ٥٩٨
- رحم الله عبدًا عرض نفسه الحسن بن محمد ٣١٣
- ركعتان مقتصدتان في تفكير خير ابن عباس ٢٢٢
- الزموا كتاب الله وتبعوا ما فيه الحسن بن محمد ٣١٣

حرف السين

- سئل عمر بن الخطاب عن التوبة النعمان بن بشير ٧١٦
- سمعت عمر بن الخطاب وخرجت معه أنس بن مالك ٧٤٧

حرف الشين

- الشكر نصف الإيمان الشعبي ٣٥٣

حرف الصاد

- الصلاة شكر والصيام شكر، وكل خير أبو عبد الرحمن ٣٥٥
- صلاح القلب بصلاح العمل مطرف بن عبدالله ١٤٣

حرف الطاء

- طهارة النفس تتحقق بإصلاح الفكر الراغب ٧٤٧

حرف العين

- علامة صح الرجاء حس الطاعة شاه الكرمانى ٢٦٦

- على قدر حبك الله ٢٣٢ يحيى بن معاذ
- عليك بالمراقبة ممن لا يخفى عليه ٧١١ سفيان الثوري
- عليكم بالاستفاضة والأثر ١٥٦ ابن عباس
- عليكم بالحلم والاحتمال ٦١٢ معاوية
- عليكم بملازمة الشكر ٣٥٤ الفضيل بن عياض
- العمل بطاعة الله على نور من الله ٢٧٤ طلق بن حبيب

حرف الفاء

- فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أئني ٣٠٤ يحيى بن يعمر
- فإنَّ العبد إذا عمل بطاعة الله ٣٩٨ أبو الدرداء
- فعليكم بالوقوف عند الشبهات ١٥٦ عمر بن الخطاب
- الفكرة في نعم الله عز وجل ٢٢٢ عمر بن عبدالعزيز

حرف القاف

- قام رسول الله ﷺ مقامي ٣٠٦ أبوبكر
- قد أحسن من انتهى ١٥٦ سعيد بن جبير
- قد جئتم من الجهاد الأصغر فما فعلتم ٧٤١ إبراهيم بن علقمة
- قدم عينة بن حصن بن حذيفة ٦٠٩ ابن عباس

حرف الكاف

- ٨٧٧ ، ٦٢٠ كان أبوبكر يوم السقيفة أحلم مني عمر بن الخطاب
- كان آخر قول إبراهيم حين ألقى ٣٤٢ ابن عباس
- كان أهل الجاهلية لا يسودن إلا ٦١٧ أبو عمرو بن العلاء
- كان الحسن إذا اشترى شيئاً ٦٥٥ عيسى أبوعبيدة
- كان النبي ﷺ وجيوشه ٣٢٥ ابن عمر
- كان عثمان بن عفان يفتح ليلة الجمعة ٨٢٧ القاسم أبي عبد الرحمن
- كان عمر يكتب إلى عماله أن يوافوه عطاء ٨٢٣ ، ٥١٩
- كان لنا أمانان، ذهب أحدهما ٣٥٠ أبو موسى الأشعري
- كان يقال إذا أراد الله بقوم خيراً ٦٥٥ محمد بن المنكدر
- كان يلبس البرد أو الحلة ٤٨٨ عبد الرحمن
- كانوا إذا قاموا في الصلاة ٢٧٧ ابن عمر
- كانوا يتخوفون من أفضل أعمالهم ٢٣٣ حسن بن صالح
- كانوا يرون أنه على الطريق ٢٥١ محمد بن سيرين
- كان يكره أن يرى الرجل من الخشوع ٢٧٧ الفضيل بن عياض
- كتب إلي بعض إخواني من أصحاب سعيد بن المسيب ٢٨٩
- كل الناس مني في حل ٦١٣ عمر بن الخطاب

- كل شيء من الخير ٤٠١ أحمد بن حنبل
- كل ما شئت واشرب ما شئت ٤٨٨ ابن عباس
- الكمال في ثلاثة ٦٥٠ محمد بن الحنفية
- كنا بطريق مكة وبين أيدينا ٤٣٧ شبيب بن شيبه
- كنا في مجلس أبي عبدالله البخاري ٢٨٣ محمد بن منصور
- كنا نتكلم في الصلاة ٤١٧ زيد بن أرقم
- كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله ٤١٧ زيد بن أرقم
- كنت جالسًا عند عمر فأتاه ناس ٥٢٠ جابر بن سمرة
- كنت عند عمر بن عبدالعزيز فذكره ٦٤٢ إياس بن فزه

حرف اللام

- لأن أقرأ في ليلتي حتى ٢٢٢ محمد بن كعب
- لا تجالس صاحب بدعة ١٥٦ الحسن البصري
- لا تعرفون الله حقًا ولا تشركون له ٢٧٩ الحسن
- لا مال أعون من العقل ولا مصيبة ٦٠٠ جعر الصادق
- لا يبلغ العبد مبلغ الرأي ٦١٧ معاوية بن أبي سفيان
- لا يزال يجلد في الخمر فلما أكثر ٢٤١ أبو محجن الثقفي
- لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده ٢٣٧ الزمخشري
- لا يكون الرجل تقيًا ٧٧٦ ميمون بن مهران
- لم يرخص الله لمعسر ولا لمعسر ٦٣٧ ابن عباس
- لم يكن أصحاب نبي قط فيما خلا ٨٧٩ فرقد السبخي
- لما أسرته الروم جاءوا به إلى ملكهم ٣٠٣ عبدالله بن حذافة
- لما حصر عثمان أشرف عليهم ٥٨٣ أبو عبدالرحمن
- لما طعن عمر جعل يألّم فقال له ٨٢٢ المسوار بن مخرمة
- لما قال له مسيلمة الكذاب ٣٠٣ حبيب بن زيد
- لما كان علي بن الحسين وجدوا بظهره ٥٦٥ عمر بن الحارث
- اللهم إن كان كاذبًا فأعم ٨٤١ سعد بن أبي وقاص
- ليتق الرجل دناءة ٦٠٢ عبدالرحمن بن مهدي
- ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ٣٩١ الحسن

حرف الميم

- المؤمن كريم في كل حال ٦٠٢ مالك بن دينار
- ما أسى على شيء فأنني من الدنيا ٤٤٨ ابن عباس
- ما أصبحت صباحًا قط ٦٠٤ حكيم بن حزام
- ما أعرف القنوت إلا ٤١٧ ابن عمر

٥٥٦	عمر بن عبدالعزيز	- ما أعطيت أحدًا مالا إلا وأنا أستقله
٦٠٤	أبوهريرة	- ما احتذى النعال ولا انتعل
٣١١	قتادة	ما جالس أحد القرآن
٣٧٧	الحسن البصري	- ما زال الله تعالى نصحاء
١٤٣ ، ٧٤٧	سفيان الثوري	- ما عالجت شيئاً أشد
٢٧٩	ابن كيسان	- ما لكم لا ترجون في عبادة الله
٦٠٠	الحسن بن علي	- المروءة حفظ الرجل دينه
٢٦٧	سفيان	- من أذنب ذنباً فعلم أنَّ الله تعالى
٧٥١	طاوس والإمام أحمد	- من اضطر إلى أكل الميتة والدم
٣٠٢	ابن عمر	- من بنى بأرض المشركين فصنع
٢٧٦	ابن مسعود	- من تواضع لله تخشعاً
٢٧٦	عبد الملك بن مروان	- من تواضع من قدرة
٧٦٩	يحيى بن معاذ	- من جمع الله قلبه
٢٣٢	عمر بن عبدالعزيز	- من خاف الله
٢٣٦	معاوية	- من طلب عظيمًا خاطر بعظيمته
٣٥٦	الفضيل بن عياض	- من عرف نعمة الله بقلبه
٧٤٤	عمر بن يعقوب	- من كرم عليه دينه هانت
٦٠٠	عبد الله بن الحارث	- من لم يكرم ضيفه فليس
٦٢٩	عمر بن الخطاب	- من ملأ عينه من قاعة بيت
٧٦٩	سفيان الثوري	- منعه اعطاء، وذلك أنه لم يمنع
حرف النون		
٩٦٥	ابن عمر	- نحن معشر قريش نعدُّ الحلم
حرف الواو		
٦١٧	ابن مسعود	- والذي لا إله إلا غيره ما أعطي
حرف الهاء		
٢٦٥	أبوحيان التميمي	- هذا كسانيه خليلي وصفي
٦٢٨	قتادة	- هو الاستئذان ثلاثاً فمن لم يؤذن له
حرف النون		
٣٢٣	عبد الله بن مسعود	- والذي لا إله غيره
٣١٣	محمد بن الحسين	- والقليل من الدرس للقرآن مع الفكر
٢٣٢	الحسن البصري	- والله ما مضى مؤمن ولا بقي
٧٥٠	عمر بن الخطاب	- وجدنا خير عيشنا
١٥٠	سفيان الثوري	- وجدت الأمر الاتباع

٢٥٣	أبوبكر الصديق	- وجدنا الكرم في التقوى
٥٦٥	عمر بن العزيز	- وددت أنّه ليس من الناس عبداً ابتلي
٤٠١	محمّد بن نصر العابد	- وشاورته (أي الإمام أحمد) في الخروج
٨٢٢	ابن عباس	- وضع عمر على سريرته فتكنفه
٦٢٠	معاوية رضي الله عنه	- وقد أسمعته رجلاً كلاماً شديداً
٣٨٠	ابن أيب عذرة	- وكان في خلافة عمر رضي الله عنه
٣٩٢	مطرف بن عبدالله	- يا إخواني اجتهدوا في العمل فإن يكن
٧٢٣	طارق بن شهاب	- يا أمير المؤمنين يلقاك الجنود
٣٧١	أبوجعفر الخطمي	- يا بني إياك ومجالسة السفهاء
٣٠	عمر بن الخطاب	- يا بنية لا يغرنك هذه التي أعجبها
٢٧٧	عمر بن الخطاب	- يا صاحب الرقبة رافع رقبتك
٦٢١	عبدالله بن عباس	- يا عكرمة هل للرجل حاجة فتعطيها
٦١٤	معاوية بن سويد	- يا لطمت مولى لنا فهربت، ثم جئت
٦٤٥	أبوبكر رضي الله عنه	- يا معشر المسلمين، استحيوا
٥٧٧	ابن عباس، ابن عمر	- يجوز للإمام أن يشتري رقاباً
٤٢٢	عبدالرحمن بن زيد	- يرحم الله أبابكر ما كان يفقهه
١٢٥١	ابن مسعود	- اليقين الإيمان كله؟
٢٢٨	إبراهيم التيمي	- ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

حرف الألف

- الأحاديث المختارة، ضياء الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي، تحقيق ودراسة: عبدالملك بن هديش، مكتبة النهضة، مكة، ط الأولى، ١٤١٠هـ.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفاسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ت بيروت، دار الكتب العلمية، ج ١٤، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- أحكام أهل الذمة، لابن القيم، حققه وعلّق على حواشيه: طه عبدالرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- أحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، كتب هوامشه عبدالغني عبدالحق، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٣٩٥هـ.
- أحكام القرآن، لأبي بكر الرازي الجصاص، دار الكتاب العربي، بيروت.
- أحكام القرآن، أبوبكر ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، ١٩٥٧م.
- الأحكام السلطانية، أبوالحسن الماوردي، تحقيق: خالد عبداللطيف العلي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٨هـ.
- إحياء علوم الدين، أبوحامد محمد بن محمد الغزالي، القاهرة، دار الشعب، كتاب الشعب، د.ت. بيروت، دار المعرفة، ٤مج، ١مج، ملحق د.ت.
- الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، اختارها علاء الدين أبوالحسن البعلي، بتحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
- الخراج، لأبي يوسف. يعقوب بن إبراهيم، ط: السلطية مصر.
- اختلاف الفقهاء، لأبي جعفر محمد بن جرير للطبري، دار الكتب العلمية.
- أخلاق أهل القرآن، أبوبكر محمد بن حسين الآجري، تحقيق: محمد عمرو عبداللطيف، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ.
- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حبنكه الميداني، الطبعة الأولى، دمشق، دار القلم، وط ثانية، ١٤٠٧هـ.
- أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، د. أحمد بن عبدالعزيز ابن قاسم الحداد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦م.
- الإخوان، ابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد عبدالرحمن طوالبه، إشراف ومراجعة: نجم عبدالرحمن خلف، القاهرة، دار الاعتصام، د.ت.
- الآداب الشرعية والمنح المرعية، للعلامة شمس الدين محمد بن مفلح، توزيع رئاسة إدارت البحوث العلمية، الرياض، سنة ١٩٧٧م.
- أدب الدنيا والدين، الماوردي، بيروت، دار الريان، للتراث ط ١، ١٤٠١هـ.

- الأدب المفرد، البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، ط ٣، ١٤٠٩هـ.
- الأذكار النووية، أبوزكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: حمزة سبيع حاكمي، بيروت، جدة، ١٤١٢هـ.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي الشوكاني.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط أولى، ١٣٩٩هـ.
- أساس البلاغة، الزمخشري، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ.
- الاستيعاب، ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط أولى، ١٤١٢هـ.
- الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، د: عبدالله بن إبراهيم الطريقي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- أسد الغابة، ابن الأثير، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرون، بيروت، دار الفكر، د.ت. (مصورة دار الشعب بالقاهرة).
- الأسماء والصفات، للبيهقي.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، تحقيق: عادل عبدالواحد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى، ١٤١٥هـ.
- أصول الفقه، محمد بن عفيفي الخضري، دار الاعتصام، ط: ١٣٤٥هـ.
- الأضداد، ابن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، ١٩٦٠م.
- الأضداد، ابن السكيت، تحقيق: أ. هفز، ضمن ثلاثة كتب في الأضداد، بيروت، ١٩١٣م.
- الأضداد، الأصمعي، تحقيق: أ. هفز، ضمن ثلاثة كتب في الأضداد.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ط ثانية، القاهرة، ١٤٠٨هـ، مكتبة ابن تيمية.
- الاعتبار، لأبي بكر عبدالله ابن أبي الدنيا، دار البشير، عمان، ١٤١٣هـ، ط: الأولى، تحقيق: نجم عبدالرحمن خلف.
- الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: محمد رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة، د.ت.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، بيروت، دار المعرفة، د.ت.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، تحقيق: ناصر عبدالكريم العقل، ط ١، ١٤٠٤هـ.
- اقتضاء الصراط المستقيم، مخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، تحقيق: محمد حامد

الفقي، القاهرة، ١٩٥٠م.

- اقتضاء العلم العمل، الخطيب البغدادي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الكويت، دار الأرقم، د.ت.

- الإكليل في استنباط التنزيل، جلال الدين للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، أبي عبدالله محمد بن المرتضى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

- إثثار الحق على الخلق.

- الإيمان، محمد نعيم يس، انظر كتاب الإيمان (رقم ٨٠٩)، القاهرة، د.ت.

حرف الباء

- البحر المحيط، أبوحيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.

- بدائع الفوائد، ابن القيم، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.

- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، أبو بكر بن مسعود الطاساني، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٤م.

- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لأبي محمد بن رشد، الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٨هـ، دار المعرفة.

- البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون، القاهرة، دار الريان، ١٤٠٨هـ.

- البرهان في تجويد القرآن، محمد الصادق قمحاوي، القاهرة، دار القرآن، د.ت.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، بيروت، المكتبة العلمية، د.ت. مصورة من طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، الطبعة الثالثة، القاهرة، د.ت.

حرف التاء

- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الزبيدي، بيروت، دار الفكر، د.ت.

- تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، تحقيق: عمر تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١١هـ.

- تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار سويدان، د.ت.

- تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق: محيي الدين العمروي، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ.

- تاريخ المدينة، عمر بن شبة، تحقيق: فهد شلتوت، المملكة العربية السعودية، جدة، ١٣٩٣هـ.

- التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر - ابن الجوزية - تعليق : محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
- التبيان في آداب حملة القرآن، أبوزكريا شرف الدين النووي، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، المملكة العربية السعودية، جدة، ١٩٨٧م.
- تحفة الأحوذى، شرح جامع الترمذي، محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- تحفة الأذكار، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.
- التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ابن تيمية، مكتبة ابن تيمية، المجلد الأول من الفتاوى.
- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، العراقي، وابن السبكي، والزبيدي، إخراج: أبي عبدالله محمود بن محمد الحداد، الرياض، دار العاصمة، ١٩٨٧م.
- التخويف من النار والتعريف بمجال دار البوار، ابن رجب الحنبلي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، المنذري، تحقيق: الشيخ مصطفى عمارة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ.
- تسهيل النظر وتعجيل الظفر، الماوردي، تحقيق: محيي الدين السرحان، بيروت، ١٩٥٣م.
- التصاريف، يحيى بن سلام، تحقيق: هند شلبي، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٨٠م.
- التعريفات للجرجاني، بيروت دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.
- تفسير الطبري من كتابه جامع البيان، بشار عواد.
- تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.
- تفسير غرائب القرآن، ورغائب الفرقان، النيسابوري، مطبوع بهامش جامع البيان للطبري، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٩٨٧م.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، ط. ثانية، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٧م، وط: مكتبة الرياض الحديثة، دار الفكر، ١٤٠٠هـ.
- التفسير القيم، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، القاهرة، مكتبة السنة المحمدية، د.ت.
- التفسير الكبير، الفخر الرازي، بيروت، دار التراث العربي، د.ت.
- تنبيه الغافلين، ابن النحاس، تحقيق: نصر السمرقندي، جدة، دار الشروق، ١٤٠٠هـ.
- تهذيب الأخلاق، الجاحظ، القاهرة، دار الصحابة للتراث، د.ت.
- تهذيب السنن لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية ١٣٦٧هـ.
- تهذيب الكمال، المزي، تحقيق: بشار عواد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م.
- التوبة إلى الله، صالح السدلان، دار بلنسية، الرياض..

- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام، مكتبة السوادي، جدة، ط: السابعة.

- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبدالرؤوف المناوي، تحقيق: عبدالحميد صالح حمدان، القاهرة، ١٤١٠هـ.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، يطلب من المؤسسة السعيدية بالرياض.

حرف الجيم

- جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، ويوسف الشيخ، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣هـ.

- جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، القاهرة، دار الحديث ١٤٠٧هـ، ١٢ مج وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري.

- جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، عمّان، مكتبة الرسالة الحديثة، د.ت، القاهرة مؤسسة الكتب الثقافية. د.ت.

- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٤٠٨هـ، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.

- الجرح والتعديل، أبو محمد الرّازي، الهند، مطبعة مجلس دائر المعارف العثمانية، ط١، د.ت.

- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ابن القيم، تحقيق: يوسف شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت. ونسخة أخرى بتحقيق: محيي الدين نتو، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، ١٤٠٨هـ.

- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، القاهرة، دار الريان، ١٤٠٨هـ.

- الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ابن تيمية، مطبعة النيل، القاهرة، ١٣٢٢هـ.

حرف الحاء

- حاشية ابن عابدين على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، لابن عابدين، دار الفكر، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٩هـ.

- حادري الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م.

- الحسبة، لابن تيمية. تحقيق: محمد زفري النجار، المؤسسة العلمية، الرياض، ١٩٨٠م.

- حُسن الظن بالله، ابن أبي الدنيا، تحقيق: مخلص محمد، الرياض، دار طيبة، د.ت، ط١، ١٤٠٨هـ.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبونعيم الأصفهاني، القاهرة، دار الرياض، ط٥، ١٤٠٧هـ، وبيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

حرف الخاء

- خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلى، الكويت، ط ٦، ١٤٠٦ هـ.

حرف الدال

- الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد جميل غازي، جدة، دار المازني، ١٩٨٣ م.
- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠١ هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، بيروت، دار الفكر، ط ١، ١٤٠٣ هـ.
- الدعاء، لأحمد الحمد، دار النفائس، الرياض، ط ١، ١٤١٩ هـ.
- الدفاع عن السنة والاتباع، للشيخ حميد بن عتيق، المؤسسة السعيدية، الرياض.
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد بن علان الصديقي، القاهرة، دار الريان، ٣ مج، ١٤٠٧ هـ.
- ديوان الشافعي، أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: محمد عفيف الزغبى، حمص، دار المعرفة، وجدة، دار المعلم، ١٩٧٤ م.
- دخائر العقبي في مناقب ذوي القربى لأبي العباس أحمد بن محمد الطبري المكي، تحقيق: أكرم البوشي، ومحمود الأرنؤوط، مكتبة الصحابة، جدة، ط: ١٤١٥ هـ.

حرف الذال

- الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٠ م.
- رسائل الإصلاح، الخضر حسين، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، بيروت، دار الفكر، د.ت.

حرف الراء

- الروح، ابن القيم، تحقيق: عبدالفتاح محمود عمر، دار الفكر، عمان، ١٩٨٥ م.
- روح المعاني، الألوسي، ط ٤، بيروت، دار إصدار التراث، ١٩٨٥ م.
- الروض المربع، شرح زاد المستقنع، للبهوتي، المطبعة السلفية، ط. سادسة، القاهرة، ١٣٨٠ هـ.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان، تحقيق: علي بن شرف العمري، القاهرة، ١٩٨١ م.
- رياض الصالحين، أبوزكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبدالعزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق، راجعه: شعيب الأرنؤوط، دار المأمون للتراث، مكتبة المنارة الزرقاء، ودار ياقوت للتراث ط ١، ١٤٠٩ هـ.

- الرياض النَّاضرة والحدائق النيرة الزَّاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، منشورات المؤسسة السعدية، الرياض، د.ت.

حرف الزاي

- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١٥، الكويت، مكتبة المنار، ١٤٠٧هـ.

- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- الزهد، ابن المبارك، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

- الزهد، أحمد بن حنبل، القاهرة، دار الريان، ١٤٠٨هـ.

- الزهد، الإمام وكيع بن الجراح، تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي، المدينة المنورة، ١٤٠٤هـ.

- الزواجر عن اقتراف الكبائر، أبوالعباس أحمد بن محمد الهيثمي: ابن حجر الهيثمي، ضبط: أحمد الشامي، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م.

حرف السين

- سبل السلام شرح بلوغ المرام، الصنعاني، تحقيق: فؤاد أحمد أزمري، وإبراهيم محمد الجمل، القاهرة، دار الريان للتراث، ط٤، ١٤٠٧هـ.

- سراج الملوك، الطرطوشي، تحقيق: محمد فتحي أبوبكر، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٤م.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤٠٥هـ.

- السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، لابن حجر.

- سنن ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقى، بيروت، دار إحياء التراث، ١٣٩٥هـ، وطبعة دار الفكر، د.ت.

- سنن الدَّارمي، الدارمي، تحقيق: السيد المدني، وفيصل إياد، الرياض، رئاسة إدارة البحوث العلمية، ١٤٠٤هـ.

- السنن الكبرى، البيهقي، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

- سير ابن هشام، ابن هشام المعافري، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد القاهرة، د.ت.

حرف الشين

- شأن الدعاء، الخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دمشق، بيروت، ١٩٨٤م.

- شجرة المعارف والأحوال، العز بن عبدالسلام، تحقيق: إياد خالد الطباع، دمشق، ١٩٨٩م.

- شخصية المسلم، محمد علي الهاشمي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط ٤، ١٤١٠هـ.
- شرح السنة، للبغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وزهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ.
- شرح سنن ابن ماجة لأبي الحسن السندي، تحقيق: خليل مأمون للسيوطي.
- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، حققه: جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٧، ١٤٠٣هـ.
- شرح فتح القدير.
- الشرح الكبير للدردير مع حاشية الدسوقي.
- شرح المعاني الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: محمد زهدي النجار، ط ٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ.
- شرح النووي لصحيح مسلم، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٤٩هـ.
- الشريفة للأجري.
- شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق: البسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.
- شفاء الغليل، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ، مصورة عن طبعة الحلبي في القاهرة، ١٩٨٨م.
- الشفا في مواعظ الملوك، ابن الجوزي، بيروت، دار الفكر، د.ت.
- الشكر، ابن أبي الدنيا، تحقيق: يس السواس ومحمود الأرناؤوط، بيروت، ١٩٨٥م.

حرف الصاد

- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، القاهرة، ١٩٨٢م.
- صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ.
- صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد الأعظمي، ط ١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- صحيح الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، ١٩٨٨م.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، دمشق، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٠هـ.
- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٩هـ.
- صحيح سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ.
- صحيح مسلم بشرح النووي، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ، وبيروت، دار الكتب

العلمية، ١٣٤٩هـ.

- صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، السعودية، الدمام، مكتبة ابن الجوزي، ١٩٨٩م.

- صفة الصفوة، أبو الفرج بن الجوزي، حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ.

- صفة صلاة النبي ﷺ محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨١م.

- صفة جزيرة العرب للهمداني.

- صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبد القادر عطا، دار القبلتين للنشر والتوزيع، د.ت، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

حرف الطاء

- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، بيروت، دار صادر، ١٩٥٧م.

- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم الجوزية، تصحيح أحمد عبد الحليم العسكري، المؤسسة العربية، القاهرة، سنة ١٣٨٠هـ.

- طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٧٩م.

حرف العين

- العبودية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٣٩٢هـ.

- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية. تصحيح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت.

- عقيدة التوحيد، لصالح الفوزان.

- العقيدة الواسطية، ابن تيمية، شرح الشيخ صالح الفوزان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ٥، ١٤١١هـ.

- العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبوزهرة، دار الفكر العربي.

- عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، القاهرة، المطبعة المنيرية، د.ت.

- عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

حرف الغين

- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، على هامش تفسير الطبري، دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٧م.

حرف الفاء

- الفتاوى السعدية، للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، دمشق، دار الحياة، ط الأولى، ١٣٨٨م.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني،

- القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٦٤م، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٣م.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن آل الشيخ، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكة المكرمة، المكتبة التجارية، ١٤١٢هـ.
- الفتوحات الربانية شرح الأذكار النووية لابن علان.
- الفروق للقرافي، دار المعرفة، بيروت.
- الفروق اللغوية، أبوهلال العسكري، لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، د.ت.
- فضائل الصحابة، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد عباس، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ.
- فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، فضل الجيلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة، المكتبة السلفية، ١٤٠٧هـ.
- فضل علم السلف على الخلف، ابن رجب، تحقيق: محمد عبدالحكيم قاضي، ط، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٧هـ.
- فقه الزكاة، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤١٠هـ.
- فقه السنة، السيد سابق، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م.
- الفقه على المذاهب الأربعة، الجزيري وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، د.ت.
- الفوائد، ابن القيم، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ.
- فيض القدير، شرح الجامع الصغير، محمد عبدالرؤوف المناوي، القاهرة، ١٩٣٨م.

حرف القاف

- قاعدة جلية في التوسل والوسيلة، ابن تيمي، حققه وخرج أحاديثه: عبدالقادر الأرناؤوط، ط. ثانية، دمشق، الرياض، ١٩٩٣م، مكتبة دار البيان، بيروت، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ.
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، بيروت، دار الجيل، د.ت.
- قصص الأنبياء عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: علي بن عبدالحميد، ومحمد وهيبي ومعروف زريق، دار الخير، بيروت، ط: ١٤١٦هـ.
- قضاء الحوائج، لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا، موسوعة رسائل اب نأبي الدنيا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- القواعد الحسان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، المجموعة الكاملة المجلد الثامن، ١٤٠٨هـ، مركز صالح بن صالح الثقافي، غيره.

حرف الكاف

- كتاب الأمالي يحيى بن الحسن الشجري، طبعة محمد الباز، مكة.
- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي التهانوي، تحقيق: لطفي عبدالبديع، القاهرة، ١٩٦٣م، (الترجمة العربية).

- كشاف اصطلاحات الفنون، أو موسوعة العلوم الإسلامية، محمد بن علي التهانوي، بيروت، شركة خياط، د.ت. (الأصل المكتوب بالفارسية).

- كشاف القناع عن متن القناع، منصور بن يونس البهوتي، عالم الكتب، بيروت، سنة ١٣٦٩هـ.

- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، جار الله الزمخشري، بيروت، دار المعرفة، د.ت.

- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٤.

- كشف السرائر في معني الوجوه والأشباه والنظائر، ابن العماد، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، د.ت.

- الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.

حرف اللام

- لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر، ١٩٥٦م.

- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت، مكتبة أسامة، الرياض، ط٢، ١٤٠٥هـ.

حرف الميم

- المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح، للحافظ الدمياطي، تحقيق: عبدالله حجاج، القاهرة، مكتبة دار التراث الإسلامي، د.ت.

- المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح، للحافظ الدمياطي، تحقيق: رضوان محمد رضوان، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٤٠٣هـ.

- المبسوط، لشمس الأئمة السرخسي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

- مجمع الزوائد، ومنيع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، القاهرة، دار السعادة، د.ت/بيروت، ط٣، دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ.

- المجمل في اللغة، ابن فارس، تحقيق: زهير عبد الحميد سلطان، بيروت، ١٨٩٤م.

- المجموع، شرح المذهب، أبوزكريا يحيى شرف النووي، بيروت، دار الفكر، د.ت، ٢٠مج.

- مجموع فتاوى ابن تيمية، انظر (الفتاوى لابن تيمية، رقم ٧١٤).

- مجموع الرسائل الكبرى، ابن تيمية، القاهرة، المطبعة العامرة الشرفية، ١٣٢٣.

- محاسبة النفس والإزرء عليها، ابن أبي الدنيا، تحقيق: مصطفى بن علي بن عوض، بيروت، ١٩٨٦م.

- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، القاهرة، مطبعة الحلبي، د.ت.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: المجلس العلمي، المغرب، فاس، د.ت.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، دراسة وتقديم: عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، القاهرة، دار المنار، ١٩٩٣.
- مختصر شعب الإيمان، عمر بن عبد الرحمن القزويني، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دمشق، مكتبة دار البيان، ١٤٠٣هـ.
- مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، قدّم له: محمد أحمد دهمان، تحقيق: شبيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، القاهرة، دار التراث، ١٩٨٢م.
- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ط ٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.
- مداواة النفوس، ابن حزم، تحقيق: أبو حذيفة بن محمد، مصر، طنطا، مكتبة الصحابة، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- مرشد الخطيب، محمد إبراهيم سليم، القاهرة، د.ت.
- مساوئ الأخلاق ومذمومها، الخرائطي، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، الرياض، مكتبة الساعي، د.ت/ القاهرة، مكتبة القرآن، ١٩٨٩م.
- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، الهند، حيدرآباد الدكن، بيروت، دار المعرفة، د.ت.
- المستطرف في كل فنّ مستظرف، الأبهسي، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٩٨م، وبيروت دار الفكر.
- مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، ط ثانية، دمشق، ١٤١٠هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٣٩٨هـ (ست مجلدات).
- مسند الإمام أحمد بتعليقات أحمد شاكر، نشر دار المعارف، بمصر.
- مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدّين الألباني، ط. ثانية، بيروت، دمشق، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٥هـ.
- مصباح الزجاجة، في زوائد ابن ماجة، أحمد بن أبي بكر الكتاني البوصيري، تحقيق: محمد المتقى الكشناوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، دار العربية.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٣م.
- المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، تحقيق: مختار أحمد الندوي، ط ١، الهند، ١٤٠٣هـ.

- المطلع على أبواب المقنع. لمحمد البعلي، نشر المكتب الإسلامي: ١٤٠١هـ.
- معارج القبول، الشيخ حافظ حكيم، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٤٠٤هـ.
- المعرفة والتاريخ، أبو يوسف بن سفيان القسوي، تحقيق: إكرام ضياء العمري، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٧٥م.
- معالم التنزيل، الإمام البغوي، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك، ومروان سوار، دار المعرفة، ط. ثانية، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- معالم السنن للخطاب بهامش مختصر سنن أبي داود، انظر: مختصر سنن أبي داود للمندري رقم ٥٠٩.
- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق، تحقيق: عبدالجليل شليبي، بيروت، ١٩٧٣م.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم.
- المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق: محمود الطحان، الرياض، مكتبة المعارف، ط ١، ١٩٨٧م.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، بيروت، ١٤١٠هـ.
- المعجم الصغير، الطبراني، تصحيح: عبدالرحمن عثمان، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ١٣٨٨هـ.
- المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، القاهرة، وزارة الأوقاف، د.، مكتبة ابن تيمية، بدون تاريخ أيضاً.
- معجم مقاييس اللغة، لأحمد ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٦٩م.
- المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية، ط ٢، لبنان، بيروت، دار الأمواج، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- المغني، لأبي محمد عبدالله بن قدامة المقدسي مع الشرح الكبير، دار الكتاب العربي، سنة ١٣٩٢هـ.
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني الألفاظ، لمحمد الخطيب الشربيني، دار الفكر.
- مفتاح دار السعادة، ابن القيم، بيروت، دار الكتب العلمية.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، القاهرة، ١٩٦١م.
- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، قبرص، ١٤٠٧هـ.
- مكارم الأخلاق، ابن أبي الدنيا، تحقيق: ج. أ. بالمي، ألمانيا، بادن بادن، ١٩٧٣م.
- مكارم الأخلاق ومعاليها، الخرائطي، تحقيق: سعاد سليمان الخندقاوي، مصر، مطبعة المدني، ١٩٩١م.
- مناهل العرفان، محمد عبدالعظيم الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.
- المنتقى شرح موطأ مالك، للباجي، نشر دار الكتب العربية، بيروت، ط: الثانية.
- المنهاج في شعب الإيمان، أبو عبدالله الحسن بن الحسن الحليني، تحقيق: حلمي فودة، القاهرة، دار الفكر، ١٩٧٩م.

- الموافقات في أصول الأحكام، الشاطبي، دار الفكر، ١٣٤١هـ.
- الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الحديث، ١٤١٣هـ، بيروت، دار إحياء الكتاب العربية.

حرف النون

- نزهة الأعين النواظر، في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم الراضي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، صالح بن عبدالله بن حميد وزملاء، دار الوسيلة، المملكة العربية، ط/الأولى.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٣هـ.
- نواسخ القرآن لجمال الدين أبوالفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: محمد أشرف علي الملباري، ط: الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.

حرف الهاء

- هداية الحيارى، لابن القيم الجوزية، دار النشر، الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية.

حرف الواو

- الوجوه والنظائر، لأبي عبدالله محمد بن علي الدامغاني، تحقيق: عبدالعزيز سيد الأهدل، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ٤، سنة ١٤٠٣هـ.
- الورع، ابن أبي الدنيا، تحقيق: أبو عبدالله محمد بن حمد الحمود، مطابع القبس، ١٤٠٨هـ.
- الولاء والبراء في الإسلام، محمد سعيد القحطاني، الرياض، دار طيبة للنشر، ط ٣، ١٤٠٩هـ.

فهرس الموضوعات

* مقدمة ٣

الباب الأول

معنى الإحسان ومصادره ومكانته ومراتبه وشروطه

- ١١ الفصل الأول: معنى الإحسان
- ١٣ المبحث الأول: تعريف الإحسان في اللغة
- ١٤ المبحث الثاني: تعريف الإحسان في الاصطلاح
- ١٥ * المطلب الأول: تعريف الإحسان في الاصطلاح
- ٢٣ * المطلب الثاني: في استعمالات ما يتصرف عن لفظة الإحسان مما له صلة بالموضوع
- ٣٨ * المطلب الثالث: فيما يضاد الإحسان؛ وهو الإساءة
- ٤٢ المبحث الثالث: في الألفاظ ذات الصلة بالإحسان ودلالاتها
- ٤٣ * المطلب الأول: في لفظة: «فضل» وما يتصرف منها
- ٤٨ * المطلب الثاني: في لفظة: «نعم» وما يتصرف منها
- ٥١ * المطلب الثالث: في لفظة: «خير» وما يتصرف منها
- ٥٦ * المطلب الرابع: في لفظة: «جمل» وما يتصرف منها
- ٥٩ * المطلب الخامس: في لفظة: «تقن» وما يتصرف منها
- ٦٠ * المطلب السادس: في لفظة: «صلح» وما يتصرف منها
- ٦٩ * المطلب السابع: في لفظة «المعروف» وما يتصرف منها
- ٧١ * المطلب الثامن: في لفظة: «كمل» وما يتصرف منها
- ٧٢ * المطلب التاسع: في لفظة: «طاب» وما يتصرف منها
- ٧٦ * المطلب العاشر: في لفظة «البر» وما يتصرف منها
- ٧٨ * المطلب الحادي عشر: في لفظة: «زين» وما يتصرف منها
- ٨٣ * المطلب الثاني عشر: في لفظة: «التحبير» وما يتصرف منها

الفصل الثاني

٨٤ مصادرا الإحسان

٨٥ - تمهيد

- ٨٦ المبحث الأول: صحيح المنقول
- ٩٣ المبحث الثاني: صحيح المعقول
- ٩٧ المبحث الثالث: منزلة العقل مع النقل، وخطر استقلال العقل عن النقل
- ٩٨ * المطلب الأول: منزل العقل مع النقل
- ١٠٠ * المطلب الثاني: خطرا استقلال العقل عن النقل

الفصل الثالث

١٠٣	بيان مكانة الإحسان
١٠٤	المبحث الأول: بيان مكانة الإحسان
١٠٧	المبحث الثاني: بيان النصوص الواردة في الدعوة إلى الإحسان
١١٦	المبحث الثالث: بيان النصوص الواردة في التَّهْيِي عن ضد الإحسان
١٢١	المبحث الرابع: الفرق بين مراتب الدِّين الثلاث

الفصل الرابع

١٢٥	مرتبة الإحسان، ودرجات المحسنين
١٢٦	المبحث الأول: معنى مرتبة الإحسان
١٢٨	المبحث الثاني: درجات المحسنين وتفاوت كل درجة
١٣٤	الفصل الخامس: شروط الإحسان
	تمهيد:

١٣٥	المبحث الأول: شرط الإخلاص
١٤٨	المبحث الثاني: شرط المتابعة
١٥٨	المبحث الثالث: شرط المشاهدة [أو هو أن تعبد الله كأنك تراه]

الباب الثاني

١٦٠	أنواع الإحسان وصوره ورسائله وثمراته وصفات المحسنين
	الفصل الأول

١٦١	أنواع الإحسان
١٦٢	المبحث الأول: إحسان الخالق عزَّ وجلَّ إلى المخلوق
١٦٣	* تمهيد:
١٦٤	* المطلب الأول: فقر المخلوق وعجزه عن عدِّ إحسان الله إليه
١٦٧	* المطلب الثاني: أقسام إحسان الله تعالى على الناس
١٧٩	المبحث الثاني: إحسان الإنسان في عبادة الله تعالى
١٨٠	* تمهيد:
١٨٠	- أولاً: اختلاف الروايات في تفسير الإحسان ومسائل أخرى
١٨٠	- ثانيًا: الفرق بين ألفاظ الروايات
١٨١	- ثالثًا: الجمع بين تلك الروايات
١٨١	- المسألة الأولى: الإعراب
١٨٢	- المسألة الثانية: معنى العبادة في اللغة والاصطلاح
١٨٢	- المسألة الثالثة: حقيقة العبادة
١٨٣	- المسألة الرابعة: مكانة العبادة في الدِّين
١٨٤	- المسألة الخامسة: أقسام العبادة والأمثلة عليها

١٨٤	أ- العبادات الاعتقادية
١٨٥	ب - العبادات القلبية
١٨٥	ج - العبادات اللفظية
١٨٥	د- العبادات البدنية
١٨٥	هـ - العبادات المالية
١٨٥	- المسألة السادسة: أركان العبادة
١٨٦	- المسألة السابعة: شروط قبول العبادة
١٨٦	- المسألة الثامنة: الأمثلة من الكتاب والسنة على الإحسان
١٨٧	- المسألة التاسعة: بيان قوله ﷺ: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك»
١٨٩	* المطلب الأول: الإحسان الاعتقادي
١٨٩	- أهمية العقيدة في حياة الإنسان
١٩٠	- تعريف العقيدة
١٩٠	أ- التعريف اللغوي
١٩٠	ب - التعريف الاصطلاحي
١٩٠	- مصادر العقيدة الإسلامية
١٩٠	١- كتاب الله تعالى: «القرآن الكريم»
١٩٠	٢- سنة الرسول ﷺ الثابتة عنه
١٩١	- أصول العقيدة الإسلامية
١٩٢	أولاً: الإيمان: الإيمان في اللغة والاصطلاح
١٩٣	- التفصيل والبيان لأصول العقيدة الإسلامية
١٩٣	الأصل الأول: الإيمان بالله تعالى
١٩٣	* أولاً: الإيمان بوجوده تعالى
١٩٤	* ثانياً: الإيمان بربوبية الله تعالى
١٩٥	- الإحسان في الإيمان بتوحيد الربوبية
١٩٥	* ثالثاً: الإيمان بالوهمية الله تعالى
١٩٩	- نواقض تحقيق لا إله إلا الله
٢٠٠	- الإحسان في الإيمان بتوحيد الألوهية
٢٠٠	* رابعاً: الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات
٢٠٢	- الإحسان في الإيمان بأسماء الله وصفاته
٢٠٢	الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة الكرام
٢٠٢	أ- معنى الإيمان بالملائكة عليهم السلام
٢٠٣	ب - عدد الملائكة عليهم السلام
٢٠٣	ج - صفاتهم الخلقية، والخلقية

٢٠٤	د- أسمائهم وأعمالهم عليهم السلام
٢٠٥	الأصل الثالث: الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله تعالى
٢٠٥	أ- المراد بالإيمان بكتب الله تعالى
٢٠٥	ب - عددها
٢٠٥	ج - واجبنا نحوها
٢٠٧	- الإحسان في الإيمان بالكتب المنزلة
٢٠٨	الأصل الرابع: الإيمان بالرسول والأنبياء عليهم السلام
٢٠٨	أ- المراد من هذا الأصل
٢٠٨	ب - واجبنا نحو الأنبياء والرسول عليهم السلام
٢١٠	- الإحسان في الإيمان بالرسول عليهم السلام
٢١٠	الأصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر
٢١١	١- الإيمان بما يجده الإنسان عند موته
٢١١	٢- فتنة القبر ونعيمه وعذابه
٢١٢	٣- الإيمان بحقيقة النفخ في الصور
٢١٣	٤- الإيمان بالبعث بعد الموت
٢١٤	٥- الإيمان بالحشر
٢١٤	٦- الإيمان بأن الله أعطى رسوله محمدًا ﷺ حوضًا في عرصات القيامة
٢١٤	٧- الإيمان بمجيء الله تعالى إلى أرض المحشر
٢١٥	٨- الإيمان بنشر الدواوين
٢١٥	٩- الإيمان بالصراط
٢١٥	١٠- الإيمان بالجنة
٢١٦	١١- الإيمان بالنار
٢١٧	الأصل السادس: الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله عز وجل
٢١٨	- أركان الإيمان بالقضاء والقدر
٢١٨	الأول: الإيمان بأن الله تعالى علم الأشياء قبل وجودها
٢١٨	الثاني: الإيمان بأن الله كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ
	الثالث: الإيمان بأن كل ما هو كائن في الكون مما حدث أو سوف يحدث
٢١٨	إنما يقع بمشيئة الله وإرادته التامة له
٢١٨	الرابع: الإيمان بأن الله تعالى وحده هو المتفرد بخلق الأشياء وإيجادها
٢٢٠	- الإحسان في الإيمان بالقضاء والقدر
٢٢١	* ثانيًا: التأمل والتفكير والتدبر
٢٢١	- الفرق بين التأمل والتفكير والتدبر
٢٢١	- أهمية التأمل والتفكير والتدبر

٢٢٢	- ميادين التأمل والتفكير والتدبير
٢٢٢	* أولاً: التأمل والتدبير في القرآن الكريم
٢٢٣	* ثانيًا: التأمل والتفكير في المخلوقات
٢٢٣	- التأمل والتفكير والتدبر صفة المحسنين
٢٢٤	- تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة التأمل والتفكير والتدبير
٢٢٥	- صور من أحوال المتأملين والمتفكرين والمتدبرين
٢٢٥	- ثمرات التأمل والتفكير والتدبير
١٢٨	ثالثًا: الخوف
٢٢٨	- الخوف لغة واصطلاحًا
٢٢٨	- منزلة الخوف من الدين
٢٢٩	- المخوفات
٢٣٠	- ضرورة التوازن بين الخوف والرجاء
٢٣٠	- الخوف صفة المحسنين
٢٣١	- تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة الخوف
٢٣٢	- ثمرة الخوف
٢٣٤	رابعًا: الخشية
٢٣٤	- الخشية لغة واصطلاحًا:
٢٣٤	- الفرق بين الخشية والخوف
٢٣٤	- الإحسان والخشية
٢٣٥	- الأمر بالخشية
٢٣٤	- الخشية صفة أحسن الناس
٢٣٥	- من علامات الخشية
٢٣٥	- تحقيق الإحسان في صفة الخشية
٢٣٥	- ثمرات الخشية
٢٣٦	خامسًا: علو الهمة
٢٣٦	- العلو لغة
٢٣٦	- علو الهمة اصطلاحًا
٢٣٦	- مكانتها
٢٣٦	- ميادين علو الهمة
٢٣٧	- صور من علو الهمة
٢٣٥	- ثمرات علو الهمة
٢٣٩	سادسًا: العزم
٢٣٩	- العزم لغة واصطلاحًا

٢٣٩	- الفرق بين الهم والعزم
٢٣٩	- مكانة العزم
٢٣٩	- ميادين العزم
٢٤٠	- من صور العزم
٢٤٢	- ثمرات العزم
٢٤٢	- تحقيق مرتبة الإحسان في العزم
٢٤٣	سابعاً: التوكل
٢٤٣	- التوكل لغة واصطلاحاً
٢٤٣	- الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل
٢٤٣	- الفرق بين التوكل والتوكل أو الاتكال
٢٤٣	- الفرق بين التوكل والتفويض
٢٤٤	- الفرق بين التوكل والثقة بالله
٢٤٤	- المحسنون والتوكل
٢٤٥	- تحقيق مرتبة الإحسان في صفة التوكل
٢٤٦	ثامناً: الاعتصام
٢٤٦	- تعريفه لغة
٢٤٦	- تعريفه اصطلاحاً
٢٤٦	- أنواع الاعتصام
٢٤٦	١- النوع الأول: اعتصام بالله
٢٤٧	- ثمرة الاعتصام بالله تعالى
٢٤٧	٢- النوع الثاني: الاعتصام بحبل الله
٢٤٨	- ثمرة الاعتصام بالله تعالى
٢٤٨	- تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة الاعتصام
٢٤٩	تاسعاً: الإتياع
٢٤٩	- الإتياع لغة واصطلاحاً
٢٤٩	- أنواع الإتياع
٢٥٠	- الإتياع صفة المحسنين
٢٥٠	- صور من الإتياع
٢٥١	- ثمرات الإتياع
٢٥١	- تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة الإتياع
٢٥٢	عاشراً: التواضع
٢٥٢	- التواضع لغة واصطلاحاً
٢٥٢	- أهمية التواضع وأثره من صفات المحسنين

٢٥٣	- صورة من التواضع
٢٥٣	- من ثمرات التواضع
٢٥٤	- تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة التواضع
٢٥٥	الحادية عشر: الزهد
٢٥٥	- الزهد لغة واصطلاحًا
٢٥٥	- حقيقة الزهد
٢٥٥	- أقسام الزهد
٢٥٦	- وسائل الزهد
٢٥٦	- الزهد والنفس البشرية
٢٥٦	- أهمية الزهد
٢٥٧	- الزهد صفة المحسنين
٢٥٧	- صور من الزهد
٢٥٨	- من ثمرات الزهد
٢٥٨	- تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة الزهد
٢٥٩	الثانية عشر: المحبة
٢٥٩	- المحبة لغة واصطلاحًا
٢٥٩	- أنواعها
٢٥٩	- فضل المحبة
٢٦٠	- وسائل المحبة لله تعالى
٢٦٣	- المحبوبون لله تعالى
٢٦٤	- من الأعمال المحبوبة لله تعالى
٢٦٤	- صور من المحبة
٢٦٤	- من ثمرات المحبة
٢٦٥	- تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة المحبة
٢٦٦	الثالثة عشر: الرجاء
٢٦٦	- الرجاء لغة واصطلاحًا
٢٦٦	- الفرق بين الرجاء والتمني
٢٦٧	- مكانة الرجاء
٢٦٧	- اقتران الخوف بالرجاء
٢٦٨	- الرجاء من صفات المحسنين
٢٦٨	- صور من الرجاء
٢٦٩	- من ثمرات الرجاء

٢٧٠	- تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة الرجاء
٢٧١	الرابعة عشر: التقوى
٢٧١	- التقوى لغة واصطلاحًا
٢٧١	- مكانة التقوى
٢٧٢	- الفرق بين التقوى والورع
٢٧٢	- التقوى من صفات المحسنين
٢٧٣	- شرط التقوى الورع
٢٧٤	- ميادين التقوى
٢٧٤	- من ثمرات التقوى
٢٧٤	- تحقيق مرتبة الإحسان في منزلة التقوى
٢٧٥	الخامسة عشر: الخشوع
٢٧٥	- الخشوع لغة واصطلاحًا
٢٧٦	- مكانة الخشوع
٢٧٦	- ميادين الخشوع
٢٧٧	- الخشوع صفة المحسنين
٢٨٨	- من صور الخشوع
٢٧٨	- من ثمرات الخشوع
٢٧٨	- تحقيق مرتبة الإحسان في الخشوع
٢٧٩	السادسة عشر: التعظيم
٢٧٩	- التعظيم لغة واصطلاحًا
٢٧٩	- مكانته
٢٧٩	- ميادين التعظيم
٢٨٣	- التعظيم صفة المحسنين
٢٨٣	- صور من التعظيم
٢٨٤	- من ثمرات التعظيم
٢٨٤	- تحقيق مرتبة الإحسان في التعظيم
٢٨٥١	السابعة عشر: حسن الظن
٢٨٥	- حسن الظن لغة واصطلاحًا
٢٨٥	- الفرق بين الظن والشك والعلم
٢٨٥	- أقسام الظن
٢٨٦	- مكانته
٢٩٠	- حسن الظن صفة المحسنين
٢٩١	- صورة من حسن الظن

٢٩١	- من ثمرات حسن الظن
٢٩١	- تحقيق مرتبة الإحسان في حسن الظن
٢٩٣	الثامنة عشر: الفرع
٢٩٣	- الفرع لغة واصطلاحًا
٢٩٣	- أنواع الفرع
٢٩٣	- مكانة الفرع المحمود
٢٩٤	- الفرع المحمود صفة المحسنين
٢٩٥	- صور من الفرع المحمود
٢٩٧	- من ثمرات الفرع المحمود
٢٩٧	- تحقيق مرتبة الإحسان في الفرع المحمود
٢٩٨	- التاسعة عشر: الولاء والبراء
٢٩٨	- الولاء لغة واصطلاحًا
٢٩٨	- البراء لغة واصطلاحًا
٢٩٨	- أنواع الولاء
٢٩٨	١- الولاء المحمود
٢٩٩	٢- الولاء المذموم
٤٠٩	- من صور المولاة للكفار
٣٠١	- أنواع البراء
٣٠١	١- البراء المحمود
٣٠٢	٢- البراء المذموم
٣٠٢	- مكانة الولاء والبراء في الدين
٣٠٢	- الولاء والبراء صفة عباد الله المحسنين
٣٠٣	- صور من الولاء والبراء
٣٠٤	- من ثمرات الولاء والبراء
٣٠٤	- تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الولاء والبراء
٣٠٥	العشرون: اليقين
٣٠٥	- اليقين لغة واصطلاحًا
٣٠٥	- مكانته
٣٠٦	- درجات اليقين
٣٠٧	- اليقين صفة المحسنين
٣٠٧	- صورة من اليقين
٣٠٧	- ثمرات اليقين
٣٠٨	- تحقيق مرتبة الإحسان في اليقين

٣٠٩	* المطلب الثاني: الإحسان القولي
٣٠٩	- أقسام الإحسان القولي
٣١٠	* أولاً: تلاوة القرآن الكريم
٣١٠	- التلاوة لغة واصطلاحاً:
٤٣١٠	- القرآن الكريم لغة واصطلاحاً
٣١٠	- وجوب قراءة القرآن الكريم وتحريم هجره
٣١٠	- فضل تلاوة القرآن الكريم
٣١١	- استحباب حسن الصوت والتلاوة
٣١٣	- الأوقات التي تستحب فيها قراءة القرآن الكريم
٣١٣	- تلاوة القرآن الكريم صفة المحسنين
٣١٤	- صور من إحسان التلاوة
٣١٤	- ثمرات تلاوة القرآن الكريم
٣١٤	- تحقيق مرتبة الإحسان في صفة تلاوة القرآن
٣١٦	* ثانيًا: الذكر
٣١٦	- الذكر لغة واصطلاحاً
٣١٦	- مكانة الذكر
٣١٨	- حديث القرآن عن الذكر
٣١٩	- من آداب الذكر وأحكامه
٣٢٠	- صور من الذاكرين
٣٢٠	- من ثمرات الذكر لله تعالى
٣٢١	- تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الذكر
٣٢٢	- أنواع الذكر
٣٢٢	١- التهليل
٣٢٢	- التهليل لغة واصطلاحاً
٣٢٢	- مكانته وفضله
٣٢٤	- قول لا إله إلا الله والاكثار منها صفة المحسنين
٣٢٤	- تحقيق مرتبة الإحسان في قول لا إله إلا الله
٣٢٤	٢- التكبير
٣٢٤	- التكبير لغة واصطلاحاً
٣٢٥	- مكانة التكبير
٣٢٦	- أنواع التكبير
٣٢٦	- من ثمرات التكبير
٣٢٦	- التكبير من صفات المحسنين

٣٢٧	- تحقيق مرتبة الإحسان في صفة التكبير
٣٢٨	٣- التسبيح
٣٢٨	- التسبيح لغة واصطلاحًا
٣٢٨	- منزلة التسبيح
٣٣١	- التسبيح من صفات المحسنين
٣٣١	- من ثمرات التسبيح
٣٣١	- تحقيق مرتبة الإحسان في صفة التسبيح
٣٣٢	٤- الحمد
٣٣٢	- الحمد لغة واصطلاحًا
٣٣٢	- مكانة الحمد
٣٣٤	- أنواع الحمد
٣٣٤	- حمد اللسان
٣٣٤	- حمد الجوارح
٣٣٤	- الحمد من صفات المحسنين
٣٣٥	- من ثمرات الحمد
٣٣٥	- تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الحمد
٣٣٦	٥- الحوقلة
٣٣٦	- الحوقلة لغة واصطلاحًا
٣٣٦	- حقيقة لا حول ولا قوة إلا بالله
٣٣٧	- مكانتها
٣٣٨	- من ثمرات الحوقلة
٣٣٩	- تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الحوقلة
٣٤٠	٦- الحسيلة «حسي الله ونعم الوكيل»
٣٤٠	- تعريفها: لغة واصطلاحًا
٣٤٠	- مكانتها
٣٤٢	- الحسيلة صفة من صفات المحسنين
٣٤٢	- من ثمرات الحسيلة
٣٤٣	- تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الحسيلة
٣٤٤	٧- الاسترجاع
٣٤٤	- تعريفه لغة واصطلاحًا
٣٤٤	- مكانته وفضله
٤٨٥	- صورة من الاسترجاع
٣٤٤	- الاسترجاع صفة المحسنين

- ٣٤٥ - من ثمرات الاسترجاع
- ٣٤٥ - تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الاسترجاع
- ٣٤٦ ٨- الاستغفار
- ٣٤٦ - الاستغفار لغة واصطلاحًا
- ٣٤٦ - مكانة الاستغفار
- ٣٤٨ - قبول الاستغفار
- ٣٤٨ - صيغ الاستغفار
- ٣٤٩ - الاستغفار من صفات عباد الله المحسنين
- ٣٥٠ - من ثمرات الاستغفار
- ٣٥٠ - تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الاستغفار
- ٣٥١ * ثالثًا: ومن أقسام الإحسان القولي: الاعتراف بالفضل والشكر
- ٣٥١ - الاعتراف بالفضل لغة واصطلاحًا
- ٣٥٢ - تحقيق مرتبة الإحسان في الاعتراف بالفضل لأهله
- ٣٥٢ - الشكر لغة:
- ٣٥٣ - الشكر اصطلاحًا
- ٣٥٣ - منزلة الشكر
- ٣٥٥ - أنواع الشكر
- ٣٥٦ - شروط الشكر
- ٣٥٦ - الشكر من صفات عباد الله المحسنين
- ٣٥٦ - من ثمرات الشكر
- ٣٥٧ - تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الشكر
- ٣٥٨ * رابعًا: الدعوة إلى الله تعالى
- ٣٥٨ - الدعوة لغة واصطلاحًا
- ٣٥٨ - أهداف الدعوة
- ٣٥٨ - أقسام الدعوة إلى الله
- ٣٥٩ - شروط الدعوة إلى الله
- ٣٦٠ - قنوات الدعوة
- ٣٦٠ - المحسنون دعاة
- ٣٦١ - تحقيق الإحسان في صفة الدعوة إلى الله تعالى
- ٣٦٢ * خامسًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٣٦٢ - المعروف لغة واصطلاحًا
- ٣٦٢ - المنكر لغة واصطلاحًا
- ٣٦٢ - حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

- ٣٦٤ - مجالات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٣٦٧ - شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٣٦٩ - آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٣٧٠ - صور من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٣٧٠ - من ثمرات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٣٧٢ - تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٣٧٣ * سادسًا: النصيحة والتواصي
- ٣٧٣ - النصيحة لغة واصطلاحًا
- ٣٧٣ - ميادين النصيحة
- ٣٧٤ - التواصي لغة
- ٣٧٤ - الوصية بكتاب الله عز وجل
- ٣٧٤ - منزلة التواصي
- ٣٧٤ - ميادين التواصي
- ٣٧٥ - النصيحة والتواصي من صفات المحسنين
- ٣٧٦ - صور من النصيحة والتواصي
- ٣٣٧ - من ثمرات النصيحة والتواصي
- ٣٧٧ - تحقيق مرتبة الإحسان في النصيحة والتواصي
- ٣٧٧ * سابعًا: الإصلاح
- ٣٧٧ - الإصلاح لغة واصطلاحًا
- ٣٧٧ - الإصلاح في القرآن الكريم
- ٣٧٨ - مكانة الإصلاح
- ٣٧٩ - طريقة الإصلاح
- ٣٨٠ - شروط الإصلاح
- ٣٨٠ - الإصلاح من صفات المحسنين
- ٣٨١ - صور من الإصلاح
- ٣٨١ - من ثمرات الإصلاح
- ٣٨١ - تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الإصلاح
- ٣٨٢ * ثامنًا: الصدق
- ٣٨٢ - الصدق لغة واصطلاحًا
- ٣٨٢ - ميادين الصدق
- ٣٨٢ - مدخل الصدق
- ٣٨٣ - علامة الصدق
- ٣٨٣ - الصدق شعار عباد الله المحسنين

٣٧٤	- علامات الصديقية
٣٨٤	- أحسن حديث أصدقه
٣٨٤	- الصدق من وسائل الإحسان
٣٨٤	- تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الصدق
٣٨٥	* المطلب الثالث: الإحسان الفعلي في عبادة الله تعالى
٣٨٥	* أولاً: الاستقامة
٣٨٥	- الاستقامة لغة واصطلاحاً
٣٨٥	- أركان الاستقامة
٣٨٦	- حقيقة الاستقامة
٣٨٧	- فضل الاستقامة
٣٨٨	- الاستقامة من صفات عباد الله المحسنين
٣٨٩	- الطريق إلى تحقيق الإحسان في صفة الاستقامة
٣٩٠	* ثانياً: عمل الصالحات
٣٩٠	- العمل لغة واصطلاحاً
٣٩٠	- الصلاح لغة واصطلاحاً
٥٧٤	- العمل الصالح
٣٩١	- مكانة العمل الصالح
٣٩٣	- ميادين العمل الصالح
٣٩٣	- الإيمان والعمل الصالح وعلاقتهما بالإحسان
٣٩٣	- العمل الصالح صفة المحسنين
٣٩٤	- صور من العمل الصالح
٣٩٤	- من ثمرات العمل الصالح
٣٩٥	- تحقيق مرتبة الإحسان في العمل الصالح
٣٩٦	* ثالثاً: الطاعة
٣٩٦	- الطاعة لغة واصطلاحاً
٣٩٦	- الأمر بطاعة الله تعالى، ورسوله ﷺ
٣٩٧	- صور من الطاعة
٣٩٧	- الطاعة من صفات المحسنين
٣٩٧	- من ثمرات الطاعة
٣٩٨	- تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الطاعة
٣٩٩	* رابعاً: المسارعة في الخيرات
٣٩٩	- المسارعة لغة واصطلاحاً
٣٩٩	- الخيرات لغة واصطلاحاً

٣٩٩	- العلاقة بين المسارعة والمسابقة والمنافسة
٤٠٠	- منزلة المسارعة في الخيرات
٤٠٢	- ميادين المسارعة والمسابقة والمنافسة في الخيرات
٤٠٢	- المسارعة والمسابقة والمنافسة صفة المحسنين:
٤٠٣	- صور من المسابقة:
٤٠٣	- من ثمرات المسابقة:
٤٠٤	- تحقيق مرتبة الإحسان في صفة المسابقة والمسارعة والتنافس في الخيرات:
٤٠٥	* خامسًا: الطهارة:
٤٠٥	- الطهارة لغة واصطلاحًا:
٤٠٥	- مكانة الطهارة:
٤٠٨	- الطهارة من صفات المحسنين:
٤٠٨	- صور من إحسان الطهارة:
٤٠٩	- من ثمرات إحسان الطهارة:
٤٠٩	- من ثمرات الطهارة العامة:
٤٠٩	- تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الطهارة:
٤١٠	سادسًا: الصلاة
٤١٠	- تعريف الصلاة: تعريف الصلاة لغة واصطلاحًا
٤١٠	- من معاني كلمة الصلاة في القرآن - حكم الصلاة:
٤١٠	- مكانتها وفضلها:
٤١١	- فضل صلاة الفريضة
٤١٢	- فضل صلاة الفجر
٤١٢	- فضل الصلاة على وقتها
٤١٢	- فضل صلاة الجماعة:
٤١٢	- أفضل الصفوف:
٤١٢	- أفضل المصطفين للصلاة
٤١٣	- أفضل أعمال الصلاة القيام
٤١٣	- أفضل القراءة في الصلاة
٤١٣	- أفضل التطوع مكانًا
٤١٣	- أفضل التطوع زمانًا
٤١٣	- فضل القيام في النافلة
٤١٣	- أفضل صلاة التطوع
٤١٤	- فضل السجدة الواحدة في آخر الزمان
٤١٤	- إقامة الصلاة والمحافظة عليها وإكثار منها صفة المحسنين

٤١٥	- صور من إحسان الصلاة.....
٤١٥	- تحقيق مرتبة الإحسان في إقامة الصلاة.....
٤١٥	- ثمرات إقامة الصلاة.....
٤١٦	* سابعًا: القنوت:
٤١٦	- القنوت لغة:
٤١٦	- أهمية القنوت:
٤١٨	- القنوت صفة المحسنين:
٤١٨	- صور من القنوت:
٤١٩	- تحقيق مرتبة الإحسان في القنوت:
٤١٩	- ثمرات القنوت:
٤٢٠	* ثامنًا: الزكاة:
٤٢٠	- الزكاة لغة واصطلاحًا:
٤٢٠	- منزلة الزكاة وفضلها والترهيب من منعها.....
٤٢٣	* تاسعًا: الإنفاق.....
٤٢٣	- الإنفاق لغة واصطلاحًا:
٤٢٣	- حكم الإنفاق:
٤٢٦	- مقدار ما تكون النفقة.....
٤٢٦	- أوقات الإنفاق وأحواله:
٤٢٦	- التوسط في التَّفَقَّة:
٤٢٧	* عاشرًا: صدقة التطوع:
٤٢٧	- الصدقة لغة واصطلاحًا: ٦٧٤.....
٤٢٧	- حكم صدقة التطوع وحكماتها وفضلها:
٤٢٩	- أقسام الصدقات:
٤٣٠	- من آداب اخراج الزكاة والتَّفَقَّة والصدقة:
٤٣٢	- أفضليات تتعلّق بالزكاة والإنفاق والصدقة.....
٤٣٤	- إيتاء الزكاة والإنفاق والتصدق من صفات المحسنين:
٤٣٥	- صور من إيتاء الزكاة والإنفاق والصدقة:
٤٣٧	- تحقيق الإحسان في إيتاء الزكاة، والإنفاق والصدقة:
٤٣٧	- ثمرات إيتاء الزكاة والصدقة.....
٤٣٨	* الحادي عشر: الصوم:
٤٣٨	- تعريفه لغة واصطلاحًا:
٤٣٨	- حقيقة الصوم:
٤٣٨	- فضله.....

٤٣٩	- فوائده
٤٤٠	- الصيام صفة عباد الله المحسنين
٤٤٠	- صور من إحسان الصيام:
٤٤٠	- تحقيق مرتبة الإحسان في الصوم:
٤٤١	- من ثمرات الصوم:
٤٤٢	* الثاني عشر: الحج والعمرة:
٤٤٢	- الحج لغة واصطلاحًا:
٤٤٢	- العمرة لغة:
٤٤٢	- العمرة اصطلاحًا:
٤٤٣	- الحج عبادة العمر:
٤٤٣	- حكم الحج والعمرة:
٤٤٤	- فضلهما:
٤٤٤	- حكمتها:
٤٤٦	- أداء الحج والعمرة من صفات المحسنين:
٤٤٨	- صور من إحسان الحج والعمرة:
٤٤٨	- تحقيق مرتبة الإحسان في الحج والعمرة:
٤٤٨	- من ثمرات الحج والعمرة:
٤٤٩	- الثالث عشر: الجهاد:
٤٤٩	- الجهاد لغة واصطلاحًا:
٤٤٩	- أقسام الجهاد:
٤٥٠	- حكم الجهاد:
٤٥٠	- أهداف الجهاد:
٤٥٠	- فضل الجهاد:
٤٥٢	- أفضل الجهاد:
٤٥٢	- الجهاد صفة المحسنين:
٤٥٢	- صور من جهاد المحسنين:
٤٥٦	- ميزان جهاد المحسنين:
٤٥٧	- تحقيق مرتبة الإحسان في صفة الجهاد:
٤٥٧	- ثمرات الجهاد:
٤٥٨	- الرابع عشر: الهجرة:
٤٥٨	- الهجرة لغة واصطلاحًا:
٤٥٩	- أقسام الهجرة:
٤٦٠	- فضل الهجرة:

- ٤٦٢ - الهجرة عند الحاجة إليها من صفات المحسنين :
- ٦٤٣ - صور من هجرة المحسنين :
- ٤٦٥ - تحقيق مرتبة الإحسان في الهجرة :
- ٤٦٥ - من ثمرات الهجرة :
- ٤٦٦ * المبحث الثالث : إحسان الإنسان مع نفسه باطنًا وظاهرًا :
- ٤٦٧ المطلب الأول : الإحسان مع النَّفس باطنًا :
- ٤٦٧ أولاً : النفس :
- ٤٦٧ أ - نشأتها :
- ٤٦٧ ب - نهاية النَّفس :
- ٤٦٧ ج - أصناف النفوس :
- ٤٦٨ د - الإحسان إلى النفس :
- ٤٧١ ثانيًا : الصدر :
- ٤٧٣ ثالثًا : القلب :
- ٤٧٣ - أسباب أمراض القلوب :
- ٤٧٤ - دواء القلوب :
- ٤٧٤ - أدوية أمراض القلوب :
- ٤٧٧ - الإحسان إلى القلب :
- ٤٧٨ - رابعًا : العقل :
- ٤٧٨ - تعريفه في اللغة :
- ٤٧٨ - تعريفه اصطلاحًا :
- ٤٧٨ - موارد تنمية العقل وكماله :
- ٤٧٩ - معوقات العقل :
- ٤٧٩ - الإحسان إلى العقل :
- ٤٧٩ - صفات العقول الحسنة :
- ٤٧٩ - خامسًا : الفوائد :
- ٤٨٠ - إحسان إلى الفؤاد :
- ٤٨١ المطلب الثاني : الإحسان مع النَّفس ظاهرًا :
- ٤٨٢ أولاً : الإحسان مع النَّفس بالمطعم :
- ٤٨٤ - آداب الطعام :
- ٤٨٥ ثانيًا : الإحسان إلى النَّفس بالمشرب :
- ٤٨٦ - من آداب الشراب :
- ٤٨٧ ثالثًا : الإحسان إلى النَّفس باللباس :
- ٤٩٠ - هدي النَّبي ﷺ في اللباس :

- ٤٩٠ آداب اللباس :
- ٤٩١ رابعًا: الإحسان إلى النفس بالنظافة، والطيب، والزينة :
- ٤٩١ أ- الإحسان إليها بالنظافة :
- ٤٩٢ ب - الإحسان إلى النفس بالطيب :
- ٤٩٣ ج - الإحسان إلى النفس بالزينة والتجمل :
- ٤٩٣ - الزينة والتجمل بالحلي واللباس وغيرهما :
- ٤٩٤ - التزين والتجمل باعفاء اللحية واعفاء الشارب :
- ٤٩٤ - التزين والتجمل بتسريح شعر الرأس وكرامه :
- ٤٩٥ - التزين والتجمل بتقليم الأظفار، والحناء في اليدين للنساء :
- ٤٩٦ - التزين والتجمل بالكحل للرجال والنساء :
- ٤٩٧ خامسًا: الإحسان إلى النفس بالصحة :
- سادسًا: الإحسان إلى النفس بالمسكن الواسع والمرأة الصالحة والمركب الهنيء، والخادم القوي الأمين :
- ٤٩٨ سابعًا: الإحسان إلى النفس بإنجاب الذرية الصالحة :
- ٥٠١ ثامنًا: الإحسان إلى النفس بالمال الصالح :
- ٥٠٣ تاسعًا: الإحسان إلى النفس بالشجاعة :
- ٥٠٥ - الشجاعة لغة واصطلاحًا :
- ٥٠٥ - منزلة الشجاعة :
- ٥٠٦ - حقيقة الشجاعة وعوامل تقويتها :
- ٥٠٨ * المبحث الرابع: إحسان الانسان مع الخلق :
- ٥٠٩ المطلب الأول: الإحسان مع الإنسان بالقلب واللسان والجوارح :
- ٥٠٩ أولاً: الإحسان إلى المسلم القريب والبعيد :
- ٥٠٩ ١- العدل مع الإنسان :
- ٥٠٩ العدل لغة :
- ٥١٠ - العدل اصطلاحًا :
- ٥١٠ - أنواع العدل :
- ٥١٠ - شمولية العدل وأقسامه وكيفية تحقيقه :
- ٥١٥ - وسائل اكتساب العدل :
- ٥١٨ - العدل من صفات المحسنين :
- ٥١٩ - صور من عدل المحسنين :
- ٥٢١ - من ثمرات العدل :
- ٥٢٢ ٢- الإحسان أو الإنعام إلى الإنسان :
- ٥٢٢ الأولى: الفرق بين العدل والإحسان

- ٥٢٢ - الثانية: شمول الإحسان:
- ٥٢٥ أ- الإحسان إلى الوالدين:
- ٥٢٥ - مكانتهما:
- ٥٢٦ - ميادين الإحسان إلى الوالدين:
- ٥٣٠ - من ثمرات الإحسان إلى الوالدين:
- ٥٣١ ب - الإحسان إلى الزوجة:
- ٥٣١ - مكانتها:
- ٥٣٢ - ميادين الإحسان إلى الزوجة:
- ٥٣٧ ج - الإحسان إلى الأولاد:
- ٥٣٧ - مكانتهم:
- ٥٣٧ - مسؤولية الآباء عن الأولاد:
- ٥٣٧ - الأهداف التربوية الصالحة ووسائل تحقيقها:
- ٥٣٧ أولاً: الأهداف التربوية الصالحة ووسائل تحقيقها:
- ٥٣٧ ١- الإحسان الديني والسلوكي:
- ٥٣٨ ٢- الإحسان العلمي والعملية:
- ٥٣٨ ٣- الصحة النفسية:
- ٥٣٨ ٤- الصحة الجسدية:
- ٥٣٨ * ثانيًا: وسائل التربية الصالحة:
- ٥٤٣ د- الإحسان إلى الأقارب:
- ٥٤٣ - مكانتهم:
- ٥٤٥ - ميادين الإحسان إلى القرابة:
- ٥٤٧ ٣- الإحسان إلى المسلم البعيد:
- ٥٤٧ أ- الإحسان إلى الجار:
- ٥٤٨ - ميادين الإحسان إلى الجار:
- ٥٥٠ ب - الإحسان إلى الإخوان في الله تعالى:
- ٥٥١ - فضل الأخوة الإيمانية:
- ٥٥٢ - شرط الأخوة الإيمانية:
- ٥٥٢ - ميادين الإحسان إلى الإخوان في الله عز وجل:
- ٥٥٦ - صور من أخوة المحسنين:
- ٥٥٧ - من ثمرات الأخوة الإيمانية:
- ٥٥٨ ج - الإحسان إلى الأيتام والأرامل:
- ٥٥٨ - تعريف الأيتام:
- ٥٥٨ - مكانة الأيتام والأرامل الاجتماعية في الإسلام:

- ٥٦٢ - الإحسان إلى الأيتام من صفات المحسنين
- ٥٦٢ - صور من الإحسان إلى اليتامى
- ٥٦٣ - من ثمرات الإحسان إلى الأيتام:
- ٥٦٣ - ميادين الإحسان إلى الأرملة:
- ٥٦٥ - الإحسان إلى الأرملة من صفات المحسنين:
- ٥٦٥ - ومن صور الإحسان إلى الأرملة:
- ٥٦٦ - من ثمرات الإحسان إلى الأرملة:
- ٥٦٦ - الإحسان إلى الفقراء والمساكين
- ٥٦٦ - التعريف:
- ٥٦٦ - مكانة الفقراء والمساكين الاجتماعية في الإسلام:
- ٥٦٩ - عناية الإسلام بالفقراء والمساكين:
- ٥٧٠ - ميادين الإحسان إلى الفقراء والمساكين:
- ٥٧١ - صور من الإحسان إلى الفقراء والمساكين:
- ٥٧٢ - من ثمرات الإحسان إلى الفقراء والمساكين:
- ٥٧٣ - هـ - الإحسان إلى الخادم والمملوك وابن السبيل:
- ٥٧٣ - التعريف:
- ٥٧٣ - مكانتهم وعناية الإسلام بهم:
- ٥٧٧ - ميادين الإحسان إلى الخادم والمملوك وابن السبيل:
- ٥٧٧ - أولاً: الإحسان إلى الخادم والمملوك:
- ٥٨٠ - ثانياً: ميادين الإحسان إلى ابن السبيل:
- ٥٨٣ - الإحسان إلى ابن السبيل والمماليك والخدم من صفات المحسنين:
- ٥٨٣ - صور من الإحسان إلى ابن السبيل والخادم والمملوك:
- ٥٨٤ - من ثمرات الإحسان إلى ابن السبيل والخادم والمملوك
- ٥٨٥ - و- الإحسان إلى المجتمع المسلم:
- ٥٨٤ - التمهيد:
- ٥٨٥ - ميادين الإحسان إلى المجتمع المسلم
- ٥٨٥ - أولاً: حسن الخلق:
- ٥٨٥ - أ- تعريفه لغة:
- ٥٨٥ - تعريفه اصطلاحاً:
- ٥٨٦ - تحسين الأخلاق وتقويمها:
- ٥٨٧ - أقسام حسن الخلق:
- ٥٨٩ - مكانة حسن الخلق وفضله:
- ٥٩٢ - صور من أخلاق المحسنين:

- ٥٩٣ - من ثمرات حسن الخلق:
- ٥٩٤ ثانيًا: حسن المعاملة:
- ٥٩٤ - التمهيد:
- ٥٩٤ - تعريف حسن المعاملة:
- ٥٩٥ - الفرق بين حُسْنِ الْمُعَامَلَةِ وحُسْنِ الْعِشْرَةِ:
- ٥٩٥ - أقسام حسن العشرة:
- ٥٩٦ - شمولية حسن المعاملة:
- ٥٩٨ - صور من حسن المعاملة عند المحسنين:
- ٥٩٨ - من فوائد حسن المعاملة:
- ٥٩٩ ثالثًا: الكرم:
- ٥٩٩ - الكرم لغة واصطلاحًا:
- ٥٩٩ - أنواع الكرم:
- ٦٠٠ - الفرق بين الكرم والجود:
- ٦٠٠ - مكانة الكرم وفضله:
- ٦٠٣ - الكرم من صفات المحسنين:
- ٦٠٤ - صور من كرم المحسنين:
- ٦٠٥ - من ثمرات الكرم:
- ٦٠٦ رابعًا: كظم الغيظ:
- ٦٠٦ - الكظم لغة واصطلاحًا:
- ٦٠٦ - الغيظ لغة واصطلاحًا:
- ٦٠٦ - الفرق بين الغيظ والغضب:
- ٦٠٧ - مكانة كظم الغيظ وفضله:
- ٦٠٧ - كظم الغيظ من صفات المحسنين:
- ٦٠٨ - وسائل يستعان بها على كظم الغيظ:
- ٦٠٩ - علامة كظم الغيظ:
- ٦٠٩ - صور من كظم الغيظ:
- ٦١٠ - تحقيق الإحسان في صفة كظم الغيظ:
- ٦١٠ - من ثمرات كظم الغيظ:
- ٦١١ خامسًا: العفو والصفح:
- ٦١١ - العفو لغة واصطلاحًا:
- ٦١١ - مكانة العفو والصفح وفضلهما:
- ٦١٣ - العفو والإحسان من صفات المحسنين:
- ٦١٤ - صور من العفو والصفح:

٦١٤	- تحقيق الإحسان في صفة العفو والصفح :
٦١٥	- من ثمرات العفو والصفح :
٦١٦	سادسًا: الحلم :
٦١٦	- الحلم لغة واصطلاحًا :
٦١٦	- منزلة الحلم وفضله :
٦١٨	- أنواع الحلم :
٦١٨	- موارد الحلم :
٦١٨	- بيان الأسباب الجالبة للحلم :
٦٢٠	- الحلم صفة من صفات المحسنين :
٦٢٠	- صور من الحلم :
٦٢١	- من ثمرات الحلم :
٦٢٢	سابعًا: الرحمة :
٦٢٢	- الرحمة لغة واصطلاحًا :
٦٢٢	- حقيقة الرحمة :
٦٢٣	- مكانة الرحمة في الإسلام وفضيلتها وشموليتها :
٦٢٥	- ميادين الرحمة :
٦٢٦	- الرحمة صفة المحسنين :
٦٢٦	- صور من رحمة المحسنين :
٦٢٧	- من ثمرات الرحمة :
٦٢٨	ثامنًا: الاستئذان :
٦٢٨	- الاستئذان لغة واصطلاحًا :
٦٢٨	- مكانة الاستئذان وأحكامه وحكمه :
٦٣٠	- آداب الاستئذان :
٦٣٠	- صفات الإذن :
٦٣١	- الاستئذان من صفات عباد الله المحسنين :
٦٣١	- صور من استئذان المحسنين :
٦٣٢	- من ثمرات الاستئذان :
٦٣٣	تاسعًا: الأمانة :
٦٣٣	- الأمانة لغة واصطلاحًا :
٦٣٣	- شروط الأمانة :
٦٣٣	- مكانة الأمانة وفضلها :
٦٣٦	- ميادين الأمانة :
٦٣٨	- وسائل اكتساب الأمانة :

- ٦٣٨ - الأمانة من صفات المحسنين :
- ٦٣٩ - صور من أداء الأمانة :
- ٦٤٠ - من ثمرات الأمانة :
- ٦٤١ عاشراً: الحياء :
- ٦٤١ - الحياء لغة واصطلاحاً :
- ٦٤١ - مكانة الحياء في الدين :
- ٦٤٣ - أقسام الحياء :
- ٦٤٤ - الحياء المذموم :
- ٦٤٤ - الحياء من صفات المحسنين :
- ٦٤٥ - صور من حياء المحسنين :
- ٦٤٦ - من ثمرات الحياء :
- ٦٤٧ الحادية عشر: العفة :
- ٦٤٧ - العفة لغة واصطلاحاً :
- ٦٤٧ - أنواع العفة :
- ٦٤٨ - مكانة العفة وفضلها :
- ٦٥٠ - شروط العفة :
- ٦٥١ - وسائل اكتساب العفة :
- ٦٥٣ - العفاف صفة المحسنين :
- ٦٥٣ - صورة من عفاف المحسنين :
- ٦٥٤ - من ثمرات العفة :
- ٦٥٥ الثاني عشر: السماحة :
- ٦٥٥ - السماحة لغة واصطلاحاً :
- ٦٥٥ - مكانة السماحة في الإسلام :
- ٦٥٧ - ميادين السماحة :
- ٦٥٧ - وسائل اكتساب خلق السماحة :
- ٦٥٧ - السماحة من صفات المحسنين :
- ٦٥٨ - صور من سماحة المحسنين
- ٦٥٨ - من ثمرات السماحة
- ٦٥٩ ثانيًا: الإحسان مع الكافر القريب أو البعيد :
- ٦٦١ - مشروعية البر والإحسان إلى المسالمين من الكافرين :
- ٦٦٢ - علاقة المسلمين بالكافرين وكيفية الإحسان إليهم :
- ٦٦٣ أ- العلاقة مع الحربيين :
- ٦٦٤ ب - العلاقة بالذميين والمستأمنين :

٦٦٨	ج - العلاقة بأهل الهدنة والصلح :
٦٦٩	د - العلاقة بأهل الحياد والاعتزال :
٦٧٠	- الإحسان إلى الكافر القريب :
٦٧١	- ميادين بر الوالدين
٦٧٢	- الإحسان إلى الوالدين الكافرين غير الحربيين من صفات المحسنين
٦٧٢	- صورة من بر الوالدين غير المسلمين
٦٧٣	- من ثمرات الإحسان إلى الوالدين غير المسلمين
٦٧٣	- الإحسان إلى الكافر البعيد
٦٧٥	المطلب الثاني: الإحسان إلى غير الإنسان :
٦٧٥	أ - الإحسان إلى الملائكة الكرام عليهم السلام :
٦٧٦	- ضروب الإحسان إلى الملائكة الكرام :
٦٧٩	ب - الإحسان إلى الحيوان :
٦٧٩	- ميادين الإحسان إلى الحيوانات النافعة :
٦٨٢	ج - عدم ترويعها في نفسها وأولادها :
٦٨٢	د - عدم سبها :
٦٨٤	* الفصل الثاني: وسائل الإحسان :
٦٨٥	تمهيد :
٦٨٦	المبحث الأول: العلم بالتكليفات الشرعية ودرجاتها :
٦٨٥	- تمهيد :
٦٨٨	* المطلب الأول: حقيقة العلم، وأقسامه، وشروطه، وغير ذلك :
٦٨٨	أولاً: حقيقة العلم :
٦٨٨	ثانياً: أقسام العلم :
٦٨٨	أ - من حيث الفرض والمباح :
٦٨٨	ب - من حيث المدح والذم :
٦٨٩	- شروط العلم النافع :
٦٨٩	- أقسام العلوم من حيث العلم بها :
٦٩٠	ثالثاً: طرق تحصيل العلم :
٦٩٠	رابعاً: شروط تحصيل العلم :
٦٩٠	خامساً: فضل العلم :
٦٩١	سادساً: أشرف العلوم :
٦٩١	سابعاً: عناية القرآن الكريم بالعلم :
٦٩١	أ - أنَّ العلم المطلق لله وحده عزَّ وجل
٦٩٢	ب - الأمر بالعلم وبيان فضله

٦٩٢	ج - أنَّ العلم من صفات الأنبياء عليهم السلام
٦٩٢	د - العلم من صفات المؤمنين
٦٩٢	هـ - اختصاص بعض الخلق بأنواع من العلوم
٦٩٣	ز - تعليم الله تعالى وتعليم رسوله ﷺ للناس
٦٩٣	ح - مسؤولية العلم
٦٩٣	ط - انكشاف عطاء العلم في الآخرة
٦٩٣	- تاسعاً: عناية السنة النبوية بالعلم
٦٩٣	أ - أمر الله تعالى لنبيه ﷺ أن يعلم أمته
٦٩٣	ب - بيان أنَّ العلم منه نافع ومنه ضار
٦٩٣	ج - الإخلاص في العلم
٦٩٤	د - تحريم كتمان العلم الضروري
٦٩٤	هـ - فضل العلم
٦٩٤	و - مسؤولية العلماء
٦٩٥	ز - فضل حفظ العلم ونشره
٦٩٥	ح - التحذير من علماء سوء
٦٩٥	ط - ثمرة العلم
٦٩٦	- العلم صفة المحسنين
٦٩٦	- تحقيق مرتبة الإحسان في العلم
٦٩٦	- صور من الإحسان في العلم
٦٩٧	- ثمرات العلم
٦٩٨	* المطلب الثاني: التكليفات الشرعية ودرجاتها:
٦٩٨	فالأول: الواجب: تعريفه في اللغة وفي الاصطلاح:
٦٩٩	- أقسام الواجب:
٧٠٠	الثاني: المندوب: تعريفه: في اللغة وفي الاصطلاح:
٧٠٠	الثالث: المباح: تعريفه في اللغة وفي الاصطلاح:
٧٠٠	- أقسام الإباحة:
٧٠١	الرابع: الحرام: تعريفه لغة واصطلاحاً:
٧٠١	الخامس: المكروه: تعريفه لغة واصطلاحاً:
٧٠٢	المبحث الثاني: استشعار إحسان الله تعالى إلى العبد، ومراقبته له، والتوبة إليه:
٧٠٣	* المطلب الأول: استشعار إحسان الله تعالى إلى العبد:
٧٠٣	- تعريفه مفرداً:
٧٠٣	- تعريفه مركباً:
٧٠٣	أولاً: الإحسان الظاهر:

- أ - استشعار إحسان الله على خلقه بالإيجاد ٧٠٣
- ب - استشعار الإحسان الإلهي على العبد بعطف الأبوين عليه صغيرًا ٧٠٤
- ج - إحسان الله على العبد بما سخر له من أسباب الحياة ٧٠٤
- د - إحسان الله تعالى على الإنسان بالصحة ٧٠٥
- هـ - إحسان الله تعالى على العبد بفعل الطاعات، وكسب الحسنات في هذه الدنيا ٧٠٦
- ثانيًا: الإحسان الباطن: ٧٠٧
- أ - إحسان الله على العبد بالعقل ٧٠٧
- ب - استشعار إحسان الله تعالى على الإنسان بما يدفعه عنه من الآفات والشرور ٧٠٧
- ج - استشعار إحسان الله على عبده بما ستر عليه من الأعمال السيئة ٧٠٨
- د - استشعار إحسان الله على العبد المحسن بما أعدَّ له في الجنة من النعيم ٧٠٨
- * المطلب الثاني: استشعار مراقبة الله تعالى لعبده: ٧٠٩
- تعريف المراقبة لغة واصطلاحًا: ٧٠٩
- بيان حقيقة المراقبة: ٧٠٩
- درجات المراقبة: ٧١٠
- صور من المراقبة: ٧١١
- * المطلب الثاني: التوبة إلى الله تعالى: ٧١٢
- التوبة لغة: ١١٠١
- التوبة اصطلاحًا: ٧١٢
- حقيقة التوبة: ٧١٣
- التوبة النصوح: ٧١٣
- الفرق بين التوبة والإنابة والأوبة: ٧١٣
- حكم التوبة: ٧١٣
- شروط التوبة: ٧١٤
- إمكانية التوبة من جميع الذنوب: ٧١٨
- أولويات التوبة: ٧١٩
- شمول التوبة لكل مراتب الدين الإسلام والإيمان والإحسان: ٧٢٠
- منزلة التوبة: ٧٢٠
- صوارف العبد عن التوبة: ٧٢١
- الوسائل المعينة على التوبة: ٧٢٤
- مراتب التائبين: ٧٢٦
- عناية القرآن الكريم بالتوبة وأمثلة على ذلك: ٧٢٧
- عناية السنة النبوية بالتوبة: ٧٢٨

٧٢٩	- التوبة صفة المحسنين من الأنبياء والمرسلين وغيرهم
٧٢٩	- تحقيق مرتبة الإحسان في صفة التوبة
٧٣٠	المبحث الثالث: المنافسة، والمجاهدة، والصبر، والدعاء:
٧٣١	* المطلب الأول: المنافسة:
٧٣١	- تعريف المنافسة لغة:
٧٣٢	- تعريف المنافسة اصطلاحًا:
٧٣٢	- أقسام الفضائل:
٧٣٣	- الفرق بين المنافسة وبعض المصطلحات المشابهة له:
٧٣٤	- مشروعية المنافسة:
٧٣٤	- صفات المنافس:
٧٣٧	- صفة المنافس فيه:
٧٣٧	- وسائل المنافسة:
٧٣٧	- آداب المنافسة:
٧٣٧	- ثمرات المنافسة:
٧٣٩	* المطلب الثاني: المجاهدة:
٧٣٩	- تعريف مجاهدة النفس:
٧٤٠	- أنواع الأنفس:
٧٤١	- منزلة مجاهدة النفس:
٧٤٢	- مواطن مجاهدة النفس:
٧٤٢	- مراتب مجاهدة النفس:
٧٤٢	- أساليب الشيطان في إغواء الإنسان:
٧٤٣	أ- الأساليب الشيطانية الخاصة بإغواء العوام
٧٤٣	ب- الأساليب الشيطانية الخاصة بإغواء العباد
٧٤٣	- أساليب النفس البشرية في الإغواء:
٧٤٤	- كيفية مجاهدة النفس:
٧٤٦	- ثمرات مجاهدة النفس:
٧٤٧	- صور من مجاهدة النفس:
٧٤٨	* المطلب الثالث: الصبر:
٧٤٨	- تعريف الصبر:
٧٤٩	- حقيقة الصبر:
٧٤٩	- من معاني الصبر:
٧٥٠	- مراتب الصبر:
٧٥٠	- أقسام الصبر:

٧٥٠	- أقسام الصبر
٧٥١	- تفاوت درجات الصبر:
٧٥٢	- الفرق بين الصبر والمصابرة، والمرابطة
٧٥٣	- الأساليب التي تعين على الصبر:
٧٥٥	- إمكانية الصبر:
٧٥٦	- عناية القرآن الكريم بالصبر:
٧٥٨	- عناية السنة النبوية بالصبر:
٧٦٢	* المطلب الرابع: الدعاء:
٧٦٢	- تعريف الدعاء لغة واصطلاحًا:
٧٦٢	- حقيقة الدعاء:
٧٦٢	- أقسام الدعاء
٧٦٣	- حكم الدعاء
٧٦٤	- شروط الدعاء
٧٧٠	- آداب الدعاء
٧٧٣	- موانع استجابة الدعاء
٧٧٣	- ثمرات الدعاء
٧٧٤	- الأوقات والأماكن والأحوال التي يستجاب فيها الدعاء منها
٧٧٥	- الدعاء من صفات المحسنين
٧٧٥	- تحقيق مرتبة الإحسان في الدعاء
٧٧٦	المبحث الرابع: الكيفية التي يعرف بها من وصل إلى مرتبة الإحسان:
٧٧٦	أولاً: دقة المحاسبة للنفس الإنسانية:
٧٧٦	- أهمية المحاسبة:
٧٧٦	- أنواع المحاسبة للنفس:
٧٧٦	- شروط صحة المحاسبة:
٧٧٧	أ- الشروط القبلية:
٧٧٨	ب - الشروط البعدية لمحاسبة النفس:
٧٧٨	ثانيًا: من طرائق معرفة الوصول إلى مرتبة الإحسان:

الفصل الثالث

٧٨٠	صور من الإحسان:
٧٨١	* المبحث الأول: صور الإحسان عن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:
٧٨١	أولاً: نوح عليه الصلاة والسلام:
٧٨١	أ- نسبه:
٧٨١	ب - مولده:
٧٨١	ج - مكانته بين الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

- ٧٨١ ح - صورة من إحسان إلى نوح عليه الصلاة والسلام:
- ٧٨٤ - مرشحات الإحسان لنوح عليه الصلاة والسلام:
- ٧٨٥ ثانيًا: إبراهيم عليه الصلاة والسلام:
- ٧٨٥ أ- نسبه:
- ٧٨٥ ب - نشأته وصفاته ووفاته:
- ٧٨٥ ج - مكانته بين الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:
- ٧٨٦ د- صور من إحسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام:
- ٧٨٩ هـ - صبره على أقدار الله المؤلمة:
- ٧٩٠ و- إحسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام بإكرامه الضيفان:
- ٧٩٢ ثالثًا: يوسف عليه الصلاة والسلام:
- ٧٩٢ أ- نسبه:
- ٧٩٢ ب - مولده:
- ٧٩٢ د- مكانة يوسف بين الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:
- ٧٩٢ هـ - صور من إحسان يوسف عليه الصلاة والسلام:
- ٧٩٩ رابعًا: موسى عليه الصلاة والسلام:
- ٧٩٩ أ- نسبه:
- ٧٩٩ ب - مولده:
- ٧٩٩ ج - صفاته الخلقية:
- ٧٩٩ د - مكانته بين الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:
- ٧٩٩ هـ صور من إحسان موسى عليه السلام:
- ٨٠٥ خامسًا: عيسى بن مريم - عليه الصلاة والسلام -:
- ٨٠٥ أ- نسبه:
- ٨٠٥ ب - مولده:
- ٨٠٥ ج - صفاته الخلقية:
- ٨٠٥ - مكانته بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
- ٨٠٥ د- صورة من إحسان عيسى عليه الصلاة والسلام في أدبه مع ربه تبارك وتعالى:
- ٨٠٨ سادسًا: محمد ﷺ:
- ٨٠٨ أ- نسبه:
- ٨٠٨ ب - مولده عليه الصلاة والسلام:
- ٨٠٨ - صفاته الخلقية:
- ٨٠٨ - صور من إحسانه ﷺ:
- ٨١٨ * المبحث الثاني: صور الإحسان عن الصحابة - رضي الله عنهم -:
- ٨١٨ أولاً: خليفة رسول الله ﷺ، أبوبكر الصديق - رضي الله عنه -:

٨١٨	أ - نسبه :
٨١٨	ب - صفاته الخلقية :
٨١٨	ج - فضله - رضي الله عنه - :
٨١٩	د - صور من إحسانه - رضي الله عنه - :
٨٢٢	ثانيًا: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - :
٨٢٢	أ - نسبه :
٨٢٢	ب - صفاته الخلقية :
٨٢٢	ج - فضله ومكانته :
٨٢٢	د - صور من إحسان عمر - رضي الله عنه - :
٨٢٥	ثالثًا: ذوالنورين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - :
٨٢٥	أ - نسبه :
٨٢٥	ب - صفاته الخلقية :
٨٢٥	ج - فضله ومكانته :
٨٢٦	د - صور من إحسان عثمان بن عفان - رضي الله عنه - :
٨٢٩	رابعًا: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - :
٨٢٩	أ - نسبه :
٨٢٩	ب - صفاته الخلقية :
٨٢٩	ج - فضله ومكانته :
٨٢٩	د - صور من إحسانه - رضي الله عنه - :
	المبحث الثالث: صور الإحسان الأخرى عن غير الأنبياء عليهم السلام والصلاة والسلام،
٨٣١	والصحابه - رضي الله عنهم - :
٨٣١	أولاً: إحسان ذي القرنين - رحمه الله - :
٨٣١	أ - نسبه :
٨٣١	ب - مكانته :
٨٣١	ج - صور من إحسانه رحمه الله :
٨٣٤	ثانيًا: صور من الإحسان عن مجهولين من الأمم الماضية :

الفصل الرابع

٨٣٧	ثمرات الإحسان:
٧٣٨	المبحث الأول: الثمرات الدنيوية:
٧٣٨	الأولى: محبة الله تعالى للمحسنين ورضاه عنهم:
٨٣٩	- آثار محبة الله تعالى للمحسنين:
٨٣٩	الثانية: استمرار الهداية التي منحهم الله والزيادة فيها:
٨٤٠	- من أسباب الهداية:

- الثالثة: استجابة الدعاء: ٨٤٠
- الرابعة: معية الله تعالى الخاصة للمحسنين: ٨٤١
- الخامسة: صرف السوء والفحشاء عن المحسنين: ٨٤١
- السادسة: النجاة من المكائد والهلكة المتوقعة: ٨٤٣
- السابعة: أن الله تعالى يمنح المحسنين رغداً في العيش، وزيادة في الرزق،
وحياة طيبة: ٨٤٣
- الثامنة: الإحسان يزرع المودة للمحسنين في قلوب الخلق: ٨٤٤
- التاسعة: أن الله تعالى يبارك على المحسن ويهبه زوجة وذرية صالحة مباركة: ٨٤٤
- العاشر: أن الله يتفضل على عبده المحسن بالسيرة الحسنة والذكر الحسن بين
الناس ويرزقه الظفر على أعدائه: ٨٤٥
- الحادية عشر: أن الله تعالى مكن المحسنين في هذه الدنيا: ٨٤٦
- الثانية عشر: أن الله تعالى أنار عقول المحسنين بالعلم ٨٤٧
- الثالثة عشر: أن الله تعالى رفع عنهم الحرج ٨٤٧
- الرابعة عشرة: أن الله تعالى يمنح المحسن الثبات على الدين والقوة فيه ٨٤٧
- الخامسة عشرة: ما يجده المحسن في القرآن الكريم من البشري والحسنة وقبول عمله
والوعد الحق بالخير بعد وفاته بانتقاء الخوف والحزن ٨٤٧
- السادسة عشرة: أن الله تعالى يتقبل من المحسنين أحسن أعمالهم ويجزيهم عليها
أعظم الأجر ويضاف ثوابها لهم أكثر من غيرهم ويتجاوز عن سيئاتهم،
بل يبدلها حسنات ٨٤٨
- السابعة عشرة: أن المحسن من أقرب الناس محبةً ومنزلةً القيامة من الرسول ﷺ ٨٥٠
- المبحث الثاني: الثمرات الأخروية: ٨٥١
- الأولى: سعة رحمة الله تعالى ومغفرته لعبادة المحسنين: ٥٨١
- الثانية: الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة: ٥٨١
- الثالثة: أن الله تعالى بفضله وجوده وكرمه ينجي عباده المحسنين من عذاب النار: .. ٨٥٢
- الرابعة: أن الله تعالى بإحسانه العميم أحل عباده المحسنين دارالرضوان المحسنين
النظر إلى وجه رب العالمين ٨٥٢

الفصل الخامس

- صفات المحسنين: ٨٥٤
- المبحث الأول: الصفات الباطنة: ٨٥٥
- صفة الأولى: الإيمان بالأركان الستة: ٨٥٥
- صفة الثانية: الإخلاص: ٨٥٥
- صفة الثالثة: اتباع الكتاب والسنة الصحيحة: ٨٥٦
- الرابعة: العلم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد ﷺ: ٨٥٦

٨٥٧	الخامسة: المراقبة لله تعالى:
٨٥٧	السادسة: الصبر بجميع أنواعه:
٨٥٧	السابعة: التأمل والتفكير والتدبر:
٨٥٧	الثامنة: الخوف من عذاب الله تعالى:
٨٥٨	التاسعة: الخشية:
٨٥٩	العاشر: علو الهمة:
٨٥٩	الحادية عشر: العزم في امضاء الخبر:
٨٥٩	الثانية عشر: التوكل:
٨٥٩	الثالثة عشر: التواضع:
٥٦٠	الرابعة عشر: الزهد:
٨٦٠	الخامسة عشر: محبة الله تعالى ومحبة ما يحبه جلّ وعلا:
٨٦٠	السادسة عشر: الرجاء فيما عند الله تعالى:
٨٦١	السابعة عشر: التقوى:
٨٦١	الثامنة عشر: التقوى:
٨٦٢	التاسعة عشر: تعظيم الله تعالى وتعظيم شعائره:
٨٦٣	العشرون: حسن الظن بالله تعالى:
٨٦٣	الحادية والعشرون: الفرح بفضل الله تعالى وبرحمته:
٨٦٤	الثانية والعشرون: موالة أولياء الله تعالى ومعاداة أعدائه:
٨٦٤	الثالثة والعشرون: اليقين بالله تعالى وبما أخبر وما وعده:
٨٦٤	الرابعة والعشرون: الإحسان إلى النفس، والدواخل الإنسان:
٨٦٥	المبحث الثاني: الصفات الظاهرة:
٨٦٥	الأولى: كثرة تلاوة القرآن الكريم وذكر الله تعالى:
٨٦٦	الثانية: حمد الله تعالى وشكره والاعتراف بالفضل لأهله:
٨٦٧	الثالثة: كثرة الدعاء:
٨٦٧	الرابعة: الصدق:
٨٦٧	الخامسة: الاستقامة:
٨٦٧	السادسة: الطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ:
٨٦٧	السابعة: عمل الصالحات:
٨٦٨	الثامنة: المسارعة والمسابقة والمنافسة في الخيرات:
٨٦٨	التاسعة: الطهارة الحسية:
٨٦٨	العاشر: إقامة الصلاة والمحافظة عليها:
٨٦٩	الحادية عشر: طول القنوت:
٨٦٩	الثانية عشر: إيتاء الزكاة والإنفاق والتصدق:

- الثالثة عشر: صيام الفرض والإكثار من نافلة الصيام: ٨٧٠
- الرابعة عشر: أداء الحج والعمرة وإتقانتهما: ٨٧٠
- الخامسة عشر: الجهاد: ٨٧١
- السادسة عشر: الهجرة عند الحاجة إليها: ٨٧٢
- السابعة عشر: الإحسان إلى النفس ظاهرًا بالمأكل والمشرب والمنكح والمركب والمسكن وغيرها: ٨٧٢
- الثامنة عشر: الشجاعة في الحق: ٨٧٢
- التاسعة عشر: العدل: ٨٧٣
- العشرون: الدعوة إلى الله تعالى: ٨٧٣
- الحادية والعشرون: النصيحة والتواصي بالخير: ٨٧٣
- الثانية والعشرون: النصيحة والتواصي بالخير: ٨٧٤
- الثالثة والعشرون: الإصلاح بين الناس: ٨٧٤
- الرابعة والعشرون: الإحسان إلى الوالدين والزوجة والقراة والضعفة: ٨٧٤
- الخامسة والعشرون: حسن الخلق: ٨٧٥
- السادسة والعشرون: حسن المعاملة بالإنسان والحيوان: ٨٧٥
- السابعة والعشرون: حسن المعاشة لكل أحد، ومنهم الزوجات: ٨٧٥
- الثامنة والعشرون: الكرم: ٨٧٥
- التاسعة والعشرون: كظم الغيظ: ٨٧٦
- الثلاثون: العفو والصفح: ٨٧٦
- الواحدة والثلاثون: الحلم: ٨٧٦
- الثانية والثلاثون: الرحمة: ٨٧٧
- الثالثة والثلاثون: الأمانة: ٨٧٧
- الرابعة والثلاثون: الحياء: ٨٧٨
- الخامسة والثلاثون: الاستئذان: ٨٧٨
- السادسة والثلاثون: العفة: ٨٧٨
- السابعة والثلاثون: السماحة: ٨٧٩
- * الخاتمة: ٨٨٠
- أولاً: أهم النتائج: ٨٨٠
- ثانيًا: أهم التوصيات: ٨٨٣